الروضة الفيحاء في تواريخ النساء

تأليف

العلامة ياسين بن خير الله الخطيب العمري

١١٥٧ - ١٢٣٢ هـ

حققه وعلق عليه

حسام رياض عبد الحكيم

مؤسسة الكتب الثقافية

الروضة الفيحاء

في

تواريخ النساء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الروضة الفيحاء في تواريخ النساء

تأليف

العلامة ياسين بن خير الله الخطيب العمري
١١٥٧ - ١٢٣٢ هـ

حققه وعلق عليه

حسام رياض عبد الحكيم

مؤسسة الكتب الثقافية

ملتزم الطبع والنشر والتوزيع
مؤسسة الكتب الثقافية فقط

الطبعة الأولى

١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م

مؤسسة الكتب الثقافية

الصنائع - بناية الاتحاد الوطني - الطابق السابع - شقة ٧٨
هاتف المكتب: ٧٣٩٢٥٠-٧٣٩٢٥٨
خليوي: ٠٣/٨١٠٥٦١
ص.ب: ١١٤/٥١١٥ - برقيا: الكتبكو
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

المقـــدّمة

الحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على أشرف الأنبياء والمرسلين.

أما بعد:

فإنّ الرّجال من أهل العلم تفنّنوا في تدوين السّير والأعلام، ولم أرَ في هذا العباب من أهل العلم من أفرد النّساء في كتاب أو جمعهم في طبقات سوى قليل منهم، ففي العصر الحديث نجد الأستاذ عمر رضا كحالة ومصنفه الشهير «أعلام النّساء في عالمي العرب والإسلام» والـذي يقع في خمس مجلدات، وهـو من الكتب التي لا غنى عنها للباحث.

ولما كان في التّواريخ والسّير عبرة لمن اعتبر، وتنبيه لمن افتكر، رأيت أن أقوم بتحقيق هذا الكتاب وهو «الرّوضة الفيحاء في تواريخ النساء» بعد أن رغّبت إليّ «مكتبة السّنة» ذلك العمل، وهو أحد المؤلفات التي خُصّتْ بالنّساء، ومؤلفه هـو «ياسين الخـطيب العمري» المتـوفى بعد سنـة ١٢٣٢ هـ ـ ١٨١٧ م. وقد استمد مادته من أصول جيدة من كتب التفسير، والحديث، والتراجم.

ولـم آلُ جهداً في إخراج الكتاب على نحو قريب مما وضعه عليه المؤلف، وأرجو أن أكون قد وفقت في إخراجه على نحو يرضاه العلماء.

وقبل أن أقدم النصّ للقارىء رأيت أن أضعَ بين يديه دراسة تتناول المؤلف وسيـرته، وكتـاب «الـرّوضة الفيحـاء» ومنهجه، وتكشف عن منهجي في تحقيق الكتاب.

وأملي أن أكون ـ بتحقيقي هذا الكتاب ـ قد قدمت إلى المكتبة العربية كتاباً جديداً يكون عوناً للباحث في بحثه، وسلوة للقارىء.

وأسأل الله أن يهدينا سواء السبيل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسة وتعريف

١ ـ المؤلف *

لسنا نعرف الكثير عن ياسين بن خير الله نشأته، حياته الاجتماعية والعائلية، وأساتذته الذين جلس إليهم، ولا عن كيفية تلقي علومه، وتحصيله للمعارف التي صنف في أبوابها المختلفة، وذلك نظراً لضآلة الكتب التي ترجمت لـه، ولأنها سكتت عن كل ذلك أو كادت.

اسمه:

ياسين بن خير الله بن محمود بن موسى الخطيب العمري الموصلي، نسبة إلى الموصل.

مولده ووفاته:

ولد ياسين بن خير الله في حدود سنة ١١٥٧ هـ الموافق لسنة ١٧٤٤ م، وقد امتدت حياته حتى ناهز السبعين من عمره، إذ توفى كما يذكر الزركلي في هامش كتابه «الأعلام» ٨/١٢٩ ـ بعد ١٢٣٢ هـ الموافق لسنة ١٨١٧ م.

دراسته وأساتذته:

ينتمي ياسين بن خير الله إلى بيت وثيق الصلة بعلوم العصر ومعارفه، فأبوه

(*) انظر ترجمته ومؤلفاته: في المقدمة التي كتبها الأستاذ سعيد الديوه جي لكتاب «منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء» ص ١١ ـ ٢٨، والمقدمة التي كتبها د/عماد عبد السلام رؤوف لكتاب «زبدة الآثار الجلية في الحوادث الأرضية» ص ١٦ ـ ٢٨، والمقدمة التي كتبها الأستاذ عماد علي حمزة لكتاب «الروضة الفيحاء» ص ١١ ـ ٣٦، و«الأعلام» ٩/١٥٥، و«معجم المؤلفين» ١٣/١٧٧.

خير الله جمع إلى الفضل معظم ما عرفه العصر من طب، وأدب، وتصوف، وفقه، كما أن أخاه محمد أمين بن خير الله أخي المصنف من علماء الموصل العارفين بتاريخها، وهو باحث شاعر صنف جمهرة من الكتب منها: كتاب «منهل الأولياء ومشرب الأصفياء من سادات الموصل الحدباء»، وكتاب «في الرد على النصارى».

ولم تذكر المراجع أسماء الأساتذة الذين جلس إليهم وانتفع بعلمهم على أن صاحب «الروضة» قد ذكر في أماكن متفرقة من مصنفاته بعض شيوخه الذين تلقى عليهم العلم، ومنهم:

١ ـ والده خير الله بن محمود بن موسى الخطيب العمري. الذي جمع إلى الفضل معظم ما عرفه العصر من طب وأدب وتصوّف وفقه.

٢ ـ محمد أمين بن خير الله بن محمود بن موسى الخطيب العمري، باحث شاعر من علماء الموصل العارفين بتاريخها. صنف جمهرة من الكتب، منها: «في الرد على النصارى» و «منهل الأولياء ومشرب الأصفياء».

٣ ـ عثمان بن يوسف بن عز الدين الخلوتي القادري الخطيب الموصلي، من شعراء عصره المعروفين، وله ديوان شعر مخطوط في خزانة الأوقاف ببغداد بعنوان «ديوان الموصلي». عرف بالزهد والتصوف.

٤ ـ الملا عبد القادر بن محيي الدين الصديقي الإربلي الموصلي، متصوف من أهل إربل، له كتب منها: «تفريج الخاطر» و «محبة الذاكرين ورد المفكرين».

علمه وثقافته:

اشتهر ياسين بن خير الله بكونه مؤرخاً، فهو يقول في مقدمة كتابه «الرّوضة الفيحاء»: (منذ نشأت لم أزل أطالع كتب التواريخ المتقدمة، وأسرح نظري في رياض آداب أهل الكمالات المتنعمة، حتى جمعت كتاباً فريداً، ابتدأت به من سنة الهجرة إلى أواني، ثم جمعت كتاباً آخر. . .).

وقد عمل صاحب الرّوضة كغيره من المصنفين أثناء تلك الحقبة على

التصنيف والتبويب والتجميع مما طالعه، أو رواه، أو سمعه لصالح أعيان عصره، وأمراء زمانه، وسراة العلماء من معاصريه، لقاء أعطيات ومكافآت كثيراً ما عادت عليه بالجوائز النقدية والعينية، فكُفي بذلك شر العوز والفاقة[1].

وقد صنَّف صاحب الروضة في المعارف المختلفة ما ينوفُ على عشرين مصنفاً، تدور بمعظمها على معارف العصر وتطلعاته من تاريخ وتراجم وأدب وطب وأدعية وفلك. فضلاً عن الشعر الذي تعاطى ياسين بن خير الله نظمه... ولم يعثر له على ديوان مستقل بل على قصائد ذكرها داود جلبي ضمن مجموعة من ثمان مخطوطات لمجموعة من الناظمين والمصنفين من بينهم المصنف صاحب «الروضة»، كما عثر له على منظومة في شرح الرؤيا وتعبيرها بعنوان «مقاصد التعبير» مما يدل على أن الشعر كان بلغة المتأدب بالنسبة إليه شأنه في ذلك شأن الكثيرين من محترفي مهنة التصنيف والكتابة آنذاك[2].

قال عنه محمد أمين في «منهل الأولياء» ١/٣٠٨ ـ ٣٠٩: (ومنهم أخي ياسين العمري بن خير الله، له أدب ومعرفة بالنظم، ويد طولى في سرعة نظم التواريخ، وله اطلاع على عدة فوائد من علوم شتى بالمطالعة والمذاكرة والاستماع...)[3].

وقال عنه الزركلي في «الأعلام»: (ياسين بن خير الله... مؤرخ من فضلاء الموصل وأدبائها وشعرائها، كان يجمع تآليفه من مطالعاته المختلفة ويقدمها إلى الأمراء والعلماء والموسرين ويفوز بجوائزهم)[4].

مؤلفاته:

لقد ترك ياسين بن خير الله تراثاً من مصنفاته منها ما هو مطبوع، ومنها ما هو مخطوط، وسأحصي فيما يلي أسماء كتبه مرتبة ترتيباً هجائياً:

---

(١) انظر مقدمة «الروضة» ص ١٢.

(٢) انظر مقدمة «الروضة» ص ١٢ ـ ١٣.

(٣) انظر فهارس مخطوطات المجمع العلمي العراقي ١/٢٢٧.

(٤) انظر «الأعلام» ١/.

(١) - **الآثار الجلية في الحوادث الأرضية**[١]: مخطوط، توجد منه نسخة بالمجمع العلمي العراقي، وهو كتاب في تاريخ العرب والإسلام، مرتب على السنين. بدأ فيه بالهجرة النبوية، وانتهى إلى سنة ١٢١٠ هـ. وقد انتخب الدكتور داود الجلبي من هذا الكتاب فقرات تاريخية تخصّ الموصل وحواليها - من سنة ٦٢٩ هـ، وضمَّنها كتاباً سماه «زبدة الآثار الجلية»[٢].

(٢) «**الخريدة العمرية**: مخطوط في الطب، ذكرت في مظان عدة، ولم يشر إلى مكان وجودها.

(٣) «**خلاصة التواريخ**»: مخطوط محفوظ في خزائن برلين.

(٤) «**الدر المكنون في مآثر الماضي من القرون**»: مخطوط، توجد منه نسخة في المتحف البريطاني، وثانية مصورة في خزانة السيد ناظم العمري، وثالثة محفوظة في خزانة بطريركية الكلدان في الموصل. وقد ذكره المصنف في

---

(١) انظر فهارس مخطوطات المجمع العلمي العراقي ١/٢٢٧.

(٢) عدّ الأستاذ عماد علي كتاب «زبدة الآثار الجلية» من مصنفات ياسين العمري صاحب «الروضة»، وقد قال عنه في مقدمته «للروضة» ص ٢٠: (لم يذكره الزركلي في «أعلامه»، وهو كما يدل عنوانه تلخيص لمصنفه «الآثار الجلية»، وقد ذيله صاحب «الروضة»، بتاريخ لسائر الأمصار الإسلامية من سنة ٩٢٠ هـ، وموضوعه الأصلي يتركز على الحديث عن تاريخ الموصل منذ السنة ٦٢٩ هـ... على أن المصنف قد أوجز حتى أخلّ في «زبدة الآثار». لكنه قد أفادنا فائدة طيبة ومشكورة حيث قدّم لنا مادة جيدة فيما يتعلق بحوادث عصره). وقد أخطأ الأستاذ عماد في ذلك حيث أنَّ «زبدة الآثار» هو كتاب منتخبات للدكتور داود جلبي كما أشرت سابقاً، وقد قال الدكتور داود جلبي في صدر كتابه «الزبدة»: (ولما كان هذا المؤلِّف قد اقتبس في كتابه شيئاً كثيراً من كتب مشهورة متداولة ككامل ابن الأثير، وغيره، وكثيراً ما اختصر الكلام بصورة مخلة، لم أجد فيما اقتبسه ميزة على الكتب المقتبس منها. إلاّ أني وجدتُ ما كتبه عن الموصل وحواليها، وخصوصاً عن حوادث عصره وما تقدمه بقليل، لا يخلو من فائدة نظراً لقلة المؤلفين في تلك الحقبة من الزمان في العراق. فجمعت الفقرات المختصة في الموصل وحواليها من سنة ٦٢٩ هـ؛ لأن ما تقدم هذا التاريخ مبسوط في كامل ابن الأثير... وحصل من ذلك هذه الرسالة اللطيفة التي لا غنى عنها لمن أراد الوقوف على تاريخ الموصل في الأعصر الأخيرة...، ثم انتقيتُ من عين الكتاب جميع ما وجدته يمس تاريخ سائر البلاد العربية... وجعلت ذيلاً لهذا الكتاب...).

انظر فهارس مخطوطات المجمع العلمي العراقي ١/٢٦٥.

«الروضة الفيحاء» دون تحديد صفته المميزة.

(٥) «الدر المنتثر في تراجم فضلاء القرن الثاني عشر»: مخطوط، قال الأستاذ عماد علي: انفرد محقق «مهذب الروضة» بتسميته: «الدر المنتثر في فضلاء القرن الثالث عشر»، فيما أقر التسمية التي أثبتناها كل من سليمان صائغ في «تاريخه»، والزركلي في «أعلامه»، والدكتور داود جلبي، وقد ترجم ياسين بن خير الله في مصنفه هذا للعلماء والشعراء الذين عاصرهم أو سبقوه قليلاً.

(٦) «روضة الأدب»: مخطوط قال الأستاذ عماد علي: أشار إليه صاحب «الروضة» في مصنف مخطوط له بعنوان «منهج الثقات في تراجم القضاة».

(٧) «الروض الزاهر في تاريخ الملوك الأوائل الأواخر»: أشار إليه المصنف في مقدمة الروضة قائلاً: «ثم جمعت بعده كتاباً سميته «الروض الزاهر»، ورتبته على حروف الهجاء، وذكرت فيه الملوك والسلاطين، والوزراء وأرباب المناصب والأمراء، ثم القضاة والأعلام وشيوخ الإسلام».

(٨) «روضة المشتاق»: مخطوط في الأدب، أشار إليه صاحب «الروضة» في مصنفه «منهج الثقات في تراجم القضاة».

(٩) «السيف المهند في من اسمه أحمد»: مخطوط، قال الأستاذ عماد علي: أشار صاحب الروضة في مقدمته إلى أنه جمع «كل نادر وغريب من كتابي الدر المكنون».

(١٠) «السيوف الساطعة»: مخطوط، ذكره صاحب الروضة في مقدمة كتابه «منهج الثقات في تراجم القضاة». ومادته تتعلق بالأدعية والأوراد.

(١١) «العذب الصافي في تسهيل القوافي»: مخطوط. توجد منه نسخة لدى الدكتور جلبي بخط المصنف نفسه، ومادته تتناول معارف متنوعة في تعدد أسماء الشهداء الذين سقطوا في «بدر الكبرى».

(١٢) «عمدة البيان في تصاريف الزمان»: مخطوط. تناول المصنف فيه أحداثاً متفرقة من التاريخ. توجد منه نسخة في خزانة المرحوم ناظم العمري.

(١٣) «**عنوان الأعيان في ذكر ملوك الزمان**»: مخطوط. ذكره المصنف في مقدمة «الروضة»، ذكر فيه ملوك الزمان، وهو مرتب على حروف الهجاء.

(١٤) «**عيون الأدب**»: قال الأستاذ عماد علي: ورد ذكره في «مهذب الروضة»، وأشار المحقق إلى أن ياسين بن خير الله العمري قد ذكره في مقدمة مصنفه «منهج الثقات في تراجم القضاة».

(١٥) «**غاية البيان في مناقب سليمان**»: مخطوط. توجد منه نسخة محفوظة في خزائن برلين.

(١٦) «**غاية المرام في محاسن بغداد دار السلام**»: مطبوع. وقد أشار الزركلي إلى ذلك في «أعلامه».

(١٧) «**غرائب الأثر في حوادث ربع القرن الثالث عشر**»: مطبوع، حققه الدكتور محمد صديق الجليلي سنة ١٩٤٠م في مدينة الموصل معتمداً على نسخة الأب أنستاس الكرملي. وقد قال الأستاذ عماد علي: «قد ذكر في «مهذب الروضة» أن المحقق الدكتور محمد صديق الجليلي اقتطع إبان الطبع من «غرائب الأثر» كل ما يتعلق بالأكراد دون الإشارة إلى ذلك.

(١٨) «**قرة العين في تراجم الحسن والحسين**»: مخطوط. توجد منه نسخة بحوزة عبد الله أفندي بن الحاج علي أفندي العمري كمّا أشار بذلك الدكتور جلبي، كما ذكر في «مهذب الروضة» إلى وجود نسخة أخرى منه بحوزة الدكتور محمد صديق الجليلي.

(١٩) «**مقاصد التعبير**»: وهي منظومة في شرح الرؤيا وتعبيرها، ذكرها الأستاذ عماد علي عن «مهذب الروضة».

(٢٠) «**منهج الثقات في تراجم القضاة**»: مخطوط. تناول فيه المؤلف أسماء قضاة المسلمين مقتصراً على من نظم شعراً، أو اشتهر الشعر عنه.

(٢١) «**منية الأدباء في تاريخ الموصل الحدباء**»: مطبوع، عني بتحقيقه ونشره: سعيد الديوه جي عن نسخة مكتبة متحف الموصل المصورة عن نسخة المجمع العلمي العراقي، ونسخة المجمع مصورة عن نسخة خطية محفوظة في

المتحف البريطاني ، وهو كتاب يتناول فيه ذكر الموصل وقطانها ، وذكر وقائعها وحوادثها، وتراجم ملوكها، وذكر محاسن علمائها وأدبائها.

(٢٢) «قصائد»: قال الأستاذ عماد علي في مقدمته نقلاً عن «مهذب الروضة»: وقد دلّ عليها الدكتور داود جلبي في مخطوطات الموصل، من ضمن مجموعة مخطوطات لا تعود إلى مصنف واحد، وقد ضُمّتْ إلى بعضها البعض نظراً لصغر حجم مادة كل مخطوط، وقلة أوراقه.

النسخ المعتمدة في التحقيق:

اعتمدت في تحقيقي لهذا الكتاب على نسخة مطبوعة بتحقيق الأستاذ عماد علي حمزة، وقد اعتمد المحقق على نسخة مصورة عن نسخة مكتبة المتحف العراقي كنسخة أولى، وعلى «مهذب الروضة الفيحاء» بتحقيق الأستاذ رجاء محمود السامرائي كنسخة ثانية للمقابلة.

وصف المخطوط:

ذكر الأستاذ / عماد علي حمزة في وصفه للمخطوط ما نصه: (اعتمدت على نسخة مصورة عن نسخة مكتبة المتحف العراقي المرقومة (١٨٠٢) قياس ٢٠,٥ × ١٤ سم، بثماني عشرة سطراً، وعدد الورقات مئتان وأربعون ورقة، ويرجع تاريخ الفراغ من نسخها إلى الثامن عشر من شهر رمضان سنة ألف وثلاثمائة وثلاثين لهجرة سيد البشرية)[١].

والتُزم في نسخ المخطوطة وتدوين بعض ألفاظها الطريقة الشائعة في كتابة المخطوطات القديمة، فقد درج الناسخ على تسهيل الهمزات، وقصر الأسماء الممدودة (الإسراء = الإسرى، حواء = حوى).

هذا وقد حفلت هذه النسخة بالعديد من الأخطاء النحوية واللغوية ويبدو أن ذلك سمة في مؤلفاته، حيث يقول الأستاذ /ميخائيل عواد عن مصنفه «الآثار الجلية في الحوادث الأرضية»: (والكتاب لا يخلو من أوهام في الصرف والنحو، وأخطاء في بعض الأحداث التاريخية)[٢].

أما ما حفلت به المخطوطة من التصحيف والتحريف فيؤكد أن الناسخ لم يكن على علم تام بما يكتب، فلقد اعتور نصوص المخطوطة وجملة أخبارها التصحيف والتحريف والخلط والإسقاط، ولم يكد يخلو من ذلك خبر أو فقرة، وعلى الرغم من الجهد الذي بذله الأستاذ / عماد إلا أنه قد فاته الكثير، وقد

---

(١) انظر مقدمة «الروضة الفيحاء» للأستاذ / عماد علي ص ٣٤.

حفزني ذلك ألا أدخر جهداً في تنقيتها من أخطائها وغربلتها من شوائبها ما استطعت إلى ذلك سبيلاً.

أما بالنسبة لـ «مهذب الروضة» والذي اعتمده المحقق كنسخة ثانية للمقابلة، فقد قال عنه: (قد حذف الأستاذ / السامرائي في «المهذب» مادة تزيد عن ربع الكتاب، حيث من المقالة الأولى حذف ما يزيد على المئة ورقة، فيما عدد أوراق المخطوط أربعمائة وثمانون ورقة. وأيضاً في مواطن متفرقة من الكتاب كترجمة «حبابة» جارية المتوكل حيث حذف من الترجمة ما يزيد على أربع أوراق وثلاثة أرباع الورقة، وكذا من ترجمة قطام، وترجمة ست الملك بنت العزيز، وغير ذلك في مواطن أخرى)[1].

---

(١) انظر فهارس مخطوطات المجمع العلمي العراقي ١/ ٢٢٧.

(٢) انظر مقدمة «الروضة» ص ٣٥.

عملي في التحقيق:

(١) بعد اختيار النسخة المعتمدة في التحقيق، وهي النسخة المطبوعة، والتي أشرت إليها سالفاً، قمت بمراجعة نصوص الكتاب في مصادر متنوعة، وقد أبقيت على الفروق التي أثبتها الأستاذ / عماد علي حمزة في الهامش، والتي أشار إليها بكلمة (في الأصل كذا ـ أو هكذا في الأصل).

ولن تجدني متابعاً الناشر فيما اختار إثباته في متن الكتاب، فما أكثر ما كنت أخالفه، فأثبت في المتن ما اختار هو أن يجعله في الهامش، وأجعل في الهامش ما اختار أن يجعله في المتن، وكنت أشير إلى ذلك بعبارة (في المطبوعة كذا).

(٢) ولما كانت علامات الترقيم ضرورية في الكتابة الفنية في العصر الحديث، فهي التي يتوقف الفهم عليها أحياناً، وهي دائماً تعين مواقع الفصل والوصل، فقد قمت عند نسخ الكتاب في ضبط ما احتاج إلى ضبط في النص، وأتممت نواقص العبارات ما أمكنني ذلك.

(٣) شرحت بعض الألفاظ والتعبيرات التي أحسست أنها محتاجة إلى شرح مستعيناً في ذلك بالمعاجم العربية.

(٤) قمت بضبط الآيات القرآنية الشريفة ضبطاً كاملاً على المصحف الشريف، ثم أشرت في الهامش إلى اسم السورة ورقم الآية وحصرها بين قوسين مزَهَّرين.

(٥) عنيت بتخريج الأحاديث النبوية الواردة بالكتاب، وقد وضعتها بين قوسين هكذا «. . .».

(٦) أما بالنسبة للقصائد والأبيات الشعرية فقد قمت بتخريجها ما أمكنني ذلك، ثم قابلت روايات هذه الأبيات في المراجع والمصادر، وأثبت اختلاف هذه الروايات في الهامش.

(٧) خرجت أمثال العرب التي جاءت في ثنايا الكتاب مستعيناً في ذلك بكتب الأمثال.

(٨) قمت بالتعريف بأعلام الكتاب، وذكرت المصادر التي تعين القارىء على معرفة المزيد عن هؤلاء الأعلام، ولم أترجم للمشهور منهم كالأنبياء والمرسلين والخلفاء.

(٩) أبقيت على ما في المخطوط من طُرَف وأشعار وعبارات تتحرج أحياناً من روايتها وتناقلها محافظة على الأصل الذي وضعه المصنف.

(١٠) وقبل كل هذا كتبت دراسة لا غنى عنها للقارىء عن حياة المؤلف وآثاره.

(١١) ثم قمت في النهاية بعمل الفهارس التي تزيد في التيسير على القارىء إذا أراد معرفة شيء بعينه.

وكما سيرى القارىء فإن هذا الكتاب يشتمل على: مقدمة، ومقالتين، وخاتمة. وكما يقول المؤلف:

- المقدمة: في فوائد جليلة لا يستغنى عنها، ولا بد للمرء منها.
- والمقالة الأولى: في ذكر النساء الصالحات.
- والمقالة الثانية: في ذكر النساء الطالحات.
- والخاتمة: في ذكر بعض أذكياء النساء مع فوائد، وذكر أيام النحوسات والسعد.

وأسأل الله أن يهدينا للحق، فإن أصبت فبتوفيق منه عز وجل، وإن تكن الأخرى فحسبي أنني أخلصت النية وبذلت الوسع، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحقق

[١/أ]

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ الإنْسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، وَمَيَّزَهُ بِالإِدْرَاكِ مَعَ الْجِنِّ وَالْمَلائِكَةِ على سائِرِ أَصْنَافِ الحَيَوانِ، كَمَا قَالَ فِي مُحْكَمِ القُرْآنِ: ﴿الرَّحْمَٰنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ﴾[١] وَخَاطَبَهُ بِالتَّكْلِيفِ، فَأَمَرَهُ بالإِيمَانِ، ونَهاهُ عَنِ العِصْيَانِ، وَقَالَ عزَّ مَنْ قَائِلٍ ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ﴾[٢] حَكَمَ وَدَبَّرَ، وَنَظَّمَ وَقَدَّرَ وَهُو كُلَّ يَوْمٍ فِي شَأْن، لا تُحْصَى[٣] آلاؤه، وَلا تُسْتَقْصَى[٤] نَعْمَاؤه، فَتَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ، ذِي الطُّولِ والمِنَنِ، المَحْمُودِ بِالسِّرِّ وَالعَلَنِ، أَرْسَلَ الأَنْبِياءَ بِأَوْضَحِ سُنَنٍ، وَجَعَلَهُمْ وَاسِطَةً لِكَشْفِ البَلايَا وَالمِحَنِ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلام الأَتَمَّانِ الأَكْمَلانِ، عَلَى أَفْضَلِ نَبِيٍّ وَأَكْرَمِ مُرْسَلٍ، وَإِنْ كَانَ خَاتَماً لِلرُّسُلِ، فَهُو بِالذِّكْرِ أَوَّل، سَيِدِنَا وَنَبِيِّنَا وَحَبِيبِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، مَا كَبَّرَ مُكَبِّرٌ وَهَلَّلَ، وَعَلى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ المُهْتَدِينَ بِهَدْيِهِ، وَالمُتَمَسِّكِينَ بِشَرِيعَتِهِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَأَرْضَاهُمْ - آمِين يَا ربَّ العَالَمِين.

أَمَّا بَعْد:

فَيَقُولُ العَبْدُ الفَقِيرُ إِلَى اللَّهِ الغَني، يَاسِين الخَطِيب العُمَري بنُ خِير اللَّهِ

---

(١) سورة الرحمن، الآيات - ١ : ٤، وقد سقطت الآية الثانية من المطبوعة.

(٢) سورة الرحمن، الآية - ٤٦.

(٣) في الأصل (تحصا).

(٤) في الأصل (تستقصا).

الخَطِيب العُمَرِي، المَوْصِلِّي: مُنْذُ نَشَأْتُ، لَمْ أَزَلْ أُطَالِعُ كُتُبَ التَّوارِيخِ المُتَقدِّمَةِ، وَأُسَرِّحُ نَظَرِي فِي رِياضِ آدَابِ أَهْلِ الكَمَالاَتِ المُتَنَعِمَةِ، حَتَّى جَمَعْتُ كِتَاباً فَرِيداً، ابْتَدَأْتُ بِهِ مِنْ سَنَةِ الهِجْرَةِ، إِلَى أَوَانِي، ثُمَّ جَمَعْتُ كِتَاباً آخَرَ، سَمَّيْتُه «عُنْوَانَ الأَعْيَانِ» وَذَكَرْتُ فِيهِ مُلُوكَ الزَّمَان، ثُمَّ جَمَعْتُ بَعْدَهُ كِتَاباً آخرَ سَمَّيْتُه «الرَّوْض الزَّاهِر» وَرَتَّبْتُه عَلَى حُرُوفِ الهِجَاءِ، وَذَكَرْتُ فِيه المُلُوكَ وَالسَّلاَطِينَ وَالوزَرَاء، وَأَرْبَابَ المَناصِبِ وَالأُمَرَاءِ، ثُمَّ القُضَاة الأَعْلَام، وَشُيُوخَ الإِسْلَامِ، ثُمَّ أَحْبَبْتُ أَنْ أَجْمَعَ كِتَاباً فِي تَوَارِيخ النِّسَاءِ الصَّالِحَاتِ، وَنُبْذَةً فِي بَعْضِ النِّسَاءِ الطَّالِحَاتِ[1]، حَيْثُ إِنِّي لم أُطَّلِعْ عَلَى كِتَابٍ مِنْ كُتُبِ التَّارِيخ، فِيهِ مُفْرَداً ذِكْرَ النِّسَاء، وَلاَ سَمِعْتُ أَحَداً تَعَرَّضَ لِذِكْرِهِنَّ، دُونَ غَيْرِهِنَّ[2]، وَسَمَّيْتُه «الرَّوْضَةَ الفَيْحَاءَ فِي تَوَارِيخِ النِّسَاءِ» وَرَتَّبْتُهُ عَلَى مُقَدِّمَةٍ وَمَقَالَتَيْنِ، وَخَاتِمَةٍ، فَجَاءَ بِحَمْدِ اللّهِ كِتَاباً فَائِقاً[3]، وَزَهْراً رَائِقاً[4] وَنَشْراً عَابِقاً[5]، مَعَانِيهِ ظَاهِرَة، وَمَحَاسِنُه زَاهِرَة:

شعر

كِتَابٌ فِي مَحَاسِنِهِ سُرُورٌ ... مُنَاجِيهِ مِنَ الأَحْزَانِ نَاجِ
كَرَاحٍ فِي زُجَاجٍ أَوْ كَرَوْحٍ ... سَرَتْ فِي جِسْمٍ مُعْتَدِلِ المِزَاجِ

وَجَعَلْتُ المُقَدِّمَةَ فِي فَوَائِدَ لَا يُسْتَغْنَى عَنْهَا، وَلَابُدَّ لِلْمَرْءِ مِنْهَا.

وَالمَقَالَةُ الأُولَى فِي ذِكْرِ النِّسَاءِ الصَّالِحَاتِ، وَالمَقَالَةُ الثَّانِيَةُ فِي ذِكْرِ الطَّالِحَاتِ.

---

(١) في المطبوعة (الصالحات).

(٢) في الأصل (لذكرهم دون غيرهم).

(٣) في الأصل (فائق).

(٤) في الأصل (رائق).

(٥) في الأصل (ونشر عابق).

وَالخَاتِمَةُ: فِي ذِكْرِ بَعْضِ أَذْكِيَاءِ النِّسَاءِ مَعَ فَوَائِدَ، وَذِكْرِ أَيَّامِ النُّحُوسَاتِ وَالسَّعْدِ، وَهَذَا أَوَانُ الشُّرُوعِ (١)، فِي المَقْصُودِ، مُسْتَمِدِّينَ مِنَ اللَّهِ المَعْبُودِ.

المُقَدِّمَةُ فِي فَوَائِدَ جَلِيلَة، وَمَحَاسِنَ جَمِيلَة وَفِيهَا فُصُول:

فَصْلٌ:

قَالَ(٢) فِي كِتَابِ «المَصَابِيحِ»: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

«تُنْكَحُ المرأةُ لأَرْبَعٍ. لِمَالِها وَلِنَسَبِها وَلِجَمَالِهَا وَلِدِينِهَا، فَاظْفَرْ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ»(٣).

وَقَال ﷺ: «الدُّنْيَا مَتَاعٌ، وَخَيْرُ مَتَاعِ الدُّنْيَا المَرْأَةُ الصَّالِحَةُ»(٤).

وَقَالَ ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ

---

(١) في الأصل (المشروع).

(٢) هو: أبو محمد، الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البَغَوِيّ، ركن الدين، الملقب بـ «محيي السُّنَّة»، ويلقب أيضاً: بـ «الفرَّاء» و «ابن الفراء» نسبة إلى عمل الفراء وبيعها، كما يقول ابن خلكان. ويكنى بـ «البَغَوِي» نسبته إلى بلدة من بلاد خراسان بين مرو وهراة يقال لها: «بغ»، و «بَغْشُور».

انظر: وفيات الأعيان ٢/١٣٦ ـ ١٣٧، وسير أعلام النبلاء ١٩/٤٣٩، وطبقات الشافعية ٤/٢١٤، والبداية والنهاية ٢/١٣٦ ـ ١٣٧، والسمعاني ٢/٢٥٤، والنجوم الزاهرة، ٥/٢٢٣، وتذكرة الحفاظ ٤/١٢٥٨ وطبقات المفسرين ٣٩.

(٣) انظر: «مصابيح السنة» ٢/٣٩٩ كتاب النكاح (١٢) الحديث (٢٢٨٧)، والحديث أخرجه البخاري في الصحيح ٩/١٣٢، كتاب النكاح (٦٧، باب ـ الأكفاء في الدين... (١٥) الحديث (٥٠٩٠)، وأخرجه مسلم في الصحيح ٢/١٠٨٦، كتاب الرضاع (١٧) باب استحباب نكاح ذات الدين (١٥)، الحديث (٥٣/١٤٦٦)، والتخريج عن «المصابيح».

(٤) ورد الحديث: بـ «المصابيح» ٢/٣٩٩، كتاب النكاح (١٢)، الحديث (٢٢٨٨)، والحديث أخرجه مسلم في الصحيح ٢/١٠٩٠، كتاب الرضاع (١٧) الحديث (٦٤/١٤٦٧)، والتخريج عن المصابيح، كما أخرجه البغوي في المعالم ١/١٧٧ مع اختلاف في اللفظ عن عبد الله بن عمرو بن العاص.

تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا، وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»(١).

وَقَالَ ﷺ: «الشُّؤْمُ فِي المَرْأَةِ وَالدَّارِ وَالفَرَسِ»(٢).

وَقَالَ ﷺ: «تَزَوَّجُوا الوَدُودَ الوَلُودَ، فَإِنِّي مُكَاثِرٌ بِكُمُ الأُمَمَ»(٣).

ـ وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عُوَيْمٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالأَبْكَارِ، فَإِنَّهُنَّ أَعْذَبُ أَفْوَاهاً وَأَنْتَقُ أَرْحاماً، وَأَرْضَى بِاليَسِيرِ»(٤).

وَمَعْنَى قَوْلِهِ: «أَنْتَقُ أَرْحَاماً»، أَيْ: أَكْثَرُ أَوْلَاداً.

---

(١) الحديث أخرجه البغوي في «المصابيح» ٢/٤٠٠، كتاب النكاح (١٢) الحديث (٢٢٩١)، وأخرجه مسلم في «صحيحه» ٢٠٩٨/٤، كتاب «الرقاق» باب ـ أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء... رقم (٩٩)، وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب ـ فتنة النساء رقم (٤٠٠٠)، واخرجه أحمد في مسنده (٧/٣، ١٩، ٢٢) والبغوي في شرح السنة ١٢/٩، رقم (٢٢٤٣). كما أخرجه النسائي في «عشرة نساء» ٣٢٣.

(٢) ورد الحديث بـ«المصابيح» ٢/٤٠٠، كتاب النكاح (١٢)، الحديث (٢٢٩٢)، والحديث متفق عليه من رواية عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أخرجه البخاري في الصحيح ١٣٧/٩، كتاب النكاح (٦٧)، باب ـ ما يُتَّقَى من شؤم المرأة... (١٧، الحديث (٥٠٩٣) وأخرجه مسلم في الصحيح ١٧٤٥/٤ ـ ١٧٤٦، كتاب السلام (٣٩)، باب ـ الطِّيَرة... (٣٤)، الحديث (٢٢٢٥/١١٥) واللفظ لهما. والتخريج عن المصابيح. والترمذي في سننه، كتاب الأدب، باب ـ ما جاء في الشؤم (رقم ٢٨٢٤).

(٣) ورد الحديث بـ«المصابيح» ٢/٤٠٠، كتاب النكاح (١٢)، الحديث (٢٢٩٦).

وأخرجه الخطيب في «تاريخه» ٣٧٧/١٢ عند ترجمة الفضل بن أحمد الزبيدي رقم (٦٨٢٩)، بزيادة بعده، وانظر تخريج الحديث أيضاً «المصابيح» ٢/٤٠٠.

الحديث أخرجه البغوي في «المصابيح» ٤٠٢/٢، كتاب النكاح (٢)، الحديث (٢٢٩٧)، وأخرجه ابن ماجه في السنن ٥٩٨/١، كتاب النكاح (٩)، باب تزويج الأبكار(٧)، الحديث(١٨٦١) واللفظ له، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٨١/٧ كتاب النكاح، باب استحباب التزويج بالأبكار، وأخرجه البغوي في شرح السنة ١٥/٩، كتاب النكاح باب نكاح الأبكار، الحديث (٢٢٤٦)، والتخريج عن المصابيح.

وَقَوْلُهُ: «أَرْضَى بِالْيَسِيرِ»، أَيْ: بِالجِمَاعِ القَلِيلِ.

فَصْلٌ

عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ المَـرْأَةَ تُقْبِلُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، وَتُدْبِرُ فِي صُورَةِ شَيْطَانٍ، إِذَا أَحَدُكُمْ أَعْجَبَتْهُ المَرْأَةُ، فَوَقَعَتْ فِي قَلْبِهِ، فَلْيَعْمِدْ[1] إِلَى امْرَأَتِهِ فَلْيُواقِعْهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ يَرُدُّ مَا فِي نَفْسِهِ»[2].

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَيُّمَا رَجُلٍ رَأَى امْرَأَةً تُعْجِبُه، فَلْيَقُمْ إِلَى أَهْلِهِ، فَإِنَّ مَعَهَا مِثْلَ الَّذِي مَعَهَا»[3].

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «المَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا الشَّيْطَانُ»[4]، أَيْ، يَنْظُرُ إِلَيْهَا شَيْطَانُ الإِنْسِ.

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لا يَخْلُوَنَّ رَجُلٌ بِامْرَأَةٍ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ ثَالِثُهُمَا»[5].

---

(١) في المطبوعة (فليعد) وما أثبت عن صحيح مسلم ٢/١٠٢١، ومصابيح السنة ٢/٤٠٤.

(٢) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٢/١٠٢١، كتاب النكاح (١٦)، باب ـ ندب من رأى امرأة فوقعت في نفسه... رقم (٩/١٤٠٣)، وأخرجه البغوي ٢/٤٠٤ في «المصابيح»، كتاب النكاح (١٢) باب ـ النظر إلى المخطوبة وبيان العورات. الحديث رقم (٢٣٠٥).

(٣) الحديث أخرجه البغوي في «المصابيح» ٢/٤٠٥، كتاب النكاح (١٢)، باب ـ النظر إلى المخطوبة وبيان العورات الحديث رقم (٢٣٠٨)، وأخرجه الدارمي في السنن ٢/١٤٦، كتاب النكاح، باب ـ الرجل يرى المرأة فيخاف على نفسه.

(٤) الحديث أخرجه البغوي في «المصابيح» ٢/٤٠٥، كتاب النكاح باب ـ النظر إلى المخطوبة وبيان العورات الحديث رقم (٢٣٠٩)، وأخرجه الترمذي في السنن ٣/٤٧٦، كتاب الرضاع (١٠)، باب ـ ١٨، الحديث رقم (١١٧٣)، كما أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ٣/٩٣، باب ـ اختيار صلاة المرأة في بيتها... ١٧٥، الحديث رقم (١٦٨٥).

(٥) الحديث أخرجه البغوي في المصابيح ٢/٤٠٨، كتاب النكاح (١٢)، باب ـ النظر إلى المخطوبة، الحديث رقم (٢٣١٨)، وأخرجه أحمد في مسنده ١/٢٦، وأخرجه الترمذي في سننه معلقاً ٣/٤٧٤، كتاب الرضاع (١٠)، باب ـ ما جاء في كراهية الدخول على المغيبات (١٦)، عقب الحديث (١١٧١)، ثم أخرجه موصولاً في ٤/٤٦٥ ـ ٤٦٦، كتاب الفتن (٣٤)، باب ـ ما جاء =

فَصْل

قَالَ فِي «المَعَالِمِ»: قَالَ ﷺ: «لَوْ أَمَرْتُ أَحداً أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ، لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»(١).

وَعَنْ أَبِي هُرَيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَكْمَلَ المُؤْمِنِينَ إِيمَاناً، أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً، وَخِيارُكُم خِيارُكُم لِنِسَائِهِم»(٢)(٣).

وَقَالَ فِي «المَعَالِمِ»(٤) قوله تعالى: ﴿... رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلآخِرَةِ حَسَنَةً...﴾(٥).

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، امْرَأَةٌ صَالِحَةٌ، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، الجَنَّةُ والحُورُ [العِينِ](٦).

وقوله تعالى: ﴿... لِّلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا ٱكْتَسَبُواْ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِّمَّا

= في لزوم الجماعة (٧)، الحديث رقم (٢١٦٥)، وقال: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وأخرجه النسائي في عشرة النساء ص ٢٨٦، خلوة الرجل بالمرأة (٩٦).

(١) الحديث: أخرجه أحمد في مسنده (٤/٣٨١، ٥/٢٢٧، ٢٢٨، ٦/٧٦)، وأخرجه ابن ماجه في السنن ١/٥٩٥، كتاب النكاح (٩)، باب ـ حق الزوج على المرأة، الحديث رقم (١٨٥٢، ١٨٥٣)، وأخرجه الترمذي في سننه ٣/٤٦٥، كتاب النكاح (١٠)، باب ـ ما جاء في حق الزوج... الحديث رقم(١١٥٩)، كما أخرجه البغوي ٢/٤٤٧، كتاب النكاح (١٢)، باب ـ عشرة النساء، الحديث رقم (٢٤٣٢).

(٢) في المطبوعة (لنسائكم)، وما أثبت عن السنن للترمذي ٣/٤٦٦، والمصابيح ٢/٤٥٢.

(٣) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (٢/٤٧٢)، وأخرجه أبو داود في السنن ٥/٦٠، كتاب السنة (٣٤)، باب ـ الدليل على زيادة الإيمان، الحديث رقم (٤٦٨٢)، وأخرجه الترمذي في سننه ٣/٤٦٦، كتاب الرضاع (١٠)، باب ـ ما جاء في المرأة... الحديث رقم (١١٦٢).

(٤) انظر المعالم ١/١٧٧.

(٥) سورة البقرة، الآية ـ ٢٠١.

(٦) الزيادة عن المعالم ١/١٧٧.

اكْتَسَبْنَ. . . ﴾[1]، معناه: إن كان للرجل فضل الجهاد، فللنساء فضل طاعة الأزواج، وحفظ الفروج[2].

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَتَزَيَّنَ لامْرَأَتِي، كَمَا تُحِبُّ أَنْ تَتَزَيَّنَ لِي، لأَنَّ اللَّهَ قَالَ: ﴿. . . **وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالمَعْرُوفِ**. . . ﴾[3].

فَصْل

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ النِّسَاءِ إِنْ نَظَرْتَ إِلَيْهَا سَرَّتْكَ، وَإِنْ [أَمَرْتَهَا] أَطَاعَتْكَ، وَإِنْ غِبْتَ عَنْهَا حَفِظَتْكَ فِي مَالِكَ وَنَفْسِهَا».

وَذَكَر الفَقِيهُ فِي كِتَابِهِ «البُسْتَان» قَالَ: كُلُّ بَلْدَةٍ يَكُونُ فِيهَا أَرْبَعَةٌ، فَأَهْلُهَا مَعْصُومُونَ مِنَ البَلاءِ: إِمَامٌ عَادِلٌ لاَ يَظْلِمُهُمْ [شَيْئاً][4]، وَعَالِمٌ عَلَى سَبِيلِ الهُدَى، وَمَشَايِخُ يَأْمُرُونَ بِالمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ، وَيُحَرِّضُونَ عَلَى تَعْلِيمِ القُرْآنِ [وَالعِلْمِ][5] وَنِسَاءٌ مَسْتُورَاتٌ لاَ يَتَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الجَاهِلِيَّةِ[6].

ـ وَقَالَ الحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: جُمْلَةُ البَلاءِ أَرْبَعَةٌ: كَثْرَةُ العِيَالِ، وَقِلَّةُ المَالِ، وَجَارُ السُّوءِ، وَزَوْجَةٌ تَخُونُكَ.

وَقِيلَ: النِّسَاءُ ثَلاثٌ: وَاحِدَةٌ لَكَ، وَوَاحِدَةٌ عَلَيْكَ، وَوَاحِدَةٌ عَلَيْكَ

---

(١) سورة النساء، الآية ـ ٣٢.

(٢) انظر المعالم ١/٤٢١، وسيأتي معنى الآية في ترجمة حبيبة بنت سهل ص ١٥٢/أ.

(٣) سورة البقرة، الآية ـ ٢٢٨.

(٤) الزيادة عن «البستان» باب ـ في الأمر بالمعروف، ص ٥٢.

(٥) الزيادة: عن «البستان» باب ـ في الأمر بالمعروف ص ٥٢.

(٦) انظر «بستان العارفين» ص ٥٢.

[أ]وْ[1] لَكَ، فَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَكَ، فَهِيَ المَرْأَةُ البِكْرُ[2] فَقَلْبُهَا[3] وَحُبُّهَا لَكَ، وَلاَ تَعْرِفُ [أحداً][4] غَيْرَكَ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ لَكَ [أ]وْ[5] عَلَيْكَ، فَالمُتَزَوِّجَةُ الَّتِي لاَ وَلَدَ لَهَا، فَإِنْ كُنْتَ خَيْراً لَهَا مِنَ الأَوَّلِ فَهِيَ لَكَ، وَإِلاَّ فَعَلَيْكَ، وَأَمَّا الَّتِي هِيَ عَلَيْكَ، فَالمُتَزَوِّجَةُ ذَاتُ وَلَدٍ، تَأْكُلُ وَتَبْكِي عَلَى الزَّوْجِ الأَوَّلِ[6].

فَصْل

قَالَ فِي «المَصَابِيحِ»[7] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ ﷺ: «اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْراً، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلاَهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ»[8].

وَقَالَ ﷺ: «لاَ يَجْلِدْ[9] أَحَدُكُمْ امْرَأَتَهُ جَلْدَ العَبْدِ ثُمَّ يُجَامِعُهَا فِي آخِرِ اليَوْمِ»[10].

---

(١) الزيادة عن البستان ص ٩٥.

(٢) في المطبوعة (الباكرة)، وما أثبت عن البستان ص ٩٥.

(٣) في الأصل (فقبلها).

(٤) الزيادة عن «البستان» ص ٩٥.

(٥) الزيادة عن «البستان» ص ٩٥.

(٦) ورد الخبر في كتاب «البستان» ص ٩٥، وقد أورده المؤلف هنا مختصراً.

(٧) انظر «مصابيح السنة» ٤٤٢/٢.

(٨) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه ٢٥٣/٩، كتاب النكاح (٦٧)، باب الوصاة بالنساء (٨٠)، والحديث رقم (٥١٨٦)، ومسلم في صحيحه ١٠٩١/٢، كتاب الرضاع (١٧)، باب الوصية بالنساء (١٨)، الحديث (١٤٦٨/٦٠)، كما أخرجه البغوي في «المصابيح» ٤٤٢/٢، كتاب النكاح (١٢)، باب ـ عشرة النساء وما لكل واحدة، من الحقوق، الحديث رقم (٢٤١٥).

(٩) في الأصل (لا يجد).

(١٠) حديث متفق عليه، أخرجه البخاري في الصحيح ٣٠٢/٩، كتاب النكاح (٦٧)، باب ـ ما يكره من ضرب النساء (٩٣)، الحديث (٥٢٠٤)، وأخرجه مسلم في صحيحه ٢١٩١/٤، كتاب الجنة، وصفة نعيمها... (٥١)، باب ـ النار يدخلها الجبارون.. (١٣)، الحديث (٢٨٥٥/٤٩) وأخرجه =

وَقَالَ ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ خَبَّبَ امْرَأَةً عَلَى زَوْجِهَا، أَوْ عَبْداً عَلَى سَيِّدِهِ»(١) وَمَعْنَى خَبَّبَ: أَفْسَدَهَا وَخَدَعَهَا عَلَيْه.

وَقَالَ ﷺ: «لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ(٢) مِنْهَا خُلُقاً رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ»(٣).

وَمَعْنَى الفِرَاك: بُغْضُ المَرْأَةِ زَوْجَهَا وَبُغْضُ الرجلِ امْرَأَتَهُ.

وَقَالَ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنْ».

قَالُوا يَا رَسُول اللَّهِ! وَمَا خَضْرَاءَ الدِّمَنْ؟

قَالَ: «المَرْأَةُ الحَسْنَاءُ مِنْ بَيْتِ السُّوءِ»(٤).

وَقَالَ بَعْضُ الحُكَمَاءِ: أَفْضَلُ النِّسَاءِ أَنْ تَكُونَ بَهِيَّةً مِنْ بَعِيد، مَلِيحَةً مِنْ قَرِيبٍ، غذيتْ بِالنِّعْمَةِ، وَأَدْرَكَتْهَا الحَاجَةُ، فَخُلُقُ النِّعْمَةِ مَعَهَا، وَذُلُّ الحَاجَةِ فِيهَا.

فَصْل

مُسَافَرَةُ الحُرَّةِ بِغَيْرِ مَحْرَم لَا يَجُوزُ، وَذُكِرَ فِي «نِصَاب الاحْتِسَاب» أَنَّ الحُرَّةَ

= البغوي في المصابيح ٢/٤٤٢، كتاب النكاح (١٢)، باب ـ عشرة النساء وما لكل واحدة من الحقوق، والتخريج عن المصابيح.

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده (٢/٣٩٧)، وأبو داود في سننه ٢/٣٦٥، ٣٦٦، كتاب الأدب (٣٥)، باب ـ فيمن خبب مملوكاً.. (١٣٥)، الحديث رقم (٥١٧٠)، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/١٩٦، كتاب الطلاق، باب ـ ليس منا من خبب امرأة...، واللفظ له، وقال: صحيح على شرط البخاري، ووافقه الذهبي، وأخرجه البغوي في المصابيح ٢/٤٥١، كتاب النكاح (١٢)، باب ـ عشرة النساء... (١٠)، الحديث رقم (٢٤٣٩).

(٢) في المطبوعة (أكره) وما أثبت عن المصابيح ٢/٤٤٢، وصحيح مسلم ٢/١٠٩١.

(٣) الحديث أخرجه مسلم في صحيحه ٢/١٠٩١، كتاب الرضاع (١٧)، . باب الوصية بالنساء (١٨)، الحديث رقم (٦١/١٤٦٩)، وأخرجه البغوي في المصابيح ٢/٤٤٢، كتاب النكاح (١٢)، باب ـ عشرة النساء... (١٠). الحديث رقم (٢٤١٧).

(٤) الحديث: أخرجه السمرقندي في البستان ص ٥٢.

تُمْنَعُ مِنْ كَشْفِ الوَجْهِ وَالكَفِّ وَالقَدَمِ فِيمَا يَقَعُ عَلَيْهِ نَظَرُ الأَجْنَبِي، لِأَنَّها لَا تَأمَنُ عَلَى شَهْوَةِ بَعْضِ النَّاظِرِينَ إِلَيْهَا(١)، إِلَّا إِذَا كَانَتْ عَجُوزاً، فَيَجُوزُ النَّظر إِلَى وَجْهِهَا، وَيَحِلُّ مُصَافَحَتِهَا إِذَا آمَنَ الشَّهْوَة، وَفِي شَرْحِ الكَرْخِي: النَّظْرُ إِلَى وَجْهِ الأَجْنَبِيَّةِ الحُرَّةِ لَيْسَ بِحَرَامٍ، وَلَكِنْ يُكْرَهُ بِغَيْرِ حَاجَة، لأَنَّهُ لا يَأْمَنُ مِنَ الشَّهْوَةِ.

وَذَكَر قَاضِي خَان: رَجُلٌ لَهُ أُمٌّ شَابَّةٌ تَخْرُجُ إِلَى الوَلِيمَةِ وَالمُصِيبَةِ وَلَيْسَ لَهَا زَوْجٌ، لَمْ يَكُنْ لِلابْنِ أَنْ يَمْنَعَهَا مَا لَمْ تَخْرُجْ لِفَسَادٍ، فَحِينَئِذٍ يُرْفَعُ الأَمْرُ إِلَى القَاضِي، فَإِذَا أَذِنَ القَاضِي بِالمَنْعِ يَمْنَعُهَا، وَفِيهِ أَيضاً: لِلْزَوْجِ أَنْ يَمْنَعَ المَرْأَةَ مِن الغَزْلِ، وَلَهُ أَنْ يَضْرِبَهَا عَلَى أَرْبَعَةِ أَشْيَاءَ: تَرْكُ الزِّينَةِ إِذَا أَرَادَ الخُرُوجَ، وَتَرْكُ الإِجَابَةِ إِذَا أَرَادَ الجِمَاعَ وَهِي طَاهِرَةٌ، وَتَرْكُ الصَّلاَةِ، وَالخُرُوجُ مِنْ مَنْزِلِهِ بِغَيْرِ إِذْنِهِ بَعْدَ إِيفَاءِ المَهْرِ.

وَعَنْ مُحَمَّد رَضِي اللَّهُ عَنْهُ: لَيْسَ لَهُ أَنْ يَضْرِبَهَا عَلَى تَرْكِ الصَّلاَةِ، وَتَرْكِ الغُسْلِ عَنِ الجَنَابَةِ. وَالحيْضِ، وَفِيهِ سُئِلَ بَعْضُ العُلَمَاءِ عَنِ امْرَأَةٍ لَهَا زَوْجٌ لَا يُصلِّي، وَالمَرْأَة تَأْبَى أَنْ تَكُونَ مَعَهُ، قَالُوا: لَيْسَ لَهَا ذَلِكَ.

وَذُكِرَ فِي «الأَشْبَاهِ»: الخُلْوَةُ بِالمَحْرِمِ مُبَاحَةٌ، كالأُخْتِ مِنَ الرِّضَاعِ، والصِّهرة الشَّابة، وَالخُلْوَةُ بِالأَجْنَبِيَّةِ حَرَام، إِلَّا لِمُلاَزمَةِ مَدْيُونَة هَرَبَتْ وَدَخَلَتْ خَرِبَة.

فَصْل

الأَوْلَى لِلْمَرْأَةِ أَنْ لَا تَزُورَ قَبْراً سُوى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ زَوَّارَاتِ القُبُورِ».

---

(١) [هذا القول غير صحيح مردود بحديث الخثعمية التي كانت كاشفة الوجه وينظر إليها الفضل بن عباس رضي الله عنهما فلم ينهها الرسول ﷺ على كشفها الوجه مع حُسْنِها ولم يأمرها بستره بل أدار وجه الفضل إلى الجهة الأخرى والحديث في البخاري وغيره].

وقد نسخ هذا الحديث قوله ﷺ: «كنت قد نهيتكم عن زِيارةِ القبورِ، ألا فَزُورُوهَا، وَلاَ تَقُولُوا هَجْراً».

وَقَالَ السّرخسي: تَرْكُ الزِّيَارَةِ أَوْلَى، وَذُكِرَ فِي «نِصَابِ الاحْتِسَابِ»: ومما يُحْتَسَبُ عَلَى النِّسَاءِ اتِّخَاذ الجَلاَجِلِ فِي أَرْجُلِهِنَّ، لأَنَّ مَبْنَى حالهنَّ عَلَى السَّتْرِ، وَفِيهِ: إظهارهنَّ، مَعَ أَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ اللهوِ.

وَفِي «الخانية»: وَمَنْ بَلَغَهُ أَنَّ امْرَأَةً أَتَتْ بِمَعْصِيَّةٍ، فَأَرَادَ أَنْ يَكْتُبَ إِلَى زَوْجِهَا، فَإِنْ عَلِمَ أَنَّ زَوْجَهَا يَقْدِرُ عَلَى مَنْعِهَا يَحِلُّ لَهُ أَنْ يَكْتُبَ إِلَيْهِ، وَإِنْ عَلِمَ أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى مَنْعِهَا لا يَكْتُبُ لَهُ، كَيْلاَ تَقَعَ المُخَاصَمَةُ بَيْنَهُمَا.

فصل

فِي مَا يُسْتَحَبُّ أَنْ يَكُونَ فِي النِّسَاءِ مِنَ الأَوْصَافِ: يُسْتَحَبُّ فِي المَرْأَةِ البُخْلُ، وَإِنْ كَانَ مَذْمُوماً لِئَلاَّ تُبَذِّرَ أَمْوَالَ زَوْجِهَا، وَيُكْرَهُ لِلْمَرْأَةِ تَعَلُّمُ الكِتَابَةِ، فَإِنَّ فِي ذَلِكَ دَاعِيَةً لِلْفَسَادِ، وَكَرِهَ بَعْضُهُمْ تَعْلِيمَهَا لِلْقِرَاءَةِ أَيْضاً، وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «الإِيضاحِ» يُحْمَدُ فِي المَرْأَةِ مِنَ السَّوَادِ أَرْبَعَةٌ: شَعْرُهَا، وَأَشْفَارُ عَيْنَيْهَا، وَحَواجِبُهَا، وَنَاظِرَاهَا، وَمِنَ البَيَاضِ أَرْبَعَةٌ: بَيَاضُ لَوْنِهَا، وَعَيْنَاهَا، وَأَسْنَانِهَا، وَبَشْرَتِهَا؛ وَمِنَ الحُمْرَةِ أَرْبَعَةٌ: اللسانُ، وَالشَّفَتَانِ وَالوَجْنَتَانِ وَالآليتَانِ؛ وَمِنَ التَّدْوِيرِ أَرْبَعَةٌ: تَدْوِيرُ وَجْهِهَا وَعَيْنَيْهَا وَعُرْقُوبِهَا وَسَاعِدَيْهَا، وَمِنَ الطُّولِ أَرْبَعَةٌ: عُنُقُهَا، وَأَنْفُهَا، وَحَوَاجِبُهَا، وَأَصَابِعُهَا؛ وَمِنَ الطِّيبِ أَرْبَعَةٌ: الأَنْفُ، وَالفَمُ، وَالإِبِطَانِ وَالفَرْجُ، وَمِنَ السَّعَةِ أَرْبَعَةٌ: فِي الجَبْهَةِ وَالعَيْنَيْنِ وَالصَّدْرِ وَالوِرْكَيْنِ؛ وَمِنَ الضِّيقِ أَرْبَعَةٌ: فِي المِنْخَرَيْنِ وَالأُذُنَيْنِ وَالسُّرَّةِ وَالفَرْجِ، وَمِنَ االصِّغَرِ أَرْبَعَةٌ: الفَمُ وَالكَفَّانِ وَالقَدَمَانِ وَاليَدَانِ؛ وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الرَّأْسُ مُسْتَوِياً، وَالقَدَمُ مُعْتَدِلاً، لاَ هِزَالَ مُفْرِط، وَلاَ سِمَنَ مُفْرِط، وَيَكُونُ اللحْمُ صَلْباً، وَاللونُ إِمَّا بَيَاضاً بِحُمْرَةٍ، وَإِمَّا سُمْرَةً بِحُمْرَةٍ.

فَصْل

ذُكِرَ فِي «البُسْتَانِ» رُوي عَنْ ابْنِ المُقَفع[1] أَنَّهُ قَالَ: مَنْ أَتَـى امْرَأَتَـهُ فَلَمْ يَغْسِلْ ذَكَرَهُ بِالمَاءِ البَارِدِ فَورِثَ مِنْهُ الحَصَاةَ فَلاَ يَلُومَنَّ إلاَّ نَفْسَهُ. قَالَ الفَقِيهُ: إِنْ فَعَلَ ذَلِكَ كَانَ أَنْفَعُ لِبَدَنِهِ. وَيُقَالُ: جِمَاعُ العَجُوزِ يُضْعِفُ البَدَنَ، وَيُسْرِعُ الهَرَمَ، وَجِمَاعُ المَرِيضَةِ يُخَافُ عَلَيْهِ السّقم، وَالمَرَضَ، إلاَّ أَنْ يَكُونَ [مِنْ][2] شَبَقٍ غَالِبِ البَتَّة[3].

انْتَهَى مَا أَوْرَدْنَاهُ فِي ذِكْرِ الفَوَائِدِ المُسْتَحْسَنَةِ فِي المُقَدِّمَةِ وَهَذَا أَوَانُ الشّروعِ فِي ذِكْرِ التَّوَارِيخ، إِذْ هي المقصود.

---

(١) في المطبوعة (أبي المقنع)، والصواب ما أثبت عن البستان ص ٥٦.

(٢) زيادة يقتضيها السياق عن البستان ص ٥٦.

(٣) انظر «بستان العارفين» ص ٥٦.

المقالة الأولى

في ذكر النساء الصالحات

[١]

حَوَّاءُ أُمُّ البَشَرِ (*)

سُمِّيتْ حَوَّاء لأَنَّهَا خُلِقَتْ مِنْ شَيءٍ حَيّ، وَلَمَّا خَلقَهَا اللَّهُ تَعَالَى: كَانَ فِي الطَّالِع السَّرَطَانُ، وَذُكِرَ فِي «المَعَالِم» قَوْلُه تَعَالَى: ﴿... يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ...﴾(١) الآية، وَذَلِكَ أَنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَم لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الجَنَّةِ مَنْ يُؤْنِسُهُ وَيُجَالِسُهُ، فَنَام، فَخَلَقَ اللَّهُ حَوَّاءَ زَوْجَتَه فَصَيَّرَهَا مِنْ شِقِّهِ الأَيْسَر، خَلقَهَا اللَّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ أَحسَّ بِهَا آدَمُ ـ عَلَيْهِ السَّلاَم ـ وَلاَ وَجَدَ أَلَماً، وَلَوْ وَجَدَ أَلَماً لَمَا عَطَفَ رَجُلٌ عَلَى امْرَأَةٍ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ رَآهَا جَالِسَةً عِنْدَ رَأْسِهِ كَأَحْسَنِ مَا خَلَقَ اللَّهُ، فَقَالَ لَهَا: مَنْ أَنْت؟ قَالَتْ: زَوْجَتُك، خَلَقَنِي اللَّهُ لَكَ؛ لِكَي تَسْكُنَ إِلَيّ وَأَسْكُنُ إِلَيْكَ(٢).

ـ قِيلَ: إِنَّ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لَمَّا وَاقَعَهَا قَالَتْ: يَا آدَمُ زِدْنَا مِنْهُ، مَا أَطْيَبَه. وَذَكَر صَاحِبُ: «البُسْتَانِ» أَنَّ كُلَّ شَهْوَةٍ يُعْطِيهَا الرَّجُلُ نَفْسَه، فَإِنَّهَا تُقَسِّي قَلْبَه إِلاَّ الجِمَاع، فَإِنَّـه يُصَفِّي القَلْبَ، وَلِهَذَا كَـانَ يَفْعَلُهُ(٣) الأَنْبِيَاءُ ـ عَلَيْهِم السَّلاَم ـ وَفِي الجِمَاعِ مَنَافِع وَضَرَر، فَأَمَّا مَنَافِعَه: فَإِنَّ الرَّجُلَ إِنْ كَانَ بِهِ هَمٌّ فَإِنَّهُ [بِالجِمَاعِ](٤) يَقِلُّ [عَنْه](٥) ذَلِك، وَلَوْ كَانَ قَلْبُه مُتَعَلِّقاً بِحَرَامٍ يَزُولُ عَنْهُ، وَيَزُولُ(٦) الوَسْوَاس،

(*) انظر: طبقات ابن سعد، تاريخ الرسل والملوك. الكامل لابن الأثير.

(١) سورة البقرة، الآية ـ ٣٥.

(٢) انظر معالم التنزيل ١/٦٣.

(٣) في المطبوعة (تفعله).

(٤) الزيادة عن «البستان» ص ٥٦.

(٥) الزيادة عن «البستان» ص ٥٦.

(٦) في المطبوعة (يزيل).

وَيَسكنَ الغضبَ، وَينفعُ مِنْ بَعْضِ القُروحِ فِي النفسِ إِذا كَانتْ طَبيعَتهُ الحَرارَة[1].

وَقَالَ فِي «الفَوائِدِ»: مَنافِعُ الجِمَاعِ المُعْتَدِلِ: خِفَّةُ البَدَنِ، وَالنَّومُ وَانْتِعَاشُ الحَرارَةِ الغَرِيزِيَّةِ، وَيُزِيلُ الفِكْرَ الرَّدِي، وَيَنْفَعُ أَكْثَرَ الأَمْرَاضِ السَّوْدَاوِيَّةِ وَالبَلْغَمِيَّةِ، ورُبَّمَا يَقَعُ تَارِكُ الجِمَاعِ فِي الأَمْرَاضِ مِثْل: الدُّوارُ، وَظُلْمَةُ البَصَرِ وَثِقَلُ البَدَنِ، وَإِذَا عَادَ إِلَيْهِ المَرْءُ برِئ[2]، وَأَمَّا مَضَرَّتُه، فَإِنَّهُ يُضْعِفُ البَدَن وَالبَصر، وَيَحْدُثُ مِنْهُ وَجَعُ السَّاقَيْنِ وَالرَّأْسِ والظَّهْرِ، وَالاسْتِقْلالُ مِنْهُ أَنْفع.

وَقَالَ فِي «المَعَالِمِ»: لَمَّا أَرادَ إِبْلِيسُ لَعْنَهُ اللَّهُ لِيُوَسْوِسَ لآدَمَ وَحَوَّاءَ، عَزَمَ عَلَى الدُّخُولِ إِلَى الجَنَّةِ، فَمَنَعَتْهُ الخَزَنَةُ، فَأَتَى إِلَى الحَيَّةِ، وَكَانَ لَهَا أَرْبَعُ قَوائِم، وَهِي مِنْ خُزَّانِ الجَنَّةِ، فَسأَلَهَا أَنْ تُدْخِلَهُ الجَنَّة، فَأَدْخَلَتْهُ فِي فَمِهَا، فَلَمَّا دَخَلَ وَقَفَ بَيْنَ يَدَيَّ آدم وَحَوّاء وَهُمَا لا يَعْرِفَانه إِبْلِيس، فَبَكَى وَنَاحَ، فَأَحْزَنَهُمَا، فَقَالاَ لَهُ: مَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ: أَبْكِي عَلَيْكُمَا تَمُوتَانِ فَتُفَارِقَان هَذِهِ النّعمة، فَاغْتَمَّا وَمَضَى إِبْلِيسُ، ثُمَّ أَتَاهُمَا، فَقَالَ قَوْلَهُ تَعالَى: ﴿... **يا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لاَ يَبْلَى**﴾[3] فَدَلَّهُ عَلَى أَكْلِ شَجَرَةِ الحِنْطَةِ، فَأَبى آدَمُ، فَبَادَرَتْ حَوَّاءُ إِلَى أَكْلِ الشَّجَرَةِ، ثُمَّ نَاوَلَتْ آدَمَ، فَأَكَلَ مِنْهَا، قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿... **فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا** ...﴾[4][5].

وَقِيلَ: إِنَّ حَواءَ سَقَتْهُ الخَمْرَ أَوَّلاً، حَتَّى أَكل آدَمُ[6].

قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: يَا

---

(١) انظر «بستان العارفين» ص ٥٦.

(٢) في المطبوعة (برء)، والصواب ما أثبت.

(٣) سورة طه، الآية ـ ١٢٠.

(٤) سورة طه، الآية ـ ١٢١.

(٥) انظر المعالم ١/٦٤.

(٦) انظر تاريخ الطبري ١/١١٢، والمعالم ١/٦٤.

آدمُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ زَيَّنَتْهُ لِي حَوَاء. قَالَ: فَإِنِّي أَعْقَبْتُهَا أَنْ [لَا](١) تَحْمِلَ إِلَّا كُرْهاً [وَلَا تَضَعَ إِلَّا كُرْهاً](٢) وَأَدْمَيْتُهَا فِي الشَّهْرِ مَرَّتَيْنِ، فَرَنَّتْ حَوَّاءُ عِنْدَ ذَلِكَ، فَقِيلَ: عَلَيْكِ الرَّنَّة، وَعَلَى بَنَاتِكِ، وَآهْبِطَا إِلَى الأَرْضِ، فَأُهْبِطَ [آدَمُ](٣) بِسَرَنْدِيب(٤) مِنْ أَرْضِ الهِنْدِ، وَأُهْبِطَتْ حَوَّاء بِجُدَّة، وَأُهْبِطَ إِبْلِيسُ بِالأُبُلَّةِ(٥) وَالحَيَّةُ بِأَصْفَهَان، فَبَكَى آدَمُ وَحَوَّاء عَلَى مَا فَاتَهُمَا مائَتي سَنَةٍ، وَلَمْ يَأْكُلَا وَيَشْرَبَا أَرْبَعِين يَوْماً، وَلَمْ يَقْرُبْ آدَمُ حَوَّاءَ مائَة سَنَةٍ.

- قِيلَ: إِنَّ هُبُوطَهَا تَاسِعُ سَاعَة مِنْ يَوْمِ الجُمُعَةِ(٦)، وَاجْتَمَعَ آدَمُ بِحَوَّاء بَعْدَ انْقِضَاءِ مائَة سَنَةٍ، اجْتَمَعَا فِي عَرَفَة، وَإِنَّمَا سُمِّي جَبَلُ عَرَفَة، لأَنَّ آدَمَ عَرَفَ بِهِ حَوَّاء(٧). وَلَمَّا هَبَطَا إِلَى الأَرْضِ كَانَ لَهُمَا وَلَدَانِ: هَابِيل وَقَابِيل وَتوءَمَاتِهِمَا، وَسُلِبَ آدمُ وَحَوَّاءُ كُلّ مَا كَانَا فِيهِ مِن النِّعْمَةِ وَالكَرَامَةِ، وَكَانَتْ توءَمَةُ قَابِيلَ، أَجْمَلُ مِنْ تَوْءَمَةِ هَابِيل، فَأَرَادَ آدَمُ أَنْ يُزَوِّجَ هَابيلَ بتوءَمَةِ قَابِيلَ، وَتوءمَةَ هَابِيلَ بِقَابِيلَ، فَلَمْ يَطِبْ ذَلِكَ لِقَابِيلَ، فَأَخَذَ توءَمَتَهُ وقَتَلَ أَخَاهُ هَابِيلَ وَهَرَبَ قَابِيلُ، وَقِصَّتُهُمَا مَشْهُورَة، فَحَزِنَ آدَمُ وَحَوَّاءُ عَلَى هَابِيلَ وَبَكَيا عَلَيْهِ أَرْبَعِينَ يَوْماً، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى آدم أَنِ اكفُفْ عَنْ بُكَائِكَ، فَإِنِّي قَدْ وَهَبْتُ لَكُمَا غُلَاماً مِثْلَهُ، يَكُونُ أَبَا الأَنْبِيَاءِ، فَاجْتَمَعَ آدَمُ بِحَوَّاءَ، فَحَمَلَتْ بِشَيْث عَلَيْهِ السَّلام وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ تَوْءَم، فَلَمَّا وَلَدَتْهُ كَانَ كَأَنَّهُ

---

(١) الزيادة عن المعالم ١/٦٤.

(٢) الزيادة عن المعالم ١/٦٤.

(٣) الزيادة عن المعالم ١/٦٤، وتاريخ الطبري ١/١٢٢.

(٤) قد اختلف في مكان هبوط آدم، قال الطبري في تاريخه ١/١٢٢: (وهذا مما لا يوصل إلى علم صحته إلا بخبر يجيء مجيء الحجة، ولا يعلم خبر في ذلك ورد كذلك، غير ما ورد من خبر هبوط آدم بأرض الهند، فإن ذلك مما لا يدفع صحته علماء الإسلام، وأهل التوراة والإنجيل، والحجة قد ثبتت بأخبار بعض هؤلاء).

(٥) في المطبوعة (بالأيلة) والصواب ما أثبت عن المعالم ١/٦٤، ومعجم البلدان ١/٨٩، وفيه: الأُبُلَّةُ: بضم أوله وتشديد اللام وفتحها، بلد على شاطىء دجلة بالبصرة.

(٦) كذا في تاريخ الطبري ١/١١٨.

(٧) انظر تاريخ الطبري ١/١٢٢.

هابِيل، وذلِك سنة مائةٍ[1] وثلاثِين مِن هبوطِهما.

وَتُوفِّي آدَمُ سَنَة تسعمائة وَثلاثِينَ سَنَةً مِنْ هُبُوطِهِ، وَعَاشَتْ حَوَّاءُ بَعْدَهُ سَنَةً وَمَاتَتْ سَنَة تسعمائة وَإِحْدَى وَثلاثِينَ وَدُفِنَتْ مَعَ آدم فِي مَشَارِقِ الفِرْدَوْسِ عِنْدَ قَرْيَةٍ هُنَاكَ، وَهي أَوَّلُ قَرْيَةٍ بُنِيتْ عَلى وَجْهِ الأَرْضِ[2]، وَلَمْ تَمُتْ حَوَّاءُ حَتَّى بَلَغَتْ أَوْلاَدُهَا وَأَوْلاَد أَوْلادها أَرْبَعِينَ[3] أَلفاً، وَقِيلَ: أَلْفَي أَلف وَلَدْ، وَقِيلَ: هَذَا العَدَد كَانَ حِينَ وَفَاةِ[4] آدم عَلَيْه السَّلام، وَحَوَّاءُ عَاشَتْ بَعْدَهُ سَنَة، ولاَ بُدَّ أَنَّ أَوْلاَدَهَا وُلِدَ لَهُمْ غَيْرَ هَذَا كَثِير[5]، وَقِيلَ: إِنَّ حَوَّاءَ حَمَلَتْ مِنْ آدَمَ أَرْبَعِينَ وَلَداً بِعِشْرِينَ بَطْناً، وقِيلَ: ثَمَانِيـنَ، وَقِيلَ: مائَة وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَم.

---

(١) في المطبوعة (مائتين)، وما أثبتت عن تاريخ الطبري ١/١٥٢.

(٢) وفي تاريخ الطبري ١/١٦١: (عن ابن عباس، قال: مات آدم ـ عليه السلام ـ على بَوْذ قال أبو جعفر: يعني الجبل الذي أهبط عليه وذكر أن حواء عاشت بعده سنة ثم ماتت رحمهما الله، فدفنت مع زوجها في الغار الذي ذكرت، وأنهما لم يزالا مدفونين في ذلك المكان، حتى كان الطوفان، فاستخرجهما نوح، وجعلهما في تابوت، ثم حملهما معه في السفينة، فلما غاضت الأرض الماء ردهما إلى مكانهما الذي كانا فيه قبل الطوفان).

(٣) في الأصل (أربعون).

(٤) في الأصل (وفات).

(٥) في الأصل (كثيراً).

[٢]

سَارَةُ بِنْتُ هَارُون

- ابْنِ نَاحُورٍ، وَهُوَ عَمُّ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلام وَهِي زَوْجَةُ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلام آمَنَتْ بِهِ بَعْدَمَا أُلْقِي فِي النَّارِ، فَهَاجَرَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ إِلَى حَرَّان، ثُمَّ سَارَ بِهَا إِلَى مِصْر، وَصَاحِبُهَا فِرْعَون، وَقِيلَ: سِنَانُ بْنُ عِلْوَان، وَقِيلَ: طُوليس، فَبَلَغَهُ جَمَالُ سَارَة وَحُسْنُهَا، فَأَمَرَ فِرْعَوْنُ بِإِحْضَارِهَا، فَأَحْضَرُوهَا وَمَعَهَا إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلام فَسَأَلَهُ فِرْعَوْنُ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلام: هِي أُخْتِي، - يَعْنِي فِي الإِسْلَامِ - فَهَمَّ فِرْعَوْنُ بِهَا، فَأَيْبَسَ اللَّهُ بَدَنَهُ وَرِجْلَيْهِ، فَتَوَسَّلَ بِإِبْرَاهِيم، وَحَلَفَ أَنْ لَا يَقْرَبَهَا بِسُوءٍ، فَأَطْلَقَهُ اللَّهُ بِدَعْوَةِ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلام ثُمَّ هَمَّ فِرْعَوْنُ بِهَا مَرَّةً ثَانِيَةً، فَجَرَى لَهُ مِثْلُ الأَوَّل، فَعَاهَدَ إِبْرَاهِيمَ مَرَّةً أُخْرَى فَأُطْلِقَ، وَقَالَ فِرْعَوْنُ لِهَذِهِ أَنْ تَخْدُمَ نَفْسَهَا، فَوَهَبَ لَهَا هَاجَرَ جَارِيَةً[١]، فَجَاءَتْ بِهَا إِلَى إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلام ثُمَّ سَارَ بِهِمَا إِبْرَاهِيمُ مِنْ مِصْرَ إِلَى الشَّامِ، وَأَقَامَ بِهِمَا بَيْنَ الرَّمْلَةِ وَإِيلِيَاء. وَكَانَتْ سَارَةُ لَا تَلِد، فَوَهَبَتْ هَاجَرَ لإِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلام فَوَلَدَتْ لَهُ إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلام لِمُضِيِّ سِتٍّ وَثَمَانِينَ مِنْ عُمُرِ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلام فَحَزِنَتْ سَارَةُ لِذَلِكَ، فَوَهَبَها اللَّهُ إِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلام وَعُمُرُهَا إِذْ[٢] ذَاكَ تِسْعُونَ[٣] سَنَةً، وَسُرَّتْ سَارَة بِهَاجَر وابْنَهَا ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ أُوحِيَ إِلَى إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلَامَ أَنْ يَأْخُذَ هَاجَر وَابْنَهَا إِلَى الحِجَازِ، فَسَافَرَ بِهِمَا إِلَى

---

(١) انظر تاريخ الطبري ١/٢٤٥.

(٢) في المطبوعة (إذا) والصواب ما أثبت.

(٣) في الأصل (تسعين).

مَكَّةَ، وَمَاتَتْ سَارَةُ فِي حَيَاةِ إِبْرَاهِيم قَبْلَ وَفَاتِهِ بِثَمَانِيَةٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَعُمْرُهَا مائَةُ وَسَبْعٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً[2]، وَدُفِنَتْ[3] بِمَزْرَعَةٍ بِحَبْرُون، وَدُفِنَ قَرِيباً مِنْهَا إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلام وَكَانَتْ[4] وَفَاتُهَا سَنَة ثَلاثَة[5] آلاف وَأَرْبَعمائة وَأَرْبَعِينَ[6] مِنْ هُبُوطِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلام. وَكَانَتْ[7] قَدْ وَلَدَتْ إِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلام بَعْدَ إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلام بِاثْنَتَيْنِ[8] وَعِشْرِين سَنَةً. وَبَنَى إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلام الكَعْبَةَ فِي السَّنَةِ الَّتِي وُلِدَ إِسْحَاقُ عَلَيْهِ السَّلام وَتَزَوَّجَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلام بَعْدَ سَارَة بِامْرَأَةٍ مِنَ الكَنْعَانِيين، فوَلَدَتْ لَهُ سِتَّةَ أَوْلاد، فَجُمْلَةُ أَوْلادِ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلام ثَمَانِيَة، إِسْحَاقُ مِنْ سَارَة، وَإِسْمَاعِيلُ مِنْ هَاجَر، وَسِتَّة أَوْلاد مِنْ الكَنْعَانِيَّةِ ولَمَّا صَارَ لِإِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلام مِنْ العُمْرِ مائَة سَنَة، وُلِدَ لَهُ إِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلام وَلَمَّا صَارَ لِإِسْحَاقَ عَلَيْهِ السَّلام سِتُّون سَنَةً وُلِدَ لَهُ يَعْقُوب.

(١) في الأصل (حيات).

(٢) انظر وفاتها تاريخ الطبري ١/٢٤٩.

(٣) في الأصل (ودفنته).

(٤) في الأصل (دكان).

(٥) في الأصل (ثلاث).

(٦) في الأصل (أربعون).

(٧) في الأصل (وكان).

(٨) في الأصل (باثنين).

[٣]

هَاجَرُ زَوْجَة إِبْرَاهِيم عَلَيْه السَّلام

ـ وَهي جَارِيَةُ سَارة الَّتِي وَهَبها لَهَا مَلِكُ مِصْرَ فِرْعَوْن، فَوَهَبَتْهَا سَارةُ لإبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلام فَحَمَلَتْ بِإِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلام وَوَلَدَتْهُ سَنَة ثَلاثَةَ آلافٍ وَأَرْبَعمَائَةٍ مِنْ هُبُوطِ آدم فِي عَصْرِ فريدُون، وَكَانَتْ بَيْنَ الرَّمْلَةِ وَإِيلْيَاءِ، وسُرَّتْ سَارَة بِهَا وَأُوْحِيَ إِلَى إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلاَمْ بِالسَّفَرِ بِهَا مَعْ إِسْمَاعِيلْ إِلَى الحجَازِ، فَهَاجَرَ بِهَا إِبْرَاهِيمُ إِلَى مَكَّةَ، وَذُكِرَ فِي «المَعَالِم»: قَالَ ابْنُ عَبَّاس رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا: أَوَّلُ مَنْ اتَّخَذَ المَنَاطِق مِنَ النِّسَاءِ هَاجَر أُمّ إِسْمَاعِيل، اتَّخَذَتْ مَنْطِقاً عِنْدَ سَفَرِهَا إِلَى الحِجَازِ، ثُمَّ هَاجَرَ بِهَا إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلام إِلَى مَكَّةَ وَمَعَهَا إِسْماعِيل عَلَيْهِ السَّلام تُرْضِعُهُ، فَوَضَعَهَا عِنْدَ البَيْتِ وَلَيْسَ فِي مَكَّةَ أَحَدٌ وَلاَ مَاء، وَتَرَكَ عِنْدَهُمْ جِراباً فِيه تَمر وَسِقَاء فِيهِ مَاء. ثُمَّ عَادَ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلام مُنْطَلِقاً فَتَبِعَتْهُ هَاجَرُ وَقَالَتْ: أَيْنَ تَذْهَبُ وَتَتْرُكُنَا فِي هَذَا الوَادِي الَّذِي لَيْسَ فِيهِ أَنِيسٌ وَلاَ شَيء؟ فَلَمْ يُجِبْهَا(١). وَقَالَتْ ذَلِكَ مِراراً وَهُو لاَ يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا. فَقَالَتْ لَهُ: آللَّهُ أَمَرَكَ بِهَـذَا؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: إِذاً لاَ يُضَيِّعُنَا. ثُمَّ رَجَعَتْ وَجَعَلَتْ تُرْضِعُ إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلام وَتَشْرَبُ مِنْ ذَلِكَ المَاء، حَتَّى إِذَا نَفِدَ(٢) مَا فِي السِّقَاءِ عَطِشَتْ وَعَطِشَ إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلام فَانْطَلَقَتْ إِلَى الصَّفَا تَنْظُرُ هَلْ تَرَى مِنْ أَحَدٍ، فَلَمْ تَرَ(٣)، فَعَادَتْ إِلَى الوَادِي، ثُمَّ

(١) في الأصل (يجيبها).

(٢) في الأصل (نفذ).

(٣) في الأصل (ترى).

سَارَتْ إِلَى المَرْوَة. وَفَعَلَتْ ذَلِكَ سَبْع مَرَّات، وَلَمَّا أَشْرَفَتْ عَلَى المَرْوَةِ، سَمِعَتْ صَوْتاً، فَقَالَتْ: صَهْ: ثُمَّ سَمِعَتْ صَوْتاً فَقَالَتْ: قَدْ سَمِعْتُ إِنْ كَانَ عِنْدَكَ غَوَاثٌ، فَعَادَتْ، فَإِذَا هِيَ بِالمَلَكِ عِنْدَ مَوْضِعِ زَمْزَم فَبَحَثَ بِعَقِبِهِ أَوْ بِجَنَاحِهِ حَتَّى ظَهَرَ المَاءُ، فَجَعَلَتْ هَاجَرُ تُحَوِّضُه. قَالَ ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ أُمَّ إِسْمَاعِيل لَوْ تَرَكَتْ زَمْزَم»(١). وَقَال ﷺ: «لَوْ لَمْ تَغرِفْ مِنَ المَاءِ لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْناً مَعِيناً فَشَرِبَتْ وَأَرْضَعَتْ إِسْمَاعِيل». فَقَالَ لَهَا المَلَكُ: لا تخافا(٢) الضَّيْعَةَ، فَإِنَّ هَاهُنَا بَيْتاً يَبْنِيهِ هَذَا الغُلَامُ وَأَبُوهُ. فَأَقَامَتْ إِلَى أَنْ قَدِمتْ عَرَبُ جُرْهُمْ وَنَزَلُوا عِنْدَهَا، وَكَبُرَ إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلام وَتَزَوَّجَ امْرَأَةً مِنْ جُرْهُمْ، وَتَعَلَّمَ العَرَبِيَّةَ، وَمَاتَتْ أُمُّه هَاجَر(٣).

وَذُكِرَ فِي «المَصَابِيح»، حَدِيث إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلام وَسَارَة لَمَّا وَهَبَهَا هَاجَر. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي حَقِّ هَاجَر: تِلْكَ أُمُّكُمْ يَا بَنِي مَاءِ السَّمَاءِ(٤). وَأَرَادَ بِمَاءِ السَّمَاءِ: يَعْنِي العَرَبَ(٥).

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «كَشْفِ الأَسْرَارِ» قَوْله ﷺ: «لَوْلَا تَحْوِيطُ هَاجَر وَتَحْرِيصِهَا عَلَى زَمْزَم حِين اتَّبَعَهَا جِبْرَائِيلُ، وَعِنْدَ نُزُولِ جُرْهُم لَكَانَتْ زَمْزَمُ عَيْناً مَعِيناً».

---

(١) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ٥/١٢١، والبخاري في صحيحه، في المساقاة (١٥) وابن عساكر في تاريخه ـ تراجم النساء ص ٤١٦.

(٢) في المطبوعة (لا تخافوا).

(٣) انظر: تاريخ الطبري ١/٢٥٥ ـ ٢٥٨.

(٤) انظر مصابيح السنة ٤/١٩، وصحيح مسلم ٤/١٨٤١.

(٥) وقيل: المراد بني ماء السماء العرب كلهم لخلوص نسبهم وصفائه، وقيل لأن أكثرهم أصحاب مواشي، وعيشهم من المرعى والخصب وما ينبت بماء السماء. وقال القاضي: الأظهر عندي أن المراد بذلك الأنصار خاصة ونسبتهم إلى جدهم عامر بن حارثة بن امرىء القيس بن ثعلبة بن مازن بن الأزد، وكان يعرف بماء السماء. وهو المشهور بذلك. والأنصار كلهم من ولد حارثة بن ثعلبة بن عمرو بن عامر المذكور.
انظر: صحيح مسلم ٤/١٨٤١.

وَذَكَر بَعْضُهُمْ قَوْلَه ﷺ: «مَاءُ زَمْزَمٍ لِمَا شُرِبَ لَهُ، فَمَنْ شَرِبَهُ عَلَى نِيَّةِ قَضَاءِ حَاجَةٍ أَوْ شِفَاءٍ مِنْ مَرَضٍ، أَعْطَاهُ اللَّهُ تَعالَى». وَكَانَ الذَّبْحُ فِي حَيَاةِ[1] هَاجَر وَقِصَّتُهُ مَشْهُورَةٌ: وَالذَّبِيحُ إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلام لِقَوْلِهِ ﷺ «أَنَا ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ». وَهَذَا هُو الأَصَحّ، وَمَعْنَى قَوْلِه ﷺ: «أَنَا ابْنُ الذبيحَيْنِ» أَرَادَ بِهِ إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلام وَوَالِدَه عَبْد اللَّهِ، فَإِنَّ جَدَّه عَبْد المُطَّلِبِ نَذَرَ لِلَّهِ تعالَى إِنْ [بَلَغَ][2] وَلَدُهُ عَشْرة بَنِين لَيَذْبَحَنَّ أَحَدَهُمْ قُرْبَاناً لِلَّهِ، فَوُلِدَ لَهُ عَشْرَةُ بَنِين وَهُمْ: العَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَحَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَبْدُ اللَّهِ، وأَبُو طَالِبٍ، وَحَجْلُ، وَالزُّبَيْرُ وَالحَارِثُ وَأَبُو لَهَبٍ، والمقدم، والغَيْداق، فَلَمَّا تَكَامَلُوا عَزَمَ[3] عَلَى ذَبْحِ أَحَدِهِمْ، فَسَارَ إِلَى الكَاهِنِ وَأَخْبَرَهُ بِمَا نَذَرَ، فَأَمَرَهُ أَنْ يُلْقِي عَلَيْهِمْ قُرْعَةً فَفَعَلَ، وَوَقَعَتْ القُرْعَةُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَالِد النَّبِيّ ﷺ فَوَضَعَ عَشْرَةَ جِمَالٍ، وَأَلْقَى القُرْعَةَ، فَوَقَعَتْ أَيْضاً عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَمَا زَالَ يَزِيدُ الجِمَالَ حَتَّى بَلَغَتْ مائة جَمَلٍ، فَوَقَعَتْ القُرْعَةُ عَلَى الجِمَالِ، فَنَحَرَهَا عَبْدُ المطَّلِبِ فِدَاءً لِوَلَدِهِ عَبْدِ اللَّهِ، وَتَرَكَهَا فِي البَرِّ طَعَاماً لِلْخَلَائِقِ وَالطُّيُورِ، وَلِهَذَا أَشَارَ ﷺ بِقَوْلِهِ: «أَنَا ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ». وَهَذَا بِخِلَافِ مَنْ قَالَ: الذَّبِيحُ إِسْحَاق عَلَيْهِ السَّلام وَتُوفِّيَتْ هَاجَرُ فِي حَيَاةِ[4] إِسْمَاعِيل عَلَيْهِ السَّلام -.

(١) في الأصل (حيات).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) في الأصل (عزهم).

(٤) في الأصل (حيات).

[٤]

يُوحَانذ بِنْتُ لاوِي بْنِ يَعْقُوب عَلَيْهِ السَّلام

ـ زَوْجَةُ عِمْرَان أُمّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام وَكَانَ عِمْرَانُ مِنْ وُزَراءِ فِرْعَونَ وَاسْمُه الوَلِيدُ بْنُ مُصْعَب[١]، وَكَانَ قَدْ أَخْبَرَهُ المُنَجِّمُونَ أَنَّ زَوَالَ مُلْكِهِ عَلَى يَدِ فَتًى مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل، فَجَعَلَ فِرْعَوْنُ يَقْتُلُ الأَطْفَالَ، حَتَّى قَتَلَ سَبْعِينَ طِفْلاً، وَكَانَ يُعَذِّبُ الحَوامِلَ حَتَّى يُسْقِطْنَ حَمْلَهُنَّ، وَلَمَّا حَمَلَتْ أُمُّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام بِهِ، أَخْبَرَ المُنَجِّمُونَ فِرْعَوْنَ بِحَمْلِهِ، فَشَدَّدَ فِرْعَوْنُ عَلَى نِسَاءِ بَنِي إِسْرَائِيل، وَأَمَرَ القَوابِلَ أَنْ يَطُفْنَ عَلَى نِسَاءِ بَنِي إِسْرَائِيل فَفَعَلْنَ، وَلَمْ يَدْخُلْنَ بَيْتَ عِمْرَان لِقُرْبِهِ مِنَ المَلِكِ وَلَمَّا تَمَّ حَمْلُهَا، وَجَاءَهَا الطَّلْقُ لَيْلاً، فَوَلَدَتْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام وَفَرِحَتْ بِهِ فَرَحاً عَظِيماً، وَأَخْفَتْ أَمْرَهَا مَخَافَةً مِنْ فِرْعَوْن، فَكَانَتْ تُرْضِعُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام وَتَضَعُهُ فِي تَنُّورٍ وَلَمْ تَعْلَمْ بِهِ أُخْتُهُ كَلْثَمْ، وَاسْتَمَرَّتْ عَلَى ذَلِكَ أَيَّاماً، فَاتَّفَقَ يَوْماً، خَرَجَتْ لِبَعْضِ شَأْنِهَا، وَجَاءَتْ كَلْثَمُ أُخْتُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام وَسَجَّرَتْ التَّنُّورَ لِتَخْبِزَ فِيهِ، وَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام فِيهِ، وَقَدْ بَلَغَ فِرْعَوْنَ وِلاَدَةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام مِنْ

---

(١) في المطبوعة (يوخا) والصواب ما أثبت عن الكامل لابن الأثير ٩٥/١، ومعالم التنزيل للبغوي ٣٣٤/٣، وقد اختلف في اسمها، فقيل: أيارخا، وقيل: أياذخت، وقيل: لوخا بنت هاند.

(٢) قال ابن الأثير في «الكامل» ٩٦/١: وكان شأن فرعون قبل ولادة موسى أنه رأى في منامه كان ناراً أقبلت من بيت المقدس حتى اشتملت على بيوت مصر، فأحرقت القبط، وتركت بني إسرائيل، وأخربت بيوت مصر، فدعا السحرة والحزاة، والكهنة، فسألهم عن رؤياه، فقالوا: يخرج من هذا البلد ـ يعنون بيت المقدس الذي جاء بنو إسرائيل منه ـ رجل يكون على وجهه هلاك مصر، فأمر أن لا يولد لبني إسرائيل مولود إلا ذبح ويترك الجواري.

بَعْضِ القَوَابِلِ، فَبَعَثَ فِرْعَوْنُ هَامَانَ وَالرَّايَاتِ مَعَهُ فَدَخَلَ دَارَ عِمْرَانَ، وَدَوَّرَ جَمِيعَ الدَّارِ، فَلَمْ يَرَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلام أثراً، وَالتَّنُّورُ يُسْجَرُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ دَارِ عِمْرَان، وَأَقْبَلَتْ أُمُّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام وَرَأَتْ أَعْوَانَ فِرْعَوْن قَدْ خَرَجُوا مِنْ بَيْتِهَا، فَخَافَتْ عَلَى نَفْسِهَا وَعَلَى مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلام وَكَادَتْ أَنْ تَمُوتَ مِنَ الغَمِّ، فَدَخَلَتْ فِي سُرْعَةٍ، وَأَقْبَلَتْ إِلَى التَّنُّورِ، فَرَأَتْهُ يَشْتَعِلُ بِالنَّارِ، فَلَطَمَتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ: مَا نَفَعَنِي الحَذَرُ! وَالْتَمَسَتْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام فَوَجَدَتْهُ سَالِماً، فَأَخْرَجَتْهُ مِنَ التَّنُّورِ وَأَرْضَعَتْهُ، وَتَمَرَّضَ أَبُوه عِمْرَان وَمَاتَ، وَقَدْ صَارَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلام مِنَ العُمْرِ أَرْبَعُونَ يَوْماً، فَخَافَتْ عَلَى مُوسَى مِنْ فِرْعَون، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهَا، وَذَلِكَ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[1]

وَقِيلَ: أَلْقَى اللَّهُ فِي قَلْبِهَا، فَوَضَعَتْهُ فِي صُنْدُوقٍ وَأَحْكَمَتْهُ لِئَلَّا يَدْخُلَ إِلَيْهِ مَاء فَيَغْرَق، فَأَلْقَتْهُ فِي النِّيلِ لَيْلاً، وَلَمْ يَعْلَمْ بِهَا أَحَدٌ، فَسَارَ الصُّنْدُوقُ عَلَى وَجْهِ المَاء، وَدَخَلَ إِلَى دَارِ فِرْعَوْن، فَرَأَتْهُ آسِيَةُ بِنْتُ عَمِّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام وَهِي زَوْجَةُ فِرْعَوْن، فَأَمَرَتْ بِإِخْرَاجِهِ، فَحَمَلُوهُ إِلَيْهَا، فَفَتَحَتْ الصُّنْدُوقَ، وَوَجَدَتْ فِيهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام فَحَمَلَتْهُ إِلَى فِرْعَون وَأَخْبَرَتْهُ بِالخَبَرِ، فَهَمَّ فِرْعَوْنُ بِقَتْلِهِ، فَقَالَتْ لَهُ آسِيَةُ قَوْلَه تَعَالَى: ﴿... قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لا تَقْتُلُوهُ[2] عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَداً...﴾[3]، وَلَمْ يَكُنْ لِفِرْعَوْنَ وَلَدٌ مِنْ آسِيَة، وَلَمْ تَزَلْ بِهِ آسِيَةُ حَتَّى تَرَكَهُ وَسَمَّوْهُ مُوسَى وَمَعْنَى[4] مُو: المَاء، وَمَعْنَى سَا: الشَّجر، وَعَرَضَتْ آسِيَةُ القَوَابِلَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام فَأَبَى[5] إِرْضَاعَهُنَّ، وَكَانَتْ أُخْتُ مُوسَى كَلْثَمُ قَدْ تَتَبَّعَتْ

---

(١) سورة القصص، الآية ـ ٧.

(٢) في الأصل (تقتله).

(٣) سورة القصص، الآية ـ ٩.

(٤) في الأصل (ومعنا).

(٥) في الأصل (فابا).

الصُّنْدُوقَ حَتَّى دَخَلَ إِلَى دَارِ فِرْعَوْنَ وَدَخَلَتْ مَعَ المَرَاضِعِ وَذَلِكَ قَوْلُه تَعالى: ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَحَرَّمْنا[1] عَلَيْهِ المَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ﴾[2] فَقالَتْ آسِيَةُ: نَعَمْ، فَرَجَعَتْ كَلْثَمُ وَأَخْبَرَتْ أُمَّهَا، فَقَدِمَتْ وَدَخَلَتْ عَلَى آسِيَة، فَوَضَعَتْ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام فِي حِجْرِهَا وَأَعْطَتْهُ ثَدْيَهَا، فَرَضَعَ، وَأَقَامَتْ تُرْضِعُهُ إِلَى أَنْ كَبُرَ وَفَطَمَتْهُ مِنَ الرَّضَاعِ وَمَاتَتْ أُمُّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام.

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «خَواص القُرْآن»: قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿مِنَ المُرْسَلِينَ﴾[3] إِذَا كُتِبَتْ فِي وَرَقَةٍ وَعُلِّقَتْ عَلَى امْرَأَةٍ قَدْ قَلَّ حَلِيبُهَا، دَرَّ ثَدْيُهَا وَكَثُرَ حَلِيبُهَا.

وَقِيلَ: إِذَا تُلِيَتْ هَذِهِ الآيَةُ سَبْعَ مَرَّاتٍ عَلَى سَبْعٍ مِنَ الزَّبِيبِ الأَسْوَدِ عَلَى كُلِّ وَاحِدَةٍ سَبْع مَرَّاتٍ، وَأُطْعِمَتْ لِمَنْ قَلَّ حَلِيبُهَا أَكْثَرَ بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى بِبَرَكَةِ هَذِهِ الآيَةِ الشَّرِيفَةِ.

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «كَشْفِ الأَسْرَارِ»: مَا الحِكْمَةُ فِي إِلْقَاءِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام فِي اليَمِّ؟ قِيلَ: لِأَنَّ المُنَجِّمِينَ إِذَا أُلْقِيَ شَيْءٌ فِي المَاءِ يَخْفَى عَلَيْهِمْ أَمْرُهُ، فَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَخْفَى عَلَى المُنَجِّمِينَ حَالُ مُوسَى حَتَّى لَا يُخْبِرُوا بِهِ فِرْعَوْنَ، وَأَرَادَ أَيْضاً أَنْ يُبَيِّنَ لِأُمِّهِ حِفْظَه، فَقَالَ: أَلْقِيهِ فِي التَّلَفِ لِأُنْجِيَهُ بِالتَّلَفِ مِنَ التَّلَفِ. وَقَالَ أَيْضاً: سَلِّمِيه إِلَيَّ صَبِياً أُسَلِّمه لَكِ نَبِياً، وَأَيْضاً: فَكَمَا نَجَّاهُ مِنَ البَحْرِ فِي الابْتِدَاءِ، كَذَلِكَ أَنْجَاهُ فِي الانْتِهَاءِ، وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ فِي البَحْرِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنَّمَا سُمِّيَ مُوسَى لِأَنَّهُ أُلْقِيَ بَيْنَ شَجَرٍ وَمَاءٍ،

---

(١) في الأصل (وحرمن).

(٢) سورة القصص الآيتان ١١ ـ ١٢.

(٣) سورة القصص، الآية ـ ٧ .

فَالمَاءُ بِالقِبْطِيَّةِ «مُو»[1]، وَالشَّجَرُ «سَا».

وَقَالَ الثَّعْلَبِيُّ: عَاشَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام مِائَةً وَعِشْرِينَ سَنَةً.

وَذَكَرَ فِي التَّفْسِيرِ قَوْلَه تَعَالى: ﴿... اقْذِفِيهِ...﴾ أَلْقِيه فِي التَّابُوتِ، ﴿... فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ...﴾ في النيل ﴿... فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ...﴾ الجَانِبِ ﴿... يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ..﴾[2] يَعْنِي فِرْعَوْن.

وَرُوِي: أَنَّهَا جعلَتْ فِي التَّابُوتِ قُطْناً مَحْلُوجاً فَوَضَعْتُه فِيهِ وَقَيَّرَتْهُ، ثُمَّ أَلْقَتْهُ فِي اليَمِّ وكَانَ يَشْرَعُ مِنْهُ إِلَى بُسْتَانِ فِرْعَوْنَ نَهرٌ كَبِيرٌ، فَبَيْنَمَا هُو جَالِسٌ عَلَى بِرْكَةٍ مَعَ آسِيَةَ، إِذْ [هُمْ][3] بِالتَّابُوتِ، فَأَمَرَ بِه، فَأُخْرِجَ فَفُتِحَ، فَإِذَا صَبِي بِهِ أَصْبَحُ النَّاسِ وَجْهاً، فَهَمَّ فِرْعَونُ بِالأَمْرِ بِقَتْلِهِ لَوْلاَ مُوَافَقَتِه لِطَلَبِ ءاسية، وَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّهُ قاتِلُهُ إِذَا كَبُر.

وَقَالَ فِي كِتَابِ «تَفْسِيرِ مدارك» قَوْلَه تَعَالَى ﴿يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ...﴾[4] إِلَى آخِرِهَا وَسَبَبُ الذَّبْحِ أَنَّ كَاهِناً قَالَ لِفِرْعَوْنَ: يُولَدُ مَوْلُودٌ فِي بَنِي إِسْرَائِيل يَذْهَبُ مُلْكُكَ عَلَى يَدَيْه. فَقِيلَ: إِنَّهُ ذَبَحَ فِي طَلَبِ مُوسَى تِسْعِينَ[5] أَلفَ وَلِيدٍ[6].

وَرُوِي: أَنَّهَا حِينَ ضَرَبَهَا الطَّلْقُ، كَانَتْ بَعْضُ القَوابِلِ المُوكَّلاتِ بِحَبَالَى بَنِي إِسْرَائِيل مُصَافِيَةً لَهَا. فَعَالَجَتْهَا حَتَّى وَلَدَتْ، فَلَمَّا وَقَعَ إِلَى الأَرْضِ، هَالَهَا نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَدَخَلَ حُبُّه قَلْبَهَا فَقَالَتْ القَابِلَةُ: مَا جِئْتُكِ إِلَّا لأَقْتُلَ[7] مَوْلُودَكِ، وَأُخْبِرَ بِهِ

(١) ورد في المطبوعة بعد «مو» كلمة (اسمه)، وقد حذفتها حتى يستقيم المعنى، انظر الكامل لابن الأثير ١/٩٧.

(٢) سورة طه، الآية ـ ٣٩.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) سورة القصص، الآية ـ ٤.

(٥) في الأصل (تسعون).

(٦) في المطبوعة (ولد)، وما أثبت عن «المدارك» ٣/٢٢٦.

(٧) في المطبوعة (لأقبل) والصواب ما أثبت عن «المدارك» ٣/٢٢٦.

فِرْعَون لِيَقْتُلَهُ، وَلَكِنِّي وَجَدْتُ حُبّاً مَا وَجَدْتُ مِثْلَهُ، فَاحْفَظِيهِ، فَلَمَّا خَرَجَتْ القَابِلَةُ، جَاءَتْ عُيُونُ فِرْعَـونَ فَلَفَّتْهُ فِي خِرْقَةٍ، وَوَضَعَتْـهُ فِي تَنُّورٍ مَسْجُـورٍ، وَلَـمْ تَعْلَمْ مَا تَصْنَعُ، لأَنَّهُ طَاشَ عَقْلُهَا، فَطَلَبُوا، فَلَمْ يَلْقُوا شَيْئاً، فَخَـرَجُوا وَهِي لَا تَـدْرِي مَكَانَهُ، فَسَمِعَتْ مِنَ التَّنُّورِ صَوْتَهُ، فَانْطَلَقَتْ وَأَخْرَجَتْهُ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ النَّارَ عَلَيْهِ بَرْداً وَسَلاماً[1].

وَذَكَر بَعْضُهُمْ قَوْلَه تَعَالَى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًـاً﴾[2] الآية، إِذَا تَلاَهَا إِنْسَانٌ وَهُو عَلَى مَائِدَةٍ وَأَكَلَ لَمْ يَشْبَعْ، وَإِنْ أَكَلَ المَائِدَةَ كُلَّهَا...

وَذَكَرَ لِي بَعْضُهُمْ أَنَّ اسمَ أُمِّ مُوسَى إِذَا تُلِي عَلَى قِفْلٍ مَقْفُولٍ سَقَطَ مِنْ غَيْرِ مِفْتَاحٍ، وَقَدْ جَرَّبْتُهُ، فَمَا وَجَدْتُ لَهُ أَصْلاً، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَم.

---

(١) انظر تفسير «المدارك» للنسفي ٣/٢٢٥ ـ ٢٢٧.

(٢) سورة القصص، الآية ـ ١٠.

[٥]

صَفُورَةُ بِنْتُ نَبِي اللهِ شُعَيْب(*)

عَلَيْهِ السَّلام وَهِيَ زَوْجَةُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام وَلَمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام مَا كَانَ، [وَلَمَّا كَبُرَ وَبَلَغَ أَشُدَّهُ دَخَلَ المَدِينَةَ عَلَى حِين غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا](١) قَوْلُه تعالَى: ﴿ فَوَجَدَ فِيهَا(٢) رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَـذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَـذَا مِنْ عَدُوِّهِ﴾(٣) ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾(٤) وَمَاتَ القِبْطِيُّ مِنْ سَاعَتِهِ فَخَافَ مُوسَى مِنْ فِرْعَون. [وَ](٥) قَوْلُه تَعَالَى: ﴿... يَا مُوسَىٰ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ

(*) قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ١/٢٤٤، وقد اختلفوا في هذا الشيخ من هو، فقيل: هو شعيب ـ عليه السلام ـ وهذا هو المشهور عند كثيرين، وممن نصَّ عليه الحسن البصري ومالك بن أنس، وجاء مصرحاً به في حديث، ولكن في إسناده نظر، وصرح طائفة بأن شعيباً ـ عليه السلام ـ عاش عمراً طويلاً بعد هلاك قومه حتى أدركه موسى عليه السلام وتزوج بابنته. وروى ابن أبي حاتم وغيره عن الحسن البصري: أن صاحب موسى ـ عليه السلام ـ هذا اسمه شعيب، وكان سيد الماء، ولكن ليس بالنبي صاحب مدين، وقيل: إنه ابن أخي شعيب، وقيل: ابن عمه، وقيل: رجل مؤمن من قوم شعيب، وقيل: رجل اسمه يثرون هكذا هو في كتب أهل الكتاب يثرون كاهن مدين ـ أي كبيرها وعالمها ـ قال ابن عباس وأبو عبيدة بن عبد الله: اسمه يثرون. زاد أبو عبيدة: وهو ابن أخي شعيب، زاد ابن عباس: صاحب مدين.

(١) الزيادة عن المعالم ٣/٤٣٩.

(٢) سقطت كلمة (فيها) من المطبوعة.

(٣) سورة القصص، الآية ـ ١٥. وفي المعالم ٣/٤٣٩: (قيل: الذي من شيعته من بني إسرائيل وهو السامري، والذي من عدوه من القبط).

(٤) سورة القصص، الآية ـ ١٥.

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّاصِحِين * فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ. . . ﴾[1] وَسَارَ قَاصِداً مِنْ مِصْر إِلَى مَدْيَن. قَالَ فِي «المعالم» قَوْلُه تَعَالَى ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ[2] ٱمْرَأَتَيْنِ[3] تَذُودَانِ. . ﴾[4] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَسَقَى لَهُمَا. . . ﴾[5] فَتَقَدَّمَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام وَزَاحَمَ القَوْمَ وَسَقَى غَنَم المَرْأَتَيْنِ ثُمَّ جَلَسَ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ مِنْ شِدَّةِ الحَرِّ، وَهُوَ جَائِع، وَذَلِكَ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾[6] وَكَانَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مِن الأَنْبِيَاءِ، فَرَجَعَتْ المَرْأَتَانِ[7].

وَهُمَا ابْنَتَا[8] شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلام بِالأَغْنَامِ إِلَى أَبِيهِمَا سَرِيعاً، فَقَالَ لَهُمَا: مَا أَعْجَلَكُمَا، وَكَانَا إِذَا سَقَوا أَغْنَامَهُمْ يُبْطِئُونَ، وَلاَ يَسْقُونَ إِلاَّ بَعْدَ قَوْمِهِمْ، وَيُبْطِئُونَ عَلَى أَبِيهِمْ قَالَتَا[9]: وَجَدْنَا رَجُلاً رَحِمَنَا، فَسَقَى لَنَا أَغْنَامَنَا ـ فَقَالَتْ لَهُ إِحْدَاهُمَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿. . . يَا أَبَتِ[10] ٱسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَأْجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلأَمِينُ﴾[11]

---

(1) سورة القصص، الآية ـ ٢٠ : ٢١ . وأول الآية ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَا المَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ. . . ﴾ قال أكثر أهل التأويل: اسمه حزقيل مؤمن من آل فرعون، وقيل: اسمه شمعون، وقيل: سمعان.

(٢) في الأصل (دونهما).

(٣) في الأصل (وامرأتين).

(٤) سورة القصص، الآية ـ ٢٣ . وتذودان: أي تحبسان وتمنعان أغنامهما عن الماء حتى يفرغ الناس، وتخلو لهما البئر.

(٥) سورة القصص، الآية ـ ٢٤ .

(٦) سورة القصص، الآية ـ ٢٤ . وفي الأصل وردت الآية على الشكل التالي: ﴿ربي لما أنزلت من خير فقير﴾، والصواب ما أثبت.

(٧) في المطبوعة (فرجعتا الامرأتين).

(٨) في المطبوعة ([من] بنات). ووضع الحرف [من] بين معقوفين كزيادة يقتضيها السياق، والصواب ما أثبت. قال ابن كثير في «البداية والنهاية» ١/٢٤٣ : (وعند أهل الكتاب أنهن كن سبع بنات، وهذا أيضاً من الغلط، وكأنه كن سبعاً، ولكن إنما كان تسقى اثنتان منهن، وهذا الجمع ممكن إن كان ذاك محفوظاً، وإلا فالظاهر أنه لم يكن له سوى بنتين).

(٩) في المطبوعة (فقالوا).

(١٠) في الأصل (يا أبتي).

(١١) سورة القصص، الآية ـ ٢٦ .

فَقَالَ شُعَيْبُ عَلَيْهِ السَّلام لإحْداهما: اذْهَبِي فَادْعِيه[1]. فَذَهَبَتْ وَذَلِكَ قَوْلُه تَعالَى: ﴿... إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا...﴾[1] فَدعَتْهُ، وَتَبِعَهَا يَمْشِي خَلْفَهَا فَوَجَدَ الرِّيحَ تَلْعَبُ[2] بِأَثْوابِهَا فَوَقَفَ وَقَالَ لَهَا، امْشِي[3] مِنْ خَلْفِي وَدُلِّينِي عَلَى الطَّرِيقِ، [فَإِنَّا أَهْلُ بَيْتٍ لَا نَنْظُرُ فِي أَعْقَابِ النِّساءِ][4] فَفَعَلَتْ، وَسَارَ مُوسَى وَهِي تَدُلُّهُ عَلَى الطَّرِيقِ إِلَى أَنْ دَخَلَ مُوسَى عَلَى شُعَيْبٍ، فَقَالَ لَهُ: اجْلِسْ يَا شَابُّ وَتَعَشَّ[5]. فَقَالَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام أَعُوذُ بِاللَّهِ. فَقَالَ لَهُ شُعَيْبُ عَلَيْهِ السَّلام: وَلِمَ ذَلِكَ، أَلَسْتَ بِجَائِعٍ؟ قَالَ: بَلَى، وَلَكِن أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عِوَضاً لِمَا سَقَيْتُ لَهُمَا، فَقَالَ لَهُ[6]: [لا][7] وَاللهِ [يَا شَابّ][8] وَلَكِنَّهَا عَادَتِي [وَعَادَةُ آبَائِي نُقْرِي الضَّيْفَ وَنُطْعِمُ الطَّعَامَ[9]] [10] فَجَلَسَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام وَأَكَلَ.

قَالَ فِي «المعالم» فَعِنْدَ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ إِحْدَى ابْنَتَيْهِ ﴿... يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ...﴾[11] إلى آخرها فَقَالَ لَهُ شُعَيْبُ قَوْلُه تَعَالَى ﴿... إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هَاتَيْنِ عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمَانِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْراً فَمِنْ

---

(١) سورة القصص، الآية ـ ٢٥.

(٢) في المطبوعة (يلعب)، وقد صوبت بالهامش.

(٣) في الأصل (امش). والصواب ما أثبت.

(٤) الزيادة عن الكامل ١/ ٩٩.

(٥) في المطبوعة (وتعشى)، والصواب ما أثبت.

(٦) أي: شعيب.

(٧) زيادة يقتضيها السياق عن المعالم ٣/ ٤٤٢.

(٨) زيادة يقتضيها السياق عن المعالم ٣/ ٤٤٢.

(٩) زيادة يقتضيها السياق عن المعالم ٣/ ٤٤٢.

(١٠) وردت هذه العبارة في المطبوعة على النحو التالي: (والله، ولكنها مادتي)، ثم أشار في الهامش بقوله: آثرنا تركها على حالها.

(١١) سورة القصص، الآية ـ ٢٦.

عِندكَ . . . ﴾[1] قَالَ: وَشَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يَرْعَى أَغْنَامَهُ ثَمَانِي[2] سِنِين، وَإِنْ أَتَمَّمَهَا عَامَيْنِ أُخْرَيَيْنِ[3] فَذَاكَ مِنْ عِنْدِهِ[4].

وَلَمَّا تَعَاقَدَا قَالَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلام لِابْنَتِهِ، وَأَمَرَهَا أَنْ تُعْطِي مُوسَى عَصاً[5] فَأَعْطَتْهُ. وَأَقَامَ يَرْعَى الأَغْنَامَ إِلَى أَنْ تَمَّ الأَجَل، وَسَلَّمَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلام ابْنَتَهُ صَفُورَةَ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام فَقَالَ لَهَا مُوسَى يَوْماً: اطْلُبِي مِنْ أَبِيكِ أَنْ يَجْعَلَ لَنَا بَعْضَ الغَنَم، فَطَلَبَتْ مِنْ أَبِيهَا، فَقَالَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلام لَهَا: لَكُمَا كُلّ مَا وَلَدَتْ هَذَا العَام كُلُّ أَبْلَق وَبَلْقَاء.

فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام فِي المَنَام أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ المَاءَ الَّذِي فِي مُسْتَسْقَى[6] الأَغْنَام، فَفَعَلَ مُوسَى ثُمَّ سَقَى الأَغْنَامَ فَوَضَعَتْ كُلُّهَا[7] مَا بَيْنَ أَبْلَق وَبَلْقَاء، فَوَفَّى لَهُمْ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلام بِشَرْطِهِ، وَأَقَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام بَعْدَ ذَلِكَ الأَجَلَ عَشْرَ [حِجَج][8] أُخَر ثُمَّ اسْتَأْذَنَ شُعَيْب عَلَيْهِ السَّلام بِالمَسِيرِ إِلَى مِصْر، فَأَذِنَ لَهُ. فَخَرَجَ مُوسَى مِنْ مَدْيَنَ بِأَهْلِهِ قَاصِداً إِلَى مِصْرَ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى قَرِيبٍ[9] مِنْ جَبَلِ الطُّورِ أَتَى امْرَأَتَهُ الطَّلْقُ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿. . . آنَسَ مِن جَانِبِ الطُّورِ نَاراً قَالَ لأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَاراً لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ . . . ﴾[10].

---

(١) سورة القصص، الآية ـ ٢٧. والحجج: السنوات، واحدتها: حجة.

(٢) في المطبوعة (ثمان).

(٣) في المطبوعة (أخرى)، وقد صوبت بالهامش.

(٤) انظر المعالم ٣/٤٤٢.

(٥) ليدفع بها السباع عن غنمه، وقد اختلفوا في تلك العصا. انظر: «المعالم» ٣/٤٤٣.

(٦) في المطبوعة (مسقى)، وما أثبت عن «المعالم» ٣/٤٤٣.

(٧) في المطبوعة (فوضعوا كلهم)، وصوبت في الهامش.

(٨) زيادة يقتضيها السياق.

(٩) في الأصل (قريباً).

(١٠) سورة القصص، الآية ـ ٢٩.

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «المدارك» في التفسير: رُوِي أَنَّ شُعَيْبَ عَلَيْهِ السَّلام كَانَ عِنْدَه عِصِيّ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِم السَّلام فَقَالَ لِمُوسَى عَلَيْهِ السَّلام بِاللَّيلِ : ٱدْخُلْ ذَلِكَ البَيْتَ، فَخُذْ عَصَا مِنْ تِلْكَ العِصي. فَدَخَلَ مُوسَى وَأَخَذَ عَصاً هَبَطَ بِهَا آدَمُ مِنَ الجَنَّةِ، وَلَمْ تَزَلْ الأَنْبِيَاءُ يَتَوارَثُونَهَا حَتَّى وَقَعَتْ إِلَى شُعَيْبِ عَلَيْهِ السَّلام فَمَسَّهَا شُعَيْبٌ، وَكَانَ مَكْفُوفَ البَصَرِ، فَرَمَاهَا بِالبَيْتِ [وَضَنَّ بِهَا][1] وَقَالَ لِمُوسَى: خُذْ غَيْرَهَا، فَدَخَلَ مُوسَى فَمَا وَقَعَ فِي يَدِهِ غَيْرَهَا سَبْعَ مَرَّات فَعَلِمَ شُعَيْبٌ أَنَّ لَهُ شَأْناً، فَقَالَ لَهُ: خُذْهَا.

وَلَمَّا أَصْبَحَ الصَّبَاحُ قَالَ لَهُ شُعَيْبٌ: إِذَا بَلَغْتَ مَفْرِقَ الطُّرُقِ ، فَلَا تَأْخُذ عَلَى يَمِينِكَ فَإِنَّ الكَلأ وَإِنْ كَانَ بِهَا كَثِيراً، إِلَّا أَنَّ فِيهَا تِنِّيناً[2] أَخْشَى عَلَيْكَ وَعَلَى الغَنمِ مِنْهُ. فَسَارَ مُوسَى بِالغَنَمِ ، فَأَخَذَتْ الغَنَمُ ذَاتَ اليمِينِ وَلَمْ يَقْدِرْ مُوسَى عَلَى كَفِّهَا، فَمَشَى عَلَى إِثْرِهَا، فَإِذَا عُشْبٌ وَمَرْعَى لَمْ يَرَ مِثْلَهُ، فَنَامَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام وَالأَغْنَامُ تَرْعَى . فَأَقْبَلَ التِّنِّينُ فَحَارَبَتْهُ العَصَا حَتَّى قَتَلَتْهُ، وَعَادَتْ إِلَى جَنْبِ مُوسَى دَامِيَةً، فَانْتَبَهَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام وَأَبْصَرَهَا دَامِيَةً، وَالتِّنِّينُ مَقْتُولاً فَارْتَاحَ لِذَلِكَ، وَلَمَّا رَجَعَ لَمَسَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلام الأَغْنَام فَوَجَدَهَا مَلأى[3] البُطُون، غَزِيرَةَ اللَّبَنِ، فَأَخْبَرَهُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام بِخَبَرِ العَصَا وَالتِّنِّينِ، فَفَرِحَ شُعَيْبٌ عَلَيْهِ السَّلام وَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى وَعَلِمَ أَنَّ لِمُوسَى وَالعَصَا شَأْناً، وَقَالَ لَهُ: إِنِّي وَهَبْتُ لَكَ مِنْ نِتَاجِ غَنَمِي هَذَا العَامَ كُلَّ أَدْرَعَ وَدَرْعَاء[4]، فَأَوْحَى[5] اللَّهُ إِلَى مُوسَى فِي المَنَامِ ، أَنِ اضْرِبْ بِعَصَاكَ مُسْتَقَى الغَنَمِ ، فَفَعَلَ، ثُمَّ سَقَى الأَغْنَامَ، فَوَضَعَتْ كُلُّهُنَّ أَدْرَعاً وَدَرْعَاء، فَوَفَّى لَهُ

---

(١) الزيادة عن «المدارك» ٣/٢٣٤، وَضَنَّ: بَخِل، وفي مختار الصحاح ص ٣٨٥: ضنّ بالشيء يَضنّ بالفتح ضَناً بالكسر و (ضَنَانةً) بالفتح أي بَخِلَ. فهو (ضنينٌ) به.

(٢) في الأصل (بتينا)، والصواب ما أثبت عن «المدارك» ٣/٢٣٤.

(٣) في الأصل (ملأ).

(٤) الأدرع: الذي يخالط السواد فيها البياض.

(٥) في المطبوعة (فأوصى).

بِشَـرْطِهِ. [وَذَلِـكَ][1] قَوْلُـه تَعَالَى: ﴿فَلَمَّـا قَضَى مُـوسَى ٱلْأَجَـلَ...﴾[2] قَـالَ ﷺ «قَضَى أَوْفَاهُمَا، وَتَزَوَّجَ صُغْرَاهُمَا»[3].

قِيلَ: وَلَمَّا عَادَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام مِنْ الطُّورِ وَجَدَ امْرَأَتَهُ صَفُورَة قَدْ وَلَدَتْ ابْنَا، فَحَمَلَهَا إِلَى مِصْرَ وَأَقَامَ بِمِصْرَ يَدْعُو[4] فِرْعَوْنَ إِلَى الإِيمَانِ وَمَاتَتْ صَفُورَةُ فِي حَيَاةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام ـ.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) سورة القصص، الآية ـ ٢٩.

(٣) في الأصل (صغراهم).

(٤) في الأصل (يدعون).

[٦]

آسِيَةُ عَلَيْهَا السَّلام(*)

بِنْتُ مُزَاحِم بْنِ فَاحِثِ بْنِ لَاوِي بْنِ يَعْقُوب - عَلَيْهِ السَّلام - بْنِ إِسْحَاق - عَلَيْهِ السَّلام - بْنِ إِبْرَاهِيم الخَلِيل - عَلَيْهِ السَّلام - وَهِي ابْنَةُ عَمِّ مُوسَى - عَلَيْهِ السَّلام - وَزَوْجَةُ فِرْعَون وَاسْمُه الوَلِيدُ بْنُ مُصْعَب، [وَ](1) كَانَ أَبُوهُ يَرْعَى البَقَرَ، وَبَلَغَ مِن العُمرِ مِائة وَسَبْعِينَ سَنَةً وَلَمْ يُرْزَقْ وَلَداً، فَرَأَى بَقَرَةً يَوْماً وَلَدَتْ(2) عِجْلَة فَتَأَوَّه وَتَأَلَّم، فَنَادَتْهُ البَقَرَةُ: يَا مُصْعَبُ لاَ تَحْزَنْ فَسَيُولَدُ لَكَ وَلَدٌ مَشْؤُوم يَكُونُ مِنْ أَهْلِ جَهَنَّم.

وَرَجَع مُصْعَبُ فواقَعَ زَوْجَتَهُ، فَحَمَلَتْ بِفِرْعَون، وَمَاتَ مُصْعَبُ قَبْلَ وَضْعِهِ، وَوَلَدَتْهُ أُمُّه وَرَبَّتْه، وَتَنَقَّلَتْ بِهِ الأَحْوَالُ حَتَّى مَلَكَ مِصْر، وَطَغَى وَتَجَبَّرَ، وَادَّعَى الرُّبُوبِيـة، فَبَلَغَهُ حُسْنُ آسِيَـة وَجَمَالُهَا: فَأَرْسَـلَ إِلَى أَبِيهَـا مُزَاحِم أَخِي عِمْـرَانَ يَخْطِبُهَا، وَحَمَلَ إِلَيْهِ أَمْوَالاً وَتَزَوَّجَهَا.

وَقِيلَ: إِنَّ اللَّهَ عَصَمَهَا مِنْهُ فَكَانَ إِذَا وَاقَعَهَا تَتَشَبَّهُ بِهَا جِنِّيَةٌ(3) فَيُوَاقِعُ الجِنِّيَةَ.

(*) هي: آسية بنت مزاحم بن عبيد بن الريان بن الوليد الذي كان فرعون مصر في زمن يوسف، وقيل: إنها كانت من بني إسرائيل من سبط موسى، وقيل: بل كانت عمته. حكاه السهيلي، فالله أعلم.
انظر: البداية والنهاية ١/٣٣٩. والكامل ١/٩٥.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل (ولدة).

(٣) في الأصل (جانية).

وَذُكِرَ فِي «المَدَارِك» فِي التَّفْسِيرِ قَولهُ تَعالَى: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ...﴾[1]. رُوِيَ أَنَّهُمْ حِينَ الْتَقَطُوا التَّابُوتَ عَالَجُوا فَتْحَهُ فَأَعْيَاهُمْ، فَدَنَتْ آسِيَةُ مِنْهُ فَرَأَتْ فِي جَوْفِ التَّابُوتِ نُوراً فَعَالَجَتْهُ وَفَتَحَتْهُ فَإِذَا بِصَبِيٍّ نُورُه بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَأَحَبَّتْه[2].

وَكَانَ لِفِرْعَونَ بِنْتٌ بَرْصَاء، فَنَظَرَتْ إِلَى وَجْهِهِ فَبَرِئَتْ[3]. وَلَمَّا هَمَّ فِرْعَونُ بِقَتْلِهِ، قَالَتْ لَهُ آسِيَةُ: قُرَّةُ عَينٍ لِي وَلَكَ، فَقَالَ لَهَا فِرْعَوْنُ: لَكِ لاَ، لِي، وَفِي الحَدِيثِ: «لَوْ قَالَ كَمَا قَالَتْ لَهَدَاهُ اللَّهُ كَمَا هَدَاهَا»[4]. وَهَذَا عَلَى سَبِيلِ الفَرْضِ، أَي لَوْ كَانَ غَيْرَ مَطْبُوعٍ عَلَى قَلْبِهِ كَآسِيَةَ [لَقَالَ][5] مِثْلَ قَوْلِهَا، وَلأَسْلَمَ كَمَا [أ][6] سْلَمَتْ[7].

وَفِي «المَصَابِيح» مِنَ الحِسَانِ، عَنْ أَنَسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ العَالَمِينَ، مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَون»[8].

وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ الجَوْهَرَةِ» لِلقَّانِي المَانِعِي قَوْلُه: وَقَدْ بَسَطتُ الكَلاَمَ عَلَى مَنْ

(١) سورة القصص، الآية ـ ٩.

(٢) في المطبوعة (فأحبوه)، والصواب ما أثبت عن الكامل ١/٩٧.

(٣) في المطبوعة (فبرأت).

(٤) الحديث أورده ابن الأثير في الكامل ١/٩٧. وانظر الكشاف للزمخشري ٣/١٦٦.

(٥) زيادة يقتضيها السياق عن «المدارك» ٣/٢٢٧.

(٦) زيادة يقتضيها السياق عن «المدارك» ٣/٢٢٧.

(٧) انظر «المدارك» ٣/٢٢٧.

(٨) انظر «مصابيح السنة» ٤/٢٠٢، كتاب المناقب (٢٨)، باب ـ مناقب أزواج النبي ﷺ (١١)، الحديث رقم (٤٨٥٠)، والحديث أخرجه أحمد في مسنده ٣/١٣٥، والترمذي في سننه ٥/٧٠٣، كتاب المناقب (٥٠)، باب ـ فضل خديجة ـ رضي الله عنها ـ (٦٠٢)، الحديث رقم (٣٨٧٨) واللفظ لهما. وقال: حديث حسن صحيح. وأخرجه ابن الأثير في أسد الغابة / مع خلاف في اللفظ.

هِي أَفْضَلُ النِّسَاء فِي «شَرْحِ البَهْجَةِ» وَالَّذِي أَخْتَارُه الآنَ أَنَّ الأَفْضَلِيَّةَ مَحْمُولَة عَلَى أَحْوَالٍ، فَعَائِشَةُ أَفْضَلُهُنَّ مِنْ حَيْثُ العِلْمُ، وَخَدِيجَةُ مِنْ حَيْثُ تَقَدُّمُهَا وَإِعَانَتُهَا ـ ﷺ ـ فِي المُهِمَّاتِ، وَفَاطِمَةُ مِنْ حَيْثُ القَرَابَةُ، وَمَرْيَمُ مِنْ حَيْثُ الاخْتِلَافُ فِي نُبُوَّتِهَا وَذِكْرُهَا فِي القُرْآنِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَونَ مِنْ هَذِهِ الحَيْثِيَّةِ لَكِنْ لَمْ تُذْكَرْ مَعَ الأَنْبِيَاءِ، وَاخْتَارَ القُرْطُبِي فِي «شَرْحِ مُسْلِم» نُبُوة مَرْيَم بِنْت عِمْرَان، وَآسِيَة امْرَأَة فِرْعَون. وَقِيلَ: بِعَدَمِ نُبُوتِهِمَا كَمَا هُوَ الصَّحِيح وَعَلَيْه الأَكْثَرُون.

قَالَ اللقانِي: وَقَدْ صَحَّ الحَدِيثُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ـ مِنْ طُرُقٍ عِدَّة: «خَيْرُ نِسَاءِ العَالَمِ أَرْبَعٌ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَان، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِم امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ، وَفَاطِمَةُ»[1]، وَصَحَّ أَيْضاً مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: «أَفْضَلُ نِسَاءِ الجَنَّةِ: خَدِيجَةُ، وَفَاطِمَةُ، وَمَرْيَمُ وَآسِيَةُ»[2]. وَهُوَ يَقْتَضِي التَّسْوِيَةَ بَيْنَهُنَّ.

وَذُكِرَ فِي «المَعَالِمِ» فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا آمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ...﴾[3] وَهِي آسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِم، وَلَمَّا غَلَبَ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ السَّحَرَةَ، آمَنَتْ آسِيَةُ بِمُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ وَلَمَّا تَبَيَّنَ لِفِرْعَوْن إِسْلَامُهَا[4] أَوْتَدَ يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا بِأَرْبَعَةِ أَوْتَادٍ وَأَلْقَاهَا فِي الشَّمْسِ فَكَانَتْ تُعَذَّبُ [بِالشَّمس][5] فَإِذَا انْصَرَفُوا عَنْهَا أَظَلَّتْهَا المَلَائِكَةُ، فَكَشَفَ اللَّهُ لَهَا عَنْ بَيْتِهَا فِي الجَنَّةِ حَتَّى رَأَتْهُ، وَأَمَرَ فِرْعَونُ بِصَخْرَةٍ عَظِيمَةٍ لِتُلْقَى عَلَيْهَا، فَانْتَزَعَ اللَّهُ رُوحَهَا، فَأُلْقِيَتْ الصَّخْرَةُ عَلَى الجَسَدِ، وَلَمْ تَجِدْ أَلَماً لِذَلِكَ. وَقِيلَ: رَفَعَهَا اللَّهُ إِلَى الجَنَّةِ فَهِي فِيهَا تَأْكُلُ وَتَشْرَبُ[6].

---

(١) أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة /.

(٢) لحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخه ـ تراجم النساء ٣٧٥. وابن الأثير في أسد الغابة.

(٣) سورة التحريم، الآية ـ ١١.

(٤) في الأصل (إسلامهما)، والتصويب عن المعالم ٣٦٨/٤.

(٥) زيادة يقتضيها السياق عن المعالم ٣٦٨/٤.

(٦) انظر المعالم ٣٦٨/٤.

وَقِيلَ: إنَّ السَّحَرَةَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ كَانُوا مِائَتي[1] أَلْف وَأَرْبَعِين أَلْف وَمِائَتَيْنِ واثنين وخمسين رَجُلاً وَهُمْ مِنْ رُؤَسَاءِ السَّحَرَةِ وَكَانَ غَرَقُ فِرْعَون سَنَة ثَلاَثَة آلاف وثمانمائة وثمانية وعشرين مِنْ هُبُوطِ آدَمَ ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ وَوَفَاةُ آسِيَة قَبْلَ غَرَقِ فِرْعَوْنَ بِأعْوَامٍ قَلِيلَةٍ، نَحْوَ عَامَيْنِ أَوْ أَكْثَر، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «حُسْنِ المُحَاضَرَةِ فِي أَخْبَارِ مِصْر وَالقَاهِرَةِ»: وَقَدْ قِيلَ بِنُبُوَّةِ نِسْوَةٍ دَخَلْنَ مِصْرَ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَان، وَسَارَةُ امْرَأَةُ الخَلِيلِ، وَأُمُّ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَون[2]. وَمِمَّنْ آمَنَ مَعَ آسِيَة مَاشِطَة بِنْت فِرْعَون.

أَخْرَجَ الحَاكِمُ فِي «المُسْتَدْرَكِ» وَصَحَّحَهُ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ـ ﷺ ـ: «لَمْ يَتَكَلَّمْ فِي الْمَهْدِ إلاَّ عِيسَى، وشاهدُ يوسُف، وصاحبُ جُرَيْج، وَابْن مَاشِطَة [ابنة][3] فِرْعَون»[4]. وَرُوِي عَنْ ابْنِ عَبَّاس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ قَالَ: قَالَ ـ ﷺ ـ «لَمَّا كَانَتْ [لَيْلَةَ][5] أُسْرِيَ بِي أتيت[6] عَلَى رَائِحَةٍ طَيِّبَةٍ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرَائِيل: مَا هَذِهِ الرَّائِحَة الطَّيِّبَة؟ قَالَ: هَذِهِ رَائِحَةُ مَاشِطَة ابْنَةِ[7] فِرْعَون وَأَوْلَادِهَا، قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهَا؟ قَالَ: بَيْنَمَا هِيَ تُمَشِّطُ ابْنَةَ فِرْعَوْن، ذَاتَ يَوْمٍ، إذْ وَقَعَ المُدْرَى مِنْ يَدِهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّه، فَقَالَتْ لَهَا ابْنَةُ فِرْعَون: [أَوَ لَكِ رَبٌّ غَيْرُ][8] أَبِي؟ قَالَتْ: لاَ، وَلَكِنْ رَبِّي وَرَبّ أَبِيكِ اللَّه ـ تَعَالَى[9]. قَالَ: فَأَخْبَرَتْ

---

(١) في الأصل (مائى).

(٢) انظر: «حسن المحاضرة» ١/٥٦.

(٣) زيادة يقتضيها السياق عن «حسن المحاضرة» ١/٥٨.

(٤) الحديث أورده. السيوطي في «حسن المحاضرة» ١/٥٨.

(٥) زيادة يقتضيها السياق عن «حسن المحاضرة» ١/٥٨.

(٦) في المطبوعة (أتت). والصواب ما أثبت عن «حسن المحاضرة» ١/٥٨.

(٧) في الأصل (ابنت).

(٨) زيادة يقتضيها السياق عن «حسن المحاضرة» ١/٥٨.

(٩) لفظ الجلالة في أصل المخطوط مكرر.

أَبَاهَا بِذَلِكَ، فَدَعَاهَا وَقَالَ لَهَا: يَا فُلَانَة [أو][1] أَنَّ لَكِ رَبّاً غَيْرِي!؟ قَالَتْ: نَعَمْ، رَبِّي وَرَبُّـكَ الله. فَأَمَـرَ بِنَقْرَةٍ مِنْ نُحَـاسٍ فَأُحْمِيَتْ[2] ثُمَّ أَمَـرَ أن تُلْقَى بِهَا هِي وَأَوْلَادُهَا. فَأَلْقُوا بَيْنَ يَدَيْهَا وَاحِداً وَاحِداً إِلَى أَنْ انْتَهَى ذَلِكَ إِلَى صَبِيٍّ لَهَا رَضِيع، فَجِيءَ بِهِ فَتَقَاعَسَتْ[3] مِنْ أَجْلِهِ، فَأَنْطَقَهُ اللَّهُ تَعَالى وَقَالَ: يَا أُمَّاه[4] اقْتَحِـمِي[5] فَـإِنَّ عَذَابَ الـدُّنْيَـا أَهْـوَنُ مِنْ عَـذَابِ الآخِـرَةِ، فَـاقْتَحَمَتْ فَمَـا تَجِـدُه هُـو مِن رَائِحَتِهَا»[6].

وَذَكَرَ الرَّازِي فِي تَفْسِيرِهِ قَالَ وَهْبُ: إِنَّ فِرْعَون يُوسُف هُوَ فِرْعَون مُوسى، وَهَـذَا غَيْرُ صَحِيحٍ إِذْ كَانَ بَيْنَ دُخُولِ يُوسُف ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ مِصْر [وَمُوسَى] أَكْثَر مِنْ أَرْبَعِمَائَة سَنَةٍ. وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاق: هُو غَيْر فِرْعَون يُوسُف، فَإِنَّ فِرْعَون يُوسُف كَانَ اسْمُه الرَّيانُ بْنُ الوَلِيدِ.

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «حُسْنِ المُحَاضَرَةِ»: أَنَّ فِرْعَون مُوسَى أَقَامَ بِالمُلْكِ خَمْسَمائَة سَنَةً حَتَّى أَغْرَقَهُ اللَّهُ. وَكَـانَ قِبْطِيّاً وَاسْمُهُ طلما[7]، وَقِيلَ: كَانَ مِنْ العَمَالِقَةِ، وَكَانَ يُكَنَّى بِأَبِي مُرَّة. وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ [قَالَ][8]: كَانَ

---

(١) زيادة يقتضيها السياق عن «حسن المحاضرة» ١/ ٥٨.

(٢) في «حسن المحاضرة»: (ثم أحميت) بدلاً من (فأحميت).

(٣) في المطبوعة (فتماعست)، وما أثبت عن «حسن المحاضرة» ١/ ٥٨.

(٤) في المطبوعة (يا أمه)، وذكر في هامش «المطبوعة ما نصه: (في الأصل: يا أماه افتحي). والتصويب من المعجم المفهرس للأحاديث النبوية جـ ٥ ص: ٣٠٦). والصواب هو ما ورد بالأصل، كما أثبته بالمتن عن حسن المحاضرة ١/ ٥٨، وهو المصدر الذي نقل عنه المؤلف.

(٥) في الأصل (افتحي)، والصواب ما أثبت عن «حسن المحاضرة» ١/ ٥٨.

(٦) الحديث أورده السيوطي في «حسن المحاضرة» ١/ ٥٨، وأخرجه أحمد في مسنده ١/ ٣٧ والبزار، والطبراني.

(٧) في المطبوعة (طلمى)، والصواب ما أثبت عن «حسن المحاضرة» ١/ ٤٢، كما أشار محقق كتاب «حسن المحاضرة» في الهامش بقوله: (كذا في فتوح مصر ١٩، وفي الأصول: «ظلمى»).

(٨) الزيادة عن حسن المحاضرة ١/ ٤٢.

فِرْعَوْنُ مُوسَى أثرم. وَقِيلَ: مَكَثَ فِرْعَوْنُ أَرْبعمائَة سَنَةً الشَّبَابُ يَغْدُو عَلَيْهِ وَيَرُوحُ، وَقِيلَ: مَكَثَ أَرْبعمائَة سَنَةً لَمْ يُصْدَعْ لَهُ رَأْسٌ، وَكَانَ يَمْلِكُ مَا بَيْنَ مِصْر [إلَى] [1] إفْرِيقيَة، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاس ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ـ كَانَ يَقْعُدُ عَلَى كَرَاسِي فِرْعَون مَائتَان عَلَيْهِمْ الدِّيبَاج وَأَسَاوِر الذَّهَب [2].

وَذَكَر فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِي فِي تَفْسِيرِه: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ غَرَقَ فِرْعَون وَالقِبْط أَمَرَ مُوسَى ـ عَلَيْهِ السَّلام [3] ـ بَنِي إِسْرَائِيل أَنْ يَسْتَعِيرُوا حُلي القِبْطِ لِيَخْرُجُوا خَلْفَهُمْ بِطَلَب [4] المَالِ، وَلِتَبْقَى أَمْوَالُهُمْ فِي أَيْدِي بَنِي إِسْرَائِيل، ثُمَّ نَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِالعَشِي فَقَالَ لِمُوسَى: أَخْرِجْ قَوْمَكَ لَيْلاً، وَكَانُوا ستمائة أَلْفَ نَفْس. فَلَمَّا خَرَجَ بِهِمْ، بَلَغَ فِرْعَون ذَلِكَ، فَقَالَ فِرْعَونُ: لَا تَتْبَعُوهُمْ حَتَّى يَصِيحَ الدِّيكُ، وَمَا صَاحَ لَيْلَتَهُ دِيكٌ. فَلَمَّا أَصْبَحُوا، قَالَ قَتَادَة: اجْتَمَعَ إِلَيْهِ أَلْفَ أَلْف ومائتا ألف نفس مِنَ القِبْطِ، كُلّ وَاحِد عَلَى فَرْسٍ حُصَان. فَتَبِعُوهُمْ نَهَاراً، وَذَلِكَ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿**فَأَتْبَعُوهُم مُّشْرِقِينَ**﴾ [5] أَيْ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ ﴿**فَلَمَّا تَرَآءَى ٱلْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّآ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ**﴾ [6]، فَلَمَّا سَارَ بِهِمْ مُوسَى وَأَتَى البَحْرَ قَالَ لَهُ يُوشَعُ ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ أَيْنَ أَمَرَكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ لَهُ: إِلَى أَمَامِكَ، وَأَشَارَ إِلَى البَحْرِ، فَاقْتَحَمَ يُوشَعُ البَحْرَ بِفَرَسِهِ فَسَبَحَ بِهِ الفَرَسُ، ثُمَّ رَجَعَ وَقَالَ لَهُ: يَا مُوسَى أَيْنَ أَمَرَكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: البَحْرَ. فَفَعَلَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ فَأَوْحى اللَّهُ إِلَى مُوسَى: ﴿... **أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ**...﴾ [7] الآية، فَانْشَقَّ البَحْرُ اثني عشر جَبَلاً فِي كُلّ وَاحِد

---

(١) في المطبوعة (و) وما أثبت عن حسن المحاضرة ١/ ٤٣.

(٢) انظر حسن المحاضرة ١/ ٤٢ ـ ٤٣.

(٣) في الأصل (وسلم).

(٤) في الأصل (يطلب).

(٥) سورة الشعراء، الآية ـ ٦٠.

(٦) سورة الشعراء، الآية ـ ٦١: ٦٢.

(٧) سورة الشعراء، الآية ـ ٦٣.

الطَّرِيق، فقَالَ لَهُ: ادْخُلْ. وَهَبَّتْ(١) الصّبا فَجَفَّ البَحْرُ وَصارَ كُلُّ طَرِيقٍ يَابِساً، وَأَخَذَ كُلُّ سِبْطٍ مِنْهُمْ طَرِيقاً، فقَالَ لِمُوسَى: إِنَّ بَعْضَنَا لاَ يَرَى صَاحِبَهُ، فَضَرَبَ البَحْرَ بِعَصَاهُ فَصارَ بَيْنَ الطُّرُقِ مَنافِذ وَكُوى يَرَى بَعْضُهُمْ بَعْضاً(٢)، ثُمَّ أَتْبَعَهُمْ فِرْعَون فَرَأَى إِبْلِيسَ وَاقِفاً وَنَهَاهُ عَنْ الدُّخولِ فَهَمَّ بِالرُّجُوعِ فَجَاءَ جِبْرَائِيلُ عَلَى مُهْرَة أَمَامَ فِرْعَون، وَكَانَ فِرْعَوْنُ عَلَى فَحْلٍ فَتَبِعَهُ، وَدَخَلَ فِرْعَونُ البَحْرَ فَصَاحَ مِيكَائِيلُ - عَلَيْهِ السَّلام - بِهِمْ: أَلْحِقُوا، آخِرَكُمْ بِأَوَّلِكُمْ، فَلَمَّا دَخَلُوا البَحْرَ كُلّهم أَمَرَ اللَّهُ البَحْرَ فَنَزَلَ عَلَيْهِم الماء، فذاك قوله تعالى: ﴿... **وأَغْرَقْنَا آل فِرْعَوْنَ وأَنْتُمْ تَنْظُرُون**﴾(٣) ذلك يوم عاشوراء فصام موسى شكراً لله تعالى.

وَذُكِرَ فِي «الكَشَّافِ» قَوْلُه تَعَالَى ﴿**فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ في المَدَآئِنِ حَاشِرِينَ**﴾(٤) قِيلَ: إِنَّهُ مَاتَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فِي كُلِّ بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِهِم وَلَدٌ فَاشْتَغَلُوا بِمَوْتَاهُمْ حَتَّى خَرَجَ مُوسَى بِقَوْمِهِ، وَرُوِيَ أَنَّ اللَّهَ أَوْحَى لِمُوسَى، أَنِ اجْمَعْ بَنِي إِسْرَائِيل كُلَّ أَرْبَعَةِ أَبْيَات [فِي بَيْت ثُمّ](٥) يَذْبَحُوا جِذْيا(٦)، وَاضْرِبُوا بِدَمِهَا عَلَى أَبْوَابِكُمْ فَإِنِّي سَآمُرُ المَلاَئِكَةَ أَنْ لاَ يَدْخُلُوا [بَيْتاً](٧) عَلى بَابِهِ دَم، وَسَآمُرُهُمْ بِقَتْلِ أَبْكَارِ القِبْطِ، وَاخْبِزُوا خُبْزاً فَطِيراً؛ فَإِنَّهُ أَسْرَعُ لَكُمْ، ثُمَّ أَسْرِ(٨) بِعِبَادِي(٩) وَقِيلَ: إِنَّ بَنِي إِسْرَائِيل لَمَّا خَرَجُوا مِنَ البَحْرِ قَالُوا لِمُوسَى - عَلَيْهِ السَّلام - وَذَلِكَ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿... **اجْعَلْ لَنا إِلهاً كَمالَهُم آلِهَةٌ...**﴾(١٠) وَقِصَّتُهُمْ مَشْهُورَةٌ، وَمِن الجَدّ المُفْحِمِ قِيلَ: إِنَّ رَجُلاً

---

(١) في الأصل (وهيب).

(٢) في الأصل (بعض).

(٣) سورة البقرة، الآية - ٥٠.

(٤) سورة الشعراء، الآية - ٥٣.

(٥) الزيادة: عن «الكشاف» ٣/١١٥.

(٦) في الأصل (جدى).

(٧) زيادة يقتضيها السياق عن «الكشاف» ٣/١١٥.

(٨) في المطبوعة (أسرى).

(٩) انظر «الكشاف» ٣/١١٥.

(١٠) سورة الأعراف، الآية - ١٣٨.

مِنَ اليَهُودِ قَالَ يَوْماً لِعَلِيّ بْنِ أبِي طَالِبٍ ـ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ ـ: مَا دَفَنْتم نَبِيكم حَتى قَالَتَ الأَنْصَارُ: مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُم أَمِير، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ بْنُ أَبِـي طَالِب ـ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ـ: أَنْتُمْ مَا جَفَّتْ أَقْدَامُكُمْ مِنْ مَاءِ البَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِمُوسَى **﴿اجْعَل لَنَا إِلَهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ﴾**(١)، انْتَهَى وَاللَّهُ أَعْلَم(٢).

---

(١) سورة الأعراف، الآية ـ ١٣٨.

(٢) انظر الكشاف ٢/٨٧.

[٧]

زُلَيْخا زَوْجَة يُوسُف ـ عَلَيْهِ السَّلام

كَانَ اسْمُهَا رَاعِيل، وَكَانَ اسْمُ زَوْجِهَا الأَوَّل قَطْفِير، وَكَانَ عَلَى خَزَانَةِ الرَّيَّان ابْنِ الوَلِيدِ صَاحِب مِصْر، وَهُوَ الَّذِي اشْتَرَى يُوسُفَ ـ عَلَيْهِ السَّلام ـ مِنَ القَافِلَةِ الَّتِي أَخْرَجَتْهُ(١) مِنَ الجُبِّ، وَجَعَلَهُ قَطْفِير مِثْل وَلَدِه، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ، فَأَحَبَّتْهُ زَوْجَته.

ومما قيل في كتاب «معالم التنزيل» للإمام البغوي رحمه الله تعالى أ.هـ، في تفسير قول الله تعالى: ﴿ولقد همت به وهم بها . . . ﴾(٢).

---

(١) في الأصل (أخرجوه).

(٢) سورة يوسف، الآية ـ ٢٤.

[هذا الكلام في تفسير الآية هو باطل من الإسرائيليات التي روّجها اليهود قَتَلَةُ الأنبياء في الإفتراء على أنبياء الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ومن المؤسف أن نرى ذلك في بعض المؤلَّفات في التفسير وغيرها وقد نُسبت إلى أئمة الهدى والدين كابن عباس ترجمان القرءان رضي الله عنه وتلامذته الأعلام رحمهم الله وهو محض افتراء عليهم لا يصح ولا يثبت نقلاً عنهم كما لم يصح بذلك الخبر عن النبي المعصوم ﷺ المبلّغ لأمته ما يُوحى إليه من أخبار إخوانه الأنبياء وقصص الأمم السالفة. والذي يجب أن يُعتقد أن الله تبارك وتعالى عصم نبيّه يوسف عليه السلام ونزهّه عن الفاحشة وحماه عنها وصانه منها كما صان وعصم سائر أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام لأن الأنبياء كما أجمع علماء الإسلام تجب لهم الصيانة فيستحيل عليهم الرذائل والسفاهة والجبن ولهذا قال الله تبارك وتعالى في حق يوسف عليه السلام نافياً عنه السوء والفحشاء ومطهّراً إياه من قصد الفاحشة والهمّ بالزنى وكذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنه من عبادنا المخلَصين بسورة يوسف، ولذلك لا يصح ما يُروى عن بعض المفسرين كما ذكر هنا=

وَقَالَ ابْنُ زَيْد: كَـانَ لِمَلِكِ مِصْر خَـزَائِنُ كَثِيرة، فَسَلَّمَهَـا لِيُوسُف ـ عَلَيْـهِ السَّلام ـ وَمَاتَ قَطْفِيرُ ثُمَّ تَزَوَّجَ يُوسُفُ زُلَيْخَا، وَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا قَالَ لَهَا: أَلَيْسَ هَذَا خَيْراً مِمَّا كُنْتِ تُرِيدِينَ؟ فَقَالَتْ لَـهُ: أَيُّهَا الصِّدِّيق لاَ تَلُمْنِي، فَإِنِّي كُنْتُ امْرَأَةً حَسْنَاء نَاعِمَة كَمَا تَرَى فِي مُلْكٍ وَدُنْيَا، وَكَانَ صَاحِبِي لاَ يَأْتِي النِّسَاءَ، وَكُنْتَ كَمَا جَعَلَكَ اللَّهُ فِي حُسْنِكَ وَهَيْئَتِكَ فَغَلَبَتْنِي نَفْسِي، وَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا يُوسُف ـ عَلَيْـهِ السَّلام ـ وَجَدَهَا عَذْرَاء فَأَصَابَهَا، فَوَلَدَتْ لَهُ غُلاَمَيْنِ فِي بَطْنَيْنِ أَحَـدُهُمَا إِفْـرَائِيم وَالآخرَمِيشَا.

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «كَشْفِ الأَسْرَارِ» مَا مَعْنَى قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا﴾(١) قِيلَ: هَمَّتْ بِهِ حَرَاماً وَهَمَّ بِهَا حَلاَلاً، هَمَّتْ بِهِ سِفَاحاً وَهَمَّ بِهَا نِكَاحاً، وَقِيلَ: هَمَّتْ بِهِ بِالْمُضَاجَعَةِ وَهَمَّ بِهَا بِالْمُدَافَعَةِ، وَقِيلَ: هَمَّتْ بِهِ شَهْوَةً وَهَمَّ بِهَا مَوْعِظَةً.

= عن صاحب المعالم أنّ يوسف عليه السلام حلّ السراويل وقعد منها مقعد الرجل من امرأته فإن هذا باطل لا يليق بنبي من أنبياء الله تعالى الذين أكرمهم واصطفاهم وطهرهم عن الرذائل ليكونوا أهلاً لرسالاته التي أمرهم الله بتبليغها للناس وكذلك لا يصح أيضاً وهو باطل ما جاء في تفسير الجلالين وغيره أن يوسف عليه السلام قصد الزنى بها فإنه لو كان حصل هذا من يوسف لكان فيه دليلٌ على العزم والأنبياء وصلوات الله عليهم معصومون من العزم على الزنى والفاحشة ومقدّماتها قال تعالى في بيان براءة نبيّه يوسف عليه السلام ﴿**قالت امرأت العزيز الآن حصحص الحقُ أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين**﴾ سورة يوسف، وأما قوله تعالى: ﴿**ولقد همّت به وهمَّ بها لولا أن رءا برهان ربه**﴾ سورة يوسف فمعناه أن امرأة العزيز همَّت بأن تدفعه إلى الأرض لتتمكن من قضاء شهوتها بعد وقوعه على الأرض وهو همَّ بأن يدفعها عنه ليتمكن من الخروج من الباب لكن لم يفعل هو لأنّ الله ألهمه أنه إن دفعها لكان ذلك حجّة عليه بزعمها عند أهلها بأن يقولوا إنما دفعها ليفعل بها الفاحشة وهذا معنى قوله تعالى: ﴿**لولا أن رءا برهان ربه**﴾ سورة يوسف أي لولا أنه رأى برهاناً من الله لدفعها ولذلك لم يدفعها بل أدار لها ظهره ذاهباً إلى الباب. والله أعلم].

(١) سورة يوسف، الآية ـ ٢٤.

وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ الجَوْهَرَةِ»: الفَرْقُ بَيْنَ الهَمِّ وَالعَزْمِ، [وَ][1] يُعْرَفُ أَنَّه لاَ مُؤَاخذَةَ عَلَى يُوسُفَ لأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ إِلاَّ الأَوَّلُ لاَ الثَّانِي. كَذَا قِيلَ. وَالتَّحْقِيقُ أَنَّهُ لَمْ يَقَعْ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلام وَلاَ غَيْرُهَا[2]. وَالآيَةُ عِنْدَ أَبِي حَاتِمٍ وَغَيْرِه مَحْمُولَةٌ عَلَى الحَذْفِ وَالتَّقْدِيمِ وَالتَّأْخِيرِ وَالتَّقْدِيرِ: ﴿... **لَوْلاَ أَنْ رَأى بُرْهَانَ رَبِّهِ**...﴾[3] أي لَوْلاَ رُؤيَة[4] البُرْهَانِ لَهَمَّ بِـهَا، لَكِنَّهُ لَمْ يَهُمْ لأَنَّهُ رَآه.

وَذُكِرَ فِي «تَأْرِيخِ ابْنِ الوَرْدِي»: أَنَّ مَالِكَ بْنَ دِعْرَ اشْتَرَى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلام مِنْ إِخْوَتِهِ بِثَمَنٍ بَخْسٍ، قِيلَ: عِشْرُونَ دِرْهَماً، وَقِيلَ: أَرْبَعُونَ، وَذَكَرُوا: أَنَّهُ[5] عَبْدُهُمْ وَقَدْ أَبِقَ فَخَافَهُمْ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلام وَلَمْ يَذْكُرْ حَالَه لَهُمْ فَسَارَ بِهِ مَالِكٌ إِلَى مِصْر وَبَاعَهُ إِلَى العَزِيزِ الَّذِي عَلَى خَزَائِنِ الرَّيَّانِ، فَأَحْضَرَهُ إِلَى زَوْجَتِهِ زُلَيْخَا وَلَمْ يَكُنْ لَهُمَا وَلَدٌ فَقَالَ لِزُلَيْخَا: ﴿... **أَكْرِمِي مَثْوَاهُ**...﴾[6] الآيَة.

فَهَوَتْهُ زُلَيْخَا وَكَتَمَتْ حُبَّهُ ثُمَّ أَظْهَرَتْهُ وَرَاوَدَتْهُ عَنْ نَفْسِهِ فَامْتَنَعَ وَهَرَبَ فَلَحِقَتْهُ وَقَبَضَتْهُ مِنْ قَمِيصِهِ فَانْقَدَّ، وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَى البَابِ. فَلَمَّا رَأَتْهُ زُلَيْخَا لَطَمَتْ عَلَى وَجْهِهَا وَقَالَتْ: إِنَّ هَذَا يُوسُفَ رَاوَدَنِي عَنْ نَفْسِي فَأَنْكَرَ يُوسُفُ، فَهَمَّ العَزِيزُ بِقَتْلِهِ، وَكَانَ عِنْدَه طِفْلُ ابْنِ شَهْرَينِ، وَهْوَ ابْنُ دَايَةِ زُلَيْخا، فَقَالَ لِلْعَزِيزِ لاَ تَعْجَلْ فـ﴿... **إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الكَاذِبِينَ * وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ**﴾[7].

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل (غيرهم).

(٣) سورة يوسف، الآية ـ ٢٤.

(٤) في الأصل (رواية)، والصواب ما أثبت.

(٥) في الأصل (ذكرو انه)، والصواب ما أثبت.

(٦) سورة يوسف، الآية ـ ٢١.

(٧) سورة يوسف، الآيتان ـ ٢٧ : ٢٨.

فَنظَرَ العَزِيزُ فَإِذَا القَمِيص قُدَّ مِنْ دُبُرٍ، فَظَهَرَ [تْ بَراءَةُ][1] يُوسُف.

وَبلَغ زُلَيْخا أَنَّ نِسْوَةً مِنْ نِسَاءِ الأَكَابِرِ قَدْ عِبْنَهَا عَلَى فِعْلِهَا، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ، وَأَحْضَرَتْهُنَّ وَأَعْطَتْ كُلَّ وَاحِدَة مِنْهُنَّ سِكِّيناً وَأُتْرُجَةً، وَزَيَّنَتْ يُوسُفَ وَأَخْرَجَتْهُ عَلَيْهِنَّ. فَلَمَّا رَأَيْنَهُ دُهِشْنَ بِهِ وَهُنَّ يُقَطِّعْنَ فِي الأُتْرُج، فَقَطَّعْنَ أَيْدِيهُنَّ، وَتَلوَّثَتْ بِالدِّمَاءِ وَلَمْ يَشْعُرْنَ. فَقَالَتْ زُلَيْخا لَهُنَّ ﴿... فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ...﴾[2] وَقِيلَ: إِنَّ النِّسَاءَ خَلَوْنَ فِي يُوسُفَ لِيَعْذِلْنَهُ فِي زُلَيْخا فَرَاوَدَتْهُ كُلُّ وَاحِدَة مِنْهُنَّ عَنْ نَفْسِهَا، فَأَبَى[3]، ثُمَّ انْصَرفْنَ، وَمَا زَالَتْ زُلَيْخا تَشْكُو يُوسُف إِلَى زَوْجِهَا وَتَقُولُ: إِنَّهُ يَقُولُ لِلنَّاسِ إِنِّي رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِي، وَقَدْ فَضَحَنِي بَيْنَ النَّاسِ. فَحَبَسَهُ العَزِيزُ.

ثُمَّ إِنَّ فِرْعَوْنَ مِصْر الرَّيان غَضِبَ عَلَى السَّاقِي وَالخَبَّازِ فَحَبَسَهُمَا عِنْدَ يُوسُف. فَرَأَى كُلٌّ مِنْهُمَا رُؤيا وَقَصَّهَا[4] عَلَى يُوسُف، وَقَدْ اقْتَرَحَاهُمَا[5] لِيَخْتَبِرَا يُوسُف، فَعَبَّرَ لَهُمَا يُوسُفُ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي القُرْآنِ: ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي...﴾[6] فَلَمَّا عَبَّرَهُمَا لَهُمَا، فَقَالاَ لَهُ: عَجَباً مِنْكَ تُعَبِّرُ لَنَا رُؤيَتَيْنِ كَاذِبَتَيْنِ! فَقَالَ يُوسُفُ قَوْلَه تَعَالى: ﴿... قُضِيَ الأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾[7] وَبَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ رَضِيَ فِرْعَوْنُ عَنِ السَّاقِي وَأَعَادَهُ، وَصُلِبَ الخَبَّازُ، وَلَبِثَ يُوسُفُ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينٍ، يَعْنِي سَبْع سِنِين، وَقِيلَ: اثْنَي عَشْر سَنَةً بِعَدَدِ الحُرُوفِ الَّتِي قَالَهَا لِلسَّاقِي وَهْي قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿... اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ...﴾[8] ثُمَّ إِنَّ الرَّيَّانَ

---

(١) في الأصل (فظهر برات).

(٢) سورة يوسف، الآية ـ ٣٢. وفي الأصل (فَذَلِكَ) بدلاً من (فَذَلِكُنَّ).

(٣) في الأصل (فابا).

(٤) في الأصل (وقصدهما)، والصواب ما أثبت.

(٥) في الأصل (اقتدموهما)، والصواب ما أثبت.

(٦) سورة يوسف، الآية ـ ٣٦. وفي الأصل (أرى) بدلاً من (أراني).

(٧) سورة يوسف، الآية ـ ٤١.

(٨) سورة يوسف، الآية ـ ٤٢.

رَأى الرُّؤيا فَتَذَكَّرَ السَّاقِي يُوسُفَ فَوَصَفَهُ لِلرَّيَّانِ فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ فَعَبَّرَهَا لَهُ، ثُمَّ أَحْضَرَهُ وَأَعْجَبَهُ حُسْنُه فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ.

وَمَاتَ العَزِيزُ فَجَعَلَ الرَّيانُ يُوسُفَ مَكَانَه، فَأَحْسَنَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلام السِّيَاسَة، وَجَمَعَ الأَقْوَاتَ فِي تِلْكَ السَّبْعِ سِنِين، فَلَمَّا جَاءَتْ أَيَّامُ القَحْطِ إِلَى أَرْضِ كَنْعَان، وَبَاعَتْ زُلَيْخَا جَمِيعَ ضِيَاعِهَا وَصَرَفَتْ جَمِيعَ مَالِهَا وَافْتَقَرَتْ، فَجَاءَتْ تَسْتَطْعِمُ يُوسُف فَعَرَفَهَا، فَرَدَّهَا إِلَى مَنْزِلِهَا وَرَدَّ عَلَيْهَا ضِيَاعَهَا وَأَمْوَالَهَا وَأَمْلاكَهَا وَأَرْسَلَ إِلَيْهَا طَعَاماً كَثِيراً، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ رَبَّهُ فِي زَوَاجِهَا فَأَذِنَ لَهُ فَتَزَوَّجَهَا يُوسُفُ وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهَا حُسْنَهَا وَجَمَالَهَا، وَدَخَلَ عَلَيْهَا فَوَجَدَهَا عَذْرَاءَ، وَوَلَدَ مِنْهَا وَلَدَيْنِ، إِفْرَائِيم وَمِيشَا.

وَذَكَرَ الرَّازِي فِي تَفْسِيرِهِ: قَالَ وَهْبُ: إِنَّ فِرْعَونَ يُوسُف هو فِرْعَون مُوسَى، وَهَذَا غَيْر صَحِيحٍ، إِذْ كَانَ بَيْن دُخُول يُوسُف مِصْر وَمُوسَى أَكْثَرُ مِنْ أَرْبَعمَائَة سَنَةً، وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاق: هُوَ غَيْر فِرْعَون مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام فَإِنَّ فِرْعَونَ يُوسُف اسْمُه الرَّيَّانُ بْنُ الوَلِيدِ.

وَذُكِرَ فِي كِتابِ «تَارِيخِ الأَنْبِياءِ وَالدُّوَلِ»: قَالَ ابْنُ[١] عَبْد الحَكِيمِ: اشْتَدَّ الجُوعُ بِمِصْرَ فَاشْتَرَى يُوسُفُ مِنْ أَهْلِ مِصْرَ الفِضَّةَ وَالذَّهَبَ بِالطَّعَامِ، ثُمَّ اشْتَرَوا بِأَغْنَامِهِمْ وَمَوَاشِيهِمْ حَتَّى لَمْ يَبْقَ لَهُمْ شَيءٌ فِي سَنَتَيْنِ، وَفِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ اشْتَرَى أَرْضَهُم كُلَّهَا لِفِرْعَوْن.

وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: فَوَّضَ الرَّيَّانُ إِلَى يُوسُف تَدْبِيرَ المُلْك وَهُوَ ابْنُ ثَلاثِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: أَوْحَى اللَّهُ إِلَى يُوسُف فِي الصِّغَرِ كَمَا أَوْحَى إِلَى يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلام وَأُلْقِيَ فِي الجُبِّ، وَعُمره سَبْع عشرة سَنَةً، وَاجْتَمَعَ مَعَ أَبِيهِ وَأُمِّهِ وَإِخْوَتِهِ بَعْدَ انْقِضَاءِ خَمْسَ عَشْرَة سَنَةً، وَذَلِكَ سَنة ثَلاثَة آلاف وَستمائة وثلاث عشرة سنة مِنْ هُبُوطِ آدم عَلَيْهِ السَّلام وَتُوفِّيَتْ زُلَيْخَا فِي حَيَاةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلام

---

(١) في الأصل (بن).

وَدُفِنَتْ فِي مِصْرَ، ثُمَّ تُوفِّي يُوسُف وَدُفِنَ بِمِصْر نَحْوَ ثَلاثَمائَة سَنَةً، ثُمَّ حُمِلَ إِلَى بَيْتِ المَقْدِسِ، وَعَاشَ مائة وعشرين سَنَةً.

وَقِيلَ: إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلام لَمَّا أُلْقِي فِي الجُبِّ دَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ وَهُوَ قَوْلُه: يَا عِدَّتِي فِي شِدَّتِي، وَيَا مُؤْنِسي فِي وَحْشَتِي، وَيَا رَاحِمَ عَبْرَتِي، وَيَا كَاشِفَ كُرْبَتِي، وَيَا مُجِيبَ دعوَتِي، وَيَا إِلَهِي وَيَا إِلَه آبَائِي: إِبْرَاهِيم وَإِسْحَاق وَيَعْقُوب، ارْحَمْ صِغَرَ سِنِّي وَضَعْفَ رُكْنِي وَقِلَّةَ[1] حِيلَتِي يَا حَيُّ يَا قَيُّوم يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ.

وَذُكِرَ فِي «كَشْفِ الأَسْرَارِ» قَوْلُه: لِمَ قَطَّعْنَ أَيْدِيهِنَّ وَلَمْ تَقْطَعْ زُلَيْخَا يَدَيْهَا؟ قِيلَ: لِأَنَّ يُوسُفَ كَانَ فِي مَنْزِلِهَا، وَلَمْ تَخَفْ الفِرَاقَ، وَهُنَّ قَطَّعْنَ أَيْدِيهِنَّ لِلفِرَاقِ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُنَّ كُنَّ يَغْبُنَّ زُلَيْخَا، وَلِلْبَغْي مَصْرَع وَيُقَالُ قَطَّعْنَ أَيْدِيهِنَّ لِدَهْشَتِهِنَّ، وَالمَدْهُوشُ لَا يُدْرِكُ [وَ][2] مَا يَعْقِلُ.

ـ وَقَالَ الكِرْمَانِي فِي «العَجَائِبِ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ...﴾[3] قِيلَ: هِي قِصَّةُ يُوسُف لِاشْتِمَالِهَا عَلَى حَاسِدٍ وَمَحْسُود، وَمَالِكٍ وَمَمْلُوك، وَشَاهِدٍ وَمَشْهُود، وَعَاشِقٍ وَمَعْشُوق، وَحَبْسٍ وَإِطْلَاق، وَسَجْنٍ وَخَلَاص، وَخِصْبٍ وَجَدْبٍ[4] وَغَيْرِهَا.

وَقَالَ فِي «خُلَاصَةِ الإِتْقَانِ»: وَقَدْ صَحَّحَ الحَاكِمُ النَّهْي عَنْ تَعْلِيمِ سُورَة يُوسُفَ لِلنِّسَاءِ، وَعَنِ الحَسَن: أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلام أُلْقِيَ فِي الجُبِّ وَهُوَ ابْن اثْنَتِي عَشْرَة سَنَةً، وَلَقِي أَبَاهُ بَعْدَ الثَّمَانِين، وَتُوفي وَلَهُ مائة وعشرون سَنَةً، وَاللَّهُ أَعْلَم.

---

(١) في الأصل (وقلت).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) سورة يوسف، الآية ـ ٣.

(٤) في الأصل (وجذب)، وهو تصحيف.

[٨]

رَحْمَةُ(١)

بِنْتُ أَفْرَائِيم بْنِ يُوسُف عَلَيْه السَّلام بْنِ يَعْقُوب عَلَيْهِ السَّلام بْنِ إِبْرَاهِيم الخَلِيل عَلَيْهِ السَّلام وَهْي زَوْجَةُ أيوب عَلَيْهِ السَّلام بْنِ مَوْهِبِ بْنِ تَارِيخِ بْنِ كُرُومِ بْنِ العَيصِ بْنِ إِسْحَاق عَلَيْهِ السَّلام بْنِ إِبْرَاهِيم الخَلِيل عَلَيْهِ السَّلام وَأُمُّ أيُّوب عَلَيْه السَّلام بِنْتُ لُوطٍ عَلَيْهِ السَّلام. وَتَزَوَّجَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلام رَحْمَةَ وَلَهُ حشمة وَأَمْوَال وَإِبِل وَبَقَر وَغَنَم وَخَيْل وَبِغَال وَحَمِير، وَلَهُ خَمسمَائَة فَدَّان يَتْبَعُها خَمْسمَائَةِ عَبْد لِكُلِّ عَبْدٍ امْرَأَة وَوَلَد. وَبَعَثَهُ اللَّهُ رَسُولاً لَمَّا بَلَغَ مِنَ العُمْرِ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِلَى أَهْلِ البَثَنِيَّةِ(٢) مِنْ الجُولاَنِ مِنْ بِلاَدِ دِمشْقَ وَالجَابِيَة.

وَذُكِرَ فِي «الجَامِع» قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(٣) وَكَانَ نَبِياً مُرْسَلاً صَاحِبَ أَنْعَامٍ وَحَرْثٍ وَأَوْلاَدٍ، فَابْتَلاه اللَّهُ بِذَهَابِ كُلِّهَا، وَهَلاَكِهَا، ثُمَّ ابْتَلاهُ بِجَسَدِهِ فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ سَلِيمٌ سِوى قَلْبِهِ وَلِسَانِهِ يَذْكُرُ بِهِما رَبَّهُ وَيُقَالُ: إِنَّها احْتَاجَتْ فَصَارَتْ تَخْدُمُ النَّاسَ مِنْ أَجْلِهِ، وَقَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ﴾(٤) بِإِحْيَاءِ مَنْ مَاتَ مِنْ أَوْلاَدِهِ، أَوْ أَعْطَاه مِثْلَهُمْ مِن الأَوْلاَدِ، قِيلَ: إِنَّهُ قِيلَ لَهُ: إِنَّ أَهْلَكَ فِي الجَنَّةِ إِنْ

---

(١) انظر تاريخ الطبري ١/٣٢٢.

(٢) في المطبوعة (الثنية)، والصواب ما أثبت عن تاريخ الطبري ١/٣٢٢، والكامل ١/٧٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ـ ٨٣.

(٤) سورة الأنبياء، الآية ـ ٨٤.

شئت أتيناك بهم وإن شئت تركناهم لك فيها ، وعوّضناك مثلهم في الدُّنيا، فاختار الثَّانية.

وذكر في كتاب «كشف الأسرار»: لمَّا قصدت رحمة زوجة أيوب أن تقطع ذوائبها[1] فعرف أيُّوب ذلك، حلف غضباً لِلَّهِ تعالَى لأنَّ امرأته كانت مُحرمة وطلبت قطع ذوائبها، فأبى وحلف، ولذلك لمَّا عوفي قا[ل][2] له تعالَى: ﴿وخُذْ بيدك ضِغْثاً فاضْرِبْ به ولاَ تحْنَثْ...﴾[3] ثمَّ أمطر اللَّه عليه جرّاداً من ذهب، وذلك عوضاً عن البلاء الذي أصاب جسمه، ولم يسلم سوى لسانه وقلبه.

وذكر في «المدارك» في تفسير قوله تعالَى: ﴿... وآتيناه أهلَه ومِثْلَهم معهم...﴾[4] وروي، أنَّ أيُّوب عليه السَّلام وكان له من البنين سبعون[5]، ومن البنات سبعة، وله ثلاثة آلاف[6] بعير، وسبعة آلاف شاةٍ، وخمسمائة عبدٍ لكل عبدٍ امرأة وولد، فابتلاه اللَّه بذهاب أولاده وماله، وتمرَّض[7] في بدنه ثماني عشرة سنةً، أو ثلاث عشرة سنةً، أو ثلاث سنين، فقالت له امرأته رحمة يوماً: لو دعوت اللَّه عزَّ وجلَّ فقال لها: كم كانت مُدَّة الرَّخاء؟ فقالت: ثمانين سنةً، فقال: أنا أستحي من اللَّه أن أدعوه، وما بلغت مُدَّة بلائي مُدَّة[8] رخائي[9]، فلمَّا

(١) في الأصل (دوايبها) بدلاً من (ذوائبها).
(٢) زيادة يقتضيها السياق، وفي الأصل وردت هكذا (قالة).
(٣) سورة ص، الآية - ٤٤.
(٤) سورة الأنبياء، الآية - ٨٤.
(٥) في المطبوعة (سبعون)، والصواب ما أثبت عن «المدارك» ٣/٨٦.
(٦) في الأصل (ألف)، والصواب ما أثبت عن «المدارك» ٣/٨٦.
(٧) في المطبوعة (تمرض)، والصواب ما أثبت عن «المدارك» ٣/٨٧.
(٨) في الأصل (مدت) بدلاً من (مدة).
(٩) في المطبوعة (رخاء)، والصواب ما أثبت عن «المدارك» ٣/٨٧.

كَشَفَ اللَّهُ عَنْهُ أَحْيَا أَوْلَادَهُ وَرَزَقَهُ مِثْلَهُمْ مَعَهُمْ(١).

وَذُكِرَ فِي «الإِتْقَانِ»: قَالَ ابْنُ أَبِي خَيْثَمَةَ: كَانَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلام بَعْدَ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلام وَابْتُلِيَ وَهُوَ ابْنُ سَبْعِينَ سَنَةً وَمُدَّةُ بَلَائِهِ سَبْع سِنِين، وَرَوَى الطَّبَرِي، أَنَّ مُدَّةَ عُمْرِ أَيُّوب ثَلَاثٌ(٢) وَتِسْعُونَ سَنَةً.

وَذُكِرَ فِي «كَشْفِ الأَسْرَارِ»: آخْتُلِفَ فِي مُدَّةِ بَلَائِهِ. [وَ](٣) رَوَى ابْنُ شَهَابٍ عَنْ أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَرْفَعُهُ: «أَنَّ أَيُّوبَ لَبِثَ فِي بَلَائِهِ ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً» وَقَالَ وَهْبٌ: ثَلَاثَ سِنِين لَمْ يَزِدْ يَوْماً، وَقَالَ كَعْبٌ: سَبْعَ سِنِين، وَقِيلَ: سَبْع سِنِين وَسَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَسَبْعَةَ أَيَّامٍ.

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «البُسْتَانِ» أَنَّ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلام تَزَوَّجَ لَيَّا(٤) بِنْتَ يَعْقُوب عَلَيْهِ السَّلام وَقِيلَ: رَحْمَةَ بِنْتَ ابْنِ يُوسُف(٥)، وَهُوَ الأَصَحُّ. وَقِيلَ: إِنَّ رَحْمَةَ بِنْتَ مِيشا ابْنِ يُوسُف عَلَيْهِ السَّلام وَذُكِرَ فِي «تَارِيخِ ابْنِ الوَرْدِي» نَاقِلًا عَنِ «الكَامِلِ لابْنِ الأَثِيرِ: أَنَّ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلام بْنَ مُوص بْنِ رَازِج(٦) بْنِ عَيْص(٧) بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيم الخَلِيل عَلَيْهِ السَّلام وَكَانَ صَاحِبَ أَمْوَالٍ عَظِيمَة، وَكَانَتْ لَهُ البَثَنِيَّةُ(٨) مِنْ

---

(١) انظر تفسير «المدارك» ٣/٨٦ ـ ٨٧.

(٢) في الأصل (ثلث) بدلاً من (ثلاث).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) في المطبوعة (ليلى)، وورد في هامش المطبوعة ما نصه: (وردت في الأصل «ليلا»، والمعنى ينفي ذلك فأثبتنا اسم العلم المؤنث المعروف) والصواب ما أثبت عن «البستان» ص ٦٧، والكامل ١/٧٣.

(٥) في المطبوعة (رحمة بنت ابن يوسف)، والصواب ما أثبت عن «البستان» باب ـ في ذكر الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام، ص ٦٧.

(٦) في المطبوعة (رازخ) والصواب ما أثبت عن الكامل ١/٧٣.

(٧) في المطبوعة (العيص) والصواب ما أثبت عن الكامل ١/٧٣.

(٨) في المطبوعة (الثنية) والصواب ما أثبت عن الكامل ١/٧٣، وتاريخ الطبري ١/٣٢٢.

أعْمَالِ دِمشْقِ مِلْكاً، وَكَانَتْ زَوْجَتُهُ رَحْمَةَ، فَابْتَلاهُ اللَّهُ فِي جَسَدِهِ وَكَانَتْ وَتَقُومُ بنفسها وَبِهِ، ولأنها قطعت ضفائرها، وَحَلَفَ لَئِنْ عَافَاهُ اللَّهُ لَيَضْرِبَنَّهَا مائة سَوْطٍ، وَلَمَّا أَرَادَ اللَّهُ كَشْفَ البَلاءَ عَنْهُ عَجزَتْ رَحْمَةُ. فِي ذَلِكَ اليَوْمِ عَنِ القَوْتِ فَبَاعَتْ ضَفِيرَتَها [١] مِنْ امْرَأَةٍ بِرَغِيفَينِ مِنَ الخُبْزِ،وَأَتَتْ إِلَى أَيُّوب وَأَخْبَرَتْهُ فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ: ﴿... أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾[٢] قَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرٍّ...﴾[٣] فَأَرْجَلَ جِبْرَائِيلُ فَبَشَّرَهُ وَأَخَذَ بِيَدِهِ وَأَقَامَهُ، وَأَنْبَعَ اللَّهُ لَهُ عَيْناً مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ، فَشَرِبَ مِنْهَا، فشُفِيَ مِنح جميع مَا فِي بَدنه مِنَ العلل. ثُمَّ اغْتَسَلَ فِيهَا فَخَرَجَ كَأَحْسَنِ مَا كَانَ، وَرَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِ ضِعْفَ مَا فُقِدَ لَهُ مِنَ الأَمْوَالِ، وَرَدَّ إِلَيْهِ أَهْلَهُ وَأَوْلادَهُ، وَرَدَّ إِلَى زَوْجَتِهِ رَحْمَةَ حُسْنَهَا وَجَمَالَهَا، وَوَلَدَتْ لأَيُّوب سِتَّةً وَعِشْرِينَ وَلَداً[٤] ذَكَراً. وَمِنْهُمْ: بِشْر وَهُود[٥] وَالكِفْل[٦] عَلَيْهِ السَّلام.

وَلَمَّا عُوفِي أَيُّوبُ أَمَرَهُ اللَّهُ أَنْ يَأْخُذَ عُرْجُوناً مِنَ النَّخْلِ فِيهِ مَائَة شِمْرَاخ فَيَضْرِب بِهِ زَوْجَتَهُ ضَرْبَةً وَاحِدَةً لِيَبَرَّ فِي يَمِينِهِ فَفَعَلَ كَذَلِكَ وَكَانَ أَيُّوبُ عَلَيْهِ السَّلام نَبِيًّا فِي عَهْدِ يَعْقُوب عَلَيْهِ السَّلام فِي قَوْلِ بَعْضِهِمْ.

وَذُكِرَ فِي «التُّحْفَةِ» لابْنِ حَجَرٍ: أَنَّ الرَّسُولَ مِن البَشَرِ ذَكَرٌ حُر، أَكْمَل مُعَاصِرِيه غَيْر الأَنْبِيَاءِ عَقْلاً وَفِطْنَةً، وَقُوَّةَ رَأْيٍ، وَخُلِقَ مَعْصُوماً، وَلَوْ مِن الصَّغِيرَةِ سَهْواً، وَلَوْ قَبْلَ النُّبُوَّةِ عَلَى الأَصح. سَلِيمٌ مِنْ دَنَاءَةِ أَب، وَخنا أُمٍّ وَإِنْ عَلَيَا، وَمِنْ

---

(١) في الأصل (طفيرتيها).

(٢) سورة الأنبياء، الآية ـ ٨٣.

(٣) سورة الأنبياء، الآية ـ ٨٤.

(٤) في الأصل (وعشرون ولد) بدلاً من (وعشرين ولداً).

(٥) في الأصل (هوذا).

(٦) ذكر ابن الأثير في الكامل ١/٧٨: (أن عمر أيوب كان ثلاثاً وتسعين سنة، وأنه أوصى عند موته إلى ابنه حوصل، وأن الله بعث بعده ابنه بشر بن أيوب نبياً، وسماه ذا الكفل).

مُنَفِّرٍ كَعمىً وَبَرَصٍ وَجُذَام.

وَذُكِرَ فِي «المَصَابِيحِ» قَالَ ﷺ: «بَيْنَا أَيُّوبُ يَغْتَسِلُ عُرْيَاناً فَخَرَّ عَلَيْهِ جَرَادٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَ أَيُّوبُ يَحْتَثِي فِي ثَوْبِهِ، فَنَادَاهُ رَبُّه: يَا أَيُّوبُ، أَلَمْ أَكُنْ أَغْنَيْتُكَ عَمَّا تَرَى؟ قَالَ: بَلَى وَعِزَّتِكَ، وَلَكِنْ لاَ غِنَى بِي عَنْ بَرَكَتِكَ»[1].

وَمَاتَتْ رَحْمَةُ فِي حَيَاةِ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلام وَقِيل: عَاشَتْ بَعْدَهُ قَلِيلاً، وَمَاتَتْ وَدُفِنَتْ بِأَرْضِ الشَّامِ. وَاللَّهُ أَعْلَمَ.

---

(١) انظر «مصابيح السنة» ٤/٢١، كتاب ـ أحوال القيامة وبدء الخلق (٢٦)، باب ـ بدء الخلق وذكر الأنبياء (٩)، الحديث رقم (٤٤٣٤). والحديث أخرجه البخاري في صحيحه ١/٣٨٧، كتاب ـ الغسل (٥)، باب ـ من اغتسل عُرياناً وحده في الخلوة (٢٠)، الحديث رقم (٢٧٩)، وقوله: يحتثي: أي يضع.

[٩]

حِنَّةُ بِنْتُ فَاقُوذَا (*)

وَهِيَ زَوْجَةُ عِمْرَان، وَأُخْتُ زَوْجَةِ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلام وَأُمُّ مَرْيَم عَلَيْهَا السَّلام تَزَوَّجَها عِمْرَان، وَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُ وَأَسَنَّتْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَأَبْصَرَتْ يَوْماً طَائِراً[١] يُطْعِمُ أَفْرَاخَهُ، فَتَحَرَّكَتْ لِذَلِكَ نَفْسُها، وَاشْتَاقَتْ لِلْوَلَدِ، وَتَمَنَّتْ أَنْ يَكُونَ لَهَا وَلَدٌ حَتَّى تَحِنَّ عَلَيْهِ مِثْلَ هَذَا الطَّائِرِ، فَهُنَالِكَ دَعَتْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَهَبَ لَهَا وَلَداً، وَقَالَتْ: اللَّهُمَّ لَكَ عَلَيَّ بِأَنْ رَزَقْتَنِي وَلَداً أَنْ أَتَصَدَّقَ بِهِ عَلى بَيْتِ المَقْدِسِ. فَوَاقَعَهَا زَوْجُهَا عِمْرَان، فَحَمَلَتْ بِمَرْيَم بِإِذْنِ المَلِكِ الرَّحْمَنِ، وَلَمَّا انْقَضَتْ مُدَّةُ[٢] الحَمْلِ وَأَتَاهَا الطَّلْقُ فَوَضَعَتْ مَرْيَمَ وَلَفَّتْهَا فِي خِرْقَةٍ مِنْ يَوْمِهَا، وَحَمَلَتْهَا إِلَى المَسْجِدِ الأَقْصى، وَوَضَعَتْهَا عِنْدَ الأَحْبَارِ، مِنْ أَبْنَاءِ هَارُونِ عَلَيْهِ السَّلَام وَقَالَتْ لَهُمْ: دُونَكُمْ وَهَذِهِ النَّذِيرَة. وَذَلِكَ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى...﴾[٣] الآيَة، فَتَنَافَسَ فِيهَا الأَحْبَارُ، وَكَانَ عِمْرَانُ قَدْ مَاتَ قَبْلَ الوِلَادَةِ، فَطَلَبَهَا زَكَرِيَّا لِيَأْخُذَهَا وَقَالَ: أَنَا أَحَقُّ بِهَا لأَنَّ خَالَتَهَا عِنْدِي. فَتَقَارَعُوا عَلَيْهَا فَوَقَعَتْ لِزَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلام قِيلَ: إِنَّهَا لَمْ تَلْقَمْ ثَدْياً مُنْذُ وُلِدَتْ، وَقِيلَ: إِنَّ أُمَّهَا كَانَتْ تُرْضِعُهَا.

(*) في الأصل (قاقوذا)، وما أثبت عن الكامل ١/١٦٩، وفي تاريخ مدينة دمشق ـ تراجم النساء ص ٣٤٥ (واقود)، وفي البداية والنهاية، وتاريخ الطبري، ونهاية الأرب (فاقود).

(١) في الأصل (طائر) بدلاً من (طائراً).

(٢) في الأصل (انقضى مدت)، والصواب ما أثبت.

(٣) سورة آل عمران، الآية ـ ٣٦.

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «تَارِيخ ابْن الوَرْدِي»: أَنَّ حِنَّةَ أُمَّ مَرْيَم عَلَيْهَا السَّلام، وَهِي أُخْتُ إِيشَاع زَوْجَة زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلام وَذَكَر مِثْلَ مَا سَبَقَ ذِكْرُه مِنْ دُعَاءِ حِنَّة، وَطَلَبَها الوَلَد بَعْدَ مَا كَبُرَتْ، وَقِيلَ: إِنَّ عُمْرَهَا لَمَّا وَلَدَتْ مَرْيَم كَانَ سِتين سَنَةً، وَقِيلَ: إِنَّهَا تُوفيتْ وَقَدْ بَلَغَتْ مَرْيَمُ مِنَ العُمرِ عَشْر سِنِين. وَاللَّهُ أَعْلَم.

[١٠]

مَرْيَمُ عَلَيْهَا السَّلَام (*)

بِنْتُ عِمْرَان بْن آذن بْنِ ماثين بْنِ فيلقوس بْنِ آسابْنِ ياهوثا بْنِ إينا بن رجعيم ابْنِ سُلَيْمَان عَلَيْهِ السَّلام بْنِ دَاود عَلَيْهِ السَّلام بْنِ اثيا بْنِ سَلْمُون بْنِ عَدَن بْنِ جَابِرِ ابْنِ عسوار بْنِ عِمْرَان بْنِ دَارِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ قـاص بْنِ يَهُوذَا بْنِ يَعْقُوب عَلَيْهِ السَّلام ابْنِ إِسْحَاق عَلَيْهِ السَّلام بْنِ إِبْرَاهِيم الخَلِيل عَلَيْه السَّلام. وَأُمُّهَا حِنَّةُ، وَقَدْ سَبَقَ الذِّكْرُ فِي كَيْفِيَّةِ حَمْلِهَا، فِي تَرْجَمَةِ أُمِّهَا. وَمَاتَ أَبُوهَا عِمْرَان وَأُمُّهَا حَامِلٌ بِهَا، وَلَمَّا وَضَعْتَهَا، وَ ﴿... قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى...﴾[١] لَفَّتْهَا فِي خِرْقَةٍ وَحَمَلَتْهَا إِلَى المَسْجِدِ وَسَمَّتْهَا مَرْيَم.

قَالَ فِي «المَعَالِمِ»: وَمَعْنَى مَرْيَم: العَابِدَة وَالخَادِمَة بِلُغَتِهِم، وَكَانَتْ مَرْيَمُ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ فِي وَقْتِهَا، قَالَ أَبُو هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ

(*) هي: مريم بنت عمران بن ماتان بن المعازر بن أجين بن صادوق بن عيازور... ذكر ابن عساكر في تاريخه هذا النسب مطولاً، وينتهي إلى سليمان بن داود عليه السلام، ثم أشارت محققة الكتاب في الهامش بقولها: (النسب بهذا السرد في الطبري ١/٥٨٥، والبداية والنهاية ٢/٥٦ نقلاً عن ابن عساكر. وقد أثبت ما في أصولنا ولم أشأ أن أذكر الخلاف في الروايات، ولا أن أفضل واحدة منها لعدم اطمئناني إلى أي منها اطمئناناً كاملاً بما فيها أصولنا، فكل منها يمكن أن يؤخذ بمظنة التصحيف والتحريف).

انظر: تاريخ مدينة دمشق ـ تراجم النساء ٢٤٣ ـ ٣٨٧، وتاريخ الطبري ١/٥٨٥، والبداية والنهاية، ٢/٥٦.

(١) سورة آل عمران، الآية ـ ٣٦.

يَقُولُ: «مَا مِنْ بَنِي آدَمَ [مِنْ][1] مَوْلُودٍ إلاّ يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ حِينَ يُولَدُ فَيَسْتَهِلُّ [الصَّبي][2] صَارِخاً مِنْ مَسِّ الشَّيْطَانِ غَيْرِ مريم وابنها»[3]. وَلَمَّا دَخَلَتْ بِهَا عَلَى الأَحْبَارِ مِنْ أَوْلَادِ هَارُون قَالَتْ لَهُمْ: دُونَكُم وَهذِهِ المَنْذُورة. فَتَنافَسَ فِيهَا الأَحْبَارُ، لأَنَّهَا كَانَتْ بِنْت إمَامِهِم، وَصَاحِب قُرْبَانِهِم وَقَدْ مَاتَ قَبْلَ وِلاَدَتِهَا، فَقَالَ لَهُمْ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلام: أَنا أَحَقُّ بِهَا لأَنَّ عِنْدِي خَالَتَهَا. فَلَمْ تَرْضَ الأَحْبَارُ. فَتَقَارَعُوا عَلَيْهَا، فَوَقَعَتْ لِزَكَرِيَّا، فَتَكَفَّلَهَا وَذَلِكَ قَوْلُه تَعَالى: ﴿... وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا...﴾[4] وَضَمَّهَا إِلَى خَالَتِهَا حَتَّى إِذَا[5] بَلَغَتْ مَبْلَغَ النِّسَاءِ بَنَى لَهَا زَكَرِيَّا مِحْرَاباً فِي المَسْجِدِ وَجَعَلَ بَابَهَا[6] فِي الوَسَطِ [لا][7] يَرْقَى إِلَيْهَا [إلاّ][8] بِسُلَّمٍ، وَكَانَ لاَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا غَيْرَه، يَأْتِيهَا بِشَرَابِهَا وَطَعَامِهَا وَدُهْنِهَا كُلَّ يَوْم، وَإِذَا خَرَجَ يُغْلِقُ عَلَيْهَا سَبْعَةَ أَبْوَاب. قَالَ [أبو][9] الحَسَنُ: مُنْذُ وُلِدَتْ مَرْيَمُ لَمْ تَلْقَمْ ثَدْياً قط، بَلْ كَانَ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا مِنَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ لَهَا زَكَرِيَّا﴿... أَنَّى لَكِ هَذَا﴾[10] مَعْنَاهُ مِنْ أَيْنَ لَكِ هَذا؟ قَالَتْ: ﴿.. هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ...﴾[11] تَكَلَّمَتْ وَهِيَ صَغِيرَةٌ[12].

وَذُكِرَ فِي «المَصَابِيح» عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «كَمُلَ مِنَ

(١) الزيادة: عن المعالم ١/٢٩٥.
(٢) الزيادة عن المعالم ١/٢٩٥.
(٣) أخرجه أحمد في مسنده ١٣/١٧٠، تح: أحمد شاكر.
(٤) سورة آل عمران، الآية ـ ٣٧
(٥) في المطبوعة (إلى أن) وما أثبت عن المعالم ١/٢٩٦.
(٦) في المطبوعة (بابها): بدلاً من (بابه).
(٧) الزيادة عن تاريخ مدينة دمشق تراجم النساء ص ٣٤٧.
(٨) الزيادة عن تاريخ مدينة دمشق ـ تراجم النساء ص ٣٤٧.
(٩) الزيادة عن المعالم ١/٢٩٧.
(١٠) سورة آل عمران، الآية ـ ٣٧.
(١١) سورة آل عمران، الآية ـ ٣٧.
(١٢) انظر «المعالم» ١/٢٩٥ ـ ٢٩٧.

الرِّجالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ[1] مِنَ النِّسَاءِ إلاّ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأةُ فِرْعَـونَ وَفضلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى [سَائِرِ][2] الطَّعَامِ»[3].

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «كَشْفِ الأَسْرَارِ»: إِنَّمَا سُمِّيتْ مَـرْيَمُ مِنْ قَوْلِهِمْ رُمْتُ أي طَلَبْتُ وَيُقَالُ: مَرَّتْ فِي الطَّاعَةِ كَمُرُورِ الحُوتِ فِي اليَمِّ، وَسَمَّاها اللَّهُ مَرْيَمَ بِاسْمِهَا سَبْعَ مَرَّات فِي القُرْآنِ العَظِيمِ وَلَمْ يُسَمِّ مِنَ النِّسَاءِ غَيْرَها. وَخَاطَبَهَا فَقَالَ: ﴿يَا مَرْيَمُ...﴾[4]، كَمَا خَاطَبَ الأَنْبِيَاءَ، وَقَالَ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ...﴾[5] كَمَا قَالَ لإبْرَاهِيم وَغَيْرِه مِنَ الأَنْبِيَـاءِ. وَقَالَ: ﴿... يَـا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْـطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ...﴾[6].

وَمِنْ كَرَامَاتِهَا: رِزْقُهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ، كَمَا أَعْطَى[7] سُلَيْمَان، وَقَالَ: ﴿هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[8]، وَتَكْلِيمُ المَلاَئِكَةِ لَهَا، وَإِرْسَالُ جَبْرَائِيل إِلَيْهَا، وَوِلاَدَتُهَا مِنْ غَيْرِ مَسٍّ، وَبَرَاءَتُهَا بِلِسَانِ صَبِيٍّ، وَضَمُّهَا مَعَ نَبِي فِي آية وَاحِدَةٍ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً...﴾[9] وَبِهَذَا ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّهَا نَبِيَّةٌ.

---

(١) في المطبوعة (تكمل)، والتصويب عن «المصابيح» ٤/٢٨.

(٢) الزيادة عن «المصابيح» ٤/٢٨.

(٣) انظر «مصابيح السنة» ٤/٢٨، كتاب أحوال القيامة وبدء الخلق (٢٦)، باب ـ بدء الخلق وذكر الأنبياء (٩)، الحديث رقم (٤٤٥٢)، والحديث متفق عليه، أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأنبياء (٦٠)، باب ـ قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً لِلَّذِينَ آمنوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ﴾ (٣٢)، الحديث رقم (٣٤١١)، وأخرجه مسلم في صحيحه ٤/١٨٨٦، كتاب فضائل الصحابة (٤٤)، باب ـ فضائل خديجة أم المؤمنين رضي الله عنها (١٢)، الحديث رقم (٧٠/٢٤٣١).

(٤) سورة آل عمران، الآية ـ ٤٣.

(٥) سورة مريم، الآية ـ ١٦.

(٦) سورة آل عمران، الآية ـ ٤٢.

(٧) في الأصل (أعطا).

(٨) سورة ص، الآية ـ ٣٩.

(٩) سورة المؤمنون، الآية ـ ٥٠.

وَذُكِرَ فِي «حِلْيَةِ الأَبْرَارِ» قَوْلُه فِي مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلام وَلُقْمَان هَلْ هُمَا نَبِيَّانِ أَمْ لاَ؟ فَأَجَابَ الشَّيْخُ مُحي الدِّين النَّوَوِيّ: إِنَّ الجَمَاهِير عَلَى أَنَّهُمَا لَيْسَا نَبِيَّيْنِ، وَقَدْ شَذَّ مَنْ قَالَ فِي نُبوَّتِهَا، وَلاَ التِفَات إِلَيْهِ، وَلاَ تَعْرِيج عَلَيْهِ.

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «شَرْحِ اللآلِي» لِعَلِي القَادِرِي قَوْلُهُ: ظَاهِر الأَدِلَّةِ يُشِيرُ[1] إِلَى نَفي النُّبُوةِ عَنْ الأُنْثَى، وَعَنْ ذِي[2] القَرْنَيْنِ وَلُقْمَانَ وَنَحْوِهِما كَتُبَّع، فَإِنّه ﷺ قَال: «لاَ أَدْرِي أَنَّهُ نَبِيٌّ أَمْ مَلِك»، وَكالخِضْر عَلَيْهِ السَّلاَم فَإِنَّه قِيلَ: نَبِي، وَقِيلَ: وَلِي، وَقِيلَ: رَسُول عَلَى مَا فِي «التَّمْهِيدِ» فَلاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَقْطَعَ بِنَفْي أَوْ

وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ الجَوْهَرَةِ»: أَنَّ النَّبِيّ الَّذِي تَظْهَرُ المُعْجِزَةُ عَلَى يَدِهِ فَذَلِكَ يُحْكَمُ بِنُبُوَّتِهِ وَعَلَى هَذَا [الـ][3]قَوْلِ قَدْ ذَكَرَ صَاحِبُ «كَشْفِ الأَسْرَارِ» مَا ظَهَرَ عَلَى مَرْيَم مِنَ المُعْجِزَاتِ وَعَدّ مِنْهَا: كَانَ يَأْتِيهَا رِزْقُهَا، وَتَكْلِيمُ المَلاَئِكَةُ لَهَا، وَحَمْلُهَا بِعِيسَى مِنْ غَيْرِ رَجُلٍ. فَعَلَى قَوْلِ صَاحِبِ «كشف الأَسْرَارِ» أَنَّهَا نَبِيةٌ وَاللَّهُ أَعْلَم.

وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ الجَوْهَرَةِ»: قِيلَ بِنُبُوَّةِ مَرْيَم بِنْتِ عِمْرَان كَمَا اخْتَارَهُ القُرْطُبِي فِي «شَرْحِ مُسْلِم» وَآسِيَة امْرَأَة فِرْعَون، وَقِيلَ: بِعَدَمِ نُبُوَّتِهِمَا كَمَا هُو الصَّحِيح وَعَلَيهِ الأَكْثَر، فَإِنْ قُلْتَ: فَقَدْ صَحّ الحَدِيثُ عَنْ أَبِي هُرَيرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ طُرُقٍ عِدة «خَيْرُ نِسَاءِ العَالَمِين أَرْبَع: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِم امْرَأَة فِرْعَون، وَخَدِيجَةُ، وَفَاطِمَةُ». وَصَحَّ أَيْضاً فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَفْضَلُ نِسَاءِ الجَنَّةِ خَدِيجَةُ وَفَاطِمَةُ وَمَرْيَمُ وَآسِيَة» فَهَذَا يَقْتَضِي التَّسْوِيَةَ بَيْنَهُنَّ، فَيُعَارِضُه قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿... إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ

---

(١) في الأصل (تشير) بدلاً من (يشير).

(٢) في الأصل (ذا) بدلاً من (ذي).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

الْعَالَمِينَ﴾[1] وَقَدْ تُحمَلُ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِين فِي زَمَانِهَا، وَفَضْلُ مَرْيَم مِنْ حَيْثُ الاخْتِلاَفُ بِنُبُوّتِهَا وَذِكْرُها فِي القُرْآنِ مَعَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلام. وَقَدِ آخْتُلِفَ بِنُبُوَّتِهَا، مِمَّنْ قَالَ بِنُبُوّتِهَا فَقَدْ احْتَجَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَم وَأُمَّهُ آيَةً. . .﴾[2] وَغَيْرَها مِنَ الآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوّتِهَا، وَمَنْ قَالَ أَنَّهَا لَيْسَتْ بِنَبِيَّةٍ، احْتَجَّ بِقَوْلِهِ: ﴿وَجَعَلْنَا. . .﴾ أي شَأْنَهَا آية، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ جَعَلْنَا كُلّ وَاحِد آيَة

وَاخْتَلفَ العُلَمَاءُ فِي كَيْفِيَةِ الإِيْمَانِ بِالأَنْبِيَاءِ المُتَقَدِّمِين الَّذِينَ نُسِخَتْ شَرَائِعُهُم، وَحَقِيقَةُ الخِلافِ أَنَّ شَرْعَه لَمَّا صَارَ مَنْسُوخاً فَهَلْ تَصِيرُ نُبُوّته مَنْسُوخَة؟ قَالَ: إِنَّ نَسْخَ الشَّرِيعَةِ لاَ يَقْتَضِي[3]، نَسْخَ النُّبُوَّةِ قَالوا: نُؤْمِنُ بِأَنَّهُمْ أَنْبِيَاءُ وَرُسُلٌ فِي الحَالِ، وَقَدْ تَنَبَّه لِهَذَا بَعْضُ الفُضَلاَءِ، وَقَدْ ذُكِرَ فِي «الفِقْهِ الأَكْبَر» قَوْله ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِير، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلاّ ثَلاثَة: مَرْيَمُ وَآسِيَةُ وَخَدِيجَةُ».

وَذُكِرَ فِي «المعالم» فِي تَفْسِير قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُر فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِها مَكَاناً شَرْقِياً﴾[4] أَيْ تَنَحَّتْ وَاعْتَزَلَتْ مِنْ قَوْمِهَا مَكَاناً فِي الدَّارِ مِمَّا يَلِي الشَّرْق، وَكَانَ يَوْماً شَاتِياً شَدِيدَ البَرْدِ، فَجَلَسَتْ فِي مَشْرَفَةٍ[5] تُفَلِّي رَأْسَها وَقِيلَ: إِنَّهَا طَهُرَتْ مِنَ الحَيْضِ فَذَهَبَتْ لِلْغُسْلِ فَضَرَبَتْ سِتْراً وَتَجَرَّدَتْ لِلْغُسْلِ مِنَ الحَيْضِ إِذْ عَرَضَ لَهَا جِبْرَائِيلُ فِي صُورَةِ شَاب أَمْرَد، فَلَمَّا رَأَتْهُ يَقْصِدُ نَحْوَهَا نَادَتْهُ مِنْ بَعِيدٍ، قَوْلُه تَعَالى: ﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيّاً﴾[6] فَقَالَ لَهَا جِبْرَائِيلُ: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَاماً زَكِيًّا﴾[7] فَقَالَتْ لَهُ مَرْيَمُ:

---

(١) سورة آل عمران، الآية ـ ٤٢.

(٢) سورة المؤمنون، الآية ـ ٥٠.

(٣) في الأصل (تقتضي).

(٤) سورة مريم، الآية ـ ١٦.

(٥) في المعالم (مشرقة).

(٦) سورة مريم، الآية ـ ١٨.

(٧) سورة مريم، الآية ـ ١٩.

﴿... أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾[1] فَقَالَ لَهَا جِبْرَائِيلُ: ﴿... كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ...﴾[2] ثُمَّ رَفَعَ جِبْرَائِيلُ دِرْعَهَا فَنَفَخَ فِي جَيْبِهَا فَحَمَلَتْ حِينَ لَبِسَتْ[3] دِرْعَهَا، وَقِيلَ: نَفَخَ فِي كُم قَمِيصِهَا، وَقِيلَ: فِي فِيهَا، وَقِيلَ: نَفَخَ مِنْ بَعِيدٍ فَوَصَلَ الرِّيحُ إِلَيْهَا فَحَمَلَتْ وَتَنَحَّتْ بِالحَمْلِ وَانْفَرَدَتْ بَعِيداً مِنْ أَهْلِهَا[4].

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَانَ الحَمْلُ وَالوِلَادَةُ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَقِيلَ: فِي تِسْعَةِ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ: ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ: سِتَّة أَشْهُر، وَقَالَ مُقَاتِلُ: حَمَلَتْهُ مَرْيَمُ فِي سَاعَةٍ، وَصُوِّرَ فِي سَاعَةٍ، وَوَضَعَتْهُ فِي سَاعَةٍ، وَعُمْرُهَا إِذْ[5] ذَاكَ عَشْرِ سِنِين، وَلَمَّا وَلَدَتْه حَمَلَتْهُ فِي الحَالِ إِلَى قَوْمِهَا فَأَنْكَرُوا عَلَيْهَا[6]. وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالى: ﴿يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴾[7] فَلَمَّا سَمِعَتْ إِنْكَارَهُمْ وَقَوْلَهُمْ ﴿فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ﴾ أي كَلِّمُوه ﴿قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا﴾[8] فَقَالَ لَهُ زَكَرِيَا عَلَيْهِ السَّلَامِ: أَنْطِقْ بِحُجَّتِكَ إِنْ كُنْتَ أُمِرْتَ بِهَا. وَقِيلَ: لَمَّا سَمِعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلام كَلَامَهُمْ وَإِنْكَارَهُمْ اتَّكَأَ[9] عَلَى يَسَارِهِ، وَتَرَكَ الرَّضَاعَ وَأَقْبَلَ عَلَيْهِمْ يُشِيرُ بِيَمِينِهِ ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا * وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَوٰتِ وَالزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيّاً * وَبَرّاً بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً شَقِيًّا * وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ

---

(١) سورة مريم، الآية ـ ٢٠.

(٢) سورة مريم، الآية ـ ٢٠.

(٣) في المطبوعة (كبست)، وما أثبت عن «المعالم» ٣/١٩١.

(٤) انظر «المعالم» ١/١٩٠ ـ ١٩٢.

(٥) في المطبوعة (إذا).

(٦) انظر المعالم ٣/١٩٤.

(٧) سورة مريم، الآية ـ ٢٨.

(٨) سورة مريم، الآية ـ ٢٩.

(٩) في المطبوعة (اتكى).

حَيًّا﴾[1] فلَمَّا كَلَّمَهُمْ صَدَّقُوا وَعَلِمُوا بَرَاءَةَ[2] أُمِّه مَرْيَمَ، عَلَيْهَا السَّلام. ثُمَّ سَكَتَ عِيسَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَمْ يَتكَلَّمْ حَتَّى بَلَغَ المُدَّة الَّتِي يَتكَلَّمُ فِيهَا الصِّبْيَان.

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «كَشْفِ الأَسْرَارِ»: أَنَّ أَسْمَاءَ عِيسَى عَلَيْـهِ السَّلام أَرْبَعَـةٌ: عِيسَى، وَكَلِمَةٌ، وَمَسِيحٌ، وَرَوْحٌ[3]، فَعِيسَى هُوَ: الأَبْيَضُ فِي اللُّغَةِ، وَيُقَال: غَيْرَ هَذَا الاشْتِقَاقِ لَهُ. وَرَوْحٌ لأَنَّهُ مِنْ رِيحِ جِبْرَائِيل، وَيُقَال: لاَ بَلْ خَرَجَ مِنَ المَاءِ مِنْ تُرْبَةِ أُمِّهِ إِلَى رَحِمِهَا بِنَفْخِ جِبْرَائِيل، وَهْو مِنَ المَاءِ لاَ مِنَ الرِّيحِ، وَيُقَالُ: وُلِدَ مِنْ سَاعَتِهِ، وَيُقَالُ: لِثَمَانِيَة أَشْهُر، وَيُقَالُ: لِلْمُدَّةِ الكَامِلَةِ، وَأَمَّا تَسْمِيتُه كَلِمَة فَلأَنَّهُ صَارَ بِكَلِمَةٍ مَخْلُوقاً وَسَمَّاه مَسِيحاً لأَنَّه كَانَ يَسِيحُ فِي الأَرْضِ، وَيُقَالُ: وُلِدَ مَمْسُوحاً بِالدُّهْنِ، وَيُقَال: لأَنَّه كَانَ يَمْسَحُ الضَّـرَّ عَنِ الأَعْمَى وَالأَكْمَه وَالأَبْـرَص وَيُقَالُ: المَسِيحُ الَّذِي لاَ يَكُونُ لِقَدَمَيْهِ أَخْمُص. وَفِيهِ أَيْضاً: لَمَّا أَمَرَهَا بِهَزِّ الجِذْعِ بِقَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَباً جَنِيّاً﴾[4] قِيـلَ: لأَنَّهَا تَعَجَّبَتْ مِنْ وَلَدٍ بِغَيْرِ أَبٍ فَقَالَ لَهَا ذَلِكَ، فَهَزَّتْ بِجَذْعِ نَخْلَةٍ يَابِسَةٍ بِلاَ فَحْلٍ وَلاَ طَلْحٍ طَلْعٍ، لَهَا أَرْبَعُ عَجَائِب: الرُّطَبُ مِنْ نَخْلٍ يَابِسٍ بِلاَ فَحْلٍ كَيْلاَ تَعْجَبْ مِنْ وَلَدٍ بِغَيْرِ أَبٍ وَلاَ مَسٍّ. وَفِيهِ أَيْضاً، لِمَ أُجْرِيَ[5] النَّهر بِغَيْرِ سَعْيِهَا وَلَمْ يُعْطِهَا الـرُّطَبَ إِلاَّ بِسَعْيِهَا؟ قِيْـلَ: لأَنَّ الرُّطَبَ غِـذَاءٌ وَشَهْوَةٌ. وَالمَـاءُ سَبَبٌ لِلطَّهَـارَةِ وَالخِدْمَةِ، وَيُقَالُ: لَمَّا كَانَتْ وَحِيدَة بعثَ إِلَيْهَا طَعَاماً مِنَ الجَنَّةِ بِلاَ سَبَب، فَلَمَّا وَلَدَتْ جَاءَتِ الوَاسِطَةُ فَأَمَرَهَا بِهَزِّ النَّخْلَةِ.

وَذُكِرَ فِي «تَارِيخ ابْنِ الوَرْدِي» نَاقِلاً مِنَ «الكَامِلِ» لابْنِ الأَثِير قَالَ: وَلَدَتْ

---

(١) سورة مريم، الآيات ـ ٣٠: ٣٣، وجاء في هامش المطبوعة ما نصه: (وقد وقعت أخطاء عـديدة فصوبت دون الإشارة إليها).

(٢) في الأصل (برائت) بدلاً من (براءة).

(٣) وردت الأسماء الأربعة في الأصل منصوبة.

(٤) سورة مريم، الآية ـ ٢٥.

(٥) في الأصل (أحر) بدلاً من (أُجْرِي).

مَرْيَم عِيسَى فِي بَيْتِ لَحْم سَنَة أَرْبعَ وَثَلاثمَائةِ لِغَلَبَةِ الإِسْكَنْدَر، وَلِهُبُوطِ آدَم عَلَيْهِ السَّلام خَمْسَةَ آلَاف وَخَمْسمَائَة وَأَرْبَعَة وَثَمانُون، وَلِطُوفَان نُوح عَلَيْهِ السَّلام ثَلاثَة آلَاف وَثَلاثمائة وَاثْنَتَانِ وَأَرْبَعُون سَنَة، وَلِمَوْلِدِ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلام أَلْفَان وَمَائَتَانِ وَإِحْدَى وَسِتُّون، وَلِوَفَاةِ[1] مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام أَلْف وَسَبْعمَائَة وَسِت عَشْرَة سَنَة، وَلابْتَدَاء مُلْكِ بَخْت نَصْر سَبْعمَائَة وَثَمان وَثَلاثُـون سَنَة، وَقَبْـلَ الهِجْرَة بِسِتّمَـائة وَإِحْدَى وَثَلاثِين سَنَة، وَلَمَّا وَلَدَتْهُ أَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ فَأَخَذُوا[2] الحِجَارَةَ لِيَرْمُوهَا وَيَـرْجُمُـوهَـا فَتَكَلَّمَ عِيسَى وَهْـو فِي المَهْـدِ مُعَلَّقـاً فِي مَنْكِبِهَـا ﴿قَـالَ إِنِّي عَبْـدُ اللَّهِ. . . ﴾[3] الآية، فَلَمَّا سَمِعُوا كَلامَ عِيسَى تَرَكُوهَا، فَأَخَذَتْهُ مَرْيَمَ وَسَارَتْ بِهِ إِلَى مِصْر مَعَ ابْنِ عَمِّهَا يُوسُفَ النَّجَـار ابْن يَعْقُوب. وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّ يُـوسُف تَزَوّجَ مَرْيَم، وَلَمْ يَقْرَبْهَا، وَيُوسُفُ هَذَا[4] هُو أَوَّل مَنْ أَنْكَرَ حَمْلَهَا ثُمَّ تَحَقَّقَ بَرَاءَتَهَا[5] وَسَارَ مَعَهَا، فَأَقَامَا فِي مِصْر اثْنَتِي عَشْرَة سَنَة، ثُمَّ عَادَ عِيسَى وَأُمُّه إِلَى الشَّامِ وَنَزَلَا النَّاصِرَة وَبِهَـا سُمِّيَتْ النَّصَارَى، وَأَقَـامَ بِهَا حَتَّى أُرْسِـلَ وَقَدْ صَـارَ لَهُ مِنَ العُمْرِ ثَـلاثُونَ[6] سَنَـةً، وَابْتَدَأَ بِـالدَّعْـوَةِ لِسِتَّةِ أَيَّـامٍ خَلَتْ مِنْ كَانُـون الثَّـانِي. وَأَظْهَـرَ المُعْجِزَات وَأَحْيَا عَازِر بَعْدَ مَوْتِهِ ثَلاثَة أَيَّامٍ، وَلَبِسَ الصُّوف والشَّعْر، وَأَكَلَ مِنْ نَبَاتِ الأَرْضِ، وَبِمَـا تَقَوَّتَ مِنْ غَـزْلِ أُمِّهِ، وَجَعَـلَ مِنَ الطِّينِ طَيْـراً، وَأَبْرَأَ الأَكْمَـهَ وَالأَبْرَصَ، وَمَشَى عَلَى المَاءِ[7].

وَالحَوَارِيونَ الَّذِينَ اتَّبَعُوه[8] اثْنَا[9] عَشْر، وَهُمْ: شَمْعُونُ الصَّفَا، وَشَمْعُونُ

(١) في الأصل (لو فات).
(٢) في الأصل (فأخذو).
(٣) سورة مريم، الآية ـ ٣٠.
(٤) في المطبوعة (وهذا يوسف).
(٥) في الأصل (براتها).
(٦) في المطبوعة (ثلاثين). والصواب ما أثبت.
(٧) انظر «الكامل» ١ / ١٧٥ ـ ١٧٩.
(٨) في الأصل يلي «اتبعوه» الضمير (هم)، وقد آثرنا حذفه حتى يستقيم السياق.
(٩) في الأصل (اثني).

القَنَّانِي، وَيَعْقُوبُ بْنُ زَبْدِي، وَيَعْقُوبُ بْنُ حَلْفِي، وَقَوْلُوس، وَمَارْقُوس، وَانْدَرَاوس، وَتَمْرِيللا، وَيُوحَنَّا، وَلُوقَا، وَتُومَا، وَمَتَّى.

وَلمَّا رَفعَهُ اللَّهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ[1] اليَهُودُ مَا قَالوا، أَنْزَلَهُ الله مِنَ السَّمَاءِ إِلَى أُمِّه مَرْيَم وَهي تَبْكِي عَلَيْهِ، فقَالَ لَها: إِنَّ اللَّهَ رَفَعَنِي إِلَيْهِ، وَلَمْ يُصِبْنِي إِلَّا الخَيْر وَأَمَرَهَا فَجَمَعَتْ لَهُ الحَوَارِيين فَبَثَّهُمْ فِي الأَرْضِ رُسُلاً عَن اللَّهِ. ثُمَّ رَفعَهُ اللَّهُ تَعَالى وَتفَرَّقَ الحَوَارِيون. وَكَانَ رَفْعُهُ لِمُضِي ثَلاثَمائة، وَسِت وَثَلاثِينَ مِنْ غَلَبَةِ الإِسْكَنْدَرِ، وَكَانَ بَيْنَ رَفْعِ عِيسَى وَمَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ خمسمَائة وَخَمْس وَأَرْبَعُونَ سَنَة تَقْرِيباً.

وَعَاشَتْ مَرْيَمُ عَلَيْهَا السَّلَام ثَلاثاً وَخَمْسِين سَنَة، وَحَمَلَتْ بِالمَسِيحِ وَلَهَا ثَلاث عَشْرَة سَنَة، وَحَاضَتْ قَبْلَ حَمْلِهَا حَيْضَتَيْنِ، وَعَاشَتْ مُجْتَمِعَةً مَعَهُ ثَلاثاً وَثَلاثِينَ سَنَة، وَبَقِيتْ بَعْدَ رَفْعِهِ سِت[2] سِنِين.

وَكَانَ مَلِكُ اليَهُودِ الَّذِي هَمَّ بِقَتْلِ عِيسَى اسْمه هِرْدَوس. قَالَ ابْنُ سَعِيد: وَكَانَتْ اليَهُودُ قَدْ جَدَّتْ فِي طَلَبِهِ فَحضَرَ بَعْضُ الحَوَارِيين إِلَى هِرْدَوْس مَلِكِ اليَهُودِ، وَقَالَ لَهُ وَلِجَمَاعَةِ اليَهُودِ، مَا تَجْعَلُونَ لِي إِذَا دَلَلْتُكُمْ عَلَى المَسِيحِ فَجَعَلُوا لَهُ ثَلاثِين دِرْهَماً فَأَخَذَهَا وَدَلَّهُمْ عَلَيْهِ فَرَفَعَ اللَّهُ المَسِيحَ إِلَيْهِ وَأَلْقَى شَبَهَهُ عَلَى الَّذِي دَلَّهُمْ عَلَيْهِ، فَقَبَضَهُ[3] اليَهُودُ وَرَبَطُوه بِحَبْلٍ وَقَادُوه وَيَقُولُونَ لَهُ: أَنْتَ كُنْتَ تُحْيِي المَوْتَى، أَفَلا تُخَلِّصُ نَفْسَكَ مِنْ هَذَا الحَبْلِ وَيَبْصُقُونَ فِي وَجْهِهِ، وَيُلْقُونَ عَلَيْهِ الشَّوْكَ وَهُوَ يَسْتَغِيثُ بِهِمْ وَيَقُولُ لَهُمْ: أَنَا فُلاَنٌ. وَهُمْ لاَ يُصَدِّقُونَهُ[4] وَصَلَبُوه عَلَى الخَشَبَةِ سِت[5] سَاعَاتٍ ثُمَّ اسْتَوْهَبَهُ يُوسُفُ النَّجَّارُ مِنْ هِرْدَوْس وَدَفَنَهُ فِي قَبْرٍ كَانَ

---

(١) في الأصل (وقالوا).

(٢) في الأصل (ستة).

(٣) في الأصل (فقضوه) بدلاً من (فقبضه).

(٤) في الأصل (لا يصدّقوه) بدلاً من (لا يصدقونه).

(٥) في الأصل (ستة).

يُوسُفُ قَدْ أَعَدَّهُ لِنَفْسِهِ ثُمَّ ظَهَرَ لَهُمْ أَنَّهُ هُوَ الحَوَارِيّ الَّذِي دَلَّ عَلَى عِيسَى، وَأَنْزَلَ اللَّهُ عِيسَى عَلَى أُمِّهِ وَهِيَ تَبْكِي وَاجْتَمَعَ بِالحَوَارِيين وَبَعَثَهُمْ رُسُلاً إِلَى البِلادِ.

وبِزَعْمِهِم قَالَ مَتَّى فِي إِنْجِيلِهِ: إِنَّ المَسِيحَ قَالَ: إِنِّي أَرْسَلْتُكُمْ إِلَى الأُمَمِ كَمَا أَرْسَلَنِي أَبِي إِلَيْكُمْ، فَاذْهَبُوا وَادْعُوا الأُمَمَ بِاسْمِ الأَبِ وَالابْنِ وَرُوحِ القُدُسِ. قُلْتُ: تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ عُلُوًّا كَبِيراً، إِنَّمَا هَذَا مِنْ كَلامِهِم، فَإِنَّ كَلامَ اللَّهِ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾(1) ﴿إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ﴾(2) وَقَالَ تَعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ﴾(3) وَالظَّاهِر أَنَّ قَوْلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلام لَهُمْ: «الحَقَّ لَيَكْفُرَنَّ بِي أَحَدُكُمْ»، يَحْتَمِلُ أَنَّهُ أَرَادَ بِهِ مَتَّى، وَقَوْلُهُ: لَيَبِيعَنِي.. ذَلِكَ الَّذِي دَلَّ اليَهُودَ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ ثَلاثِين دِرْهَماً ثُمَّ صُلِبَ [بَعْدَ](4) ذَلِكَ.

وَمِنْ فَضَائِحِ النَّصَارَى، ذُكِرَ فِي كِتَابِ «تَخْجِيل مَنْ حَرَّفَ الأَنَاجِيل»: أَنَّ لِلنَّصَارَى كَنِيسَةً يَحُجُّونَ إِلَيْهَا، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ يَدَ اللَّهِ تَخْرُجُ إِلَيْهِم مِنْ وَرَاءِ السِّتْر فَتُصَافِحُهُمْ فِي يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ. فَبَلَغَ ذَلِكَ بَعْضَ مُلُوكِهِمْ، فَمَضَى إِلَى الكَنِيسَةِ فِي ذَلِكَ اليَوم، فَلَمَّا ظَهَرَتِ اليَدُ قَرَّبَهَا الأَقِسَّاءُ إِلَيْهِ لِيُقَبِّلَهَا فَقَبَضَهَا، فَصَاحَ بِهِ الأَقِسَّةُ وَقَالُوا: السَّاعَةَ تُخْسَفُ بِنَا الأَرْضُ! فَقَالَ: دَعُوا عَنْكُمْ، لاَ أَضَعُهَا حَتَّى أَرَى صَاحِبَهَا. فَقَالُوا لَهُ: رَجَعْتَ عَنْ دِينِكَ!! فَقَالَ: لاَ، وَلَكِنِّي أَرَدْتُ مَعْرِفَةَ ذَلِكَ. فَقَالُوا: إِنَّهَا يَدُ أُسْقُفٍ مِنْ أَصْحَابِنَا فَلاَ تَفْضَحْنَا.

وَمِنَ فَضَائِحِهِم: كَانَ فِي الرُّومِ كَنِيسَةٌ يَحُجُّونَ إِلَيْهَا فِي يَوْمٍ مِنَ السَّنَةِ

---

(1) سورة القصص، الآية ـ 88.

(2) سورة الأنعام، الآية 19.

(3) سورة الإخلاص، الآيات ـ 1 : 4.

(4) زيادة يقتضيها السياق.

فَيَرَوْنَ صَنَماً بِهَا، إِذَا قُرِيءَ[1] الإِنْجِيلُ بَيْنَ يَدَيْهِ دَرَّ ثَدْيَاه، وَخَرَجَ مِنْهُمَا اللبَنُ، فَبَحثَ مَلِكُهُمْ عَنْ ذَلِكَ فَوَجَدَ القَيِّمُ قَدْ نَقَّبَ مِنْ وَرَاءِ الجِدَارِ طَاقَة وَهَنْدَمَهَا حَتَّى أَوْصَلَهَا ثَدْيَ الصَنَمِ وَجعَلَ فِيهَا أُنْبُوبَةً مِنْ نُحَاسٍ. وَأَخْفَاهَا فَإِذَا كَانَ يَوْمُ العِيدِ فَتَحهَا وَصَبَّ فِيهَا لَبَناً فَيَخْرُجُ مِنْ ثَدْيِ الصَنَمِ وَيَقْطُرُ قَطْرَةً قَطْرَةً، فَلاَ يَشُكُّ مَنْ حَضَرَ أَنَّهَا آيَة، فَلَمَّا عَلِمَ بِهَا مَلِكُهُمْ ضَرَبَ عُنُقَ القَيمِ وَحَلَفَ أَنْ لاَ يُبْقِي فِي الكَنَائِسِ صُوراً، وَكَفَرَ بَعْضُهُمْ [بِـ][2] بَعْضٍ.

وَزَعَمَ النَّصَارَى: أَنَّ المَسِيحَ عَلَّمَ هَذِهِ الأَقْوَال إِلَى الحَوارِيين، وَيَقُولُونَ: إِنَّهَا سُورَةٌ وَيُسَمُّونَهَا فَاتِحَةُ الأَنَاجِيلِ وَهي: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمٰوَاتِ، قُدُّوس اسْمُكَ، يَأْتِي مَلَكُوتُكَ، كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَكُونُ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ. آتِنَا خُبْزَنَا قُوتاً فِي اليَوْمِ، وَاغْفِرْ لَنَا مَا وَجَبَ عَلَيْنَا، كَمَا نُحِبُّ أَنْ تَغْفِرَ لِمَنْ أَخْطَأَ إِلَيْنَا، وَلاَ تُدْخِلْنَا التَّجَارِبَ لَكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّير، لَكَ المَجْدُ وَالقُوَّةُ وَالمُلْكُ إِلَى الأَبَدِ. آمِينَ. فَانْظُرْ رَحِمَكَ اللَّهُ إِلَى هَذِهِ الأَلْفَاظ وَانْظُرْ إِلَى فَاتِحَةِ الكِتَابِ، فَبَيْنَ الفَاتِحَةِ وَبَيْنَ هَذِهِ الكَلِمَاتِ كَمَا بَيْنَ الأَرْضِ وَالعَرْشِ لاَ السَّحَاب.

وَمِمَّا يَقْرَءُونَهُ فِي السَّاعَةِ الأولَى مِنْ صَلاَتِهِمْ: المَسِيحُ الإِلَهُ الصَّالِحُ، الطَّوِيلُ الرُّوحِ، الكَثِيرُ الرَّحْمَةِ، الدَّاعِي الكُلِّ إِلَى الإِخْلاَصِ، قُلْتُ: إِذَا كَانَ المَسِيحُ هُو الإِلَهُ فَلِمَ لاَ خَلَّصَ نَفْسَهُ مِنَ الصَّلْبِ كَمَا يَزْعُمُونَ، إِنَّمَا هُو كَلِمَةُ اللَّهِ وَرُوحٌ مِنْهُ. ﴿... وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ...﴾[3] وَيَقْرَءُونَ فِي صَلاَةِ السَّحَرِ: تَعَالُوا بِنَا نَسْجُدُ لِلْمَسِيحِ إِلَهِنَا. وَقَوْلُه تَعَالَى: ﴿... يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِيْ نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ

---

(١) في الأصل (قرء) بدلاً من (قرىء).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) سورة النساء، الآية ـ ١٥٧.

عَلاَّمُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلاَّ مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ . . .﴾[1] الآية . فَتَعْساً لَهُمْ مَا أَظْلَمَهُمْ وأَعْمَى أَبْصَارِهُمْ . وَلَهُمْ مِنْ هَذِهِ الخُرَافَاتِ والكُفْرِيَّاتِ أَشْيَاء كَثِيرة ، فَمِنْهَا أَنَّهُمْ يَقْرَءُونَ فِي السَّاعَةِ الثَّالِثَةِ مِنْ صَلاتِهِمْ : يَا وَالِدَة اللَّهِ يَا مَرْيَمُ العَذْرَاءُ افْتَحِي لَنَا أَبْوَابَ الرَّحْمَةِ . وَغَيْرَ ذَلِكَ مِمَّا تَنْفِرُ عَنْهُ الطِّبَاع .

وَمِنْ فَضَائِحِهِمْ : أَنَّهُ ظَهَرَ لَهُمْ فِي المَوْصِلِ دِينٌ جَدِيدٌ سَنة أَلْفٍ وَمِائَةٍ وَثَلاثٍ وَتِسْعِين[2] أَتَتْ بِهِ البَوَاتِرُ مِنْ بِلادِ الفِرَنْجِ ، وَيُسَمُّونَهُ المَسِيحِي ، وَهْوَ أَرَاجِيفُ مِنَ الأَوَّلِ ، وَصَارَتْ غَالِبُ نَصَارَى المُوْصِلِ عَلَى ذَلِكَ الاعْتِقَادِ ، وَجَعَلُوا يَلْعَنُونَ مَنْ مَاتَ قَبْلَهُمْ مِنْ آبَائِهِمْ وَأُمَّهَاتِهِمْ ، وَيَشْهَدُونَ عَلَيْهِمْ بِالكُفْرِ . فَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَأَخْزَاهُمْ ، وَلِي فِيهِم قَصِيدَة ذَكَرْتُ فِيهَا فَضَائِحَهُمْ ، وَقَدْ ذَكَرْتُهَا فِي كِتَابِي «الدُّرُّ المُنْتَشِرِ فِي أُدَبَاءِ القَرْنِ الثَّالِثِ عَشر» . وَذَكَرَ ابْنُ الأَثِير ، أَنَّـهُ اجْتَمَعَتْ البَطَارِقَـةُ والمَطَارِنَـةُ وَالأَسَاقِفَةُ فِي مَدِينَةِ القُسْطَنْطِينية بِمَحْضَرٍ مِنَ مَلِكِهِمْ قُسْطَنْطِين ، وَكَانُوا ثَلاثمائَـة وَثَلاثَة عَشَر رَجُلاً ، وَاتَّفَقُوا عَلَى هَذِهِ الكَلِمَاتِ اعْتِقَاداً وَدَعْوَةً ؛ وَهِي قَوْلُهُمْ : نُؤْمِنُ بِاللَّهِ الوَاحِدِ الأَبِ ، مَالِكُ كُلِّ شَيْءٍ وَصَانِعُ مَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى ، وَبِالابْنِ الوَحِيدِ إِيْسُوعَ المَسِيحِ ابْنُ اللَّهِ الوَاحِدِ بِكْرُ الخَلائِقِ كُلِّهَا ، وَلَيْسَ بِمَصْنُـوعٍ . إِلَهُ حَقٌّ مِنْ إِلَه حَقّ ، مِنْ جَوْهَرِ أَبِيهِ الَّذِي بِيَدِهِ أَتقنتْ العوالِم وَكُلّ شَيءٍ ، الَّـذِي مِنْ أَجْلِنَا وَأَجْلِ خَلاَصِنَـا نَزَلَ مِنَ السَّمَـاءِ ، وَتَجَسَّدَ مِنْ رُوحِ القُـدُسِ ، وَوُلِدَ مِنْ مَـرْيَمَ البَتُول ، وَصُلِبَ وَدُفِنَ ثُمَّ قَامَ فِي اليَوْمِ الثَّالِثِ وَصَعَدَ إِلَى السَّمَاءِ ، وَجَلَسَ عَلَى يَمِينِ أَبِيهِ وَهُو مُسْتَعِدٌ لِلْمَجِيء تَارَة أُخْرَى لِلْقَضَاءِ بَيْنَ الأَمْوَاتِ وَالأَحْيَاءِ ، وَنُؤْمِنُ بِرُوحِ القُدُسِ الوَاحِدِ رُوحُ الحَقِّ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْ أَبِيهِ وَبِمَعْمُودِيَّةٍ وَاحِدَةٍ ، وَلِغُفْرَانِ الخَطَايَا ، وَبالجَمَاعَةِ وَاحِدَة قُدْسِيَّة مَسِيحِيَّة[3] جَاثُلِيقية وَبِقِيَامِ أَبْدَانِنَا ، وَبِالحَيَاةِ

---

(١) سورة المائدة، الآية ـ ١١٦ : ١١٧ .

(٢) في الأصل (ثلثة وتسعون) .

(٣) في الأصل (مسعية) .

الدَّائِمَةِ أَبَدَ الآبِدِينَ.

فَانْظُرْ، وَفَّقَكَ اللَّهُ بَيْنَ هَذَا المعتقدِ السَّخِيفِ، وَالإِيمَانِ الصَّادِقِ الطَّاهِرِ العَفِيفِ [فِي](1) قَوْلِنَا: آمَنْتُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَبِالبَعْثِ بَعْدَ المَوْتِ، وَبِالقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.

وَذُكِرَ فِي «النِّقَايَةِ»(2): أَنَّ العَالَمَ حَادِثٌ، وَصَانِعَهُ اللَّهُ الوَاحِد قَدِيمٌ لَا ابْتِدَاءَ لِوجُودِهِ وَلَا انْتِهَاءَ لِذَاتِهِ، وَذَاتُهُ مخالف لِسَائِرِ الذَّوَاتِ، وَصِفَاتُهُ: الحَيَاةُ(3) وَالإِرَادَةُ والعِلْمُ وَالقُدْرَةُ وَالسَّمْعُ وَالبَصَرُ، وَالكَلَامُ القَائِمُ بِذَاتِهِ المُعَبَّرُ عَنْهُ بِالقُرْآنِ المَحْفُوظِ بِأَلْفَاظِهِ المَقْرُوءَةِ [الـ](4) قديم. مُنَزَّهٌ عَنْ التَّجَسُّمِ وَاللَّوْنِ وَالطَّعْمِ وَالعَرَضِ وَالحُلُولِ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، وَمَا وَرَدَ فِي الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ نُؤْمِنُ بِهِ، وَالقَدَرِ خَيْرِه وَشَرِّهِ مِنْه. أَرْسَلَ رُسُلَهُ بِالمُعْجِزَاتِ البَاهِرَاتِ وَخَتَمَ بِهِمْ مُحَمَّداً ﷺ وَنَعْتَقِدُ أَنَّ عَذَابَ القَبْرِ حَقٌّ، وَسُؤَالَ المَلَكَيْنِ حَقٌّ، وَأَنَّ الحَشْرَ وَالمِعَادَ حَقٌّ، وَأَنَّ الحَوْضَ حَقٌّ، وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، وَأَنَّ المِيزَانَ حَقٌّ، وَأَنَّ الشَّفَاعَةَ حَقٌّ، وَأَنَّ رُؤْيَةَ المُؤْمِنِينَ(5) لَهُ تَعَالَى حَقٌّ، وَأَنَّ المِعْرَاجَ بِجَسَدِ المُصْطَفَى ﷺ حَقٌّ يَقَظَةً، وَأَنَّ نُزُولَ عِيسَى ابن مَرْيَمَ قُرْب السَّاعَةِ وَقَتْلَهُ الدَّجَالَ حَقٌّ، وَأَنَّ رَفْعَ القُرْآنِ حَقٌّ، وَأَنَّ الجَنَّةَ وَالنَّارَ حَقٌّ مَخْلُوقَتَانِ اليومَ، وَأَنَّ الجَنَّةَ فِي السَّمَاءِ، والنَّارُ تَحْتَ الأَرْضِ السَّابعة، وَنَعْتَقِدُ أَنَّ المَوْتَ بِالأَجَلِ فَإِذَا [قَالَ](6) الإِنْسَانُ هَذِهِ الأَشْيَاءَ وَاعْتَقَدَهَا فَقَدْ حَظِي بِالإِيمَانِ الكَامِلِ.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في المطبوعة (النقابة).

(٣) في الأصل (الحيات) بدلاً من (الحياة).

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) في الأصل (للمؤمنين) والصواب ما أثبت.

(٦) زيادة يقتضيها السياق.

وَفِي سَنَةِ أَلْفٍ وَمَائَتَيْنِ وَوَاحِدٍ قَرَأْتُ مَا ذَكَرَهُ ابْنُ الأَثِيرِ مِنْ مُعْتَقَدِ النَّصَارَى عَلَى قِسٍّ لِلنَّصَارَى فَقَالَ: هَذَا هُوَ الإِيمَانُ الكَامِلُ؟ فَسُحْقاً لَهُ مِنْ إِيمَانٍ كَامِلٍ، إِنَّمَا هُوَ نَاقِصٌ وَكُفْرٌ مَحْضٌ، وَكَلامُ أَسَاقِفَةٍ وَشَمامِسَةٍ لَعَنَهُمُ اللَّهُ مَا أَظْلَمَهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ.

وَمِنْ فَضَائِحِ اليَهُودِ:(١) ذُكِرَ فِي كِتَابِ «تَخْجِيل مَنْ حَرَّفَ الأَنَاجِيل»: أَنَّ قُدَمَاءَ اليَهُودِ عَبَدَةُ الكَوَاكِبِ وَالزُّهْرَةِ، مِنْهُمْ عَبَدُوا العِجْلَ الَّذِي صَنَعَهُ السَّامِرِي(٢) وَمِنْهُمْ طَائِفَة تَزْعُمُ(٣) أَنَّ أَبَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلام كَانَ نَبِياً مَبْعُوثاً(٤) قَبْلَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام وَطَائِفَة تَعْتَقِدُ(٥) أَنَّ لِلَّهِ مَضَاداً(٦) مِنْ خَلْقِهِ وَهُوَ فَاعِلُ الشَّرِّ، وَطَائِفَة تَزْعُمُ(٧) أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلام وَمُحَمَّداً(٨) ﷺ نَبِيَّان مُرْسَلَان لِقَوْمِهِمَا خَاصَة، وَطَائِفَة تُقِرُّ بِنُبُوَّةِ مُوسَى وَهَارُون وَيُوشَع، وَتَجْحَدُ بِنُبُوَّةِ مَا عَدَاهُمْ مِنَ النَّبِيين، وَطَائِفَة تَعْتَرِفُ بِنُبُوَّةِ [الـ](٩) كُلِّ ما عَدَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلام وَنَبِينا مُحَمَّد ﷺ وَتَزْعُمُ أَنَّ المَسِيحَ لَمْ يُبْعَثْ بَعْد وَسَيَأْتِي.

وَمِنْ فَضَائِحِهِمْ: زَعْمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ حِينَ أَكْمَلَ خَلْقَ العَالَمِ قَالَ تَعَالَى حَتَّى نَخْلُقَ بَشَراً مِثْلَنَا، فَخَلَقَ آدم. وَلِذَلِكَ اعْتَقَدَ اليَهُودُ أَنَّ اللَّهَ فِي صُورَةِ شَيْخٍ كَبِيرٍ، وَأَنَّه جَالِسٌ عَلَى كُرْسِي وَالمَلائِكَةُ قِيَامٌ بَيْنَ يَدَيْهِ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ.

---

(١) على هامش الورقة ٧٥ من الأصل كتب (فرق اليهود).

(٢) في الأصل (السامر).

(٣) في الأصل (يزعمون).

(٤) في الأصل (مبقوتا).

(٥) في الأصل (يعتقدون).

(٦) في الأصل (مضادد).

(٧) في الأصل (يزعمون).

(٨) في الأصل (محمد)، والصواب ما أثبت.

(٩) زيادة يقتضيها السياق.

وَمِنْ فَضَائِحِهِم: زَعْمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ لَمَّا خَلَقَ آدَمَ وَرَأَى مَعَاصِي نَبِيه كَثُرَتْ قَالَ: لَقَدْ نَدِمْتُ إِذْ خَلَقْتُ آدَمَ فَأَرْسَلَ الطُّوفَانَ، فَأَبَادَ بِهِ مَنْ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ، ثُمَّ نَدِمَ وَقَالَ: لَا أَعُودُ أَفْعَلُ ذَلِكَ! وَهَلْ يَخْفَى عَلَى عَلَّامِ الغُيُوبِ مَا كَانَ وَمَا سَيَكُونُ؟ قَاتَلَهُمْ الله أَنَّى يُؤْفَكُون مَا أَعْمَاهُمْ عَنِ الهُدَى! وَإِلَى هَذَا أَشَارَ صَاحِبُ الهَمْزِيَّةِ بِقَوْلِه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَرْضَاه فَقَالَ:

فَاسْأَلُوهُمْ أَكَانَ فِي مَسْخِهِمْ نَسْخٌ لِآيَاتِ اللَّهِ أَمْ إِنْشَاءُ
وَبَدَاءٌ فِي قَوْلِهِمْ نَدِمُ اللَّهِ عَلَى خَلْقِ آدَمَ أَمْ خَطَّاءُ

[١١]

إِيشَاعُ بِنْتُ فَاقُوذَا

وَهِيَ زَوْجَةُ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلامِ وأُخْتُ حِنَّة أُمُّ مَرْيَم عَلَيْهَا(١) السَّلام بِنْت عِمْرَان تَزَوَّجَهَا زَكَرِيَا عَلَيْهِ السَّلام وَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُ وَكَانَتْ عَاقِراً، وَبَلَغَتْ مِنَ العُمْرِ كَثِيراً حَتَّى انْقَطَعَ حَيْضُهَا، وَكَانَتْ أَكْبَرَ مِنْ أُخْتِهَا حِنَّة، وَقِيلَ: أَصْغَرَ مِنْهَا.

ذُكِرَ فِي «المَعَالِمِ» فِي تَفْسِيرِ سُورَة «كهيعص» قَوْلُه تَعَالى: **﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ العَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً﴾**(٢) أي قَالَ زَكَرِيَا: عَوَّدْتَنِي الإِجَابَةَ فِيمَا مَضَىٰ، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِراً فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيّاً﴾**(٣) أي: ابْناً، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿يرِثُنِي وَيرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ...﴾**(٤) قَالَ الحَسَنُ: يَرِثُنِي مَالِي، وَيرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ النُّبوةَ وَالحَبُورَةَ لأَنَّ زَكَرِيا كَانَ نَبِياً مُرْسَلاً، وَرَأْسَ الأَحْبَارِ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ...﴾**(٥). وَعَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّه لَمْ تَلِدِ العَوَاقِرُ مِثْلَهُ. وَقَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً...﴾**(٦) أي دلاَلَة عَلَى حَمْلِ امْرَأَتِي، لأَنَّهَا عَاقِرٌ وَقَدْ كَبُرَتْ وَأَسَنَّتْ قَالَ تَعَالى: **﴿آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾**(٧) أي: صَحِيحاً سَلِيماً مِنْ غَيْرِ بَأْسٍ وَلاَ خَرسٍ، وَكَانَ

---

(١) في الأصل (عليه).

(٢) سورة مريم، الآية ـ ٤.

(٣) سورة مريم، الآية ـ ٥.

(٤) سورة مريم، الآية ـ ٦.

(٥) سورة مريم، الآية ـ ٧.

(٦) سورة مريم، الآية ـ ١٠.

(٧) سورة مريم، الآية ـ ١٠.

النَّاسُ يَنْتَظِرُونَ خُرُوجَهُ مِنْ وَرَاءِ المِحْرَابِ. فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ مُتَغَيِّراً لَوْنُـهُ، فأنْكَرُوه وَقَالُوا[1] لَهُ: مَا لَكَ؟ فَكَتَبَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ﴿أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيّاً﴾[2] لأنَّه كَانَ يَخْرُجُ عَلَيْهِم بُكْرَةً وَعَشِياً، فَلَمَّا كَانَ وَقْتُ حَمْلِ امْرَأَتِهِ إيشَاع وَمُنِعَ مِنَ الكَلَامِ خَرَجَ إِلَيْهِمْ وَأَمَرَهُمْ بِالصَّلَاةِ [إشارَةً][3]، وَلَمَّا تَمَّ حَمْلُهَا وَلَدَتْ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلام وَلَمَّا صَارَ لَهُ مِنَ العُمْرِ ثَلَاثَ سِنِين آتَاه الله الحُكْمَ صَبِياً، قَرَأَ[4] التَّوْرَاةَ[5] وَهْو صَغِير

وَذُكِرَ فِي «تَارِيخِ ابْنِ الوَرْدِي»: أَنَّ إيشَاع وَلَدَتْ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَام قَبْلَ مَا وَلَدَتْ مَرْيَمُ عَلَيْهَا السَّلَام عِيسَى بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، فَكَانَ مَوْلِدُ يَحْيَى سَنَة أَرْبَعَ وَثَلَاثمائة لِغَلَبَةِ الإسْكَنْدَرِ، وَلِهُبُوطِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلام خَمْسَةَ آلَاف، وَخَمْسَمائة وَأَرْبَعٍ وَثَمانِينَ.

وَكَانَ لِهِرْدَوْسٍ حَاكِمُ اليَهُودِ بِنْت أَخٍ، فَأَرَادَ أَنْ يَتَزَوَّجَها حَسْبَمَا هُو جَائِزٌ فِي دِينِ اليَهُودِ، فَنَهَاهُ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلام عَنْ ذَلِكَ، فَطَلَبَتْ أُمُّ البِنْتِ مِنْ هِرْدَوْسٍ قَتْلَ يَحْيَى فَامْتَنَعَ، فَعَاوَدَتْهُ هِي وَالبِنْتُ وَأَلَحَّتْ عَلَيْهِ، فَأَمَرَ بِذَبْحِ يَحْيَى عَلَيْهِ السَّلام فَذُبِحَ لَدَيْهِمَا قَبْلَ رَفْعِ المَسِيحِ بِمُدَّةٍ يَسِيرَة.

وَذُكِرَ فِي «تَارِيخِ الدُّوَلِ»: وُلِدَ يَحْيَى قَبْلَ عِيسَى بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَنُبِّىءَ[6] وَهْو صَغِير، وَكَانَ لِليَهُود مَلِكاً اسْمُه آجَبُ، وَقِيلَ: هِرْدَوْس، وَكَانَ يُكْرِمُ يَحْيَى، وَكَانَ يُحِبُّ بِنْتَ أَخِيهِ، وَقِيلَ: بِنْتَ زَوْجَتِهِ، فَشَاوَرَ يَحْيَى بِأَنْ يَتَزَوَّجَها، فَمَنَعَهُ، فَبَلَغَ [مَنْعُهُ][7] أُمَّ البِنْتِ، فَعَمَدَتْ حِينَ جَلَسَ هِرْدَوس لِلْشُرْبِ وَزَيَّنَتْ بِنْتَهَا وَأَرْسَلَتْهَا

---

(١) في الأصل (قالو).

(٢) سورة مريم، الآية ـ ١١.

(٣) زيادة يقتضيها السياق عن المعالم ٣/١٩٠.

(٤) في الأصل (قرء).

(٥) في الأصل (التورة).

(٦) في الأصل (نبأ).

(٧) زيادة يقتضيها السياق عن تاريخ الدول ص ٧١.

إِلَى هِرْدَوس لِتَسْقِيَهُ الخَمْرَ، فَإِذَا رَاوَدَهَا تَأْبَىٰ حَتَّىٰ يُعْطِيَهَا رَأْسَ يَحْيَـى فِي طَشْتٍ، فَفَعَلَتْ، وَلَمَّا رَاوَدَهَا أَبَتْ وَطَلَبَتْ / مِنْهُ ذَلِكَ، فَبَعَثَ المَلْعُونُ إِلَى يَحْيَـى، وَهُو يُصَلِّي فِي مِحْرَابِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلام فَذَبَحُوه وَحَمَلُوا رَأْسَهُ فِي طَشْتٍ، وَأَدْخَلُوه عَلَى هِرْدَوس، وَالرَّأْسُ يَتَكَلَّمُ وَيَقُولُ: لَا تَحِلُ لَكَ. وَوَضَعُوه قُدَّامَ تِلْكَ العَاهِرَةِ، ثُمَّ أَمَرَ هِرْدَوس بِدَفْنِه، وَالدَّمُ يَغْلِي مِنْهُ وَيفُورُ، فَوَضَعُوهُ فِي حُفْرَةٍ، فِي دَارِ هِرْدَوس

ثُمَّ خَسَفَ اللَّهُ بِهِرْدَوس وَزَوْجَتِهِ وَبِنْتِهَا العَاهِرَة ، وَذَلِكَ سَنَة خَمسَة آلاف وستمائة وأربع عشرة(١).

وَذَلِكَ الذَّبْحُ قَبْلَ رَفْعِ عِيسَى عَلَيْه السَّلام إِلَى السَّمَاءِ، وَاسْتَمَرَّ الدَّمُ يَغْلِي وَيَفُورُ ثَلاَثٍ وَأَرْبَعِينَ سَنة، حَتَّى سَلَّطَ اللَّهُ عَلَى اليَهُودِ طيطرس، وَقِيلَ: بَخْت نَصْر، وَقُتِلَ اليَهُودُ وَخُرِّبَ بَيْتُ المَقْدِسِ، وَقَدْ قُتِلَ مِن اليَهُودِ نَحْوَ سَبْعِينَ أَلفاً فَعِنْدَ ذَلِكَ أُهْبِطَ الدَّمُ الَّذِي كَانَ يَفُورُ مِنْ رَأْسِ يَحْيَـى، وَمَاتَتْ أُمُّه إِيشَاع قَبْلَ ذَبْحِهِ بِسِنين، وَدُفِنَتْ فِي بَيْتِ المَقْدِسِ، وَقَدْ أَسَنَّتْ، وَاللَّهُ سُبْحَانَه وَتَعَالى أَعْلَم.

وَذُكِرَ فِي «الإِتْقَانِ»، يَحْيَـى أَوَّلُ مَنْ سُمِّي بِنَصِّ القُرْآنِ، وُلِدَ قَبْلَ عِيسَى بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، وَنُبِّىءَ(٢) صَغِيراً، وَقُتِلَ ظُلْماً، وَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَى قَاتِلِهِ، بَخْت نَصْر وَجُيُوشَه، وَإِنَّمَا سُمِّي يَحْيَى لأَنَّهُ أَحْيَاه اللَّهُ بِالإِيمَانِ، وَقِيلَ: لأَنَّهُ أُحْيَا بِـهِ (٣) رَحِمَ أُمِّهِ، وَقِيلَ: لأَنَّه اسْتُشْهِدَ وَالشُّهَدَاءُ أَحْيَاءٌ، وَقِيلَ: مَعْنَـاهُ يَمُوتُ، كَقَوْلِهِم: المَفَازَةُ لِلْمَهْلَكَةِ، وَالسَّلِيمُ لِلَّدِيغ.

---

(١) ورد في الأصل بعد «عشرة» كلمة (سنة)، وقد حذفت ليستقيم السياق.

(٢) في الأصل (نبا).

(٣) في الأصل (حيا).

وَذُكِرَ فِي «كَشْفِ الأَسْرَارِ» قَوْله: لِمَ أَعْطَاهُ الحُكْمَ صَبِيّاً؟ قَالَ: لأَنَّ أَبَاه قَالَ: ﴿... وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا﴾ (١) فَأَكْرَمَهُ فِي أَوَّلِ الحَالِ بِالحِكْمَةِ لِيَكُونَ مَرْضِيًّا مِنْ أَوَّلِ عُمرِه إِلَى آخِرِه، وَأَكْرَمَهُ بِالحِكْمَةِ فِي صِبَاه لِيَعْتَادَ الصَّلاَحَ، لأَنَّ النَّفْسَ مَا عَوَّدْتَهَا بِهِ(٢) تَتَعَوَّدُ [عَلَيْهِ](٣)، لأَنَّه كَانَ فِيهِ ثَلاَثَةُ أَشْيَاء وَهِي: قَوْلُه تَعَالى: ﴿... وَسَيِّداً وَحَصُوراً وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٤) وَأَمَّا تِلْكَ الحِكْمَة: فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمَ أَرْبَعَةً مِنْ الصِّبْيَانِ بِأَرْبَعَةِ أَشْيَاء: يُوسُفَ بِالوَحْي فِي الجُبِّ، وَعِيسَى بِالنُّطْقِ فِي المَهْدِ، وَسُلَيْمَان بِالفَهْمِ، وَيَحْيَى بِالكَلِمَةِ. فَإِنْ قِيلَ: لِمَ ابْتَلاَه اللَّهُ بِالقَتْلِ؟ قِيلَ: لأَنَّه لَيْسَ فِي الدُّنْيَا دَرَجَةٌ بَعْدَ النُّبُوَّةِ أَبْلَغ مِنَ الشَّهَادَةِ، فَأَكْرَمَهُ اللَّهُ بِهَا. انْتَهَى، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

---

(١) سورة مريم، الآية ـ ٦.

(٢) في الأصل (دعوتها)، والصواب ما أثبت.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) سورة آل عمران، الآية ـ ٣٩.

[١٢]

سَارَةُ

زَوْجَةُ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَام وَقِيلَ: اسْمُهَا آسِيَةُ، وَقِيلَ: كُلَيْثِمَةُ، وَهي مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل، وَكَانَتْ حَسَنَةً فِي الغَايَةِ بَدِيعَةَ الجَمَالِ.

وَذُكِرَ فِي «المَعَالِمِ» فِي تَفْسِيرِ قَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسعٌ وتِسْعُون نَعْجَةً..﴾(١)

---

(١) سورة ص، الآية - ٢٣.

لِيعلم أن مما أورده بعض المفسرين في قصة الخصمين مع نبي الله داوُد عليه السلام من الإسرائيليات التي لا تليق بنبي الله داود الذي خصَّه الله تعالى بنبوته وأكرمه برسالته لأن الأنبياء جميعهم تجب لهم العصمة من الكفر والرذائل وكبائر الذنوب وصغائر الخسة ولذلك لا يجوز الاعتماد على مثل هذه القصص المنسوبة كذباً للأنبياء ولا يجوز اعتقادها لأنها تنافي العصمة الواجبة لهم ولذلك ينبغي الاقتصار في فهم قصة الخصمين مع داوُد عليه السلام على ظاهر ما أوردها الله تعالى في القرءان فقد جاء في تفسيرها أنَّ ذَيْنَك الخصمين كانا في الحقيقة من البشر من بني ءادم بلا شك وأنهما كانا مشتركَيْن فيْ نعاج من الغنم على الحقيقة وأنه بغى أحدهما على الآخر وظلمه على ما نصّت الآية، وقد تسوَّر هذا الخصمان محراب داوُد عليه السلام وهو أشرف مكان في داره وكان داود عليه السلام مستغرقاً في عبادة ربه في ذلك المحراب فلم يشعر بالشخصين إلا وهما أمامه فلما قال لهما مَنْ أدخلكما عليَّ طمأناه وقالا له لا تخف ثم سألاه أن يحكم في شأنهما وقضيتهما إلى ءاخر القصة التي نصَّ الله تعالى عليها في القرءان والمقصود بالنعاج في الآية هم النعاج الحقيقية كما قال الحافظ الجليل تقي الدين السبكي: «النعجة في الآية هي النعجة الحقيقية والخصمان من البشر» اهـ. وأما استغفار داوُد عليه السلام فلأجل تعجّله بالحكم على أحد الخصمين قبل التثبت في الدعوى وكان يجب عليه عند سماع الدعوى =

وَذُكِرَ فِي «فَتَاوَى ابْنِ حَجَرٍ المَكِّي» [أنَّه][1] سُئِلَ عَمَّنْ لَهَا أَزْوَاجٌ فِي الدُّنْيَا؟ [فَأَجَابَ][2]: هِيَ فِي الجَنَّةِ لِآخِرِ أَزْوَاجِهَا أَوْ لأَحْسَنِهِمْ خُلُقاً فِي الدُّنْيَا. وَفِي «شَرْحِ[3] الرُّوضِ فِي الخَصَائِص»: وَلأَنَّ المَرْأَةَ لِآخِرِ أَزْوَاجِهَا كَمَا قَالَهُ ابْنُ القُشَيْرِي فِي «مَجْمُوعِ الأَحْبَابِ» نَقْلاً لأَبِي الفَرَجْ، وَرُوِيَ عَنْ أَبِي الدَّرْدَاء وَحُذَيْفَة[4]: «أَنَّ المَرْأَةَ لآخِرِ أَزْوَاجِهَا فِي الدُّنْيَا»، وَجَاءَ أَنَّهَا تَكُونُ لأَحْسَنِهِمْ خُلُقاً. وَفِي «حَاشِيَةِ الأَشْبَاه» لِلْحَمَوي رَوَى الطَّبَرَانِي فِي «الكَبِيرِ والأَوْسَطِ»: عَنْ أُمِّ سَلَمَة

= من أحد الخصمين أن يسأل الآخر عما عنده فيها ولا يقضي عليه بالحكم قبل سؤاله وقد تاب داوُد عليه السلام من ذلك الذنب الذي ليس فيه خسّة ولا دناءة وغفر الله تعالى له بنص القرءان الكريم قال تعالى: ﴿فغفرنا له ذلك وإنَّ له عندنا لزلفى وحسن مئاب﴾ سورة ص. وأما ما أورده المؤلف هنا نقلاً عن بعض المفسرين عن سيدنا داوُد عليه السلام وأنه عشق امرأة أحد قوّاده واسمه أوريا فقد قال العلماء المعتبَرون إنّ هذهِ الروايات لا تصح لا من طريق النقل ولا تجوز من حيث المعنى لأن الأنبياء منزَّهون عن مثل هذه الأمور كلها وقالوا لا يُلتفت إلى ما سطره بعض المفسرين والقصصيين عن أهل الكتاب الذين بدّلوا وغيّروا ولم يكن اعتقادهم بداوُد عليه السلام أنه رسول الله بل ملِك من الملوك.

قال الإمام أبو حيان الأندلسي في تفسيره البحر المحيط عند تفسير هذه الآية: «ويُعلم قطعاً أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من الخطايا (الكبيرة أو الصغيرة الخسيسة) لا يمكن وقوعهم في شيء منها ضرورة أنْ لو جوَّزنا عليهم شيئاً من ذلك أي مما تقصُّه هذه الأخبار الباطلة بطلت الشرائع ولم نثق بشيء مما يذكرون أنه أوحى الله به إليهم فما حكى الله تعالى في كتابه يَمُرُّ على ما أراده تعالى». أهـ.

وفي السورة التي ذُكرت فيها هذه القصة من أولها إلى ءاخرها محاجَّة منكري النبوة فكيف يلائمها القدْح في بعض الأنبياء بهذا الفسق القبيح وقد وصف الله تعالى سيدَنا داوُد عليه السلام بمحامد كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ذا الأيدِ﴾ أي القوة ولا شك أن المراد منه القوة في الدين والعبادة لأن القوة في غير الدين كانت موجودة في الملوك الكفار وما استحقوا بها مدحاً. والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم.

(١) زيادة يقتضيها السياق.
(٢) زيادة يقتضيها السياق.
(٣) في الأصل (شرم) بدلاً من (شرح).
(٤) في الأصل (جذيفة).

رَضِي اللَّهُ عَنْهَا، وَلَفْظُه قُلْتُ: يَا رَسُول اللَّهِ، المَرْأَةُ تَتَزَوَّجُ الزَوْجَيْنِ وَالثَّلاثَة وَالأَرْبَعَةَ فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ تَمُوتُ فَتَدْخُلُ الجَنَّة، وَيَدْخُلُونَ مَعَهَا، مَنْ يَكُونُ زَوْجُهَا مِنْهُمْ؟ قَالَ: يَا أُمَّ سَلَمَة: «إِنَّهَا تَتَخَيَّرُ فَتَخْتَارُ أَحْسَنَهُمْ خُلُقاً، فَتَقُولُ: أَي رَبِّ، إِنَّ هَذَا كَانَ أَحْسَنَهُمْ مَعِيَ خُلُقاً فَزَوِّجنيه» [قَالَتْ](١) أُمُّ سَلَمَة: ذَهَبَ حُسْنُ الخُلُق بِخَيرِي فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَة.

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «كَشْفِ الأَسْرَارِ» قَوْلُه: سُؤَال: لِمَ سُمِّيَ دَاوُد عَلَيْهِ السَّلاَم دَاود؟ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هُو بِلِسَانِ العَبْرَانِي، مَنْ لاَ عُمْرَ لَهُ، فَلِذَلِكَ وَهَبَ لَهُ آدَمُ مِنْ عُمْرِهِ سِتين سَنَة، وَقِيلَ: إِنَّهُ حَصَلَ لَهُ الدَّاءُ بِالذَنْبِ الصغير، والود مِنَ اللَّهِ بِالتَّوبَة، وَقُلْتُ فِي لُغْزِ دَاود:

أَيُّ اسْمٍ قَدْ تَسَامَى عِنْدَ رُومٍ وَعُرْبِ
أَوَّلُ الاسْمِ سُقْمٌ(٢) آخِرُ الاسْمِ خَشَبُ

وَذُكِرَ فِي «تَارِيخِ ابْنِ الوَرْدِي» نَقْلاً مِنَ الكَامِلِ: لَمَّا صَارَ لِدَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلام مِنَ العُمْرِ خَمْس وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَهْي السَّنَة الثَّامِنَة وَالعِشْرُون مِنْ مُلْكِهِ، كَانَتْ قِصَّته مَعَ الخَصْمَيْنِ، وَتَزَوَّج دَاوُدُ زَوْجَتَهُ، وَلَمَّا صَارَ لَهُ سَبْعُونَ سَنَةً تُوفِي، وَذَلِكَ سَنَة خَمْسٍ وَثَلاثِينَ وَخَمْسَمائَة لِوَفَاة(٣) مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام وَمِنْ وَفَاةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام إِلَى هُبُوطِ آدم عَلَيْهِ السَّلاَم، ثَلاَثَة آلاَف وَثَمَانِمَائَة، وَثَمَانٍ وَسِتُّون، وَتُوفِّيَتْ زَوْجَتُهُ فِي حَيَاتِهِ قَبْلَ مَمَاتِهِ بِثَلاَثِ(٤) سِنِين، وَقِيلَ: بِسَنَتَيْنِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَم.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل (فسقم).

(٣) في الأصل (لو فات).

(٤) في الأصل (بثلاثة).

[١٣]

بَلْقِيسُ (*)

بِنْتُ الهُدْهَاد بْنِ شُرَحْبِيل بْنِ عَمْرو بْنِ غَالِبِ بْـنِ المُنْتَابِ بْنِ زَيْدِ بْنِ يَعْفُرِ بْنِ السَّكْسَكِ بْنِ وَائِلِ بْنِ حِمْيَرِ بْنِ عَبْدِ شَمْس بْنِ تشخبِ بْنِ يَعْرُبِ بْنِ قَحْطَان بْنِ عَابِرِ بْنِ شَالِخ بْنِ قينان بْنِ أَرْفَخْشذ بْنِ سَام بْنِ نُوح عَلَيْهِ السَّلَام وَهي زَوْجَة سُلَيْمَان عَلَيْهِ السَّلام مَلَكَتْ اليَمَنْ بَعْدَ أَبِيهَا، وَأَطَاعَتْ سُلَيْمَان عَلَيْهِ السَّلام فِي السَّنَةِ الخَامِسَةِ وَالعِشْرِين مِنْ مُلْكِهِ سَنَة أَرْبَعَة آلاف وَأَرْبَعمَائَة وَثَمَانِي عَشْرَة سَنَة مِنْ هُبُوطِ آدم عَلَيْه السَّلام وَذُكِرَ فِي «المَعَالِم» أَنَّ بَلْقِيس كَانَتْ أُمُّهَا مِنَ الجِن، [وَ][١] كَانَ أَبُوهَا مَلِكاً فِي اليَمَنِ، وَقَدْ ملكَ قَبْلَهُ أَرْبَعُونَ مَلِكاً، وَهو آخِرهم، وَكَانَ يَقُولُ لِمُلُوكِ الأَطْرَافِ: لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ كُفُواً لِي أَنْ أَتَزَوَّجَ مِنْكُمْ[٢]. فَزَوَّجُوهُ امْرَأَة مِنَ الجِنِّ يُقَالُ لَهَا: رَيْحَانَة بِنْتُ السَّكَنِ فَوَلَدَتْ لَهُ بَلْقِيسَ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ غَيْرها.

قَالَ العُلَمَاء مَا ثَبُتَ إِنْجَاب أَوْلاَدٍ مِنْ جِنِي أو جُنِيَة وَقِيلَ إِنَّ أَحَدَ أَبَوَى بَلْقِيس كَانَ جِنياً، فَلَمَّا مَاتَ أَبُوهَا طَمَعَتْ بَلْقِيسُ فِي

(*) هي ملكة جليلة ذات عقل راجح ورأى صائب، اختلف في نسبها: «قال ابن الأثير: هي بلقمة ابنة أنيشرح بن الحرث بن قيس بن صيفي بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان، وقيل هي بلقمة ابنة الهدهاد. واسمه: أنيشرح ابن تبع ذي الادغار بن تبع ذي المنار بن تبع الرائش، وقال ابن قتيبة: هي بلقيس بنت الهداد بن شرحبيل بن عمرو الرائش. وفي سرح العيون: هي بلقيس ابنة شراحيل بن الحارث بن سبأ، ويلقب أبوها بالهدهاد، وقيل: بنت الشَّيْصَبَان. وقيل: في نسبها غير ذلك.

انظر ترجمتها: «الكامل» ١/ ١٢٩، و«المعارف» لابن قتيبة ص ٦٢٨، وسرح العيون ص ٨٣، وأعلام النساء ١/ ١٤٢ ـ ١٤٨.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل (منهم).

المُلْكِ فَأَطَاعَهَا[1] قَوْمٌ، وَعَصَاهَا[2] آخرون وملّكوا عليهم رَجُلاً، وَافْتَرَقَتْ مَمْلَكَةُ اليَمنِ فِرْقَتَيْنِ، ثُمَّ إِنَّ الرَّجُلَ أَسَاءَ السِّيرَةَ فِي مَمْلَكَتِهِ وَجعَلَ يَمُدُّ يَدَهُ إِلَى حَرَمِ رَعِيَّتِهِ، وَيَفْجُرُ بِهِنَّ، فَأَرَادَ قَوْمُهُ خَلْعَهُ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهِ، فَلَمَّا بَلَغَ ذَلِكَ بَلْقِيسُ أَدْرَكَتْهَا الغَيْرَة فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ تَعْرِضُ نَفْسَهَا عَلَيْهِ فَأَجَابَهَا المَلِكُ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ أَنِ اجْمَعْ رِجَالَ قَوْمِي وَاخْطُبْنِي، فَجَمَعَهُمْ وَخَطَبَهَا، فَجَاءُوا إِلَيْهَا وَأَخْبَرُوهَا فَرَضِيتْ وَقَالَتْ: أَحْبَبْتُ الوَلَدَ فَزَوَّجُوهَا مِنْهُ، فَلَمَّا زُفَّتْ إِلَيْهِ خَرَجَتْ فِي أُنَاسٍ كَثِيرِين[3] فَلَمَّا جَاءَتْهُ سَقَتْهُ الخَمْرَ حَتَّى سَكِرَ، ثُمَّ جَزَّتْ رَأْسَهُ، وَانْصَرَفَتْ مِنَ الليلِ إِلَى مَنْزِلِهَا، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ رَأَوا المَلِكَ قَتِيلاً، وَرَأْسَهُ منصوباً عَلَى بَابِ دَارِهَا، فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهَا، وَقَالُوا: أَنْتِ بِهَذَا المُلْكِ أَحَقُّ مِنْ غَيْرِكِ، فَمَلَّكُوهَا عَلَيْهِمْ، فَمَلَكَتْ اليَمَنَ بِأَسْرِهِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ عَرْشُ بَلْقِيس ثَلاَثِين ذِرَاعاً فِي ثَلاَثِين ذِرَاعٍ، وَطُولُه فِي السَّمَاءِ ثَلاَثُونَ ذِرَاعاً[4]. وَقَالَ مُقَاتِلُ: طُولُهُ ثَمَانُون ذِرَاعاً فِي ثَمَانِينَ، وَطُولُه فِي السَّمَاءِ ثَمَانُونَ، وَقِيلَ: طُولُه ثَمَانُونَ ذِرَاعاً وَعَرْضُهُ أَرْبَعُون ذِرَاعاً وَارْتِفَاعُهُ ثَلاَثُونَ وَقِيلَ: كَانَ سَرِيراً ضَخْماً مُضْرَباً مِنَ الذَّهَبِ، مُكَلَّلاً بِالدُّرِّ وَاليَاقُوتِ وَالزُّمُرُّدِ، وَعَلَيْهِ سَبْعَةُ أَبْيَاتٍ، عَلَى كُلِّ بَيْتٍ بَابٌ مُغْلَقٌ وَكَانَ فِي مُلْكِهَا فِي أَيَّامِ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلاَم فَاتَّفَقَ أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلاَم سَارَ فِي الجِهَادِ، وَكَانَتْ الطيورُ تُظِلّه مِنَ الشَّمْسِ، وَالهُدْهُدُ دَلِيلَهُ إِلى المَاءِ، يَعْرِفُ المَاءَ تَحْتَ الأَرْضِ، وَيَرَاه كَمَا يُرَى فِي الزُّجَاجِ، وَيَعْرِفُ قَرِيبَهُ وَبَعِيدَهُ، فَيَنْقِرُ الأَرْضَ ثُمَّ تَجِيءُ الشَّيَاطِين فَيُخْرِجُونَ المَاءَ. فَنَزَلَ سُلَيْمَانُ مَنْزِلاً فَاحْتَاجَ إِلَى المَاءِ فَتَفَقَّدَ الهُدْهُدَ فَلَمْ يَجِدْه، فَقَالَ: مَا لِي لاَ أَرَى الهُدْهُدَ؟ وَكَانَ سُلَيْمَانُ قَدْ وَافَى نَحْو صَنْعَاء وَرَأَى

---

(١) في الأصل (فأصاعوها).

(٢) في الأصل (وعصرها).

(٣) في الأصل (كثيرة).

(٤) في الأصل (ذراع).

أرضاً حسَنَةً تُزْهِرُ خُضْرَتُها، فنَزَلَ هُناكَ، وَقَالَ الهُدْهُدْ فِي نَفْسِهِ: إِنَّ سُلَيْمَانَ قدِ اشْتَغَلَ بِالنُّزُلِ، فَأَرْتَفِعُ نَحْوَ السَّماء وَأَنْظُرُ إِلى طُولِ الدُّنْيَا وَعَرْضِهَا، فَفَعَلَ، ورأى بُسْتَان بَلْقِيس فَنَزَلَ إِليهِ فَوَجَدَ هُنَاكَ أَيْضاً هُدْهُداً[١] مِثْلَهُ وَاسْمُه عَنْفِير، وَاسْمُ هُدْهُد سُلَيْمَان يَعْفُور فَقَالَ عَنْفِيرُ لِيَعْفُور: مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتَ، وَإِلى أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: مِنَ الشَّامِ مَعَ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاوُد، فَقَالَ عَنْفِير: مَنْ سُلَيْمَان؟ قَال يَعْفُور: مَلِكُ الجِنِّ وَالشَّيَاطِينِ وَالإِنْسِ وَالطَّيْرِ وَالوَحْشِ وَالهَوَامِ وَالرِّيَاحِ، فَمَنْ أَنْتَ؟ قَال عَنْفِيرُ: أَنَا مِنْ هَذِهِ البِلَادِ. فَقَالَ لَهُ: وَمَنْ يَمْلِكُهَا؟ قَالَ: بَلْقِيس، وَتَحْتَ يَدَيْهَا اثْنَا عَشَرَ أَلْفَ قَائِد، تَحْتَ يَدِ كُلِّ قَائِدٍ مائة ألف مُقَاتِلٍ، فَهَلْ لَكَ أَنْ تَنْطَلِقَ مَعِي حَتَّى تَنْظُرَ إِلَى مُلْكِهَا؟ فَانْطَلَقَ مَعَهُ، وَنَظَرَ إِلَى بَلْقِيس وَمُلْكِهَا، وَرَجَعَ إِلَى عِنْدِ سُلَيْمَان وَقْتَ العَصْرِ، وَكَانَ سُلَيْمَانُ قَدْ سَأَلَ[٢] النَّسر عَنِ الهُدْهُدِ، فَقَالَ: مَا أَدْرِي أَيْنَ هُوَ؟ فَغَضِبَ سُلَيْمَانُ وَقَالَ: لأُعَذِّبَنَّهُ أَوْ لأَذْبَحَنَّهُ، ثُمَّ دَعَا بِالعُقَابِ سَيِّد الطُّيور فَقَالَ: عَلَيَّ بِالهُدْهُدِ. فَرَفَعَ العُقَابُ نَفْسَهُ بِالهَوَاءِ فَإِذَا هُو بِالهُدْهُدِ مُقْبِلاً مِنْ نَحْو اليَمَنِ فَانْقَضَّ عَلَيْهِ، فَنَاشَدَهُ اللَّهَ وَقَالَ لَهُ: ارْحَمْنِي فَوَلَّى[٣] عَنْهُ العُقَابُ فَقَالَ لَهُ: إِنَّ نَبِي اللَّهِ قَدْ حَلَفَ أَنْ يُعَذِّبَكَ أَوْ يَذْبحكَ، ثُمَّ تَوَجَّهَا[٤] فَلَمَّا وَصَلا[٥] العَسْكَرَ لَقِيَهُ النَّسْرُ وَالطَّيْرُ فَقَالُوا لَهُ: أَيْنَ كُنتَ؟ فَلَقَدْ تَوَعَّدَكَ سُلَيْمَان. وَأَخْبَرُوه. فَقَالَ الهُدْهُدُ: وَمَا اسْتَثْنَى قَالُوا: بَلَى، قَالَ: أَوْلَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ! قَالَ: نَجَوْتُ إِذاً، ثُمَّ أَتَيَا سُلَيْمَان، فَقَالَ العُقَاب: أَتَيْتُكَ بِهِ. فَلَمَّا قَرُبَ الهُدْهُدُ رَفَعَ رَأْسَهُ وَأَرْخَى ذَنَبه وَجَنَاحَيه يَجُرُّهُمَا عَلَى الأَرْضِ. فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ أَخَذَ بِرَأْسِهِ، وَقَالَ لَهُ: أَيْنَ كُنْتَ؟ لأُعَذِّبَنَّكَ عَذَاباً شَدِيداً، فَقَالَ الهُدْهُدُ: جِئْتُكَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ، فَعَفَا عَنْهُ، وَسَأَلَهُ: مَا

(١) في الأصل (هدهد).
(٢) في الأصل (سئل).
(٣) في الأصل (فولا).
(٤) في الأصل (توجهوا).
(٥) في الأصل (وصلوا).

الذي أَبْطَأَكَ[1] عَنّي؟ فقَالَ قَوْله تَعالى: ﴿... أَحطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ * إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ...﴾[2] الآية. قَالَ سُلَيْمَانُ لِلْهُدْهُدِ قَوْله تَعالى: ﴿... سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ﴾[3] فَدَلَّهُمْ الهُدْهُدُ عَلى المَاءِ فَشَرِبُوا وَرَووا الدَّوَابَ، ثُمَّ كَتَبَ كِتَاباً: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ سُلَيْمَانَ بْنِ دَاود إِلَى بَلْقِيس مَلِكَةِ سَبَأ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰن الرَّحِيم، السَّلام عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الهُدَىٰ. أَمَّا بَعْدُ، أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ، وأْتوني مُسْلِمينَ، وَلَمَّا تَمَّ الكِتَابُ طَبَعَهُ بِالمِسْكِ، وَخَتَمَهُ بِخَاتِمِهِ، قَالَ[4] لِلْهُدْهُدِ: اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِه إِلَيْهِم، ثُمَّ تَولَّ عَنْهُمْ وَتَنَحَّ[5] وَكُنْ قَرِيباً مِنْهُمْ فَانْظُرْ، مَاذَا يَرْجِعُونَ؟ فَأَخذَ الهُدْهُدُ الكِتَابَ وَسَارَ بِهِ إِلَى اليَمَنِ، وَأَتَى بَلْقِيس فَكَانَتْ بِأَرْضٍ يُقَالُ لَهَا مَأرِب [تَبْعُدُ][6] عَنْ صَنْعَاء ثَلَاثَة أَيَّامٍ، فَوَافَاهَا فِي قَصْرِهَا وَقَدْ غَلَّقَتِ الأَبْوَابَ، لأَنَّهَا كَانَتْ إِذَا رَقَدَتْ غَلَّقت الأَبْوَاب، وَوَضَعَتْ المَفَاتِيح تَحْتَ رَأْسِها فَأَتَاهَا الهُدْهُدُ وَهِي نَائِمَة عَلَى قَفَاهَا، فَأَلْقَى الكِتَابَ عَلَى نَحْرِهَا، هَكَذَا رَوَاه قَتَادَةُ، وَقَالَ مُقاتِلُ: حَمَلَ الكِتَابَ بِمُنْقَارِهِ حَتَّى وَقَفَ عَلَى رَأْسِ بَلْقِيس، وَحَوْلَهَا القَادَة وَالجُنُودُ فَرفْرَف، وَرَفَعتْ رَأْسَهَا بَلْقِيسُ تَنْظُرُ[7] إِلَيْهِ، فَأَلْقَى الكِتَابَ فِي حِجْرِهَا، وَقَالَ ابْنُ مُنَبِّه: كَانَ لَهَا كُوَّةٌ مُسْتَقْبِلَة الشَّمْس تَقَعُ الشَّمسُ فِيهَا حِينَ تَطْلُعُ فَإِذَا رَأَتْهَا سَجَدَتْ لَهَا: فَجاءَ الهُدْهُدُ وَسَدَّ الكُوَّة بِجَنَاحَيْهِ، فَارْتَفَعَتِ الشَّمس وَلَمْ تَعْلَمْ بَلْقِيسُ فَقَامَتْ تَنْظُرُ إِلَيْهَا، فَرَمَى الهُدْهُدُ الكِتَابَ إِلَيْهَا، فَأَخذَتْهُ بَلْقِيس وَقَرَأَتْهُ، فَلَمَّا رَأَتِ الخَاتَمَ ارْتَعَدَتْ وَعلِمَتْ أَنَّ الّذِي أَرْسَلَهُ أَعْظَمُ مُلْكاً مِنْهَا فَخَرَجَتْ وَجَلَسَتْ عَلَى سَرِيرِهَا وَجَمَعَتْ قَوْمَهَا وَهُمْ اثْنَا عَشَرَ قَائِداً مَع

---

(١) في الأصل (ابطاك).

(٢) سورة النمل، الآيتان ـ ٢٢: ٢٣.

(٣) سورة النمل، الآية ـ ٢٧.

(٤) في الأصل (فقال).

(٥) في الأصل (تولى عنهم تنحا عنهم).

(٦) زيادة يقتضيها السياق.

(٧) في الأصل (ينظرون).

كل قائدٍ مائة ألف مقاتِل . وعنِ ابنِ عباس: كان مع بلقِيس مائة ألف قيلٍ مع كُلِّ قِيلٍ مـائة ألف، وَالقِيـلُ مَلِكٌ دُونَ المَلِك الأعْظَم. وَقَـالَ مُقَاتِـلُ: أَهْلُ مَشُورَتِهَا ثَلاثمائَة وَثَلاثَة عَشَرَ رَجُلاً، كُلّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَلَى عَشَرَةِ آلاَفٍ، فَقَالَتْ لَهُمْ بَلْقِيسُ: ﴿. . . إنِّي أُلْقِيَ إليَّ كِتَـابٌ كَرِيمٌ * إنَّـهُ مِنْ سُلَيْمَـانَ وَإنَّـهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * ألاَّ تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ * قَالَتْ يَا أَيُّهَا الْمَلأُ أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْراً حَتَّى تَشْهَدُونِ * قَالُوا نَحْنُ أُوْلُوا قُوَّةٍ وَأُولُوا بَأْسٍ شَدِيدٍ وَالأَمْرُ إلَيْكِ فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ﴾[٢] قَوْلُهُ تَعالى: ﴿فَانْظُرِي مَاذَا تَأْمُرِين﴾ . . . ﴿قَالَتْ إنَّ الْمُلُوكَ إذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوها. . ﴾[٣] الآية. وَأَرْسَلَتْ لَهُ هَدِيَّة. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وُصَفَاءَ وَوَصَـائِفَ وَأَلْبَسَتْهُمْ لِبَاسـاً وَاحِداً كَي لاَ يَعْـرِفَ الذَّكَـرَ مِنَ الأُنْثَى. وَقَالَ مُجَاهِدُ: أَلْبَسَتِ الغِلْمَانَ لِبَاسَ الجَوَارِي، وَأَلْبَسَتِ الجَوَارِي لِبَاسَ الغِلْمَان. قِيلَ: مائة وصيف ومائة وصيفة، وَقِيلَ: مَائتي غُلاَم ومـائتي جَارِيَـةٍ، وَأَرْسَلَتْ لَهُ لَبِنَةً مِنْ ذَهَبٍ فِي حَرِيرٍ. وَقَالَ ثَابِتُ: صَفَائِح ذَهَب فِي أَوْعِيَةِ دِيبَاجٍ، وَقِيلَ: أربع لَبِنَات من ذهب، وقال وهبٌ: خمسمائة غلام وخمسمائـة جاريـة، وَأَلْبَسَتْ الجَـوَارِي لِبَاس الغِلْمَـان، وَأَلْبَسَتْ الغِلْمَان لِبَـاسَ الجَوَارِي بِـالأَسَـاوِرِ وَالأَطْوَاقِ وَالأَقْرَاطِ، وخمسمـائة لَبِنـة من ذهب، وخمسمائـة لَبِنة من فضـة، وتاجاً[٤] مكلَّلاً بِالدُّرِّ وَاليَاقُوتِ، وَمِسْكاً وَعَنْبراً وَعُوداً، وَحُقَّةً فِيهَا دُرَّةٌ ثَمِينَةٌ غَير مَثْقُوبَةٍ، وَجَزْعَة[٦] مُعْوَجَّةَ الثُّقْبِ وَدَعَتْ رَجُلاً مِنْ أَشْرَافِ قَوْمِهَا اسْمه المُنْذِرُ بْنُ

---

(١) مر من قبل (ص ٤٦/أ) أن قومها: (اثنا عشر ألف قائد).

(٢) سورة النمل، الآيات ـ ٢٩ ـ ٣٣. وفي هامش المطبوعة ما نصه: (وقد كثر فيها التصحيف فصوبت دون الإشارة إلى ذلك).

(٣) سورة النمل، الآية ـ ٣٤.

(٤) في الأصل (تاج).

(٥) في الأصل (مسك).

(٦) الجَزْعُ: هو خَرَزٌ يَمَانِيّ، وهو الذي فيه بياض وسواد تُشَبَّه بـه الأَعْيُن. انظر: «مختـار الصحاح» ص ١٠٣.

عَمْرو وَضَمَّتْ إِلَيْهِ رِجَالاً، وَكَتَبَتْ مَعَهُ كِتَاباً بِنُسْخَةِ الهَدِيَّةِ وَفِيه: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَمَيِّزْ بَيْنَ الوُصَفَاءِ وَالوَصَائِفِ، وَأَخْبِرْنِي بِمَا فِي الحُقَّةِ، وَأَثْقِبْ الدُّرَّةَ ثُقْباً مُسْتَوِياً، وَأَدْخِلْ خَيْطاً[1] بِالخَرَزَةِ المَثْقُوبَة. وَأَمَرَتْ الغِلْمَانَ أَنْ يُكَلِّمُوا[2] سُلَيْمَانَ بِكَلَامٍ تَأْنِيثٍ وَتَخْنِيثٍ مِثْل كَلامِ النِّسَاءِ، وَأَمَرَتْ الجَوَارِي أَنْ يُكَلِّمْنَهُ بِكَلَامٍ غَلِيظٍ فِيهِ حِدَّة يُشْبِه كَلَامَ الرِّجَالِ، ثُمَّ قَالَتْ بَلْقِيسُ لِلْمُنْذِرِ: إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهِ انْظُرْ إِنْ نَظَرَ إِلَيْكَ نَظَر الغَضَبِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ مَلِكٌ وَلَا يَهُولَنَّكَ فَإِنِّي أَعَزُّ مِنْهُ، وَإِنْ رَأَيْتَهُ هَشًّا بَشًّا لَطِيفاً فَاعْلَمْ أَنَّهُ نَبِيّ، فَافْهَمْ وَرُدَّ الجَوَابَ. فَانْطَلَقَ المُنْذِرُ بِالهَدَايَا، وَأَقْبَلَ الهُدْهُدُ مُسْرِعاً إِلَى سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلام وَأَخْبَرَهُ بِالخَبَرِ كُلِّه، فَأَمَرَ سُلَيْمَانُ الإِنْسَ وَالجِنَّ أَنْ يَضْرِبُوا لَبِنَاتِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَبْسُطُوا مِنْ مَكَانِهِ إِلَى تِسْعِ فَرَاسِخ مَيْدَاناً وَاحِداً[3] بِلَبِنَاتِ الذَّهَبِ والفِضَّةِ،وَأَنْ يَجْعَلُوا عَلَى طُولِ المَيْدَانِ حَائِطاً شُرُفَهُ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ فَفَعَلُوا. وَأَمَرَهُمْ فَأَتَوْهُ[4] بِدَوَابِّ البَحْرِ وَشَدُّوهَا عَلَى يَمِينِ المَيْدَانِ وَيَسَارِهِ وَلَهُمْ أَجْنِحَة، وَأَلْقَوا لَهُمْ عَلَفَهُمْ، وَأَحْضَرَ أَوْلَادَ الجِنِّ وَأَقَامَهُمْ عَلَى يَمِينِ المَيْدَانِ وَيَسَارِهِ، وَأَمَرَ الشَّيَاطِينَ أَنْ يَصْطَفُّوا صُفُوفاً فَرَاسِخ، وَكَذَا الإِنْسَ فَرَاسِخَ، وَكَذَا الوُحُوشَ وَالسِّبَاعَ والهَوَامَ وَالطَّيرَ عَنْ يَمِينِهِ وَيَسَارِهِ. فَلَمَّا دَنَا القَوْمُ مِنَ المَيْدَانِ وَرَأَوا دَوَابَّ البَحْرِ تَرُوثُ عَلَى لَبِنِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ رَمُوا[5] مَا مَعَهُمْ مِنَ الهَدَايَا مِنَ اللبنِ، وَقِيلَ: إِنَّ سُلَيْمَانَ تَرَكَ مَكَاناً خَالِياً[6] مِنَ اللبنِ عَلَى عَدَدِ مَا مَعَهُمْ، فَلَمَّا دَخَلُوا وَضَعُوا ذَلِكَ اللبنَ فِي ذَلِكَ المَكَانِ خَوْفَ[7] أَنْ يُتَّهَمُوا بِذَلِكَ، وَلَمَّا رَأَوْا الشَّيَاطِينَ فَزِعُوا فَنَادَوْهُمْ: جُوزُوا، لَا بَأْسَ عَلَيْكُمْ، فَمَرّوا عَلَى كِرْدَوْسٍ مِنَ الجِنِّ

---

(١) في الأصل (خيط).

(٢) في الأصل (يكلمون).

(٣) في الأصل (ميدان واحد).

(٤) في الأصل (فاتوه).

(٥) في الأصل (رموا).

(٦) في الأصل (مكان خالية).

(٧) في الأصل (خوفاً).

وَالإنْس وَالطَّيرِ وَالسِّبَاع، وَالوُحُوش حَتَّى وَقفُوا بَيْنَ يَدَي سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ السَّلام، فَنظَرَ إِلَيْهِمْ، بِوَجْهٍ طَلْقٍ، وَسَأَلَهُمْ فَأَخْبَرَهُ رَئِيسُ القَوْمِ بِمَا أَتَى مَعَهُ، وَأَعْطَاهُ كِتَابَ بَلْقِيس فَقَرَأَهُ. فَقَالَ: أَيْنَ الحُقَّةُ؟ فَأَتَى بِهَا، فَجَاءَ جِبْرَائِيلُ وَأَخْبَرَهُ بِمَا فِيهَا: دُرَّةٌ ثَمِينَةٌ غَيْر مَثْقُوبَةٍ، وَجزْعَةٌ مَثْقُوبَةٌ مِعْوَجَة الثَّقْب. فَقَالَ الرَّسُولُ: صَدَقْتَ، فَاثْقُبْ الدُّرَةَ وَأَدْخِلِ الخَيْطَ فِي الجَزْعَةِ، فَجَاءَتْ الأَرَضَةُ[1] وَثَقَبَتْ الدُّرَّةَ، فَجَعَلَ سُلَيْمَانُ رِزْقَهَا فِي الشَّجَرِ. ثُمَّ جَاءَتْ دُودَةٌ بَيْضَاء وَدَخَلَتْ ثُقْبَ الجَزْعَةِ المُعْوَجَّةِ، وَفِي فَمِهَا خَيْطٌ وَخَرَجَتْ مِنَ الجَانِبِ الآخرِ، فَجَعَلَ رِزْقَهَا فِي الفَوَاكِه، ثُمَّ مَيَّزَ سُلَيْمَانُ بَيْنَ الجَوَارِي وَالغِلْمَان، ثُمَّ رَدَّ سُلَيْمَانُ الهَدِيَّةَ كَمَا قَالَ تَعَالى: ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ...﴾[2] الآية. قَالَ وَهْبُ: لَمَّا رَجَعَ[3] رُسُلُ بَلْقِيس أَخْبَرُوهَا، قَالَتْ: عَرَفْتُ وَاللَّهِ أَنَّهُ لَيْسَ بِمَلِكٍ. فَبَعَثَتْ إِلَى سُلَيْمَان إِنِّي قَادِمَة إِلَيْكَ بِقَوْمِي، وَجَعَلَتْ عَرْشَهَا فِي بَيْتٍ، وَأَغْلَقَتْ عَلَيْهِ سَبْعَةَ أَبْوَابٍ، وَوَكَّلَتْ بِهِ حُرَّاساً يَحْفَظُونَهُ وَسَارَتْ فِي اثْنَي عَشَرَ أَلْفَ قِيلٍ مِنْ مُلُوكِ اليَمنِ، تَحْتَ يَد كُلّ قِيلٍ أُلُوف. فَلَمَّا دَنَتْ فَرْسَخاً مِنْ[4] سُلَيْمَان، رَآهَا سُلَيْمَانُ. فَقَالَ: مَا هَذِهِ العَسَاكر؟ قَالُوا: بَلْقِيس. فَقَالَ سُلَيْمَانُ لِلْجِنِّ قَوْلَه تَعَالى: ﴿... أَيُّكُمْ يَأْتِينِي بِعَرْشِهَا...﴾[5] الآية. ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِنَ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾[6]. فَقَالَ سُلَيْمَانُ: أُرِيدُ أَسْرَعَ مِنْ هَذَا. ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ...﴾[7] قِيلَ: جِبْرَائِيلُ، وَقِيلَ: آصِفُ بْنُ بَرْخِيَا، وَكَانَ يَعْرِفُ الاسْمَ الأَعْظَمَ، قِيلَ: خَرَّ آصِفُ بْنُ بَرْخِيا سَاجِداً،

---

(١) الأَرَضَةُ: بفتحتين دُوَيْبَة تأكل الخشب، يقال: (أُرِضَتْ) الخشبة على ما لم يُسَمَّ فاعله تُؤْرَض أَرْضاً بالتسكين فهي (مَأْرُوضة) إذا أكلتها. انظر مختار الصحاح ص ١٤.

(٢) سورة النمل، الآية ـ ٣٦.

(٣) في الأصل (رجعت).

(٤) في الأصل (عن).

(٥) سورة النمل، الآية ـ ٣٨.

(٦) سورة النمل، الآية ـ ٣٩.

(٧) سورة النمل، الآية ـ ٤٠.

وَدعَا بِاسْمِ اللَّهِ الأَعْظَم، فغَارَ عَرْشُهَا تَحتَ الأَرْضِ، وَنَبَعَ عِنْدَ كُرْسِيِّ سُلَيْمَان، فَقَالَ سُلَيْمَانُ قَوْلَه تَعَالى: ﴿نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا...﴾[1] أي غيِّرُوا لَهَا سَرِيرَهَا، فجعلُوا مَكَانَ الجوْهَرِ الأَحْمَرِ أَخضَر وَبِالعَكْس، وَقَالَ المُحَقِقُونَ مِنَ العُلَمَاءِ لَمَّا جَاءتْ بَلْقِيس إلى سُلَيْمانِ وَدَخَلَتْ الصَّرْحِ حَسِبَتْهُ لُجَة أي مِنَ الْمَاءِ فَكَشَفَتْ عَنْ سَاقيهَا لِتخُوضَهُ إلى سُلَيْمانِ فَنَادَاهَا كَمَا أَخْبَرَ الله تعَالى عَنهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُمرَّد مِنْ قَوَارِير﴾ فَتَقدَمَتْ إلَيْهِ فَدعَاهَا إلى الإِسْلاَمِ فَأَجَابَتْ وءامَنَتْ وأَسْلَمَتْ مَعَ سُلَيمَان وأَمَّا مَا ادّعَاهُ مُتّبعو الإِسْرائيليّات مِنَ المُفَسِّرين بأَنَّ سُلَيْمانَ عَلَيْهِ السَّلامَ قَالَ لَهُ الشّيَاطِين إِنَّ رجلَيْها كَحَافِرِ حُمَار وأنها شَعْرَاء السَّاقَيْنِ فَاتَّخَذَ هٰذِهِ الحِيلَةِ حَتَّى تَكْشِفَ عَنْ سَاقَيْهَا فَيَنظُرَ إليها فَهٰذَا مِمَّا لاَ يَلِيقُ بِنَبِيّ كَرِيمٍ عَلَى الله وَلاَ يَصِحُّ القَوْلَ بِمِثْلِهِ ثُمَّ لَمَّا تَزَوَجَهَا سُلَيْمَانُ أَحَبَّهَا وَأَقَرَّهَا عَلَى مُلْكِهَا، فَكَانَ يَزُورُهَا سُلَيْمَانُ فِي كُلِّ شَهْرِ مَرَّة، بَعْدُ أَنْ رَدَّهَا إِلَى مُلْكِهَا، وَيُقِيمَ عِنْدَهَا ثَلاثَة أَيَّامٍ، وَوَلَدَتْ لَهُ وَلَداً ذَكَراً.

وَعَنْ وَهْب قَالَ: زَعَمُوا أَنَّهَا لمَّا أَسْلَمَتْ قَالَ لَهَا سُلَيْمَانُ: اخْتَارِي رَجُلاً مِنْ قَوْمِكِ أُزَوِّجْك. فَقَالَتْ: إِنْ كَانَ وَلاَبُدَّ فَزَوِّجْنِي مِنْ تُبَّعٍ مَلِك هَمَدَان فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا ثُمَّ رَدَّهَا إِلَى اليَمَنِ.

وَذُكِرَ فِي «المدارك» في تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾[2] أي: بِقَبُولِهَا أَمْ بِرَدِّهَا، وَلأَنَّهَا عَرَفَتْ عَادَة[3] المُلُوكِ فَإِنْ كَانَ مَلِكٌ قَبِلَهَا وَانْصَرَفَ، وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا رَدَّهَا وَلَمْ يَرْضَ مِنَّا إِلَّا أَنْ نَتْبَعَهُ عَلَى دِينِهِ، فَبَعَثَتْ خَمْسَمِائَةِ غُلَامٍ عَلَيْهِم، ثِيَابُ الجَوَارِي[4] وَحُلِيهِنَّ[5]،

---

(١) سورة النمل، الآية ـ ٤١.

(٢) سورة النمل، الآية ـ ٣٥.

(٣) في الأصل (عادت).

(٤) في الأصل (الجوار) والصواب ما أثبت.

(٥) في الأصل (وحليهم) والصواب ما أثبت.

وَأَرْكَبَتْهُمْ خَيْلاً(١) مُغَشَّاةً(٢) بِالدِّيبَاجِ، مُحَلَّاةَ اللجم والسُّرُوج بِالذَّهَبِ المُرَصَّعِ بِالجَوَاهِرِ، وَخَمْسَمِائَةِ جَارِيَةٍ عَلَى رِمَاكٍ(٣) فِي زِيِّ الغِلْمَانِ وألف لَبِنَةٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ. وَتَاجاً مُكَلَّلاً بِالدُّرِّ وَاليَاقُوتِ، وَحُقَّةً فِيهَا دُرَّةٌ عَذْرَاءُ، وَجَزْعَةً مَعْوَجَّةَ الثُّقْبِ، وَبَعَثَتْ رُسُلاً وَأَمَّرَتْ عَلَيْهِمُ المُنْذِرَ بْنَ عَمْرٍو، وَكَتَبَتْ كِتَاباً فِيهِ نُسْخَةُ الهَدَايَا، وَقَالَتْ: إِنْ كُنْتَ نَبِيًّا فَمَيِّزْ بَيْنَ الوصفاءِ وَالوَصَائِفِ، وَأَخْبِرْنَا بِمَا فِي الحُقَّةِ، وَاثْقُبِ الدُّرَّةَ، وَاسْلُكْ فِي الخَرَزَةِ خَيْطاً. ثُمَّ قَالَتْ لِلْمُنْذِرِ: إِنْ نَظَرَ إِلَيْكَ نَظْرَةَ(٤) غَضَبٍ فَهُوَ مَلِكٌ، وَإِنْ رَأَيْتَهُ بَشًّا لَطِيفاً فَهُوَ نَبِيٌّ. فَعَادَ الهُدْهُدُ وَأَخْبَرَ سُلَيْمَانَ، فَأَمَرَ الجِنَّ فَضَرَبُوا لَبِنَاتِ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَفَرَشُوهَا فِي مَيْدَانٍ طُولُهُ سَبْعَةُ فَرَاسِخَ، وَجَعَلُوا حَوْلَ المَيْدَانِ حَائِطاً شُرُفُهُ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَأَمَرَ بِأَحْسَنِ دَوَابِّ البَحْرِ وَالبَرِّ أَنْ تُرْبَطَ عَلَى يَمِينِ المَيْدَانِ وَيَسَارِهِ عَلَى اللبِنَاتِ، وَأَمَرَ أَوْلَادَ الجِنِّ أَنْ يَقُومُوا(٥) حَوْلَ اليَمِينِ وَاليَسَارِ ثُمَّ جَلَسَ عَلَى سَرِيرِهِ، وَالكَرَاسِي مِنْ جَانِبَيْهِ(٦)، ثُمَّ اصْطَفَّتْ الشَّيَاطِينُ صُفُوفاً فَرَاسِخَ، وَالإِنْسُ صُفُوفاً فَرَاسِخَ، وَالوَحْشُ وَالسِّبَاعُ وَالهَوَامُّ وَالطُّيُورُ كَذَلِكَ. فَلَمَّا دَنَا القَوْمُ وَرَأَوْا الدَّوَابَّ تَرُوثُ عَلَى اللَّبِنِ رَمَوْا بما مَعَهُمْ مِنَ الهَدَايَا، وَلَمَّا وقَفُوا بَيْنَ يَدَيْهِ نَظَرَ إِلَيْهِمْ سُلَيْمَانُ بِوَجْهٍ طَلْقٍ، فَأَعْطَوه كِتَابَ بَلْقِيس، فَنَظَرَ فِيهِ وَقَالَ: أَيْنَ الحُقَّةُ؟ فَأَمَرَ الأَرَضَةَ فَأَخَذَتْ شَعْرَةً وَنَفَذَتْ(٧) بِالدُّرَّةِ، وَأَخَذَتْ دُودَةٌ بَيْضَاءُ الخَيْطَ بِفِيهَا وَنَفَذَتْ بِثُقْبِ الخَرَزَةِ المُعْوَجَّةِ، وَدَعَا بِالمَاءِ فَكَانَتِ الجَارِيَةُ تَأْخُذُ المَاءَ بِيَدِهَا فَتَجْعَلُهُ فِي الأُخْرَى ثُمَّ تَضْرِبُ بِهِ وَجْهَهَا، وَالغُلَامُ يَأْخُذُه

---

(١) في الأصل (خيل). وفي «المدارك» ٣/٢١١ (راكبي خيل).

(٢) في المطبوعة (مغشات)، ومغشاة: أي مغطاة.

(٣) رِمَاك: جمع (رَمَكَة) بفتحتين. الأنثى من البَرَاذِين. انظر: مختار الصحاح ص ٢٥٧.

(٤) في الأصل (نظر).

(٥) في الأصل (يقيموا).

(٦) في المطبوعة (جانبه) وما أثبت عن «المدارك» ٣/٢١١.

(٧) في الأصل (نفدت).

بِيَدِهِ وَيضْرِبُ بِهِ وَجْهَهُ فميِّز بَيْنَهُم. ثُمَّ رَدَّ الهَدِيَّةَ، وَقَالَ لِلْمُنْذِرِ ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِم...﴾[1] الآية. فَقَدِمَتْ إِلَىٰ عِنْدِ سُلَيْمان عَلَيْهِ السَّلام وَأَسْلَمَتْ وَتَزَوَّجَهَا.

وَفِيهِ أَيْضاً، فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ﴾[2] أي مَلَكٌ، أَرْسَلَهُ اللَّهُ عِنْدَ قَوْلِ العِفْريت ﴿أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ﴾[3] الآية. أو[4] جِبْرَائِيلُ، أَوْ الخِضْر[5]، أَوْ آصَفُ بْنُ بَرْخيا كَاتِبُ سُلَيْمان، وَهو: الأَصح، وَعَلَيْه الجُمْهور، وَكَانَ عِنْدَهُ الإِسْم الأَعْظَم الَّذِي إِذَا دُعي بِهِ أَجَابَ، وَهو: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، يَا ذَا الجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، وَقِيلَ: يَا إِلَهَنَا وَإِلَهَ كُلِّ شَيءٍ إِلَهاً وَاحِداً لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ[6]. وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «الأَزْهِيَةِ فِي أَحْكَامِ الأَدْعِيَةِ» أَنَّه: يَا ذَا الجَلاَلِ وَالإِكْرَام. وَقِيلَ: هُو فِي سُورَةِ الإخْلاَص، وَقِيلَ: آية الْكُرْسِيّ. وَذُكِرَ فِي «المَصَابِيح»: عَنْ بُرَيْدَة: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ: اللهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّكَ أَنْتَ اللَّه لاَ إِله إِلاَّ أَنْتَ، الأَحَدُ الصَّمَدُ، الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ، فَقَالَ ﷺ: «دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ، الَّذِي إِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى[7] وَإِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ»[8].

---

(١) سورة النمل، الآية ـ ٣٧.

(٢) سورة النمل، الآية ـ ٤٠.

(٣) سورة النمل، الآية ـ ٣٩.

(٤) في المطبوعة (هو) والصواب ما أثبت عن «المدارك» ٢١٣/٣.

(٥) في المطبوعة (الخفر) والصواب ما أثبت عن «المدارك» ٢١٣/٣.

(٦) انظر تفسير «المدارك» ٢١١/٣ ـ ٢١٣.

(٧) في الأصل (أعطا).

(٨) انظر: «مصابيح السنة» ١٥٣/٢، كتاب الدعوات (٩) باب ـ أسماء الله تعالى (٣)، الحديث رقم (١٦٣٥)، والحديث أخرجه أحمد في مسنده ٣٥٠/٥، وأخرجه أبو داود في السنن ١٦٦/٢، كتاب الصلاة (٢)، باب ـ الدعاء (٣٥٨)، الحديث رقم (١٤٩٣)، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات (٤٩)، باب ـ جامع الدعوات... (٦٤)، الحديث رقم (٣٤٧٥)، وأخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب (٣٤)، باب ـ اسم الله الأعظم (٩)، الحديث رقم (٣٥٨٧).

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيد[1]، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «اسْمُ اللَّهِ الأَعْظَمِ فِي هَاتَيْنِ الآيَتَيْنِ ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[2] وَفَاتِحَةِ آلِ عِمْرَانَ ﴿الٓمٓ ۝ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾[3]»[4].

وَعَنْ أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ كُنْتُ جَالِساً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ وَرَجُلٌ يُصَلِّي فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْحَنَّانُ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ أَسْأَلُكَ... فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّم: «دَعَا اللَّهَ بِاسْمِهِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى»[5].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: قَالَ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّم: «يَا عَائِشَةُ قَدْ عَلِمْت أَنَّ اللَّهَ قَدْ دَلَّنِي عَلَى الإِسْمِ الأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ؟ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي فَعَلِّمْنِيه! قَالَ: إِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَكِ يَا عَائِشَةُ!

---

(١) هي: أسماء بنت يزيد بن السكن بن رافع بن امرىء القيس بن زيد بن عبد الأشهل بن جشم بن الحارث الأنصارية الأوسية ثم الأشهلية. هي بنت عم معاذ بن جبل، وكانت تُكنى أم سلمة، ويقال لها: خطيبة النساء، روت عن رسول الله ﷺ عدة أحاديث. انظر الإصابة ٢٢٩/٤.

(٢) سورة البقرة، الآية - ١٦٣.

(٣) سورة آل عمران، الآية - ١ - ٢.

(٤) انظر «المصابيح» ١٥٤/٢ - ١٥٥: كتاب الدعوات (٩)، باب - أسماء الله تعالى (٣)، الحديث رقم (١٦٣٧)، والحديث أخرجه أحمد في مسنده ٤٦١/٦، وأخرجه أبو داود في سننه كتاب الصلاة (٢)، باب - الدعاء (٣٥٨)، الحديث رقم (١٤٩٦)، وأخرجه الترمذي في سننه، كتاب الدعوات (٤٩)، باب - (٦٥)، الحديث رقم (٣٤٧٨)، وقال: حديث حسن صحيح، واللفظ له.

(٥) انظر «المصابيح» ١٥٤/٢، كتاب الدعوات (٩)، باب - أسماء الله تعالى (٣)، الحديث رقم (١٦٣٦)، والحديث أخرجه أحمد في مسنده ١٢٠/٣، ١٥٨، وأخرجه أبو داود في سننه، كتاب الصلاة (٢)، باب - الدعاء (٣٥٨)، الحديث رقم (١٤٩٥)، وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب الدعوات (٤٩)، باب - خلق الله مائة رحمة (١٠٠)، الحديث رقم (٣٥٤٤)، وأخرجه ابن ماجه في سننه ١٢٦٨/٢، كتاب الدعاء (٣٤)، باب - اسم الله الأعظم (٩)، الحديث رقم (٣٨٥٨).

فَتَنَحَّيْتُ[1] وَجلَسْتُ سَاعَةً ثُمَّ قُمْتُ فَقَبَّلْتُ رَأْسَهُ، ثُمَّ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ عَلِّمْنِيهِ، قَالَ: إِنَّه لاَ يَنْبَغِي أَنْ تَسْأَلِي بِهِ شَيْئاً لِلدُّنْيَا. قَالَتْ: فَقُمْتُ وَتَوَضَّأْتُ وَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ وَقُلْتُ: اللهُمَّ إِنِّي أَدْعُوكَ اللّه، وَأَدْعُوكَ الرَّحْمن، وَأَدْعُوكَ البَر الرَّحِيم، وَأَدْعُوكَ بِأَسْمَائِكَ الحُسْنَى كُلِّهَا مَا عَلِمْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَعْلَم أَنْ تَغْفِرَ لِي وَتَرْحَمَنِي. فَاسْتَضْحَكَ رَسُولُ اللّه ﷺ ثُمَّ قَالَ: إِنَّه لَفِي الأَسْمَاءِ الَّتِي[2] دَعَوْتِ إِلَيْهَا» رواه ابن ماجة.

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «حِصن الحَصِين»: أَنَّ الاسْمَ الأَعْظَم ﴿لاَ إِلَـهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[3]. وَفِي «تُحْفَةِ البَرَكَاتِ»: قَالَ اليَافِعِي: قَالَ لِي بَعْضُ العَارِفِينَ: أَلاَ أُعَلِّمُكَ الإِسْم الأَعْظَم؟ قُلْتُ: بَلَى! قَالَ: اقْرَأْ الفَاتِحَةَ وَالإِخْلاَص وَآيَةَ الكُرْسِيّ وَسُورَةَ القَدْرِ، ثُمَّ اسْتَقْبِلِ القِبْلَةَ وَادْعُ[4] بِمَا أَحْبَبْتَ فَإِنَّه يُجِيبُكَ. وَذُكِرَ فِي «كِتَابِ الأَزْهِيةِ»: أَنَّ المُعْتَمَد هُو اللّه.

وَذَكَرَ الشَّيْخُ عَلِي القَارِيء فِي «العَقَائِدِ»: أَنَّه: مَلَكَ شَرْقاً وَغَرْباً مُؤْمِنَانِ، سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلام وَذُو القَرْنَيْنِ عَلَيْهِ السَّلام وَكَافِرَانِ: بَخْتُ نَصر، وَالنَّمْرُودُ بْنُ كَنْعَان، وَقَالَ ابْنُ جُمَاعَة: اخْتُلِفَ فِي نُبُوَّةِ ذِي[5] القَرْنَيْنِ إِسْكَنْدَر فقيل: لَيْسَ بِنَبِيٍّ بَلْ مَلِكٌ مُؤْمِنٌ عَادِلٌ وَهُو الحَقُّ.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: هُو نَبِي وَيُؤَيِّدُه مَا فِي سُورَةِ الكَهْفِ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ وَوَافَقَهُ الضَّحَاكُ، وَأَمَّا سُلَيْمَان عَلَيْهِ السَّلام فَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ وَمَلِكٌ، وَقَالَ أَهْلُ التَّارِيخِ: مُلِّكَ سُلَيْمَانُ وَهُوَ ابْنُ ثَلاَثَ عَشْرَةَ سَنَةً، وَابْتَدَأَ بِبِنَاءِ بَيْتِ المَقْدِس بَعْدَ مُلْكِهِ بِأَرْبَعِ[6]

---

(١) في الأصل (فنحيث).

(٢) في الأصل (الذي).

(٣) سورة الأنبياء، الآية ـ ٨٧.

(٤) في الأصل (وادعوا).

(٥) في الأصل (ذو).

(٦) في الأصل (أربعة).

سِنِين، وَمَاتَ وَلَهُ مِنَ العُمْرِ ثَلاثٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً.

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «كَشْفِ الأَسْرَارِ»: لِمَ وُضِعَ مُلْكُهُ فِي فَصِّ خَاتَمٍ؟ قِيلَ: أَرَاهُ ملكُ الجنَّة، فَقَالَ: حَجَرٌ مِنَ الجَنَّةِ لَهُ هَذِهِ الهَيْئَةِ، وَأَيْضاً أَرَاهُ أَنَّه تَعَالى يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ كَمَا أَعَزَّ الحَجَرَ الأَسْوَدَ وَالذَّهَبَ وَالفِضَّةَ، فَإِنْ قِيل: لِمَ جَعَلَ رُسُولَهُ طَيْراً[1]؟ قِيلَ: أَرَادَ أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمْ[2] أَحْوَالَ الجَنَّةِ وَطَاعَةَ الطُّيُورِ لَهُ[3].

وَذُكِرَ فِي «المدارك» فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالى: ﴿... قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ...﴾[4] الآية. قِيلَ: إِنَّهَا نَمْلَةٌ عَرْجَاءُ[5] تُسَمَّى طَاخِيَةَ[6] أَوْ مُنْذِرَةَ. وَعَنْ قَتَادَة: أَنَّهُ دَخَلَ الكُوفَةَ فَقَالَ: سَلُوا عَمَّا شِئْتُمْ، فَسَأَلَهُ أَبُو حَنِيفَة رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَهو شَابٌ عَنْ نَمْلَةِ سُلَيْمَانَ، أَكَانَتْ ذَكَراً أَمْ أُنْثَى؟ فَأُفْحِمَ. فَقَالَ أَبُو حَنِيفَة رَضِيَ اللَّه عَنْه: كَانَتْ أُنْثَى، فَقِيلَ لَهُ: بِمَ عَرَفْتَ؟ فَقَالَ: لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ﴾ وَلَوْ كَانَتْ ذَكَراً لَقَالَ: قَالَ نَمْلَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّ النَّمْلَةَ مِثْل الحَمَامَةِ فِي وُقُوعِهَا عَلَى الذَّكَرِ والأُنْثَى، فَيُمَيَّزُ بَيْنَهُمَا بِعَلاَمَةٍ نَحْوَ قَوْلِهِمْ[7]: حَمَامَةٌ ذَكَرٌ، حَمَامَةٌ أُنْثَى، وَهُوَ [وَ][8] هِيَ[9].

وَذُكِرَ فِي «كَشْفِ الأَسْرَارِ»: قَوْلُه: سُؤَالٌ: لِمَ لَمْ يَأْتِ بِعَرْشِهَا بِدُعَائِهِ؟ قِيلَ: أَرَاهُ اللَّهُ عَجْزَهُ فِي مُلْكِهِ، وأَرَاهُ أَنَّهُ لاَ يُعْطِي الكُلَّ إِلَى أَحَدٍ، فَإِنَّهُ لَوْ أَعْطَى الكُلَّ إِلَى

---

(١) في الأصل (طير).

(٢) في الأصل (له).

(٣) في الأصل (لهم).

(٤) سورة النمل، الآية ـ ١٨.

(٥) في الأصل (عرجا).

(٦) في المطبوعة (طاحنية) والصواب ما أثبت عن «المدارك» ٣/٢٠٦.

(٧) في المطبوعة (فميز بينهما بقولهم)، وما أثبت عن «المدارك» ٣/٢٠٦.

(٨) زيادة يقتضيها السياق عن «المدارك» ٣/٢٠٦.

(٩) انظر تفسير «المدارك» ٣/٢٠٦.

أَحَدٍ، كَانَ ذَلِكَ الوَاحِدُ كَامِلاً، وَلَيْسَ الكَمَالُ إِلاَّ لِلَّه تَعَالَى. وَقِيلَ: إِنَّ رَجُلاً وَامْرَأَتَهُ اخْتَلَفَا فِي وَلَدٍ لَهُمَا أَسْوَد، فَقَالَتِ المَرْأَةُ: هُو ابْنُك، وَأَنْكَرَ الرَّجُلُ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ السَّلام لِلرَّجُلِ: هَلْ جَامَعْتَهَا فِي الحَيْضِ، قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: هُو وَلَدُكَ، إِنَّمَا سَوَّدَ اللَّهُ وَجْهَهُ عُقُوبَةً لَكُمَا. وَهُو المُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ...﴾[1] وَذُكِرَ فِي «المدارك» فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ...﴾ قِيلَ: إِنَّ الغَنَمَ رَعَتِ الحَرْثَ وَأَفْسَدَتْهُ بِلاَ رَاعٍ[2] لَيْلاً، فَتَحَاكَمَا إِلَى دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلام [فَحَكَمَ بِالغَنَمِ لأَهْلِ الحَرْثِ وَقَدْ اسْتَوَتْ قِيمَتَاهُمَا، فَقَالَ سُلَيْمَانُ]: [3] وَهُوَ ابْنُ إِحْدَى عَشْرَةَ سَنَةً ارْفُقْ بِالفَرِيقَيْنِ، فَعَزَمَ عَلَيْهِ لِيَحْكُمَنَّ، فَقَالَ: أَرَى أَنْ تَدْفَعَ الغَنَمَ إِلَى أَهْلِ الحَرْثِ يَنْتَفِعُونَ بِأَلْبَانِهَا وَأَوْلاَدِهَا وَأَصْوَافِهَا، وَالحَرْثَ إِلَى رَبِّ الغَنَمِ حَتَّى يُصْلِحَ الحَرْثَ، وَيَعُودَ إِلَى هَيْئَتِهِ يَوْمَ أُفْسِدَ ثُمَّ يَتَرَادَّانَ. فَقَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلاَم: القَضَاءُ مَا قَضَيْتَ. وَقَالَ مُجَاهِد: كَانَ هَذَا صُلْحاً، وَمَا فَعَلَهُ دَاوُدُ عَلَيْهِ السَّلام حُكْماً، وَالصُّلْحُ خَيْر، وَأَمَّا فِي شَرِيعَتِنَا فَلاَ ضَمَانَ عِنْدَ أَبِي حَنِيفَة وَأَصْحَابِهِ لَيْلاً كَانَ أَوْ نَهَاراً، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَعَ البَهِيمَةِ سَائِقٌ[4] أَوْ قَائِدٌ، وَعِنْدَ الشَّافِعِي يَجِبُ الضَّمَانُ بِالليل[5]

وَفِيهِ أَيْضاً فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ...﴾[6] الآية. رُوِي أَنَّ مُعَسْكَرَه كَانَ مِائَة فَرْسَخٍ فِي مِائَةِ فَرْسَخٍ، خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ لِلْجِنِّ، وَخَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ لِلإِنْسِ، وَخَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ لِلْطَيْرِ، وَخَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ لِلْوَحْشِ،

(١) سورة الأنبياء، الآية ـ ٧٩.

(٢) في الأصل (راعي).

(٣) زيادة يقتضيها السياق عن «المدارك» ٣/٨٥، واستوت قيمتاهما: أي قيمة الغنم كانت على قدر النقصان من الحرث.

(٤) في الأصل (سابق).

(٥) انظر تفسير «المدارك» ٣/٨٥.

(٦) سورة النمل، الآية ـ ١٧.

وَكَانَ لَهُ أَلْفُ بَيْتٍ مِنْ قَوَارِيرَ عَلَى الخَشَبِ فِيهَا ثَلاثمائة مَنْكُوحَةٍ، وسَبْعمائة سَرِيَّةٍ وَقَدْ نَسَجَتْ لَهُ الجِنُّ بِسَاطاً مِنْ ذَهَبٍ وَإِبْرَيْسِم(١) فَرْسَخاً فِي فَرْسَخٍ. فَيُوضَعُ مِنْبَرُهُ فِي وَسْطِهِ، وَهْوَ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، فَيَقْعُدُ عَلَيْهِ وَحَوْلَهُ ستمائة أَلْف كُرْسِي مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، فَيَقْعُدُ الأَنْبِيَاءُ عَلَى كَرَاسِي الذَّهَبِ، وَالعُلَمَاءُ عَلَى كَرَاسِي الفِضَّةِ، وَحَوْلَهُمُ النَّاس [وَحَوْلَ النَّاس](٢) الجِنُّ وَالشَّيَاطِين، وَتُظِلّه الطُّيورُ بِأَجْنِحَتِهَا حَتَّى لاَ يَقَعَ عَلَيْهِ [حَرُّ](٣) الشَّمْسِ، وَتَرْفَعُ رِيحُ الصَّبَا(٤) البِسَاطَ فَتَسِيرُ بِهِ مَسِيرَة شَهْر. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْه وَهْوَ يَسِيرُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ: إِنِّي قَدْ زِدْتُ فِي مُلْكِكَ، [أَنْ](٥) لَا يَتَكَلَّم أحَدٌ بِشَيءٍ إِلاَّ أَلْقَتْهُ الرِّيحُ فِي سَمْعِكَ، فَيُحْكَى: أَنَّه قَدْ مَرَّ بِحَرَّاث فَقَالَ: لَقَدْ أُوتِيَ آلُ دَاوُدَ مُلْكاً عَظِيماً، فَأَلْقَتْهُ الرِّيحُ فِي أُذُنِ سُلَيْمَانَ، فَنَزَلَ وَمَشَى إِلَى الحَرَّاثِ وَقَالَ: إِنَّمَا مَشَيْتُ إِلَيْكَ لِئَلاَّ تَتَمَنَّى مَا لاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: لَتَسْبِيحَة وَاحِدَة يَقْبَلُهَا اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا أُوتِيَ آلَ دَاوُد(٦).

وَذُكِرَ فِي «تَارِيخ ابْنِ الوَرْدِي»: أَنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْه السَّلام لَمَّا مُلِّكَ كَانَ عُمْرُه اثْنَتي عَشْرَة سَنَةً، وَفِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ مِنْ مُلْكِهِ فِي أَيَّار سَنَة تِسْع وَثَلاثِين وَخَمْسَمائة لِوَفَاةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام ابْتَدَأَ بِعِمَارَةِ بَيْتِ المَقْدِسِ، وَأَقَامَ فِي عِمَارَتِهِ سَبْع سِنِين وَفَرَغَ مِنْهُ فِي الحَادِي عَشَر مِنْ مُلْكِهِ، أَوَاخِر سَنَة سِت وَأَرْبَعِين وَخَمْسمائة لِوَفَاةِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمَ [وَ](٧) ارْتِفَاعه ثَلاَثُونَ ذِرَاعاً، وَطُولُه سِتُّونَ فِي عَرْضِ عِشْرِين

---

(١) في المطبوعة (البرسيم)، وما أثبت عن «المدارك» ٣/٢٠٥.

(٢) زيادة يقتضيها السياق عن «المدارك» ٣/٢٠٥.

(٣) زيادة يقتضيها السياق عن «المدارك» ٣/٢٠٥.

(٤) الصَّبا: رِيحٌ وَمَهبُهَا المُسْتَوِي أَنْ تَهُبَّ مِنَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ إذا استوى اللَّيْلُ والنَّهارُ ومُقَابِلَتُهَا الدَّبُور.

(٥) انظر: «مختار الصحاح» ص ٣٥٦.

(٦) زيادة يقتضيها السياق عن «المدارك» ٣/٢٠٥.

انظر تفسير «المدارك» ٣/٢٠٥.

(٧) زيادة يقتضيها السياق.

ذِرَاعاً. [وَ](١) خَارِج البَيْتِ سُورٌ مُحِيطٌ بِهِ امتدادُه خمسمائة في خمسمائة ثُمَّ شَـرَعَ فِـي بِـنَـاءِ دَارِ مُـلْكِـهِ بِـالـقُـدْسِ، وَتَـمَّـمَ عِـمَـارَتَـه فِـي ثَـلاَث عَـشْـرَة سَـنَـةً، وَانْـتَـهَـتْ فِـي الـرَّابِـعَـةِ وَالـعِـشْـرِيـنَ مِنْ مُلْكِهِ، وَفِي الخَامِسَةِ وَالعِشْرِينَ مِنْ مُلْكِهِ جَاءَتْهُ بَلْقِيسُ مَلِكَة اليَمَنِ، وَأَطَاعَهُ(٢) مُلُوكُ الأَرْضِ، وَتُوفِّي وَعُمْره اثْنَتَانِ وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَمُدَّة مُلْكِهِ أَرْبَعُون سَنَـة، فتَكُونُ وَفَاتُه فِي أَوَاخِرِ سَنَة خَمْسٍ وَسَبْعِينَ وَخَمْسَمائَةٍ لِوَفَاةِ مُوسَى عَلَيْه السَّلام وَمَاتَتْ بَلْقِيسُ قَبْلَ وَفَاةِ سُلَيْمَانَ عَلَيْه السَّلام وَقِيلَ: بَعْدَ وَفَاتِهِ، وَهو الأَصح، وَمَلَكَ اليَمَن بَعْدَهَا عَمّهَا نَاشِرُ النّعمِ، وَاسْمُه مَالِك، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِذَلِكَ أَعْلَمُ.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل (وأطاعوه).

[١٤]

آمِنَةُ،(*) أُمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

بِنْتُ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ، بْنِ كِلَابٍ، وَهْيَ أُمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّجَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ المُطَّلِبِ وَعُمْرُه خَمْسٌ وَعِشْرُون سَنَةً، وَقِيلَ ثَلَاثُونَ(١) سَنَةً، وَكَانَتْ آمِنَةُ فِي حِجْرِ عَمِّهَا أُهَيْب(٢) لِأَنَّ أَبَاهَا قَدْ مَاتَ فَأَتَى(٣) عَبْدُ المُطَّلِبِ إِلَى أُهَيْب، وَخَطَبَ ابْنَتَهُ هَالَةَ لِنَفْسِهِ، فَزَوَّجَه إِيَّاهَا، وَخَطَبَ آمِنَةَ بِنْت وَهْب لِوَلَدِهِ عَبْد اللَّه، فَزَوَّجَهَا لَهُ فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ.

وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَا»: قَالَ أَهْلُ السِّيرِ: خَرَجَ عَبْدُ المُطَّلب وَمَعَهُ وَلَده عَبْد اللَّهِ، وَكَانَ أَحْسَنَ رَجُلٍ فِي قُرَيْشٍ خُلُقاً وَخَلْقاً، وَكَانَ نُورُ النُّبُوَّةِ ظَاهِراً(٤) فِي وَجْهِهِ، فَخَرَجَ مَعَ أَبِيهِ لِيُزَوِّجَهُ، فَمَرَّ بِامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي [أَسَد بْنِ](٥) عَبْدِ العُزَّى وَهِي أُخْت وَرَقَة بْن(٦) نَوْفَل(٧)، وَكَانَتْ قَدْ سَمِعَتْ مِنْ أَخِيهَا بِقُرْبِ ظُهُورِ النَّبِيِّ الأمي

(*) هي: آمِنَةُ بِنْتُ وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَاف بْنِ زُهْرَةَ بْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ القُرَشِيَّةُ الزُّهْرِيَّةُ. وَأُمُّهَا: بَرَّةُ بِنْتُ عَبْدِ العُزَّى بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيِّ بْنِ كِلَاب.

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٣١/١/١، جمهرة أنساب العرب ١٧، نسب قريش ٢٦١، المعارف ١٢٩، أعلام النساء ١٨/١.

(١) في الأصل (ثلاثين).

(٢) في الطبقات (وهيب) بدلاً من (أهيب).

(٣) في الأصل (فاتي).

(٤) في الأصل (ظاهر).

(٥) الزيادة عن «الطبقات» (٥٨/١/١).

(٦) في الأصل (ابن).

(٧) قال ابن سعد في «الطبقات»(٥٨/١/١) : وقد اختلف علينا فيها، فمنهم من يقول: كانت قتيلة بنت =

العَرَبِي وَأَنَّ عَلاَمَةَ أَبِيهِ نُورٌ فِي غُرَّتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْ عَبْدَ اللَّهِ وَقَعَ فِي قَلْبِهَا أَنَّهُ هُو، فَقَالَتْ لَهُ: يَا عَبْد اللَّهِ لَكَ مِثْل الإِبِل الَّتِي نُحِرَتْ عَنْكَ، وَقَعْ عَلَيَّ الآنَ، فَأَبَى عَبْدُ اللَّهِ، وَأَنْشَدَ شِعْراً[١]:

أَمَّـا الـحَـرَامُ فَـالـمَـمَـاتُ دُونَـه وَالـحِـلُّ لاَ حِـلَّ فَـأَسْـتَـبِـيـنَـه[٢]
فَـكَـيْـفَ بِـالأَمْـرِ الَّـذِي تَـبْـغِـيـنَـه يَـحْـمِـي الكَـرِيـمُ عِـرْضَـهُ وَدِيـنَـه

وَكَانَ اسْمُ هَذِهِ المَرْأَة رُقَيَة، وَقِيلَ: فَاطِمَةُ بِنْتُ مُرّ[٣] الخَثْعَمِيَّة، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ وَأَعَفَّهُنَّ فَدَعَتْهُ إِلَى نِكَاحِهَا فَظَنَّ أَنَّهَا تُرِيدُ الحَرَام، فَأَنْشَدَ مَا قَالَ، وَأَمَّا قَوْلُهَا: لَكَ مِثْل الإِبِلِ الَّتِي نُحِرَتْ عَنْكَ، وَذَلِكَ أَنَّ عَبْدَ المُطَّلِب لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ[٤] إِلاَّ الحَارِث، فَجَرَتْ[٥] بَيْنَهُ وَبَيْنَ بَنِي عَمّه عَدِي مُخَاصَمَة وَمُجَاوَرَة فَعَيَّرَهُ بِقِلَّةِ العَدَدِ فَغَضِبَ عَبْدُ المُطَّلب وَقَالَ: لِلَّهِ عَلَيَّ لَئِنْ رَزَقَنِي اللَّهُ تَعَالَىٰ عَشْرَة ذُكُور أَنْ أَجْعَلَ أَحَدَهُمْ نَذْراً نَحِيرة. ثُمَّ افْتَرَقُوا فَلَمَّا مَضَتْ مِنَ الدَّهْرِ أَعْوَام، وُلِدَ لِعَبْدِ المُطَّلب عَشْرَة أَوْلاَد ذُكُور سِوى الحَارِث، وَسِت[٦] بَنَاتٍ، فَلَمَّا بَلَغَ الذُّكُور عَشْرَة قَالَ: لاَ بُدّ مِنَ الوَفَاءِ فَجَمَعَهُمْ، وَأَقْبَلَ إِلَى الكَعْبَةِ فَأَحَالَ عَلَيْهِم القِدَاحُ فَخَرَجَ القَدح عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، وَكَانَ يُحِبه، فَأَخَذَ بِيَدِهِ، وَجَاءَ بِهِ إِلَى إِسَاف وَنَائِلَة[٧]

= نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي أخت ورقة بن نوفل، ومنهم من يقول: كانت فاطمة بنت مُرّ الخثعمية.

(١) ورد البيت الأول، والشطر الأول من البيت الثاني بالطبقات (١/١/٥٩).

(٢) في المطبوعة (فاستبنه)، وما أثبت عن الطبقات (١/١/٥٩).

(٣) في المطبوعة (مرة)، وما أثبت عن الطبقات (١/١/٥٨).

(٤) في الأصل (ولدا).

(٥) في الأصل (جرى).

(٦) في الأصل (ستة).

(٧) وَهُمَا صَنَمَانِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاس: أَنَّ إِسَافاً وَنَائِلَةَ، رَجُلٌ مِنْ جُرْهُمْ يُقَالُ لَهُ: إِسَافُ بْنُ يَعْلَى، وَنَائِلَةُ بِنْتُ زَيْدٍ من جُرْهُمْ، وكان يتعشقها في أرض اليَمن، فَأَقْبَلُوا حُجَّاجاً، فَدَخَلاَ الكَعْبَة، فَوَجَدا غفْلَةً مِنَ النَّاسِ، وَخَلْوَةً فِي البَيْتِ، فَفَجَرَ بِهَا فِي البَيْتِ، فَمُسِخَا. فَأَصْبَحُوا فَوَجَدُوهُمَا مِسْخَيْنِ. فَأَخْرَجُوهُمَا فَوَضَعُوهُمَا مَوْضِعهُمَا عِنْدَ الكَعْبَةِ لِيَتَعِظَ النَّاسُ بِهِمَا. فَلَمَّا طَالَ مُكْثُهُمَا وَعُبِدَتْ =

فَأَضْجَعَهُ وَرَبَطَهُ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَخْوَالَهُ بَنِي مخزم فَجَاءُوه فِي جَمَاعَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا: مَا هَذَا الَّذِي تَفْعَلُ، وَاللَّهِ مَا أَحْسَنْتَ عِشْرَةَ أُمِّهِ ثُمَّ تُرِيدُ نَحْرَ وَلَدِهَا، فَارْتَحِلْ نَحْوَ الحِجَازِ فَإِنَّ مِنْ أَهْلِهِ عَرَّافَةً عَالِمَةً، وَلَهَا تَابع مِنَ الجِنِّ، فَفَعَلَ عَبدُ المُطَّلِب، وَرَحَلَ مَعَهُمْ فَأَتَوْهَا وَأَعْطُوهَا رَشْوَتَهَا، وَأَخْبَرُوهَا، فَقَالَتْ: انْصَرِفُوا وَأَحْضِرُوا إِبِلاً وَصَاحِبَكُمْ وَاسْتَقْسِمُوا عَلَى عَشَرَةٍ مِنَ الإِبِلِ وَعَلَيْهِ حَتَّى تَبْلُغُوا رِضى رَبِّكم. فَعَادُوا رَاجِعِينَ إِلَى مَكَّةَ، فَأَوْقَفُوا عَشَرَةً مِنَ الإِبِلِ وَعَبْد اللَّهِ، وَدَعَوْا[1] صَاحِبَ الأَزْلاَمِ فَاسْتَقْسَم عَلَى عَبْدِ اللَّهِ وَالإِبِلِ فَخَرَجَتْ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَزَادُوا عَشَرَة فَوَقَعَتْ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ، فَلَمْ يَزَلْ يزِيدُ عَشَرَة عَشَرَة حَتَّى بَلَغَتِ الإِبِلُ مِائَة، فَخَرَجَ القَدَحُ عَلَى الإِبِلِ، وَفَعَلَ ذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، وَهِيَ تَقَعُ عَلَى الإِبِلِ، فَخَلَّى عَنْ عَبْدِ اللَّهِ، وَنُحِرَتِ الإِبِلُ لاَ يُدْفَعُ عَنْهَا طَائِرٌ وَلاَ سَبُعٌ وَلاَ إِنْسٌ، وَلِذَلِكَ أَشَارَ بِقَوْلِهِ، ﷺ: «أَنَا ابْنُ الذَّبِيحَيْنِ» يَعْنِي بِهِمَا[2] إِسْمَاعِيل عَلَيْه السَّلام وَأَبَاه عَبْد اللَّه[3].

وَلَمَّا أَتَى عَبْدُ المُطَّلب أُهَيْب عمّها، وَقِيلَ: أَبُوهَا وَهْب، وَخَطَبَ مِنْهُ آمِنَة لِعَبْدِ اللَّهِ فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا، وَهِيَ يَوْمَئِذٍ أَفْضَلُ امْرَأَةٍ فِي قُرَيْشٍ نَسَباً وَمَوْضِعاً فَدَخَلَ بِهَا عَبْدُ اللَّهِ، فَحَمَلَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَانْتَقَلَ ذَلِكَ النُّورُ إِلَيْهَا، وَكَانَ ذَلِكَ يَوْم الاثْنَيْنِ، فِي شَعْبِ[4] أَبِي طَالِب، عِنْدَ الجَمْرَةِ الوُسْطَى؛ وَقِيلَ: إِنَّ عَبْدَ اللَّهِ بَعْدَ مَا دَخَلَ عَلَى آمِنَة أَتَى المَرْأَة الَّتِي عَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْه، فَقَالَ لَهَا: مَالَكِ لاَ تَعْرِضِينَ عَلَيَّ مَا عَرَضْت بِالأَمْسِ؟

= الأصنامُ عُبِدَا معها، فَعَبَدَتْهُمَا خُزَاعَةُ وَقُرَيْشٌ، ومن حَجَّ البَيْت بَعْدُ مِنَ العَرَبِ.
انظر: «الأصنام» لابن الكلبي ص ٩، ٢٩.

(١) في الأصل (دعو).

(٢) في الأصل (به).

(٣) انظر الخبر في طبقات ابن سعد (١/١/٥٣ - ٥٤).

(٤) في الأصل (شغب).

فَقَالَتْ لَهُ: فَارَقَكَ النُّورُ الَّذِي كَانَ مَعَكَ، فَمَا لِي بِكَ حَاجَة.

وَقَالَ الكَلْبِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثَبَتَ عِنْدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ خَمْسَمائَة أُمٍّ مِنْ قِبَلِ أُمِّه وَأَبِيه فَمَا وَجَدتُ فِيهِنَّ سِفَاحاً. وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه قَرَأَ ﷺ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ...﴾[1] بِفَتْحِ الفَاءِ، وَقَالَ: «أَنَا أَنْفَسُكُمْ نَسَباً وَصِهْراً وَحَسَباً، لَيْسَ فِي آبَائِي مِنْ لَدُنْ آدَم سِفَاح، كُلُّهَا نِكَاح»[2].

وَعَنِ العَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ وَالِدِي عَبْدُ المُطَّلِبِ: قَدِمْنَا اليَمَن فَنَزَلْنَا عَلَى حَبْرٍ مِنَ اليَهُودِ، فَقَالَ: مِمَّن الرَّجُل؟ فَقُلْتُ: مِنْ قُرَيْش. قَالَ مِنْ أَيِّهِم؟ قُلْتُ: مِنْ بَنِي هَاشِم. قَالَ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَنْظُرَ بَعْضَك؟ قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: فَفَتَحَ إِحْدَى مِنْخَرَي، فَنَظَرَ فِيهِ ثُمَّ نَظَرَ فِي الأُخْرَى، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ فِي إِحْدَى مِنْخَرَيْكَ مَلَكاً وَفِي الأُخْرَى نُبُوَّة، وَإِنَّمَا نَجِدُ ذَلِكَ فِي بَنِي زُهْرَة، فَكَيْفَ ذَلِك؟ قُلْتُ: لَا أَدْرِي. قَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ شَاعَة؟ يَعْنِي زَوْجاً مِنْهُم لِأَنَّهَا تُشَايِع[3] زَوْجَهَا وَتُنَاصِرُهُ، قُلْتُ: أَمَّا اليَوْمَ فَلَا، لِي زَوْجَةٌ مِنْهُمْ، فَقَالَ: إِذَا تَزَوَّجْتَ فَتَزَوَّج مِنْهُم، فَلَمَّا رَجَعَ عَبْدُ المُطَّلِبِ تَزَوَّج هَالَة بِنْتَ وَهْب، وَزَوَّجَ عَبْدَ اللَّهِ آمِنَةَ بِنْتَ وَهْب، فَوَلَدَتْ هَالَةُ الحَمْزَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَصَفِيَّة، وَوَلَدَتْ آمِنَةُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَقِيلَ: إِنَّ الحَبْرَ قَالَ لِعَبْدِ المُطَّلب: أَرَى مَلَكاً وَنُبوَّة، وَأَرَاهُمَا فِي المَنَافَيْن عَبْد مَنَاف بْنِ قُصَيٍّ، وَعَبْد مَنَاف بْنِ زُهْرَة، وَاخْتُلِفَ فِي وَقْتِ حَمْلِ آمِنَة بِهِ ﷺ فَقِيلَ: إِنَّهَا حَمَلَتْ بِهِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ مِنْ رَجَب، وَقِيلَ: أَيَّامُ مِنى، وَالأَوَّلُ مُنْطَبِقٌ عَلَى القَوْلِ بِأَنَّ مِيلَاده ﷺ فِي رَبِيع الأَوَّلِ، وَالقَوْلُ الثَّانِي مُوافِقٌ لِمَنْ ذَهَبَ أَنَّ مِيلَادَه، ﷺ، كَانَ فِي رَمَضَان، وَكَانَتْ آمِنةُ تَقُولُ: مَا شَعَرْتُ أَنِّي حَمَلْتُ بِهِ، وَلَا وَجَدْتُ لَهُ ثِقَلاً كَمَا تَجِدُ النِّسَاءُ إِلا أَنِّي أَنْكَرْتُ رَفْعَ حَيْضَتِي، وَرُبَّمَا كَانَتْ تُرْفَعُ عَنِّي وَتَعُودُ، وَقَالَتْ

---

(١) سورة التوبة، الآية ـ ١٢٨.

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (١/١/٣١).

(٣) في الأصل (تشائع).

آمِنَةُ: أَتَانِي آتٍ وَأَنَا بَيْنَ النَّائِمَةِ وَاليَقْظَانَة[1] فقَالَ: هَلْ شَعَرْتِ أَنَّكِ حَمَلْتِ بِسَيِّد هَذِهِ الأُمَّةِ وَنَبِيِّهَا؟ وَأَمْهَلَنِي حَتَّى دَنَتْ وِلَادَتِي فَأَتَانِي فَقَالَ: قُولِي إِذَا وَلَدْتِهِ[2]، أُعِيذُهُ بِالوَاحِدِ [الصَّمَد][3] مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِد[4]، يَأْخُذُ بِالمَرَاصِدِ، ثُمَّ سَمِّيهِ مُحَمَّداً، فَإِنَّ اسْمَه فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ أَحْمَد يَحْمَدُه أَهْلُ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَفِي القُرْآنِ مُحَمَّدٌ وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى[5]: اسْمه أَحْمَد، وَقَالَتْ آمِنَةُ: أَتَانِي آتٍ حِينَ مَرَّ بِي مِنْ حَمْلِي سِتَّة أَشْهُرٍ فِي المَنَامِ، وَقَالَ لِي: يَا آمِنَة إِنَّكِ حَمَلْتِ بِخَيْرِ العَالَمِين. فَإِذَا وَلَدْتِهِ[6] فَسَمِّيه مُحَمَّداً، وَاكْتُمِي شَأْنَكِ، وَقَالَ ابْنُ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ مِنْ دَلَالَةِ حَمْلِ آمِنَة أَنَّ كُلَّ دَابَةٍ لِقُرَيْشٍ نَطَقَتْ تِلْكَ اللَّيْلَة، وَلَمْ يَبْقَ[7] سَرِير لملِك مِن مُلُوكِ الدُّنْيَا إِلاّ أَصْبَحَ مَنْكُوساً، وَعَنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ: أَنَّ صَبِيحَةَ تِلْكَ اللَّيْلة أَصْبَحَتْ أَصْنَام الدُّنْيَا مَنْكُوسَة. وَقَالَ أَهْلُ السِّيَر: وَكَانَتْ السَّنَةُ مُجْدِبَةً، وَالنَّاسُ فِي ضِيقٍ، وَشِدَّةٍ فَاخْضَرَّتِ الأَرْضُ، وَحَمَلَتِ الأَشْجَارُ، وآتَاهُم الرِّفْدُ[8] مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَسُمِّيَتْ سَنَةُ الفَتْحِ وَالابْتِهَاجِ، وَفِي الحَدِيثِ: «أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَذِن تِلْكَ السَّنَة لِنِسَاءِ الدُّنْيَا أَنْ يَحْمِلْنَ ذُكُوراً» كَرَامَة لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.
وَذَكَرَ الحَافِظُ النَّيْسَابُورِي: أَنَّ نُورَ النَّبِيِّ ﷺ[9] لَمَّا صَارَ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ كَانَ يُضِيءُ فِي غرَّته وَتَفُوحُ مِنْ فَمِهِ رَائِحَةُ المِسْكِ الأَذْفَرِ، وَكَانُوا يَسْتَسْقُونَ بِهِ فَيُسْقَوْنَ. وَنَامَ فِي الحجرِ فَانْتَبَه مَكْحُولاً مَدْهُوناً قَدْ كُسِي حُلَلَ المَهَابَةِ، وَالجَمَالِ، فَتَحَيَّرَ وَلَمْ يَدْرِ

---

(١) في الأصل (اليقضانة).
(٢) في الأصل (ولدتيه).
(٣) الزيادة عن الطبقات (١/١/٦٠).
(٤) انظر قول آمنة طبقات ابن سعد (١/١/٦٠).
(٥) في الأصل (أحرى).
(٦) في الأصل (ولدتيه).
(٧) في الأصل (يبقى).
(٨) في المطبوعة (الوفد)، والصواب ما أثبت، والرِّفْدُ: العَطَاءُ.
(٩) في الأصل (وسلم) مكررة.

مَنْ فَعَلَ بِهِ ذَلِكَ، فَانْطَلَقَ بِهِ أَبُوهُ إِلَى كَهَنَةِ قُرَيْشٍ، فَقَالُوا: إِنَّ إِلَهَ السَّموات قَدْ أَذِنَ لِهَذَا الغُلَام أَنْ يَتَزَوَّجَ، وَنَامَ مَرَّةً أُخْرَى فِي الحجرِ فَرَأَى رُؤيَا فَقَصَّهَا عَلَى الكُهَّانِ، فَقَالُوا: لَئِنْ صَدَقَتْ رُؤيَاكَ لَيَخْرُجَنَّ مِنْ ظَهْرِكَ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ أَهْلُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَيَكُونَنَّ لِلنَّاسِ عَلَماً مُبِيّناً، هَذَا الَّذِي ذَكَرَهُ شَارِحُ الهَمْزِيَّة. وَقَالَ أَيْضاً: وَلَمَّا حَمَلَتْ بِهِ آمِنَة ظَهَرَتْ عَلَيْهَا الأَنْوارُ، وَكُسِيتْ أَثْوَابَ البَهَاءِ وَالجَمَالِ، وَهَتَفَتْ[1] بِهَا الهَوَاتِفُ بِالبِشَارَاتِ، وَقِيلَ: إِنَّ رَاهِباً كَانَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ[2] وَهُوَ مَكَانٌ بِمَكَّةَ، كَانَ يَقُولُ: يُوشِكُ[3] أَنْ يُولَدَ مِنْكُمْ، يَا أَهْلَ مَكَّة مَوْلُودٌ اسْمه مُحَمَّد تَدِينُ لَهُ العَرَبُ، وَيَمْلِكُ العَجَمَ، وَهَذَا زَمَانُه، فَكَانَ لاَ يُولَدُ مَوْلُودٌ إِلاَّ سُئِلَ عَنْهُ حَتَّى وُلِدَ ﷺ وَأَخْبَرَ الرَّاهِبُ جَدَّه بِوِلاَدَتِهِ فَقَالَ[4]: سَمِّيه مُحَمَّداً، وَقَدْ طَلَعَ نَجْمُه البَارِحَة، وَعَنْ عَائِشَة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّه كَانَ بِمَكَّةَ يَهُودِي فَصَاحَ لَيْلَةَ ولاَدَتِهِ: يَا أَهْلَ مَكَّة هَلْ وُلِدَ فِيكُمْ اللَّيْلَة مَوْلُودٌ؟ فَقَالُوا: لاَ نَعْلَمُ. فَقَالَ: وُلِدَ اللَّيْلَةَ نَبِيُّ الأُمَّةِ الأَخِيرَةِ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلاَمَةٌ فِيهَا شَعَرَاتٌ مُتَوَاتِرَاتٌ كَأَنَّهُنَّ عُرْفُ فَرَسٍ، فَأَدْخَلُوهُ عَلَى أُمِّه آمِنَة لمَّا وُلِدَ ﷺ وَكَشَفَ لَهُ عَنْ ظَهْرِهِ فَرَأَى تِلْكَ العَلاَمَةَ فَخَرَّ مَغْشِيّاً عَلَيْه ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل.

وَمِنْ آيَاتِ حَمْلِهِ ﷺ مَا كَانَتْ[5] تَرَاهُ أُمُّه وَأَبُوه وَجَدُّه مِن الرُّؤيَا الصَّادِقَةِ، وَلَمَّا حَمَلَتْ بِهِ أَخْبَرَتِ الكُهَّانَ بِقُرْبِ ظُهُورِه، وَطُلُوعِ كَوْكَبِ نُورِه، وَمِنْهَا مَا سَمِعَتْهُ قُرَيْشٌ مِنَ الهَوَاتِفِ عَلَى الحَجُونِ شِعْراً[6]:

فَأُقْسِمُ مَا أُنْثَى مِنَ النَّاسِ أَنْجَبَتْ ... وَلاَ وَلَدَتْ أُنْثَى مِنَ النَّاسِ وَاحِدَة

---

(١) في الأصل (هتف).

(٢) مرّ الظَّهران: موضع بين الحرمين قريب مكة.

(٣) في الأصل (هي).

(٤) في الأصل (وقال).

(٥) في الأصل (كان).

(٦) في الأصل (شعر).

كَمَـا وَلَـدَتْ زهـرِيَّـة ذَاتَ مَفْخَـرٍ مُجَنَّبَـةً لُـؤمَ القَبَـائِلِ مَـاجِـدَة

وَمِنْهَا أَنَّهُ كَانَ يُسْمَعُ كُلَّ شَهْرٍ مِنْ شُهُورِ حَمْلِهِ: أَبْشِرُوا فَقَدْ آن أَنْ يَظْهَرَ أَبُو القَاسِمِ مُبَارَكاً مَيْمُوناً[1].

وَمِنْهَا أَنْ نُودِيَ فِي المَلَكُوتِ، أَنَّ النُّورَ المَكْنُون قَد انْتَقَلَ إِلَى بَطْنِ آمِنَة ذَاتِ العَقْلِ البَاهِرِ وَالفَضْلِ الظَّاهِرِ، ولَمَّا صَارَ لآمِنَة شَهْرَانِ مِنْ حَمْلِهَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، أَمَرَ عَبْدُ المُطَّلِبِ وَلَدَه عَبْدَ اللَّهِ أَنْ يُسَافِرَ إِلَى غَزَّةَ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، لِيَأْخُذَ لَهُمْ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ لِبَاسٍ وَطَعَامٍ وَغَيْرِ ذَلِك، فَسَارَ مَعَ التُّجَّارِ، وَاشْتَرَى لَهُمْ طَعَاماً وَثِيَاباً وَغَيْرَ ذَلِكَ، وَلَمَّا عَادَ[2] التُّجَّارُ عاد مَعَهُمْ عَبْدُ اللَّهِ، فَتَمَرَّضَ بِالطَّرِيق، وَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى المَدِينَةِ ثَقل بِعَبْدِ اللَّهِ المَرَضُ فَتَخَلَّفَ بِهَا عِنْدَ أَخْوَالِهِ بَنِي [عَدِيِّ بْنِ][3] النَّجَّار، وَلَبِثَ فِي المَدِينَةِ أَيَّاماً وَمَاتَ وَدُفِنَ هُنَاكَ وَلَهُ مِنَ العُمْرِ ثَلاثُونَ سَنَةً، وَلَمَّا بَلَغَ خَبَرُ وَفَاتِهِ إِلَى عَبْدِ المُطَّلِب وَجَدَ عَلَيْهِ وَجْداً شَدِيداً، وَحَزِنَ عَلَيْهِ وَبَكَى[4]، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلّى الله تعالىٰ عليه وسلم حَمْلاً فِي بَطْنِ أُمِّه، وَذَلِكَ بَعْدَ شَهْرَيْنِ، فَعَلَى رِوَايَةِ أَنَّه تَزَوَّجَ عَبْدُ اللَّهِ بِآمِنَة فِي رَجَب، وَوُلِدَ ﷺ فِي رَبِيع الأَوَّل، فَتَكُونَ وَفَاةُ[5] عَبْد اللَّهِ فِي أَوَائِلِ رَمَضَان، وَخَلَّفَ عَبْدُ اللَّهِ جَارِيَتَه أُمُّ أَيْمَن وَخَمْسَةَ جِمَالٍ، وَقِطْعَةَ غَنَمٍ، فَوَرِثَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَقَدْ نَقَلَ الإِمَامُ أَبو حَيَّان فِي تَفْسِيرِه: أَنَّ جَعْفَرَ الصَّادِق قِيلَ لَهُ: لِمَ يُتِّمَ ﷺ مِنْ أَبَوَيهِ؟ قَالَ: لِئَلاَّ يَكُونَ عَلَيْهِ حَقُّ المَخْلُوقِينَ، وَقَالَ ابْنُ العِمَاد فِي «كَشْفِ الأَسْرَار»: إِنَّمَا رَبَّاهُ يَتِيماً لِيَنْظُرَ ﷺ إِذَا وَصَلَ إِلَى مَدَارِج عِزِّه وَإِلَى أَوَائِلِ أَمْرِه فَيَعْلَمُ[6] أَنَّ العَزِيزَ مَنْ أَعَزَّهُ اللَّه، وَأَنَّ قُوَّتَه لَيْسَت مِنَ الآبَاءِ وَالأُمَّهَاتِ، وَلاَ مِنَ المَالِ، بَلْ قُوَّتُهُ مِنَ اللَّهِ تعالىٰ وَأَيْضاً لِيَرْحَمَ الأَيْتَامَ وَالفُقَرَاءَ.

---

(١) في الأصل (ميونا).

(٢) في الأصل (عادت).

(٣) الزيادة عن الطبقات (١/١/٦١).

(٤) في الأصل (بكا).

(٥) في الأصل (وفات).

(٦) في الأصل (ليعلم).

وَاخْتُلِفَ فِي مُدَّةِ حَمْلِهِ ﷺ فَقِيلَ: تِسْعَةَ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ: عَشْرَةَ أَشْهُر، وَقِيلَ: سَبْعَةَ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ: ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ: سِتَّةَ أَشْهُرٍ وَذُكِرَ فِي «السِّيرَة الحَلَبِيَّة»: كَانَ حَمْلُه وَوَضْعُه فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، وَقِيلَ: فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ، كَمَا قِيلَ فِي وِلَادَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلام وَهَذَا غَيْر صَحِيح، وَاخْتُلِفَ فِي شَهْرِ وِلَادَتِهِ ﷺ فَالجُمْهُور عَلَى أَنَّه وُلِدَ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ، قَالَهُ ابْنُ كَثِيرٍ وَالحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ، وَهَذَا هُو الصَّحِيح، وَأَنَّه وُلِدَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ لِاثْنَتَي عَشْرَةَ لَيْلَة مِنْ رَبِيع الأَوَّل وَبِهِ جَزَمَ ابْنُ[1] إِسْحَاق وَتَبِعَهُ ابْنُ سَيِّدِ النَّاس، وَرَوَاه ابْن أَبِي شَيْبَة عَنْ جَابِرٍ وَابْنِ عَبَّاس رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا هَكَذَا ذَكَرَهُ فِي «التَّبْيين فِي أَنْسَابِ القُرَشِيين» وَقِيلَ: وُلِدَ فِي ثَانِي رَبِيع الأَوَّل، وَقِيلَ: فِي ثَامِنِه، وَبِهَذَا قَالَ ابْنُ حَجَر: أَنَّه مُقْتَضَى أَكْثَر الأَخْبَار، وَقِيلَ: فِي عَاشِره، رَوَاهُ الدِّمْيَاطِي عَنْ جَعْفَر الصَّادِق، وَصَحَّحَهُ، وَقِيلَ: لِسَبْع عَشْرَة مِنْه، وَقِيلَ: لِثَمَانِي عَشْرَة مِنْهُ، وَهَذَا الَّذِي رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَة وَهُوَ حَدِيث مَعْلُول، وَقِيلَ: لِاثْنَتَي عَشْرَة[2] لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ رَبِيع الأَوَّل، وَقِيلَ: فِي صَفَرٍ، وَقِيلَ فِي رَبِيعِ الآخِر، وَقِيلَ: فِي رَجَبٍ، وَقِيلَ: فِي رَمَضَان، وَقِيلَ: فِي يَوْم عَاشُوراء كَعِيسَى عَلَيْهِ السَّلام وَقِيلَ: لِخَمْسٍ بَقِيْنَ مِنْ مُحَرَّم. وَعَنْ ابْنِ عَبَّاس رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ وُلِدَ ﷺ يَوْمَ الاثْنَيْنِ مِنَ رَبِيعِ الأَوَّلِ، وَأُنْزِلَتْ عَلَيْه النُّبُوَّةُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ مِنْ رَبِيعِ الأَوَّلِ، وَهَاجَرَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ مِنْ رَبِيعِ الأَوَّلِ، وَأُنْزِلَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ البَقَرَةِ يَوْم الاثْنَيْنِ مِنْ رَبِيعِ الأَوَّلِ، وَتُوفِّي يَوْم الاثْنَيْنِ مِنْ رَبِيعِ الأَوَّل. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: هَذَا غَرِيبٌ جِدّاً، وَقِيلَ: إِنَّهُ وُلِدَ ﷺ لَيْلاً[3]، وَيُؤَيِّدُهُ، مَا رَوَاهُ عُثْمَانُ بْنُ أَبِي العَاصي عَنْ أُمِّه أَنَّها شَهِدَتْ وِلَادَةَ النَّبِيِّ، ﷺ، لَيْلاً، قَالَتْ: فَمَا شيء أَنْظُرُ إِلَيْهِ مِنَ البَيْتِ إِلاَّ نُوراً أَوْ أَنِّي لأَنْظَرَ إِلَى النُّجُومِ تَدْنُو حَتَّى أَنِّي لأَقُول عَلَيَّ، وَقَالَ ابْنُ دِحْيَة: هَذَا حَدِيثٌ مَقْطُوعٌ. وَفِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّه سُئِلَ ﷺ، عَنْ صَوْمِ يَوْمِ الاثْنَيْنِ فَقَالَ:

---

(١) في الأصل (بن).

(٢) في الأصل (عشر).

(٣) في الأصل (لثلا).

«فيه وُلِدْتُ». وَهَذَا يُؤَيِّدُ ما رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَالَ أَصْحَابُ الإشَارَةِ: قَوْلُه تَعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ * وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾[1] إشَارَةٌ[2] إلى لَيْلَةِ مَوْلِدِه ﷺ أَوْ لَيْلَة مِعْرَاجِهِ وَرَوَى الحَافِظُ ابْنُ عَسَاكِر أَنَّ وِلادَتَهُ كَانَتْ حِينَ طُلُوعِ الفَجْرِ، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ قَوْلُ عَبْدِ المُطَّلِب: وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ مَعَ الصُّبْحِ مَوْلُودٌ. وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ المُسَيَّبِ أَنَّهُ وُلِدَ ﷺ عِنْدَ إبْهَارِ النَّهَارِ، وَذَلِكَ فِي وَسطه، وَقَالَ ابْنُ سَعِيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «رَأَتْ أُمِّي حِينَ وَضَعَتْ سَطَعَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ بُصْرَى»، وَكَانَ مَوْلِدُهُ، ﷺ فِي فَصْلِ الرَّبِيعِ فِي شَهْرِ نِيسَان لِعِشْرِين لَيْلَة خلَتْ مِنْهُ، وَقِيلَ: فِي بُرْجِ الحَمْلِ: وَفِي بَعْضِ الأَقَاوِيلِ:

يَقُولُ لَنَا لِسَانُ الحَالِ مِنْهُ ... وَقَولُ الحَقِّ يَعْذُبُ لِلسَّمِيعِ
فَوَجْهِي وَالزَّمَانُ وَشَهْرُ وَضْعِي ... رَبِيعٌ فِي رَبِيعٍ فِي رَبِيعِ

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «التبيين»: كَانَ وَضْعُهُ ﷺ فِي الدَّارِ الَّتِي كَانَتْ لِمُحَمَّد بْنِ يُوسُف الثَّقَفِي أَخِي الحَجَّاج، وَكَانَتْ قَبْلُ دَاراً لِعَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِب، وَلَمْ تَزَلْ بِيَدِ أَوْلَادِهِ إلَى أَنْ بَاعُوهَا لِمُحَمَّدِ بْنِ يُوسُف بِمِائَة أَلْف دِينَارٍ. وَقِيلَ: إنَّ الأَصَحَّ كَانَ مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَهُمْ يَزُورُونَهُ كُلَّ عَام، وَقِيلَ فِي شُعَبِ بَنِي هَاشِم وَفِي كَلَامِ ابْنِ دِحْيَة، أَنَّ الدَّار الَّتِي وُلِدَ فِيها ﷺ لَمَّا حَجَّتْ الخَيْزُرَانَة أُمُّ الرَّشِيدِ أَخْرَجَتْهَا مِنْ دَارِ مُحَمَّدِ بْنِ يُوسُف، وَبَنَتْهَا مَسْجِداً، وَقِيلَ: إنَّ تِلْكَ الدَّار عِنْدَ الصَّفَا بَنَتْهَا زُبَيدَةُ زَوْجَةُ الرَّشِيدِ أُمُّ الأَمِينِ مَسْجِداً لَمَّا حَجَّتْ، وَقِيلَ: وُلِدَ فِي الرَّدْمِ، أي رَدْم بَنِي جُمَح، وَيُعْرَفُ الآنَ بِالمُدْعَى[3] لأَنَّه يُؤْتَى فِيه الدُّعَاءُ الَّذِي يُقَالُ عِنْدَ رُؤْيَةِ الكَعْبَةِ، وَقِيلَ: فِي شُعَبِ أَبِي طَالِب، وَمِمَّا نَصَّ عَلَيْه بَعْضُ الفُقَهَاءِ، أنَّه يَجِبُ عَلَى الوَلِي أَنْ يُعَلِّمَ وَلَدَهُ إذَا مَيَّزَ أَنَّه ﷺ وُلِدَ بِمَكَّةَ وَمَاتَ بِالمَدِينَةِ، وَاخْتُلِفَ فِي عَامِ وِلَادَتِهِ ﷺ

---

(١) سورة الضحى، الآيتان ـ ١ : ٢.

(٢) في الأصل (الإشارة).

(٣) في الأصل (المدعي).

فَقِيلَ عَامَ الفِيلِ . وَقِيلَ: فِي يَوْمِهِ، وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: وُلِدَ ﷺ يَوْمَ الفِيلِ ، وَعَنْ قَيْسِ بْنِ مِخْرَامَة: وُلِدْتُ أَنَا وَرَسُول اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الفِيلِ ضُحىً، وَفِي «تَارِيخِ ابْنِ حِبَّان»: وُلِدَ ﷺ عَامَ الفِيلِ فِي اليَوْمِ الَّـذِي بَعَثَ اللَّهُ الطَّيْرَ الأَبَابِيل عَلَى أَصْحَابِ الفِيلِ . وَذُكِرَ فِي «تَارِيخِ المُؤَيَّد» أَنَّه وُلِدَ يَوْمَ العَاشِرِ مِنْ رَبِيعٍ الأَوَّلِ عَامَ الفِيلِ ، وَذَلِكَ بَعْدَ الفِيلِ بِخَمْسِينَ يَوْماً، لأَنَّ الفِيلَ كَانَ فِي مُنْتَصَفِ المُحَرَّم، وَهَذَا هُو المَشْهُور، وقيل: وُلِد بَعْدَ الفِيلِ بِخَمْسَـةٍ وَخَمْسِينَ يَوْماً، وَقِيلَ: بِأَرْبَعِينَ، وَقِيلَ: بِشَهْرٍ، وَقِيلَ: بِعَشْرِ سِنِين، وَقِيلَ: بِثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: بِثَلَاثِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: بِأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: بِسَبْعِينَ سَنَةً.

وَذَكَرَ الحَافِظُ الدِّمْيَاطِي: أَنَّهُ بَعْدَ الفِيـلِ بِخَمسَـةٍ وَخَمْسِينَ يَـوْماً، وَهُـو الأَصَحُّ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ المُنْذِرِ شَيْخِ البُخَارِي، لَا يَشُكُّ فِيه أَحد مِنَ العُلَمَاءِ، وَعَلَيْه الإِجْمَاع، وَقِيلَ: أَنَّهُ وُلِدَ ﷺ قَبْلَ عَامِ الفِيلِ بِخَمْسَةَ عَشْرَ عاماً، وَهَـذَا غَرِيبٌ مُنْكَرٌ ضَعِيفٌ وَقَالَ الحَافِظُ النَّيْسَابُورِي: كَانَ نُورُ النُّبُـوَّةِ فِي وَجْهِ عَبْـدِ المُطَّلب يُضِيءُ كَالغُـرَّةِ، وَكَانَتْ قُـرَيْشٌ إِذَا أَصَابَهُمْ جَـدْبٌ أَخَذُوا[1] بِيَـدِ عَبْـدِ المُطَّلب وَصَعَدُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ ثُبَيْر يَسْتَسْقُونَ فِيهِ فَيُسْقَوْنَ بِبَركَةِ ذَلِكَ النُّور.

وَقِصَّةُ أَصْحَابِ الفِيلِ ، أَنَّ أَبْرَهَةَ الأَشْرَم مَلِكَ الحَبَشَةِ بَنَى لَهُ كَنِيسَةً فِي اليَمَنِ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالحَجِّ إِلَيْها كَالكَعْبَةِ،وَزَخْرَفَهَا، وَجَعَلَ فِيهَا صُلْبَان الذَّهَـبِ وَالفِضَّةِ، وَمَنَابِرَ العَاجِ ، وَالآبَنُوسِ ، ثُمَّ إِنَّ بَعْضَ العَرَبِ مِنْ بَنِي كِنَانَة[2] دَخَلَ الكَنِيسَةَ، وَتَغَوَّطَ فِيهَا وَلَوَّثَ جُدْرَانَها بِالعُذْرَةِ، وَلَطَّخَ قِبْلَتَها فَحلَفَ أَبْرَهَةُ لَيَهْـدِمَنَّ الكَعْبَة فَسَارَ بِعَسْكَرِهِ إِلَى الكَعْبَةِ وَمَعَهُ أَفْيَال ، وَأَعْظَمُهَا فِيلَه المُسَمَّى مَحْموداً، فَقَاتَلَ العَرَبَ

---

(١) في الأصل (أخذت).

(٢) هو: نفيل بن حبيب الخثعمي، وكان نفيل هذا يُورِّضُ له ما يكره، فأمهل. فلما كان ليلة من الليالي لم ير أحد يتحرك، فقام فجاء بعذرة فلطخ بها قبلته، وجمع جيفا فألقاها فيه، فأخبر ابرهة بذلك، فغضب غضباً شديداً، وقال: إنما فعلت هذا العرب غضباً لبيتهم، لأنقضنه حجراً حجراً.

انظر طبقات ابن سعد (١/١/٥٥).

وَأَسَرَهُمْ، وَتَقَدَّمَ وَنَزَلَ قَرِيباً مِنَ الطَّائِفِ، وَأَرْسَلَ خَيْلَهُ وَنَهَبَتْ إِبِلَ قُرَيْشٍ، وَفِيهَا لِعَبْدِ المُطَّلِبِ أَرْبعمِائَةِ نَاقَةٍ: وَتَحَصَّنَتْ قُرَيْشٌ بِجِبَالِ مَكَّةَ، فَجَاءَ رَسُولُ أَبْرَهَة إِلَى عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأَخْبَرَهُ، إِنَّمَا جَاءَ المَلِكُ لِهَدْمِ البَيْتِ، فَقَالَ عَبْدُ المُطَّلِبِ: لِلبَيْتِ رَبٌّ سَوْفَ يَحْمِيهِ، وَسَارَ عَبْدُ المُطَّلِبِ مَعَ الرَّسُولِ إِلَى أَبْرَهَةَ فَأَكْرَمَهُ وَأَجْلَسَهُ مَعَهُ عَلَى السَّرِيرِ، فَقَالَ لِتُرْجُمَانِهِ: قُلْ لَهُ، فِيمَا أَتَيْتَ؟ فَقَالَ: بِطَلَبِ الجِمَالِ وَالخَيْلِ، فَقَالَ لَهُ: الجِمَالُ وَالخَيْلُ وَتَرَكْتَ هَدْمَ البَيْتِ؟ فَقَالَ عَبْدُ المُطَّلِبِ: أَنَا رَبُّ الإِبِلِ، وَأَمَّا البَيْتُ فَلَهُ رَبٌّ إِنْ شَاءَ مَنَعَهُ. فَقَالَ أَبْرَهَةُ: مَا كَانَ لِيَمْنَعَهُ مِنِّي! ثُمَّ انْصَرَفَ عَبْدُ المُطَّلِبِ بِجِمَالِهِ وَخَيْلِهِ، وَصَعَدَ عَلَى الجَبَلِ، وَأَحَاطَتْ عَسَاكِرُ أَبْرَهَة بِالحَرَمِ، فَأَقْبَلَ عَبْدُ المُطَّلِبِ وَأَخَذَ بِأُذُنِ الفِيلِ مَحْمُود، وَقَالَ لَهُ: أَبْرِكْ مَحْمُوداً فَهَذَا بَيْتُ اللَّهِ وَحَرَمُهُ فَبَرَكَ مَحْمُودٌ عِنْدَ وَادِي محسّر فَصَارُوا يَضْرِبُونَهُ فَلَا يَقُومُ فَوَجَّهُوه إِلَى اليَمَنِ فَهَرْوَلَ، وَكَذَا إِلَى الشَّامِ، وَسَقَوْهُ الخَمْرَ لِيَذْهَبَ تمييزه فَلَمْ يَفِدْ ذَلِكَ؛ وَكَانَ عَبْدُ المُطَّلِبِ قَدْ دَخَلَ البَيْتَ فَأَخَذَ بِحَلْقَةِ البَابِ، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ(١):

لَاهُمَّ إِنَّ المَرْءَ يَمْنَعُ رَحْلَهُ ... فَامْنَعْ رِحَالَكْ
وَانْصُرْ عَلَىٰ آلِ الصَّلِيبِ ... وَعَابِدِيهِ اليَوْمَ آلَكْ
لَا يَغْلِبَنَّ صَلِيبُهُمْ ... وَمَحَالُهُمْ أَبَداً مَحَالَكْ

ثُمَّ صَعَدَ بِهِمْ إِلَى رُءُوسِ الجِبَالِ، وَلَمْ تَزَلْ الحَبَشَةُ تَضْرِبُ رَأْسَ الفِيلِ مَحْمُود وَمَرَاقه لِيَنْهَضَ نَحْوَ البَيْتِ، وَهُو لَا يَفْعَلُ حَتَّى أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِم الطَّيْرَ الأَبَابِيلَ مَعَ كُلِّ طَيْرٍ ثَلَاثَةُ أَحْجَارٍ فِي مِنْقَارِهِ وَرِجْلَيْهِ، كُلُّ حَجَرَةٍ بِقَدْرِ العَدَسَةِ يُلْقِيهَا عَلَىٰ رَأْسِ أَحَدِهِمْ فَتَخْرُجُ مِنْ دُبُرِهِ، وَيَتَسَاقَطُ لَحْمُهُ، وَلَمَّا أَحَسَّ أَبْرَهَةُ بِالشَّرِ رَكِبَ

---

(١) وردت الأبيات في طبقات ابن سعد (١/١/٥٦) على النحو الآتي:

لَا هُمَّ إِنَّ المرءَ يمنعُ رَحْلَهُ ... فامنع حلالك
لا يَغْلِبَنَّ صليبُهم ومحالهم ... غَدْوا محالك
إن كنت تاركهم وقبلتَنَا ... فأمر ما بدا لك

فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَسَارَ عَلَى وَجْهِهِ، وَالطُّيُورُ عَلَى رُءوسِهِم مِثْل الخَطَاطِيف، فَجَعَلَتْ تَرْمِي وَاحِداً وَاحِداً وَهُمْ يَتَسَاقَطُونَ فِي الطُّرُقِ، وَرَمَتْ أَبْرَهَةَ فَجَعَل يَتَسَاقَطُ جَسَدُه شَيْئاً فَشَيْئاً حَتَّى هَلَكَ، وَلَمْ يَنْجُ مِنْهُمْ سِوى وَاحِدٍ دَخَلَ عَلَى النَّجَّاشِيِّ فَأَخْبَرَهُ بِالخَبَرِ وَالطَّيْر عَلَى رَأْسِهِ، فَلَمَّا فَرَغَ أَلْقَى عَلَيْه الحَجَرَ، فَخَرَقَتْ البِنَاءَ وَنَزَلَتْ عَلَى رَأْسِهِ فَأَلْحَقَتْهُ بِهِمْ. وَعَظُمَتْ قُرَيْشٌ، وَتَمَزَّقَتْ الحَبَشَةُ، وَبَقِيتْ كَنِيسَةُ أَبْرَهَة خَرِبَة حَوْلَهَا الوحُوشُ والحَيَّاتُ[1].

وَذُكِرَ فِي «حَيَاةِ الحَيَوَانِ»، أَنَّ الأَبَابِيلَ تُعَشِّشُ وَتُفَرِّخُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ.

وَذُكِرَ فِي «المَعَالِمِ»: أَنَّ عَبْدَ المُطَّلِبِ لمَّا دَخَلَ البَيْتَ، أَخَذَ بِحَلْقَةِ البَابِ وَجَعَلَ يَقُولُ:

يَا رَبِّ لاَ أَرْجُو لَهُم سِوَاكَا ... يَا رَبِّ فَامْنَعْ مِنْهُمْ حِمَاكَا
إِنَّ عَدُوَّ البَيْتِ مَنْ عَادَاكَا ... امْنَعْهُمْ أَنْ يُخَرِّبُوا قُرَاكَا

وَذُكِرَ فِيهِ أَيْضاً: أَنَّ النَّجَّاشِيَّ مَلِك الحَبَشَةِ بَعَثَ إِلَى أَرْضِ اليَمَنِ رَجُلاً اسْمُه أَرْيَاط فَمَلَكَ اليَمَنَ ثُمَّ ظَهَرَ أَبْرَهَةُ، وَقَتَلَ أَرْيَاط وَاسْتَوْلَى عَلَى اليَمَنِ مِنْ قِبَلِ النَّجَّاشِيِّ، فَكَانَ مِنْهُ مَا كَانَ وَبَعَثَ اللَّهُ إِلَى أَبْرَهَة دَاءً فِي جَسَدِهِ فَجَعَلَتْ[2] تَتَسَاقَطُ[3] أَنَامِلُهُ، كُلَّمَا سَقَطَتْ أُنْمُلَةٌ تَبِعَهَا[4] دَمٌ وَقَيحٌ حَتَّى وَصَلَ إِلَى صَنْعَاء، وَعَجَّلَ اللَّهُ بِرُوْحِهِ إِلَى النَّارِ.

وَقَالَ مُقَاتِلٌ: كَانَ مَعَهُمْ فِيلٌ وَاحِدٌ، وَقَالَ الضَّحَّاكُ: ثَمَانِيَة، وَقِيلَ: اثْنَا عَشْر سِوى الفِيلِ الأَعْظَم. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَتْ طَيْرٌ أَبَابِيل لَهَا خَرَاطِيمٌ، كَخَرَاطِيمِ الطَّيْرِ، وَأَكُفٌّ كَأَكُفِّ الكِلاَبِ، وَقَالَ عِكْرِمَةُ: لَهَا رُءُوسٌ

---

(١) انظر قصة أصحاب الفيل طبقات ابن سعد ١/١/٥٥ - ٥٦.

(٢) في الأصل (فجعل).

(٣) في الأصل (يتساقط).

(٤) في الأصل (تبعها).

كـرؤوس السّبَاع، وَقَـال الـرّبِيـعُ: لَهَـا انيـابٌ كـأنْيَـابِ السِّبَـاعِ، وَقَـالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْـر: طَيْـرٌ خُضْـرٌ لَهَـا مَنَاقِيـرُ صُفْـرٌ، وَقَـالَ قَتَـادَةُ: طَيْـرٌ سُـودٌ جَاءَتْ[1] مِنْ قِبَلِ البَحْرِ فَوْجاً فَوْجاً مَعَ كُلِّ طَائِرٍ ثَلاَثَةُ أَحْجَارٍ، حَجَـرَانِ فِي رِجْلَيْهِ، وَحَجَرٌ فِي مِنْقَارِهِ، لاَ يُصِيبُ شَيْئاً إِلاَّ هَشَّمَهُ، وَقَالَتْ عَائِشَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَدْرَكْتُ قَائِدَ الفِيلِ وَسَائِقَهُ بِمَكَّةَ أَعْمَيَيْنِ مُقْعَدَيْنِ يَسْتَطْعِمَانِ النَّاسَ.

وَفِي «تَارِيخِ ابْنِ الوَرْدِي» أَنَّ بَيْنَ هُبُوطِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلام وَمَوْلِدِه ﷺ سِتَّةَ آلاَف وَمِائَةً وَثَلاثاً وَسِتِّينَ سَنَةً. وَفِي «أَخْبَارِ الدُّولِ» عَنِ الشَّيْخِ مُحْيِـي الـدِّينِ يَرْوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاس: أَنَّه كَانَ مِنْ آدَم عَلَيْهِ السَّلام إِلَى نَبِيِّنَـا ﷺ خَمْسَة آلاف وَخَمْسِمِائَة وَخَمْس وَسَبْعُونَ سَنَةً.

وَذَكَرَ مُحَمَّدُ بْنُ جَرِيرِ الطَّبَرِي: أَنَّ مِنْ آدَمَ إِلَى انْقِضَاءِ الخَلْقِ سَبْعَة آلاف سَنَةٍ، وَيُؤَيِّدُه مَا رُوِي فِي الحَدِيثِ «أَنَّ عُمْرَ الدُّنْيَا سَبْعَةُ آلاَفِ سَنَةٍ وَأَنَّ فِي آخِرِهَا أَلْفَاً» وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ جِبْرَائِيلَ قَالَ: «مَضَى مِنَ الدُّنْيَا سِتَّةَ آلاَف وَسَبْعِمَائَة». وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ، ﷺ مُنْذُ كَمْ خَلْقُ الدُّنْيَا فَقَالَ: «أَخْبَرَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنَّهُ خَلَقَهَا مُنْذُ سَبْعِمِائَة أَلْف سَنَةٍ إِلَى اليَوْمِ الَّذِي بَعَثَنِي فِيهِ رَسُولاً إِلَى النَّاسِ»، وَذَكَرَهُ البَلْخِيُّ وَقَالَ: يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ مَا جَاءَ فِي الخَبَرِ، أَنَّ إِبْلِيسَ عَبَدَ اللَّهَ تَعَالَى قَبْلَ أَنْ يُخْلَقَ آدَمُ[بـ][2] خَمْسَة وَثَمانِين أَلْف سَنَةٍ، وَأَنَّهُ خُلِقَ بَعْدَمَا خُلِقَتْ السَّمٰوَاتُ وَالأَرْضُ مِنَ المَدَدِ مَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ «أَنَّ كُلَّ شَيءٍ خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى كَانَ قَبْلَ آدَم، وَأَنَّ آدَمَ بَعْدَ إِيجَادِ الخَلْقِ، لِأَنَّهُ خُلِقَ آخِرَ الأَيَّامِ، الَّتِي خُلِقَ فِيهَا الخَلْقُ» وَزَعَمَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ كَانَ قَبْلَ آدَم فِي الأَرْضِ خَلْقٌ لَهُمْ لَحْمٌ وَدَمٌ، وَقِيلَ: إِنَّهُمْ كَانُوا خَلْقاً، فَبَعَثَ إِلَيْهِم نَبِيًّا اسْمه يُوسُف فَقَتَلُوه، وَكَانَ إِبْلِيسُ مِنْهُمْ فَـأَسَرَهُ المَـلاَئِكَـةُ فَعَـاشَ فِيهِمْ وَصَـارَ يَتَخَلَّقُ

---

(١) في الأصل (جات).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

بِأَخْلَاقِهِمْ إِلَى أَنْ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَا كَانَ، وَعَادَ إِلَى فِطْرَتِهِ.

وَذُكِرَ فِي «تَارِيخِ ابْنِ الوَرْدِي»: أَنَّ بَيْنَ مَوْلِد النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ رَفْعِ عِيسَى عَلَيْه السَّلام خَمْسِمائَة وَخَمْساً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، وَفِيهِ أَيْضاً أَنَّ فِي سَنَة أَرْبَع[1] وَعِشْرِينَ مِنْ مُلْكِ كِسْرَى وُلِدَ عَبْدُ اللَّهِ أَبو النَّبِيِّ ﷺ وَوُلِدَ ﷺ فِي سَنَةِ اثْنَيْنِ وَأَرْبَعِينَ مِنْ مُلْكِ كِسْرَى وَعَلَى هَذَا يَكُونُ سِنُّ عَبْد اللَّهِ حِينَ تَزَوَّجَ بِآمِنَة ثَمَانِي عَشْرَة سَنَةً، وَهُو مُخَالِفٌ لِمَا ذُكِرَ، أَنَّهُ وُلِدَ ﷺ عَامَ الفِيلِ، وَوُلِدَ أَبُوه قَبْلَ الفِيلِ بِخَمْسٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً. وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ [ذَاتِ][2] الشِّفَاءِ»: رَوَى أَبُو نُعَيْم، أَنَّه أَتَى إِلَى آمِنَة آتٍ بَعْدَ سِتَّة أَشْهُرٍ مِنْ حَمْلِهَا وَقَالَ: يَا آمِنَة إِنَّكِ حَمَلْتِ بِخَيْرِ العَالَمِين، فَإِذَا وَضَعْتِهِ فَسَمِّيه مُحَمَّداً، وَاكْتُمِي شَأْنَكَ، وَلَمَّا أَخَذَهَا الطَّلْقُ وَكَانَتْ وَحْدَهـا رَأَتْ كَأَنَّ[3] طَائِراً أَبْيَض مَسَحَ فُؤَادَهَا، فَذَهَبَ رُعْبُهَا، وَأُتِيَتْ بِشَرْبَةٍ بَيْضَاء فَتَنَاوَلَتْهَا وَغَشِيَتْهَـا الأَنْوَارُ، وَرَأَتْ نِسْوَةً طِوَالاً[4] أَحْدَقْنَ بِهَا فَقُلْنَ لَهَـا: نَحْنُ، آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَهَؤُلَاءِ الحُورُ العِين، وَرَأَتْ دِيبَـاجاً أَبْيَض مُـدَّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَرِجَالاً بِأَيْدِيهِمْ أَبَارِيق فِضَّـة، وَقِطْعَـة مِنَ الطَّيْـرِ أَقْبَلَتْ حَتَّى غَطَّتْ حُجْرَتَهَا، مَنَاقِيرُهَا مِنَ الزُّمُرُّدِ، وأجنحتها مِنَ اليَاقُوتِ وَرَأَتْ مَشَـارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَعَلَماً بِالمَشْرِقِ، وَعَلَماً بِالمَغْرِبِ، وَعَلَماً عَلَى ظَهْرِ الكَعْبَةِ، فَأَخَذَهَا النُّعَاسُ فَوَضَعَتْهُ ﷺ سَاجِداً؛ رَافِعاً أُصْبُعَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ كَالمُتَضَرِّعِ، وَرَأَتْ سَحَابَةً بَيْضَاء غَشِيَتْهُ، ﷺ ثُمَّ ذَهَبَ عَنْهَا، وَسَمِعَتْ مُنَادِياً يَقُولُ: طُوفُوا بِهِ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَأَدْخِلُوهُ البِحَارَ لِيَعْرِفُوه بِاسْمِهِ، وَنَعْتِهِ وَصُـورَتِهِ، وَيَعْلَمُـوا أَنَّهُ مَـاحِي الشِّرْك، ثُمَّ تَجَلَّتْ عَنْهُ وَقَدْ قَبَضَ ﷺ عَلَى حَرِيرَةٍ بَيْضَاء مَطْوِيَّة طَيّاً شَدِيداً يَنْبُعُ مِنْهَا المَاء، وَسَمِعَتْ قَائِلاً يَقُولُ: بَخٍ بَخٍ قَبَضَ مُحَمَّدٌ عَلَى الدُّنيا كُلِّهَا، فَلَمْ يَبْـقَ أَحَدٌ

---

(١) في الأصل (أربعة).

(٢) سقط من المطبوعة.

(٣) في الأصل (كان).

(٤) في الأصل (طوال)

إلاّ دَخَلَ طَائِعاً فِي قَبْضَتِهِ، وَرَأَتْ ثَلاَثَةَ نَفَرٍ بِيَدِ أَحَدِهِمْ، أَبْرِيقُ فِضَة، وَالثانِي: طَشْتٌ مِنْ زَبَرْجَد أَخْضَر، وَالثَّالِث: حَرِيرَةٌ بَيْضَاءُ، أَخْرَجَ مِنْهَا خَاتَماً يَحَارُ بِهِ النَّاظِرُونَ، فَغَسَلَهُ سَبْعَ مَرَّاتٍ ثُمَّ خَتَمَ بِهِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ثُمَّ احْتَمَلَهُ فَأَدْخَلَهُ بَيْنَ أَجْنِحَتِهِ، ثُمَّ رَدَّه إِلَى أُمِّه. كَذَا ذَكَرَهُ فِي «شَرْحِ الهَمْزِيَّة».

وَرُوِي عَنْ آمِنَةَ أَنَّها قَالَتْ: لمَّا أَخَذَنِي مَا يَأْخُذُ النِّسَاءَ وَإِنِّي لَوَحِيدَةٌ فِي المَنْزِلِ، رَأَيْتُ نِسْوَةً كَالنَّخْلِ طُولاً، كَأَنَّهُنَّ مِنْ بَنَاتِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَفِي رِوَايَة: مِنْ بَنَاتِ عَبْدِ المُطَّلِب، مَا رَأَيْتُ أَضْوَأَ مِنْهُنَّ وُجُوهاً وَكَأَنَّ وَاحِدَةً مِنْهُنَّ تَقَدَّمَتْ فَاسْتَنَدْتُ إِلَيْهَا، وَأَخَذَنِي المَخَاضُ، وَاشْتَدَّ عَلَيَّ الطَّلْقُ، وَكَأَنَّ(١) وَاحِدَةً مِنْهُنَّ تَقَدَّمَتْ إِلَيَّ وَنَاوَلَتْنِي شَرْبَةً مِنَ المَاءِ فَشَرِبْتُ، وَقَالَتِ الثَّالِثَةُ: ازْدَادِي. فَازْدَدْتُ، ثُمَّ مَسَحَتْ بِيَدِهَا عَلَى بَطْنِي، وَقَالَتْ: بِسْمِ اللَّهِ اخْرُجْ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَقُلْنَ لِي: نَحْنُ آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَهَؤُلاَءِ مِنَ الحُورِ العِينِ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ آمِنَةَ سَمِعَتْ مُنَادِياً يُنَادِي طُوفُوا بِهِ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَأَدْخِلُوه البِحَارَ لِيَعْرِفُوه بِاسْمِهِ وَنَعْتِهِ وَصُورَتِهِ، وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهَا رَأَتْ(٢) سَحَابَةً عَظِيمَةً لَهَا نُورٌ، سَمِعَتْ فِيهَا صَهِيلَ الخَيْلِ، وَخَفَقَانَ الأَجْنِحَةِ، وَكَلاَمَ الرِّجَالِ أَقْبَلَتْ فَغَشِيَتْهُ ﷺ وَغُيِّبَ عَنْهَا فَسَمِعَتْ مُنَادِياً يُنَادِي: طُوفُوا بِمُحَمَّدٍ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا وَاعْرِضُوه عَلَى كُلِّ رُوحَانِيٍّ مِنَ الجِنِّ وَالإِنْسِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالطُّيُورِ وَالوُحُوشِ.

وَعَنْ عَبْدِ المُطَّلِبِ قَالَ: كُنْتُ فِي الكَعْبَةِ فَرَأَيْتُ الأَصْنَامَ سَقَطَتْ وَخَرَّتْ سُجَّداً، وَسَمِعْتُ صَوْتاً مِنْ جِدَارِ الكَعْبَةِ يَقُولُ: وُلِدَ المُصْطَفَى المُخْتَارُ الَّذِي تَهْلَكُ بِيَدِهِ الكُفَّارُ وَيَطْهُرُ مِنْ عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، وَيَأْمُرُ بِعِبَادَةِ المَلِكِ السَّلام.

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْم حَدِيثَ الشِّفَاء، أُمِّ عَبْدِ الرَّحْمَن، قَالَتْ: لَمَّا وُلِدَ ﷺ وَقَعَ

---

(١) في الأصل (كان).

(٢) في الأصل (رات).

عَلَى يَدَيْهِ، فَاسْتَهَلَّ فَسَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ: رَحِمَكَ اللَّهُ وَرَحِمَ بِكَ، قَالَتْ: فَأَضَاءَ لِي مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى بَعْضِ قُصُورِ الرُّومِ، ثُمَّ أَضْجَعْتُهُ، فَلَمْ أَنْشُبْ أَنْ غَشِيَتْنِي ظُلْمَةٌ وَرُعْبٌ وَقَشْعَرِيرَةٌ[1]، [ثُمَّ أَسْفَرَ][2] عَنْ يَمِينِي، وَسَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ: أَيْنَ ذَهَبْتَ بِهِ؟ قَالَ: إِلَى المَغْرِبِ، وَأَسْفَرَ ذَلِكَ عَنِّي، ثُمَّ عَاوَدَنِي عَنْ يَسَارِي فَسَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ: أَيْنَ ذَهَبْتَ بِهِ؟ قَالَ: إِلَى المَشْرِقِ، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلِ الحَدِيثُ مِنِّي عَلَى بَالٍ حَتَّى ابْتَعَثَهُ اللَّهُ، فَكُنْتُ فِي أَوَّلِ النَّاسِ إِسْلَاماً. وَرُوِيَ عَنْ آمِنَةَ أَنَّهَا قَالَتْ: رَأَيْتُ كَأَنَّ[3] شِهَاباً خَرَجَ مِنِّي.

وَرَوَى الطَّبَرَانِي: أَنَّه ﷺ لَمَّا وَقَعَ عَلَى الأَرْضِ وَقَعَ مَقْبُوضَةً أَصَابِعُ يَدِهِ مُشِيراً كَالمُسَبِّحِ بِهَا. وَفِي رِوَايَةٍ عَنِ[4] ابْنِ سَعْدٍ: وَقَعَ عَلَى يَدَيْهِ رَافِعاً رَأْسَه إِلَى السَّمَاءِ وَقَبَضَ قَبْضَةً مِنْ تُرَابٍ بِيَدِهِ فَبَلَغَ ذَلِكَ بَعْضُ العَرَبِ فَقَالَ: لَئِنْ صَدَقَ الفَالُ لَيَغْلِبَنَّ هَذَا المَوْلُودُ أَهْلَ الأَرْضِ، وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ ﷺ [وَقَعَ][5] عَلَى كَفَّيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ شَاخِصاً بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ. وَرَوَى ابْنُ الجَوْزِي عَنِ ابْنِ البَرَّاءِ قَالَ: قَالَتْ آمِنَةُ: وَجَدْتُه جَاثِياً عَلَى رُكْبَتَيْه يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَبَضَ قَبْضَةً مِنَ الأَرْضِ وَأَهْوَى سَاجِداً.

وَفِي «شَرْحِ البُخَارِيّ»: أَنَّه ﷺ تَكَلَّمَ أَوَّلَ مَا وُلِدَ. وَذَكَرَ صَاحِبُ «الخَصَائِصِ»: أَنَّ مَهْدَهُ ﷺ كَانَ يَتَحَرَّكُ بِتَحْرِيكِ المَلَائِكَةِ، وَأَنَّ أَوَّلَ كَلَامِهِ قَوْلُه[6]: اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيراً[7] وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيراً. وَذُكِرَ فِي السِّيَرِ: وَرَأَتْ آمِنَةُ عِنْدَ وِلَادَتِهِ نُوراً خَرَجَ مِنْهَا[8] أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ، وَفِي رِوَايَةٍ: حَتَّى رَأَيْتُ أَعْنَاقَ الإِبِلِ بِبُصْرَى[9]. وَإِلَى ذَلِكَ أَشَارَ عَمُّه العَبَّاسُ ـ بِقَوْلِهِ مِنْ أَبْيَاتٍ:

---

(١) في الأصل (قشعويرة).
(٢) زيادة يقتضيها السياق.
(٣) في الأصل (كان).
(٤) في الأصل (عند).
(٥) الزيادة عن الطبقات (١/١/٦٣).
(٦) في الأصل (قول).
(٧) في الأصل (كبير).
(٨) مكررة في الأصل.
(٩) انظر طبقات ابن سعد (١/١/٦٣).

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الـ أرْضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الأُفُقُ
فَنَحْنُ فِي: ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّورِ سَبِيلَ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ

وَذَكَرَ أَهْلُ السِّيرِ: أَنَّه لَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا ﷺ ارْتَجَّ إِيوَانُ كِسْرَى وَانْشَقَّ وَانْصَدَعَ وَسَقَطَ مِنْهُ أَرْبعُ عَشْرَةَ[١] شُرْفَةً، وَكَانَ لَهُ شُرُفَاتٌ[٢] كَثِيرَة، فَلَمَّا أَصْبَحَ كِسْرَى أَجْزَعَهُ مَا رَأَى فَجَمَعَ وُزَرَاءَهُ يَتَحَدَّثُونَ فِي شَأْنِ الإِيوَانِ فَجَاءَهُمُ[٣] الخَبَرُ بِخُمُودِ النِّيرَانِ، وَلَمْ تَكُنْ تَخْمَدُ مِنْ أَلْفِ عَامٍ، فَازْدَادُوا غَمَّاً، وَدَخَلَ عَلَيْهِمُ المُوْبَذَان عَالِمُ الفُرْسِ وَخَادِمُ النِّيرَانِ، وَقَصَّ عَلَيْهِم رُؤْيَا رَآهَا وَهِي كَأَنَّ[٤] إِبِلاً صِعَاباً تَقُودُ خَيْلاً عِرَاباً قَدْ عَبَرَتْ دِجْلَةَ وَانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِهِم، ثُمَّ وَرَدَ عَلَى كِسْرَى كِتَابُ صَاحِبِ طَبَرِيَّة يُخْبِرُه أَنَّ المَاءَ لَمْ يُجْرَ[٥] فِي بُحَيْرَتِها ثُمَّ وَرَد كِتَابُ صَاحِبِ الشَّامِ يُخْبِرُه بِإِفَاضَةِ وَادِي سَمَاوَة[٦]، فَلَمَّا رَأَى ذَلِك كِسْرَى دَاخَلَهُ الفَزَعُ وَالجَزَعُ فَأَرْسَلَ إِلَى النُّعْمَانِ يَأْمُرُه أَنْ يُرْسِلَ رَجُلاً مِنْ عُلَمَائِهِمْ، فَأَرْسَلَ لَهُ عَبْدَ المَسِيحِ الغَسَّانِي وَعُمْره مِائَةٌ وَخَمْسُونَ[٧] سَنَةً، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى كِسْرَى حَدَّثَهُ بِمَا رَأَى وَمَا سَمِعَ، فَدَلَّهُ عَلَى خَالِهِ سُطَيْح وَهُو بِالشَّامِ، وَكَانَ عُمْرُه إِذْ ذَاكَ ثَلَاثمائة سَنَةٍ، وَقِيلَ: سَبْعمِائَة، وكَانَ جَسَداً بِلَا جَوَارِح وَكَانَ وَجْهُه فِي صَدْرِهِ، وَلَيس لَهُ رَأْسٌ وَلَا عُنُقٌ، وَهُو مِثْل الصَّرف تُطْوَى رِجْلَاه وَيَدَاه، وَأَذَا أُرِيدَتْ[٨] أَخْبَارُه يُحَرَّكُ فَيَنْتَفِخُ وَيَمْتَلِيءُ وَيَعْلُوه النَّفَسُ، وَيَجْلِسُ إِذَا غَضِبَ، فَيُخْبِرُ عَمَّا يَسْأَلُ، وَهُو أَوَّلُ كَاهِنٍ فِي العَرَبِ، فَأَمَرَ كِسْرَى عَبْدَ المَسِيحِ بِالمَسِيرِ إِلَى سَطِيحٍ، فَسَارَ وَلَمَّا دَخَلَ عَلَى سُطَيح، نَادَاهُ سُطَيْحٌ: يَا عَبْدَ المَسِيحِ أَقْبَلَ عَلَى جَمَلٍ مَشِيحٍ[٩] إِلَى سُطَيْحٌ، وَقَدْ وَافَى عَلَى الضَّرِيحِ، بَعَثَكَ مَلِكُ سَاسَانِ لِارْتِجَاجِ[١٠] الإِيوَان، وَخُمُودِ النِّيرَانِ، وَرُؤْيَا

(١) في الأصل (أربعة عشر).
(٢) في المطبوعة (شرافات).
(٣) في الأصل (فجاهم).
(٤) في الأصل (كان).
(٥) في الأصل (يجري).
(٦) في الأصل (ساوة).
(٧) في الأصل (وخمسين).
(٨) في الأصل (أريد).
(٩) في الأصل (مشيع).
(١٠) في الأصل (ارتجاز).

الْمُؤَبِّذان، رَأى إِبِلاً صِعَاباً، تَقُودُ خَيْلاً عِراباً، وَقَدْ قَطَعَتْ دِجْلَةَ، وَانْتَشَرَتْ فِي بِلَادِهَا، يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ، إِذَا كَثُرَتِ[١] التِّلَاوَةُ، وَظَهَرَ صَاحِبُ الهِرَاوَةِ، وَغَاضَتْ بُحَيْرَةُ سَمَاوَة[٢] وَخَمَدَتْ نَارُ فَارِس، فَلَيْسَتْ بَابِلُ لِلْفُرْسِ مَقَاماً وَلَا الشَّامُ لِسُطَيْح شَاماً، يَمْلُكُ مِنْهُمْ مُلُوكٌ وَمَلِكَات عَلَى عَدَدِ الشُّرُفَاتِ[٣]-وَكُلُّ مَا هُو آتٍ آتِ. ثُمَّ مَاتَ سُطَيْحٌ مِنْ سَاعَتِهِ، فَنَهَضَ عَبْدُ الْمَسِيح بَعْدَ مَوْتِ سُطَيْح إِلَى رَاحِلَتِهِ، وَجَعَلَ يُنْشِدُ وَيَقُولُ شِعْراً:

شَمِّرْ فَإِنَّكَ مَاضِي العَزْمِ شِمِّيرُ ... وَلَا يَغُرَّنَّكَ تَفْرِيقٌ وَتَغْيِيرُ
وَالنَّاسُ أَوْلَادُ عِلَّاتٍ فَمَنْ عَلِمُوا ... أَنْ قَدْ أَقَلَّ[٤] فَمَحْقُورٌ وَمَهْجُورُ
وَهُمْ بَنُوا الأُمِّ إِمَّا أَنْ رَأَوْا نَشَباً ... فَذَاكَ بِالغَيْبِ مَحْفُوظٌ وَمَنْظُورُ
وَالخَيْرُ وَالشَّرُّ مَقْرُونَانِ فِي قَرَنٍ ... فَالخَيْرُ مُتَّبَعٌ وَالشَّرُّ مَحْذُورُ

وَسَارَ فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى كِسْرَى أَخْبَرَهُ بِمَا قَالَ سَطِيح، فَقَالَ كِسْرَى: إِلَى أَنْ يَمْلِكَ أَرْبَعَة عَشْر مَلِكاً كَانَتْ أُمُورٌ وَأُمُور، فَمَلَكَ مِنْهُمْ عَشْرَةَ فِي أَرْبَعِ سِنِين، وَمَلَكَ البَاقُونَ إِلَى خِلَافَةِ عُثْمَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَوْلُ سَطِيح، مَلِكَات، الْمُرَادُ بِهَا: بُورَان وَأُخْتها أَرْزَمي بَخْت بِنْتَا بَرْوِيز كِسْرَى.

وَمِنْ آيَاتِ مَوْلِدِهِ ﷺ مَا رَوَاه ابْنُ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّه وُلِدَ مَسْرُوراً أَي مَقْطُوعَ السُّرَّة وَعَنْ أَنَس رضي الله عنه عَنْ ابْنِ عَبَّاس رضي الله عَنْهُمَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مِنْ كَرَامَتِي عَلَى رَبِّي أَنِّي وُلِدْتُ مَخْتُوناً، وَلَمْ يَرَ[٥] أَحَدٌ سَوْأَتِي»[٦]، وَعَنْ عِكْرِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ إِبْلِيسَ لَعَنَهُ اللَّهُ، لَمَّا وُلِدَ ﷺ وَرَأَى تَسَاقُطَ النُّجُومِ، قَالَ: لَقَدْ وُلِدَ اللَّيْلَةَ وَلَدٌ يُفْسِدُ عَلَيْنَا أَمْرَنَا، ثُمَّ أَمَرَ أَوْلَادَهُ أَنْ يَأْتُوهُ بِتُرْبَةٍ، مِنْ كُلِّ أَرْضٍ وَهُو يَشُمُّهَا فَلَمَّا[٧] شَمَّ تُرْبَةَ تُهَامَة قَالَ: مِنْ هَهُنَا دُهِينَا. وَذُكِرَ فِي تَفْسِيرِ «ابْنِ

---

(١) في الأصل (كثرت).
(٢) في الأصل (ساوة).
(٣) في المطبوعة (الشرافات).
(٤) في الأصل (قل).
(٥) في الأصل (يرى).
(٦) في الأصل (سوئي).
(٧) في الأصل (فلم).

مَخْلَد»: رَنَّ إِبْلِيسُ أَرْبَعَ رَنَّاتٍ، أي صَوَّتَ صَوتَ كَآبَةٍ[1] وَحُزْنٍ، رَنَّةٌ حِينَ لُعِنَ، وَرَنَّةٌ حِينَ أُهْبِطَ، وَرَنَّةٌ حِينَ وُلِدَ النَّبِيّ ﷺ، وَرَنَّةٌ حِينَ نَزَلَتْ الفَاتِحَة عَلَيْهِ صلّى الله تعالى عليه وسلم، وَعَنْ حَسَّانَ بْنِ[2] ثَابِت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ يَهُودِيًّا صَاحَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ عَلَى أُطُمَـةٍ أي مَكَانٍ عَالٍ يَا مَعْشَرَ [الـ][3] يهُودِ، فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ، فَقَالُوا: مَا بَالُك؟ فَقَالَ: طَلَعَ نَجْمُ أَحْمَدَ الَّذِي وُلِدَ هَذِهِ اللَّيْلَة، وَقِيلَ: لَمَّا وُلِدَ ﷺ لَمْ يَرْضَعْ لِلَيْلَتَيْنِ، قِيلَ: أَنَّ عِفْرِيتاً مِنَ الجِنِّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى فَمِهِ ﷺ وَلمَّا رَآهُ ذَلِكَ اليَهُودِي خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، وَقَالَ: ذَهَبَتْ النُّبُوَّةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيل، أَمَّا وَاللَّهِ لَيَسْطُوَنَّ عَلَيْكُمْ سَطْوَةً يَخْرُجُ خَبَرُهَا مِنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ، وَتَزَلْزَلَتْ الكَعْبَةُ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا، وَلَمْ تَسْكُنْ حَتَّى وُلِدَ، ﷺ وَكَانَ ﷺ يُنَاغِي القَمَرَ فِي مَهْدِهِ وَيُحَدِّثه. وَيُرْوَى عَنِ العَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالى عَنْهُ قَالَ: دَعَانِي إِلَى الدُّخولِ فِي دِينِكَ رَأَيْتُكَ تُنَاغِي القَمَرَ فَتُشِيرُ إِلَيْهِ، بِإِصْبعكَ فَحَيْثُمَا أَشَرْتَ إِلَيْهِ مَالَ، قَالَ: ﷺ: «كُنْتُ أُحَـدِّثُهُ وَيُحَـدِّثُنِي وَيُلْهِينِي عَنِ البُكَاءِ وَأَسْمَعُ وَجْبَتُه، أي سَقْطَتَهُ، حِينَ يَسْجُدُ تَحْتَ العَرْشِ» وَرَوَى البَيْهَقِي: أَنَّه لمَّا كَانَ يَوْمُ السَّابِع مِنْ وِلاَدَتِهِ، ﷺ ذَبَحَ عَنْهُ جَدُّه، وَدَعَا قُرَيْشاً فَلَمَّا أَكَلُوا قَالُوا: مَا سَمَّيتَه؟ قَالَ: مُحَمَّداً. قَالُوا: لِمَ رَغِبْتَ عَنْ أَسْمَاءِ أَهْلِ بَيْتِه؟ قَالَ: أَرَدْتُ أَنْ يَحْمَدَه اللَّهُ فِي السَّمَاءِ وَخَلْقُه فِي الأَرْضِ.

وَعَنْ مُحَمّد البَاقِر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أُمِرَتْ آمِنَةُ فِي المَنَامِ، وَهِيَ حَامِل بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ تُسَمِّيهُ أَحْمَد. قَالَ ﷺ: «مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَسَمَّاهُ مُحَمَّداً حُبًّا لِي وَتَبرُّكاً بِاسْمِي كَانَ هُوَ وَمَوْلُودُه فِي الجَنَّةِ». وَعَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَنْ وَلَدَ ثَلاَثَةَ أَوْلاَدٍ فَلَمْ يُسَمِّ[4] أَحَدَهُمْ مُحَمَداً فَقَدْ جَهِلَ. وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ» أَنَّه لمَّا وُلِدَ ﷺ سَارَتْ ثُوِيبَةُ مَوْلاَةُ أَبِي لَهَبٍ فَبَشَّرَتْهُ بِولاَدَةِ

---

(١) في الأصل (كائبة).

(٢) في الأصل (بن).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) في الأصل (يسمى).

النَّبِيِّ المُنْتَخَب فَأَعْتَقَهَا، وَمِمَّا لاَ يَجُوزَ الْقَوْلَ بِهِ لِمُخَالَفَتِهِ الْقُرْءانَ الْكَرِيمِ قَوْلُ مَنْ قَالَ إِنَّهُ يُخَفّف الْعَذَابَ عَنْ أَبِي لَهَبٍ كُلَّ يَوْمِ اثْنَيْنِ أَوْ لَيْلَتِهِ وَأَمَّا الرُّؤْيَا الَّتِي ذُكِرَتْ عَنِ الْعَبَّاسِ أَنَّهُ رَأَى فِيهَا أَبَا لَهَبٍ بِالمَنَامِ فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ لَهُ يُخَفَّفُ عَنِّي الْعَذَابَ كُلَّ لَيْلَةِ اثْنَيْنِ وأَمُصُّ مِنْ بَيْنَ أَصَابِعِي مَاءً مِثْلَ هٰذَا وَأَشَارَ إِلى نُقْرَةِ إِبِهَامِهِ وأَنَّ ذٰلِكَ بِإِعْتَاقِي لِثُوَيْبَة حِينَ بشَّرَتْنِي بِولاَدَةِ مُحَمَّدٍ ابْنَ أَخِي وبِإِرْضَاعِهَا لَهُ فَهٰذَا لا يَرُدُّ مَا جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى عَنْ الكُفَّارِ فِي النَّارِ ﴿فلا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنْصَرُونَ﴾» سورة البقرة.

وَلَما وُلِدَ ﷺ أَرْضَعَتْهُ أُمُّه آمِنَة سَبْعَةَ أَيامٍ، ثُمَّ أَرْضَعَتْهُ ثُويْبَةُ الأَسْلَمِيَّةُ مَوْلاَة[1] أبِي لَهب وَقِيلَ: أَرْضَعَتْهُ أُمُّه سَبْعَةَ أَشْهُرٍ وَأَرْضَعَتْهُ ثَلاَثَ أَبْكَارٍ مِنْ بَنِي سَلِيم يُسَمَّيْنَ العَوَاتِك، وُضِعَتْ أَثْدَاءُهُنَّ فِي فَمِهِ فَدَرَّتْ لَهُ قَالَ ﷺ: «أَنَا ابْنُ العَوَاتِكِ مِنْ سَلِيم» قِيلَ: العَاتِكَةُ: المُلَطَّخَةُ[2] بِالطِّيبِ أَوْ الطَّاهِرَةُ، ثُمَّ أَرْضَعَتْهُ أُمُّ فَرْوَة[3]، ثُمَّ أَرْضَعَتْهُ أُمُّ أَيْمَن بَرَكَةُ مَوْلاَة أَبِيهِ، ثُمَّ أَرْضَعَتْهُ خَوْلَةُ بِنْتُ المُنْذِرِ، ثُمَّ أَرْضَعَتْهُ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّة، وَذُكِرَ فِي «الخَصَائِص» لَمْ تُرْضِعْهُ مُرْضِعَة إِلاَّ أَسْلَمَتْ، وَلَمَّا بَلَغَ مِنْ العُمْرِ ﷺ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ كَانَ يَتَكَلَّمُ بِحَيْثُ يُسْمَعُ كَلاَمُه، وَفِي تِسْعَةِ أَشْهُرٍ تَكَلَّمَ بِالكَلاَمِ الفَصِيحِ، وَفِي عَشْرَةِ أَشْهُرٍ كَانَ يَرْمِي مَعَ الصِّبْيَانِ، وَكَانَتْ أُخْتُه الشَّيْمَاءُ تُرْقِصُهُ ﷺ وَتَقُولُ شِعْراً:[4]

هَـذَا أَخِـي[5] لَـمْ تَـلِدْهُ أُمِّـي   وَلَـيْسَ مِنْ نَـسْـلِ أَبِي وَعَـمِّـي
فَدَيْتُهُ مِنْ مُخْوِل مُعِمِّ

وَالشَّيْمَاءُ أُخْتُه مِنَ الرَّضَاعِ، وَهِي بِنْتُ حَلِيمَة السَّعدية سُبِيَتْ يَوْم هوازن،

---

(1) في الأصل (مولات).
(2) في الأصل (المتلطخة).
(3) في الأصل (فردة).
(4) في الأصل (شعر).
(5) في الأصل (خي).

فقالت لِمَنْ سَباها: انا اخت صَاحِبَكُمْ، فحَمَلوهَا إلَيْهِ، فقالت يَا رَسُول اللهِ انا أخْتُكَ، قَالَ: وَمَا عَلَامَةُ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: عَضَّةٌ مِنْكَ فِي ظَهْرِي. فَعَرَفَهَا، فَقَامَ[١] ﷺ وَبَسَطَ رِدَاءَهُ[٢] وَأَجْلَسَهَا عَلَيْه، وَدَمَعَتْ لَهَا عَيْنَاهُ وَإِلَى هَذَا أَشَار صَاحِبُ الهَمْزِيَّةِ، بِقَوْلِهِ شِعْراً:

وَأَتَى السَبْيُّ فِيهِ أُخْتُ رَضَاعٍ ... وَضَعَ الكُفْرُ قَدْرَهَا وَالسِّبَاءُ
بَسَطَ المُصْطَفَى لَهَا مِنْ رِدَاءٍ ... أَيُّ فَضْلٍ حَوَاهُ ذَاكَ الرِّدَاءُ
فَحَبَاهَا بِرًّا تَوَهَّمَت النَّاسُ ... بِهِ، إنَّمَا النِّسَاءُ هَذَاءُ

وَتُوفِّيَتْ آمِنَةُ أُمُّه ﷺ [وَعُمْرُه][٣] أَرْبَع أَوْ سِتّ[٤] سِنِين، وَقِيلَ: سَبْع سِنِين، وَقِيلَ: ثَمَان سَنِين، وَقِيلَ: تِسْع سِنِين، وَقِيلَ: اثْنَتي عَشْرَة سَنَةً وَشَهْراً وَعَشْرة أَيَّامٍ، وَالأَوَّلُ أَرْجَحُ ثُمَّ الثَّانِي.

وَرَوَى أَبُو نُعَيْم عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي رُهْم، عَنْ أُمِّهَا قَالَتْ: شَهِدْتُ آمِنَة فِي عِلَّتِهَا وَمُحَمَّدٌ ﷺ غُلَامٌ يَقَعُ عِنْدَ رَأْسِهَا، لَهُ خَمْس سِنِين، فَنَظَرْتُ إلَى وَجْهِهِ ﷺ ثُمَّ قَالَتْ شِعْراً:

بَارَكَ فِيكَ اللَّهُ مِنْ غُلَامٍ ... يَا ابْنَ الَّذِي مِنْ حَوْمَةِ الحِمَامِ
نَجَا[٥] بِعَوْنِ المَلِكِ المِنْعَامِ ... فَدَى غَدَاةَ القَرْعِ[٦] بِالسِّهَامِ
بِمِائَةٍ مِنْ إبِلٍ سَوامٍ ... إنْ صَحَّ مَا أَبْصَرْتُ فِي المَنَامِ

---

(١) في الأصل (فقال).
(٢) في الأصل (ردائه).
(٣) زيادة يقتضيها السياق.
(٤) في الأصل (ستة).
(٥) في الأصل (نجا).
(٦) جاء في هامش المطبوعة ما نصه: («القرب» في الأصل، وأثبتنا القرع، لجواز القصد منها إلى الاقتراع بالسهام).

فَـأَنْـتَ مَـبْـعُـوثٌ إِلَـى الأَنَـامِ مِنْ عِنْـدِ ذِي الـجَـلَالِ وَالإِكْـرَامِ
تُـبْـعَـثُ فِـي الـحِـلِّ وفي الحَرَامِ تُبْعَـثُ بِـالـتَّـخْـفِـيفِ وَالإِسْـلَامِ
دِيـنُ أَبِـيـكَ [الـبَـرِّ][1] إِبْـرَاهَـام فَـالـلَّـهُ أَنْـهَـاكَ عَـنِ الأَصْـنَـامِ

أَنْ لَا تُوالِيهَا مَعَ الأَقْوَامِ

ثُمَّ قَالَتْ: كُلُّ حَيٍّ مَيِّتٌ، وَكُلُّ جَدِيد بَالٍ. وَأَنَا مَيِّتَةٌ وَذِكْرِي بَاقٍ. وَقَد تَرَكْتُ خَيْراً، وَوَلَدْتُ طُهْراً. ثُمَّ مَاتَتْ فَكُنَّا نَسْمَعُ نُواحَ الجِنِّ عَلَيْهَا، وَكَانَ مَوْتُهَا بِالأَبْوَاءِ مَوْضِعٌ قَرِيبٌ إِلَى المَدِينَةِ، وَكَانَ مَوْتُهَا وَهِي رَاجِعَةٌ بِهِ ﷺ مِنَ المَدِينَةِ مِنْ زِيَارَةِ أَخْوَالِهِ، فَمَكَثَتْ عِنْدَهُمْ شَهْراً، وَمَرِضَتْ فِي الطَّرِيقِ وَمَعَهَا أُمُّ أَيْمَن بَرَكَة، فَمَاتَتْ وَدُفِنَتْ بِالأَبْوَاءِ وَقِيلَ: بِالحَجُونِ فِي شِعَبِ أَبِي ذَرٍّ، وَفِي «القَامُوسِ»: دَارُ رَابِعَة بِمَكَّةَ مَدْفَنُ آمِنَة، وَتُوفِيتْ[2] آمِنَة وَلَهَا مِنَ العُمْرِ نَحْوِ عِشْرِين سَنَةً. وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عَنْها قَالَتْ: حَجَّ بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حُجَّةَ الوَدَاعِ فَمَرَّ عَلَى عَقَبَةِ الحَجُونِ، وَهُو بَاكٍ حَزِين مُغْتَمّ، فَبَكَيْتُ لِبُكَائِهِ، ثُمَّ طَفِقَ يَقُولُ: «يَا حَمْرَاء اسْتَمْسِكِي فَاسْتَنَدْتُ إِلَى جَنْبِ البَعِيرِ، فَمَكَثَ عَنِّي طَوِيلاً ثُمَّ عَادَ وَهُو فَرِحٌ مُتَبَسِّمٌ، فَقُلْتُ لَهُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ نَزَلْتَ مِنْ عِنْدِي وَأَنْتَ بَاكٍ حَزِين ثُمَّ عُدْتَ إِليَّ وَأَنْتَ فَرِحٍ مُبْتَسِم فَمِمَّ ذَاكَ؟ قَالَ: «ذَهَبْتُ لِقَبْرِ أُمِّي فَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُحْيِيَهَا فَأَحْيَاهَا فَآمَنَتْ فَرَدَّهَا اللَّهُ تَعالى وَفِي «الأَشْبَاه وَالنَّظَائِرِ» لِابْنِ نُجَيْم، مَنْ مَاتَ عَلَى الكُفْرِ أُبِيحَ لَعْنُهُ إِلاَّ والِدَيْ رَسُول اللَّهِ ﷺ لِثُبُوتِ أَنَّ اللَّهَ أَحْيَاهُمَا لَهُ حَتَّى آمَنَا بِهِ. كَذَا فِي «مَنَاقِبِ الكُرْدَرِي». وَمَا أَحْسَن مَا قَالَهُ الشَّيْخُ شَمْسِ الدِّين، مُحَمَّدُ بْنُ نَاصِرِ الدِّينِ الدِّمِشْقِي شِعْراً[3]:

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل (توفت).

(٣) في المطبوعة (شعر).

حُبُّ[1] النَّبِيِّ مَزِيدُ فَضْلٍ عَلَى فَضْلٍ وَكَانَ بِهِ رَؤُوفَا
فَأَحْيَا أُمَّهُ وَكَذَا أَبَاهُ لإِيمَانٍ بِهِ فَضْلاً مُسَيَّفَا
فَسَلِّمْ فَالقَدِيمُ بِذَا قَدِيرٌ وَإِنْ كَانَ الحَدِيثُ بِهِ ضَعِيفَا

وَعَلَى كُلِّ حالٍ فَالحَذَرُ الحَذَرُ بِذِكْرِهِمَا بِمَا فِيهِ نَقْص فَإِنَ ذَلِكَ قَدْ يُؤْذِي النَّبِيَّ ﷺ وَقَدْ قَالَ ﷺ: «لاَ تُؤْذُوا الأَحْيَاءَ بِسَبِّ الأَمْوَاتِ» وَلاَ رَيْبَ أَنَّ أَذَاهُ كُفْرٌ يُقْتَلُ فاعِلُهُ إِنْ لَمْ يَتُبْ مِنْهُ خُصُوصاً وَهُمَا نَاجِيَان مِنَ التَّعْذِيبِ فِي الدَّارِ الآخِرَةِ لأَنَّهُمَا مِنْ أَهْلِ الفِطْرَةِ، وَقَدْ دَلَّتِ القَوَاطِعُ عَلَى أَنَّهُ لاَ تَعْذِيبَ حَتَّى تَقُومَ الحُجَّةُ لِقَوْلِهِ تَعالى بِـ ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾[2]. وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ الجَوْهَرَةِ»: قَالَ الجَلاَلُ السُّيُوطِي فِي «مَسَالِكِ الحُنَفَاءِ فِي وَالدَي المُصْطَفى»: نَقَلْتُ مِنْ مَجْمُوعٍ بِخَطِّ الشَّيْخِ كَمَال الدِّين وَالِد شَيْخنا تَقِيِّ الدِّين مَا نَصُّه: سُئِلَ القَاضِي أَبُو بَكْرِ بْنُ العَرَبِيِّ عَنْ: مَنْ قَالَ: إِنَّ أَبَا النَّبِيِّ ﷺ فِي النَّارِ؟ فَأَجابَ: بِأَنَّهُ مَلْعُونٌ، لأَنَّ اللَّهَ تَعَالى قَالَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُم اللَّهُ[3] فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ﴾[4] قَالَ: وَلاَ أَذى أَعْظَم مِنْ أَنْ يُقَالَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّه فِي النَّارِ. وَلَمَّا تُوُفِّيَتْ[5] آمِنَةُ قَدِمَتْ أُمُّ أَيْمَن بِالنَّبِيِّ، ﷺ إِلَى عِنْدِ عَبْد المُطَّلِبْ بَعْدَ خَمْسَة أَيَّامٍ فَضَمَّه إِلَيْه، وَرَقَّ عَلَيْهِ رِقَّةً لَمْ يَرِقَّهَا عَلَى أَحَدٍ مِنْ وَلَدِهِ فَكَانَ إِذَا أَتَى بِطَعَامٍ أَجْلَسَهُ إِلَى جَنْبِهِ وَرُبَّمَا أَقْعَدَهُ عَلَى فَخذِهِ وَكَانَ يَقُولُ: [إِنَّ][6] لاِبْنِي هَذَا شَأْناً، وَلَمَّا صَارَ لَهُ ﷺ مِنَ العُمْرِ سَبْعَ سِنِين أَصَابَهُ رَمَدٌ شَدِيدٌ فَعُولِجَ بِمَكَّةَ فَلَمْ يُغْنِ عَنْهُ، فَأَخَذَهُ عَبْدُ المُطَّلِب وَسَارَ إِلَى عُكَاظ، وَكَانَ دَيْرٌ[7] قَرِيباً مِنْهَا وَفِيهِ رَاهِبٌ يُحْسِنُ معالَجَةَ الرَّمَدِ، فَدَنَا مِنْهُ عَبْدُ المُطَّلِبِ، وَكَانَ الدَّيْرُ مُغْلَقاً[8] فَنَادَى الرَّاهِبَ فَلَمْ يُجِبْهُ، فَتَزَلْزَلَ الدَّيْرُ فَخَافَ الرَّاهِبُ سُقُوطَهُ، فَخَرَجَ مُبَادِراً، فَقَالَ: يَا عَبْدَ المُطَّلِب، إِنَّ هَذَا الغُلاَمَ نَبِيُّ هَذِهِ

(١) في الأصل (صبي).
(٢) سورة الإسراء، الآية ـ ١٥.
(٣) في الأصل (لعنوا في).
(٤) سورة الأحزاب، الآية ـ ٥٧.
(٥) في الأصل (توفت).
(٦) زيادة يقتضيها السياق.
(٧) في الأصل (ديراً).
(٨) في الأصل (مخلق).

[الأَمَةِ][1] وَلَوْ لَمْ أَخْرُجْ لَخرَّ عَلَيَّ دَيْرِي، فَارْجِعْ بِهِ وَاحْفَظْهُ، ثُمَّ عَالَجَهُ، وَعَادَ بِهِ عَبْدُ المُطَّلِبِ إِلَى مَكَّـةَ، وَمَاتَ عَبْـدُ المُطَّلِب وَرَسُـولُ اللَّهِ ﷺ ابْن ثَمَانِ سِنِين وَشَهْرَيْنِ؛ وَعَاشَ عَبْدُ المُطَّلِب خَمْساً وَتِسْعِينَ[2] سَنَةً، وَقِيلَ: مِائَةً وَأَرْبَعِينَ[3]. وَذَكَرَ الدِّمْيَاطِيّ: أَنَّهُ اثْنَتَانِ وَثَمانُونَ سَنَةً، وَعَنْ أُمِّ أَيْمن: أَنَّه كَانَ ﷺ يَبْكِي خَلْفَ سَرِيرِ عَبْدِ المُطَّلِب، وَهُوَ ابْنُ ثَمَان سِنِين وَدُفِنَ بِالحَجُونِ عِنْدَ قُصَيٍّ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُبْعَثُ جَدِّي عَبْدُ المُطَّلِب فِي زِيِّ المُلُوكِ» وَلَمَّا حَضَرَتْ[4] عَبْدَ المُطَّلِبِ الوَفَاةُ أَوْصَى بِهِ ﷺ إِلَى عَمِّه شَقِيق أَبِيهِ أَبِي طَالِب وَاسْمُه عَبْدَ مَنَاف فكفله، وَقِيلَ: الزُّبَيْر رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَقِيـلَ: كَفَلاه مَعاً، وَمَاتَ الزُّبَيْرُ وَلِرَسُولِ اللَّهِ مِنَ العُمْرِ أَرْبع عَشْرَة سَنَةً، وَقِيلَ: نِيفٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً، وَمَاتَ أَبُو طَالِب قَبْلَ الهِجْرَةِ بِثَلاَثِ[5] سِنِين، وَقِيلَ: بِسَنَةٍ وَعُمْرُه سَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، وَكَانَ مُصَدِّقاً بِنُبُوَّتِهِ ﷺ وَمُقِرًّا بِالوَحْدَانِيَّةِ، وَإِنَّمَا مَنَعَتْهُ الأَنَفَةُ وَالحِمْيَةُ الجَاهِلِيَّة. وَمِنْ شَفَقَتِهِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ فَقَدَهُ يَوْمَيْنِ فَشَقَّ عَلَيْهِ ذَلِك، وَظَنَّ أَنَّهُم اغْتَالُوه، فَالْتَمَسَهُ فَلَمْ يَجِدْهُ، فَدَعَا أَهْلَهُ وَأَقَارِبَهُ، وَأَعْطَى كُلَّ وَاحِدٍ سِكِيناً وَقَالَ لَهُمْ: لِيَجْلِسْ كُلُّ وَاحِد مِنْكُمْ إِلَى جَنْبِ رَجُلٍ مِنْ قُرَيْشٍ، وَأَنَا أَصْعَدُ هَذَا الجَبَلَ أَدُوْرُ عَلَى مُحَمَّدٍ فَإِنْ وَجَدْتُه فَلاَ يُحْدِثْ أَحَدٌ مِنْكُمْ شَيْئاً، وَإِنْ نَعَيْته لَكُمْ فَلْيَضْرِبْ كُلُّ مِنْكُمْ مَنْ بِجَانِبِهِ، وَنُثِيرُهَا حَرْباً، ثُمَّ صَعَدَ فَوَجَدَهُ فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي ظَنَنْتُ أَنَّكَ قُتِلْتَ وَكِدْتُ أَفْتِكُ فِي قَوْمِكَ، فَأَعْلِمْنِي إِذَا خَرَجْتَ إِلَى أَيِّ مَكَانٍ تُرِيدُ، فَقَالَ لَهُ: يَا عَمُّ أَلاَ أُرِيكَ مُعْجِزَة، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ يُسْعِدَكَ اللَّهُ مِمَّا بُعِثْتُ بِهِ؟ ثُمَّ دَعَا ﷺ شَجَرَةً هُنَاكَ فَجَاءَتْ إِلَيْهِ، فَقَالَ: يَا عَمُّ خُذْ مِنْ غُصُونِهَا، ثُمَّ قَالَ لَهَا: عُودِي، فَعَادَتْ، فَقَالَ: يَا ابْن أَخِي لِهَذَا يَقُولُ لَكَ قَوْمُكَ إِنَّكَ سَاحِرٌ. ثُمَّ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَأَقْبَلَ بِهِ يُنَادِي

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.
(٢) في الأصل (خمسة وتسعون).
(٣) في الأصل (أربعون).
(٤) في الأصل (حضرته).
(٥) في الأصل (بثلاثة).

إِلَى نَادِي قُرَيْشٍ، فَظَنُّوا أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُسْلِمَهُمْ إِيَّاه. ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: قَدْ كُنْتُ [أَرَاكُمْ][1] قَتَلْتُمُوه، وَرَبِّ هَذَا البَيْت لَئِنْ كُنْتُمْ فَعَلْتُمْ لَقَتَلَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ هَؤُلَاءِ جَلِيسَهُ؛ أَخْرِجُوا شِفَارَكُمْ فَأَخْرَجُوهَا، فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ ذَلِكَ يَئِسُوا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمِنْ شِعْرِ أَبْيَاتِ أَبِي طَالِب فِيهِ قَوْلُه:

أَلَا بَلِّغَا عَنِّي عَلَى ذَاتِ بَيْنِنَا ... لُؤَيّاً[2] وَخُصَّا، مِنْ لُؤَيٍّ بَنِي كَعْبِ
بِأَنَّا وَجَدْنَا فِي الكِتَابِ مُحَمَّداً ... نَبِيًّا كَمُوسَى خُطَّ فِي أَوَّلِ الكُتْبِ

وَلَكِنَّ أَبَا[3] طَالِب خَشِيَ أَنْ يُعَيَّرَ بِإِسْلَامِهِ، وَلَعَلَّ تِلْكَ المَوَاقِفَ تَنْفَعُه، وَالصَّحِيح أَنَّهُ مَاتَ كَافِراً، وَجَاءَ فِي الحَدِيثِ عَنْهُ ﷺ، سَيَنْفَعُ بِشَفَاعَتِهِ ﷺ فَيُوضَعُ فِي نَارٍ قَلِيلَةٍ، ثُمَّ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي[4] طَالِب بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ تُوُفِّيَتْ خَدِيجَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، زَوْجَةُ النَّبِيِّ ﷺ وَظَهَرَ الضَّعْفُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَعَلَى أَصْحَابِهِ، فَنَالَتْ مِنْهُمُ الكُفَّارُ مَا لَمْ تَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ تَصِلُ إِلَيْهِ، قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُول اللَّهِ ﷺ أَخَذَتْ قُرَيْشٌ تَتَجَاذَبُهُ وَهُمْ يَقُولُونَ: أَنْتَ الَّذِي جَعَلْتَ الآلِهَةَ إِلَهاً وَاحِداً قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا دَنَا مِنَّا أَحَدٌ إِلَّا أَبُو بَكْر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَصَارَ يَضْرِبُ هَذَا وَيَدْفَعُ هَذَا، وَيَقُولُ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً يَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ؟ وَلَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ المُشْرِكُونَ: لَقَدِ انْتَصَفَ القَوْمُ مِنَّا. رَوَاهُ ابْنُ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَعَنْهُ أَيْضاً: لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ نَزَلَ جِبْرَائِيلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا مُحَمَّد اسْتَبْشَرَ أَهْلُ السَّمَاءِ بِإِسْلَامِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَا زِلْنَا أَعِزَّةً مُنْذُ أَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ. وَعَنْ صُهَيْب: لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَلَسْنَا

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل وفي «مهذب الروضة» (لوا) و (لوى).

(٣) في الأصل (أبو).

(٤) في الأصل (أبو).

حَوْلَ البَيْتِ حِلَقاً، وَقِيلَ: لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَثَبَ عَلَيْهِ عُتْبَةُ بْنُ[1] رَبِيعَة فَأَلْقَاهُ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الأَرْضِ وَبَرَكَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يَضْرِبُهُ، وَأَدْخَلَ أُصْبُعَيْهِ فِي عَيْنَيْهِ، فَجَعَلَ عُتْبَةُ يَصِيحُ، وَصَارَ لاَ يَدْنُو[2] مِنْهُ أَحَدٌ[3] إِلاَّ أَخَذَ بشرًا[4] سَيْفَه، وَهِيَ أَطْرَافُ أَضْلاَعِهِ، وَمَا زَالَ الإِسْلاَمُ يعْلُو وَيَنْمُو[5]، وَهَاجَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَة.

وَذُكِرَ فِي «كَشْفِ الأَسْرَارِ» قَوْلُه: لِمَ رَبَّاهُ ﷺ يَتِيماً؟ قِيلَ: لأَنَّ أَسَاسَ كُلِّ كَبِيرٍ صَغِير، وَعُقْبَى كُلِّ حَقِيرٍ خَطِير، وَأَيْضاً لِيَنْظُرَ ﷺ إِذَا وَصَلَ إِلَى مَدَارِجِ عِزِّه إِلَى أَوَائِلِ أَمْرِهِ لِيَعْلَمَ أَنَّ العَزِيزَ مَنْ أَعَزَّهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَنَّ قُوَّتَهُ لَيْسَتْ مِنَ الآبَاءِ وَالأُمَّهاتِ، وَلاَ مِنَ المَالِ، بَلْ قُوَّتُهُ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى وَأَيْضاً لِيَرْحَمَ الفُقَرَاءَ وَالأَيْتَامَ، وَدَلَّ عَلَى ذَلِكَ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿**أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيْماً فَآوَى * وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى * وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى**﴾[6] وَفِي الكُتُبِ القَدِيمَةِ: إِنَّ مِنْ عَلاَمَاتِ نُبُوَّتِهِ ﷺ مَوْتُ أَبِيه، وَهُو حَمْلٌ، وَمَوْتُ أُمِّهِ، وَكَفَالَةُ جَدِّهِ وَعَمِّهِ، وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الجَمَال بْن نَبَاتَه شِعْراً:

وَدَعَاهُ فِي الذِّكْرِ اليَتِيمِ وَإِنَّمَا ... أَسْنَى[7] الجَوَاهِرِ مَا يُقَالُ يَتِيمُ

وَذُكِرَ فِي «المَصَابِيحِ»: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَهْوَنُ [أَهْلِ][8] النَّارِ عَذَاباً،

---

(١) في الأصل (ابن).

(٢) في الأصل (يدنوا).

(٣) في الأصل (أحداً).

(٤) في الأصل (بشران).

(٥) في الأصل (ينموا).

(٦) سورة الضحى، الآيات ـ ٦ : ٧ : ٨.

(٧) في الأصل (أسنا).

(٨) الزيادة عن المصابيح ٦/٤.

ابو طالِبٍ وهوَ منتعِل[1] بنعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاغُه»[2]. وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ» أَنَّ الشِّيعَةَ تَقُولُ: اسْمُ أبي[3] طَالِبِ عِمْرَان لِيَكُونَ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿وَآلَ عِمْرَانَ﴾[4] أي فِيهِ نَزَلَتْ، وَعَمُوا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّراً﴾[5] قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُون. فَوَاأَسَفَاً عَلَيْهِ، لَمْ يَكُنْ فِيهِ خَصْلَةٌ مَذْمُومَةٌ غَيْر الشِّرْكِ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ العَلِيِّ العَظِيمِ، وَمِنْ شِعْرِ أَبِي طَالِبٍ فِيه ﷺ يُخَاطِبُ النَّجَاشِيَّ قَوْلُه:

تَعَلَّمْ خِيَارَ النَّاسِ أَنَّ مُحَمَّداً ... نَبِيٌّ كَمُوسَى وَالمَسِيحِ ابْنِ مَرْيَمِ
أَتَى بِالهُدَىٰ مِثْلَ الَّذِي أَتَيَا بِهِ ... فَكُلٌّ بِأَمْرِ اللَّهِ يَهْدِي وَيَعْصِمِ
وَإِنَّكُمْ تَتْلُونَه فِي كِتَابِكُمْ ... بِصِدْقِ حَدِيثٍ لَا حَدِيثَ المُتَرْجِمِ
فَلَا تَجْعَلُوا اللَّهِ نِدًّا وَأَسْلِمُوا ... فَإِنَّ طَرِيقَ الحَقِّ لَيْسَ بِمُظْلِمِ

وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى تَصْدِيقِهِ بِنُبُوَّتِهِ ﷺ وَإِقْرَارِهِ بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ.

---

(١) في المطبوعة: (متنعل)، والتصويب عن «المصابيح» ٤/٦.

(٢) انظر «مصابيح السنة» ٤/٦، كتاب أحوال القيامة وبدء الخلق (٢٦)، باب ـ صفة النار وأهلها (٧) الحديث رقم (٤٣٩٥)، والحديث أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان (١)، باب ـ أهون أهل النار عذاباً (٩١)، الحديث رقم (٣٦٢/٢١٢).

(٣) في الأصل (أبو).

(٤) سورة آل عمران، الآية ـ ٣٣.

(٥) سورة آل عمران، الآية ـ ٣٥.

[١٥]

أُمُّ أَيْمَن بَركَةُ الحَبَشِيَّةُ(*)

جَارِيَة عَبْد اللَّهِ وَالِد النَّبِيِّ ﷺ كَـانَتْ زَوْجَة عُبَيْـد الحَبَشِي، وَوَلَدَتْ مِنْـهُ أَيْمَن، أَسْلَمَتْ هِي وَوَلَدُهَا أَيْمَن قَدِيماً، وَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ بَعْدَ مَمَات زَوْجِهَا عُبَيْد، بَعْدَ النُّبُوَة زَيْدَ بْنَ(١) حَارِثَة(٢) مَوْلَى رَسُولِ اللَّه ﷺ وَإِنَّمَا رَغِبَ فِيهَا زَيْدٌ لِقَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَتَزَوَّج امْرَأَة مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ فَلْيَتَزَوجْ بِأُمِّ أَيْمَن»(٣) فَجَاءَتْ مِنْهُ بِأُسَامَة، فَكَانَ يَقُولُ لَهُ الحِبُّ بْن الحِبِّ. وَقِيلَ: إِنَّـه ﷺ أَعْتَقَهَا حِينَ تَـزَوَّجَ بِخَدِيجَـة، وَزَوَّجَهَا عُبَيْد الحَبَشِي، وَقِيلَ: بَـلْ تَزَوَّجَهَا قَبْلَ ذَلِكَ، وَقِيلَ: أَعْتَقَهَا عَبْدُ اللَّهِ بَعْد مَـوْتِهِ، وَوَرِثَ مَعَهَـا خَمْسَةَ جِمَـال(٤) وَقِطْعَةً مِنْ غَنَـم وَهِي مِنْ سَبْيِ الحَبَشَـةِ

(*) هي: بَرَكَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ حِصْنِ بْنِ مَالِكِ بْنِ سَلَمَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ النعمان، وهي: أُمُّ أَيْمَن غَلَبَتْ عليها كنيتها، وتُعْرَفُ بأمّ الظّباء. هي مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، ورثها عن أبيه، ثم أعتقها عندما تزوج بخديجة، كانت من المهاجرات الأول، وقد تزوّجها عبيد بن الحارث الخزرجي، فولدت له: أيمن. ولأيمن هجرة وجهاد، اُسْتُشْهِدَ يوم حنين، ثم تزوّجها زَيْدُ بْنُ حارثة لياليَ بعث النبي ﷺ فولدتْ له أسامة بن زيد، حِبّ رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ يقول: «أُمُّ أَيْمَن أُمي بَعْدَ أُمي». انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/١٦٢ ـ ١٦٥، وطبقات خليفة ٣٣١، والاستيعاب ٤/٢٤٣ ـ ٢٤٥، ٤١٤، وأسد الغابة ٧/٣٧، وسير أعلام النبلاء ٢/٢٢٣، ٢٢٧ والإصابة ٤/٤١٥ ـ ٤١٧.

(١) في الأصل (ابن).

(٢) انظر ترجمته: الاستيعاب ١/٥٢٥ ـ ٥٣٠، والإصابة ١/٥٤٥.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٨/١٦٢، وأورده الذهبي في سير الأعلام ٢/٢٢٤.

(٤) في الأصل (أجمال).

أَصْحَابِ الفِيلِ، وَلَمَّا تَمَرَّضَتْ فِي الطَّرِيقِ آمِنَةُ أُمُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ رَاجِعَةٌ مِنَ المَدِينَةِ كَانَتْ مَعَهَا أُمُّ أَيْمَن بَرَكَةُ(١) فَلَمَّا تُوفِيتْ آمِنَةُ تَوَلَّتْ حَضَانَتَهُ ﷺ أُمُّ أَيْمَن وَجَاءَتْ إِلَى جَدِّهِ عَبْد المُطَّلِبِ بَعْدَ خَمْسَة أَيَّامٍ. وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ»: أَنَّ أُمَّ أَيْمَن كَانَتْ بِمَكَّةَ فَبَلَغَهَا مَوْت آمِنَة بِالأَبْوَاءِ، فَقَدِمَتْ إِلَى الأَبْوَاءِ فَاحْتَمَلَتْهُ ﷺ وَالمَشْهُور الأَوَّل، وَلِهَذَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ: «أُمُّ أَيْمَن أُمِّي بَعْدَ أُمِّي» وَلَمَّا كَبُرَ النَّبِيُّ ﷺ أَعْتَقَهَا، وَهَذَا عَلَى خِلافِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَنَّ أَبَاهُ عَبْدَ اللَّهِ أَعْتَقَهَا، وَزَوَّجَهَا ﷺ بِمَوْلَاهُ زَيْدِ بْنِ(٢) حَارِثَةَ الطَّائِيِّ، وَكَانَ مَوْلَى لِخَدِيجَة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَوَهَبَتْهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَعْتَقَهُ وَتَبَنَّاهُ، وَكَانَ أَوَّلُ المَوَالِي(٣) إِسْلَاماً. وَذُكِرَ فِي «السِّيرَةِ الحَلَبِيَّةِ»: ثُمَّ بَعْدَ إِسْلَامِ عَلِي، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْلَمَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَة مَوْلَى رَسُول اللَّهِ ﷺ وَلَمَّا ظَهَرَ الإِسْلَامُ، وَهَاجَرَ إِلَى المَدِينَةِ، وَأَقَامَ فِي المَدِينَةِ، ﷺ أَرْسَلَ زَيْداً(٤) فِي سَرِيَّةٍ، وَمَعَهُ مائَة رَاكِب، وَكَانَ قَدْ بَلَغَهُ ﷺ أَنَّ(٥) أَبَا سُفْيَان(٦) وَصَفْوَان مَعَهُمْ عِيرٌ كَثِيرَةٌ، فَبَعَثَهُ، ﷺ لِحَرْبِهِمْ، فَأَصَابَ عِيرَهُمْ (٧)، وَعَادَ زَيْدٌ بِالْعِيرِ وَالغَنِيمَةِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَكَانَ خُمْسُهَا عِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَم، وَكَانَتْ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِيَة وَعِشْرِينَ شَهْراً (٨) مِنَ الهِجْرَةِ، فَأَرْسَلَهُ أَيْضاً، النَّبِيّ ﷺ فِي سَرِيَّة أُخْرَى فِي مَائَة وَسَبْعِين رَاكِباً (٩) وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّ عِيراً لِقُرَيْشٍ أَقْبَلَتْ مِنَ الشَّامِ وَفِيهَا أَبُو العَاصِ ابنُ الرَّبِيعِ فَسَارَ إِلَيْهِمْ زَيْدٌ، وَمَلَكَ العِيرَ وَعَادَ إِلَى المَدِينَةِ، وَذَلِكَ سَنَة ثَمَان مِنَ الهِجْرَةِ، ثُمَّ أَرْسَلَهُ ﷺ فِي سَرِيَّةٍ إِلَى جُذَام فِي خَمْسمائَة رَاكِب، فَغَنِمَ وَعَادَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِالغَنَائِمِ، وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ» أَنَّ أُمَّ أَيْمَن كَانَتْ سَوْدَاءَ لأَنَّهَا مِنْ سَبْيِ الحَبَشَةِ فَزَوَّجَهَا ﷺ زَيْداً، وَكَانَ زَيْدٌ أَبْيَضَ(١٠) فَوَلَدَتْ لَهُ أُسَامَة رَضِي

---

(١) مكررة في الأصل.
(٢) في الأصل (ابن).
(٣) في الأصل (أولى).
(٤) في الأصل (زيد).
(٥) في المطبوعة (أنّا).
(٦) في الأصل (أبو).
(٧) في الأصل (عيرهم).
(٨) في الأصل (شهر).
(٩) في الأصل (راكب).
(١٠) في الأصل (ابيضا).

اللَّهُ عَنْهَا، فَطَعَنَ المُنَافِقُونَ فِي نَسَبِ أُسَامَةَ، وَكَانَ ﷺ يَتَشَوَّشُ لِذَلِكَ وَدَخَلَ مُجَزِّزٌ (١) القَايِف (٢) عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَزَيْد وَأُسَامَة تَحْتَ قَطِيفَةٍ وَأَرْجُلُهُمْ خَارِجَة مِنْهَا، فَقَالَ مُجَزِّزٌ: هَذِهِ الأَقْدَامُ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ. فَانْسَرَّ لِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ (٣).

وَعَنْ أُمِّ أَيْمَن قَالَتْ (٤): كُنْتُ أَحْضُنُ النَّبِيَّ ﷺ فَغَفِلْتُ عَنْهُمْ يَوْماً فَلَمْ أَدْرِ إِلاَّ بِعَبْدِ المُطَّلِبِ قَائِماً عَلَى رَأْسِي يَقُولُ: يَا بَرَكَةُ! قُلْتُ: لَبَّيْكَ! قَالَ: أَتَدْرِينَ أَيْنَ وَجَدْتُ النَّبِيَّ؟ قُلْتُ: لاَ أَدْرِي! قَالَ: وَجَدْتُه مَعَ غِلْمَانٍ قَرِيباً مِنْ السِّدْرَةِ، لاَ تَغْفَلِي عَنْ ابْنِي، فَإِنَّ أَهْلَ الكِتَابِ يَزْعُمُونَ أَنَّه نَبِيّ هَذِهِ الأُمَّة، وَأَنَا لاَ آمَنُ عَلَيْهِ مِنْهُمْ، وَقَالَتْ أُمُّ أَيْمَن: مَا رَأَيْتُهُ ﷺ يَشْكُو جُوعاً وَلاَ عَطَشاً لاَ فِي صِغَرِهِ وَلاَ فِي كِبَرِهِ، وَكَانَ يَغْدُو إِذَا أَصْبَحَ فَيَشْرَبُ مِنْ زَمْزَمَ شَرْبَة فَرُبَّمَا عَرَضْنَا عَلَيْهِ الغَذَاءَ فَقَالَ: أَنَا شَبْعَانٌ. وَقِيلَ: إِنَّ أُمَّ أَيْمن هَاجَرَتْ فِي يَوْمٍ حَرّ شَدِيد فَأَصَابَهَا عَطَشٌ شَدِيدٌ، فَتَدَلَّى لَهَا دَلْو مِنَ السَّمَاءِ بِرِشَاء أَبْيَض فَشَرِبَتْ مِنْهُ حَتَّى رَوِيتْ، قَالَتْ: فَمَا أَصَابَنِي عَطَشٌ بَعْدَهَا، وَلَوْ تَعَرَّضْتُ لِلْعَطَشِ بِالصَّوْمِ فِي الهَوَاجِرِ (٥)، وَكَانَ فِي لِسَانِهَا عُسْرَة فَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى قَوْمٍ قَالَتْ: سَلاَمُ [لاَ] (٦) عَلَيْكُمْ بَدَل سَلاَمٌ

---

(١) في الأصل (حمرز)، والتصويب عن سير أعلام النبلاء ١/٢٢٢.

(٢) القائف: هو الذي يقفو الأثر، وفي اللسان مادة (قفا): وقَفَاهُ قَفْواً وَقُفُوّاً، وَقَفَّيْتُ على أَثَرِهِ بِفُلانٍ، أي: أَتْبَعْتُهُ إِيَّاهُ. انظر اللسان ٥/٣٧٨.

(٣) أورده الذهبي في سير الأعلام ١/٢٢٢، وأخرجه أحمد ٦/٨٢، ٢٢٦، والبخاري رقم(٣٥٥٥) في المناقب، باب ـ صفة النبي ﷺ، (٣٧٣١) في فضائل الصحابة، باب ـ مناقب زيد بن حارثة، وأخرجه مسلم رقم (١٤٥٩) في كتاب الرضاع. وأخرجه ابو داود رقم (٢٢٦٧). والترمذي رقم (٢١٣٠). وابن ماجة رقم (٢٣٤٩).

(٤) في الأصل (قال).

(٥) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٨/١٦٢، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/٢٢٤.

(٦) في المطبوعة (اللا) وأشار في الهامش بأنها زيادة عن مهذب الروضة، والصواب ما أثبت عن طبقات ابن سعد ٨/١٦٢، وسير أعلام النبلاء ٢/٢٢٥.

[اللَّهِ][1] عَلَيْكُمْ[2] . فَرَخَّصَ لَهَا ﷺ أَنْ تَقُولَ : سَلاَمٌ عَلَيْكُمْ. وَقِيلَ: إِنَّ أُمَّ أَيْمَن هَاجَرَتْ مَعَ رُقَيَّة بِنْت النَّبِيِّ ﷺ وَهِي زَوْجَة عُثْمَان رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَذُكِرَ فِي «السِّيرَةِ الحلبية»: أَنَّ أُمَّ أَيْمَن هَاجَرَتْ الهِجْرَتَيْن. وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «أُمُّ أَيْمَن أُمِّي بَعْدَ أُمِّي» وَكَانَ ﷺ يَزُورُهَا فِي بَيْتِهَا، وَكَذٰلِكَ كَانَ يَفْعَلُ الصِّدِّيقُ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَعُمَر رَضِي اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَهُ ﷺ يَزُورَانها فِي بَيْتِهَا تَعْظِيماً لَهَا، وَلَمَّا مَاتَ زَوجُهَا عُبَيْد زَوَّجَهَا النَّبِيّ ﷺ زَيْدَ بْن حَارِثَة. قِيلَ: إِنَّ أُنَاساً[3] مِنْ كُلَيْبٍ قَدِمُوا إِلَى الحَجِّ، فَرَآهُمْ زَيْدُ وَعَرَفُوه، فَقَالَ لَهُمْ: أَبْلِغُوا أَهْلي هَذِهِ الأَبْيَاتِ[4] :

أَحِنُّ إِلَى قَوْمٍ ، وَإِنْ كُنْتُ نَائِياً ... فَإِنِّي قَعِيدُ البَيْتِ عِنْدَ المَشَاعِرِ
فَكُفُّوا عَنْ الوَجْدِ الَّذِي قَدْ شَجَاكُم ... وَلاَ تَعْمَلُوا فِي الأَرْضِ نَصَّ الأَبَاعِرِ
فَإِنِّي، بِحَمْدِ اللَّهِ، فِي خَيْرِ أُسْرَةٍ ... كِرَامٍ وَمَعْدٍ كَابِراً عَنْ أَكَابِرِ

فَأَعْلَمُوا أَبَاهُ فَقَدِمَ مَعَ عَمِّه إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلاَه فِيهِ فَقَالَ ﷺ «نُخيِّرُه[5] فَإِنِ اخْتَارَكُمْ عَلَيَّ فَهُوَ لَكُمْ» فَخَيَّرَهُ فَاخْتَارَ النَّبِي ﷺ فَقَالَ لَهُ أَبُوه: وَيْحَكَ يَا زَيْدُ تَخْتَارُ العُبُودِيَّةَ عَلَى الحُرِّيةِ؟ فَخَرَجَ ﷺ وَجَعَلَ يَدُورُ بِهِ مَجَالِس قُرَيْش وَيَقُولُ: اشْهَدُوا أَنَّ زَيْداً[6] ابْنِي وَارِثاً وَمَوْرُوثاً، فَطَابَتْ نَفْسُ أَبِيهِ، وَدُعِيَ زَيْدٌ مِنْ حِينَئِذٍ ابْنُ مُحَمَّد، إِلَى أَنْ جَاءَ الإِسْلاَمُ، وَأُنْزِلَ قَوْلُه تَعَالى: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ﴾[7] فَقِيلَ: زَيْدُ ابْنُ حَارِثَة[8] . وَيُقَالُ: إِنَّه أَوَّل مَنْ أَسْلَمَ وَشَهِدَ بَدْراً. وَكَانَ ﷺ

---

(١) الزيادة عن طبقات ابن سعد ٨/١٦٣، وسير الأعلام ٢/٢٢٥.
(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٨/١٦٣، وأورده الذهبي في سير الأعلام ٢/٢٢٥.
(٣) في الأصل (ناس).
(٤) وردت الأبيات بالإصابة ٥٤٥ مع اختلاف في اللفظ.
(٥) في الأصل (نخبره).
(٦) في الأصل (زيد).
(٧) سورة الأحزاب، الآية ـ ٥.
(٨) أخرجه البخاري رقم (٤٧٨٢) في التفسير باب ـ ادعوهم لآبائهم ، ومسلم رقم (٢٤٢٥) كتاب فضائل الصحابة، باب ـ فضائل زيد بن حارثة وأسامة بن زيد رضي الله عنهما والترمذي=

يَقُولُ (١) : «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْه وَأَنْعَمْتُ عَلَيْه» (٢) . يَعْنِي بِذَلِكَ زَيْداً، أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِالإِيْمَان، وَأَنْعَمَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالعِتْقِ، وَقُتِلَ زَيْدٌ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَرْضِ الشَّامِ. وَقُتِلَ مَعَهُ جَعْفَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ ﷺ: «أَخَوَايَ وَمُؤْنِسَايَ (٣) وَمُحَدِّثَايَ». وَعَاشَتْ أُمُّ أَيْمَن بَرَكَةَ إِلَى خِلافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ ثَلاثَةَ عَشْرَةَ (٤)، وَتُوفِّيَتْ أُمّ أَيْمَن بَعْدَ خِلافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِعِشْرِين يَوْماً، وَدُفِنَتْ بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، وَتُوفِّيَتْ (٥) أُمُّ أَيْمَن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَلَى مَا ذَكَرَ (٦) المُؤَرِّخُون فِي خِلافَةِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَذَلِكَ بَعْدَ وَفَاةِ (٧) فَاطِمَةَ الزَّهْرَاء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ أُمَّ أَيْمَن كَانَتْ حَاضِنَةَ النَّبِيِّ ﷺ لَا مُرْضِعَتَه، لأَنَّه لَا يُعْرَفُ لَهَا وَلَدٌ إِلَّا أَيْمَن وَأُسَامَة، إِلَّا أَنْ يُقَال أَنَّ لَبَنَهَا دَرَّ لَهُ صلى الله تعالى عليه وسلم، وَيُرْوَى: أَنَّ أُمَّ أَيْمَن شَرِبَتْ بَوْلَهُ، صلى الله تعالى عليه وسلم (٨)، وَلَمْ تَشْعُرْ بِهِ لأَنَّه لَمْ يَكُنْ كَالمَعْهُودِ، وَلَمَّا أَخْبَرَتْهُ ضَحِكَ وَلَمْ يُنْكِرْ عَلَيْهَا. وَقَالَ لَهَا: «أَمَّا وَاللَّهِ لَا تَجْعَنَ بَطْنك أَبَداً». وَيُرْوَى: أَنَّ أُمَّ أَيْمَن لَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ أُحُد، وَهِيَ فِي المَدِينَةِ، فَلَمَّا هَرَبَ المُسْلِمُونَ وَدَخَلَ المَدِينَةَ طَائِفَةٌ مِنْهُم تَلَقَّتْهُمْ أُمُّ أَيْمَن، وَجَعَلَتْ تَحْثُو التُّرَابَ فِي وُجُوهِهِمْ، وَتَقُولُ لِبَعْضِهِمْ: هَاكَ المِغْزَلَ فَاغْزِلْ بِهِ، وَهَلُمَّ سَيْفَك، وَيُرْوَى أَنَّ أُمَّ (٩) أَيْمَن كَانَتْ فِي الجَيْشِ (١٠) تَسْقِي

= رقم (٣٢٠٧) في كتاب التفسير، باب ـ ومن سورة الأحزاب، وأورده الذهبي ١/ ٢٢٤، وابن حجر في الإصابة ٥٤٥.

(١) قال في هامش المطبوعة: (سقطت من الناسخ في الأصل).

(٢) الحديث أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ١/ ٥٢٩.

(٣) في الأصل (مؤنسائي).

(٤) في الأصل (ثلاث عشر).

(٥) في الأصل (توفت).

(٦) في الأصل (ذكرها).

(٧) في الأصل (وفات).

(٨) في الأصل (تعالى عنه).

(٩) ساقطة من الناسخ في الأصل.

(١٠) في الأصل (الجشد).

الجَرْحَى [1] مَاءً فَرَمَاهَا الحِبَّانَ بْنُ العَرِقَةِ بِسَهْمٍ فَأَصَابَهَا، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله تعالى عليه وسلم فَدَفَعَ إِلَى سَعْد سَهْماً لَا نَصْلَ لَهُ وَقَالَ: ارْمِ بِهِ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي نَحْرِ حِبَّان، فَوَقَعَ مُسْتَلْقِياً حَتَّى بَدَتْ نَواجِذُهُ ثُمَّ قَالَ: «اسْتَقَادَ لَهَا سَعْدٌ أَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ».

---

(١) في الأصل (عرجاه).

[١٦]

الشَّفَّاءُ (*) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

أُمُّ عَبْدِ الرَّحْمَن بْنِ عَوْفٍ(١)، وَهِي أَوَّلُ النَّاس إِسْلَاماً بَعْد الصِّدِّيق رَضِي اللَّهُ عَنْهَا، فَخَدِيجَةُ وَعَلِيّ، رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَمِمَّا يَدُلُ عَلى ذَلِكَ حَدِيثها. أَخْرَجَ أَبُو نعيم حَدِيث الشَّفَّاءِ، قَالَتْ: لَمَّا وُلِدَ ﷺ وَقَعَ عَلى يَدَيْهِ فَاسْتَهَلَّ فَسَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ: رَحِمَكَ اللَّهُ وَرَحِمَ بِكَ. قَالَتْ الشَّفَّاءِ: وَكُنْتُ جَالِسَةً عِنْدَ آمِنَة، وَأَسْمَعُ كَلَامَ الهَاتِفِ، فَأَضَاءَ لِي مَا بَيْنَ المَشْرِقِ وَالمَغْرِبِ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى بَعْضِ قُصُورِ الرُّومِ، ثُمَّ أَضْجَعْتُهُ ﷺ فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ غَشِيَنِي ظُلْمَةٌ وَرُعْبٌ وَقَشْعَرِيرَةٌ(٢) عَنْ يَمِينِي، وَسَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ: أَيْنَ ذَهَبْتَ بِهِ؟ قُلْتُ: إِلَى المَغْرِبِ، وَأَسْفَرَ ذَلِكَ عَنِّي، ثُمَّ عَاوَدَنِي عَنْ يَسَارِي فَسَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ: أَيْنَ ذَهَبْتَ بِهِ؟ قُلْتُ: إِلَى المَشْرِق، قالَتِ الشَّفَّاءُ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا: فَلَمْ يَزَلْ الحَدِيثُ مِنِّي عَلَى بَالٍ حَتَّى ابْتَعَثَهُ اللَّهُ رَسُولاً فَكُنْتُ فِي أَوَّلِ النَّاسِ إِسْلَاماً. هَكَذَا ذُكِرَ فِي «السِّيرَة الحَلَبِيَّةِ»: الشَّفَّاءُ بِالفَتْحِ وَالتَّشْدِيدِ، وَالكَسْرِ لِلْفَاءِ مُخَفَّفاً، وَرُوِيَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ» فِي رِوَايَة:

(*) انظر ترجمتها: أسد الغابة ١٦٣/٧ و ١٦٤، والمعارف ٢٣٥.

(١) هو: عبد الرحمن بن عوف بن الحارث بن زُهرة بن كِلاب بن مُرّة بن كعب بن لُؤَيّ بن غالب بن فهر بن مالك بن النّضر بن كنانة، وكان اسمه في الجاهلية «عبد الحارث»، ويقال: «عبد عمرو» فسماه النبي ﷺ عبد الرحمن. وقُتل أبوه «عوف» في الجاهلية بالغميصاء، موضع في البادية قرب مكة ـ قتله بنو جذيمة، وقال الواقدي: ولد عبد الرحمن بن عوف بعد الفيل بعشر سنين، ومات سنة اثنتين وثلاثين وهو يومئذ ابن خمس وسبعين سنة. انظر: المعارف ص ٢٣٥ ـ ٢٣٦.

(٢) في الأصل (قشعويرة).

كَانَتْ عندها الشَّفَّاءُ أَمّ عَبْدِ الرَّحْمَن رَضِي اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: فَوَقَعَ ﷺ لمَّا وُلِدَ عَلَى يَدَي فَاسْتَهلَّ، فَسَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، أَوْ يَرْحَمُكَ رَبُّك، وَفِي رِوَايَة: أَنَّه ﷺ عَطسَ حِينَ سَقطَ فَشَمَّتَتْهُ المَلاَئِكَةُ. وَقِيلَ: إِنَّه صلى الله تعالى عليه وسلم حَمِدَ اللَّهَ بَعْدَ العُطَاس، وَقَالَ العَلاَّمَةُ وَالحَبْرُ الفَهَّامَـةُ السُّيُوطِي: لَمْ أَقِفْ عَلَى حَدِيثٍ يَدُلُّ عَلَى أَنَّه عَطسَ عِنْد الوِلاَدَةِ. وَأَمَّا مَا ذَكَرَتْ آمِنَةُ مِنْ قَوْلِهَا: كُنْتُ وَحْدِي حِينَ أَتَانِي الطَّلْقُ فَقَدْ يَجُوزُ الجَمْعُ بَيْنَ هَذَا وَبَيْنَ قَوْلِ الشَّفَّاء، فَإِنْ كَانَتْ آمِنَةُ أَوَّل الطَّلْقِ وَحْدَهَا، ثُمَّ دَخلَتْ عَلَيْهَا الشَّفَّاءُ حِينَ الوَضْعِ فَرَأَتْ[١] مِنْ كَرَامَتِهِ صلَّى اللَّه تعالى عليه وسلم مَا رَأَتْ. الشَّفَّاءُ هِي أُمُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْن عَوْفٍ أَحَد العَشْرَةَ،وَرُوِي عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله تعالى عليه وسلم أَنَّه قَالَ: «عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ عَوْفٍ سَيِّدٌ مِنْ سَادَاتِ المُسْلِمِينَ». تُوفِّي فِي سَنَةِ اثْنَيْنِ وَثَلاثِينَ. وَلَمْ أَقِفْ عَلَى عَامِ وَفَاةِ[٢] أُمِّه الشَّفَّاء وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى أَعْلَم.

(١) في الأصل (فرات).

(٢) في الأصل (وفات).

[١٧]

ثُوَيْبَةُ الإِسْلَمِيَّة (*)

مَوْلَاةُ أَبِي لَهَب. قَالَ ابْنُ سَيِّدِ النَّاسِ: أَسْلَمَتْ ثُوَيْبَةُ، وَلَمْ تُهَاجِر، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُنْكِرُ إِسْلَامَهَا، وَقَدْ أَلَّفَ فِي إِسْلَامِهَا عَلَاءُ الدِّين مُغْلطَاي جُزْءاً ثُمَّ ذَكَرَ فِي سِيرَتِهِ: أَنَّ ابْنَ حِبَّان صَحَّحَ حَدِيثاً دَلَّ عَلَى إِسْلَامِهَا، وَقَدْ أَثْبَتَ ابْنُ مَنْدَه إِسْلَامَهَا. وَذُكِرَ فِي «الخَصَائِص»: أَنَّهُ لَمْ تُرْضِعْهُ، صلَّى الله تعالى عليه وسلم مُرْضِعَةٌ إِلَّا أَسْلَمَتْ، وَكَانَ إِرْضَاعُهَا لَهُ ﷺ بِلَبَنِ ابْنٍ لَهَا اسْمُه مَسْرُوح[١]، وَقَال جَمَاعَةٌ بِإِسْلَامِهِ[٢]، وَقِيلَ: مَاتَ عَلَى الكُفْرِ، وَقِيلَ: قَبْلَ النُّبُوَّةِ، وَكَانَتْ[٣] أَرْضَعَتْ قَبْلَ النَّبِيُّ ﷺ أَبَا سُفْيَان بْنَ الحَرْثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ يَأْلَفُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ النُّبُوَّةِ ثُمَّ عَادَاهُ بَعْدَهَا وَهَجَرَهُ وَهَجَاهُ، ثُمَّ أَسْلَمَ وَعَادَ إِلَىٰ مَوَدَّتِهِ، وَوَقَفَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ المَوَاقِفَ العَظِيمَةَ، وَلَمَّا عَادَ أَبُو سُفْيَان مُنْهَزِماً يَوْمَ بَدْرٍ لَقِيَهُ عَمُّه أَبُو لَهَب وَقَالَ لَهُ: مَا وراءَكَ[٥]؟ قَالَ: البَلَايَا وَالرَّزَايَا، مَا هُوَ إِلَّا أَنْ لَقِينَا القَوْمَ حَتَّى مَنَحْنَاهُمْ أَكْتَافَنَا[٦] يَأْسِرُونَ وَيَقْتُلُونَ كَمَا شَاءُوا[٧] وَلَمَّا

(*) انظر ترجمتها: الطبقات ١/١/٦٧، والإصابة ٤/٢٥٠.

(١) في المطبوعة (سروح)، والصواب ما أثبت.

(٢) قال ابن حجر في الإصابة ٤/٢٥٠: (ولم أقف في شيء من الطرق على إسلام ابنها مسروح وهو محتمل).

(٣) في الأصل (وكان).

(٤) في الأصل (أبا).

(٥) في الأصل (وراك).

(٦) في الأصل (كتافنا).

(٧) في الأصل (شاؤا).

أَسْلَمَ أَبُو سُفْيَان قَرَبَهُ النَّبِيّ ﷺ وَأَدْنَاه لأَنّه ابْنُ عَمِّه، وَلَمَّا تُوفي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله تعالى عليه وسلم، رَثَاهُ أَبُو سُفْيَان ابْنُ الحَرْثِ فَقَالَ:

أَرِقْتُ فَبَاتَ لَيْلِي لَا يَزُولُ ... وَلَيْلُ أَخِي المُصِيبَةِ فِيهِ طُولُ
وَأَسْعَدَنِي البُكَاءُ وَذَاكَ فِيمَا ... أُصِيبَ المُسْلِمُونَ بِهِ قَلِيلُ
لَقَدْ عَظُمَتْ مُصِيبَتُنَا وَجَلَّتْ ... عَشِيَّةَ قِيلَ قَدْ قُبِضَ الرَّسُولُ
وَأَضْحَتْ أَرْضُنَا مِمَّا عَرَاهَا ... تَكَادُ(١) بِنَا جَوَانِبُهَا تَمِيلُ
فَقَدْنَا الوَحْيَ وَالتَّنْزِيلَ فِينَا ... يَرُوحُ بِهِ وَيَغْدُو جَبْرَائِيلُ
وَذَاكَ أَحَقُّ مَا سَالَتْ عَلَيْهِ ... نُفُوسُ النَّاسِ أَوْ كَادَتْ تَسِيلُ
نَبِيٌّ كَانَ يَجْلُو الشَّكَّ عَنَّا ... بِمَا يُوحَى(٢) إِلَيْه وَمَا يَقُولُ
وَيَهْدِينَا فَلَا يُخْشَى عَلَيْنَا ... ضَلَالًا، وَالرَّسُولُ لَنَا دَلِيلُ
أَفَاطِمَ إِنْ جَزِعْتِ فَذَاكَ عُذْرٌ ... وَإِنْ لَمْ تَجْزَعِي ذَاكَ السَّبِيلُ
فَقَبْرُ أَبِيكِ سَيِّدُ كُلِّ قَبْرٍ ... وَفِيهِ سَيِّدُ النَّاسِ الرَّسُولُ

وَتُوفي أَبُو سُفْيَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَة عِشْرِين وَكَانَ أَخَا رَسُول اللَّهِ ﷺ مِنَ الرَّضَاع، وَكَانَ أَوَّلًا صَدِيقاً لِرَسُولِ اللَّهِ، ثُمَّ عَادَاه، وَهَجَاه، فَأَجَابَهُ حَسَّانُ(٣)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِقَوْلِهِ(٤):

---

(١) في الأصل (يكاد).

(٢) في الأصل (يوصى).

(٣) هو: حسان بن ثابت بن المنذر بن حرام بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار، وأمه: الفريعة بنت خنيس بن لوزان بن عبد ود بن ثعلبة بن الخزرج بن ساعدة، ولد في منتصف العقد السابع من القرن السادس الميلادي، وعاش ما يقرب من مائة عام، وتوفي في سنة أربعين من الهجرة على أرجح الآراء. وقيل: سنة خمسين، وقيل: أربع وخمسين وهو قول ابن هشام.

انظر ترجمته: الإصابة ١/٣٢٥، والاستيعاب ١/٣٣٤ ـ ٣٤٢.

(٤) ورد البيتان بديوانه ص ٧٥ ـ ٧٦، وهما من قصيدة عدد أبياتها ثلاثون بيتاً، يهجو بها حسان بن ثابت أبا سفيان بن الحارث قبل فتح مكة.

أَلاَ بَلِّغْ أَبَا سُفْيَان عَنِّي مُغَلْغَلَةً فَقَدْ بَرِحَ الجَفَاءُ[1]
هَجَوْتَ مُحَمَّداً فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الجَزَاءُ[2]

وَكَانَ قَدْ قَدِمَ أَبُو سُفْيَان وَمَعَهُ وَلَدُهُ جَعْفَرُ وَعَبْدُ اللَّهِ ابْنَ عَمَّتِهِ وَهُو أَخُو[3] أُمّ سَلَمَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا[4]، فِي غَزْوَةِ الفَتْحِ إِلَى عِنْدِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ فَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَة، رَضِي اللَّهُ عَنْهَا: يَا رَسُول اللَّهِ لاَ يَكُونُ ابْنُ عَمِّكَ وَأَخُو ابْنُ عَمَّكَ أَشْقَى النَّاس بِكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صلَّى الله تعالى عليه وسلم: «أَمَّا ابْنُ عَمِّي فَهُو الَّذِي هَجَانِي، وَأَمَّا ابْنُ عَمَّتِي فَهُو الَّذِي قَالَ لِي بِمَكَّةَ مَا قَالَ» يَعْنِي قَوْلُه تَعَالَى: ﴿... لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعاً﴾[5] ثُمَّ قَدِمَا مسلمَيْن فَقَبِل[6] إِسْلاَمَهُمَا وَرَضِيَ عَنْهُمَا، وَشَهِدَا مَعَهُ الفَتْحَ وَحُنَيْنٍ وَالطَّائِف، وَيُرْوَى أَنَّ أَبَا سُفْيَان مَا رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى النَّبِيِّ حَيَاءً مِنْه. وَيُرْوَىٰ عَنْهُ ﷺ أَنَّه قَالَ: «أَبُو[7] سُفْيَان مِنْ شَبَابِ أَهْلِ الجَنَّةِ أَوْ سَيِّد فِتْيَان الجَنَّةِ» وَيُرْوَى أَنَّ أَبَا سُفْيَان حَفَرَ قَبْرَ نَفْسِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ بِثَلاَثَةِ أَيَّام وَسَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّه حَجَّ فَلَمَّا حَلَقَ قَطَعَ الحَلاَّقُ ثُؤْلُولاً[8] كَانَ فِي رَأْسِهِ، وَتَمَرَّضَ وَمَاتَ وَصَلَّى عَلَيْهِ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَدُفِنَ فِي دَارِ عَقِيل، وَكَانَ ﷺ يَقُولُ فِيه: «إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ خَلَفاً مِنْ حَمْزَة» وَقَالَ صلى الله تعالى عليه وسلم: «أَبُو سُفْيَان خَيْرُ أَهْلِي، أَوْ مِنْ خَيْرِ أَهْلِي». وَيُرْوَى أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِعَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا[9]: «هَلُمِّي

---

(١) البيت في ديوانه:
أَلاَ أَبْلِغْ أَبَا سُفْيَانَ عَنِّي فَأَنْتَ مُجَوَّفٌ نَخِبٌ هَوَاءُ
(٢) انظر ديوانه ص ٧٦، وأدب الكاتب ص ٣١، والاستيعاب ص ٣٣٦، ٣٣٩.
(٣) في الأصل (أخوا).
(٤) في الأصل (عنه).
(٥) سورة الإسراء، الآية ـ ٩٠.
(٦) في الأصل (قبل).
(٧) في الأصل (أبا).
(٨) في الأصل (تالولا).
(٩) في الأصل (عنه).

فَانظُرِي إِلَى ابْنِ عَمَّتِي الَّذِي كَانَ يَهْجُو أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ المَسْجِدَ وَآخِرَ مَنْ يَخْرُجُ مِنْه» وكَانَتْ ثُوَيْبَةُ أَرْضَعَتْ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ أَبَا[1] سُفْيَان،«وَالحَمْزَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَمّ النَّبِيّ ﷺ وكَانَ أَسَنَّ مِنَ النَّبِيِّ بِسَنَتَيْن أَوْ بِأَرْبَعَة.

وَلَمَّا وُلِدَ ﷺ سَارَتْ ثُوَيْبَةُ إِلَى مَوْلَاهَا أَبِي[2]، لَهَبٍ، وَبَشَّرَتْهُ بِوِلَادَةِ النَّبِيِّ المُنْتَخَبِ فَأَعْتَقَهَا، وَقَدْ ذَكَرْنَا سَابِقاً أَنَّ مِمَّا لا يَجُوزَ القَوْلَ بِهِ لِمُخَالَفَتِهِ القُرْءانَ مَنْ قَالَ إِنَّهُ يُخَفِّف العَذَابَ عَنْ أَبِي لَهَبٍ كلَّ يَوْمِ اثْنَيْنِ أَو لَيْلَتِهِ وَأَمَّا الرُّؤْيَا الَّتِي ذُكِرَتْ عَنْ العَبَّاسِ أَنَّهُ رَأى فِيها أَبَا لَهَبٍ بِالمَنَامِ فَسَأَلَهُ عَنْ حَالِهِ فَقَالَ لَهُ يُخَفِّف عَنِّي العَذابَ كلَّ لَيْلَةِ اثْنَيْنْ وأَمُصُّ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِي ماءً مِثْلَ هٰذَا وأَشَارَ إلى نُقْرَةِ إِبْهَامِهِ وأَنَّ ذَلِكَ بِإِعْتَاقِي لِثُوَيْبَةَ حِينَ بَشَّرَتْنِي بِوِلادَةِ مُحَمَّد ﷺ ابْنَ أَخِي وَبِإِرْضَاعِهَا لَهُ فَهَذَا لا يُقْبَل وَمَرْدُودٌ عليْه لِمُخَالَفَتِهِ مَا جَاءَ في قَوْلِهِ تَعَالَى عَنْ الكُفَّارِ فِي النَّارِ ﴿فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابَ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾ سورة البقرة.

وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاء»: أنَّه إنَّمَا أَعْتَقَهَا لمَّا هَاجَرَ النَّبِيّ - صلى الله تعالى عليه وسلم - إِلَى المَدِينَةِ، وَكَانَتْ خَدِيجَةُ تُكْرِمُهَا، وَطَلَبَتْ مِنْ أَبِي لَهَبٍ ابتياعَها فَأَبَى، فَلَمَّا هَاجَرَ ﷺ أَعْتَقَهَا وَكَانَ ﷺ يَبْعَثُ لَهَا بِصِلَةٍ وَكُسْوَةٍ، وَهِي بِمَكَّةَ. وَجَاءَ خَبَرُ مَوْتِهَا مَرْجِعَهُ مِنْ خَيْبَر، سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ الهِجْرَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَم[3].

---

(١) في الأصل (أبو).

(٢) في الأصل (أبو).

(٣) انظر خبر وفاتها: الطبقات (١/١/٦٨)، والإصابة ٤/ ٢٥٠.

[١٨]

حَلِيمَةُ [الـ] سَّعْدِيَّة* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْب السَّعْدِيَّة، وَزَوْجُهَا الحَارِثُ(١)، وَهِيَ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرِ ابْنِ هَوَازِن(٢)، أَدْرَكَت الإِسْلاَمَ وَأَسْلَمَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا الحَارِثُ وَبَنُوهَا: عَبْدُ اللَّهِ وَالشَّيْمَاءُ وَأُنيسَةُ، قِيلَ: كَانَ ﷺ جَالِساً عَلَى ثَوْب فَأَقْبَلَ أَبُوه مِنَ الرَّضَاعَةِ وَهُو الحَارِثُ فَوَضَعَ لَهُ شِقَّ ثَوْبِهِ، فَقَعَدَ عَلَيْهِ، ثُمَّ: أَقْبَلَتْ أُمُّه حَلِيمَة فَوَضَعَ لَهَا شِقَ ثَوْبِهِ مِنَ الجَانِبِ الآخَرِ، فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ أَخُوه مِنَ الرَّضَاعِ فَقَامَ وَأَجْلَسَهُ مَكَانَهُ، وَقَعَدَ قُبَالَتَهُ، وَقِيلَ: إِنَّ الحَارِثَ أَسْلَمَ(٣) بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللَّهِ، ﷺ وَهَـذَا غَيْرُ صَحِيح، لأَنَّهُ لَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَبْلَ الهِجْرَة فَأَخْبَرَتْهُ(٤) قُرَيْشٌ بِمَا يَقُولُه النَّبِيّ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: أَي بُنَيَّ إِنَّ قَوْمَكَ يَشْكُونَكَ وَيَزْعُمُونَ أَنَّكَ قُلْتَ: إِنَّ النَّاسَ يُبْعَثُونَ بَعْدَ المَوْتِ ثُمَّ يَصِيرُونَ إِلَى جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ! فَقَالَ ﷺ: «نَعَمْ أَنَا أَقُولُ ذَلِكَ وَلَوْ كَانَ ذَلِكَ

(*) هي: حَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْب، وَاسْمُ أَبِي ذُؤَيْب: عَبْدُ اللَّهِ بْن الحَارِثِ بْنَ شِجْنَة بْنِ جَابِرِ بْنِ رِزَامِ ابْن نَاصِرَة بْنِ سعْدِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِن.

انظر ترجمتها: الاستيعاب ٢٦٢/٤، وطبقات ابن سعد ٦٩/١/١، وأسد الغابة ٦٧/٧ و٦٨، والإصابة ٢٦٦/٤، وأعلام النساء ١/ ٢٩٠ - ٢٩١.

(١) هو: الحَارِثُ بْنُ عَبْدِ العُزَّى بْنِ رِفَاعَة بْنِ مَلَّان بْنِ نَاصِرَة بْنِ فُصَيَّة بْنِ نَصْرِ بْنِ سَعْدِ بْنِ بَكْرِ بْنِ هَوَازِن.

انظر ترجمته: طبقات ابن سعد ٦٩/١/١، وأسد الغابة ٦٩/٧.

(٢) في المطبوعة (هوازن) والتصويب عن الطبقات ٦٩/١/١، وأسد الغابة ٦٩/٧.

(٣) في الأصل (وفات).

(٤) في الأصل (فأخبروه).

اليَوْم فلآخُذَنَّ بِيَدِكَ حَتَّى أُعَرِّفَكَ حَدِيثَكَ اليَوْمَ» فَأَسْلَمَ الحَارِثُ وَكَانَ يَقُولُ حِينَ أَسْلَمَ: لَوْ أَخذَ ابْنِي بِيَدِي فَعَرَّفَنِي مَا قَالَ لَمْ يُرْسِلْنِي حَتَّى يُدْخِلَنِي الجَنَّة.

وَوَفِدَتْ حَلِيمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي أَيَّامِ خَدِيجَة فَأَعْطَتْهَا خَدِيجَةُ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا عِشْرِينَ رَأْساً مِنَ الغَنَمِ، وَبَكَرَاتٍ مِنَ الإِبِلِ، وَفِي رِوَايَةٍ: أَرْبَعِينَ شَاةً وَبَعِيراً[١]. ثُمَّ وَفَدَتْ عَلَى رَسُول اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْن فَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ فَجَلَسَتْ عَلَيْه. قَالَ القَاضِي عِيَاض: وَزَارَتْ أَبَا بَكْر، رَضِي اللَّهُ عَنْهُ فَفَعَلَ كَذَلِكَ وَزَارَتْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَفَعَلَ مِثْلَ ذَلِك، وَالظَّاهِرُ أَنَّهَا تُوفِّيَتْ[٢] قَبْلَ خِلاَفَةِ الصِّدِّيقِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمَّا سُبِيَتْ أُخْتُه ﷺ مِنَ الرَّضَاعَةِ الشَّيْمَاءُ يَوْمَ هَوَازن[٣]، فَقَالَتْ لِمَنْ سَبَاهَا: أَنَا أُخْتُ صَاحِبِكُمْ. فَحَمَلُوهَا إِلَيْهِ صلى الله تعالى عليه وسلم فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنَا أُخْتُكَ. فَقَالَ: وَمَا عَلاَمَةُ ذَلِكَ؟ قَالَتْ: عَضَّةٌ مِنْكَ فِي ظَهْرِي. فَعَرَفَهَا ﷺ فَقَامَ لَهَا وَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ[٤] وَأَجْلَسَهَا عَلَيْهِ، وَدَمَعَتْ لَهَا عَيْنَاهُ وَإِلَى هَذَا أَشَارَ صَاحِبُ الهَمزِيَّةِ بِقَوْلِهِ:

وَأَتَى السَّبْيُ فِيهِ أُخْتُ رَضَاعٍ ... وَضَعَ الكُفْرُ قَدْرَهَا وَالسِّبَاءُ
بَسَطَ المُصْطَفَى لَهَا مِنْ رِدَاءٍ ... أَيُّ فَضْلٍ حَوَاهُ ذَاكَ الرِّدَاءُ

وَذَكَرَ الأُمَوِيّ فِي مَغَازِيه عَنْ حَلِيمَةَ، قَالَتْ: خَرَجْتُ مَعَ نِسْوَة إِلَى مَكَّةَ نُرِيدُ الرِّضَاع وَمَعِي أَتَانٌ ضَعِيفٌ وَشَارِفٌ[٥] لَنَا لاَ تَبِضُّ عَلَيْنَا بِقَطْرَة، وَصَبِيٌّ لاَ يَنَامُ اللَّيْلَ مِنْ بُكَائِهِ، فَلَمَّا قَدِمْنا مَكَّةَ عُرِضَ عَلَيْنَا، ﷺ فَمَا مِنَّا امْرَأَةٌ قَبِلَتْهُ، وَكَانَ أَبُوه قَدْ مَاتَ، فَكَرِهْتُ أَنْ أَرْجِعَ وَلَمْ آخُذْ شَيْئاً، وَقَدْ أَخَذَتْ صَوَاحِبَاتِي، فَقُلْتُ لِزَوْجِي: لأَرْجِعَنَّ إِلَى ذَلِكَ اليَتِيمِ فَآخُذُهُ! قَالَ: قَدْ أَصَبْتِ، عَسَى أَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْراً.

---

(١) في الأصل (بعير).

(٢) في الأصل (توفت).

(٣) في المطبوعة (هوزان) والصواب ما أثبت.

(٤) في الأصل (ردائه).

(٥) الشارف: المسن من الدواب.

قَالَتْ حَلِيمَةُ: فَانْطَلَقْتُ وَأَخَذْتُهُ فِي حِجْرِي، فَدَرَّ ثَدْيِي[1] عَلَيْهِ فَشَرِبَ وَشَرِبَ أَخُوه حَتَّى رَوِيَا[2] ثُمَّ نَامَا وَقَامَ زَوْجِي مِنَ اللَّيْلِ إِلَى شَارِفِنَا فَإِذَا قَدْ حَفَلَتْ[3]. قَالَتْ: فَشَرِبَ وَسَقَانِي وَقَالَ: إِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونِي قَدْ أَصَبْتِ نَسْمَةً مُبَارَكَةً، قَالَتْ حَلِيمَةُ: ثُمَّ خَرَجْنَا فَذَهَبَتْ الأَتَانُ أَمَامَ الرَّكْب فَقَالُوا: يَا حَلِيمَة أَلَيْسَتْ الأَتَـان[4] الَّتِي نَعْرِفُ؟ قُلْتُ: بَلَى. فَقَدِمْنَا بِلادَنَا وَهِي مُجْدِبَة، فَوَالَّذِي نَفْسُ حَلِيمَة بِيَدِهِ إِنْ كَانُوا ليسرّحون أَغْنَامَهُمْ إِذَا أَصْبَحُوا ويسرّح راعي غَنَمِي، فَتَرْجِعُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعاً[5] وَتَرْجِعُ غَنَمُنَا شِبَاعاً، فَمَا كَانَ فِي أَرْضِنَا مَنْ يَشْرَبُ اللَّبَنَ غَيْرَنَا. وَذُكِرَ فِي بَعْضِ السِّيَر: قَالَتْ حَلِيمَةُ: لَمَّا بَلَغَ ﷺ سَنَتَيْنِ قَدِمْنَا بِهِ إِلَى أُمِّه فَلَمَّا نَزَل بِهَا حَتَّى قَالَتْ: ارْجِعَا بِهِ. وَذُكِرَ أَنَّ عَبْدَ المُطَّلِب خَرَجَ يَلْتَمِسُ لَهُ مُرْضِعَةً فَعَثَرَ بِحَلِيمَة فَدَفَعَهُ إِلَيْهَا. وَقِيلَ: إِنَّ أَتَانَها[6] كَانَتْ تَنْطِقُ وَتَقُولُ: إِنَّ شَأْناً ثُمَّ شَأْناً[7]، وَتَسْبِقُ الرَّكْبَ وَكَانَ ﷺ حِينَ بَلَغَ ثَمَانِيَة أَشْهُـرٍ يَتَكَلَّمُ بِحَيْثُ يُسْمَعُ كَـلامُه، وَفِي تِسْعَـةِ أَشْهُرٍ تَكَلَّمَ بِالكَلَامِ الفَصِيحِ، وَفِي عَشَرَةِ أَشْهُرٍ، كَانَ يَرْمِي مَعَ الصِّبْيَانِ، وَعَنْ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ أَوَّلَ كَلَامٍ تَكَلَّمَ بِهِ ﷺ حِينَ فَطَمَتْهُ حَلِيمَةُ: اللَّهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، وَالحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيراً، وَسُبْحَانَ اللَّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً. وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ تَكَلَّمَ ﷺ فِي بَعْضِ اللَّيَالِي، وَهُو عِنْد حَلِيمَة بِقَـوْلِهِ: لَا إِلـه إِلَّا اللَّه قُدُوسـاً نَامَت العُيُـونُ، وَالرَّحْمَن لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ. وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ كَانَ لَا يَمَسُّ شَيْئاً إِلَّا قَالَ: بِسْمِ

---

(١) في الأصل (ثدي).

(٢) في الأصل (رؤيا).

(٣) حفلت: أي امتلأ ضرعها. والتَّحفيل مثل التَّصرِيَة، وهو أن لا تُحْلَبُ الشاةُ أياماً ليجتمع اللبنُ في ضَرْعها للبيع. انظر «مختار الصحاح» ص ١٤٥، مادة (ح ف ل).

(٤) في الأصل (الأتانة). وهي أنثى الحمار، وفي مختار الصحاح ص ٤: (الأتان: الحمارةُ، ولا تَقُل أتانة. . . ، والكثير «أُتُن» و «أُتْن»). انظر مادة (أ ت ن).

(٥) في الأصل (جياع).

(٦) في الأصل (اتانـتها).

(٧) في الأصل (شيئاً ثم شانا).

اللَّهِ. قَالَتْ حَلِيمَةُ: كَانَ يَنْزِلُ عَلَيْهِ كُلَّ يَوْمٍ نُورٌ كَنُورِ الشَّمْسِ ثُمَّ يَنْجَلِي عَنْهُ. وَكَانَ يُشَمُّ مِنْ مَنَازِلِ سَعْدٍ نَسِيمُ المِسْكِ، حِينَ حَصُلَ فِيهِم وَأَخْصَبَتْ أَرَاضِيهِم، وَمَا كَانَتْ سِبَاعٌ تَدْنُو[1] مِنْهَا أَصْلاً. وَكَانَتْ حَلِيمَةُ تُرَقِّصُه بِقَوْلِهَا:

يَا رَبِّ إذا[2] أَعْطَيْتَهُ فَأَبْقِهِ ... وَأَعْلِهِ إِلَى العُلَى وَرَقِّهِ

وَادْحَضْ[3] أَبَاطِيلَ العِدا بِحَقِّهِ

وَكَانَتْ أُخْتُه الشَّيْمَاءُ تُرَقِّصُه بِقَوْلِهَا:

هَذَا أَخِي وَلَمْ تَلِدْهُ أُمِّي ... وَلَيْسَ مِنْ أَبِي وَنَسْلِ عَمِّي

فَدَيْتُه مِنْ مُخْوَلٍ مُعِمّ

وَذُكِرَ[4] فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ»: أَنَّه ﷺ لمَّا بَلَغَ[5] سَنَتَيْنِ خَرَجَ مَعَ أَخِيهِ مِنَ الرَّضَاعِ عَبْد اللَّهِ بْن حَلِيمَة إِلَى المَرْعَى، وَقِيلَ: يَلْعَبَانِ خَلْفَ البَيْتِ، وَذَلِكَ بَعْدَ مَا ذَهَبَتْ بِهِ حَلِيمَةُ إِلَى أُمِّهِ آمِنَةَ وَعَادَتْ بِهِ خَوْفاً عَلَيْهِ مِنْ وَبَاء[6] مَكَّةَ وَوَخَمِهَا، فَرَجَعَتْ بِهِ حَلِيمَةُ إِلَى مَنَازِلِهَا، فَبَيْنَمَا هُوَ يَلْعَبُ مَعَ أَخِيهِ إِذْ جَاءَ أَخُوهُ يَشْتَدُّ فَقَالَ: أَدْرِكَا أَخِي فَقَدْ جَاءَ رَجُلَانِ فَأَضْجَعَاهُ فَشَقَّا بَطْنَهُ، قَالَتْ حَلِيمَةُ: فَخَرَجْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا فَوَجَدْنَاهُ قَائِماً، فَقُلْنَا: مَا لَكَ؟ فَقَالَ ﷺ: جَاءَنِي رَجُلَانِ فَشَقَّا بَطْنِي وَاسْتَخْرَجَا قَلْبِي قَالَتْ حَلِيمَةُ: فَقَالَ لِي زَوْجِي: أَرَى الغُلَامَ قَدْ عَرَضَ لَهُ فَلَوْ رَدَدْنَاهُ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ بِهِ إِلَى أُمِّه! قَالَتْ حَلِيمَةُ: فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّه، فَقَالَتْ: مَا بَالُكُمَا،

---

(١) في الأصل (قد).

(٢) في الأصل (إذا).

(٣) في الأصل (واحض).

(٤) في الأصل (وذكره).

(٥) في الأصل (بالغ).

(٦) في الأصل (وراء).

قَدْ كُنْتُمْ ضَنِينَيْنِ(١) بِهِ وَإِنَّ لَكُمَا شَأْناً! فَأَخْبَرْنَاهَا فَقَالَتْ: أَتَخَوَّفْتُمَا عَلَيْهِ؟ وَاللَّهِ إِنَّ لِابْنِي شَأْناً، وَأَخْبَرَتْهُمَا بِبَعْضِ مَا رَأَتْ مِنْهُ، وَقَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كُنْتُ أَرَى الخَيْطَ فِي صَدْرِهِ ﷺ وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رَجَعَ ﷺ إِلَى أُمِّهِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ، وَقَالَ غَيْرُهُ: وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِ سِنِينَ. وَقَالَ الوَاقِدِي: سِتَّ سِنِينَ. وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّ نَفَراً مِنَ الحَبَشَةِ رَأَوْهُ(٢) ﷺ مَعَ حَلِيمَةَ، وَكَانَ لَهُمْ عِلْمٌ مِنَ الكِتَابِ فَأَرَادُوا حَمْلَهُ إِلَى مَلِكِهِمْ، فَمَا زَالَتْ بِهِمْ حَتَّى كَفُّوا عَنْهُ. وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ»: أَنَّ شَقَّ صَدْرِهِ ﷺ تَكَرَّرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ: إِحْدَاهُمَا عِنْدَ حَلِيمَة، وَالثَّانِيَةُ - عِنْدَ مَجِيءِ جِبْرَائِيل لَهُ بِالوَحْيِ فِي غَارِ حَرَاء، وَالثَّالِثَةُ لَيْلَةَ الإِسْرَاء وَغُسِل بِمَاءِ زَمْزَم، وَقِيلَ: تَكَرَّرَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَقِيلَ: خَمْسَ مَرَّاتٍ. وَاعْلَمْ أَنَّه يَجِبُ الإِيمَان بِشَقِّ صَدْرِهِ ﷺ وَإِخْرَاجِ القَلْبِ وَطَرْحِ العَلَقَة(٣) مِنْهُ، وَإِنْ كَانَ خَارِقاً لِلْعَادَةِ، وَالقُدْرَةُ صَالِحَة لِذَلِكَ، وَالأَحَادِيث فِيه مَشْهُورَة.

وَذُكِرَ فِي «المصابيح»: عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك، رَضِيَ اللَّهُ عَنْه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُم عَنْ لَيْلَة أُسْرِيَ بِهِ: «بَيْنَمَا أَنَا فِي الحَطِيمِ وَرُبَّمَا قَالَ فِي الحِجْرِ مُضْطَجِعاً(٤) إِذْ(٥) أَتَانِي آتٍ، فَشَقَّ مَا بَيْنَ هَذِهِ إِلَى هَذِهِ يَعْنِي: مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ(٦) فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ(٧) مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٍ إِيمَاناً(٨)، فَغَسِلَ قَلْبِي، ثُمَّ حُشِيَ، ثُمَّ أُعِيدَ وَفِي رِوَايَة: ثُمَّ غُسِلَ البَطْنُ بِمَاءِ

---

(١) في الأصل (ظنينين).

(٢) في الأصل (رواه).

(٣) في الأصل (العقلة).

(٤) في المطبوعة (مضجعاً)، وما أثبت عن «المصابيح» ٤/٧٦.

(٥) في المطبوعة (إذا)، والتصويب عن «المصابيح» ٤/٧٦.

(٦) قوله: «ثغرة نحره» أي: الموضع المنخفض الذي بين الترقوتين، «وشعرته» أي: شعر العانة. انظر فتح الباري ٧/٢٠٤.

(٧) في المطبوعة (أتى بطشت)، وما أثبت عن «المصابيح» ٤/٧٦.

(٨) زاد في المطبوعة بعد قوله: (إيماناً) كلمة (وحكمة)، وقد أسقطها تمشياً مع الأصل الذي نقل عنه =

زَمْزَمَ، ثُمَّ مُلِيءَ إيماناً وَحِكْمَةً»[6]. الحَـدِيث وَقَدْ سَبَقَ الكَـلامُ عَلَى وَفاةِ[7] حَلِيمَة، وَاللَّهُ سُبْحَانَه وَتَعَالَى أعْلم.

= المؤلف. انظر «المصابيح» ٤/٧٦.

(١) الحديث أخرجه البغوي في «المصابيح» ٤/٧٦، لكتـاب الفضائـل والشمائـل (٢٧)، فصل في المعراج، الحديث رقم (٤٥٧٧)، وهو حديث طويل متفق عليه، وأخرجه البخاري في صحيحه كتاب مناقب الأنصار (٦٣)، باب ـ المعراج (٤٢)، الحديث رقم (٣٨٨٧)، واللفظ له، وأخرجه مسلم في صحيحه كتاب الإيمان (١)، باب ـ الإسراء برسول الله ﷺ إلى السماوات... (٧٤) الحديث رقم (٢٦٤/١٦٤).

(٢) في الأصل (وفات).

[١٩]

عَاتِكَةُ عمَّة النَّبيّ * ﷺ

بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِب، هي عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شَقِيقَةُ أبيه عَبْد اللَّه وعمَّه أَبِي(١) طَالب، والزبير، وعبد الكعبة، وأُمّهم فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَائِذِ بْنِ عِمْرَان بْنِ مَخْزُوم، وتزوَّج عَاتِكَة أَبُو(٢) أُمَيَّة بْنُ(٣) المُغِيرَة، فولدتْ له عَبْدَ اللَّهِ، وَزُهَيْراً، واخْتُلِفَ في إِسْلامِهَا(٤)، وَأَشْعَارُهَا تَدُلُّ عَلَى إِسْلاَمِهَا وَتَصْدِيقِهَا برسالةِ ابن أخيهَا ﷺ ومن قولها:

(*) هي عَاتِكَةُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيّ، عَمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ شاعرة، لها في ديوان الحماسة أبيات مختارة.
انظر ترجمتها في: طبقات ابن سعد ٨/٢٩ ـ ٣٠، والاستيعاب ٤/٣٥٧ ـ ٣٥٨، وأسد الغابة ٧/١٨٥، والإصابة ٤/٣٤٧، والسيرة لابن هشام ١/١٥٦، ٢٢٤، والمعارف ١١٨ ـ ١١٩، ١٢٨، والأعلام ٣/٢٤٢، وأعلام النساء ٣/٢٠٧ ـ ٢٠٨.

(١) في الأصل (أبو).

(٢) في الأصل (أبي).

(٣) في الأصل (ابن).

(٤) قال عنها الذهبي في (سير الأعلام): أَسْلَمَتْ وَهَاجَرَتْ. كما أوردها ابن حجر في القسم الأول من الإصابة جـ ٤/٣٥٧ وقال: (قال أبو عمر: اُخْتُلِفَ في إسلامها والأكثر يأبون ذلك، وفي ترجمة أروى ذكرها العقيلي في الصحابة وكذلك ذكر عاتكة. أما ابن إسحاق فذكر أنه لم يسلم من عماته ﷺ إلا صفية، وذكرها ابن فتحون في ذيل الاستيعاب واستدل على إسلامها بشعر لها تمدح فيه النبي ﷺ وتصفه بالنبوة. وقال الدارقطني في كتاب الأخوة: لها شعر تذكر فيه تصديقها ولا رواية لها، وقال ابن منده بعد ذكرها في الصحابة: روت عنها أم كلثوم بنت عقبة، وقال ابن سعد: أسلمت عاتكة بمكة وهاجرت إلى المدينة وهي صاحبة الرؤيا المشهورة في قصة بدر).

فَهلا صبرتم للنبي محمدٍ بِبَدْرٍ، وَمَنْ يغشى الوغى[1] حَقّ صَابِرِ
وَلَمْ تَرْجِعُوا عَنْ مُرْهِفَاتٍ، كَأَنَّهَا حَرِيقٌ[2] بِأَيْدِي المُؤْمِنِينَ بَوَاتِرِ
وَوَلَّيْتُمْ نَفْراً وَمَا البَطَلُ الَّذِي يُقَاتِلُ مِنْ وَقْعِ السُّيوفِ بِنَافِرِ
أَتَاكُمْ بِمَا جَاءَ النَّبِيُّونَ قَبْلَهُ وَمَا ابْنُ أَخِي البَرّ الصَّدُوق بِشَاعِرِ

ومن قولها:

وَقُلْتُمْ، وَلَمْ أَكْذِبْ، كَذَبْتِ،وَإِنَّمَا يُكَذِّبُنِي بِالصِّدْقِ وَهو كَاذِبُ[3]
فَمَا بَالُ قَتْلَى فِي القَلِيبِ وَمِثْلَهُمْ لَدَى ابْنِ أَخِي أَسْرَى لَهُ مَا تُضَارِبُ
أَكَانُوا نِسَاءً أَمْ أَتَى بِنُفُوسِهِمْ مِنَ اللَّهِ حِينَ سَاقَ والحِينُ جَالِبُ
فَكَيْفَ رَأَى عِنْدَ اللِّقَاءِ مُحَمَّداً بَنُو عَمِّهِ وَالحَرْبُ فِيهَا التَّجَارِبُ
أَلَمْ يَغْشِهِم ضَرْباً يَحَارُ لِوَقْعِهِ الجَبَانُ وَتَبْدُو بِالنَّهَارِ الكَوَاكِبُ

وَعَاتِكَةُ هي التي رأتْ الرُّؤيا قَبْل وَقْعَةِ بدر الكبرى، وأخبرتْ بها العباس رضي الله عنه وذلك أنها رأتْ راكباً أَقْبَلَ [على بعير له][4] فوقف بِالأَبْطَحِ فنادى: انْفِرُوا يَا آل غُدُر إِلَى مَصَارِعِكُمْ [في ثلاث، صرخ بها ثلاث مرات][5]، فَاجْتَمَعَ النَاسُ إليه. ثمَّ مُثِّلَ لها على [هَيْئَةِ][6]، أَبِي قُبَيْسٍ راكباً بعيرَه فصرخَ مثل الأولى وَرَمَى بِصَخْرَةٍ فَتَكَسَّرَتْ، فَمَا بَقِيَ بيتٌ وَلَا دارٌ إِلَّا وَدَخَلَتْها مِنْهَا فلقة[7]، فَسَمِعَتْ قريش

(١) في الأصل (الوغا).
(٢) في الأصل (حريقاً).
(٣) ورد البيت الأول في المستدرك للحاكم ٣/ ٢٠.
(٤) الزيادة من السيرة.
(٥) الزيادة من طبقات ابن سعد.
(٦) الزيادة يقتضيها السياق.
(٧) وردت رؤيا عاتكة مع اختلاف في السياق في طبقات ابن سعد ٨/ ٢٩، والسيرة لابن هشام ٢/ ٢٩٦ - ٢٩٧، وأسد الغابة ٧/ ١٨٥، والإصابة ٤/ ٣٥٨، والحاكم في المستدرك ٣/ ١٩ - ٢٠، من طريق ابن إسحاق، ورواه الطبراني مرسلاً وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف. ورواه البيهقي في دلائل النبوة ٣/ ٢٩ - ٣١، ورواه الطبراني في التاريخ ٢/ ٤٢٨ - ٤٣٠.

بمنامِ عاتكة فقال أَبُو جَهْل: مَا رَضُوا بِكَذِبِ الدَّجَّالِ جَاءُونَا بِكَذِبِ النِّسَاءِ. فأنكر العباس المنام. فلمَّا كان اليوم الثالث دخل ضَمْضَمُ وهو ينادي: الغوث، الغوث، وأخبرهم بخبر العير فخرجتْ أَشْرَافُ قريش، وَتَخَلَّفَ أَبُـو لَهَب خوفاً من رؤيا عاتكة، وأرسل مكانه العاص بن هشام استأجره بأربعة آلاف[1] درهم كانت له عليه ديناً، وقِيلَ: إنَّهَا كـانتْ رِباً[2]، وقِيـلَ: قماراً. فصـدَّق الله تعالىٰ رؤيـا عاتكة، وذلك في وقعة بدر.

---

(١) في الأصل (ألف).

(٢) في الأصل (ربوا).

[٢٠]

البَيْضَاءُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِب*

هي البَيْضَاءُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ عَمَّةُ النَّبِيِّ ﷺ وهي تَوْأَمَةُ[١] عبد الله والد النَّبي ﷺ وكانت عند كُرَيزِ[٢] بْنِ[٣] رَبيعَة بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ فَوَلَدَتْ له عَامِراً[٤] وَبَناتاً، ولمَّا تُوفِي أخوها أبو طالب رثته فقالت:

يَا عَيْنُ جُودِي لأَبِي طَالِبِ ... مِنْكِ بِدَمْعٍ دَائِمٍ سَاكِبِ
وابكي[٥] أخَا الجُودِ وَمَأْوَى النَّدَى[٦] ... وَمُنْتَهَى السَّائِلِ والرَّاغِبِ
والفَارِسِ المِقْدَامِ عِنْدَ الوَغَى[٧] ... فِي الجَحْفَلِ المُسْتَهْلَكِ الحَارِبِ[٨]

وهي طويلة جداً، وَلَمْ أَطَّلِعْ على عام وفاتها والله تعالى بذلك أعلم.

(*) هي البَيْضَاءُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيّ، عمة رسول الله ﷺ شاعرة من شواعر العرب، أُمُّهَا: فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرِو بْنِ عَائِذِ بْنِ عِمْرَانِ بْنِ مَخْزُوم، قال عنها الذهبي في سير الأعلام: مَا أَظُنُّهَا أَدْرَكَتْ نُبُوة المُصْطَفَى.

انظر ترجمتها: أعلام النساء ١/٢٨٢، وسير أعلام النبلاء ٢/٢٧٣، وطبقات ابن سعد ٨/٣٠، وسيرة ابن هشام ١/١٥٦، ٢٢٧، والمعارف ١١٨، ١١٩، ١٢٨، ١٩١، ٣٢٠.

(١) في الأصل (توءمة).

(٢) في الأصل (زكريا) والتصويب عن الطبقات (٨/٣٠)، وسير أعلام النبلاء ٢/٢٧٣.

(٣) في المطبوعة (ابن).

(٤) في الأصل (عامر)، ذكر الذهبي في سير الأعلام ٢/٢٧٣، أن البيضاء ولدت لكريز عامراً والد الأمير عبد الله، وأروى والدة الشهيد عثمان.

(٥) في الأصل (وابلي).

(٦) في الأصل (الندا).

(٧) في الأصل (الوغا).

(٨) في الأصل (الحادب) والتصويب عن مهذب الروضة. =

أُرْوَىٰ*

بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، عَمَّةُ النَّبِيِّ ﷺ هي شَقِيقَةُ الأَوَّلِيْنِ وَقِيلَ، شَقِيقَةُ الحَارِثِ، أُمُّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ جُنْدُبٍ(١)، وَاخْتُلِفَ في إِسْلَامِهَا(٢)، وَذَكَرَهَا بَعْضُهُمْ

(*) هي أروى بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصيّ عمة رسول الله ﷺ وإحدى فضليات النساء في الجاهلية والإسلام. كانت راجحة الرأي، تقول الشعر الجيد، ومن شعرها في رثاء الرسول ﷺ:

ألا يا رسول الله كنت رجاءنا ... وكنت بنا برّاً ولم تكن جافيا
كأن على قلبي لذكر محمد ... وما جمعت بعد النبي المجاويا

عمرت إلى خلافة عمر بن الخطاب، وأدركت الإسلام فأسلمت، وتوفيت نحو سنة ١٥ هـ.
انظر ترجمتها في: طبقات ابن سعد ٢٨/٨ ـ ٢٩، والاستيعاب ٢١٩/٤، وأسد الغابة ٧/٧، والإصابة ٢٢٢/٤، وسير أعلام النبلاء ٢٧٢/٢، وسيرة ابن هشام ١٧٣/١، والمعارف ١١٩، ١٢٩، والأعلام ٢٩٠/١، وأعلام النساء ٣٢/١ ـ ٣٤.

(١) ورد في طبقات ابن سعد ٢٨/٨: أن أمها فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مَخْزُوم، كمّا ورد في السيرة لابن هشام ١٥٦/١: أن أم عبد الله، وأبي طالب، والزبير، وجميع النساء غير صفيّة فاطمةُ بنت عَمْرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ٢٢٤/٤: وقد اختلف في أم أروى بنت عبد المطلب فقيل أمها: فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، فلو صح هذا كانت شقيقة عبد الله والزبير وأبي طالب وعبد الكعبة وأم حكيم وأميمة وعاتكة وبرة، وقيل: بل أمها صفية بنت جندب بن حجير بن رئاب بن حبيب بن سواءة بن عامر بن صعصعة فلو صح هذا كانت شقيقة الحارث بن عبد المطلب.

(٢) ذكر كحالة في هامش أعلام النساء ٣٢/١: أن أبا جعفر ذكرها في الصحابة، وأما ابن إسحاق ومن وافقه فقالوا: لم يُسْلم من عمّات النبي ﷺ غير صفيّة، وقال غير هؤلاء: أسلم من عمات النبي ﷺ صفية وأروى، وهو الصواب.

في الصحابة، وأبى ذلك غيرهم وأما الذي صرح في إسلامها، أبو جعفر العقيلي، وكانتْ أرْوَىٰ تَحْتَ عُمَيْر بْنِ[1] وَهْبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيٍّ ، فَوَلَدَتْ له طُلَيباً رضي الله عنه ولمَّا كبر طُلَيْبُ[2] أَسْلَمَ في دارِ الأَرْقَمِ ، ثُمَّ دَخَلَ على أُمِّه وَأَخْبَرَهَا بإِسْلَامِهِ، فَقَالَتْ: إِنَّ الحَقَّ مَا وَازَرْتَ وَعَاضَدْتَ ابن خالك، وَلَوْ قَدَرْنَا عَلَى مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ الرِّجَالُ لَذَبَبْنَا عَنْهُ وَمَنَعْنَاه، فَقَالَ طُلَيْبُ رضي الله عنه: فَمَا لَكِ لَا تُسْلِمِينَ وَقَدْ أَسْلَمَ أَخُوكِ حَمْزَة؟ فَقَالَتْ: أَنْظُرُ مَا تَصْنَعُ[3] أَخَوَاتِي فَأَكُونُ إِحْدَاهُنَّ! فَقَالَ لَهَا: أَسْأَلُكِ بِاللَّهِ إِلَّا أَسْلَمْتِ وَشَهِدْتِ بِرِسَالَتِهِ فَقَالَتْ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِله إِلَّا اللَّه وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ. وكانتْ بَعْدَ ذَلِكَ تَحُضُّ ابْنَهَا عَلَى نُصْرَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَحَسُنَ إسلامها ثم مَاتَ عُمَيْرُ بْنُ[4] وَهْبٍ عنها قَبْلَ مَا أَسْلَمَتْ، وتزوَّجها كِلْدَةُ بْنُ عَبْدِ مَنَافِ ابْنِ عَبْدِ الدَّارِ بْنِ قُصَيٍّ.

---

(١) في الأصل (ابن).

(٢) في الأصل (طليباً).

(٣) ورد في متن المطبوعة (تضع)، ونبه المحقق في الهامش بأنها وردت في الأصل (يصنع)، والصواب أنه يجوز تأنيث الفعل وعدم تأنيثه.

(٤) ورد في المطبوعة (عمر) والصواب ما أثبتناه عن الاستيعاب ٤/٢٢٠، والإصابة ٤/٢٢٢.

[٢٢]

بَرَّةُ*

بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، شَقِيقَةُ عَبْدِ اللَّهِ والد[١] النَّبِي ﷺ؛ لَمْ يُسْمَع لَهَا ذِكْرٌ فِي الإِسْلَامِ، كَانَتْ تَحْتَ أَبِي رُهْمِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى، فَمَاتَ وتزوَّجها عَبْدُ الأَسَدِ بْنِ هِلَالِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مَخْزُوم، وَقِيلَ: إِنَّه كَانَ قَبْلَ أَبِي رُهْمٍ فَمَاتَ وتزوَّجها أَبُو[٢] رُهْمٍ، والله أعلم.

(*) هي برة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قُصيّ، عمة رسول الله ﷺ وأمُّها فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، قال الذهبي في سير الأعلام: لم تدرك المبعث وإنما ذكرتها استطراداً، وهي شاعرة أديبة، ومن شعرها في رثاء أبيها:

أعيـنـيّ جُـودا بـدمـع دُرَرْ ... عـلى طيـب الخيـم والمعتصر

عـلى مـاجـدِ الجـدِّ واري الـزنـاد ... جـميـل المحيّـا عـظيم الخـطر

ودرر: أي سائل، والخيم والمعتصر: أي الأصل، والخطر: أي القَدْر.

انظر ترجمتها في: سير الأعلام ٢/٢٧٣، وطبقات ابن سعد ٨/٣٠، وأعلام النساء ١/١٢٥، والسيرة لابن هشام ١/١٥٦ و ٢٢٥.

(١) في الأصل (ولد).

(٢) في الأصل (أبى).

[٢٣]

أُمَيْمَةُ *

بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، شَقِيقَةُ عَبْدِ اللَّهِ والدُ النَّبِي ﷺ وَكَانَتْ تَحْتَ جَحْشِ بْنِ رِئَابِ(١) الأَسَدِيِّ، فولدتْ لَهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَعُبَيْدَ اللَّهِ وَزَيْنَب رضي الله عنها أُمِّ المؤمنين، وَكَانَتْ عِنْدَ زَيْدٍ، وهي التي ذكرها الله في القرآن العظيم ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا﴾(٢) فتزوَّجها، ﷺ وَمِنْ أَوْلَادِ أُمَيْمَة، أَبُو أحمد، وحِمْنَة، وأُمُّ حَبِيبَة، وكلهم هاجرَ وأسلمَ إلاَّ عُبَيْدُ اللَّهِ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَارْتَدَّ، نَعُوذُ بِاللَّهِ وَمَاتَ كَافِراً (. . .)(٣).

(*) هي أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمها فاطمة بنت عمرو بن عائذ بن عمران بن مخزوم، وهي شاعرة من شواعر العرب، ومن شعرها في رثاء أبيها:

ألا هَلَكَ الرَّاعي العشيرة ذو الفَقْدِ ... وساقي الحَجيج والمُحامي عن المَجْدِ

ومن يُولف الضيفَ الغريبَ بيوتَه ... إذا ما سماءُ الناسِ تَبْخَل بالرَّعْد

والراعي العشيرة: أي الحافظ لعشيرته. قال الذهبي: والظاهر أن أميمة الكبرى العَمَّة ما هاجرت ولا أدركت الإسلام فالله أعلم، ثم قال: لم يهتم بذكر إسلامها إلا الواقدي، وروى في ذلك قصة فالله أعلم. وقال ابن حجر في الإصابة: اختلف في إسلامها فنفاه محمد بن إسحاق ولم يذكرها غير محمد بن سعد. . . وأطعم رسول الله ﷺ أميمة بنت عبد المطلب أربعين وسقا من خيبر، قلت: فعلى هذا كانت لما تزوج النبي ﷺ ابنتها زينب موجودة.

انظر ترجمتها في: أعلام النساء ١/٩٣ ـ ٩٤، وسيرة ابن هشام ١/١٥٦ و٢٢٨ وطبقات ابن سعد ٨/٣١، وسير الأعلام ٢/٢٧٣ ـ ٢٧٤، والمعارف ١١٨ ـ ١١٩ و١٢٨ و٢٣١، والإصابة ٤/٢٣٦.

(١) في المطبوعة (رباب)، والتصويب عن الإصابة ٤/٢٢٩، والمعارف ١٢٨.

(٢) الآية (٣٧) من سورة الأحزاب.

(٣) قال في هامش المطبوعة كلام غير مقروء.

[٢٤]

صَفِيَّةُ * رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ، عَمَّةُ النَّبِيِّ ﷺ وهي شَقِيقَةُ حَمْزَة، رضي الله عنه أُمُّها هَالَةُ بِنْتُ وُهَيْبٍ عَمِّ آمِنَة أُمِّ النَّبِيِّ ﷺ أَسْلَمَتْ صَفِيَّةُ رضي الله عنها وَلَا خِلَافَ فِي إِسْلَامِهَا، وكانتْ في الجاهليةِ عِنْدَ الحَارِثِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّة فَهَلَكَ عَنْهَا فَتَزَوَّجَهَا العَوَّامُ بْنُ خُوَيْلِدٍ فَوَلَدَتْ له السَّائِبَ وَعَبْدَ الكَعْبَةِ والزُّبَيْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ أَسْلَمَتْ وهاجرتْ، وكانتْ حَازِمَةً ذَاتَ قُوَّةٍ وَشَجَاعَةٍ، وكانتْ مع النِّسَاءِ في وقعةِ الأحزابِ في أُطُم(١) ومعهنَّ حسَّانُ بنُ ثَابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإذا بِيهُودِيٍّ يطوفُ بِالأُطُمِ فَقَالَتْ لحسَّان: انْزِلْ فَاقْتُلْهُ، فَقَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكِ يا بنت عبد المطلب، مَا لِي بِهَذَا مِنْ حَاجَةٍ، فَأَخَذَتْ صَفِيَّةُ رضي الله عنها عَمُوداً وَنَزَلَتْ إِلَيْهِ وَقَتَلَتْهُ(٢) ثُمَّ

(*) هي صفية بنت عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، سيدة قريش: شاعرة من شواعر العرب باسلة لها مراثٍ رقيقة، وفي شعرها جودة. شهدت غزوة أحد لما انهزم المسلمون فقامت وبيدها رمح تضرب في وجوه الناس وتقول: انهزمتم عن رسول الله، ثم شهدت غزوة الخندق، ثم شهدت غزوة خيبر. وقد فرض عمر بن الخطاب لصفية بنت عبد المطلب ستة آلاف درهم وروت عن النبي وروي عنها.

انظر ترجمتها في: طبقات ابن سعد ٢٧/٨ ـ ٢٨، والإصابة ٣٣٩/٤ ـ ٣٤٠، والأعلام ٢٠٦/٣، وأعلام النساء ٣٤١/٢ ـ ٣٤٥، والسيرة لابن هشام ١٢٤/١ و ١٥٦ و٣١٧/٣ ـ ٣١٨، الاستيعاب ٣٣٦/٤ ـ ٣٣٧ وأسد الغابة ١٧٢/٧ ـ ١٧٤ ـ وطبقات خليفة ٣٣١، وتاريخ خليفة ١٤٧، والمستدرك ٥٠/٤ ـ ٥١، والمعارف ١٢٨ و ٢١٩ ـ ٢٢٠.

(١) الأطم: البناء المرتفع.

(٢) تخريج حديث قتل صفية اليهودي وقصتها مع حسان: قال الهيثمي في المجمع ١٣٥/٦: رواه =

قَالَتْ لِحَسَّان: انْـزِلْ وَخُذْ سَلَبَهُ فَمَا مَنَعَنِي مِنْ سَلَبِهِ إِلاَّ أَنَّهُ رَجُلٌ فَقَالَ: لاَ حَاجَةَ لِي بِسَلَبِهِ، وَكَانَ حَسَّانُ شُجَاعاً فِيمَا تَقَـدَّم ثُمَّ أَصَابَتْهُ ضَرْبَةٌ عَلَى رَأْسِهِ أَضَرَّتْ دِمَاغَهُ، وَتَوَلَّدَ لَهُ مِنْ تِلْكَ الضَّرْبَةِ نَوْعٌ مِنَ الجُبْنِ[1]، وَعَاشَتْ صَفِيَّةُ إِلَى خِلافَةِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتُوفِّيتْ[2] سنة عشرين ولها من العمر ثـلاثٌ وسبعون[3] سنـة، ودُفِنَتْ بالبقيعِ، وَمِنْ شِعْرِهَا تَرْثِـي النَّبِيَّ ﷺ.

أَلاَ يَـا رَسُـولَ اللَّهِ كُنْتَ رَجَـاءَنَـا ... وَكُنْتَ بِنَـا بَـراً وَلَمْ تَـكُ جَـافِيَـا
وكـنتَ رَحِيمـاً هَـادِيـاً وَمُـعَلِّمـاً ... لِيَبْـكِ عليكَ اليوم مَنْ كانَ بـاكِيـا
كَـأَنَّ عَـلَىٰ قَلْبِـي لِـذِكْـرِ مُحَمَّـدٍ ... وَمَـا خفتُ من بعدِ النبيِّ المَكَـاوِيَـا
لعمـرُكَ مَـا أَبْـكِي الـنبيَّ لِفَـقْـدِهِ ... ولكنْ لِمَـا أخشَى من الهـرج آتِيَـا
أفـاطمَ صـلَّى الـلَّه ربُّ مـحـمَّـدٍ ... علىٰ جـدثٍ أمسى[4] بِيَثْـرِبَ ثَـاوِيـا
فِـدىً لـرسـول الله أُمِّي وخـالـتِـي ... وعـمِّي وآبـائـي وَنَفْسِـي وَمَـالِـيَـا

= الطبراني في الكبير والأوسط من طريق أم عروة بنت جعفر بن الزبير عن أبيها ولم أعرفها وبقية رجاله ثقات، ورواه الطبراني أيضاً ورجالـه إلى مروة رجـال الصحيح، ولكنـه مرسـل. انظر المجمـع ١٣٤/٦، ورواه البزار في مسنده وأبو يعلى في مسنده، وقد قال الهيثمي في المجمع ١٣٤/٦ عن إسناد البزار وأبو يعلى: إسنادهما ضعيف، ورواه البيهقي في الدلائل ٤٤٢/٣ - ٤٤٣، وورد في الدلائل: بأن صفية هي أول امرأة قتلت رجلاً من المشركين.

(١) علق محقق السيرة لابن هشام على حديث صفية مع حسان وجبنه في هامش ٢ ج ٣١٨/٣ بقوله: «هذا الحديث ليس بصحيح لأن حسـان رضي الله عنه كان يهـاجي الشعراء في الجاهلية والإسلام ويناد بهم، ولم يرمه أحد منهم بجبن وكانوا كثيراً ما يُذمون به فلو كان هذا الحديث صحيحاً لكان مما يذكر في الشعر ويذم به كما ذم هو غير واحد وهجاه بالفرار من القتال والجبن فلما لم يذكر ذلك في شعر دَلّ ذلك على أن هذا الخبر ليس بصحيح، فقول: من نسب حسان رضي الله عنه إلى الجبن على ما يذكره بعض الناس ليس بصحيح لما ذكرناه ومنها عليه في ذلك». وقد قال السهيلي في الروض الأنـف ٢٨١/٣ في موضوع جبن حسان وعدم شهوده للقتال: «إنما كان لكبر سنه لا لجبنه وبه فيكون خبر جبن حسان ضعيفاً».

(٢) في الأصل (توفت).

(٣) في الأصل (سبعين).

(٤) في الأصل (أمسى).

صدقتَ وبلغتَ الرسالةَ صَادِقاً ومتَّ صَلِيبَ العودِ أبلجَ صافِيا
فلو أنَّ ربَّ الناسِ أبقى محمَّداً سعِدْنا، لكنَّ أمرَه كَان مَاضِيا
عليكَ مِنَ اللَّهِ السلامُ تحيَّةً وأدخلت جَنَّاتٍ من العدْنِ راضِيا
أرَى حَسَناً أيتمته وتركته يبكي ويدعُو جدّه اليوم نَائِيا

[٢٥]

خَدِيجَةُ الكُبْرى * رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا*

أُمُّ المُؤْمِنِينَ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى [بْنِ](١) قُصَيٍّ(٢)، وَأُمُّهَا: فَاطِمَةُ بِنْتُ زَائِدَةَ بْنِ الأَصَمِّ(٣)، كانتْ تُدْعَى بالجاهليَّة الطاهرة، تزوَّجها ﷺ وهي أُمُّ أولادِه كُلِّهم إلَّا إبراهيم(٤)، وكانت خَدِيجَةُ رضي الله عنها قَبْلَ [رسول الله ﷺ](٥) عند أَبِي هَالَةَ(٦) بْنِ زُرَارَةَ بْنِ نَبَّاشِ التَمِيمِي، ثُمَّ خَلَفَ عَلَيْهَا عَتِيقَ ابْنَ عَابِدِ(٧) بْنِ عَمْرِو بْنِ مَخْزُوم، وَكَانَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَوَّلَ الخَلْقِ عَلَى

(*) انظر ترجمتها: الطبقات الكبرى ٨/٧ - ١١، ١/١٣١ - ١٣٢، والاستيعاب ٤/٢٧١ - ٢٨١، ونسب قريش ٢١ - ٢٢، ٢٣٠ - ٢٣١، وأسد الغابة ٧/٧٨ - ٨٥، والوفيات ٣٢، والكامل ٢/٢٤ - ٢٥، ٣١ - ٣٢، والإصابة ٤/٢٧٣ - ٢٧٦، والمعارف ١٣٢ - ١٣٤، وجمهرة أنساب العرب ١٦، ٢٠، ٢٣، والأربعين في مناقب أمهات المؤمنين ٣٨ - ٣٩، وسيرة ابن هشام ١/٢١٢ - ٢١٦، وعيون الأثر ٢/٣٥١ وأعلام النساء ١/٣٢٦ - ٣٣١.

(١) في المطبوعة (بنت)، والصواب ما أثبتناه كما هو مثبت بكتب التراجم.

(٢) تتمة نسبها رضي الله عنها: ابْنِ كِلَابِ بْنِ مُرَّة بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ ابْنِ كِنَانَةِ. انظر تاريخ مدينة دمشق من السيرة ١٥٩.

(٣) واسمه: جندب بن هدم بن رواحة بن حجر بن عبد بن معيص بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر. انظر: أسد الغابة ٧/٧٩، والسيرة لابن هشام ١/٢١٤، ونسب قريش ٢٢.

(٤) فإنه من مارية القبطية.

(٥) زيادة يقتضيها السياق عن كتب التراجم المتقدمة.

(٦) وأبو هالة هو: هند بن زرارة بن النباش بن عدي بن حبيب بن صرد بن سلامة بن جردة بن أسيد بن عمرو بن تميم بن مر. انظر: جمهرة أنساب العرب ٢١٠.

(٧) في المطبوعة (عائذ) والصواب ما أثبت عن أسد الغابة ٧/٧٩، وطبقات ابن سعد ٨/٨، وسير أعلام=

الإِطْلَاقِ إِسْلاماً بَعْدَ البِعْثَةِ، وَذَكَرَ فِي «الجَامِعِ الصَّغِيرِ» عَنْهُ صلَّى الله تعالى عليه وسلم[1]، أَنَّهُ قَالَ: «أَجَرْتُ نَفْسِي مِنْ خَدِيجَةَ سَفْرَتَيْنِ بِقَلُوصَيْنِ»، وَقِيلَ: إِنَّ أَبَا[2] طَالِبٍ قَالَ لِخَدِيجَةَ: هَلْ لَكِ أَنْ تَسْتَأْجِرِي مُحَمَّداً، وَقَدْ اسْتَأْجَرْتِ فُلَاناً[3] بِبَكْرَتَيْنِ وَلَسْنَا نَرْضَى لِمُحَمَّدٍ دُونَ أَرْبَعِ بَكَراتٍ؟ فَقَالَتْ: لَوْ سَأَلْتَ لِبَعِيدٍ بَغِيضٍ فَكَيْفَ وَقَدْ سَأَلْتَ لِحَبِيبٍ قَرِيبٍ؟ فَرَضِيَتْ خَدِيجَةُ وَاسْتَأْجَرَتْهُ ﷺ وَأَرْسَلَتْهُ مَعَ عَبْدِهَا مَيْسَرَةَ إِلَى سُوقِ[4] حبَاشَة، وَهُوَ بِأَرْضِ اليَمَنِ عَلَى سِتِّ لَيَالٍ مِنْ مَكَّةَ، فَابْتَاعَ مِنْهُ بَزًّا[5]، وَرَجَعَا إِلَى مَكَّةَ فَرَبِحَا رِبْحاً حَسَناً، وَأَرْسَلَتْهُ فِي الثَّانِيَةِ إِلَى الشَّامِ مَعَ مَيْسَرَةَ، فَابْتَاعَا وَرَبِحَا وَعَادَا، فَقَالَ مَيْسَرَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ لَكَ أَنْ تَسْبُقَنِي إِلَى خَدِيجَةَ فَتُخْبِرَهَا بِالَّذِي جَرَى فَلَعَلَّهَا تَزِيدُكَ بَكْرَةً إِلَى بَكَرَاتِكَ، فَرَكِبَ ﷺ وَتَقَدَّمَ وَدَخَلَ مَعَهُ فِي الظَّهِيرَةِ، وَخَدِيجَةُ فِي غُرْفَتِهَا مَعَ نِسَاءٍ، فَرَأَتْهُ[6] حِينَ دَخَلَ وَمَلَكَانِ يُظِلَّانِهِ، فَأَرَتْهُ نِسَاءَهَا فَعَجِبْنَ مِنْ ذَلِكَ، فَأَخْبَرَهَا بِمَا رَبِحُوا فَسُرَّتْ، وَقَالَتْ: عَجِّلْ إِلَى مَيْسَرَةَ لِيُعَجِّلَ وَصَعِدَتْ إِلَى الغُرْفَةِ[7] فَرَأَتْهُ، ﷺ عَلَى الحَالَةِ الأُولَى، فَلَمَّا دَخَلَ مَيْسَرَةُ أَخْبَرَتْهُ خَدِيجَةُ بِمَا رَأَتْ، فَقَالَ لَهَا مَيْسَرَةُ: قَدْ رَأَيْتُ هَذَا مُنْذُ خَرَجْنَا مِنَ الشَّامِ، وَأَخْبَرَهَا بِقَوْلِ نَسْطُورٍ لَمَّا رَآه نَزَلَ تَحْتَ [شَجَرَةٍ مَخْصُوصَةٍ][8] فقال: هذا آخرُ الأنبياء.

= النبلاء ٢/١١١، والإكمال ١/٦، والمؤتلف والمختلف ٣/١٥٤٠.

(١) في الأصل (عنه).

(٢) في الأصل (أنا).

(٣) في الأصل (فلان).

(٤) (إلى سوق) مكررة في الأصل.

(٥) البَزُّ: الثِّيابُ او مَتاعُ البَيْتِ مِنَ الثِّيابِ ونَحْوِها، وبَائِعُهُ البَزَّازُ، وحِرْفَتُهُ البِزَازَةُ. عن «القاموس المحيط» مادة (بز).

(٦) في الأصل (فراته).

(٧) في الأصل (الفرقة).

(٨) هكذا وردت في المطبوعة بين معقوفين دون أي إشارة.

وَقَالَ النَّيْسَابُورِي: لمَّا رَأى الرَّاهِبُ الغَمَامَةَ تُظِلّهُ دَنَا إِلَى النَّبِيِّ وَقَبَّلَ رَأْسَهُ وَقَدَمَهُ، وَقَالَ: آمَنْتُ بِكَ، فَلَمَّا سَمِعَتْ خَدِيجَةُ ذَلِكَ حَدَّثَتْ ابْنَ عَمِّهَا وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَل بِذَلِكَ، فَقَالَ لَهَا: إِنْ كَانَ حَقًّا مَا ذَكَرْتِ فَمُحَمَّدٌ نَبِيّ هَذِهِ الأُمَّةِ المُنْتَظَر [١].

وَذَكَر فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ»: أَنَّ خَدِيجَةَ كانتْ مِنْ أَوْسَطِ نِسَاءِ قُرَيْشٍ نَسَباً، وَأَعْظَمِهِنَّ شَرَفاً وَأَكْثَرِهِنَّ مَالاً وَأَحْسَنِهِنَّ جَمالاً [٢]، فَخَطَبُوهَا فَأَبَتْ، وَأَرْسَلَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ دَسِيسَةً امْرَأَةً تَقولُ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَتَزَوَّجَ؟ فَقَالَ: مَا بِيدي مَا أَتَزَوَّجُ بِهِ. قَالَتْ: فَإِنْ كُفِيتَ ذَلِكَ، وَدُعِيت إِلَى المَالِ وَالجَمالِ والشَّرَفِ أَلَا تُجِيبُ؟ قَالَ: وَمَنْ هِيَ؟ قَالَتْ: خَدِيجَة. قَالَ: وَمَنْ لِي بِذَلِكَ؟ فقالتِ: المرأةُ: بَلَى، أَنَا أَفْعَلُ، فَذَهَبَتْ فَأَخْبَرَتْهَا، وَذَكَرَ ذَلِكَ النَّبِيُّ ﷺ لأَعْمَامِهِ، فَخَرَجَ مَعَهُ حَمْزَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى دَخَلَ عَلَى أَبِيهَا فَخَطَبَهَا فَأَجَابَ. وَأَصْدَقَهَا عِشْرِينَ بَكْرَةً، وَحَضَرَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرُؤسَاءُ مُضَرٍ، فَخَطَبَ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيم وَزَرْعِ إِسْمَاعِيل، وَضِئْضِيء [٣] مَعْدٍّ، وَعُنْصُرِ مُضَرٍ، وَجَعَلَنَا حَضَنَةَ بَيْتِهِ، وَسُوَّاس حَرَمِهِ، وَجَعَلَ لَنَا بَيْتاً مَحْجُوجاً [٤]، وَحَرَماً آمِناً، وَجَعَلَنَا الحُكَّامَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ إِنَّ ابْنَ أَخِي هَذَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ لَا يُوزَنُ بِهِ رَجُلٌ إِلَّا رَجَحَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي المَالِ [٥] قَلَّ، فَإِنَّ المَالَ ظِلٌّ زَائِلٌ، وَأَمْرٌ حَائِلٌ، وَمُحَمَّدٌ مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ قَرَابَتَهُ، وَقَدْ خَطَبَ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِد، وَبَذَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ مَا عَاجِلَهُ وَآجِلَهُ مِنْ مَالِي كَذَا، وَهُو وَاللَّهِ بَعْدَ هَذَا لَهُ بِنَاءٌ عَظِيمٌ، وَخَطَرٌ جَلِيلٌ. وَقِيلَ: أَصْدَقَهَا اثْنَتِي عَشْرَة أُوْقِيَّة ذَهَباً، وَنِصْفُ أُوقِيَّة، وَكَانَتْ أَقَلَّ أُوقِيَّة إِذْ ذَاكَ أَرْبَعِين دِرْهَماً. وَقِيلَ: إِنَّ المُزَوِّجَ لَهَا عَمُّهَا عَمْرُو بنُ أَسَدٍ [٦]، وَإِنَّهُ قَالَ لَمَّا

---

(١) في الأصل (المنتهز).

(٢) في الأصل (حمالا).

(٣) في الأصل (الضئض).

(٤) في الأصل (محجوباً).

(٥) في المطبوعة (الحال)، والصواب ما أثبتناه.

(٦) وذكر ابن سعد في طبقاته ١٦/٨ : (عن ابن عباس : أن عم خديجة عمرو بن أسد زوجها رسول الله =

خَطَبَهَا عَمُّه: هَذَا الفَحْلُ لَا يَقرعُ أَنْفُهُ، أي لا يُضْرَبُ أَنْفه؛ لأَنَّ الفَحْلَ الخَسِيسَ يُضْرَبُ عَلَى أَنْفِهِ لِيَرْتَدِعَ عَنِ النَّاقَةِ الكَرِيمَةِ، وَقِيلَ: إِنَّ المُزَوِّجَ لَهَا أَخُوهَا عَمْرُو، وَقِيلَ: إِنَّ أَبَاهَا كَانَ يَرْغَبُ عَنْهُ فَلَمَّا سَكِرَ خُطِبَتْ مِنْهُ فَزَوَّجَهَا، ثُمَّ صَحَا فَأَنْكَرَ ذَلِكَ، ثُمَّ رَضِيَهُ وَأَمْضَاهُ، وَقِيلَ: إِنَّ أُخْتَهَا عَرَضَتْهَا عَلَيْهِ ﷺ وَعُمْرُهُ خَمْسٌ وَعِشْرُون (١) سَنَة، وَقِيلَ: سِتٌّ (٢) وَعِشْرُونَ، وَقِيلَ: إِحْدَى وَعِشْرُونَ (٣)، وَقِيلَ: ثَلاثُونَ (٤) سَنَة، وَكَانَتْ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِنْتَ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: خَمْسٍ وَأَرْبَعِين، وَقِيلَ: ثَلاثِينَ، وَقِيلَ ثَمَانٍ وعشرين، وَقِيلَ: خَمْسٍ وَثَلاثِينَ وَقِيلَ: خَمْسٍ وَعِشْرِينَ، وَكَانَ تَزَوّجُه بِهَا، ﷺ فِي صَفَرٍ، بَعْدَ رُجُوعِهِ بِشَهْرَيْنِ وَخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ يَوْماً.

وَلَمَّا بُعِثَ ﷺ جَاءَهُ جِبْرَائِيل بِقَولِهِ تَعَالَى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ (٥) قِيلَ: أَتَاهُ جِبْرَائِيلُ لَيْلَةَ السَّبْتِ وَلَيْلَةَ الأَحَدِ ثُمَّ ظَهَرَ لَهُ بِالرِّسَالَةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ لِسَبْعِ عَشَرَة لَيْلَة خَلَتْ مِنْ رَمَضَان فَجَاءَهُ جِبْرَائِيلُ فِي حِرَاء، وَإِلَيْهِ أَشَارَ الصَّرْصَرِيّ بِقَوْلِهِ:

وَأَتَتْ عَلَيْهِ أَرْبَعُونَ فَأَشْرَقَتْ ... شَمْسُ الرِّسَالَةِ مِنْهُ فِي رَمَضَانِ

وَذَكَرَ فِي كِتَابِ «التَّبْيِين»: أَنَّهُ ﷺ أَخْبَرَ خَدِيجَةَ فَقَالَتْ: أَبْشِرْ يَا مُحَمَّد، وَقِيلَ: يَا ابْنَ عَمّ فَإِنِّي أَرْجُو أَنْ تَكُونَ نَبِيَّ هَذِهِ الأُمَّةِ، ثُمَّ انْطَلَقَتْ إِلَى وَرَقَةَ بْنِ نَوْفَلٍ فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا رَأَى وَمَا سَمِعَ، فَقَالَ: قُدُّوسٌ قُدُّوسٌ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَئِنْ

= ﷺ، فإن أباها مات يوم الفجار. قال محمد بن عمر: وهذا المجمع عليه عند أصحابنا ليس بينهم فيه اختلاف).

(١) في المطبوعة (وعشرين).

(٢) في الأصل (ستة).

(٣) في الأصل (عشرين).

(٤) في الأصل (ثلاثين).

(٥) سورة العلق، الآية ـ ١. وقال في هامش المطبوعة: في الأصل وردت ﴿اقرأ باسم ربك الأعلى﴾.

صَدَقْتِ يَا خَدِيجَة لَقَدْ جَاءَهُ النَّامُوسُ الأَكْبَرُ الَّذِي كانَ يَأْتِي مُوسَى، وَإِنَّهُ لَنَبِيُّ هَذِهِ الأُمَّةِ، فَقُولِي لَهُ: فَلْيَثْبُتْ [1].

فَأَخْبَرَتْهُ بِمَا أَخْبَرَهَا وَرَقَةُ فَسُرِّي عَنْهُ ﷺ بَعْضُ مَا هُو فيه مِنَ الهَمِّ، ثُمَّ لَقِيَهُ بِالطَّوْقِ، فاسْتَخْبَرَهُ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّكَ لَنَبِيُّ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَلَقَدْ جَاءَكَ النَّامُوسُ الأَكْبَرُ الَّذِي جَاءَ لِمُوسَى، وَلَئِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ لأَنْصُرَنَّ اللَّهَ نَصْراً تَعْلَمُه، ثُمَّ أَدْنَى رَأْسَهُ فَقَبَّلَ يَأْفُوخَهُ فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقِيلَ فِي رِوَايَةٍ: إِنَّ خَدِيجَة رَضِي اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَبْشِر يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَوَاللَّهِ لا يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَداً، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الكَلَّ [2]، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الحَقِّ [3]. وَفِي رِوَايَةٍ: إِنَّهَا ذَهَبَتْ إِلَى عَدَّاسٍ [4]، وَكَانَ نَصْرَانِياً مِنْ أَهْلِ نِينْوى، فَقَالَتْ: يَا عَدَّاس، أَذْكُرُكَ اللَّهَ إِلاَّ مَا أَخْبَرْتَنِي، هَلْ عِنْدَكُمْ عِلْمٌ مِنْ جِبْرَائِيل؟ فَقَالَ عَدَّاس: قَدُوسٌ قُدُوسٌ، هُو أَمِينُ اللَّهِ بَيْنَه [5] وَبَيْنَ النَّبِيين، وَهُوَ صَاحِبُ مُوسَى وَعِيسَى، وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّها كَتَبَت إِلى بَحِيري[6] تَسْأَلُهُ عَنْ ذَلِكَ وَعَنْ جَبْرَائِيل فَقَالَ: قُدُوسٌ قُدُوسٌ يَا سَيِّدَةَ نِسَاءِ قُرَيشٍ أَنَّى لكِ بِهَذَا الاسْمِ؟ إِنَّهُ السَّفِيرُ بَيْنَ اللَّهِ وَبَيْنَ أَنْبِيَائِهِ وَرُوِي عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَسُبُّوا وَرَقَةَ فَإِنِّي رَأَيْتُ لَهُ جَنَّةً أَوْ جَنَّتَيْنِ لأَنَّهُ آمَنَ بِي وَصَدَّقَنِي» [7]. وَجَزَمَ ابْنُ كَثِيرٍ بِإِسْلامِهِ. وَقَالَ البُلْقِينِي: إِنَّهُ

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة ٢/١٤٦ ـ ١٤٩.

(٢) الكَلُّ: الثقل من كُلّ ما يُتَكَلَّف.

(٣) أخرجه البخاري رقم (٣) باب ـ كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ.

(٤) هو: عداس مولى شيبة بن ربيعة، كان نصرانياً من أهل نينوى ـ قرية من قرى الموصل. انظر: الإصابة ٢/٤٥٩.

(٥) في الأصل (نبيه).

(٦) في الأصل (نجيراً)، وفي المطبوعة (بحيراً).

(٧) الحديث أخرجه البزار رقم (٢٧٥٠) ـ كشف الأستار، والحاكم في المستدرك ٢/٦٠٩، وصححه، ووافقه الذهبي. كما أورده ابن كثير في البداية والنهاية ٣/٩، وقال: رواه ابن عساكر من حديث أبي سعيد الأشج.

أَوَّلَ مَنْ آمَنَ مِنَ الرِّجَالِ. وَكَذَا قَالَ الحَافِظُ العِرَاقِي. وَنَقَلَ الثَّعْلَبِيُّ المُفَسِّرُ اتِّفَاقَ العُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ خَدِيجَةَ أَوَّلُ مَنْ أَسْلَمَ. قَالَ النَّوَوِي: إِنَّهُ الصَّوَابُ وَتَبِعَهُ ابْنُ الأَثِيرِ.

وَتُوفِّيَتْ خَدِيجَة (١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بَعْدَمَا أَقَامَتْ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعاً وَعِشْرِينَ سَنَة وَلَمْ يَتَزَوَّجْ حَتَّى تُوفِّيَتْ، وَكَانَتْ وَفَاتُهَا فِي رَمَضَان، وَهِيَ بِنْتُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَة، وَدُفِنَتْ بِالحَجُونِ، وَنَزَلَ ﷺ فِي حُفْرَتِهَا. وَزَعَمَ ابْنُ إِسْحَاقٍ أَنَّهَا تُوفِّيَتْ بَعْدَ الإِسْرَاءِ بَعْدَ(٢) أَنْ صَلَّتْ الفَرِيضَةَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَدُفِنَتْ بِالحَجُونِ، وَلَمْ تَكُنْ صَلَاةُ الجَنَازَةِ (٣). وَبَعْدَ سِتَّةِ أَشْهُرٍ مَاتَ أَبُو طَالِبٍ، مَاتَ كَافِراً، وَصَرَّحَ بِهَذِهِ العِبَارَةِ أَبُو حَنِيفَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي «الفِقْهِ الأَكْبَرِ» وَسَبَقَ حَدِيثُ: «أَنَّهُ سَيَنْتَفِعُ شَفَاعَتِي فَيُوضَعُ فِي نَارٍ قَلِيلَة». وَقِيلَ: إِنَّ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، تُوفِّيَتْ (٤) بَعْدَ أَبِي طَالِب بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَقِيلَ: بِخَمْسَةٍ، وَقِيلَ: قَبْلَ أَبِي طَالِبٍ بِخَمْسةِ وَثَلَاثِينَ يَوْماً.

قَالَ ﷺ: «خَيْرُ نِسَاءِ العَالَمِينَ أَرْبَعٌ (٥): مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ(٦) بِنْتُ

---

(١) قال أبو عبيدة في كتابه «تسمية أزواج النبي» ص ٢٥٠ من مجلة معهد المخطوطات، المجلد الثالث عشر ـ الجزء الثاني: (ماتت خديجة بمكة قبل الهجرة بخمس سنين. والدليل على ذلك قول عائشة: ما غرت على امرأة للنبي ﷺ غيرتي على خديجة، وقد ماتت قبل أن يتزوجني النبي ﷺ بثلاث سنين. وكان النبي ﷺ تزوج عائشة قبل الهجرة بسنتين، وهي بنت ست سنين، ثم بنى بها بالمدينة بعد الهجرة بسنة، وعائشة بنت تسع سنين. فهذا الحديث يدل على أن خديجة ماتت قبل الهجرة بخمس سنين. وقد تابع أبو عبيدة في تاريخ وفاتها هذا ابن عبد البر في «الاستيعاب»، وابن الأثير في «أسد الغابة».

(٢) في المطبوعة (فبعد).

(٣) أي: لم تكن شُرِعَتْ.

(٤) في الأصل (توفت).

(٥) في المطبوعة (أربعة)، والصواب ما أثبت.

(٦) في المطبوعة (آسيا).

مُزَاحِمٍ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ» (١) . وَعَنْ عَائِشَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: كَانَ لَا يَكَادُ يَخْرُجُ مِنَ البَيْتِ حَتَّى يَذْكُرَ خَدِيجَةَ فَيُحْسِنُ عَلَيْهَا، فَذَكَرَهَا يَوْماً مِنَ الأَيَّامِ فَأَدْرَكَتْنِي الغَيْرَةُ، فَقُلْتُ: هَلْ كَانَتْ إِلَّا عَجوزاً، فَقَدْ بَدَّلَكَ اللَّهُ خَيْراً مِنْهَا، فَغَضِبَ حَتَّى اهْتَزَّ مَقْدِمُ شَعْرِهِ مِنَ الغَضَبِ ثُمَّ قَالَ: «لَا وَاللَّهِ مَا أَبْدَلَنِي خَيْراً مِنْهَا، آمَنَتْ بِي إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ وَصَدَّقَتْنِي إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَاسَتْنِي بِمَالِهَا إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللَّهُ مِنْهَا أَوْلَاداً إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاء» فَقُلْتُ فِي نَفْسِي: لَا أَذْكُرُهَا بِسَبَّةٍ، وَكَانَ ﷺ يُكْرِمُ صُوَيحِبَاتِهَا بَعْدَهَا، فَيَقُولُ: «هَذِهِ كَانَتْ تَأْتِينَا أَيَّامَ خَدِيجَة، وَهَذِهِ كَانَتْ مِنْ صَوَاحِبِهَا» . وَرُوِيَ أَنَّ جِبْرَائِيلَ عليه السَّلام قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: أَقْرِئْ خَدِيجَةَ عَنِ اللَّهِ وَعَنِّي السَّلَام (٢) . قَالَ الحَافِظُ ابْنُ حَجَر: أَفْضَلُ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد، وَعَائِشَةُ الصِّدِّيقَةُ، وَقَالَ: ﷺ: «كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا: مَرْيَمُ وَآسِيَةُ وَخَدِيجَةُ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ» (٣) . وَقَالَ الإِمَامُ الأَعْظَمُ: إِنَّ عَائِشَةَ بَعْدَ خَدِيجَةَ الكُبْرَى أَفْضَلُ نِسَاءِ العَالَمِين.

وَذَكَرَ فِي «شَرْحِ الجَوْهَرَةِ» عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «خَيْرُ نِسَاءِ العَالَمِينَ أَرْبَعَ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِمٍ امْرَأَةُ فِرْعَونَ، وَخَدِيجَةُ

---

(١) الحديث أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/٣٦٥، والحديث في الجامع الصغير برقم (٤٠٨٨) برواية أحمد، والطبراني في الكبير عن أنس ورمز له بالصحة: قال المناوي: المراد جميع نساء الأرض، فيحمل على أن كلا منهن خير نساء الأرض في عصرها، وأما التفضيل بينهن فمسكوت عنه، ورواه الديلمي، وابن جرير في تهذيب الآثار.

في الأصل (عليه وسلم).

(٣) روى الحديث ابن عساكر في تاريخه ـ تراجم النساء ص ٣٨٢ ـ ٣٨٣ ولم يذكر خديجة وأخرجه البخاري رقم (٢٧٦٩) كتاب فضائل الصحابة باب ـ فضل عائشة رضي الله عنها. وأخرج الشطر الثاني من الحديث. (وفضل عائشة على النساء...) البخاري رقم (٣٧٧٠)، كتاب فضائل الصحابة، باب فضل عائشة رضي الله عنها، وأخرجه مسلم رقم (٢٤٤٦)، كتاب فضائل الصحابة، باب ـ فضل عائشة. والحديث متفق عليه.

وَفَاطِمَةُ»(٤٦). وَصَحَّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «أَفْضَلُ نِسَاءِ الجَنَّةِ: خَدِيجَةُ وَفَاطِمَةُ وَمَرْيَمُ وَآسِيَةُ»(٢).

وَذَكَرَ الكِرْمَانِي فِي أَوَّلِ شَرْحِهِ البُخَارِي(٣): أَنَّ خَدِيجَةَ وَعَائِشَةَ سَوَاءٌ:

وَذَكَرَ فِي «كَشْفِ الأَسْرَارِ» قَالَ ﷺ: «شَارَطْتُ رَبِّيَ أَنْ لَا أَتَزَوَّجَ إِلَّا مَنْ تَكُونُ مَعِي(٤) فِي الجَنَّةِ»(٥) وَلِأَجْلِ ذَلِكَ حُرِّمَتْ نِسَاؤه عَلَيْنَا، فَلِأَنَّهُنَّ لَوْ تَزَوَّجْنَ لَكَانَ فِي ذَلِكَ إِيذَاءٌ لِلنَّبِيِّ، ﷺ وَتَرْكاً لِمُرَاعَاةِ(٦) حقِّهِ وَحُرْمَتِهِ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ﴾(٧) وَقَالَ النَّيْسَابُورِي: إِنَّمَا سَمَّى نِسَاءَهُ أُمَّهَاتِنَا وَلَمْ يُسَمِّهِ أَباً لِأَنَّهُ لَوْ سَمَّاهُ أَباً لَكَانَ يَحْرُمُ عَلَيْهِ نِكَاحُ أَوْلَادِهِ.

---

(١) الحديث رواه ابن عساكر في تاريخ - تراجم النساء ص ٣٧٨.

(٢) الحديث أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/٣٦٥، كما رواه ابن عساكر في تاريخه - تراجم النساء ص ٣٧٥.

(٣) انظر صحيح البخاري بشرح الكرماني ١/٣٣.

(٤) في الأصل (معنى).

(٥) في تاريخ مدينة دمشق. تراجم النساء ص ٤٨: «إن الله ابى لي ان اتزوج أو أزوج إلا أهل الجنة».

(٦) في الأصل (لمراعات).

(٧) الأحزاب، الآية - ٣٢.

[٢٦]

سَوْدَةُ* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بِنْتُ زَمْعَةَ بْنِ قَيْسِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ وُدِّ بْنِ نَصْرِ(١) بْنِ مَالِكٍ، وَأُمُّهَا(٢) مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، وَهِيَ أُمُّ المُؤْمِنِينَ، أَسْلَمَتْ قَدِيماً وَهَاجَرَتْ إِلَى الحَبَشَةِ مَعَ زَوْجِهَا السَّكْرَانِ بْنِ عَمْرٍو، ثُمَّ قَدِمَتْ مَعَهُ مَكَّةَ فَمَاتَ زَوْجُهَا، فَخَلَفَ عَلَيْهَا رسولَ اللَّهِ(٣) ﷺ وَكَبُرَتْ عِنْدَهُ فَهَمَّ بِطَلاَقِهَا، فَقَالَتْ: دَعْنِي فِي أَزْوَاجِكَ وَأَنْتَ فِي حِلٍّ مِنْ شَأْنِي، وَقَدْ وَهَبْتُ يَوْمِي لِعَائِشَةَ(٤) فَكَانَ ﷺ يُقَسِّمُ لِعَائِشَةَ يَوْمَيْنِ: وَكَانَ،

(*) انظر ترجمتها: الطبقات الكبرى ٨/ ٣٥ ـ ٣٨، والاستيعاب ٤/ ٣١٧ ـ ٣١٨، وأسد الغابة ٧/ ١٥٧ ـ ١٥٨ وتاريخ مدينة دمشق (السيرة ـ ١٣٧ ـ ١٤٣ ـ ١٦٣)، والكامل ٢/ ٢٠٩ ـ ٢١٠، وسير أعلام النبلاء ٢/ ٢٦٥، والإصابة ٤/ ٣٣٠ ـ ٣٣١، وطبقات خليفة ٣٣٥، والأربعين في مناقب أمهات المؤمنين ص ٤٠، والوفيات ٣٣، وعيون الأثر ٢/ ٣٨١، وجمهرة أنساب العرب ١٦٧.

(١) في المطبوعة (نضر)، والصواب ما أثبت عن أسد الغابة ٧/ ١٥٧، والأربعين ٤٠، وجمهرة أنساب العرب ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٢) هي: الشُّمُوسُ بِنْتُ قَيْسِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ لَبِيدٍ. انظر: طبقات ابن سعد ٨/ ٣٥ ـ ٣٦، والأربعين في مناقب أمهات المؤمنين ٤٠، وجمهرة أنساب العرب ١٦٦ ـ ١٦٧.

(٣) ذكر الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/ ٢٦٧: (عن بكير بن الأشج: أن السَّكْرَانَ قَدِمَ مِنَ الحَبَشَةِ بِسَوْدَةَ، فَتُوفِّيَ عَنْهَا. فَخَطَبَهَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَتْ: أَمْرِي إِلَيْكَ. قَالَ: «مُرِي رَجُلاً مِنْ قَوْمِكِ يُزَوِّجُكِ». فَأَمَرَتْ حَاطِبَ بْنَ عَمْرٍو العَامِرِيَّ، فَزَوَّجَهَا، وَهُوَ مُهَاجِرِيٌّ بَدْرِيٌّ.

(٤) أي جعلت يومها لعائشة، تبتغي بذلك رضى رسول الله ﷺ واستبقاء لنفسها في عصمته ﷺ لعلمها حبه لعائشة، رضي الله عنها وقال الذهبي: (وكانت قد فركت رضي الله عنها، وفركت: أي قل ميلها للرجال.

خرجه البخاري في صحيحه رقم (٢٥٩٣)، كتاب الهبات، باب ـ هبة المرأة لغير زوجها وعتقها إذا كان لها=

ﷺ قَدْ تَزَوَّجَهَا قَرِيباً (١) مِنْ تَزَوُّجِهِ بِعَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا - وَقِيلَ: إِنَّ فِي سَوْدَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا نَزَلَتْ هَـذِهِ الآيَـة: ﴿وَإِنِ امْـرَأَةٌ خَـافَتْ مِنْ بعْلِهَـا نُشُـوزاً أَوْ إِعْرَاضاً﴾ (٢) ولَمَّا تَزَوَّجَها ﷺ كَانَ أَخُوهَا عَبْدُ اللَّهِ فِي الحَجِّ، فَلَمَّا قَدِمَ جَعَلَ يَحْثُو عَلَى رَأْسِهِ التُّرَابَ، فَلَمَّا أَسْلَمَ كَانَ يَقُولُ: لَعَمْرُكَ إِنِّي لَسَفِيهٌ، كَيْفَ أَحْثُو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِي؟ ولمَّا تُوفِّيْت(٣) خَدِيجَة رَضِي اللَّهُ عَنْهَا جَاءَتْ خَولَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ زَوْجَةُ عُثْمَان بْنِ مَظْعُون إِلَيْهِ ﷺ فَقَالَتْ(٤): أَلَا تَتَزَوَّج؟ قَالَ: «بِمَنْ؟» قَالَتْ: إِنْ شِئْتَ بِكْراً وَإِنْ شِئْتَ ثَيِّباً(٥) قَالَ: «مَنْ البِكْرُ وَمَنْ الثَّيِّبُ؟» فَقَالَتْ: أَمَّا البِكْرُ فَعَائِشَة رَضِي اللَّهُ عَنْهَا وَأَمَّا الثَّيِّبُ فَسَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَة قَدْ آمَنَتْ بِكَ، قَالَ: «فَاذْهَبِي فَاخْطُبِيهَا». فَدَخَلَتْ خَوْلَةُ عَلَى سَوْدَة وَخَطَبَتْها بَعْدَ أَنْ خَطَبَتْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا وَتَزَوَّجَ ﷺ بِسَوْدَةَ قَرِيباً مِنْ تَزوجِهِ بِعَائِشَةَ.

وَذَكَرَ فِي «البُسْتَانِ»: أَنَّهُ ﷺ تَزَوَّجَ بِسَوْدَةَ بِمَكَّةَ قَبْلَ عَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا.

وَقَالَ فِي «شَرْحِ الجَوْهَرَةِ»: زَوْجَاتُه ﷺ أَفْضَلُ النِّسَاءِ، وَهَذَا هُو الصَّحِيح. وَتُوفِّيتْ أُمُّ المُؤْمِنِينَ سَوْدَةُ (٦) فِي آخِرِ خِلَافَةِ عُمَر رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَاللَّهُ أَعْلَم.

= زوج، ورقم (٢٦٨٨) في الشهادات، باب ـ القرعة في المشكلات وأخرجه أبو داود في سننه ربقم (٢١٣٨) كتاب النكاح، باب القسم بين النساء، وابن ماجة رقم (١٩٧٢) في كتاب النكاح، باب ـ المرأة تهب يومها لصاحبتها، وأخرجه أحمد في مسنده ١١٧/٦.

(١) في الأصل (وقوبيا).

(٢) سورة النساء، الآية ـ ١٢٨.

(٣) في الأصل (توفت).

(٤) في الأصل (فقلت).

(٥) في المطبوعة (شيباً).

(٦) في وفاتها خلاف، قيل: توفيت سنة ٢٣ هـ في آخر خلافة عمر بن الخطاب، وقيل: توفيت في شوال سنة ٥٤ في خلافة معاوية بن أبي سفيان بالمدينة، ورجحه الواقدي.

انظر: أسد الغابة ١٥٨/٧، وسير أعلام النبلاء ٢٦٧/٢، وشذرات الذهب ٦٤/١ و ٦٠.

[٢٧]

عَائِشَةُ* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

أُمُّ المُؤْمِنِينَ بِنْتُ أَبِي بَكْرِ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه وَقَدْ ذَكَرْنَا حَدِيثَ خَوْلَة لمَّا قَالَتْ لَهُ ﷺ: أَلَا تَتَزَوَّجُ؟ فَقَالَ: «بِمَنْ»؟ فَذَكَرَتْ عَائِشَةَ وَسَوْدَةَ، فَقَالَ: «اذْهَبِي فَاخْطُبِيهِمَا». فَدَخلَتْ خَوْلَةُ عَلَى أُمِّ رُومَان(١) زَوْجَةِ الصِّدِّيقِ. فَقَالَتْ: أَبْشِري بِالخَيْرِ وَالكَرَامَةِ. فَأَخْبَرَتْهَا الخَبَرَ. فَشَاوَرَتْ الصِّدِّيق فَقَالَ: هِيَ بِنْتُ أَخِيه فَإِنْ تَصْلُحْ لَهُ زَوَّجْتُهَا مِنْهُ. فَقَالَ ﷺ: «هُو أَخِي وَأَنَا أَخُوهُ، وَابْنَتُهُ تَصْلُحُ لِي فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا.

وَذَكَرَ فِي «مُخْتَصَرِ ابْنِ الوَرْدِي»: أَنَّه ﷺ تَزَوَّجَ بِعَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَبْلَ الهِجْرَةِ بَعْدَ وَفَاةِ(٢) خَدِيجَةَ وَدَخَلَ بِهَا بَعْدَ الهِجْرَةِ بِثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ، وَهِي بِنْتُ تِسْعِ

(*) هي: عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرِ الصِّدِّيقِ بْنِ أَبِي قُحَافَة بْنِ عَامِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّة ابْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ.

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/٣٩، ٥٨ ـ ٨١، والاستيعاب ٤/٣٤٥ ـ ٣٥١، وتاريخ مدينة دمشق ـ السيرة النبوية، وأسد الغابة ٧/١٨٨ ـ ١٩٢، وسير أعلام النبلاء ٢/١٣٥، والإصابة ٤/٣٤٨ ـ ٣٥٠، وجمهرة أنساب العرب ١٥١، ونسب قريش ٢٧٦، والمعارف ١٣٤ والأربعين في مناقب أمهات المؤمنين ٤١، والوفيات ٣٦، وعيون الأثر ٢/٣٨٢، وأعلام النساء ٣/٩ ـ ١٣١.

(١) هي: أُمُّ رُومَان بِنْتُ عَامِرِ بْنِ عُوَيْمِرِ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَتَّابِ بْنِ أُذَيْنَة بْنِ سُبَيْعِ بْنِ دُهْمَانِ بْنِ الحَارِثِ بْنِ غَنَمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ كِنَانَة الكنانية.

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/٢٠٢، وأسد الغابة ٧/١٨٨، وسير أعلام النبلاء ٢/١٣٥.

(٢) في الأصل (وفات).

سِنِين، وَتُوفِي النَّبِي ﷺ وَهِي بِنْتُ ثَمانِي عَشْرَةَ[1] سَنَة، وَذَكَرَ إِنَّهُ تَزَوَّجَ بِهَا بِمَكَّةَ. وَفِي كِتَابِ «الدُّرِّ المَكْنُون»: أَنَّه ﷺ دَخَلَ بِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي شَوَّالٍ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ الكُبْرَى، فَإِنَّ غَزْوَةَ بَدْرٍ كانتْ فِي رَمَضَانَ، وَدَخَلَ بِهَا ﷺ وَهِي بنتُ تِسْعِ سِنِين وَرَوَى البُخَارِي عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لَهَا: «أُرِيتُكِ فِي النَّوْمِ مَرَّتَيْنِ أَرَى مَلَكاً يَحْمِلُكِ فِي سَرَقَةٍ[2] أي: شُقَّةِ حَرِيرٍ فَيَقُولُ: هَذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُ فَأَرَاكِ، فَأَقُولُ: إِنْ كَانَ [هَذَا][3] مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُمْضِهِ»[4]. وَلَمْ يَتزوَّجْ رَسُولُ اللَّهِ بِكْراً غَيْرَهَا، وَبَعْدَ أَنْ بَنَى بِهَا ﷺ بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَنِصْفٍ، دَخَلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ [عَنْهُ][5] بِفَاطِمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَذَكَر فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ»: أنه ﷺ تَزَوَّجَها بِمَكَّةَ قَبْلَ الهِجْرَةِ بِسَنَتَيْنِ أَوْ ثَلاثٍ بَعْدَ مَوْتِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَبْلَ سَوْدَة، وَقِيلَ: بَعْدَهَا وَهِي بِنْتُ سِتٍّ[6] سِنِين أَوْ سَبْعٍ، وَبَنَى عَلَيْهَا بِالمَدِينَةِ، وَهِي بِنْتُ تِسْعِ سِنِين وَأَصْدَقَهَا أَرْبَعمائَةِ دِرْهَم، وَكَانَ ﷺ قَدْ رَأَى صُورَتَهَا فِي المَنَامِ فِي حَرِيرَةٍ، وَمَكَثَتْ عِنْدَه تِسْعِ سِنِين، وَمَاتَ عَنْهَا وَهِي بِنْتُ ثَمَانِ عَشْرَةَ سَنَة، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْراً غَيْرَهَا، وَكَانَتْ أَحبَّ النَّاسِ إليه، قَالَ عَمْرُو بْنُ العَاصِ: قُلْتُ: يا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيْكَ؟ قَالَ: «عَائِشَةُ».

---

(١) في الأصل (ثمانية عشر).

(٢) في المطبوعة (سرف) والصواب ما أثبت عن صحيح البخاري ومسلم، والسَرَقَةُ: هي شُقَقُ الحَرِير الأَبْيَض. انظر القاموس المحيط ٣/٢٤٤

(٣) الزيادة عن سير الأعلام ٢/١٤٥.

(٤) أخرجه البخاري رقم ٣٨٩٥ في مناقب الأنصار، باب ـ تزويج النبي ﷺ عائشة، وفي النكاح، باب ـ النظر إلى المرأة قبل التزويج، وفي التعبير، باب ـ كشف المرأة في المنام، وباب ـ ثياب الحرير في المنام. وأخرجه مسلم رقم (٢٤٣٨) في فضائل الصحابة ـ باب ـ فضل عائشة. وأخرجه أحمد في مسنده ٦/٤١ ـ ١٢٨، ١٦١.

(٥) قال في هامش المطبوعة: (زيادة يقتضيها السياق).

(٦) في الأصل (ستة).

قُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ قَالَ: «أَبُوهَا»(١). قال عُرْوَةُ رَضِي اللَّهُ [عَنْهُ](٢): مَا رَأَيْتُ أَعْلَمَ بِفِقْهٍ وَلَا شِعْرٍ وَلَا طِبٍّ مِنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وكانتْ تُكَنَّى بِأُمِّ عَبْد الله، وهو عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَسْمَاءَ أُخْتِها، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَنَّاهَا بِأُمِّ عَبْدِ اللَّهِ في حُجَّةِ الوَدَاعِ. وَيُقَالُ: إنَّهَا أَتَتْ مِنْهُ ﷺ بِسقْطٍ وَسُمِّي عَبْدُ اللَّهِ. وَقَالَ(٣) الدِّمْيَاطِي: لَمْ يَثْبُتْ هَذَا. وَفِي «المَعَالِمِ»(٤): قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذْ أَرَادَ السَّفَرَ أَقْرَعَ بَيْنَ أَزْوَاجِهِ أَيَّتُهُنَّ خَرَجَ سَهْمُهَا خَرَجَ بِهَا، وَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةُ بَنِي المُصْطَلِقِ [فِي الـ](٥) سَنَةِ السَّادِسَةِ أَقْرَعَ بَيْنَنَا فَخَرَجَ فِيهَا سَهْمِي، فَخَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَكُنْتُ أُحْمَلُ فِي هَوْدَجٍ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْ غَزْوَتِهِ وَقَفَلَ، [وَ](٦) دَنَوْنَا مِنَ المَدِينَةِ فَقُمْتُ حِينَ رَحَلُوا وَجَاوَزْتُ الجَيْشَ فَلَمَّا قَضَيْتُ حَاجَتِي عُدْتُ إِلَى رَحْلِي فَإِذَا(٧) عِقْدٌ لِي مِنْ جَزْعٍ(٨) قَدْ انْقَطَعَ، فَعُدْتُ وَرَأَيْتُهُ، وَكَانَ الرَّهْطُ الَّذِينَ يَرْحَلُونَنِي احْتَمَلُوا هَوْدَجِي عَلَى بَعِيرِي وَرَحَلُوا يَحْسَبُونَ أَنِّي فِيهِ(٩)، وَلَمَّا وَجَدْتُ عِقْدِي عُدْتُ فَلَمْ أَرَ(١٠) أَحداً(١١) فَجَلَسْتُ وَنِمْتُ وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ مُعَطَّلٍ

---

(١) الحديث أورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٤٧/٢، وأخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي، باب ـ قول النبي: لو كنت متخذاً خليلاً، وأخرجه مسلم رقم (٢٣٨٤) في فضائل الصحابة، باب ـ فضائل أبي بكر. وأخرجه الترمذي في سنه ٣٨٨٥، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) في الأصل (عنها).

(٣) في الأصل (فقال).

(٤) انظر معالم التنزيل ٣٢٨/٣.

(٥) قال في هامش المطبوعة: (زيادة يقتضيها السياق).

(٦) زيادة يقتضيها السياق، عن سير أعلام النبلاء ١٥٤/٢.

(٧) في الأصل (فاذآ).

(٨) الجزع: هو خرز يماني.

(٩) في المطبوعة (أنا) والصواب ما أثبت عن المعالم ٣٢٨/٣، وصحيح مسلم رقم (٢٧٧٠).

(١٠) في الأصل (أرى).

(١١) في الأصل (أحد).

قَدْ عَرَّسَ (١) مِنْ وَرَاءِ الجَيْشِ فَادَّلَجَ (٢)، وَأَصْبَحَ عِنْدَ مَنْزِلِي. فَعَرَفَنِي فَخَمَّرْتُ وَجْهِي، وَوَاللَّهِ مَا كَلَّمَنِي بِكَلِمَةٍ وَلاَ سَمِعْتُ غَيْرَ اسْتِرْجَاعِهِ، وَأَنَاخَ نَاقَتَهُ فَرَكِبْتُهَا، وَانْطَلَقَ يَقُودُ زِمَامَهَا حَتَّى أَتَيْنَا الجَيْشَ فِي الظَّهِيرَةِ، فَهَلَكَ مَنْ هَلَكَ فِي شَأْنِي، وَكَانَ الَّذِي تَوَلَّى كِبْرَ الإِفْكِ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أُبَيٍّ [ابْنُ] (٣) سَلُولَ. قَالت: فَقَدِمْنَا المدينَةَ فَاشْتَكَيْتُ شَهْراً وَالنَّاسُ يُفِيضُونَ بِقَوْلِ أَصْحَابِ الإِفْكِ وَلاَ أَعْرِفُ مِنْهُ شَيْئاً، حَتَّى نَقَهْتُ (٤) فَخَرَجْتُ مَعَ أُمِّ مِسْطَحٍ (٥) لِقَضَاءِ حَاجَتِي، وَعُدْنَا (٦) فَعَثَرَتْ أُمُّ مِسْطَحٍ [فِي مِرْطِهَا] (٧)، فَقَالَتْ: تَعِسَ مِسْطَحٌ! فَقُلْتُ لَهَا: تَسُبِّينَ مَنْ شَهِدَ بَدْراً؟ فَقَالَتْ: أَوَ مَا سَمِعْتِ مَا قَالَ؟ وَأَخْبَرَتْنِي بِقَوْلِ أَهْلِ الإِفْكِ فَازْدَدْتُ مَرَضاً عَلَى مَرَضِي، وَدَخَلْتُ بَيْتِي، وَدَخَلَ عَلَيَّ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: أَتَأْذَنُ لِي أَنْ آتِيَ أَبَوَيَّ؟ فَأَذِنَ، فَسِرْتُ إِلَى أُمِّي، وَقُلْتُ لَهَا: مَاذَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ؟ قَالَتْ: هَوِّنِي عَلَيْكِ فَوَاللَّهِ لَقَلَّمَا (٨) كانَتِ امْرَأَةٌ وَضِيئَةٌ (٩) عِنْدَ رَجُلٍ يُحِبُّهَا [وَ] (١٠) لَهَا

(١) التَّعريس: النزول آخر الليل في السَّفَرِ لنوم أو استراحة. انظر: القاموس المحيط ٢ / ٢٣٠.

(٢) في المطبوعة (فادلج)، وما أثبت عن صحيح مسلم رقم (٢٧٧٠)، والإدلاج: هو السير آخر الليل.

(٣) في المطبوعة (عبد الله بن أبي سلول)، والتصويب عن سير أعلام النبلاء ٢ / ١٥٥.

(٤) نَقَهْتُ: بفتح القاف وكسرها لغتان، حكاهما الجوهري في الصحاح، وغيره: والفتح أشهر. والنَّاقه: هو الذي أفاق من المرض وبرأ منه، وهو قريب عهد به، لم يتراجع إليه كمال صحته.

(٥) هي: أُمُّ مِسْطَحٍ بِنْتُ أَبِي رُهْمِ بْنِ المُطَّلِبِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا: ابْنَةُ صَخْرِ بْنِ عَامِرٍ خَالَةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَابْنُهَا: مِسْطَحٌ وهو لقبه، واسمه: عَوْفُ بْنُ أُثَاثَةَ بْنِ عَبَّادِ بْنِ المُطَّلِبِ، بدري مات في خلافة عثمان رضي الله عنه.

انظر: سير أعلام النبلاء ٢ / ١٥٥، وجمهرة أنساب العرب ٧٣.

(٦) قال في هامش المطبوعة: (في الأصل «وعندنا» وأضاف إليها في «المهذب» «كانت» ورأينا فيها تصحيف فرديناها إلى الصواب أو ما يدانيه).

(٧) الزيادة عن صحيح البخاري ومسلم، والمرط: كساء من صوف، وقد يكون من غيره.

(٨) في الأصيل (لقل ما). وكذا أوردت بالمعالم ٣ / ٣٢٩، وما أثبت عن صحيح مسلم.

(٩) الوضيئة: هي الجميلة الحسنة، والوضاءة: الحسن.

(١٠) قال في هامش المطبوعة: (زيادة يقتضيها السياق). عن صحيح مسلم.

ضَرَائِرُ إِلاَّ كَثَّرْنَ عَلَيْهَا (١)، فَقُلْتُ: أَوَقَدْ تَحَدَّثَ (٢) النَّاسُ بِهَذَا؟ فَبَكَيْتُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَأَصْبَحْتُ لاَ يَرْقَأُ لِي دَمْعٌ، فَدَعَا ﷺ عَلِيًّا وَأُسَامَةَ يَسْتَشِيرُهُمَا فِي فِرَاقِي، فَقَالَ أُسَامَةُ: أَهْلُكَ وَلاَ نَعْلَمُ إِلاَّ خَيْراً. وَقَالَ عَلِيٌّ: رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ: لَمْ يُضَيِّقِ اللَّهُ عَلَيْكَ، والنِّسَاءُ كَثِيرَةٌ فَاسْأَلِ الجَارِيَةَ تَصْدُقْكَ. فَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بريرةَ (٣) فَقَالَ: أَيْ بَرِيرَةُ! هَلْ رَأَيْتِ مِنْ شَيْءٍ يَرِيبُكِ؟ قَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ مَا رَأَيْتُ عَلَيْهَا أَمْراً قَطُّ أَكْثَرَ مِنْ أَنَّهَا جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ تَنَامُ عَنْ (٤) عَجِينِ أَهْلِهَا فَتَأْتِي الدَّاجِنُ فَتَأْكُلُهُ فَقَامَ ﷺ وَصَعَدَ المِنْبَرَ وَقَالَ: «يَا مَعْشَرَ المُسْلِمِينَ مَنْ [يَعْذِرُنِي مِنْ] (٥) رَجُلٍ قَدْ بَلَغَنِي عَنْهُ أَذَاهُ فِي أَهْلِي؟ وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلاَّ الخَيْرَ». فَقَامَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فَقَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْذِرُكَ، فَإِنْ كَانَ مِنَ الأَوْسِ أَضْرِبُ عُنُقَهُ، وَإِنْ كَانَ مِنَ الخَزْرَجِ (٦) أَمَرْتَنَا فَفَعَلْنَا (٧) أَمْرَكَ. فَقَالَ لَهُ سَيِّدُ الخَزْرَجِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ: كَذَبْتَ! لاَ تَقْتُلُهُ وَلاَ تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ! فَقَامَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ (٨) وَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَـادَةَ:

---

(١) أي: أكثرن القول في عيبها ونقصها.

(٢) في الأصل (يحدث)، وفي المطبوعة (يتحدث)، وما أثبت عن المعالم ٣/٣٢٩، وصحيح مسلم رقم (٢٧٧٠).

(٣) هي مولاة عائشة بنت أبي بكر الصديق، كانت مولاة لبعض بني هلال فكاتبوها، ثم باعوها من عائشة، وجاء الحديث في شأنها بأن الولاء لمن أعتق، وعتقت تحت زوجها، فخيَّرها رسول الله ﷺ فكانت سنة.
انظر ترجمتها: الاستيعاب ٤/٢٤٢، وأسد الغابة ٧.

(٤) قال في هامش المطبوعة: (في الأصل «من»، والتصحيح عن «مهذب الروضة»)، وأقول: وسير الأعلام ٢/،عن المعالم ٣/٣٢٩، وصحيح مسلم رقم (٢٧٧٠).

(٥) الزيادة عن سير أعلام النبلاء ٢/١٥٧، وصحيح مسلم رقم (٢٧٧٠)، والمعالم ٣/٣٢٩.

(٦) في المطبوعة بعد كلمة (الخزرج) الحرف (و)، وأشار في الهامش: زيادة يقتضيها السياق، وقد حذفته لأن السياق يستقيم بدونه.

(٧) في المطبوعة (فعلنا)، وما أثبت عن سير أعلام النبلاء ٢/١٥٧، والمعالم ٣/٣٢٩، وصحيح مسلم رقم (٢٧٧٠).

(٨) في المطبوعة (الخضير)، وقال في هامش المطبوعة: («حضير» في الأصل، والتصويب عن «مهذب الروضة» ١٨٠)، وقد أخطأ محقق كل من «مهذب الروضة»، والروضة» =

كَـذَبْتَ أَنْتَ، لَنقْتُلَنَّهُ (١) ، وَإِنَّـكَ مُنَافِقٌ تُجَـادِلُ عَنِ المُنَـافِقِينَ! فَثَـارَتْ الأَوْسُ وَالخَزْرَجُ وَهَمّوا بِالقِتَالِ وَرَسُولُ اللَّهِ عَلَى المِنْبَرِ، ثُمَّ أَسْكَتَهُمْ، فَبَكَيْتُ يَوْمِي كُلَّهُ فَكَانَ يَوْماً (٢) وَلَيْلَتَيْنِ، فَقَدِمَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي، فَدَخَلَ عَلَيَّ ﷺ وَجلَسَ وَلَمْ يَكُنْ يَجْلِسُ عِنْدِي (٣) مُنْذُ قِيلَ مَا قِيلَ، وَلَبِثَ الوَحْيُ شَهْراً، فَتَشَهَّدَ ﷺ حِينَ جَلَسَ ثُمَّ قَالَ: «أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ قَدْ بَلَغَنِي عَنْكِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنْ كُنْتِ بَرِيئَةً فَسَيُبَرِّئُكِ اللَّهُ تَعَالى، وَإِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَاسْتَغْفِرِي [اللَّه] (٤) وَتُوبِي إِلَيْهِ، فَإِنَّ العَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ [بِذَنْبِه] (٥) ، ثُمَّ تَابَ، تَـابَ اللَّهُ عَلَيْهِ» فَقُلْتُ لِأَبِـي أَجِبْ رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ لَا أَدْرِي مَا أَقُولُ. فَقُلْتُ لِأُمِّي: أَجِيبِي رَسُولَ اللَّهِ فِيمَا قَالَ، فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ، فَقُلْتُ: إِنِّي جَارِيَةٌ حَدِيثَةُ السِّنِّ لَا أَقْرَأُ القُرْآنَ كَثِيراً. إِنِّي وَاللَّهِ، لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ قَـدْ سَمِعْتُمْ هَذَا الحَدِيثَ، وَاسْتَقَرَّ فِي أَنْفُسِكُمْ، وَصَدَّقْتُمْ بِهِ، وَلَئِنْ قُلْتُ لَكُمْ إِنِّي بَـرِيئَةٌ مِنْـهُ لَا

= فالصواب هو ما ورد بالأصل، وهو ما أثبته بالمتن.

وأسيد هذا هو: أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْر بْنِ سِمَاك بْنِ رَافِع بْنِ امْرِىء القَيْس بْنِ زَيْدِ بْنِ عَبْدِ الأَشْهَل وهو ابن عم سعد بن معاذ: أسلم قبل سعد بن معاذ على يد مصعب بن عمير، وكان ممن شهد العقبة الثانية، وكان من أحب الناس صوتاً بالقرآن، وحديث استماع الملائكة قراءته في صحيح البخاري.

توفي في شعبان سنة عشرين، وقيل: سنة إحدى وعشرين. وكان أبوه حُضَير الكتائب شريفاً في الجاهلية، وكان رئيس الأوس يوم بُعَاث، ولحضير الكتائب يقول خُفَافُ بنُ ندبة:

لَـوْ أَنَّ المَنَـايَـا حِـدْنَ عَنْ ذِي مَهَـابَةٍ ... لَـهِبْنَ حُضَيـراً يَـوْمَ غَـلَّقَ وَاقِـمَـا
يَـطُوفُ بِـهِ حَتَّى إِذَا الـلَيْـلُ جَنَّـهُ ... تَـبَـوَّأَ مِـنْـهُ مَـقْـعَـداً مُـتَـنَـاعِـمَـاً

انظر ترجمته: طبقات ابن سعد ٣/١٣٥ ـ ١٣٧، والاستيعاب ١/٣١ ـ ٣٣، وسير أعلام النبلاء ٢/١٥٨ والإصابة ١/٦٤.

(١) في الأصل (لتقتلنه).

(٢) في الأصل (يوم).

(٣) في الأصل (عند).

(٤) زيادة يقتضيها السياق عن سير الأعلام ٢/١٥٨.

(٥) زيادة يقتضيها السياق عن سير الأعلام ٢/١٥٨.

تُصَدِّقُونِي وَلَئِنْ اعْتَرَفْتُ لَكُمْ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مِنْهُ بَرِيئَةٌ لَتُصَدِّقُونَنِي [1]، فَوَاللَّهِ لَا أَجِدُ لِي وَلَكُمْ مَثَلاً إِلَّا أَبَا يُوسُفَ حِينَ قَالَ: (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ) [2] ثُمَّ تَحَوَّلْتُ وَنِمْتُ عَلَى فِرَاشِي، فَوَاللَّهِ مَا رَامَ رَسُولُ اللَّهِ مَجْلِسَهُ وَلَا خَرَجَ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْوَحْيَ، فَسُرِّيَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَهُوَ يَضْحَكُ، وَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ أَمَا وَاللَّهِ فَقَدْ بَرَّأَكِ اللَّهُ» فَقَالَتْ أُمِّي: قُومِي إِلَيْهِ! فَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَا أَقُومُ [3] إِلَيْهِ. وَلَا أَحْمَدُ إِلَّا اللَّهَ [4]، وَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ﴾ [5] وَهِيَ عَشْرُ آيَاتٍ [6].

وَذَكَرَ فِي «الْمَدَارِكِ فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ» فِي بَرَاءَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَوْلَهُ: وَلَمْ يُغَلِّظ اللَّهُ فِي الْقُرْآنِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْمَعَاصِي تَغْلِيظَهُ فِي إِفْكِ عَائِشَةَ، فَأَوْجَزَ فِي ذَلِكَ وَأَشْبَعَ وَفَصَّلَ وَأَجْمَلَ وَأَكَّدَ وَكَرَّرَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِأَمْرٍ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَنْ أَذْنَبَ ذَنْباً ثُمَّ تَابَ مِنْهُ قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ إِلَّا مَنْ خَاضَ [7] فِي أَمْرِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَهَذَا مِنْهُ مُبَالَغَةٌ وَتَعْظِيمٌ لِأَمْرِ الْإِفْكِ، وَلَقَدْ بَرَّأَ [8] اللَّهُ أَرْبَعَةَ

---

(١) في المطبوعة (لا تصدقوني)، وقال في هامش المطبوعة: (في الأصل «لتصدقوني»)، والصواب هو ما ورد بالأصل، وما أثبت عن صحيح مسلم (٢٧٧٠)، ومعالم التنزيل ٣/٣٣٠.

(٢) سورة يوسف، الآية ـ ١٨.

(٣) في المطبوعة (لأقوم)، وعلق الأستاذ عماد في هامش المطبوعة بقوله: («لا أقوم» في الأصل، وكذا في «مهذب الروضة» ذلك أن الرسول أجل من أن لا يقام له، والصديقة أجل من أن لا تقوم لزوجها النبي ﷺ). وقد أخطأ الأستاذ عماد في ذلك، فالصواب هو ما ورد بالأصل، والمهذب وهو ما أثبته بالمتن كما ورد بكتب التراجم.

انظر: سير أعلام النبلاء ٢/١٥٩، وصحيح مسلم رقم(٢٧٧٠)، ومعالم التنزيل (٣/٣٣٠).

(٤) في المطبوعة: (فإني أحمد الله تعالى)، وما أثبت عن: سير أعلام النبلاء ٢/١٥٩، وصحيح مسلم رقم (٢٧٧٠)، ومعالم التنزيل ٣/٣٣٠.

(٥) سورة النور، الآية ـ ١١.

(٦) حديث الإفك: أخرجه البخاري في صحيحه ٧/٤٣١، ومسلم ٤/٢١٢٩، وطبقات ابن سعد ٢/١/٤٦، وسيرة ابن هشام ٣/١٥٦، وتاريخ الطبري ٢/٦١٠.

(٧) في الأصل (خاط). والتصويب عن «المدارك» ٣/١٣٨.

(٨) في الأصل «برء» والصواب ما أثبت عن «المدارك» ٣/١٣٨.

بِأَرْبَعَةٍ، بَرَّأَ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلام بِشَاهِدٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَبرأ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام مِنْ قَوْلِ اليَهُودِي فِيهِ بِالحَجَرِ الَّذِي ذَهَبَ بِثَوْبِهِ، وَبَرَّأَ مَرْيَم بِإِنْطَاقِ وَلَدِهَا عِيسى قَالَ: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ (١) وَبَرَّأَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا بِالآيِ العِظَامِ فِي كِتَابِهِ المُعْجِزِ المَتْلُوِّ عَلَى وَجْهِ الدَّهرِ بِهَذِهِ المُبَالَغَاتِ، فَانْظُرْ كَمْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ [تَبْرِئَةِ] (٢) أُولَئِكَ، وَمَا ذَاكَ إِلَّا لِإِظْهَارِ عُلُوِّ مَنْزِلَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ (٣).

وَذَكَرَ فِي «شَرْحِ الجَوْهَرَةِ»: قَدْ أَجْمَعَ المُسْلِمُونَ عَلَى حُرْمَةِ سَبِّ آلِ بَيْتِهِ ﷺ وَأَزْوَاجِهِ وَأَصْحَابِهِ وَتَنْقِيصِهِمْ، وَذَكَرَ فِي «المَدَارِكِ» فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ النُّورِ قَوْلَهُ: وَإِنَّمَا جَازَ أَنْ تَكُونَ امْرَأَةُ النَّبِيِّ كَافِرَةً كَامْرَأَةِ نُوحٍ، وَامْرَأَةِ لُوطٍ، وَلَمْ يَجُزْ (٤) أَنْ تَكُونَ فَاجِرَةً لِأَنَّ النَّبِيَّ المَبْعُوثَ لِيَدْعُو إِلَى الإِيمَانِ فَيَجِبُ أَنْ لَا يَكُونَ مَعَهُ مَا يُنَفِّرُهُمْ عَنْهُ، وَالكُفْرُ غَيْرُ مُنَفِّرٍ عِنْدَهُمْ، وَأَمَّا الكَشْخَنَةُ (٥) فَمِنْ أَعْظَمِ المُنَفِّرَاتِ (٦)، وَفِي «شَرْحِ الجَوْهَرَةِ» هَلْ حَدَّ النَّبِي ﷺ أَهْلَ الإِفْكِ؟ نَعَمْ، بَعْدَ نُزُولِ البَرَاءَةِ حَدَّ رَجُلَيْنِ: حَسَّانَ وَمِسْطَح، وَامْرَأَةً هِي حِمْنَة أُخْتُ زَيْنَبَ بِنْتُ جَحْشٍ، وَقِيلَ: حَدَّ ابْنَ (٧) سَلُولٍ، وَالأَصح أَنَّهُ لَمْ يَحُدَّه لِأَنَّهُ لَيْسَ أَهْلاً لِلكَفَّارَةِ، [وَ] (٨) لِأَنَّهُ مِنَ المُنَافِقِينَ. وَذَكَرَ «أَهْلُ السِّيرِ»: لَمَّا دَخَلَتِ [الـ] (٩) سَنَةُ الحَادِيَةُ عَشْرَةَ (١٠) لَيْلَةَ الأَرْبِعَاءِ، وَبَدَأَ المَرَضُ بِهِ ﷺ قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

---

(١) سورة مريم، الآية ـ ٣٠.

(٢) زيادة يقتضيها السياق عن «المدارك» ١٣٨/٣.

(٣) انظر تفسير «المدارك» ١٣٨/٣.

(٤) في الأصل (بخبر) والتصويب عن «المدارك» ١٣٦/٣.

(٥) في الأصل «الشكخنة»، والصواب ما أثبت عن «المدارك» ١٣٦/٣.

(٦) انظر تفسير «المدارك» ١٣٦/٣، وسيأتي ذكر هذا التفسير في ص ٢٣٧ /ب.

(٧) في الأصل (بن).

(٨) زيادة يقتضيها السياق.

(٩) زيادة يقتضيها السياق.

(١٠) في الأصل (عشر).

وَكَانَ ﷺ فِي البَقِيعْ وَعَادَ [فَ][1] وَجَدَنِي وَأَنَا أَجِدُ صُدَاعاً فِي رَأْسِي وَأَنَا أَقُولُ: وَارَأْسِي. فَقَالَ: ﷺ «بَلْ أَنَا وَارَأْسَاه، وَمَا يَضُرُّكِ لَوْ مِتِّ[2] قَبْلِي، قُمْتُ عَلَيْكِ، وَكَفَّنْتُكِ وَصَلَّيْتُ عَلَيْكِ وَدَفَنْتُكِ»، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: وَاثُكْلاه وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتُحِبُّ مَوْتِي، فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ لَظَلَلْتَ يَوْمَكَ مُعَرِّساً بِبَعْضِ أَزْوَاجِكَ! فَتَبَسَّمَ، ﷺ فَقَالَ: «بَلْ وَأَنَا وَارَأْسَاه» وَتَمَرَّضَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَصَارَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ[3] فَاشْتَدَّ بِهِ المَرَضُ عِنْدَ مَيْمُونَة، فَاسْتَأْذَنَ نِسَاءَهُ أَنْ يَمْرَضَ فِي بَيْتِي فَأَذِنَّ لَهُ[4]، وَصَارَ يَقُولُ وَهُو عِنْدَ مَيْمُونَة: «أَيْنَ أَنَا غداً؟ أَيْنَ[5] أَنَا غداً؟» يُرِيدُ يَوْمَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَتُوفِّي ﷺ وَهُو فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَذَكَرَ أَصْحَابُ التَّارِيخِ والسِّيرِ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ يَوْماً[6] لِزَوْجَاتِهِ: «أَيَّتُكُنَّ صَاحِبَةُ الجَمَلِ الأَدْبَبِ تَخْرُجُ حَتَّى تَنْبَحُهَا كِلاَبُ الحَوْأَبِ[7] يُقْتَلُ عَنْ يَمِينِهَا، وَعَنْ شِمَالِهَا قَتْلَى كَثِيرَة وَتَنْجُو بَعْدَما كَادَتْ»[8]؟ وَقَالَ ﷺ لِعَلِيٍّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «سَيَكُونُ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَائِشَةَ أَمْرٌ قَالَ: فَأَنَا أَشْقَاهُمَا يَا رَسُولَ اللَّه؟ قَالَ: لاَ، وَلكنْ إِذَا كَانَ ذَلِكَ فَارْدُدْهَا إِلَى مَأْمَنِهَا».

وَلَمَّا كَانَتْ سَنَةُ سِتٍّ[9] وَثَلاَثِينَ كَانَتْ وَقْعَةُ الجَمَلِ وَسَبَبُهَا، لَمَّا بُويعَ عَلِي

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل (متي)،

(٣) في الأصل (نساءه).

(٤) في الأصل (فاذنوا).

(٥) في الأصل (ابن).

(٦) في الأصل (يوم).

(٧) في الأصل «الحوْب» والصواب ما أثبت والحوأب: من مياه العرب على طريق البصرة، وفي «معجم ما استعجم»: هو ماء قريب من البصرة على طريق مكة إليها، سمي بالحوأب بنى كلب بن وبرة القضاعية.

(٨) أخرجه أحمد في مسنده ٥٢/٦، ٩٧، وأورده الذهبي في سير أعلام النبلاء ١٧٧/٢ ـ ١٧٨.

(٩) في الأصل (ستة)،

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالخِلافَةِ نَدِمَ طَلْحَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والزُّبَيْـرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى خُذْلانِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاجْتَمَعُوا واتَّفَقُوا مَعَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَاشْتَرُوا لَهَا جَمَلاً، وَحَمَلُوهَا وَسَارُوا إِلَى البَصْرَةِ فَنَزَلُوا عَلَى بَعْضِ المِيَاهِ فَنَبَحَتْ الكِلاَبُ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: أَيُّ مَاءٍ هَذَا؟ قَالُوا: الحَوْأَبُ، فَتَذَكَّرَتْ الحَدِيثَ السَّابِقَ، قَالَتْ: مَا أَظُنُّنِي[1] إِلاَّ رَاجِعَةٌ، ثُمَّ سَارُوا بِهَا، فَلَمَّا تَلاَقَى[2] العَسْكَرَانِ وَاقْتَتَلُوا وَقُتِلَ طَلْحَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3] وَبَلَغَتِ القَتْلَى ثَلاَثَةَ عَشَرَ أَلْفاً[4] وَعَقَرُوا جَمَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَاحْتَمَلَهَا أَخُوهَا[5] مُحَمَّدٌ إِلَى عِنْدِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمْ يُعَنِّفْهَا، وَتَذَكَّرَ الحَدِيثَ فَأَرْجَعَهَا إِلَى مَأْمَنِهَا ـ انتهى[6].

وَفِي سَنَةِ سَبْعٍ وَخَمْسِينَ تُوفِيتْ أُمُّ المُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ[7] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تَزَوَّجَهَا ﷺ بِكْراً[8]، وَكَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيْهِ، وَكَانَتْ مِنْ أَعْلَمِ النَّاسِ، وَدُفِنَتْ بِالبَقِيعِ وَاللَّهُ أَعْلَم.

---

(١) في الأصل (اضنى).
(٢) في الأصل (تلاق).
(٣) في الأصل (عنها).
(٤) في الأصل (ألف).
(٥) في الأصل (أخاها).
(٦) قال في هامش المطبوعة، (في الأصل «انتهى»، أثبتنا النقطة بدلاً منها). وقد أثبت كلمة (انتهى) في المتن كما وردت بالأصل، حفاظاً على الأصل الذي وضعه المصنف.
(٧) قال ابن الأثير في أسد الغابة ١٩٢/٧: (توفيت عائشة سنة سبع وخمسين، وقيل: سنة ثمان وخمسين ليلة الثلاثاء لسبع عشرة ليلة خلت من رمضان، وأمرت أن تدفن بالبقيع ليلاً، فدفنت وصلى عليها أبو هريرة.
(٨) في الأصل (بكر).

حَفْصَةُ* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

أُمُّ المُؤْمِنِينَ بِنْتُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَر بْنِ الخَطَّابِ، وَهِيَ شَقِيقَةُ عَبدُ اللَّهِ، أُمُّهَا زَيْنَبُ بِنْتُ مَظْعُون، تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَنَةَ ثَلاثٍ عَلَى رَأْسِ ثَلاثِينَ شَهْراً[1] مِنَ الهِجْرَةِ، وَقِيلَ: سَنَةَ اثْنَتَيْنِ[2]، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَمَاتَ بِجِرَاحَاتٍ أَصَابَتْهُ فِي بَدْرٍ، وَكَانَتْ وِلَادَةُ حَفْصَةَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ بِخَمْسِ سِنِين، وَرُوِيَ عَنْ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّه قَالَ: لَمَّا تَأَيَّمَتْ حَفْصَةُ مِنْ خُنَيْسٍ لَقِيتُ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بنَ عَفَّانَ فَعَرَضْتُ عَلَيْهِ حَفْصَةَ، فَقَالَ: سَأَنْظُرُ فِي ذَلِك، فَلَبِثْتُ لَيالِي، فَلَقِيَنِي فَقَالَ: مَا أُرِيدُ أَنْ أَتَزَوَّجَ يَوْمِي هَذَا، قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَقِيتُ أَبَا بَكْرٍ فَقُلْتُ لَهُ مَا قُلْتُ لِعُثْمَانَ، فَلَمْ يَرْجِعْ عَلَيَّ شَيْئاً، فَكُنْتُ أَوْجَدَ عَلَيْهِ مِنِي عَلَى عُثْمَانَ، فَلَبِثْتُ لَيَالِي فَخَطَبَهَا ﷺ فَأَنْكَحْتُهَا إِيَّاهُ، فَلَقِيَنِي أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ: لَعَلَّكَ وَجَدْتَ عَلَيَّ حِينَ لَمْ أَرْجِعْ عَلَيْكَ شَيْئاً؟ فَقُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: ذَاكَ لِأَنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ [صلى الله][3] عَلَيْه وَسَلَّم، يَذْكُرُهَا فَلَمْ أَكُنْ لأُفْشِيَ

(*) انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٥٦/٨، وطبقات خليفة ٣٣٤، وتاريخ خليفة ٦٦، والاستيعاب ٢٦٠/٤ ـ ٢٦٢، وتاريخ ابن عساكر ـ السيرة النبوية ١٣٧، والأربعين ٤١ ـ ٤٢ وأسد الغابة ٦٥/٧ ـ ٦٦، والإصابة ٢٦٤/٤ ـ ٢٦٥، وسير أعلام النبلاء ٢٢٧/٢ ـ ٢٣١ ونسب قريش ٣٤٨، وجمهرة أنساب العرب ١٥١، وعيون الأثر ٣٨٤/٢.

(١) في الأصل (شهر).

(٢) في الأصل (ثنتين).

(٣) قال في هامش المطبوعة (زيادة يقتضيها السياق).

سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَوْ تَرَكَهَا لَنَكَحْتُهَا، أَخْرَجَهُ البُخَارِي[1]، كَذَا فِي كِتَابِ «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَا» وَذَكَر فِي «المَعَالِمِ»[2]: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ يُحِبُّ الحَلْوَاء وَيُحِبُّ العَسَلَ، وَكَانَ إِذَا صَلَّى العَصْرَ دَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ فَيَدْنُو مِنْهُنَّ، فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ فَاحْتَبَسَ عِنْدَهَا أَكْثَرَ مِمَّا كَانَ يَحْتَبِسُ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ فَقِيلَ لِي: أَهْدَتْ لَهَا[3] امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهَا عُكَّةً[4] عَسَلاً، فَسَقَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ [مِنْهَا][5] شَرْبَة، فَقُلْتُ: أَمَا وَاللَّهِ لَنَحْتَالَنَّ لَهُ، فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لِسَوْدَةَ وَقُلْتُ: إِذَا دَخَلَ عَلَيْكِ رَسُولُ اللَّهِ فَقُولِي لَهُ: أَكَلْتَ مَغَافِير؟ فَإِنْ قَالَ لاَ، فَقُولِي لَهُ: مَا هَذِهِ الرِّيح. ثُمَّ قُلْتُ لِصَفِيَّة كَذَلِكَ، فَلَمَّا دَخَلَ ﷺ عَلَى سَوْدَةَ قَالَتْ لَهُ: أَكَلْتَ مَغَافِير؟ قَالَ: لاَ. قَالَتْ[6]. فَمَا بَالُ هَذِهِ الرِّيحِ؟ قَالَ ﷺ: سَقَتْنِي حَفْصَةُ شَرْبَةَ عَسَلٍ، قَالَتْ: جَرَسَتْ نَحْلَةُ العُرْفُط[7] فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيَّ ﷺ قُلْتُ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ[8]، فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى صَفِيَّةَ قَالَتْ لَهُ مِثْلَ ذَلِكَ. فَلَمَّا دَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ قَالَتْ لَهُ: أَلاَ أَسْقِيكَ مِنْهُ؟ قَالَ: لاَ حَاجَةَ لِي بِهِ. وَالمَغَافِيرُ: صَمْغُ العَوْسَجِ، لَهُ رَائِحَةٌ كَرِيهَة، وَحَرَّمَ [عَلَى نَفْسِهِ][9] ﷺ العَسَلَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ، تَعَالَى عَلَيْهِ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ﴾[10] وَذَكَرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَا» أَنَّهُ ﷺ شَرِبَ

---

(١) أخرجه البخاري رقم (. . . .) في كتاب النكاح، باب ـ عوض الإنسان ابنته أو أخته على أهل الخير. وأخرجه ابن سعد في الطبقات، وابن عبد البر في الاستيعاب ٤/٢٦٠.

(٢) انظر: المعالم ٤/٣٦٢.

(٣) في المطبوعة (إليها)، وما أثبت عن المعالم ٤/٣٦٢.

(٤) في المطبوعة (بمكة)، والصواب ما أثبت عن المعالم ٤/٣٦٢، والعُكَّةُ: بالضم آنِيَةُ السَّمْنِ، وجمعها عُكَكٌ وَعِكَاكٌ. انظر القاموس ٣/٢١٣.

(٥) زيادة يقتضيها السياق عن المعالم ٤/٣٦٢.

(٦) في الأصل (قلت).

(٧) في الأصل (جرست نخلة الغرفط).

(٨) في المطبوعة (كذلك)، وما أثبت عن المعالم ٤/٣٦٢.

(٩) في الأصل (عليه).

(١٠) سورة التحريم، الآية ـ ١، والحديث أخرجه البخاري رقم (٦٦٩١) في الأيمان والنذور، باب ـ إذا=

عسلاً عِندَ زينب بنت جحشٍ، فغارت حفصة وعائشة، وقالتا له: أكلت مَغَافِير؟ وَفِي «المَعَالِمِ»: كَـانَ، ﷺ يَقْسِطُ (٢) بَيْنَ نِسَائِهِ. فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا اسْتَأْذَنَتْ فِي زِيَارَةِ أَبِيهَا فَأَذِنَ لَهَا. فَلَمَّا خَرَجَتْ دَعَا ﷺ جارِيتَهُ مَارِيةَ وَأَدْخَلَهَا بَيْتَ حَفْصَة وَواقَعهَا، فَعادَتْ حَفْصَـةُ وَوَجَدَتْ البَـابَ مُغْلَقاً (٣) فَجلَسَتْ تَبْكِي، فَخَرَجَ ﷺ فقَالَ لَهَا: مَا يُبْكِيكِ؟ قَالَتْ: إِنَّمَا أَذَنْتَ لِي مِنْ أَجْلِ هَذَا، أَدْخلْتَ أَمَتَكَ بَيْتِي ثُمَّ وَاقَعْتَهَا فِي يَوْمِي عَلَى فِرَاشِي! فَقَالَ لَهَا: «اُسْكُتِي فَهِي عَلَيَّ حَرَامٌ فَلا تُخْبِرِي (٤) بِهَذَا امْرَأَة مِنْهُنَّ» فَلَمَّا خَرَجَ ﷺ أَخْبَرَتْ حَفْصَةُ عَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهُ ﷺ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ (٥) مَارِيَة، وَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى ﴿وَإِذْ أَسَرَّ النَّبِيُّ إِلَى بَعْضِ أَزْوَاجِهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿... وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ﴾ فَعِنْدَ ذَلِكَ طَلَّقَ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَلَمَّا بَلَغَ عُمر رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَوْ كَانَ خَيْراً فِي آلِ الخَطَّابِ مَا طَلَّقَكِ رَسُـولُ اللَّهِ ﷺ فَجاءَهُ جِبْرَائِيلُ وَأَمَرَهُ (٧) بِمُرَاجعَتِهَا، وَذَكَر فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ»: أَنَّ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لَمَّا عَادَتْ مِنْ عِنْدِ أَبِيهَا أَبْصَرَتْ مَارِية فِي بَيْتِهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ تَدْخُلْ حَتَّى خَرَجَتْ مَـارِيَة ثُمَّ دَخلَتْ وَقَالَتْ لَهُ: إِنِّي رَأَيْتُ مَنْ كَانَ مَعَكَ فِي البَيْتِ، وَغَضِبَتْ وَبَكَتْ وَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي يَوْمِي وَفِي بَيْتِي وَعَلَى فِرَاشِي جِئْتَ إِلَيَّ بِشَيْءٍ مَا جِئْتَ بِهِ إِلَى أَحَدٍ مِنْ

= حرم طعاماً، ورقم (٥٢٦٧) في الطلاق، باب ـ لم تحرم ما أحل اللّه لك، وأخرجه البخاري رقم (٤٩١٢) في التفسير. وأخرجه مسلم رقم (١٤٧٤) في الطلاق، باب ـ وجوب الكفارة على من حرم امرأته ولم ينو الطلاق، وأخرجه أبو داود في سننه: كتاب الأشربة، باب ـ في شرب العسل رقم (٣٧١٤).

(١) في الأصل (قلن).
(٢) في الأصل (يقسم).
(٣) في الأصل (مغلق).
(٤) في الأصل (تخبرني).
(٥) في الأصل «عليه».
(٦) سورة التحريم، الآية ـ ٣.
(٧) في الأصل (امرأة).

أَزْوَاجِكَ؟ وَرَأَى الغَيْرَةَ فِي وَجْهِهَا، فَقَالَ: اسْكُتِي فَهِيَ عَلَيَّ حَرَامٌ، ابْتَغِي بِذَلِكَ رِضَاكِ، ثُمَّ أَخْبَرَهَا بِخِلافَةِ أَبِيهَا بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاسْتَكْتَمَهَا ذَلِكَ، فَأَخْبَرَتْ بِهِ عَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ: أَرَاحَنَا اللَّهُ مِنْ مَارِيَة، وَقَصَّتْ عَلَيْهَا القِصَّةَ. فَغَضِبَ حِينَ أَطْلَعَهُ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ، وَنَزَلَتْ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ (١) وَطَلَّقَهَا طَلْقَةً رَجْعِيَّة، فَجَاءَ جِبْرَائِيلُ وَأَمَرَهُ بِمُرَاجَعَتِهَا، وَقَالَ: إِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ، وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الجَنَّةِ (٢).

وَقِيلَ: إِنَّ سَبَبَ نُزُولِ الآيَة مَا ذَكَرَهُ فِي «المَعَالِمِ»: حِينَ حَرَّمَ عَلَى نَفْسِهِ العَسَل. وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّ عُمَرَ، رَضِي اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا سَمِعَ غَضَبَ النَّبِيِّ عَلَى حَفْصَةَ وَطَلاَقِهَا حَثَا عَلَى رَأْسِهِ التُّرَابَ، وَقَالَ: مَا يَعْبأُ اللَّهُ بِعُمَر وابْنَتِهِ بَعْدَهَا، فَجَاءَ جِبْرَائِيلُ مِنْ الغَدِ، فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكَ أَنْ تُرَاجِعَ حَفْصَة رَحْمَةً لِعُمَر، وَقِيلَ: إِنَّهُ لَمْ يُطَلِّقْهَا وَلَكِنَّهُ هَمَّ بِطَلاَقِهَا. وَتُوفِّيتْ (٣) حَفْصَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي شَعْبَان سَنَة خَمْس وَأَرْبَعِين بِالمَدِينَةِ، وَعُمْرُهَا ثَلاث وَسِتُّونَ (٤) سَنَة. وَصَلَّى عَلَيْهَا مَرْوَانُ ابْنُ (٥) الحَكَمِ، أَمِيرُ المَدِينَةِ يَوْمَئِذٍ، وَحَمَلَ سَرِيرَهَا، وَحَمَلَهُ أَبُو هُرَيْرَة، وَدُفِنَتْ بِالمَدِينَةِ، وَقِيلَ: تُوفِّيتْ سَنَة إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ لمَّا بُويعَ مُعَاوِيَة بِالخِلاَفَةِ، وَاللَّهُ أَعْلَم.

---

(١) سورة التحريم، الآية ـ ١.

(٢) الحديث أخرجه ابن سعد في الطبقات، وابن عبد البر في الاستيعاب ٢٦١/٤، وهو حديث صحيح، وأخرجه أبو داود (٢٢٨٣)، وابن ماجه (٢٠١٦)، وأخرجه النسائي ٢١٣/٦ من حديث ابن عمر وإسناده صحيح.

(٣) في الأصل «توفت».

(٤) في الأصل (ستين).

(٥) في الأصل (ابن).

[٢٩]

أُمُّ حَبِيبَة* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بِنْتُ [صَخْرٍ][(١)] أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّه، ﷺ سَنَةَ سَبْعٍ[(٢)]، وَأَسْلَمَتْ قَدِيماً وَهَاجَرَتْ إِلَى الحَبَشَةِ مَعَ زَوْجِهَا عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ الهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ فَوَلَدَتْ لَهُ حَبِيبَةَ، وَبِهَا كَانَتْ تُكَنَّى وَهِيَ رَبِيبَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَانَتْ فِي حِجْرِهِ، وَتَنَصَّرَ عُبَيْدُ اللَّهِ وَتَثَبَّتَتْ عَلَى الإِسْلَامِ، وَبَانَتْ مِنْهُ وَهَلَكَ بِأَرْضِ الحَبَشَةِ فَتَزَوَّجَهَا ﷺ وَأَصْدَقَهَا النَّجَاشِي أَرْبَعَمائَة دِينَار. وَذُكِرَ فِي كُتُبِ التَّوَارِيخِ: أَنَّهُ ﷺ تَزَوَّجَهَا سَنَةَ سِتٍّ[(٣)] وَبَنَى بِهَا سَنَةَ سَبْعٍ، وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ: أَنَّهُ لَمَّا ارْتَدَّ عُبَيْدُ اللَّهِ وَبَانَتْ مِنْهُ أُمُّ حَبِيبَة، أَرْسَلَ النَّبِيّ ﷺ إِلَى الحَبَشَةِ يَخْطِبُهَا وَأَرْسَلَ كِتَاباً إِلَى النَّجَاشِي يَدْعُوه إِلَى الإِسْلَامِ فَأَسْلَمَ، عَلَى يَدِ جَعْفَر بَعْدَ أَنْ سَأَلَ عَنْهُ القُسُوسَ وَالرُّهْبَانَ، فَقَالُوا: إِنَّا نَجِدُهُ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ

(*) هي: رَمْلَةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَان صَخْرِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ القُرَشِية الأموية، أُمها، صَفِيَّةُ بِنْتُ أَبِي العَاصِ بْنِ أُمَيَّة.

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/٦٨ ـ ٧١، والاستيعاب ٤/٢٩٦ ـ ٢٩٩، وأسد الغابة ٧/٣١٥ ـ ٣١٦، وطبقات خليفة ٣٣٢، وتاريخ ابن عساكر ـ السيرة، وتاريخ ابن عساكر ـ تراجم النساء ٧٠ ـ ٩٣، والأربعين في مناقب أمهات المؤمنين ٤٤ ـ ٤٥، ونسب قريش ١٢٢، وجمهرة أنساب العرب ١١١، ١٩١، وعيون الأثر ٢/٢٨٩. والإصابة ٤/٢٩٨ ـ ٣٠٠.

(١) الزيادة عن أسد الغابة ٧/٣١٥، والأربعين ٤٤.

(٢) في الأصل (سبعة).

(٣) في الأصل (ستة).

وَهُو الَّذِي بَشَّرَ بِهِ المَسِيحُ، وَأَسْلَمَ النَّجَاشِي أصحمة، وَهُو مَلِكُ الحَبَشَةِ ثُمَّ كَتَبَ لَهُ ﷺ أَنْ يُزَوِّجَهُ بِأُمِّ حَبِيبَة بِنْتِ أَبِي سُفْيَانُ، وَكَانَتْ مَعَ المُهَاجِرِينَ عِنْدَهُ فَزَوَّجَهُ بِهَا وَأَعْطَاهَا الصَّدَاقَ عَنْهُ ﷺ وَكَانَ الَّذِي أَرْسَلَهُ ﷺ إِلَى النَّجَاشِي عَمْرُو[1] بْنُ أُمَيَّة الضَّمْرِي[2] افْتِتَاحَ سَنَة سَبْع لِيُزَوِّجَهُ بِأُمِّ حَبِيبَة، فَأَرْسَلَ النَّجَاشِي إِلَيْهَا جَارِيَته[3] تَخْطِبُهَا فَقَالَتْ: بَشَّرَكِ اللَّهُ بِالخَيْرِ، فَوَكَّلَتْ [خَالِد][4] بْنَ سَعِيد، وَأَعْطَتِ الجَارِيَةَ سُوَارَيْنِ وَخُلْخَالَيْنِ وَخَوَاتِمَ فِضَّة[5]، وَخَطَبَ النَّجَاشِي عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ خُطْبَةً بَلِيغَةً حِينَ العَقْد، وَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ المَلِكُ القُدُّوسُ السَّلاَمُ المُؤْمِنُ المُهَيْمِنُ العَزِيزُ الجَبَّارُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّه الَّذِي بَشَّرَ بِهِ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلام أَمَّا بَعْد: فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ كَتَبَ إِلَيَّ أَنْ أُزَوِّجَهُ أُمَّ حَبِيبَة، فَأَجَبْتُ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، وَقَدْ أَصْدَقْتُهَا عَنْهُ أَرْبعمائة دِينَار، ثُمَّ سَكَبَ الدَّنَانِيرَ بَيْنَ يَدَيِ القَوْمِ، فَقَالَ خَالِدُ بْنُ سَعِيد وَكِيلُهَا: الحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُه وَأَسْتَعِينُه، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهَ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ بِالهُدَى وَدِينِ الحَقِّ وَلَوْ كَرِهَ المُشْرِكُونَ، أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ أَجَبْتُ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ وَزَوَّجْته أُمَّ حَبِيبَة فَبَارَكَ اللَّهُ لَهُ فِيهَا[6] وَقَبَضَ خَالِدُ الدَّنَانِيرَ وَأَحْضَرَ النَّجَاشِي الطَّعَامَ فَأَكَلُوا وَقِيلَ إِنَّهُ وَلِي تَزْوِيجَهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّان، وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ شُرَحْبِيلَ بْنَ حَسَنَة فَجَاءَهُ بِهَا، وَأَرْسَلَتْ نِسَاءُ النَّجَاشِي إِلَى أُم حَبِيبَة رَضِي اللَّهُ عَنْهَا، الْعِطْرَ وَالطِّيبَ، وَأَعَادَتْ الجَارِيَةُ عَلَيْهَا مَا أَعْطَتْهَا إِيَّاهُ أُمُّ حَبِيبَة رَضِي اللَّهُ عَنْهَا بِأَمْرِ

---

(١) في المطبوعة (عمر)، وما أثبت عن تاريخ مدينة دمشق ـ تراجم النساء ص ٧٨.

(٢) في المطبوعة (الضميري)، وما أثبت عن تاريخ مدينة دمشق ـ تراجم النساء ص ٧٨.

(٣) الجارية: هي جارية رسول النجاشي، واسمها: أبرهة، كانت تقوم على ثيابه ودهنه. انظر: تاريخ مدينة دمشق تراجم النساء ص ٨٣.

(٤) الزيادة عن تاريخ مدينة دمشق ـ تراجم النساء ص ٧٨، وخالد هذا هو: خالد بن سعيد ابن العاص بن أمية بن عبد شمس ابن عمها.

(٥) وذلك سروراً بما بشرتها.

(٦) وردت خطبة النجاشي، وخالد بن سعيد في تاريخ مدينة دمشق ـ تراجم النساء ص ٨٣.

النجاشي وقالت: سلمي لي عليه فمعلت ام حبيبه، رصي الله عنها دلك ورد، ﷺ عَلَيْهَا السَّلام، وَقَدِمَ جَعْفَرُ، رَضِيَ اللَّه عَنْهُ مِنَ الحَبَشَةِ وَمَعَهُ أَصْحَابُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأُمُّ حَبِيبَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا وَصَحِبَتْهُ الأَشْعَرِيُونَ وَالدَّوْسِيونَ، وَسَمِعُوا أَنَّهُ ﷺ فِي خَيْبَر فَوَافُوه هُنَاكَ، وَلَمَّا أَقْبَلَ جَعْفَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَامَ لَهُ النَّبِيّ ﷺ وَقَبَّلَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَاعْتَنَقَهُ، وَلَمَّا رَآهُ جَعْفَرُ حَجِلَ إِلَيْهِ، أَيْ مَشَى [1] عَلَى رِجْلٍ وَاحِدَةٍ إِعْظَاماً [2] لَهُ، لأَنَّ الحَبَشَة يَفْعَلُونَ ذَلِكَ لِلتَّعْظِيم، وَقَالَ النَّبِيّ، ﷺ وَاللَّهِ مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَفْرَحُ، بِفَتْحِ [3] خَيْبَرِ أَمْ بِقُدُومِ جَعْفَر، وَكَانَ مَعَهُ اثْنَانِ وَسِتُّونَ مِنَ الحَبَشَةِ، وَثَمَانِيَة مِنْ أَهْلِ الشَّامِ أَصْحَابُ رَهْبَنَة وَصَوَامِعَ فَقَرَأَ عَلَيْهِم (سُورَة يس) فَبَكَوا وَأَسْلَمُوا وَقَالُوا: مَا أَشْبَهَ هَذَا بِمَا كَانَ يَنْزِلُ عَلَى عِيسَى، عَلَيْهِ السَّلام وَكَان ﷺ يَخْدُمُهُمْ بِنَفْسِهِ لإِكْرَامِهِمْ أَصْحَابَهُ، وَكَانَ أَبُو هُرَيْرَة رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَقَوْمُهُ فِي جُمْلَةِ القَادِمِينَ، وَهُمْ ثَمَانُونَ بَيْتاً، وَقَدِمَتْ مَعَهُمْ أُمُّ حَبِيبَة رَضِي اللَّهُ عَنْهَا وَكَانَ أَبُو سُفْيَان مُشْرِكاً فَأُخْبِرَ بِذَلِكَ فَقَالَ: ذَاكَ الفَحْلُ لاَ يُقْرَعُ أَنْفه [4]، وَأَصْلُ هَذَا المَثَلُ أَنَّ الفَحْلَ مِنَ الإِبِلِ إِذَا أَرَادَ ضِرَابَ النَّاقَةِ الكَرِيمَةِ إِنْ كَانَ كَرِيماً لاَ يُقْرَعُ أَنْفُهُ، وَإِنْ كَانَ لَئِيماً قُرِعَ أَنْفُه بِالعَصَا وَرُدَّ عَنْهَا، وَأُمُّ [5] حَبِيبَة رَضِي اللَّهُ عَنْهَا عَمَّة عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا وَقِيلَ: إِنَّ أَبَا سُفْيَان دَخَلَ يَوْماً عَلَى أُمِّ حَبِيبَة، رَضِي اللَّهُ عَنْهَا، وَهُو مُشْرِك وَعَمَدَ لِيَجْلِسَ عَلَى فِرَاشِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَامَتْ أُمُّ حَبِيبَة وَرَفَعَت الفِرَاشَ حَتَّى لاَ يَجْلِسَ عَلَيْهِ فَقَالَ لَهَا أَبُو [6] سُفْيَان: لِمْ رَفَعْتِ [7]

---

(١) في الأصل (امشى).

(٢) في الأصل (وإعظاماً).

(٣) في الأصل (أبفتح).

(٤) «ذَاكَ الفَحْلُ لاَ يُقْرَعُ أَنْفُه»: أي انه كفء كريم لا يرد، اخرجه ابن سعد في الطبقات ٨/٠، وورد المثل في تاريخ ابن عساكر، وفي نسب قريش ١٢٢ «ذَلِكَ الفَحْلُ لاَ يُقْدَعُ أَنْفُه».

(٥) في الأصل (أم) مكررة.

(٦) في الأصل (أبوها أبا).

(٧) في الأصل (رفعتى).

الفِرَاشَ، عَلِمْتِ أَنِّي لاَ أَجْلِسُ عَلَيْهِ؟ فَقَالَتْ: وَرَبِّ مُحَمَّد مَا رَفَعْتُه إلَّا مَخَافَةَ أَنْ يَتَنَجَّسَ لأَنَّكَ مُشْرِكٌ بِاللَّهِ، فَكَيْفَ أُمَكِّنُكَ أَنْ تَجْلِسَ عَلَى فِرَاشٍ جَلَسَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَلَكِنِ اجْلِسْ عَلَى الأَرْضِ (١)، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَفَرِحَ بِذَلِكَ وَأَحَبَّهَا، وَذُكِرَ فِي السِّيرَةِ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: دَعَتْنِي أُمُّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِنْدَ مَوْتِهَا فَقَالَتْ: قَدْ كَادَ يَكُونُ بَيْنَنَا مَا يَكُونُ بَيْنَ الضَّرَائِرِ. فَقُلْتُ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكِ، وَأَرْسَلَتْ إِلَى أُمِّ سَلَمَة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ لَهَا كَذَلِكَ، وَتُوفِّيَتْ سَنَةَ أَرْبَع وَأَرْبَعِين (٢) فِي خِلاَفَةِ مُعَاوِيَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ الحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ (٣) قَالَ: حَفَرْتُ نَاحِيَةً مِنْ مَنْـزِلِي فِي دَارِ جَدِّي عَلِيِّ بْن أَبِي طَالِب فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ حَجراً، فَإِذَا فِيهِ مَكْتُوبٌ، هَذَا قَبْرُ رَمْلَةَ أُمِّ المُؤْمِنِينَ بِنْتِ صَخْرٍ، فَأَعَدْنَاهُ مَكَانَه (٤). وَكَذَا فِي كُتُبِ التَّوَارِيخِ وَالسِّيرِ وَاللَّهُ تَعَالى بِـذَلِكَ أَعْلَم تُوفِّيَتْ سَنَة ٤٣.

---

(١) أورد الخبر ابن سعد في الطبقات ٨/.

(٢) وقِيلَ: تُوفِيتْ سنة اثنَتَين وأربعين. انظر تاريخ مدينة دمشق ـ تراجم النساء ص ٧٥.

(٣) في الأصل: (عنهما).

(٤) في تاريخ مدينة دمشق ـ تراجم النساء ص ٩٣: نا الزبير بن بكار، قال: وحدثني محمد بن الحسن بن علي قال: هَدَمْتُ مَنْزِلِي فِي دَارِ عَلِي بْنِ أَبِي طَالِب، فَحَفَرْنَا فِي نَاحِيَةٍ مِنْهُ، فَأَخْرَجْنَا حجراً، فَإِذَا فِيهِ مَكْتُوب: هَذَا قَبْرُ رَمْلَةَ بِنْتُ صَخْرٍ، فَأَعَدْنَاهُ فِي مَكَانِهِ.

[٣٠]

أمُّ سَلَمَةَ هِنْدُ* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

أُمُّ المُؤْمِنِينَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ(١) بْنِ المُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَر(٢) بْنِ مَخْزُوم، وَقِيلَ: اسْمُهَا رَمْلَةَ وَأَبُوهَا أَبُو أُمَيَّةَ أَحَدُ أَجْوَادِ العَرَبِ، وَكَانَ يُسَمَّى زَادَ الرَّاكِبِ لِأَنَّه كَانَ يُغْنِي رَفِيقَه فِي السَّفَرِ عَنْ الزَّادِ، وَكَانَتْ أُمُّ سَلَمَةَ عِنْدَ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الأَسَدِ، وَهُمَا أَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ إِلَى الحَبَشَةِ، ثُمَّ قَدِمَا إِلَى المَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ، وَتُوفِّي أَبُو سَلَمَةَ سَنَةَ ثَلَاثٍ، وَتَرَكَ مِنَ الأَوْلَادِ سَلَمَةَ وَعُمَر وَزَيْنَب وَدُرَّة وَأُمّ كُلْثُوم، وَلَمَّا خَطَبَهَا، ﷺ قَالَتْ: إِنِّي امْرَأَةٌ غَيْرَاءَ وَلِي صِبْيَة، وَقَدْ دَخَلْتُ فِي السِّنِّ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَوْلِيَائِي حَاضِراً. فَقَالَ ﷺ: أَمَّا الصِّبْيَةُ فَلَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُه، وَأَمَّا الغَيْرَةُ فَيُذْهِبُهَا اللَّهُ، وَأَمَّا السِّنُّ فَأَنَا أَسَنُّ مِنْكِ، وَأَمَّا أَوْلِيَاؤُكِ(٣) فَلَيْسَ فِيهِمْ مَنْ يَكْرَهُ ذَلِكَ(٤).

(*) انظر ترجمتها: الطبقات الكبرى ٨/٦٠ ـ ٦٧، وطبقات خليفة ٣٣٤، وتاريخ ابن عساكر ـ السيرة، والاستيعاب ٤/٤٠٥ ـ ٤٠٨، ٤٣٦ ـ ٤٣٧، وسير أعلام النبلاء ٢/٢٠١، وأسد الغابة ٧/٢٨٩ ـ ٢٩٠، والأربعين ص ٤٢، والوفيات ٣٦، والإصابة ٤/٤٠٧ ـ ٤٠٨، ٤٣٩ ـ ٤٤١. ونسب قريش ٣٣٧، والمعارف، وجمهرة أنساب العرب، وأعلام النساء.

(١) واسم أبي أميّة حذيفة، ويعرف «بزاد الرّاكب»، وهو أحد أجواد قريش المشهورين بالكرم. انظر: أسد الغابة ٧/٢٨٩، ونسب قريش ٣٠٠ ـ ٣١٥.

(٢) في المطبوعة (عمرو)، والصواب ما أثبت عن أسد الغابة ٧/٢٨٩، وسير أعلام النبلاء ٢/٢٠٢، والمعارف ١٣٦.

(٣) في الأصل (أوليائك).

(٤) أخرج الحديث ابن سعد في الطبقات ٨/٦٢.

فَتَزَوَّجَهَا ﷺ فَكَانَتْ مِنْ أَفْضَلِ نِسَائِهِ[(١)]، تَزَوَّجَهَا النَّبِيّ ﷺ سَنَة أَرْبَع[(٢)]. قِيلَ: إِنَّ زَوْجَهَا أَبَا[(٣)] سَلَمَة لَمَّا مَاتَ قَالَ: اللهُمَّ اخْلُفْنِي فِي أَهْلِي بِخَيْر، فَخَلَفَه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَذَكَرَ فِي «حَاشِيَةِ الأَشْبَاهِ لِلْحَمَوِي» رَوَى الطَّبَرَانِي فِي «الكَبِيرِ» وَ«الأَوْسَطِ»: عَنْ أُمِّ سَلَمَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَلَفْظُه: قُلْتُ: يَا رَسُول اللَّهِ، المَرْأَةُ تَتَزَوَّجُ الزَوْجَيْنِ وَالثَّلاثَة وَالأَرْبَعَة فِي الدُّنْيَا ثُمَّ تَمُوتُ فَتَدْخُلُ الجَنَّةَ وَيَدْخُلُونَ مَعَهَا مِنْ يَكُونُ زَوْجُهَا مِنْهُمْ؟ قَالَ: «يَا أُمَّ سَلَمَة إِنَّهَا تُخَيَّرُ فَتَخْتَارُ أَحْسَنُهُمْ خُلُقاً فَتَقُول: أَيْ رَبِّ إِنَّ[(٤)] هَذَا كَانَ أَحْسَنَهُمْ مَعِي خُلُقاً فَزَوِّجْنِيه، يَا أُمَّ سَلَمَة ذَهَبَ حُسْنُ الخُلُقِ بِخَيْرِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ». وَذَكَرَ فِي «السِّيرَةِ»: لَمَّا تَزَوَّجَهَا[(٥)] النَّبِيُّ ﷺ أَسْكَنَهَا فِي بَيْتِ زَوْجَتِهِ أُمِّ المَسَاكِينِ، وَكَانَتْ قَدْ تُوفِّيتْ[(٦)] قَالَتْ أُمُّ سَلَمَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَوَجَدْتُ جَرَّةً فِيهَا شَيء مِنْ شَعِيرٍ، وَرَحى، وَبَرْمَة، وَقِدْراً، وَكَعْباً أَيْ ضَرْفاً مِنْ أَدِيم، فَطَحَنْتُ الشَّعِيرَ ثُمَّ عَصَدْتُهُ فِي البِرْمَةِ[(٧)] وَأَدَمْتُهُ مِنَ الكَعْبِ فَكَانَ ذَلِكَ طَعَامُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَطَعَامُ لَيْلَةِ عُرْسِهِ. وَتُوفِّيتْ أُمُّ سَلَمَة[(٨)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَنَة تِسْع وَخَمْسِينَ، وَقِيلَ: سَنَةَ سِتِّين، وَقِيلَ: سَنَة إِحْدَى وَسِتِّينَ، وَقِيلَ: اثْنَتَيْنِ وَسِتِّين، وَعُمْرُهَا أَرْبَعٍ وَثَمانُون[(٩)] سَنَة، وَصَلَّى عَلَيْهَا أَبُو هُرَيْرَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقِيل: سَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ، وَدَخَلَ قَبْرَهَا ابْنَاهَا وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ وَهْبِ بْنِ زَمْعَةَ وَهِي آخِر مَنْ مَاتَ مِنْ نِسَائِهِ ﷺ وَدُفِنَتْ بِالبَقِيعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

---

(١) في الأصل (نساءه).

(٢) في الأصل (أربعة)، وورد في أسد الغابة ٧/ بأن رسول الله ﷺ تزوجها سنة ثلاث.

(٣) في الأصل (أبي).

(٤) قال في هامش المطبوعة: قوله: «إن» زيادة من الناسخ في الأصل.

(٥) في الأصل (تزوج).

(٦) في الأصل (توفت).

(٧) في الأصل (البر).

(٨) قال الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢/٢١٠: (وبعضهم أرَّخ موتها في سنة تسع وخمسين فوهم أيضاً، والظاهر وفاتها في سنة إحدى وستين رضي الله عنها).

(٩) في الأصل (ثمانين).

[٣١]

أُمُّ المُؤْمِنِينَ زَيْنَبُ (*) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بِنْتُ جَحْشٍ بْنِ رِئَابٍ(١) بْنِ يَعْمُر(٢)، أُمُّهَا أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ عَمَّةُ رَسُول اللَّهِ ﷺ كَانَتْ مِنَ المُهَاجِرَاتِ، وَكَانَتِ امْرَأَةً قَصِيرَةً، وَكَانَتْ تُكَنَى أُمَّ الحَكَمِ، وَلَمَّا خَطَبَهَا رَسُول اللَّهِ ﷺ لِمَوْلاَهُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَأى مِنْهَا وَمِنْ أَهْلِهَا كَرَاهَة، ثُمَّ رَضُوا لِرِضَا اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِذَلِكَ، وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ»: إنَّ زَيْدَ بْنَ حَارِثَة بْنِ شَرَاحِيلِ(٣) بْنِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى مِنْ آلِ قُضَاعَة، وَأُمَّه(٤) قَدْ ذَهَبَتْ بِهِ إِلَى زِيَارَةِ أَخْوالِهِ فَمَرَّ بِهِ نَاسٌ مِنَ العَرَبِ فَسَبَوْهُ

(*) انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/٧١ ـ ٨٢، وطبقات خليفة ٣٣٢، وتاريخ مدينة دمشق ـ السيرة، والاستيعاب ٤/٣٠٦ ٣١١، وأسد الغابة ٧/١٢٥ ـ ١٢٧، والفصول في سيرة الرسول ١٨٠، والأربعين في مناقب أمهات المؤمنين ٤١ ـ ٤٤، وسير أعلام النبلاء ٢/٢١١، والإصابة ٤/٣٠٧ ـ ٣٠٨، والسيرة النبوية وعيون الأثر ٢/٣٨٦، والمعارف ١٣٥ ـ ١٣٦، وجمهرة أنساب العرب ١٩١، وأعلام النساء ٢/٥٩ ـ ٦٣

(١) في المطبوعة (رباب)، والتصويب عن الأربعين ص ٤٣، والاستيعاب ص ٣٠٩، والمعارف ص ١٣٥.

(٢) تتمة نسبها: ابْنِ صَبْرَة بْنِ مُرَّة بْنِ كَثِيرِ بْنِ غَنَمِ بْنِ دُودَانِ بْنِ أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَة. انظر المعارف ١٣٥، وجمهرة أنساب العرب ١٩١.

(٣) في المطبوعة (شراحيل)، والتصويب عن الاستيعاب ١/٥٢٥، والأربعين ٤٣، والإصابة ١/٥٤٥، وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ص ٥٢٦: (وكان ابن إسحاق يقول: زيد بن حارثة بن شرحيل ولم يتابع على قوله شرحبيل، وإنما هو شراحيل).

(٤) أمّ زَيْد: سُعْدَى بِنْتُ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَبْدِ عَامِرِ بْنِ أَفْلَت من بني معن من طيء.
انظر: الاستيعاب ١/٥٢٥، والإصابة ١/٥٤٥.

وَبَاعُوه فِي سُوقِ عُكاظ فَاشْتَرَاهُ حَكِيمُ بْنُ حزَام[1] لِعَمَّتِهِ خَدِيجَة رَضِي اللَّهُ عَنْهَا فَوَهَبْتَهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ أَكْبَرَ مِنْهُ بِعَشْرِ سِنِين، وَلَمَّا فَقَدَهُ حَارِثَة قَالَ يَرْثِيهِ شعراً[2]:

بَكَيْتُ عَلَى زَيْـدٍ وَلَمْ أَدْرِ مَا فَعَـلْ ... أَحَيٌ يُرَجَّى[3] أَمْ أَتَى دُونَـه الأَجَـلُ
فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي، وَإِنْ كُنْتُ سَائِلًا ... أَغَالَكَ سَهْلُ الأَرْضِ أَمْ غَالَكَ الجَبَلُ
تُـذَكِّرنِيـه الشَّمْسُ عِنْـدَ طُلُوعِهَـا ... وَتُعْـرَضُ ذِكْـرَاهُ إِذَا قَـارَبَ الطَّفَـلُ
إِذَا هَبَّتِ الأَرْوَاحُ هَيَّجـنَ ذِكْـرَه ... فَيَا طُولَ مَا حزني عَلَيْـهِ وَيَا وَجَـلُ

وَتَبَنَّاه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَكَانَ يُقَالُ لَهُ، حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ لِقَوْلِهِ ﷺ «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ مَنْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتُ عَلَيْه» يَعْنِي زَيْداً. وَزَوَّجَهُ أَوَّلًا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَمَتَهُ أُمَّ أَيْمَن فَوَلَدَتْ لَهُ أُسَامَة، وَلَمَّا تُوفِّيتْ[4] أُمُّ أَيْمَن زَوَّجَهُ

---

(١) هو: حكيم بن حزام بن خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي القرشي الأسلمي ـ يكنى أبا خالد. انظر: الاستيعاب ١/٣١٩ ـ ٣٢٠، والإصابة ١/٣٤٨ ـ ٣٤٩.

(٢) وردت الأبيات في الاستيعاب ١/٥٢٧ من قصيدة عدد أبياتها ثمانية أبيات، وقد ورد بعد البيت الثاني بيت، وبعد البيت الأخير ثلاثة أبيات، كما ورد البيت الأول في الإصابة ١/٥٤٥، وقال ابن حجر: إن أباه قال هذا البيت من أبيات يقول فيها:

أوصى بـه عمـراً وقيسـاً كليهمـا ... وأوصى يـزيـداً ثم بـعـدهـم جبـل

يعني بعمرو وقيس أخويه، وبيزيد أخا زيد لأمه، وهو يزيد بن كعب بن شراحيل، وبجبل ولده الأكبر. وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ١/٥٢٧، وابن حجر في الإصابة ١/٥٤٥: فحج ناس من كلب فرأوا زيداً فعرفهم وعرفوه، فقال لهم: أبلغوا أهلي هذه الأبيات فإني أعلم أنهم قد جزعوا عليّ، فقال أبيات منها:

أحن إلى قـومي وإن كنـت نـائيـاً ... فـإني قعيـد البيت عنـد المشـاعـرِ

وقد سبق ذكر الأبيات والقصة في ترجمة أم أيمن.

(٣) في الإصابة (فيرجى).

(٤) في الأصل (توفت).

ﷺ بِزَيْنَبَ بِنْتِ عَمَّتِهِ. وَرَوَى أَنَسٌ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِزَيْدٍ: اذْكُرْهَا عَلَيَّ. قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَيهَا فَجَعَلْتُ ظَهْرِي إِلَى البَابِ، فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ أَبْشِرِي إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ [أَرْسَلَ] (١) يَذْكُرُكِ. فَقَالَتْ: مَا أَنَا بِصَانِعَةٍ شَيْئاً حَتَّى أُوَامِرَ (٢) رَبِّي، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدِهَا، وَنَزَل القُرْآنُ ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا﴾ (٣).

وَفِي «المَعَالِمِ» (٤): أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ قَدِ اشْتَرَى زَيْداً وَأَعْتَقَهُ وَتَبَنَّاهُ، وَلَمَّا خَطَبَ لَهُ زَيْنَبَ ظَنَّتْ أَنَّهُ يَخْطِبُهَا لِنَفْسِهِ، فَلَمَّا عَلِمَتْ [أَنَّهُ يَخْطِبُهَا] (٥) لِزَيْدٍ أَبَتْ، وَقَالَتْ: أَنَا ابْنَةُ (٦) عَمَّتِكَ يَا رَسُول اللَّهِ فَلا أَرْضَاهُ لِنَفْسِي، وَكَانَتْ بَيْضَاء جَمِيلَة، فِيهَا حِدَّةٌ وَكِبْرَةٌ. كَذَلِكَ [كَرِهَ] (٧) أَخُوهَا عَبْد اللَّهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى قَوْلَه: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ﴾ يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ، ﴿وَلاَ مُؤْمِنَةٍ﴾ يَعْنِي زَيْنَبُ، ﴿إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْراً﴾ وَهُو نِكَاحُ زَيْد، ﴿أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ (٨). فَلَمَّا سَمِعَا ذَلِكَ رَضِيَا، وَجَعَلَتْ أَمْرَهَا بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ فَأَنْكَحَهَا زَيْداً، وَسَاقَ رَسُولُ اللَّهِ مَهْرَهَا عَشْرَةَ دَنَانِيرٍ وَسِتِّينَ دِرْهَماً (٩) وَخِمَاراً، وَدِرْعاً، وَإِزَاراً، وَمَلْحَفَةً،

---

(١) الزيادة عن سير الأعلام ٢/٢١٧

(٢) في المطبوعة (أوامر)، وقال في هامش المطبوعة: (في الأصل «أوحد»، والتصويب عن مهذب الروضة). وما أثبته عن أسد الغابة ٧/١٢٥.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ٣٧.

(٤) انظر معالم التنزيل ٣/٥٣٠.

(٥) الزيادة عن معالم التنزيل ٣/٥٣٠.

(٦) في الأصل (انبت).

(٧) الزيادة عن المعالم ٣/٥٣٠.

(٨) سورة الأحزاب، الآية - ٣٦ وقال في هامش المطبوعة: (*مؤمن: يعني عبد الله ابن جحش * مؤمنة: يعني زينب * أمراً: وهو نكاح زيد. هذه الزيادة وردت في الأصل فاصلة بين ألفاظ الآية، وقد استكرهنا إدخال كلام المخلوق في كلام الخالق فأثبتنا ما رأيت).

(٩) قال في هامش المطبوعة: («درهم» وما تلاها في الأصل، جاءت غير منصوبة، وحقها النصب، وقد صوبنا كل ما حقه النصب دون الإشارة إليه منعاً للإثقال.

وَخَمْسِينَ مُدّاً مِنْ طَعَامٍ ، وَثَلاثِينَ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ ، وَدَخَلَ عَلَيْهَا زَيْدٌ وَمَكَثَ عِنْدَهُ حِيناً ثُمّ أَتَى زَيْدٌ قَالَ لَهُ : «مَا لَكَ، أَرَابَكَ مِنْهَا شَيء؟» قَالَ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْهَا إِلاَّ خَيْراً، وَلَكِنَّهَا تَتَعَظَّمُ عَلَيَّ لِشَرَفِهَا، وَتُؤْذِينِي بِلِسَانِهَا . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ : أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ، وَاتَّقِ اللَّهَ، ثُمّ طَلَّقَهَا زَيْدٌ(١) فَنزَلَ جِبْرَائِيلُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بِالإِسْلامِ ، ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي(٢)

---

(١) قال محققا كتاب «معالم التنزيل»: ص ٥٣١/٣ «الرواية التي يذكرها الإمام البغوي وغيره من المفسرين ليس لها إسناد صحيح، وهي تقول على النبي ﷺ فيما فعل تصرف في أمر ابنة عمته زينب بنت جحش التي زوَّجها ـ عليه الصلاة والسلام ـ لزيد الذي تبناه قبل النبوة، وهي منقوضة من جوانب عدة منها: أن النبي ﷺ لم يكن جاهلاً، بجمال ابنة عمته زينب، فقد كان يعرفها حق المعرفة أيام مكة في الجاهلية حيث لم يكن هناك حجاب للنساء، فلو كان حقاً معجباً بها لخطبها أولاً لنفسه، وليس هناك ما يمنعه من ذلك،بل كانت زينب نفسها وأخوها يظنان أنه يخطبها لنفسه، فلما علما أنه يخطبها لزيد عارضا في ذلك، فأنزل الله تعالى في حقهما قوله الكريم: ﴿وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخيرة من أمرهم﴾ فرضيا وسلما، وتزوجها زيد. وحاشاه عليه الصلاة والسلام أن يقع في نفسه الشريفة حب زوجة متبناه الذي كان يراه كولده، وإذا كان الآباء يأنفون ـ من ذلك، فكيف يصح أن ينسب إلى النبي ﷺ والله تعالى قد عصمه في خواطره وأفعاله؟!! . . وعلى هذا . . فإن هذه الرواية تتضمن تقولاً على مقام النبوة بما لا يليق بعصمتها ومكانتها عقيدة وشريعة. وكان الأولى بالإمام البغوي أن يضرب صفحاً عن مثل هذه الأخبار الباطلة. ولقد تعرض الحافظ ابن حجر في كتابه «فتح الباري» ٥٢٣/١ ـ ٥٢٤ لهذا الموضوع، وساق الروايات التي وردت في سبب نزول هذه الآية الكريمة: ﴿وتخفي في نفسك ما الله مبديه﴾ ولم يورد شيئاً من مثل رواية البغوي هذه، وإنما قال بعد أن ساق روايات متعددة: «والذي منها هو المعتمد. والحاصل: أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه، وأراد الله إبطال ما كان من أمر الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ ـ في إبطاله منه، وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابناً، ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعى لقبولهم، وإنما وقع الخبط في تأويل متعلق الخشية والله أعلم».

(٢) في الأصل (يخفى).

فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾[1] إِلَى ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا﴾ فَتَزَوَّجَهَا، ﷺ سَنَةَ خَمْسٍ، وَأَوْلَمَ عَلَيْهَا بِشَاةٍ، وَقَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَتْ زَيْنَبُ تَفْخَرُ عَلَى زَوْجَاتِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ أَهَالِيكُنَّ وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمَاوَاتٍ[2] وَقَالَ أَيْضاً: مَا أَوْلَمَ عَلَى امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ مَا أَوْلَمَ عَلَى زَيْنَب، أَطْعَمَهُمْ خُبْزاً وَلَحماً حَتَّى تَرَكُوه، وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَتْ زَيْنَبُ هِيَ الَّتِي تُسَامِينِي مِنْ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ، فَعَصَمَهَا اللَّهُ بِالوَرَعِ وَلَمْ أَرَ[3] امْرَأَةً أَكْثَرَ خَيْراً، وَصَدَقَة، وَأَوْصَلَ رحِماً، وَأَبْذَلَ نَفْساً[4]، فِي كُلِّ شَيْءٍ تَتَقَرَّبُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مِنْ زَيْنَب. وَيُرْوَى: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «إِنَّ زَيْنَبَ أَوَّاهَةٌ» فَقَالَ رَجُلٌ: مَا الأَوَّاهُ يَا رَسُول اللَّهِ؟ فَقَالَ: «الخَاشِعُ المُتَضَرِّعُ». وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قَالَ ﷺ يَوْماً لِنِسَائِهِ: «أَسْرَعُكُنَّ لَحَاقاً بِي أَطْوَلُكُنَّ يَداً»[5]. قَالَتْ: فَكُنَّا نَتَطَاوَلُ بَعْدَهُ فِي الحَائِطِ، حَتَّى تُوفِّيَتْ زَيْنَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَلَمْ تَكُنْ أَطْوَلَ يَداً. فَعَرَفْنَا أَنَّهُ أَرَادَ بِطُولِ اليَدِ الصَّدَقَةَ وَكَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدِهَا، أَيْ الدَّبْغُ، وَتَتَصَدَّقُ. وَعَنْ بَرْزَةَ بِنْتِ رَافِع قَالَتْ: لَمَّا جَاءَ العَطَاءُ بَعَثَ عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى زَيْنَب بِالَّذِي لَهَا. قَالَتْ: غَفَرَ اللَّهُ لِعُمَر غَيْرِي مِنْ أَخَوَاتِي كَانَ أَقْوَى عَلَى قسمِ هَذَا مِنِّي. قَالُوا: هَذَا كُلُّهُ لَكِ؟ قَالَتْ: سُبْحَان اللَّهِ، وَاسْتَتَرَتْ دُونَهُ بِثَوْبٍ، وَقَالَتْ: صُبُّوه وَاطْرَحُوا عَلَيْهِ ثَوْباً فَفَعَلُوا فَقَالَتْ: أَدْخِلِي يَدَكِ وَاقْبِضِي قَبْضَةً لِآلِ فُلَانٍ فَقَسَّمَتْهُ حَتَّى بَقِيَتْ مِنْهُ بَقِيَةٌ، فَقُلْتُ: غَفَرَ اللَّهُ لَكِ، لَقَدْ كَانَ لَنَا حَظٌّ فِي هَذَا المَال. قَالَتْ: فَلَكُمْ مَا تَحْتَ الثَّوْبِ فَعَرَفْنَاهُ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ـ ٣٧، وقال في هامش المطبوعة: (أنعم الله عليه: بالإسلام * وأنعمت عليه: بالعتق * «يخفي» في الأصل).

(٢) أخرجه البخاري في التوحيد، باب ـ وكان عرشه على الماء، من طريق أنس.

(٣) في الأصل (أرى).

(٤) في الأصل (نفسها).

(٥) ورد الحديث في سير الأعلام للذهبي ٢/٢١٣، وأخرجه البخاري رقم(...) وأخرجه مسلم رقم (٢٤٥٢) في فضائل الصحابة، باب ـ من فضائل زينب أم المؤمنين.

فَوَجَدْنَا «خَمْسَةً» (١) وَثَمَانِينَ دِرْهَماً (٢) ثُمَّ رَفَعَتْ يَدَهَا فَقَالَتْ: اللهُمَّ لاَ يُدْرِكْنِي عَطَاءٌ لِعُمَر بَعْدَ عَامِي هَذَا. فَمَاتَتْ فِي عَامِهَا، وَلَمَّا تَزَوَّجَ ﷺ بِزَيْنَبَ، قَالَ الْمُنَافِقُونَ: تَزَوَّجَ مُحَمَّدٌ زَوْجَةَ ابْنِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ قَوْلَهُ تَعَالى: ﴿مَّا كَانَ مُحمدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ﴾ (٣) وَقِيلَ: قَوْلُه تَعَالى: ﴿ادْعُوهُمْ لآبَائِهِمْ...﴾ (٤) فَكَانُوا يَقُولُونَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، كَذَا فِي السِّيرَةِ وَقَالَ النَوَوِي: أَجْمَعَ أَهْلُ السِّيَرِ عَلَى أَنَّ زَيْنَبَ أَوَّلُ مَنْ مَاتَ مِنْ نِسَائِهِ (٥) ﷺ وَقِيلَ: إِنَّ سَوْدَة مَاتَتْ قَبْلَهَا وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «الدُّرِّ المَكْنُونِ»: كَانَتْ تَفْخَرُ عَلَى نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ تَقُولُ: أَنَا خَيْرُهُنَّ مَنْكَحاً، وَأَكْرَمُهُنَّ سَفِيراً، زَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمٰوَاتٍ وَكَانَ السَّفِيرُ بِذَلِكَ جِبْرَائِيل، وَأَنَا ابْنَةُ (٦) عَمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَيْسَ لَهُ مِنْ نِسَائِهِ قَرِيبَةٌ (٧) غَيْرِي. وَذَكَرَ الفَقِيهُ أَبُو الليثِ فِي كِتَابِهِ «البُسْتَانِ»: إِنَّ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ كانَتِ امْرَأَةَ [زيد](٨) ابْن حَارِثَة وَيُقَالُ لَهَا: أُمُّ المَسَاكِين لَسَخَاوَتِها، وَهِي أَوَّلُ مَنْ مَاتَ مِنْ نِسَائِهِ ﷺ بَعْدَهُ(٩). وَتُوفِّيَتْ زَيْنَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَنَة عِشْرِين عَامَ فُتِحَتْ مِصْر، وَقِيلَ: سَنَة إِحْدَى وَعِشْرِين وَلَهَا مِنَ العُمْرِ ثَلاَث وَخَمْسُون سَنَة، وَقِيلَ: إِنَّهَا غَيْرُ أُمِّ المَسَاكِينِ كَما مَرَّ. وَاللَّهُ أَعْلَم.

---

(١) في المطبوعة (خمس).

(٢) في الأصل (درهم).

(٣) سورة الأحزاب، الآية - ٤٠.

(٤) سورة الأحزاب، الآية - ٥.

(٥) قال هبةُ الله بن عساكر في كتاب «الأربعين» ص ٤٤: (إنَّ زَيْنَبُ أَوَّلُ ازواجه مَوْتاً أي بعده ﷺ وَدُفِنَتْ بالبقيع، وصلَّى عليها عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه). وقال ابنُ قتيبة في المعارف ص ١٣٦: (هي أَوَّلُ من ماتَ من أزواجه بعد وفاته في خلافة عمر، وهي أَوَّلُ من حُمِلَ في نعشٍ - وكانت خليقة - فلما رأى عمر النَّعش قال: «نِعْمَ خِبَاءُ الظَّعِينَةِ».

(٦) في الأصل (ابنت).

(٧) في الأصل (قرينة).

[٣٢]

أُمُّ المُؤْمِنِينَ صَفِيَّةُ* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بِنْتُ حَيَيِّ (١) بْنِ أَخْطَب سَيدُ بَنِي النَّضِير، قَتَلَهُ النَّبِيّ ﷺ مَعَ بَنِي قُرَيْظَة، وَسَبى صَفِيَّةَ يَوْمَ خَيْبَر، وَكَانَتْ عِنْدَ سَلام بْنِ مِشْكَم، وَكَانَ شَاعِراً ثُمَّ خلف عَلَيْهَا كِنَانَةَ بْنَ [الرَّبِيعِ بْنِ](٢) أَبِي الحُقَيْقِ، وَكَانَ(٣) أَيْضاً شَاعِراً، وَكَانَ اسْمُهَا زَيْنَب فَلَمَّا تَزَوَّجهَا، ﷺ سَمَّاهَا صَفِيـة، وَلَمَّا تَـوَجَّه النَّبِيّ، ﷺ إِلَى فَتْحِ خَيْبَرِ فَـابْتَدَأَ(٤) بِحُصُونِ(٥) النَّطَاةِ، وَفَتَحَ مِنْهَا(٦) حِصْنُ نَاعِم، ثُمَّ حِصْنُ الصَّعْب، ثُمَّ حِصْنُ قَلَّة ثُمَّ حِصْنُ القَمُوصِ وَمِنْهُ سُبِيَتْ صَفِيَّةُ ثُمَّ حِصْنُ الوَطِيح، ثُمَّ حِصْنُ السَّلالِم، وَلَمَّا جُمِعَ السَّبي جَاءَ دِحْيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: أَعْطِنِي جَارِيَةً مِنْ السَّبِي: فَقَالَ لَهُ

(*) هي صَفِيَّةُ بِنْتُ حَيَيِّ بْنِ أَخْطَبِ بْنِ سَعْيَة بْنِ ثَعْلَبَة بْنِ عُبَيدِ بْنِ كَعْبِ بْنِ الخَزْرَجِ ابْنِ أَبِي حَبِيبِ بْنِ النَّضِيرِ بْنِ النَّحَّامِ بْنِ نَاخوم - وَقِيلَ: يَنْحُوم، من سبط هـارون، وأمها: بَـرَّةُ بِنْتُ سَمَوْأَل أخت رِفَاعَة.

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/٨٦ - ٩٢، والاستيعاب ٤/٣٣٧ - ٣٣٩، وتاريخ مدينة دمشق - السيرة، أسد الغابة ٧/١٦٩ - ١٧١، وسير أعلام النبلاء ٢/٢٣١، والإصابـة ٤/٣٣٧ - ٣٣٩، والأربعين في مناقب أمهات المؤمنين ٤٥، والوفيات ٣٥، والمعارف ١٣٨، ٢١٥، والسيرة لابن هشام، وعيون الأثر ٢/٣٩٠، والفصول في سيرة الرسول ١١٦، ١٨١. وأعلام النساء ٢/٣٣٣ - ٣٣٦.

(١) في الأصل (يحيى)، والصواب ما أثبت عن الأربعين ص ٤٥، وكذا بجميع كتب التراجم المتقدمة.

(٢) الزيـادة عن الأربعين ص ٤٥.

(٣) في الأصل (كانت).

(٤) في الأصل (فابتدء).

(٥) قال في هامش المطبوعة: (في الأصل «يحصن بحصون»، والصواب ما أثبتنا بالرجوع إلى مهذب الروضة).

(٦) في الأصل (منه).

ﷺ «اذْهَبْ فَخُذْ جارِيَةً»، فَذَهَبَ وأَخَذَ صَفِيَّة، فَقِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّها سَيِّدَةُ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِير فَمَا تَصْلُحُ إِلاَّ لَكَ! فَقَالَ ﷺ «خُذْ غَيْرَها»[1]. وَاصْطَفَاها ﷺ لِنَفْسِهِ، ثُمَّ أَعْتَقَهَا، وَجعَلَ عِتْقَهَا صَداقَهَا، وَحَجَبَهَا وَأَوْلَمَ عَلَيْهَا بِتَمْرٍ وَسُوِيْق وَقَسَّمَ لَهَا وَصَارَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ سَبع[2]، وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ» أَنَّهُ ﷺ دَخَلَ يَوْماً عَلَى صَفِيَّة وَهِي تَبْكِي فَقَالَ: «مَا لَكِ؟» قَالَتْ: «عَائِشَةُ وَحَفْصَةُ تَنَالاَنِ مِنِّي، وَتَقُولاَنِ: نَحْنُ خَيْرٌ مِنْكِ، نَحْنُ بَنَاتُ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ وَأَزْوَاجُه. فَقَالَ لَهَا: «أَلاَ قُلْتِ لَهُمَا كَيْفَ تَكُنَّ خَيْراً مِنِّي وَأَبِي هَارُون وَعَمِّي مُوسَى وَزَوْجِي مُحَمَّد»[3] وَكَانَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَاقِلَةً، فَاضِلَةً، حَلِيمَةً، وَذُكِرَ فِي «المَصَابِيح»: قَالَ أَنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدْ بَلَغَ صَفِيَّةَ أَنَّ حَفْصَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: بِنْتُ يَهُودِيٍّ، فَبَكَتْ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهِي تَبْكِي فَقَالَ[4]: مَا يُبْكِيكِ؟ فَقَالَتْ: قَالَتْ لِي حَفْصَةُ: إِنِّي بِنْتُ يَهُودِيٍّ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ «إِنَّكِ لاَبْنَةُ نَبيٍّ[5]، أي اسْحَاق عليه السلام وَإِنَّ عَمَّكِ لَنَبِيٌّ، يَعْنِي إِسْمَاعِيل عليه السلام وَإِنَّكِ لَتَحْتَ نَبِيٍّ فَبِمَ[6] تَفْخَرُ عَلَيْكِ»؟ ثُمَّ قَالَ: اتَّقِي اللَّهَ يَا حَفْصَةُ[7] (*).

وَمِنْ كَمَالِ فَضْلِهَا مَا ذَكَرَهُ أَهْلُ السِّيَرِ، أَنَّ جَارِيَةً لَهَا جَاءَتْ لِعُمَرَ، رَضِي

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/٣٣٨.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/٣٣٨.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٨٩٢) في المناقب.

(*) انظر المصابيح ص ٤/٢٠٣.

(٤) في المطبوعة (قال)، وما أثبت عن «المصابيح» ٤/٢٠٣.

(٥) في الأصل (لا بنت).

(٦) في المطبوعة (ففيم)، وما أثبت عن «المصابيح» ٤/٢٠٣.

(٧) انظر «مصابيح السنة» ٤/٢٠٣، كتاب المناقب (٢٨)، باب ـ مناقب أزواج النبي ﷺ ـ (١١)، الحديث رقم (٤٨٥٢)، والحديث أخرجه أحمد في مسنده ٣/١٣٥ ـ ١٣٦، والترمذي في سننه ٥/٧٠٩، كتاب المناقب (٥٠)، باب ـ فضل أزواج النبي ﷺ. (٦٤)، الحديث (٣٨٩٤) واللفظ لهما، وقال الترمذي: (حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه).

(*) الحديث أخرجه أحمد في مسنده ٣/١٣٥ ـ ١٣٦، وأخرجه الترمذي في السنن رقم (٣٨٩٤) في كتاب المناقب، باب ـ فضل أزواج النبي ﷺ، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، وأخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب المعرفة، باب فضائل صفية من النسب.

الله عنه، فقالت : إن صفية تحب [1] السبت وتصل اليهود. فبعث إليها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَأَلَهَا، فَقَالَتْ: أَمَّا السَّبْتُ فَإِنِّي لَا أُحِبُّه مُنْذُ أَبْدَلَنِي اللَّهُ بِهِ الْجُمْعَةَ، وَأَمَّا الْيَهُودَ فَإِنَّ لِي فِيهِمْ رَحِماً فَأَنَا أَصِلُهَا، ثُمَّ قَالَتْ لِلْجَارِيَةِ: مَا حَمَلَكِ عَلَى مَا صَنَعْتِ؟ قَالَتِ: الشَّيْطَانُ: قَالَتْ: اذْهَبِي فَأَنْتِ حُرَّة [2] . وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ [3] النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِصَفِيَّة يَوْمَ خَيْبَر وَقَدْ قُتِلَ أَبُوهَا وَزَوْجُهَا، فَقَالَ لِبِلَالٍ: خُذْ بِيَدِ صَفِيَّة. فَأَخَذَ بِيَدِهَا بَيْنَ الْقَتْلَى. فَكَرِهَ ذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى رُؤِيَ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَامَ فَدَخَلَ عَلَيْهَا فَنَزَعَتْ شَيْئاً كَانَ تَحْتَهَا فَأَلْقَتْهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ثم اصطفاها ﷺ لِنَفْسِهِ فَأَسْلَمَتْ وأعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها، وَذُكِرَ فِي «شرح ذَاتِ الشِّفَاءِ»: أَنَّ صَفِيَّة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَ اسْمُهَا زَيْنَبُ، فَلَمَّا صَارَتْ مِنْ صَفي رَسُولِ اللَّهِ سُمِّيتْ صَفِية، وَالصَّفِيْ مَا كَانَ يَصْطَفِيهِ لِنَفْسِهِ ﷺ مِنَ الغنيمة قَبْلَ أَنْ تُقسَمَ وَيُرْوَى أنَّه ﷺ رَأَى فِي وَجْهِهَا أَثَراً فسألها عَنْهُ، فَقَالَتْ: رَأَيْتُ أَنَّ القمرَ دُفِعَ فِي حِجْرِي، فَذَكَرْتُ لأَبِي أَوْ لِزَوْجِي كِنَانَة، فَضَرَبَ وَجْهِي ضَرْبَةً أَثَّرَتْ فِيهِ ذَلِكَ الأَثَرَ، وَقَالَ: لَتَمدِّين عُنقَكِ إِلَى أَنْ تَكُونِي عِنْدَ مَلِكِ العَرَب.

وَتُوفِّيتْ صَفِيَّةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَة خَمْسٍ وَخَمْسِينَ، أَوْ اثْنَتَيْنِ [4] وَخَمْسِينَ فِي خِلَافَةِ مُعَاوِيَة [5] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَدُفِنَتْ بِالبَقِيعِ، وَتَرَكَتْ مَالاً قِيمَتُهُ أَلْفَ دِرْهَم مِنْ أَرْضٍ وَعَرَضٍ، وَأَوْصَتْ لابْنِ أُخْتِهَا، وَقِيلَ: ابْنُ أَخِيهَا، وَكَانَ يَهُودِيًّا، بِثَلَاثِينَ أَلْفاً، أَوْ بِثُلُثِ مَا تَرَكَتْ.

---

(١) في الأصل (مكررة).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/ ٣٣٩.

(٣) في الأصل (إنه).

(٤) في الأصل (ثنتين).

(٥) اختلف في تاريخ وفاتها، فقال ابن منقذ في كتاب «الوفيات» ص ٣٥ إنها توفيت سنة خمسين، وقال ابن قتيبة في «المعارف» ص ١٣٨: إنها توفيت سنة ست وثلاثين، وكذا في أسد الغابة ٧/ ١٧١، وفيه أيضاً وقيل: سنة خمسين.

[٣٣]

أُمُّ المُؤْمِنِين جُوَيْرِيَةُ* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

اسْمُهَا بَرَّةُ بِنْتُ الحَارِثِ بْنِ(١) أَبِي ضِرَارٍ(٢) المُصْطَلقي. تَزَوَّجَهَا ﷺ سَنَة سِتٍ(٣)، وَقِيلَ: سَنَة خَمْسٍ. وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ مُسَافِعِ بْنِ صَفْوَانِ المُصْطَلقي (٤) فَسَبَاهَا ﷺ فِي غَزْوَةِ بَنِي المُصْطَلِقِ، فَوَقَعَتْ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ فَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا، فَأَدَّى ﷺ كِتَابَتَها وَتَزَوَّجَها وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «الدُّر المَكْنُون»: أَنَّ غَزْوَةَ بَنِي المُصْطَلق كَانَتْ سَنَة سِت، وَمِمَّنْ سُبِي مِنْهُمْ: بَرَّةُ بِنْتُ الحَارِثِ فَوقَعَتْ فِي سَهْمِ ثَابِت، فَطَلَبَ مِنْهَا الْفِدْيَةَ تِسْع أَوَاقٍ مِنْ الذَّهَبِ، فَجَاءَتْ بَرَّةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَتْ: إِنِّي أَسْلَمْتُ، وَإِنِّي بَرَّةُ بِنْتُ الحَارِثِ سَيِّد قَوْمه، وَكَاتَبَنِي ثَابِت عَلَى مَا لاَ أُطِيقه،

(*) انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/٨٣ ـ ٨٥، وطبقات خليفة ٣٤٢، والاستيعاب ٤/٢٥١ ـ ٢٥٤ تاريخ مدينة دمشق، السيرة، أسد الغابة ٧/٥٦ ـ ٥٨، سير أعلام النبلاء ٢/٢٦١، الإصابة ٤/٢٥٧، والمعارف ١٣٨ ـ ١٣٩، جمهرة أنساب العرب ٢٣٩، الوفيات ٣٥، الأربعين في مناقب أمهات المؤمنين ٤٣، والسيرة لابن هشام، وعيون الأثر ٢/٣٨٧، وأعلام النساء ١/٢٢٧، الفصول في سيرة الرسول ١٠٧، ١٨٠.

(١) في المطبوعة (من)، والصواب ما أثبت.

(٢) واسم أبي ضِرَار: حَبِيبُ بْنُ الحَارِثِ بْنِ عَائِذِ بْنِ مَالِكِ بْنِ جَذِيمَة. انظر: جمهرة أنساب العرب ٢٣٩.

(٣) قال في هامش المطبوعة: («ستة» في الأصل، وقد أخطأ الناسخ مراراً بكتابتها، ولن أشير إلى ذلك هنا مرة ثانية).

(٤) كذا في أسد الغابة، وفي طبقات ابن سعد ٨/٨٣: أن جويرية كانت تحت ابن عم لها يُقَالُ لَه: صَفْوَانُ بْنُ مَالكِ بْنِ جَذِيمَة ذو الشُّفْر فَقُتِلَ عَنْهَا.

وإني رجوت فأعني. فقال لها: أو خير من ذلك؟ قالت: ما هو؟ قال: «أودي عَنْكِ كِتابَتَكِ وَأتزوجكِ». قَالَتْ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ فَعلْتَ فَأَرْسَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى ثَابِتِ فَطَلَبَهَا مِنْهُ، فَقَالَ: وَهِيَ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَأَدَّى رَسُولُ اللَّه ﷺ مَا كَانَ كَاتَبَهَا عَلَيْهِ وَتَزَوَّجَهَا ﷺ وَهِيَ بِنْتُ عِشْرِين سَنَة. وَسَمَّاهَا جُوَيْرِيَة، وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ»: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَتْ جُوَيْرِيَةُ عَلَيْهَا مَلاحَةٌ وَحَلاوَةٌ لاَ يَكَادُ يَرَاهَا أَحَدٌ إِلاَّ أَحَبَّهَا وَوَقَعَتْ فِي نَفْسِهِ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ تَسْتَعِينَهُ فِي كِتَابَتِهَا، فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلاَّ أَنْ رَأَيْتُهَا عَلَى بَابِ الحُجْرَةِ فَكَرِهْتُهَا وَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَرَى مِنْهَا مَا رَأَيْتُ. فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الحَارِثِ سَيِّدِ قَوْمِهِ، وَقَدْ أَصَابَنِي مِنَ الأَمْرِ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ[1]، فَوَقَعْتُ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ[2] أَوْ لاِبْنِ عَمٍّ لَهُ، فَكَاتَبْتُهُ عَلَى نَفْسِي وَجِئْتُكَ أَسْتَعِينُكَ! فَقَالَ لَهَا: «فَهَلْ لَكِ فِي خَيْرٍ مِنْ ذَلِكَ؟» قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَقْضِي كِتَابَكِ وَأَتَزَوَّجُكِ»! قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «قَدْ فَعَلْتُ»[3] وَخَرَجَ الخَبَرُ إِلَى النَّاسِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ[4] تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَة بِنْتَ الحَارِثِ، فَقَالَ النَّاسُ: صُهَرَاءُ رَسُولِ اللَّهِ يَسْتَرِقُّونَ؟ فَأَعْتَقُوا مَا بِأَيْدِيهِمْ مِنْ سَبَايَا بَنِي المُصطَلق فَلاَ يُعْلَمُ امْرَأَةٌ كَانَتْ أَعْظَمُ بَرَكَةً مِنْهَا عَلَى قَوْمِهَا، وَرُوِيَ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ[5]: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا أُسَبِّحُ ثُمَّ انْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ وَرَجَعَ قَرِيباً مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ فَقَالَ: «مَا زِلْتِ عَلَى الحَالَةِ الَّتِي فَارَقْتُكِ عَلَيْهَا؟» قَالَتْ: نَعَمْ، فَقَالَ: أَلاَ أُعَلِّمُكِ

---

(١) قال ابن كثير في كتاب «الفُصُول» ص ١٠٦: غزا ﷺ بَنِي المُصْطَلِق مِن خُزَاعَة في شعبان من السَّنةِ السادسةِ، وقِيلَ: كانت في شعبان سنة خمس، والأول أصح وهو قول ابن إسحاق وغيره.

(٢) هو: ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسِ الأنصارِي. انظر طبقات ابن سعد ٨٣/٨.

(٣) أخرجه ابن سعد في الطبقات ٨٣/٨، وابن عبد البر في الاستيعاب ٢٥٢/٤، وابن الأثير في أسد الغابة ٥٧/٧، وابن هشام في السيرة.

(٤) في الأصل (عليه وسلم).

(٥) أخرجه مسلم رقم (٢٧٢٦) كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب ـ التسبيح أول النهار وعند النوم. وأحمد ٣٢٤/٦، ٣٢٧، ٤٢٩، ٤٣٠، وأخرجه ابن سعد في الطبقات ٨٥/٨، وابن الأثير في أسد الغابة ٥٧/٧ ـ ٥٨.

كَلِمَاتٍ لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ مُنْذُ الْيَوْمِ لَوَزَنَتْهُنَّ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ رِضَا نَفْسِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ زِنَةَ عَرْشِهِ، سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ مِدَادَ كَلِمَاتِهِ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» أَخْرَجَهُ مُسْلِم. وَتُوُفِّيَتْ جُوَيْرِيَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا سَنَةَ خَمْسِين، وَهِيَ بِنْتُ سِتٍّ وَسِتِّينَ سَنَة، وَقِيلَ: مَاتَتْ سَنَةَ سِتٍّ وَخَمْسِينَ، وَقَدْ بَلَغَتْ سَبْعِين، وَقِيلَ: خَمْسٍ وَسِتِّينَ، وَرُوِيَ: أَنَّهُ اشْتَرَاهَا مِنْ ثَابِت وَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا، وَأَصْدَقَهَا أَرْبَعمائَةِ دِرْهَم.

[٣٤]

أُمُّ المُؤمِنِينَ مَيْمُونَةُ* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بِنْتُ الحَارِثِ بْنِ حَزْنٍ[١] مِنْ بَنِي هِلَالٍ، وَذَكَرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ» قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا فَرَغَ ﷺ مِنْ خَيْبَرَ تَوَجَّهَ إِلَى مَكَّةَ مُعْتَمِراً سَنَةَ سَبْعٍ، وَقَدِمَ عَلَيْهِ مِن الحَبَشَةِ جَعْفَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَبَعَثَهُ إِلَى مَيْمُونَةَ فَخَطَبَهَا فَجَعَلَتْ أَمْرَهَا إِلَى العَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَزَوَّجَهَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَنَى بِهَا بِسَرِف[٢]، وَقِيلَ: إِنَّهَا بَلَغَهَا خِطْبَةُ النَّبِيِّ ﷺ لَهَا وَهِيَ عَلَى بَعِيرٍ فَقَالَتْ: البَعِيرُ وَمَا عَلَيْهِ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ. فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَامْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ [٣] وَقِيلَ: إِنَّ الَّتِي وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ أُمُّ شَرِيك غَزِيَّةُ[٤] بِنْتُ دُوْدَان[٥]. وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ لَمْ يَدْخُلْ بِهَا.

(*) انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/٩٤ ـ ١٠٠، والاستيعاب ٤/٣٩١ ـ ٣٩٥، وتاريخ مدينة دمشق السيرة، وأسد الغابة ٧/٢٧٣ ـ ٢٧٤، وسير أعلام النبلاء ٢/٢٣٨، والإصابة ٤/٣٩٧ ـ ٣٩٩، والأربعين في مناقب أمهات المؤمنين ٤٦ ـ ٤٧، والمعارف ١٣٧، وجمهرة أنساب العرب ٢٧٤، والسيرة لابن هشام والفصول في سيرة الرسول ١٨٣ ـ ١٨٤، وعيون الأثر ٢/٣٩١، والوفيات ٣٧، وأعلام النساء ٥/١٣٨ ـ ١٤٠.

(١) تتمة نسبها: ابن بُجَيْر بْنِ هُـزَم بْنِ رُوَيْبَة بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ، وكانت تحت مَسْعُودِ بْنِ عَمْرُو بْنِ عَبْدِ نَائِلِ الثَّقَفِي في الجاهلية، وفارقها ثم خلف عليها أَبُو رُهْمِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى بْنِ أَبِي قَيْسِ بْنِ عَبْدِ وُدٍ، فَتُوفي عنها، فتزوَّجَهَا النبي ﷺ.

(٢) قال الذهبي في سير الأعلام ٢/٢٣٩: أظنه المكان المعروف بأبي عروة، وقال ابن قتيبة في المعارف ١٣٧: وسَرِف: على عشرة أميال من مكة.

(٣) سورة الأحزاب، الآية ـ ٥٠.

(٤) في المطبوعة (غذية) والصواب ما أثبت عن طبقات ابن سعد ٨/١١٠، والاستيعاب ٤/٤٤٥.

(٥) هي: أم شريك القرشية العامرية، اسمها: غَزِيَّةُ بِنْتُ دُوْدَان بْنِ عَوْفِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَامِرِ بْنِ رَوَاحَةَ بْنِ حَجَرٍ، وَيُقَالُ: حُجَيْرِ بْنِ عَبْدِ بْنِ مَعِيصِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ.

وَذَكَرَ فِي «المَعَالِمِ»[1] فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إن وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ﴾ قَالَ الشَّعبِي: هِي أُمُّ المَسَاكِين زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَة الهِلاَلِية[2]، وَقَالَ قَتَادَة: هِي مَيْمُونَةُ بِنْتُ الحَارِث، وَقَالَ الضَّحَاكُ وَمُقَاتِل: هِي أُمُّ شَرِيك[3] بِنْتُ جَابِرٍ مِنْ بَنِي أَسَد، وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْر: هِي خَوْلَة بِنْتُ حَكِيم[4].

وَتُوفِّيتْ مَيْمُونَةُ سَنَة إحْـدَى وَخَمْسِينَ، وَقِيلَ: سَنَـة سِتٍّ[5] وَسِتِّينَ[6]، وَصَلَّى عَلَيْهَا ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُمَا ابْنُ أُخْتِهَا لُبَابَة الكُبْرَى[7] أُمّ الفَضْل، واللَّهُ أَعْلَم.

---

* قال ابن سعد، وابن الأثير: هي غَزِيَّةُ بنتَ جَابِرِ بْنِ حَكِيم، وزاد ابن الأثير: هي غُزَيْلَةُ، وقال أبو عمر: هي أنصارية من بني النجار: والصواب غُزَيْـلَةُ. . . إن شاء الله.

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب: (يُقَالُ: إنّها التي وهبتْ نفسها للنَّبي ﷺ وَاخْتُلِفَ في ذلك، وقد ذكرها بعضهم في أزواج النَّبي ﷺ ولا يصح من ذلك شيء لكثرة الاضطراب فيه والله أعلم. وكانت عند أبي العكر بن سمي بن الحارث الأزدي ثم الدوسي فولدتْ له شريكاً، وقيل: إنَّ أمَّ شريك الأنصارية تزوَّجها رسول الله ﷺ ولم يدخلْ بها لأنه كره غَيْرَة نساء الأنصار).

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/١١٠ ـ ١١٢، والاستيعاب ٤/٤٤٥ ـ ٤٤٧، وأسد الغابة ٧/٢١١، والإصابة ٤/٤٤٦ ـ ٤٤٧.

(١) انظر معالم التنزيل ٣/٥٣٧.

(٢) في المطبوعة (الأنصارية)، وما أثبت عن المعالم ٣/٥٣٧.

(٣) في الأصل (شريك).

(٤) ستأتي ترجمتها بعد قليل.

(٥) قال في هامش المطبوعة: («سنة» مكررة في الأصل، و «ستة»، والصواب ما أثبتناه).

(٦) ذكر هِبَةُ اللَّهِ بْنِ عسَاكر في كتاب الأربعين ص ٤٦: (أنها تُوفِيتْ في سنة إحدى وستين في خلافة يَزيد بن معاوية كذا ذكره ابن سعد، وكان عمرها نحو ثمانين سنة، أو إحدى وثمانين، ودفنت بِسَرِف، في القبة التي بنى بها فيها رسول الله ﷺ كما أخبر بذلك، وقيل ماتت بمكة ونقلت إليها).

(٧) لُبَابَةُ الكُبْرَى هي: لُبَابَةُ بِنْتُ الحَارِثِ أُخْتُ مَيْمُونَة زَوْجُ النبي ﷺ وهي زَوْجُ العَبَّـاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَهِي أُمُّ الفَضْلِ، وعبد الله، ومعبد، وعبيد الله، وقُثَم، وعبد الرحمن وغيرهم . . . بني العباس. يُقَالُ: إنّها أَوّل امرأة أسلمتْ بعد خديجة، وكان النَّبي يزورها وَيَقِيلُ عندها. وروت عنه أحاديث كثيرة. وهي أخت لُبَابَة الصغرى أم خالد بن الوليد.

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/٢٠٢ ـ ٢٠٤، والاستيعاب ٤/٣٨٥ ـ ٣٨٧، وأسد الغابة ٧/٢٥٣ ـ ٢٥٤، والإصابة ٤/٣٨٥، ونسب قريش ص ٢٧.

[٣٥]

أُمُّ المُؤْمِنِينَ زَيْنَبُ* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

أُمُّ المَسَاكِينَ بِنْتُ خُزَيْمَةَ القَيْسِيَّةِ الهِلَالِيَّةِ، تَزَوَّجَهَا ﷺ عَلَى رَأْسِ وَاحِدٍ(١) وَثَلَاثِينَ شَهْراً مِنَ الهِجْرَةِ قَبْلَ غَزْوَةِ أُحُدٍ بِشَهْرٍ، وَكَانَتْ تَحْتَ الطُّفَيْلِ بْنِ الحَارِثِ، فَطَلَّقَهَا فَتَزَوَّجَهَا أَخُوهُ عُبَيْدَةُ، فَقُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ شَهِيداً، فَخَطَبَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَجَعَلَتْ أَمْرَهَا إِلَيْهِ فَتَزَوَّجَهَا ﷺ وَأَصْدَقَهَا اثْنَتِي عَشْرَةَ(٢) أُوقِيَةً، وَقِيلَ فِي رِوَايَةٍ: إِنَّهَا كَانَتْ تَحْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَحْشٍ، فَقُتِلَ عَنْهَا يَوْمَ أُحُدٍ فَتَزَوَّجَهَا ﷺ هَكَذَا ذَكَرَهُ فِي «المَوَاهِبِ» وَهُوَ الأَصَحُّ، وَكَذَا فِي «السِّيرَةِ الحَلَبِيَّةِ» وَهِيَ أُخْتُ مَيْمُونَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِأُمِّهَا مَكَثَتْ عِنْدَهُ ﷺ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ: شَهْرَيْنِ [وَتُوفِيَتْ](٣) وَقِيلَ: ثَلَاثَةً، وَذُكِرَ فِي «الحَلَبِيَّةِ» إنها سُمِّيَتْ أُمَّ المَسَاكِينِ لِأَنَّهَا كَانَتْ تُلَاحِظُهم وتعطفُ عليهم بالإحسانِ والصدقةِ.

وَذُكِرَ فِي «المَعَالِمِ»(٤) فِي تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ

(*) زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ بْنِ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ هِلَالِ بْنِ عَامِرٍ.
انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨٢/٨، والاستيعاب ٣٠٥/٤ ـ ٣٠٦، وتاريخ مدينة دمشق ـ السيرة، وأسد الغابة ١٢٩/٧، وسير أعلام النبلاء ٢١٨/٢، والإصابة ٣٠٩/٤ ـ ٣١٠، والمعارف ١٣٥ ـ ١٥٨، وجمهرة أنساب العرب ٢٧٤، والأربعين في مناقب أمهات المؤمنين ٤٤، وعيون الأثر ٣٨٥، والسيرة، وأعلام النساء.

(١) في الأصل (إحدى).

(٢) في الأصل (عشر).

(٣) الزيادة عن سير أعلام النبلاء ٢١٨/٢

(٤) انظر معالم التنزيل ٥٣٧/٣.

نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾[1] قَالَ الشَّعبي: هِيَ أُمُّ المَسَاكِينِ زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ الهِلاَلِيَة[2]، وَتُوفِّيتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ مِنَ الهِجْرَةِ، وَصَلَّى عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَدَفَنَهَا بِالبَقِيعِ وَقَدْ بَلَغَتْ مِنَ العُمْرِ ثَلاَثِينَ سَنَة، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَذَكَرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ»: إِنَّ هُؤُلاَءِ الإِحْدَى عَشَرَة مِنْ خَدِيجَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى أُمِّ المَسَاكِين اللائِي[3] دَخَلَ بِهِنَّ ﷺ اتِّفَاقاً.

قَالَ الحَلَبِي: الحَاصِلُ أَنَّ جُمْلَةَ مِنْ خَطَبَهُنَّ مِنَ النِّسَاءِ ثَلاَثُونَ امْرَأة، مِنْهُنَّ مَنْ لَمْ يَعْقِدْ عَلَيْـهَا، وَمِنْهُنَّ مَنْ عَقَدَ عَلَيْهَا، وَمِنْهُنَّ[4] مَنْ دَخَلَ بِهَا، وَمِنْهُنَّ مَنْ لَمْ يَدْخُلْ بِهَا، وَاللائِي[5] دَخَلَ بِهِنَّ اثْنَتِي[6] عَشْرَة بِخِلاَفِ مَا تَقَدَّمَ، قَالَ ﷺ: «مَا تَزَوَّجَتْ شَيْئاً مِنْ نِسَائِي وَلاَ زَوَّجْتُ شَيْئاً مِنْ بَنَاتِي إِلاَّ جَاءَنِي [بِهِ][7] جِبْرَائِيل مِنْ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ»[8].

وَمِمَّنْ تَزَوَّجَ بِهِنَّ:

لَيْلَى بِنْتُ الخَطِيم* الأَنْصَارِيَةِ فَضَرَبَتْ ظَهْرَهُ، فَقَالَ لَهَا: «أَكَلَكِ الأَسْوَدُ» ثُمَّ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية ـ ٥٠.

(٢) في المطبوعة (الأنصارية) وما أثبت عن المعالم ٥٣٧/٣

(٣) في الأصل (الذي).

(٤) في الأصل (منهم).

(٥) في الأصل (الذي).

(٦) في الأصل (اثنتا).

(٧) زيادة يقتضيها السياق، عن تاريخ ابن عساكر تراجم النساء ص ٨٩.

(٨) الحديث أخرجه ابن عساكر في تاريخه ـ تراجم النساء ص ٨٩، وقال: قال ابن عدي: وهذا الحديث باطل بهذا الإسناد.

(*) هي لَيْلَى بِنْتُ الخَطِيم بْنِ عُدِي بْنِ عَمْرو بْنِ سَوَاد بْن ظُفَر بْنِ الحَارِثِ بْنِ الخَزْرَجِ بْنِ عَمْرو، أخت قَيْس بْنِ الخَطِيم.

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ١٠٧/٨ ـ ١٠٨ وأسد الغابة ٢٥٧/٧، والإصابة ٣٨٧/٤ ـ ٣٨٨ وأعلام النساء ٣٠٣/٤ ـ ٣٠٤.

قالَت: اقِلْنِي فَأقَالَهَا: فَأكَلَهَا الذئْبُ [1].

وَخَطَبَ ﷺ أمَّ هَانِيء بِنْتَ أَبِي طَالِب* فَاعْتَذَرَتْ بِأنَّ لَهَا أوْلَاداً صِغَاراً [2] يشْغَلُونَها عَنْهُ فَعذَرهَا.

وَخَطَبَ امْرَأةً مِنْ بَنِي مُرَّة [3] فَقَالَ أَبُوهَا: إنَّ بِهَا بَرَصاً، فَلَمَّا رَجَعَ أَبُوهَا إلَى البَيْتِ صَارَتْ بَرْصَاء.

وَخَطَبَ أُخْرَى فَقَالَ أَبُوهَا يَصِفُهَا بِصِحَّةِ المِزَاج: إنَّهَا لَـمْ تَمْرَضْ. فَقَالَ: مَا لَهَا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ خَيْرٍ. وَأَمْسَكَ عَنْهَا، وَقِيلَ: تَزَوَّجَهَا ثُمَّ طَلَّقَهَا لَما وَصَفَهَا أَبُوهَا.

وَمِمَّنْ اخْتُلِفَ فِيهِنَّ، أُمَيَّةُ بِنْتُ النُّعْمَان*: عَلَّمَهَا نِسَاؤُه ﷺ أَنْ تَقُولَ إِذَا دَنَا

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٠٧/٨، والحافظ في الإصابة ٣٨٧/٤: عن ابن عباس قال: أقبلتْ ليلى بنتُ الخطيم إلى النَّبِي ﷺ وهو مولى ظهره الشمس، فضربتْ على منكبه فقال: مَنْ هَذَا أَكَلَهُ الأَسْوَدُ؟ وكان كثيراً ما يقولها... وفي آخره فقال: قد أقلتك. قال: وتزوّجها مسعود بن أوس بن سواد بن ظفر فولدت له، فبينا هي في حائط من حيطانِ المدينةِ تَغْتَسِلُ إذْ وَثَبَ عليها ذِئْبٌ فأكل بعضها، فَأُدْرِكَتْ فماتتْ).

* سبق ذكرها في الترجمة رقم (٥٠).

(*) هي أُمُّ هَانِيء بِنْتُ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيّ، أُخْتُلِفَ في اسمها، فقِيلَ: هند، وقِيلَ: فاطمة، وَقِيلَ: فاختة. أُمُّهَا: فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ ابْنِ قُصَيّ.

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ١٠٨/٨ - ١٠٩، والاستيعاب ٣٧٤/٤ - ٣٧٥، ٤٧٩ - ٤٨٠، وأسد الغابة ٤٠٤/٧ - ٤٠٥، وقد ترجم لها ابن الأثير ولم يذكر أن رسول الله ﷺ خطبها أو تزوج بها، وعيون الأثر ٣٩٤/٢، وسير أعلام النبلاء ٣١١/٢ - ٣١٤، والإصابة ٣٦٢/٤ - ٤٧٩ - ٤٨٠، وأعلام النساء ١٤/٤ - ١٦.

(٢) في الأصل (أولاد صغار).

(٣) هي: جمرة بنت الحارث الغطفاني. انظر: عيون الأثر ٣٩٣/٢.

(*) لم أعثر لها على ترجمة، وأظن أنها أسماء بنت النعمان التي سيأتي ذكرها بعد قليل، فقد ذكر ابن سعد في الطبقات ١٠٤/٨ في ترجمة أسماء بنت النعمان بأن نساءه علمنها أن تستعيذ بالله منه إذا دنا منها، وذكر في موضع آخر من الطبقات: فلما رآها نساء النبي ﷺ حسدنها فقلن لها: إن أردت أن تحظي عنده فتعوذي بالله منه إذا دخل عليك، فلما دخل وألقى الستر مد يده إليها فقالت: أعوذ بالله منك، فقال: أمِنَ عَائِذَ اللَّهِ، الْحَقِي بِأَهْلِكِ.

مِنْهَا: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ. فَفَعَلَتْ فَأَلْحقَهَا بِأَهْلِهَا، وَقُتَيْلَةُ بِنْتُ قَيْسٍ الكِنْدِي*: زَوَّجَهَا إِيَّاهُ أَخُوهَا وَحَمَلَهَا إِلَى حَضْرَمَوْت فَمَاتَ قَبْلَ قُدُومِهَا عَلَيْهِ، وَأَوْصَى بِأَنْ تُخَيَّرَ فَإِنْ شَاءَتْ ضُرِبَ عَلَيْهَا الحِجَابُ، وَكَانَتْ مِنْ أُمَّهَاتِ المُؤْمِنِينَ، وَإِنْ شَاءَتِ الفِرَاقَ فَتَنْكِحَ مِنْ شَاءَتْ، فَاخْتَارَتْ الفِرَاق فَتَزَوَّجَها عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ بِحَضْرَمَوْتِ، فَبَلَغَ ذَلِكَ أَبَا بَكْرٍ، فَقَالَ: هَمَمْتُ أَنْ أُحْرِقَ عَلَيْهَا بَيْتَها، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا هِيَ مِنْ أُمهَاتِ المُؤْمِنِينَ. مَا دَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ وَلاَ ضَرَبَ عَلَيْهَا الحِجَابُ.

مُلَيْكَةُ بِنْتُ كَعْبٍ اللَيْثِيّة*: قِيلَ: دَخَلَ بِهَا، ﷺ وَمَاتَتْ عِنْدَهُ، وَقِيلَ: هِيَ المُتَعَوِّذَةُ، وَقِيلَ: هِيَ الَّتِي قَالَ لَهَا: «هَبِي لي نَفْسَكِ. فَقَالَتْ مَا قَالَتْ.

وَعَمْرَةُ بِنْتُ يَزِيد*: تَزَوَّجَهَا فَلَمَّا دَخَلَ عَلَيْهَا رَأَى بِهَا بَيَاضاً، فَقَالَ: «دَلَّسْتُمْ عَلَيَّ. وَرَدَّهَا إِلَى أَهْلِهَا».

(*) هي: قُتَيلَةُ بِنْتُ قَيْسِ بْنِ مَعْدِي كَرِبِ بْنِ مُعَاوِيَة بْنِ جَبَلَة بْنِ عَدِيّ بْنِ رَبِيعَة بْنِ مُعَاوِيَة الأَكْرَمَيْنِ بْنِ الحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَة بْنِ الحَارِثِ بْنِ مُعَاوِيَةِ بْنِ ثَوْرِ بْنِ مُرْتِعِ بْنِ كِنْدَة. أوردها ابن حجر في الإصابة (٣٨١/٤) من القسم الثالث: وقال: (قِيلَةُ بِنْتُ قَيْسِ بْنِ مَعْدِ يكرب الكندية أخت الأشعث بن قيس ـ قال أبو عمر، ويُقَالُ: قَتْلَةُ). وقال ابن عبد البر في الاستيعاب ٣٧٧/٤: (قَتِيلَةُ بِنْتُ قَيْسِ بْنِ مَعْدِيكرب... ويقال: قِيلَةُ، وليس بشيء، والصواب قَتِيلَةُ).
تزوّجها رسولُ اللَّهِ ﷺ سنة عشر، ثم اشتكى وقُبِضَ، ولم تكن قدمت عليه، ولا رآها ولا دخل بها.
انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ١٠٥/٨ ـ ١٠٦، والاستيعاب ٣٧٧/٤ ـ ٣٧٨، وأسد الغابة ٢٤٠/٧ ـ ٢٤١، وسير أعلام النبلاء ٢٦٠/٢، والإصابة ٣٨١/٤ ـ ٣٨٢، وأعلام النساء: ١٩٠ ـ ١٩١، وعيون الأثر ٣٩٤/٢.

(*) من ربات الحسن والجمال، تزوّجها رسول الله ﷺ في شهر رمضان سنة ٨ هـ، فدخلتْ عليها عائشةُ فقالتْ لها: أما تستحين أن تنكحي قاتل أبيك؟ فاستعاذتْ من رسول الله ﷺ فطلّقها، فجاء قومها إلى النَّبي ﷺ فقالوا: يا رسول الله إنها صغيرة، وإنها لا رأي لها، وإنها خُدِعَتْ، فارْتَجِعْهَا. فأبى رسول الله ﷺ فاستأذنوه أن يزوِّجها قريباً لها من بني عذرة فأذن لهم، فتزوَّجها العذري.
انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ١٠٦/٨، وتاريخ الطبري وفيه: أن اسمها مليكة بنت داود الليثية، وأعلام النساء ١٠٧/٥ ـ ١٠٨، وقد تابع الطبري في ذلك، وذكر أن اسمها: مليكة بنت داود، والإصابة ٣٩٦/٤، وعيون الأثر ٣٩٤/٢.

(*) هي: عَمْرَةُ بِنْتُ يَزِيدِ بْنِ عُبَيْدِ بْنِ رُوَاسِ بْنِ كِلاَبِ الكِلاَبِيَّةِ، وَقِيلَ: عَمْرَةُ بِنْتُ يَزِيدِ بْنِ الجَوْنِ=

والعَالِيَةُ بِنْتُ ظَبْيان*(١): مَكَثَتْ عِنْدَهُ ثُمَّ طَلَّقَهَا.

وَإِسَافُ بِنْتُ خَلِيفَةُ*: أُخْتُ دِحْيَةَ الكَلْبِيّ، مَاتَتْ مِنَ الفَرَحِ لَمَّا عَلِمَتْ أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا.

وَأَسْمَاءُ بِنْتُ الصَّلْت*: أَيْضاً مَاتَتْ مِنَ الفَرَحِ لَمَّا عَلِمَتْ أَنَّهُ تَزَوَّجَهَا.

وَأَسْمَاءُ بِنْتُ النُّعْمَان*: دَعَاهَا النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَتْ: ائتِ أَنْتَ، وَأَبَتِ المَجِيءَ،

= الكِلَابِيَّةِ. تزوَّجها رسولُ اللّهِ ﷺ فبلغه أن بها بياضاً فطلَّقها ولم يدخلْ بها.

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ١٠٢/٨، والاستيعاب ٣٥١/٤ - ٣٥٢، وأسد الغابة ٢٠٥/٧ - ٢٠٦، والإصابة ٣٥٧/٤، وعيون الأثر ٣٩٣/٢.

(*) هي: العَالِيَةُ بِنتُ ظَبْيَانِ بْنِ عَمْرُو بْنِ عَوْفِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَبْدِ بْنِ أَبِي بَكْرِ بْنِ كِلَاب. وأخرج ابن سعد في الطبقات ١٠٢/٨: (أنَّ رسولَ اللّهِ ﷺ تزوَّج العَالِيَةَ بِنْتَ ظَبْيَان فمكثتْ عنده دهراً ثم طلَّقها). كما أورد الذهبي في سير أعلام النبلاء ٢٥٤/٢: وعن زَيْدِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عُجْرَة عن أبيه، قال: تزوَّج رسولُ اللّهِ ﷺ العَالِيَةَ من بني غِفَار، فَأُدْخِلَتْ فَرَأَى بِكَشْحِهَا بَيَاضاً، فَقَالَ: «الْبَسِي ثِيَابَكِ، وَالْحَقِي بِأَهْلَكِ»، وامر لها بالصَّدَاق.

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ١٠٢/٨، والاستيعاب ٣٥١/٤، وأسد الغابة ١٨٨/٧، وسير الأعلام ٢٥٤/٢، والإصابة ٣٤٨/٤، وعيون الأثر ٣٩٣/٢، وأعلام النساء ٢٢٣/٣.

(١) ورد في المطبوعة: (غالية بنت ظبيان)، وأشار في الهامش بقوله: (في الأصل «ضبيان»)، والصواب أنها: (العالية بنت ظبيان) كما أثبتُّ، وكما هو مثبت بكتب التراجم المتقدمة.

(*) هي: إسافُ بِنْتُ خَلِيفَةَ أُخْتُ دِحْيَةَ بْنِ خَلِيفَة بْنِ فَرْوَة بْنِ فُضَالَة بْنِ زَيْدِ بْنِ امْرِىءِ القَيْسِ بْنِ الخَزْرَجِ بْنِ عَامِرِ بْنِ بَكْرِ بْنِ عَامِرِ الأكبر بْنِ عَوْفِ الكَلْبِي. لم أعثر على ترجمة لها. وما أثبته من نسبها فهو ما ذكره المترجمون في ترجمة دحية الكلبي.

(*) هي: أَسْمَاءُ بِنْتُ الصَّلْتِ السُّلَمِية، قال ابن عبد البر في الاستيعاب، وابن الأثير في أسد الغابة. (اُختلفَ فيها وفي اسمها، قال ابن إسحاق: تزوَّجها النَّبِيّ ﷺ ثم طلقها، وقال علي بن عبد العزيز الجرجاني: تزوَّجها رسولُ اللّهِ ﷺ فماتتْ قبل أن تصلَ إليه).

انظر ترجمتها: الاستيعاب ٢٢٧/٤، وأسد الغابة ١٣/٧، وعيون الأثر ٣٩٢/٢.

(*) هي: أَسْمَاءُ بِنْتُ النُّعْمَانِ بْنِ أَبِي الجَوْنِ بْنِ الأَسْوَدِ بْنِ الحَارِثِ بْنِ شَرَاحِيل بْنِ الجَوْنِ بْنِ آكِلِ المرارِ الكِنْدِي، اختلَفُوا في سبب فراقه ﷺ لها.

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ١٠٢/٨ - ١٠٥، والاستيعاب ٢٢٤/٤ - ٢٢٧، وأسد الغابة =

وَقِيلَ: إِنَّهُ قَالَ لَهَا: هَبِي لِي نَفْسَكِ، فَقَالَتْ: تُهَبِ ءُ المَلِكَةُ نَفْسَهَا لِلسُّوقَةِ؟ فَأَهْوَى بِيدِهِ إِلَيْهَا لِتَسْكُنَ، فَقَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، فَقَالَ: «عُذْتِ [1] بِمُعَاذ» [2]. فَأَلْحَقَهَا بِأَهْلِهَا [3].

وَخَوْلَة* أُمُّ شَرِيك بِنْتُ الهُذَيْلِ، وَقِيلَ: بِنْتُ حَكِيم الَّتِي قِيلَ فِيهَا إِنَّها وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ، قَالَ فِي «المَعَالِمِ»: قَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: وَهَبَتْ نَفْسَها لِلنَّبِيِّ خَوْلَةُ

= ١٦/٧ ـ ١٧، والإصابة ٢٢٧/٤ ـ ٢٢٨، وسير أعلام النبلاء ٢٥٥/٢، وعيون الأثر ٣٩٢/٢، وأعلام النساء ٦٦/١.

(١) في الأصل (عدت).

(٢) أخرج الحديث البخاري في صحيحه في كتاب الطلاق، باب ـ من طلق وهل يواجه الرجل امرأته. وابن سعد في الطبقات ١٠٣/٨، ١٠٥، ابن الأثير في أسد الغابة ١٨/٧.

(٣) في الأصل (بنفسها)، وصُوِّبَ في المطبوعة عن مهذب الروضة، وهو الصواب كما أثبت بكتب التراجم المتقدمة.

(*) خَوْلَةُ بِنْتُ الهُذَيْلِ غير خَوْلَة بنت حَكِيم، وخولة بنت حكيم هي التي تكنى بأم شريك، وقد أوردت كتب التراجم ترجمة لكل من الاثنتين، وذكرت بأن رسول الله ﷺ تزوج منهما، وقد أوردت الترجمتين:

ـ خَوْلَةُ بِنْتُ الهُذَيْلِ: هي خَوْلَةُ بِنتُ الهُذَيْلِ بْنِ هُبَيْرَةَ بْنِ قَبِيصَةَ بْنِ الحَارِثِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ حُرْفَةَ ابْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ بَكْرِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَنْمِ بْنِ تَغْلِبَ، وأُمُّها: ابنة خَلِيفَةَ بْنِ فَرْوَةَ بْنِ فُضَالَةَ بْنِ زَيْدِ ابْنِ امْرِىءِ القَيْسِ بْنِ الخَزْرَجِ الكَلْبِي، تزوّجها رسولُ اللَّهِ ﷺ فَهَلَكَتْ في الطريق قَبْلَ أن تَصِلَ إليه.

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ١١٤/٨، ١١٥، وأسد الغابة ٩٨/٧، وعيون الأثر ٣٩٣.

ـ خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيم: هي خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيم بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ الأَوْقَصِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ هِلالِ بْنِ فَالِجِ ابْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ ذَكْوَانَ بْنِ امْرِىءِ القَيْسِ بْنِ بُهْثَةَ بْنِ سُلَيم، وأُمُّها: ضَعِيفَةُ بِنْتُ العَاصِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ، تُكْنَى أُمَّ شَرِيك، ويُقَالُ لها: خُوَيْلَةُ بالتصغير. وكانت خَوْلَةُ من اللاتي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ للنبي ﷺ فَأَرْجَأَهَا. ولم يَذْكُرْ ابن الأثير في أسد الغابة أنها عرضتْ نفسها على النبي ﷺ.

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ١١٣/٨، والاستيعاب ٢٨١/٤ ـ ٢٨٢، وأسد الغابة ٩٣/٧، والإصابة ٢٨٣/٤ ـ ٢٨٤، وسير أعلام النبلاء ٢٦٠/٢ ـ ٢٦١، وعيون الأثر ٣٩٣. وأعلام النساء ٣٨٤/١ ـ ٣٨٥.

بِنت حَكِيم وَفاطِمَة بِنت الضحّاك الكِلابِيّ*: تَزَوَّجَهَا ﷺ بَعْدَ وَفَاةِ(1) بِنْته زَيْنَبُ وَخَيَّرَهَا لَمَّا نَزَلَتْ آيَةُ التَّخْيِيرِ فَخَيِرَتْ وَاخْتَارَتِ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ فَفَارَقَهَا، فَكَانَتْ بَعْدَ ذَلِكَ تَلْقِطُ البَعْرَ وَتَقُولُ: أَنَا الشَّقِيَّةُ اخْتَرْتُ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ(2).

وَرَيْحَانَةُ بِنْتُ عَمْرو*: وَهُو شَمْعُون مَوْلَى رَسُول اللَّهِ ﷺ، وَهِي مِنَ المَدْخُولِ بِهِنَّ، وَكَانَتْ قَبْلَهُ عِنْدَ رَجُلٍ مِنَ قُرَيْظَة، وَهِي نَضْرِية، وَقِيلَ: قُرَظِيَّة اصْطَفَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِنَفْسِهِ وَأَعْتَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا ﷺ فَاخْتَارَتْ أَنْ تَكُونَ رَقِيقَة لَهُ، فَكَانَتْ مَعَ السَّرَارِي. وَالصَّحِيحُ الأَوَّلُ فَتَكُونُ [تَمامَ] (3) الاثْنَتِي عَشْرَةَ الَّتِي دَخَلَ بِهِنَّ، ﷺ وَمَاتَتْ مَرْجِعَهُ (4) مِنْ حُجَّةِ الوَدَاعِ فِي السَّنَة العَاشِرَةِ. هَكَذَا وَجَدْنَا فِي كُتُبِ السِّيرِ، وَاللَّهُ أَعْلَم.

(*) هي: فَاطِمةُ بِنْتُ الضَّحَّاكِ بْنِ سُفْيان الكِلاَبِي، قال ابن سعد في الطبقات: إنَّها استعاذتْ منه فطلّقها، وتزوَّجها رسولُ اللَّهِ ﷺ في ذي القعدة سنة ثمان من الهجرة، وتوفيت سنة ستين.
انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/١٠٠ ـ ١٠١، والاستيعاب ٤/٣٦٩، وأسد الغابة ٧/٢٢٨، والإصابة ٤/٣٧١ ـ ٣٧٢، وعيون الأثر ٢/٣٩٤.

(١) في الأصل (وفات).

(٢) أورد ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/٣٦٩ قولها: (أَنَا الشَّقِيةُ اخْتَرْتُ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ) معلقاً عن ابن إسحاق، وأعقبه بقوله: (هذا عندنا غير صحيح لأن ابن شهاب يروي عن أبي سلمة، وعروة عن عائشة أن رسول الله ﷺ حين خَيَّرَ أزواجه بدأ بها فاختارتْ الله ورسوله، قالتْ: وتتابع أزواج النبي ﷺ كلهن على ذلك). وأورده كذلك ابن الأثير في «أسد الغابة» ٧/٢٢٨ معلقاً عن ابن إسحاق وأعقبه بقوله: (هذا باطل لأن الحديث الصحيح عن عائشة: أن رسول الله ﷺ حين خَيَّرَ أزواجه بدأ بها. . . الحديث).

(*) هي: ريحانة بنت شمعون بن زيد بن قنامة من بني قريظة، وقيل: من بني النضير، والأول أكثر. وكان رسول الله ﷺ عرض عليها أن يتزوجها ويضرب عليها الحجاب، فقالت ورسول الله بل تتركني في ملكك فهو أخف عليّ وعليك فتركها. توفيت سنة عشر عند عودته من حجة الوداع.
انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/٩٢ ـ ٩٤، والاستيعاب ٤/٣٠٢ ـ ٣٠٣، وأسد الغابة ٧/١٢٠ ـ ١٢١، والإصابة ٤/٣٠٢ ـ ٣٠٣، وعيون الأثر ٣٨٨.

(٣) قال في هامش المطبوعة: (الزيادة عن مهذب الروضة).

(٤) في الأصل (مرجعة).

[٣٦]

مَارِيَةُ القِبْطِيَّةُ* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بِنْتُ شُمْعُون أَهْدَاهَا المُقَوْقَسُ مَلِكُ القِبْطِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مَعَ أُخْتِهَا سِيرِين، وَأَرْسَلَ مَعَهَا البَغْلَةَ الَّتِي كَانَ يَرْكَبُهَا، ﷺ وَسَمَّاهَا دُلْدُل، وَغُلَاماً[1] اسْمُهُ مَأْبُور، وَعَسَلاً، وَذَلِكَ سَنَة سَبْع، فَوَهَبَ ﷺ سِيرِين لِحَسَّانِ بْنِ ثَابِت، وَهِي أُمُّ عَبْد الرَّحْمَن، وَاصْطَفَى ﷺ لِنَفْسِهِ مَارِيَة وَدَخَلَ بِهَا، وَأَقَامَتْ عِنْدَهُ فَوَلَدَتْ لَهُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلام فِي السَّنَةِ الثَّامِنَةِ[2]، وَكَانَ مَوْلِدُ إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلام فِي العَالِيَةِ وَعَقَّ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ بِكَبْشَيْنِ يَوْمَ سَابِعِهِ، وَسَمَّاهُ، وَتَصَدَّقَ بِوَزْنِ شَعْرِهِ وَرِقاً عَلَى المَسَاكِينِ بَعْدَ حَلْقِهِ، ثُمَّ دَفَنَ شَعْرَهُ فِي الأَرْضِ[3]، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَى امْرَأَةٍ يُقَالُ لَهَا أُمُّ سَيْفِ زَوْجُهَا قَيْنٌ[4] بِالمَدِينَةِ يُسَمَّى أَبُو سَيْف[5]، ذُكِرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ»:

(*) انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/١٥٣ ـ ١٥٦، والاستيعاب ٤/٣٩٦ ـ ٣٩٨، وأسد الغابة ٧/٢٦١، والإصابة ٤/٣٩١، والمعارف ١٤٣، وجمهرة الأنساب ١٥ ـ ١٦ وأعلام النساء ١٠ ـ ١١.

(١) في الأصل (غلام).

(٢) في الأصل (القامنة).

(٣) انظر الاستيعاب ١/٢٣.

(٤) القَيْنُ: هو الحَدَّادُ، وَجَمْعُه قُيُون. انظر: مختار الصحاح ص ٥٦٠ مادة: قين.

(٥) أبو سيف القين كان من الأنصار، قال الحافظ في الإصابة: (ثبت ذكره في الصحيحين من طريق ثابت عن أنس، قال: قال النبي ﷺ: «ولد لي الليلة غلام فسميته باسم أبي إبراهيم، ودفعته إلى أم سيف امرأة قين بالمدينة، يقال له أبو سيف..).

انظر ترجمته: الاستيعاب ٤/٩٩، والإصابة ٤/٩٩.

قال أنس، رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «ولد الليلة لي غلام فسميته باسم أَبِي إِبْرَاهِيم»[1]. قَالَ أَنَسٌ: ذَلِكَ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ أَبْـرَاهِيم عَلَيْهِ السَّـلام مَرِيضٌ، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللَّهِ، وَانْطَلَقْتُ مَعَهُ فَصَادَفْنَا أَبَا سَيْف يَنْفُخُ [فِي][2] كِيرٍ[3]، وَقَدْ امْتَلأَ الْبَيْتُ دُخَاناً، فَأَسْرَعْتُ فِي الْمَشْيِ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْتُ لَهُ: يَا أَبَا سَيْف أَمْسِكْ، جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ [ﷺ فَأَمْسَكَ][4]. فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ بِالصَّبِي فَضَمَّهُ إِلَيْهِ وَقَالَ: «مَا شَاءَ اللَّهُ، إِنْ يَقُولُ قَالَ». قَالَ: فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَكِيدُ بِنَفْسِهِ فَدَمَعَتْ عَيْنَا النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «تَدْمَعُ العَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلاَ نَقُولُ إِلاَّ مَا يُرْضِي الرَّبَّ، وَإِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُون»[5].

وَتُوفِّي إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلام يَوْمَ الثُّلاثَاء لِعَشْرٍ خَلَتْ مِنْ رَبِيعِ الأَوَّلِ سَنَة عَشْر[6]، وَعُمْرُه ثَمَانِيَة عَشَرَ شَهْراً، وَذَكَر أَهْلُ التَّارِيخِ: أَنَّ الشَّمْسَ كَسَفَتْ يَوْمَ مَوْتِ إِبْرَاهِيم، فَقِيلَ: كُسِفَتْ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيم، فَقَالَ النَّبِيّ ﷺ «لاَ تُكْسَفُ لِمَوْتِ أَحَدٍ، إِنَّمَا هُمَا آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ يُخَوِّفُ اللَّهِ بِهِمَا عِبَادَه»[7]، أَرَادَ بِهِمَا

---

(١) الحديث أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ١/٢٣، ٤/٩٩.

(٢) الزيادة عن الاستيعاب ١/٢٣.

(٣) في المطبوعة (كير)، وما أثبت عن الاستيعاب ١/٢٣، وَكِير الحَدَّادِ، مِنْفَخُهُ مِنْ زِقٍّ أَوْ جِلدٍ غَلِيظٍ ذُو حَافَات.

(٤) الزيادة عن الاستيعاب ١/٢٤.

(٥) الحديث أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب عن طريق أنس بن مالك ١/٢٤، ٢٥.

(٦) في الأصل (عشرة). وكذا قال الواقدي، وقد اختلف في تاريخ وفاته، وقد أورد ابن الأثير في الاستيعاب ١/٢٤ ـ ٢٥ هذه الاختلافات، ثم قال: (وأرفع ما فيه ما ذكره محمد بن إسحاق، قال: حدثني عبد الله بن أبي بكر عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة قالت: توفي إبراهيم بن النبي ﷺ وهو ابن ثمانية عشر شهراً).

(*) في حدائق الأنوار ٢/٧٠٣: (أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: كَسَفَتْ الشَّمْسُ لِمَوْتِ إبراهيم، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عن ذلك، وصلى «صلاة الكسوف» فَأَطَالَ فِيهَا حَتَّى انْجَلَتْ، ثُمَّ خَطَبَ النَّاسَ فَحَثَّهُمْ عَلَى الصَّدَقَةِ وَالعِتْقِ، وَقَالَ: «إِنَّ الشَّمْسَ وَالقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ... الحديث».

(٧) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ١/٢٥ مع اختلاف في اللفظ، وأخرجه أحمد في مسنده ٤/٢٤٩.

خُسُوفَ القَمَرِ وَكُسُوفَ الشَّمْسِ [١] وَقَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ [٢] : مَارِيَةُ بِنْتُ أَرْقَم بْنِ ثَعْلَبَةَ بْنِ عَمْرِو بْنِ جَفْنَةَ مِنْ آلِ مُزَيْقِيَاءِ [٣] ، وَابنُهُ الحَارِثُ الأَعْرَجُ المَعْنِي بِقَوْلِ [٤] حَسَّان بْن ثَابت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ شعراً :

أَوْلَادُ جَفْنَةَ حَوْلَ [٥] قَبْرِ أَبِيهِمُ قَبْرِ ابْنِ مَارِيَةَ الكَرِيمِ المُفْضِلِ [٦]

وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ» : عَنْ سِيرِين قَالَتْ : لَمَّا نَزَلَ بِإِبْرَاهِيم المَوْتُ صِرْتُ كُلَّمَا صِحْتُ أَنَا وَأُخْتِي مَارِيَة، يَنْهَانِي [٧] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ الصِّيَاحِ ، وَقِيلَ : إِنَّهُ لمَّا بَكَى النَّبِيّ، ﷺ قَالَ لَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ : أَنْتَ أَحَقُّ مَنْ عَلِمَ اللَّهَ حَقَّهُ . فَقَالَ : «تَدْمَعُ العَيْنُ وَيَحْزَنُ القَلْبُ» . الحَدِيثِ . وَقَالَ لَهُ : عَبْدُ الرَّحْمٰن بْنُ عَوْف : أَوَلَمْ تَكُنْ نَهَيْتَ عَنِ البُكَاءِ؟ قَالَ : «لَا ، وَلَكِنِّي نَهَيْتُ عَنْ صَوْتَيْنِ أَحْمَقَيْنِ : صَوْتٌ عِنْدَ مُصِيبَةٍ ، وَصَوْتٌ عِنْدَ نَغْمَةِ [٨] لَهْوٍ ، وَهَـٰذِهِ نَغْمَةُ مَنْ لَا يَـرْحَمُ ، وَلَا يُرْحَمِ» وَيُرْوىٰ أَنَّ أُسَامَة صَرَخَ فَنَهَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ : رَأَيْتُكَ تَبْكِي . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : «البُكَاءُ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَالصُّرَاخُ مِنَ الشَّيْطَانِ» [٩] . وَقِيلَ : لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيم كَانَ ﷺ مُسْتَقْبِلًا لِلْجَبَلِ ، فَقَالَ : «يَا جَبَلُ لَوْ كَانَ بِكَ مِثْلَ [١٠] مَا بِي [لَهَدَّكَ] ، وَلَكِن ، إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون» .

---

(١) (الشمس) مكررة في الأصل.

(٢) هو: أبو يوسف يعقوب بن إسحاق السكيت، صاحب كتاب إصلاح المنطق. انظر ترجمته: طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ص ٢١١، وتاريخ بغداد ١٤/٢٧٣، ووفيات الأعيان ٥/٤٣٩.

(٣) ومُزَيقِياء: مَلِكٌ من مُلوك اليمن، سُميَّ بذلك لأنه كانَ كلَّ يوم يَلْبَسُ حُلَّةً لا يَلْبَسُهَا بَعْدُ. وَمَارِيَةُ: هي: مارية ذات القرطين جَدَّةُ جَبَلَةُ بْنِ الأَيْهَم . انظر تهذيب إصلاح المنطق ص ٦٨٠، والمشوف المعلم في ترتيب الإصلاح ٢/٧١٨.

(٤) في الأصل (يقول).

(٥) في الديوان (عِنْدَ) بدلاً من (حَوْلَ).

(٦) البيت ورد في الديوان ص ١٢٢، وفي الشعر والشعراء ١/٣٠٥.

(٧) في الأصل (نهاني).

(٨) في الأصل (رحمة).

(٩) الحديث في الجامع الصغير رقم (٣٢١٥) ورمز له بالصحة.

(١٠) في الأصل (مثلي).

وَذُكِرَ فِي «السِّيرَةِ»: لَمَّا مات إبْرَاهِيم غَسَّلَهُ الفَضَلُ بْنُ العَبَّاسِ، وَنَزَلَ فِي قَبْرِهِ هُو وَأُسَامَة، وَجلَسَ ﷺ عَلَى شَفِيرِ القَبْرِ، وَرَشَّ عَلَى قَبْرِهِ مَاءً، وَعَلَّمَ عَلَى قَبْرِهِ بِعَلاَمَةٍ (١)، وَخَبَر لَمْ يُصَلِّ (٢) عَلَيْهِ مُنْكَرٌ بِنَصِّ الإمَامِ أَحْمَد. وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ صَلَّى عَلَيْهِ وَكَسَفَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ مَوْتِهِ (٣) فَقَالَ قَائِلٌ: كُسِفَتْ لَهُ. فَقَالَ ﷺ: «لاَ تَكْسِفُ لِمَوْتِ أَحَدٍ وَلاَ لِحَيَاتِهِ» (٤)، وَقَالَ ﷺ عِنْدَ دَفْنِهِ: «الْحَق بِسَلَفِنَا الصَّالِح عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ» (٥). وَرُوِيَ أَنَّهُ، ﷺ قَالَ (٦): «لَوْ عَاشَ إبْرَاهِيمُ لَوَضَعْتُ الجِزْيَةَ عَنِ القِبْطِ» (٧). وَقِيلَ: إنَّ الحَسَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَلَّمَ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أَنْ يَضَعَ الجِزْيَةَ عَنْ أَهْلِ بَلْدَةِ مَارِيَة، وَهِي مَدِينَة حفْنَة (٨) مِنْ قُرَى الصَّعِيدِ، فَفَعَلَ مُعَاوِيَة رِعَايَةً لِحُرْمَتِهِمْ، وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ»: أَنَّهُ كَانَ ﷺ مُعْجَباً بِمَارِيَة لأَنَّهَا كَانَتْ بَيْضَاءَ جَمِيلَةً. وَغَارَتْ نِسَاؤُه (٩) مِنْهَا لَمَّا جَاءَتْ بِإبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلام (١٠)، وَكَانَ مَعَهَا ابْنُ عَمِّهَا يُقَالُ لَهُ مَأْبُور وَكَانَ مَجْبُوباً (١١)

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ١/٢٦.

(٢) في الأصل (يصلي).

(٣) قال ابن عبد البر في الاستيعاب ١/٢٦: (عن عائشة: أن رسول الله ﷺ دفن ابنه إبراهيم ولم يصل عليه، وهذا غير صحيح والله أعلم، لأن الجمهور قد أجمعوا على الصلاة على الأطفال إذا استهلوا وعملا مستفيضاً عن السلف والخلف، ولا أعلم أحداً جاء عنه غير هذا إلا عن سمرة بن جندب والله أعلم، وقد يحتمل أن يكون معنى حديث عائشة أي لم يصلِّ عليه في جماعة، أو أمر أصحابه فصلوا عليه ولم يحضرهم فلا يكون مخالفاً لما عليه العلماء في ذلك، وهو أولى ما حمل عليه حديثها ذلك، والله أعلم).

(٤) أخرجه ابن سعد ٨/١٥٥.

(٥) أخرجه الطبراني عن الأسود بن سريع.

(٦) في الأصل (أنه قال).

(٧) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ١/٢٦. وابن سعد في الطبقات ١/٩٢، والحديث في الجامع الصغير رقم (٧٤٥٥)، ورمز له بالضعف.

(٨) في الأصل (حفنة).

(٩) في الأصل (نساءه).

(١٠) في الأصل (ع. م).

(١١) في الأصل (على).

وَكَانَ يَأْوِي إِلَيْهِا فَاتَّهَمَهَا بِهِ المُنَافِقُونَ، فَأَمَرَ، ﷺ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَتْلِ مَأْبـورٍ، وَأَمَرَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبعَثَهُ لِيَقْتُلَهُ، فَكَشَفَ مَأْبُورُ عَنْ نَفْسِهِ فَإِذَا هُو مَجْبُوب[1].

وَنَزَلَ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلام بِبَرَاءَتِهَا وَنَزَاهَتِهَا، وَبَشَّرَهُ بِإِبْرَاهِيم، وَأَمَرَهُ عَنْ رَبِّه تَعَالى بِتَسْمِيَتِهِ بِإِبْرَاهِيم، وَمَأْبُور مَاتَ نَصْرَانِياً وَقِيلَ: أَسْلَمَ.

وَتُوفِّيَتْ مَارِيَة فِي خِلاَفَةِ عُمَر سَنَة سِت عَشْرَةَ، وَشَهدَ عُمَرُ جَنَازَتَها وَصَلَّى عَلَيْهَا، وَدُفِنَتْ بِالبَقِيعِ.

---

(١) أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٥٥/٨، وابن الأثير في أسد الغابة ٢٦١/٧.

[٣٧]

زَيْنَبُ* رَضِيَ اللهُ عَنْهَا

بِنْتُ النَّبِيِّ مُحَمَّد ﷺ وَأُمُّهَا خَدِيجَة الكُبْرَى، وَهِيَ ثَانِي أَوْلَاده ﷺ وُلِدَتْ بَعْدَ القَاسِمِ عَلَيْهِ السَّلام مَوْلِدُهَا سَنَة ثَلَاثِينَ مِنْ مَوْلِدِه ﷺ زَوَّجَهَا ﷺ قَبْلَ البَعْثَةِ لِأَبِي العَاصِ [١] بْنِ الرَّبِيعِ بْنِ عَبْد العُزَّى بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ فَلَمَّا بُعِثَ ﷺ كَلَّفَهُ قَوْمُه فِرَاقَهَا فَأَبَى، وَكَانَ يُحِبُّها وَيُحْسِنُ إِلَيْهَا، وَقَدْ أَثْنَى عَلَيْهِ النَّبِيّ، صلّى الله تعالى عليه وسلّم فَقَالَ: «إِنَّ أَبَا العَاصِ حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي وَوَعَدَنِي فَوَفَّى لِي»، وَوَلَدَتْ لَـهُ زَيْنَبُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا، عَلِياً [٢] وَأُمَامَةَ وَهِيَ الَّتِي كَانَ يَحْمِلُهَا صلّى الله تعالى عليه وسلم، فِي صَلَاتِهِ ثُمَّ خَرَجَتْ زَيْنَبُ مِنْ مَكَّةَ مُهَاجِرَةً إِلَى المَدِينَةِ لمَّا امْتَنَعَ زَوْجُهَا مِنَ المُهَاجَرَةِ، وَأَرْسَلَ مَعَهَا ابْنَ عَمِّهِ كِنَانَة بْنَ عَدِي إِلَى المَدِينَةِ، فَعَرَضَ لَهُمْ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ وَهِيَ رَاكِبَة عَلَى نَاقَتِهَا، فَخَوَّفُوهَا وَدَفَعُوهَا عَلَى صَخْرَةٍ، فَوَقَعَتْ زَيْنَبُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا وَاهْرَاقَتْ الدِّمَاء، وَتَمَرَّضَتْ وَقَدِمَتْ إِلَى المَدِينَةِ، وَلَمْ يَزَلْ بِهَا مَرَضُهَا إِلَى أَنْ مَاتَتْ [٣]، ثُمَّ قَدِمَ زَوْجُهَا أَبُو [٤] العَاصِ

(*) انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/ ٢٠ ـ ٢٤، والاستيعاب ٤/ ٣٠٤ ـ ٣٠٥، وأسد الغابة ٧/ ١٣٠ ـ ١٣١، والإصابة ٤/ ٣٠٦، وأعلام النساء ٢/ ١٠٧ ـ ١١٠.

(١) أُخْتُلِفَ فِي اسْمِه فَقِيلَ: لَقِيطٌ: قَالَهُ مُصْعَبُ الزُّبَيْرِي، وَعَمْرُو بْنُ عَلِيٍّ الفَلَّاس... وَيُقَالُ: الزُّبَيْر حَكَاهُ الزُّبَيْرُ عَنْ عُثْمَان بْنِ الضَّحَاك، وَيُقَالُ: هُشَيْمٌ حَكَاهُ ابْنُ عَبْدِ البَرِّ، وَيُقَالُ: مِهْشَم.. حَكَاهُ الزُّبَيْرُ وَالبَغَوِي، وَحَكَى ابْنُ مَنْدَه وَتَبِعَهُ أَبُو نعيم أَنَّهُ قِيلَ: اسْمُه يَاسِر وَأَظُنُّهُ مُحَرَّفاً مِنْ يَاسم. انظر: الإصابة لابن حجر ٤/ ١٢١.

(٢) في الأصل (على).

(٣) أخرج قصة موتها ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/ ٣٠٥.

(٤) في الأصل (أبا).

وَأَسْلَمَ فَرَدَّهَا النَّبِيُّ صلَّى الله تعالى عليه وسلم، بِالنِّكَاحِ السَّابِقِ فِي أَصَحِ الرِّوَايَاتِ[1]، وَقِيلَ: بِنِكَاحٍ جَدِيدٍ، وَكَانَ صلَّى الله تعالى عليه وسلم يُرْدِفُ وَلَدَها عَلِياً خَلْفَهُ يَوْمَ الفَتْحِ، وَتَزَوَّجَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بِنْتَهَا أُمَامَة بَعْدَ خَالَتِهَا فَاطِمَة رَضِي اللَّهُ تَعالى عَنْهَا، وَقُتِلَ عَنْهَا فَتَزَوَّجَهَا المُغِيرَةُ بْنُ نَوْفَلٍ بْنِ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ.

وَذَكَرَ العَلَّامَةُ سَعْدِي جَلَبِي، أَنَّهُ أَجْمَعَ أَهْلُ السِّيَرِ عَلَى أَنَّ أَوْلَادَهُ: القَاسِمُ، ثُمَّ زَيْنَبُ، ثُمَّ رُقَيَّة، ثُمَّ فَاطِمَة، ثُمَّ أُمُّ كُلْثُوم، ثُمَّ وُلِدَ لَهُ فِي الإِسْلَامِ عَبْدُ اللَّهِ فَسُمِّي الطَّيِّبُ الطَّاهِرُ وَكُلُّهُمْ مِنْ خَدِيجَة، رَضِي اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا، ثُمَّ وُلِدَ إِبْرَاهِيمُ مِنْ مَارِيَّة وَقَدْ نَظَّمُوه:

فَأَوَّلُ وُلْدِ المُصْطَفَى القَاسِمُ الرِّضَا ... بِهِ كُنْيَةُ المُخْتَارِ فَافْهَمْ وَحَصِّلَا
وَزَيْنَبُ تَتْلُوه، رُقَيَّةُ بَعْدَهَا ... وَفَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ جَاءَتْ عَلَى الوِلَا
كَذَا أُمُّ كُلْثُومٍ تَعَدَّدَ بَعْدَهَا ... فِي الإِسْلَامِ عَبْدُ اللَّهِ جَاءَ مُكَمِّلَا
هُو الطَّيِّبُ المَيْمُونُ وَالطَّاهِرُ الرَّضِيّ[2] ... وَقَدْ جَاءَ إِبْرَاهِيمُ فِي طَيْبَةَ تَلَا
مِنَ المَرْأَةِ الحَسْنَاءِ مَارِيَّة فَقُلْ ... عَلَيْهِمْ سَلَامُ اللَّهِ مِسْكاً وَمَنْدَلَا

وتُوفِّيَتْ زَيْنَبُ رَضِي اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا، فِي المَدِينَةِ سَنَة ثَمَانٍ[3]، وَدُفِنَتْ بِالبَقِيعِ.

---

(١) قال ابن حجر في الإصابة ١٢٢/٤: (وقد أخرج أبو داود والترمذي، وابن ماجة من طريق داود بن الحصين عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ رد على أبي العاص بنته زينب بالنكاح الأول. . .
وقال الترمذي في حديث ابن عباس ليس بإسناده بأس، ولكن لا يعرف وجهه.
(٢) في الأصل (الرضا).
(٣) في الأصل (ثمانية).

[٣٨]

رُقَيَّةُ* رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا

بِنْتُ النَّبِيِّ مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّم وُلِدَتْ سَنَة ثَلَاثَة وَثَلَاثِين مِنْ مَوْلِدِهِ صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم، وَذَلِكَ بَعْدَ زَيْنَبَ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا، بِثَلَاثِ سِنِين، وَزَوَّجَهَا، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّم عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ، وَأَقَامَتْ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ نَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾(١) فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ لِوَلَدِهِ عُتْبَةَ: يَهْجُونِي مُحَمَّدٌ وَابْنَتُهُ عِنْدَكَ؟ رَأْسِي مِنْ رَأْسِكَ حَرَامٌ إِنْ لَمْ تُفَارِقِ ابْنَةَ(٢) مُحَمَّد، ففَارَقَهَا(٣) فَزَوَّجَهَا صلَّى الله تعالى عليه وسلم لِعُثْمَان بن عَفَّان(٤) رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَهَاجَرَ بِهَا إِلَى الحَبَشَةِ وَكَانَتْ بَارِعَة الجَمَالِ. قِيلَ: إِنَّ فِتْيَاناً مِنَ الحَبَشَةِ تَعَرَّضُوا لَهَا لِيَنْظُرُوا إِلَيْهَا، وَيُبْصِرُوا جَمَالَها، فَأَذَاهَا ذَلِكَ، فَدَعَتْ عَلَيْهِمْ، فَهَلَكُوا جَمِيعاً مِنْ

(*) انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/٢٤ ـ ٢٥، والاستيعاب ٤/٢٩٢ ـ ٢٩٦، وأسد الغابة ٧/١١٣ ـ ١١٥، والإصابة ٤/٢٩٧، وأعلام النساء ١/٤٥٧ ـ ٤٥٨.

(١) سورة المسد، الآية ـ ١.

(٢) في الأصل (البنت).

(٣) قال ابن سعد في الطبقات ٨/٢٤: (ففارقها ولم يكن دخل بها)، وقال ابن الأثير في أسد الغابة ٧/١١٤ (وكان رسول الله ﷺ قد زوج ابنته رقية من عتبة بن أبي لهب، وزوج أختها أم كلثوم عتيبة بن أبي لهب، فلما نزلت سورة ﴿تبت﴾ قال لهما أبوهما أبو لهب وأمهما أم جميل بنت حرب بن أمية حمالة الحطب: فَارِقَا ابْنَتَيْ مُحَمَّد ففارقاهما قبل أن يدخلا بهما كرامة من الله تعالى لهما وهواناً لابني أبي لهب).

(٤) تزوج عثمان رقية بنت رسول الله ﷺ سنة اثنتين من الهجرة، ودخل بها وماتت يوم جاء البشير بفتح مكة.

يَوْمِهِمْ، وَوَلَدَتْ رُقَيَّةُ لِعُثْمَانَ[1] رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ عَبْدَ اللَّهِ وَبِهِ كَانَ يُكَنَّى، وَعَاشَ عَبْدُ اللَّهِ سِتَّةَ أَعْوَامٍ، ثُمَّ نَقَرَ دِيكٌ عَيْنَهُ فَتَوَرَّمَتْ وَمَاتَ فِي جُمَادِي الأُولَى[2] سَنَةَ أَرْبَعٍ بَعْدَ مَوْتِ أُمِّهِ بِعَامَيْنِ، وَصَلَّى عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم وَلَمَّا عَادَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ مِنَ الحَبَشَةِ وَمَعَهُ زَوْجَتُهُ رُقَيَّةُ قَدِمَ إِلَى مَكَّةَ، ثُمَّ هَاجَرَ بِهَا إِلَى المَدِينَةِ وَلَمَّا خَرَجَ صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم لِغَزْوَةِ بَدْرٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ كَانَتْ رُقَيَّةُ قَدْ تَمَرَّضَتْ بِالحَصْبَةِ، فَتَخَلَّفَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ الجِهَادِ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ صلَّى الله تعالى عليه وسلم لِيُمَرِّضَهَا، فَمَاتَتْ قَبْلَ مَجِيءِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ بَشِيراً بِقَتْلَى بَدْرٍ فَهُمَّ فِي دَفْنِهَا وَوَصَلَ زَيْدٌ بِالبَشَارَةِ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الهِجْرَةِ فِي رَمَضَانَ، وَذُكِرَ فِي «البُسْتَانِ» أَنَّ رُقَيَّةَ مَاتَتْ بَعْدَ مَا خَرَجَ صلَّى الله تعالى عليه وسلم إِلَى بَدْرٍ، وَلَمَّا عَادَ صلَّى الله تعالى عليه وسلم، وَجَدَهَا مَيِّتَةً فَزَوَّجَ عُثْمَانَ أُخْتَهَا أُمَّ كُلْثُومٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا[1].

---

(١) قال ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/٢٩٣: (وقال قتادة: تزوج عثمان رقية بنت رسول الله ﷺ فتوفيت عنده ولم تلد منه، وهذا غلط من قتادة، ولم يقله غيره، وأظنه أراد أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ فإن عثمان تزوجها بعد رقية فتوفيت عنده ولم تلد منه، هذا قول ابن شهاب وجمهور أهل هذا الشأن، ولم يختلفوا أن عثمان إنما تزوج أم كلثوم بعد رقية، وهذا يشهد لصحة قول من قال إن رقية أكبر من أم كلثوم).

(٢) في المطبوعة (الأول) والصواب ما أثبتناه، قال ابن كمال باشا في كتاب «التنبيه على غلط الجاهل والنبيه»: (جمادى الأولى والأخرى فعالى كخيارى، والدال مهملة، والعوام يستعملون بالمعجمة المكسورة ويصفونها «بالأول»؛ فيكون فيها ثلاث تحريفات. قلب المهملة معجمة، والفتحة كسرة، والتأنيث تذكيراً، وكذا جمادى الأخرى، يقولون: جمادي الآخر بلا تاء، والصحيح الآخرة بالتاء أو الأخرى، وهي معرفتان من أسماء الشهور، فإدخال اللام في وصفها صحيح، كذا ربيع الأول).

[٣٩]

فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ* رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا

بِنْتُ النَّبِيُّ مُحَمَّد صلَّى الله تعالى عليه وسلم وُلِدَتْ سَنَة إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ مِنْ مَوْلِدِهِ صَلَّى الله تعالى عليه وسلم وَصَحَّحَ ابْنُ[١] عَبْدِ البَرِّ، وَصَاحِبُ التَّبْيِينِ كونها أَصْغَرَ مِنْ أُمِّ كُلْثُوم، وَكَوْن أُمِّ كُلْثُوم أَصْغَرَ مِنْ رُقَيَّةَ[٢]، وَهِيَ أَفْضَلُ بِنَاتِهِ وَسَيِّدَةُ نِسَاءِ العَالَمِين، زَوَّجَهَا صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بَعْدَ وَقْعَةِ أُحُدٍ، وَقِيلَ: بَعْدَ أَنْ ابْتَنَى بِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا بِأَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ وَنِصْفٍ، وَابْتَنَى بِهَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ بَعْدَ تَزَوُّجِهَا بِتِسْعَةِ أَشْهُرٍ وَنِصْفٍ، وَكَانَ عُمْرُهَا خَمْسَ عَشْرَةَ[٣] سَنَة وَخَمْسَةَ[٤] أَشْهُرٍ وَنِصْفٍ، وَسِنُّ عليٍّ رضي الله عنه إِحْدَى وَعِشْرِين سَنَة وَخَمْسَةَ أَشْهُرٍ، وَأَصْدَقَهَا دِرْعَهُ، وَقِيلَ: أَرْبَعَمِائَةٍ وَثَمَانِينَ دِرْهَماً[٥]، فَأَمَرَهُ [ﷺ][٦] أَنْ يَجْعَلَ ثُلُثَهَا فِي الطِّيبِ، فَوَلَدَتْ لَهُ الحَسَنَ

(*) انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ١١/٨ ـ ٢٠، والاستيعاب ٣٦٢/٤ ـ ٣٦٩، وأسد الغابة ٢٢٠/٧ ـ ٢٢٦، والإصابة ٣٦٥/٤ ـ ٣٦٨، وأعلام النساء ١٠٨/٤ ـ ١٣٢.

(١) في الأصل (بن).

(٢) قال ابن عبد البر في الاستيعاب ٣٦٢/٤: وقد اضطرب مصعب والزبير في بنات النبي ﷺ أيتهن أكبر وأصغر اضطراباً يوجب أن لا يلتفت إليها في ذلك، والذي تسكن إليه النفس على ما تواترت به الأخبار ترتيب بنات رسول الله ﷺ أن زينب الأولى، ثم الثانية رقية، ثم الثالثة أم كلثوم، ثم الرابعة فاطمة الزهراء رضي الله عنهن. والله أعلم.

(٣) في الأصل (خمسة عشر).

(٤) في الأصل (خمس).

(٥) في الأصل (درهم).

(٦) زيادة يقتضيها السياق.

وَالحُسَيْنَ وَأُمَّ كلثوم وَزَيْنَب، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ غَيْرَهَا عَلِيٌّ، رضي الله عنه حتّى ماتت.

وَذُكِرَ فِي بَعْضِ الكُتُبِ، يُقَالُ لِفَاطِمَةَ الزَّهْرَاء: بَتُولَةٌ، أي مُنْقَطِعَةٌ عَنْ حُبِّ الدُّنْيَا، وَقِيلَ: عَنِ الحَيْضِ أَصْلاً، كَذَا نَقَلَهُ كُرْدِي وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ الجَوْهَرَةِ»: صَحَّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: «أَفْضَلُ نِسَاءِ الجَنَّةِ: خَدِيجَة وَفَاطِمَة وَمَرْيَم وَآسِيَة»[1] وَفِي المَعَالِمِ عَنْ أَنَس رضي الله عنه أَنَّ النبي ﷺ قال: «حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ العَالَمِينَ مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَونَ»[2].

وَذَكَرَ فِي سِيرَةِ العِرَاقِي، قَالَ الحَافِظُ السُّيوطِي فِي الخَصَائِصِ: ذَكَرَ الإِمَامُ عَلَمُ الدِّينِ العِرَاقِيّ، أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِي اللَّهُ تَعَالى عَنْهَا وَأَخَاهَا إِبْرَاهِيم أَفْضَلُ مِنَ الخُلَفَاءِ الأَرْبَعَةِ بِاتِّفَاقٍ. وَنَقَلَ عَنْ مَالِكٍ، أَنَّهُ قَالَ: لاَ أُفَضِّلُ عَلَى بِضْعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَيُعَارِضُ مَا ذَكَرَهُ فِي شَرْحِ الجَوْهَرَةِ: أَفْضَلُ النَّاسِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَهُو أَفْضَلُ مِنْ فَاطِمَةَ وَأُمِّهَا لاَ مِنْ حَيْثُ البِضْعِيَّةِ، فَيَكُونُ أَفْضَلَ مِنْ مَرْيَم بِنْتِ عِمْرَانَ، وَآسِيَة بِنْتِ مُزَاحِم لأَنَّ فَاطِمَةَ رَضِي اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَفْضَلُ مِنْهُمَا وَمِنَ الخَضِرِ وَاسْكَنْدَر عَلَى القَوْلِ بِوِلاَيَتِهِمَا لاَ عَلَى القَوْلِ بِنُبُوَّتِهِمَا، وَهُو الحَقُّ.

وَذَكَرَ فِي شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ عَنْ الشَّعبِي عَنْ مَسْرُوقٍ عَنْ عَائِشَة رَضِي اللَّهُ عَنْهَا عَنْ فَاطِمَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: أَسَرَّ[3] إِلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّم فَقَالَ: «إِنَّ جِبْرَائِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي بِالقُرْآنِ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّة، وَإِنَّهُ العَامَ عَارَضَنِي

---

(١) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/٣٦٥، كما رواه ابن عساكر في تاريخه ـ تراجم النساء ص ٣٧٥ وأخرجه الحاكم في المستدرك ٢/٤٩٧ كتاب التفسير.

(٢) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/٣٦٥، وأحمد في مسنده ٣/١٣٥، وأخرجه الترمذي رقم (٣٨٧٨) في كتاب المناقب، باب ـ فضل خديجة رضي الله عنها، وقال: حديث حسن صحيح، وأخرجه الحاكم في المستدرك ٣/١٥٧، كتاب معرفة الصحابة، باب ـ دعاء دفع الفقر، وقال: هذا الحديث في المسند لأبي عبد الله أحمد بن حنبل هذا.

(٣) في الأصل (أسر).

مَرَّتَيْنِ وَلَا أَدْرِي إِلَّا أَنَّهُ قَدْ حَضَرَ أَجَلِي وَأَنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لُحُوقاً بِي، وَنِعْمَ السَّلَفُ أَنَا لَكِ» قَالَتْ: فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: «أَلَا تَرْضَيْنَ أَنْ تَكُونِي سَيدَةَ نِسَاءِ هَـٰذِهِ الأُمَّةِ، أَوْ نِسَاءَ العَالَمِينَ»(١)؟ فَضَحِكْتُ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا: مَا رَأَيْتُ أَحداً كَانَ أَشْبَه بِرَسُولِ اللَّهِ كَلَاماً وَحَدِيثاً مِنْ فَاطِمَةَ رضي الله تعالى عنها وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا، وَقَبَّلَهَا، وَرَحَّبَ بِهَا كَمَا كَانَتْ تَصْنَعُ هِيَ بِهِ(*)(٢).

وَذَكَر فِي المصابيح (٣) رُوِيَ عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا فَاطِمَةَ عَامَ الفَتْحِ فَنَاجَاهَا فَبَكَتْ ثُمَّ حَدَّثَهَا فَضَحِكَتْ، فَلَمَّا تُوفِي ﷺ سَأَلْتُهَا عَنْ بُكَائِهَا وَضَحِكِهَا؟ قَالَتْ: أَخْبَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ يَمُوتُ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ أَخْبَرَنِي أَنِّي سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ إِلَّا مَرْيَمَ بِنْتَ عِمْرَانَ فَضَحِكْتُ (٤).

وَلَمَّا تُوُفِّي صلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّم وَبُويِعَ بِالخِلَافَةِ أَبُو بَكْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي السَّنَةِ الحَادِيَةِ عَشْرَةَ (٥) جَاءَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى أَبِي بَكْرٍ تَطْلُبُ إِرْثَهَا مِمَّا أَعْطَاهَا الأَنْصَارُ لَهُ صلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّم مِنْ أَرْضِهِمْ وَمَا أَوْصَى بِهِ إِلَيْهِ صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَسَلَّم وَهُو وَصِيةُ مُخَيْرِيق عِنْدَ إِسْلَامِهِ، وَهُو سَبْعَةُ حَوَائِطَ مِنْ

---

(١) في المطبوعة (المؤمنين)، وما أثبت عن طبقات ابن سعد ١٧/٨، وأسد الغابة ٢٢٣/٧.
أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ٣٦٢/٤، وأحمد في مسنده ٢٨٢/٦، والترمذي ٧٠١/٥ كتاب المناقب، باب ـ فضل فاطمة الحديث رقم (٣٨٧٣).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ٣٦٦/٤، والحاكم في المستدرك ١٥٤/٣ في كتاب معرفة الأصحاب.

(*) انظر «مصابيح السنة» ٢٠٣/٤، كتاب المناقب (٢٨)، باب ـ مناقب أزواج النبي ـ ﷺ ـ (١١)، الحديث رقم (٤٨٥٣)، والحديث أخرجه الترمذي في السنن (٧٠١/٥)، كتاب المناقب (٥٠)، باب ـ فضل فاطمة. . . (٦١)، الحديث رقم (٣٨٧٣).

(٣) انظر مصابيح السنة ٢٠٣/٤.

(٤) الحديث أخرجه الترمذي برقم (٣٨٧٣) في كتاب المناقب، باب ـ فضل فاطمة.

(٥) في الأصل (عش).

بَنِي النَّضِير، وَهُو أَوَّلُ وَقْفٍ فِي الإِسْلاَمِ، وَمِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَرْضِ بَنِي النَّضِيرِ وَفَدْكٍ، وَنَصِيبَه مِنْ خَيْبَر وَهُمَا حِصْنُ الوَطِيحِ، وَحِصْنُ السَّلاَلِمِ، فَقَالَ لَهَا أَبُو بَكْر: لَسْتُ بِالَّذِي أُقَسِّمُ مِنْ ذَلِكَ شَيْئاً، وَلَسْتُ تَارِكاً شَيْئاً كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ فِيهَا إِلاَّ عَمِلْتُهُ، وَأَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ أَمْرَهُ أَوْ شَيْئاً مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغ، وَقَدْ قَالَ صلَّى الله تعالى عليه وسلم: «لاَ نُورَّثُ، مَا تَرَكْنَا صَدَقَة» (١). وَلَكِنْ أَعُولُ مَنْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ يَعُوله، وَأُنْفِقُ عَلَى مَنْ كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ؛ وَكَذَلِكَ مَنَعَ أَزْوَاجَهُ صلَّى الله تعالى عليه وسلم لَمَّا جِئْنَ يَطْلُبْنَ (٢) ثُمُنَهُنَّ.

وَذَكَرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ» قَالَ: وَإِنَّمَا يُقَالُ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الزَّهْرَاءُ لِطَهَارَتِهَا وَوَضَاءَتِهَا، وَالبَتُولُ لِانْقِطَاعِهَا إِلَى اللَّهِ، أَوْ لِانْقِطَاعِهَا بِالفَضْلِ عَنِ النَّاسِ، أَوْ لأَنَّهَا لَمْ تَحِضْ (٣) قَط.

وَتُوفِّيَتْ فَاطِمَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بَعْدَ أَبِيهَا، ﷺ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ؛ وَقَالَ ابْنُ شَهَابٍ: بِثَلاَثَةِ أَشْهُرٍ. وَقَالَ عَمْرُو بْنُ دِينَارٍ: بِثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ، وَقَالَ ابْنُ بُرَيْدَة: بِسَبْعِينَ يَوْماً، وَقِيلَ: بِخَمْسٍ وَسَبْعِينَ لَيْلَةً وَقِيلَ: بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ إِلاَّ يَوْمَيْنِ، وَقِيلَ: بِمَائَةِ يَوْمٍ، وَذَلِكَ يَوْمَ الثُّلاَثَاءِ لِثَلاَثٍ خَلَتْ مِنْ شَهْرِ رَمَضَان سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَة (٤)، وَغَسَّلَهَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ وَصَلَّى عَلَيْهَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقِيلَ: العَبَّاسُ، وَدَخَلَ قَبْرَهَا العَبَّاسُ وَعَلِيٌّ وَالفُضَيْلُ.

وَذَكَرَ في «التَّبْيين»: أَنَّهَا وَلَدَتْ ثَالِثاً غَيْرَ الحَسَنِ وَالحُسَيْنِ فَسَمَّاهُ النَّبِيّ ﷺ مُحْسِناً.

وَلَمَّا احْتُضِرَتْ قَالَتْ لأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ: إِنِّي أَسْتَقْبِحُ مَا يُصْنَعُ بِالنِّسَاءِ

---

(١) الحديث أخرجه.

(٢) في الأصل (تطلبن).

(٣) في الأصل (تحظ).

(٤) في الأصل (عشر).

يُوضَعُ عَلَيْهَا الثَّوْبُ فَيصِفُهَا، فَأَرَتْهَا أَسْمَاءُ نَعْشاً مِنْ جَرائدَ كَالهَوْدَجِ تَصْنَعُهُ الحَبَشَة فَاسْتَحْسَنَتْهُ، وَأَمَرَتْ أَنْ تُحْمَلَ بِهِ (١)، وَأَرَادَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنْ تَدْخُلَ عَلَيْهَا وَهِي تُغَسِّلُهَا مَعَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَتْ لَهَا أَسْمَاءُ: لَا تَدْخُلِي، فَشَكَتْهَا إِلَى أَبِيهَا الصِّدِيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَاعْتَذَرَتْ إِلَيْهِ بِأَنَّهَا أَوْصَتْ أَنْ لَا يَدْخُلَ عَلَيْهَا أَحَدٌ (٢).

وَكَانَ عُمْرُهَا ثَلَاثِينَ سَنَةً، وَقَالَ الكَلْبِيُّ: خَمْساً (٣) وَثَلَاثِينَ فَأَنْكَرَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ.

---

(١) قال في هامش المطبوعة: (وبه» مكررة سهواً من الناسخ).

(٢) أورد الرواية ابن الأثير في أسد الغابة ٧/٢٢٦.

(٣) في المطبوعة (خمس).

[٤٠]

أُمُّ كُلْثُوم* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بِنْتُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانَتْ عِنْدَ عُتَيْبَةَ بْنِ[١] أَبِي لَهَبٍ، فَلَمَّا نَزَلَتْ ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ...﴾[٢] قَالَ[٣] أَبُوهُ: رَأْسِي مِنْ رَأْسِكَ حَرَامٌ إِنْ لَمْ تُفَارِقْ بِنْتَ مُحَمَّدٍ، فَطَلَّقَهَا وَهِيَ أَصْغَرُ مِنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا. وَقَالَ مُصْعَبٌ: هِيَ أَكْبَرُ مِنْ رُقَيَّةَ، وَخَالَفَهُ أَهْلُ الأَنْسَابِ[٤]، تَزَوَّجَهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ بَعْدَ وَفَاةِ[٥] رُقَيَّةَ سَنَةَ ثَلَاثَةٍ مِنَ الهِجْرَةِ، وَكَانَ ذَلِكَ بَعْدَ مَا عَرَضَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَفْصَةَ عَلَى عُثْمَانَ وَسَكَتَ[٦] لأَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا أَدُلُّ عُثْمَانَ عَلَى مَنْ هِيَ خَيْرٌ مِنْ حَفْصَةَ، وَأَدُلُّهَا عَلَى مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنْ عُثْمَانَ»[٧]؟ ثُمَّ زَوَّجَ أُمَّ كُلْثُوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِنْ عُثْمَانَ وَتَزَوَّجَ ﷺ حَفْصَةَ، كَذَا ذَكَرَهُ فِي الاسْتِيعَابِ[٨] وَعَقَدَ عُثْمَانُ، رَضِيَ اللَّهُ

(*) انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/٢٥ ـ ٢٦، والاستيعاب ٤/٤٦٣ ـ ٤٦٥، وأسد الغابة ٧/٣٨٤، والإصابة ٤/٤٦٦.

(١) في المطبوعة (من) والصواب ما أثبت.

(٢) سورة المسد، الآية ـ ١.

(٣) في الأصل (قاله).

(٤) ذكر ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/٣٦٢ مسألة اضطراب مصعب والزبير في بنات الرسول ﷺ أيتهن أكبر وأصغر، وقد سبقت الإشارة إليها. انظر هامش ٢ من ترجمة فاطمة الزهراء.

(٥) في الأصل (وفات).

(٦) في الأصل (فسكت).

(٧) الحديث أخرجه، ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/٤٦٤.

(٨) انظر الاستيعاب ٤/٤٦٣ ـ ٤٦٤.

عَنْهُ عَلى أمِّ كُلْثُوم [فِي ال](١) سَّنَةِ الثَّالِثَةِ فِي رَبِيعِ الأَوَّلِ ، وَبَنَى بِهَا فِي جُمَادِي الآخِرَةِ .

وَتُوفِّيَتْ أُمُّ كُلْثُوم سَنَةَ تِسْعٍ مِنَ الهِجْرَةِ فِي حَيَاتِهِ صلَّى الله تعالى عليه وسلم، وَصَلَّى عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَزَلَ [في] (٢) حُفْرَتِهَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ»: أَنَّ أَبَا طَلْحَةَ الأَنْصَارِي اسْتَأْذَنَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَنْزِلَ حُفْرَتَهَا، فَأَذِنَ لَهُ، وَيُرْوَى أَنَّه صلَّى الله تعالى عليه وسلم قَالَ لأَصْحَابِهِ: «هَلْ مِنْكُمْ أَحَدٌ لَمْ يُقَارِفْ(٣) ذَنْباً؟» فَقَالَ أَبُو طَلْحَة: أَنَا فَأَمَرَهُ فَنَزَلَ لِحُفْرَتِهَا (٤). وَغَسَّلَتْهَا أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْس، وَصَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ المُطَّلِبِ عَمَّةُ النَّبِيِّ صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم وَشَهِدَتْ أُمُّ عَطِيَّة وَحَكَتْ قَوْلَه ﷺ: «اغْسِلْنَهَا ثَلاثاً أَوْ خَمْساً أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ إِنْ رَأَيْتُنَّ» (٥). قَالَتْ لَيْلَى الثَّقَفِيَّة: كُنْتُ فِيمَنْ غَسَّلْنَهَا، فَأَوَّلُ مَا أَعْطَانَا النَّبِيُّ مِنْ كَفَنِهَا الحِقْو، أَيْ الإِزَار، ثُمَّ الدِّرْع، ثُمَّ الخِمَار، ثُمَّ المَلْحَفَة، ثُمَّ أُدْرِجَتْ فِي الثَّوْبِ الأَكْبَرِ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَ البَابِ يُنَاوِلُنَا.

وَذُكِرَ فِي «التَّبْيِينِ»: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا عَلَى عُتَيْبَة بْنِ أَبِي لَهَب فَقَالَ: «سَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْكَ كَلْباً مِنْ كِلَابِهِ». فَخَرَجَ فِي تِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ، فَلَمَّا كَانَ فِي أَرْضٍ مُسْبِعَةٍ، تَذَكَّرَ دُعَاءَهُ (٦) ، ﷺ فَنَضَّدَ الحُمُولَ وَدَخَلَ وَسْطَهَا فَإِذَا بِأَسَدٍ مُقْبِلٌ، فَلَمْ يَقْدِرِ الرَّكْبُ دَفْعَهُ، وَوَثَبَ عَلَيْهِ، فَافْتَرَسَهُ.

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «البُسْتَانِ»: لَمَّا زَوَّجَ ﷺ رُقَيَّة لِعُثْمَان وَأَقَامَتْ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ مَاتَتْ فَزَوَّجَهُ أُمَّ كُلْثُوم، وَلِهَذَا سُمِّي ذُو النُّورَيْنِ(٧).

---

(١) زيادة يقتضيها السياق عن الاستيعاب ٤/٤٦٤.

(٢) زيادة يقتضيها السياق عن الاستيعاب ٤/٤٦٤.

(٣) في الأصل (يفارق) والصواب ما أثبت عن الإصابة ٤/٤٦٦.

(٤) الحديث أخرجه: ابن سعد في طبقاته ٨/٢٦ والحافظ في الإصابة ٤/٤٦٦، والبخاري في صحيحه.

(٥) الحديث أخرجه: ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/٤٦٥، وابن الأثير في أسد الغابة ٧/٣٨٤.

(٦) في الأصل (دعاؤه).

(٧) انظر «بستان العارفين» باب نسبة النبي - ﷺ - وأولاده وأزواجه ص ٧١ - ٧٢.

[٤١]

أُمُّ مَعْبَدَ عَاتِكَةُ بِنْتُ خَالِدٍ الخُزَاعِيَّةُ

كَانَتْ مِنَ الأَجْوَادِ. . . وَكَانَتْ تُطْعِمُ وَتُسْقِي مَنْ يَمُرُّ بِهَا، وَلَمَّا هَاجَرَ ﷺ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ، وَكَانَتْ سَنَةً جَدْبَةً وَكَانَ مَعَهُ الصِّدِّيقُ وَعَامِرُ بْنُ فهيرَة، فَمَرُّوا فِي طَرِيقِهِمْ بِقُدَيْدٍ عَلَى أُمِّ مَعْبَد، فَطَلَبُوا مِنْهَا لَبَناً،وَلَحْماً يَشْتَرُونَهُ(١) فَلَمْ يَجِدُوه. فَنَظَرَ إِلَى شَاةٍ خَلَّفَهَا الجَهْدُ عَنْ الغَنَمِ فَسَأَلَهَا ﷺ «هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ؟» فَقَالَتْ: هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذَلِكَ. فَاسْتَأْذَنَهَا فِي حَلْبِهَا، فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَدَعَا بِهَا وَمَسَحَ ضَرْعَها وَسَمَّى اللَّهَ تَعَالَى، فَدَرَّتْ وَسَقَى القَوْمَ حَتَّى رَوَوا ثُمَّ شَرِبَ ﷺ ثُمَّ حَلَبَ ثَانِياً عَلَلاً بَعْدَ نَهَل، وَتَرَكُوهَا، وَذَهَبُوا فَجَاءَ زَوْجُ أُمِّ مَعْبَدَ(٢) وَاسْمُهُ أَكْثَمُ، وَقِيلَ: خُنَيْس، وَقِيلَ: عَبْدُ اللَّهِ فَأَخْبَرَتْهُ الخَبَرَ فَقَالَ: هَذَا صَاحِبُ قُرَيْشٍ وَلَوْ رَأَيْتُهُ لاتَّبَعْتُه(٣)، وَذُكِرَ «فِي شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاءِ»: رَوَى أَبُو نُعَيْم وَغَيْرُهُ أَنَّ الشَّاةَ بَقِيَتْ عِنْدَهُمْ يَحْلِبُونَهَا لَيْلاً

(*) هي: عَاتِكَةُ بِنْتُ خَالِدِ بْنِ مُنْقِذِ بْنِ رَبِيعَة. وَقِيلَ: عَاتِكَةُ بِنْتُ خَالِدِ بْنُ خُلَيْفِ بْنِ مُنْقِذِ بْنِ رَبِيعَةِ بْنِ أَصْرَمَ بْنِ ضُبَيْسِ بْنِ حَرَامِ بْنُ حُبْشِيَّةَ بْنِ سَلُولِ بْنِ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَمْرِو بْنِ رَبِيعَةَ الخُزَاعِيَّةُ.
وهي أم معبد، كُنِّيَتْ بابنها معبد.

انظر ترجمتها، الطبقات الكبرى ٨/٢١١ ـ ٢١٢، والاستيعاب ٤/٣٥٧،وفي باب الكنى ٤/٤٧١ ـ ٤٧٥ وأسد الغابة ٧/١٨٢ ـ ١٨٣، والإصابة ٤/٤٧٤ ـ ٤٧٥.

(١) في الأصل (يشيرونه).

(٢) وذكر ابن سعد في طبقاته ٨/٢١١: أَنَّ أُمَّ مَعْبَدٍ كَانَتْ تَحْتَ ابْنِ عَمِّهَا، وَيُقَالُ لَهُ: تَمِيمُ ابْنُ عَبْدِ العُزَّى بْنِ مُنْقِذِ بْنِ رَبِيعَةَ.

(٣) وردت قصة أُم معبد قصة الشاة التي مسح رسول الله ﷺ ضرعها في: طبقات ابن سعد ٨/٢١١ والاستيعاب ٤/٤٧٢، وأسد الغابة ٧/١٨٢، والإصابة ٤/٤٧٤.

وَنَهاراً إِلَى زَمَانِ عُمَر رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَأَسْلَمَتْ أُمُّ مَعْبَد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَأَخُـوهَا حُبَيْش بْنُ الأَشْعَرِ، واسْتُشْهِدَ يَوْم الفَتْحِ ، وَقِيلَ: إِنَّ زَوْجَ أُمِّ مَعْبَد لَحِقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَبَايَعَهُ وَرَجَعَ إِلَى بَيْتِهِ وَلَقِيَهُمَا الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَائِداً إِلَى مَكَّةَ فَكَسَاهَا ثِياباً بيضـاءَ . . . . تُوفِّيَتْ[1] أُمُّ مَعْبَدٍ فِي خِلَافَةِ الفَارُوقِ، وَفِي كَلَامِ ابْنِ الجَوْزِي إِنَّهَا أَسْلَمَتْ وَهَاجَرَتْ وَكَذَا زَوْجُهَا.

(١) في الأصل (الشنفا).

[٤٢]

هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ

زَوْجَةُ أَبِي[١] سُفْيان، وَهِي أُمُّ مُعَاوِيَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وكَانَتْ تُعْرَفُ بِآكِلَةِ الأَكْبَادِ لأَنَّهَا كَانَتْ مَعَ الكُفَّارِ فِي وَقْعَةِ[٢] أُحُدٍ فَاجْتَمَعَتْ مَعَهَا نِسَاءُ قُرَيْشٍ لَمَّا الْتَحَمَ القِتَالُ قَامَتْ هِنْدٌ فِي النِّسْوَةِ اللاَّتِي مَعَهَا، وَأَخَذْنَ الدُّفُوفَ يَضْرِبْنَ بِهَا خَلْفَ الرِّجَالِ وَيَقُلْنَ:

وَيْهاً[٣] [بَني][٤] عَبْدَ الدَّارِ ... وَيْهاً حُمَاةَ الأَدْبَارِ[٥]

ضَرْباً بِكُلِّ بَتَّارِ[٦]

(*) هي: هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ القُرَشِيَّة الهَاشِمِيَّة، أُمُّهَا: صَفِيَّةُ بِنْتُ أُمَيَّةَ بْنِ حَارِثَةَ بْنِ الأَوْقَصِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ هِلاَلٍ. كَانَتْ امْرَأَةً لَهَا نَفْسٌ وَأَنَفَةٌ، وَرَأْيٌ وَعَقْلٌ. وَشَهِدَتْ أُحُداً كَافِرَةً. وَكَانَتْ قَبْلَ أَبِي سُفْيَان تَحْتَ حَفْصِ بْنِ المُغِيرَة المَخْزُومِي.

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/١٧٠ - ١٧٢، والاستيعاب ٤/٤٠٩ - ٤١١، وأسد الغابة ٧/٢٩٢ - ٢٩٣، والإصابة ٤/٤٠٩ - ٤١٠.

(١) في الأصل (أبو).

(٢) في الأصل (وقعت).

(٣) في الأصل (ويهن)، والتصويب عن الكامل لابن الأثير (٢/١٠٦).

(٤) الزيادة عن الكامل (٢/١٠٦).

(٥) في المطبوعة (الأديار) والتصويب عن الكامل (٢/١٠٦)، تريد الذي يحمون أعقاب الناس.

(٦) البتّار: السيف القاطع، والأبيات وردت في الكامل ٢/١٦٠.

وَكَانَ ﷺ إذا سَمِعَ ذَلِكَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ بِكَ أَحُولُ، وَبِكَ أَصُولُ، وَفِيكَ أُقَاتِلُ حَسْبِي اللَّهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ» وَلَمَّا قُتِلَ حَمْزَةُ، رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَكُسِرَتْ[1] رُبَاعِيَّته ﷺ وَشُجَّ وَجْهُهُ؛ مَثَّلَتْ هِنْدُ وَصَوَاحِبُهَا بِقَتْلَى المُسْلِمِين، فَجَدَعْنَ آنَافَهُمْ وَآذَانَهُمْ، وَاتَّخَذْنَ مِنْهَا[2] قَلاَئِدَ، وَبَقَرَتْ هِنْدُ بَطْنَ حَمْزَة، رَضِي اللَّهُ عَنْهُ، وَأَخْرَجَتْ كَبِدَهُ فَمَضَغَتْهُ وَلَفَظَتْهُ، وَقِيلَ: إِنَّهَا شَوَتْهُ وَأَكَلَتْهُ وَلِهَذَا كَانَ يُقَالُ لَهَا: آكِلَةُ الأَكْبَادِ. ثُمَّ أَسْلَمَتْ بَعْدَ ذَلِك، وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَها بَعْدَ أَنْ تَابَتْ مِنْ كُفْرِهَا، وَإِنْ كَانَ مَا فَعَلَتْهُ عِنْدَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ عَظِيم. وَأَشْرَفَتْ هِنْدُ عَلَى الجَبَلِ. وَأَنْشَدَتْ[3] أَبْيَاتاً، وَكَذَلِكَ فَعَلَ زَوْجُهَا أَبُو سُفْيَان أَشْرَفَ عَلَى الجَبَلِ وَنَادَى: أنعمت فعال، إِنَّ الحَرْبَ سِجَالٌ مَرَّة لَنَا وَمرَّة عَلَيْنَا، يوم أحد لِيَوْمِ بَدْر. ثُمَّ نَادَى أَبُو سُفْيَان: أُعْلُ هُبَلْ[4]، أَيْ اظْهرْ دِينَك، فَقَال: صلَّى الله تعالى عليه وسلم لِعُمَر: «قُمْ فَأَجِبْهُ» فَقُلْ: اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ لاَ سَوَاء، قَتْلاَنَا فِي الجَنَّةِ وَقَتْلاَكُم فِي النَّارِ»[5]. فَقَالَ أَبُو سُفْيَان: إِنَّكُمْ تَزْعُمُونَ

---

(١) في الأصل (وكس)، والتصويب عن الكامل لابن الأثير ٢/١٠٧، وقال الأستاذ / عماد في هامش المطبوعة: (واضح أيضاً أن الكسر والشج عائدين إلى الحمزة سلام الله عليه). وهو خطأ، والصواب أن الكسر والشج عائدين إلى الرسول ﷺ، لما ورد في الكامل لابن الأثير. ولحديث أنس، قال: كُسِرَتْ رُبَاعِيَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، وَشُجَّ، فَجَعَلَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ، وَمَسَحَ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ وَيَقُولُ: «كَيْفَ يُفْلِحُ قَوْمٌ خَضَّبُوا وَجْهَ نَبِيِّهِمْ، وَهُوَ يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ». وهو حديث صحيح أخرجه الترمذي رقم (٣٠٠٢، ٣٠٠٣) وصححه، وابن ماجة رقم (٤٠٢٧)، ورواه مسلم رقم (١٧٩١) كتاب الجهاد والسير، باب غزوة أحد.

(٢) في الأصل (منهم).

(٣) في الأصل (وأنشد).

(٤) هُبَلْ: اسْمُ صَنَم، قَالَ ابْنُ الكَلْبِي: (وَكَانَتْ لِقُرَيْشٍ أَصْنَامٌ فِي جَوْفِ الكَعْبَةِ وَحَوْلَهَا، وَكَانَ أَعْظَمُهَا عِنْدَهُمْ هُبَلُ... وَهُو الَّذِي يَقُولُ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ حِينَ ظَفِرَ يَوْمَ أُحُدٍ: أُعْلُ هُبَلْ - أَيْ عَلاَ دِينُك - فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اللَّهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ»).

(٥) انظر كتاب الأصنام - لابن الكلبي ص ٢٧ - ٢٨.

ذَلِك، لَقَدْ خِبْنَا إذاً وَخسِرْنَا، ثُمَّ قَالَ: إنَّ لَنَا العُزَّى[1] وَلاَ عُزَّى لَكُمْ[2] فَقَالَ ﷺ «اللَّهُ مَوْلاَنَا وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ».

وَلَمَّا سَارَ ﷺ إلَى فَتْحِ مَكَّةَ وَقَبَضَ عَلَى أَبِي[3] سُفْيَان وَآمَنَهُ قَالَ: مَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي[4] سُفْيَانَ فَهُو آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ دَارَهُ فَهُو آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ المَسْجِدَ فَهُو آمِنٌ وَمَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُو آمِنٌ، وَمِنْ دَخَلَ دَارَ حَكِيم بْنِ حَزَامٍ فَهُو آمِنٌ»[5]. فَرَكَضَ أَبُو سُفْيَان إلَى مَكَّةَ وَهُو يَصْرُخُ بِأَعْلَى[6] صَوْتِهِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْش! هَـذَا مُحَمَّدٌ قَدْ جَاءَكُمْ بِمَا لاَ قِبَلَ لَكُمْ بِهِ، فَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُو آمِنٌ. فَأَخَذَتْ زَوْجَتُهُ هِنْدُ بِلِحْيَتِهِ وَنَادَتْ، يَا آل غَالِب، آقْتُلُوا الشَّيْخَ الأَحْمَقَ، هَلاَّ قَاتَلْتُمْ وَدَافَعْتم عَنْ أَنْفُسِكُمْ؟ فَقَالَ لَهَا: وَيْحكِ[7]، آسْكُتِي، وَادْخُلِي بَيْتَكِ. وَدَخَل ﷺ إلَى مَكَّةَ وَطَافَ وَكَسَّرَ الأَصْنَامَ، وَجَلَسَ عَلَى الصَّفَا يُبَايعُ النَّاسَ فَجَاءَهُ[8] الكِبَارُ وَالصِّغَارُ، وَالرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ فَبَايَعُوه مُسْلِمِينَ أَفْوَاجـاً أَفْوَاجـاً، وَنَزَلَتْ، ﴿إذَا جَـاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً﴾[9] وَذُكِرَ فِي «جَامِعِ البَيَانِ

---

(١) العُزَّى: اسْمُ صَنَم، قال ابْنُ الكَلْبِي: (وَكَانَتْ أَعْظَمُ الأَصْنَامِ عِنْدَ قُرَيْش. وكَانُوا يَزُورُونها وَيُهْدُونَ لَهَا وَيَتَقَرَّبُونَ عِنْدَهَا بالذَّبْح... وَلَمْ تَزَلْ العُزَّى كَذَلِكَ حَتَّى بعث اللَّهُ نَبِيَّه ﷺ فَعَابَهَا وَغَيْرَهَا مِنَ الأَصْنَامِ، وَنَهَاهُمْ عَنْ عِبَادَتِهَا، وَنَزَلَ القُرْآنُ فِيهَا... فَلَمَّا كَانَ عَامَ الفَتْحِ دعَا النَّبِيّ ﷺ خَالِدَ بْنَ الوَلِيدَ فَقَالَ: «انْطَلِقْ إلَى شجرةٍ، بِبَطْنِ نَخْلَةَ، فَاعْضِدْهَا» فَانْطَلَقَ فَأَخذَ دُبَيَّةَ فَقَتَلَه وَكَانَ سَادِنَهَا، ثُمَّ أَتى النَّبِيّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ: «تِلْكَ العُزَّى، وَلاَ عُزّى بَعْدَهَا لِلْعَرَبِ أَمَا إِنَّهَا لَنْ تُعْبَدَ بَعْدَ اليَوْم».
انظر كتاب الأصنام ـ لابن الكلبي ص ١٨ ـ ٢٦.

(٢) في المطبوعة (ولا عزتكم)، والصواب ما أثبت عن الكامل ١١١/٢.

(٣) في الأصل (أبو).

(٤) في الأصل (أبا).

(٥) الحديث أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ٨٧/٤، وابن حجر في الإصابة ١٧٢/٢.

(٦) في الأصل (بأعلا).

(٧) في الأصل (ويحكي).

(٨) في الأصل (فجاة).

(٩) سورة النصر، الآيتان ١، ٢.

فِي تَفْسِيرِ القُرْآنِ»: عَنِ الإِمَامِ أَحْمَدَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ ﷺ: «لَمَّا نَزَلَتْ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ[1] وَالْفَتْحُ﴾ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي كَأَنِّي مَقْبُوضٌ فِي تِلْكَ السَّنَةِ». وَفِي مُسْلِمٍ وَالطَّبَرَانِي وَالنَّسَائِي. أَنَّهَا آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ مِنَ القُرْآنِ. وَعَنِ البَيْهَقِي، أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي أَيَّامِ التَّشْرِيقِ[2] بِمِنًى فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ، فَيَكُونُ نُزُولُهَا بَعْدَ فَتْحِ مَكَّةَ بِسَنَتَيْنِ.

وَبَايَعَ ﷺ النِّسَاءَ مِنْ غَيْرِ مُصَافَحَةٍ، وَفِيهِنَّ هِنْدُ مُتَنَقِّبَةً[3] مُتَنَكِّرَةً. فَلَمَّا [قَالَ][4] لَهُنَّ ﷺ: «وَلَا تَقْتُلْنَ أَوْلَادَكُنَّ. قَالَتْ هِنْدُ: رَبَّيْنَاهُمْ صِغَاراً[5] فَقَتَلْتَهُمْ كِبَاراً[6]، فَضَحِكَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حَتَّى اسْتَلْقَى، وَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ أَوْ ضَحِكَ[7]، وَلَمَّا أَسْلَمَتْ هِنْدُ عَمَدَتْ إِلَى صَنَمٍ كَانَ فِي بَيْتِهَا وَجَعَلَتْ تَضْرِبُهُ[8] بِالقَدُومِ وَتَقُولُ: كُنَّا مِنْكَ فِي غُرُورٍ.

وَمَاتَتْ هِنْدُ فِي خِلَافَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي أَوَاخِرِهَا وَقِيلَ: فِي خِلَافَةِ عُثْمَانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِذَلِكَ.

---

(١) قال في هامش المطبوعة: (سقط اسم الجلالة من الناسخ).

(٢) في الأصل (والتشديق)، والتصويب عن.

(٣) في الأصل (متنقية).

(٤) الزيادة عن طبقات ابن سعد ١٧٢/٨، والاستيعاب ٤١١/٤، وأسد الغابة ٢٩٣/٧.

(٥) في الأصل (صغار).

(٦) في الأصل (كبار).

(٧) حديث بيعة النساء أخرجه ابن سعد في الطبقات ١٧٢/٨، وابن عبد البر في الاستيعاب ٤١١/٤، وابن الأثير في أسد الغابة ٢٩٣/٧، وأخرجه ابن حجر في الإصابة ٤٠٩/٤، وقال: (وقصتهما في قولها عند بيعة النساء وأن لا يسرقن ولا يزنين.. مشهورة، ومن طرقه ما أخرجه ابن سعد بسند صحيح مرسل عن الشعبي).

(٨) في الأصل (نقر به).

[٤٣]

أُمُّ حَرَام* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بِنْتُ مِلْحَانِ بْنِ خَالِدٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ، وَهِيَ خَالَةُ(١) أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، وَهِيَ زَوْجَةُ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ، كَانَتْ مِنَ الصَّالِحَاتِ. كَانَ، ﷺ يَزُورُهَا وَيَقِيلُ فِي بَيْتِهَا، وَنَامَ عِنْدَهَا يَوْماً، فَاسْتَيْقَظَ(٢) [وَهُوَ](٣) يَضْحَكُ، فَقَالَتْ: مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «عُرِضَ عَلَيَّ نَاسٌ مِنْ أُمَّتِي يَرْكَبُونَ الْبَحْرَ مُلُوكاً»(٤) قَالَتْ: فَادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ أَكُونَ مِنْهُم(٥). فَدَعَا(٦) لَهَا. ثُمَّ نَامَ ثَانِياً، وَاسْتَيْقَظَ [وَهُوَ يَضْحَكُ](٧) وَقَالَ ثَانِياً مَا قَالَ أَوَّلاً. فَسَأَلَتْهُ، أَيْضاً، أُمُّ حَرَامٍ أَنْ يَدْعُوَ لَهَا بِأَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ، فَقَالَ لَهَا: «أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ» وَلَمَّا وَلِيَ الخِلاَفَةَ عُثْمَانُ بْن عَفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ جَهَّزَ جَيْشاً مَعَ

(*) هي: أُمُّ حَرَامٍ بِنْتُ مِلْحَانِ بْنِ خَالِدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ حَرَامِ بْنِ جُنْدُبِ بْنِ عَامِرِ بْنِ غَنْمِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ الأَنْصَارِيَّةُ الخَزْرَجِيَّةُ، أُمُّهَا: مُلَيْكَةُ بِنْتُ مَالِكِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ زَيْدِ مَنَاةَ بْنِ عَدِيِّ بْنِ عَمْرِو بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ. أَسْلَمَتْ أُمُّ حَرَامٍ وَبَايَعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ.

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٣١٨/٨ ـ ٣١٩، والاستيعاب ٤٢٤/٤، وأسد الغابة ٣١٧/٧ ـ ٣١٨، والإصابة ٤٢٣/٤ ـ ٤٢٤.

(١) في الأصل (مالت).

(٢) في المطبوعة (فجلس) وما أثبت عن صحيح مسلم رقم (١٩١٢)، وطبقات ابن سعد ٣١٨/٨.

(٣) الزيادة عن صحيح مسلم رقم (١٩١٢)، وطبقات ابن سعد ٣١٨/٨.

(٤) في الأصل (مملوكاً)، والتصويب عن صحيح مسلم رقم (١٩١٢)، وطبقات ابن سعد ٣١٨/٨.

(٥) في الأصل (معهم).

(٦) في الأصل (فدعى).

(٧) الزيادة عن صحيح مسلم رقم (١٩١٢)، وطبقات ابن سعد ٣١٨/٨، والإصابة ٤٢٤/٤.

مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى فَتْحِ جَزِيرَةِ قبرص(1) فَخَرَجَتْ أُمُّ حَرَامٍ مَعَ زَوْجِهَا عُبَادَة غَازِيَةً(2). فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى جَزِيرَةِ قبرس وَخَرَجُوا إِلَى البَرِّ، وَخَرَجَتْ أُمُّ حَرَامٍ مِنَ البَحْرِ فَقَدَّمُوا إِلَيْهَا دَابَّةً لِتَرْكَبَهَا فَرَكِبَتْ، وَلَمْ تَسْتَقِرَّ حَتَّى صَرَعَتْهَا وَوَقَعَتْ إِلَى الأَرْضِ وَمَاتَتْ (3)، وَدُفِنَتْ فِي جَزِيرَة قبرص رَحْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهَا.

---

(1) في معجم البلدان (قبرس) بالسين.

(2) قال ابن الأثير في أسد الغابة ٣١٨/٧: (وكانت تلك الغزوة غزوة قبرس، فدفنت بها، وكان أمير ذلك الجيش معاوية بن أبي سفيان في خلافة عثمان، ومعه أبو ذر، وأبو الدرداء، وغيرهما من الصحابة، وذلك سنة سبع وعشرين).

(3) الحديث أخرجه ابن سعد في الطبقات ٣١٨/٨، وابن الأثير في أسد الغابة ٣١٧/٧، وابن حجر في الإصابة ٤٢٤/٤، وأحمد في مسنده ٤٢٣/٦، وأخرجه مسلم في صحيحه رقم (١٩١٢) كتاب الإمارة، باب ـ فضل الغزو في البحر، والبخاري رقم (١٣٣٤).

[٤٤]

أُمُّ عمارة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بِنْتُ كَعْبٍ، كَانَتْ تَحْتَ وَهْبِ الأَسْلَمِي، فَوَلَدَتْ لَهُ حَبِيب، وَمَاتَ وَهْبُ فتَزَوَّجَهَا زَيْدُ بْنُ [عَاصِمٍ](١) فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ اللَّهِ وَهُوَ الَّذِي قَتَلَ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابَ. فِي رِوَايَةٍ قَالَتْ أُمُّ عِمَارَةَ: كَانَ وَلَدَايَ(٢): حَبِيبُ وَعَبْدُ اللَّهِ مَعَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ فِي عُمَانَ، فَلَمَّا عَادَ بَعْدَ وَفَاةِ(٣) رَسُولِ اللَّهِ اعْتَرَضَهُمْ مُسَيْلَمَةُ فَنَجَا عَمْرُو وَقُبِضَ عَلَى وَلَدَيَّ حَبِيبٍ وَعَبْدِ اللَّهِ، فَقَالَ مُسَيْلَمَةُ لِحَبِيبٍ: أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟ فَقَالَ: لَا أَسْمَعُ. فَحَبَسَهُ عِنْدَهُ. ثُمَّ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ كَذَلِكَ(٤) وَحَبَسَهُ، ثُمَّ قَالَ لِحَبِيبٍ: أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: نَعَمْ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُطِّعَتْ أَعْضَاؤُهُ، وَأُحْرِقَ بِالنَّارِ، وَلَمَّا جَهَّزَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ خالدَ بْنَ الوَلِيدِ بِالعَسَاكِرِ لِحَرْبِ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّابِ خَرَجَتْ مَعَهُ أُمُّ عِمَارَةَ. قَالَتْ: فَلَمَّا انْتَهَيْنَا إِلَى الحَدِيقَةِ بَعْدَ قِتَالٍ شَدِيدٍ،

(*) هي: أُمُّ عَمَارَة بِنْتُ كَعْبِ بْنِ عَمْرِو بْنِ عَوْفِ بْنِ مَبْذُولِ بْنِ عَمْرِو بْنِ غَنْمِ بْنِ مَازِنِ بْنِ النَّجَارِ، وهي أنصارية مِنْ بَنِي مَازِن، واسْمُهَا: نَسِيبَةُ، وَأُمُّهَا: الرَّبَابُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ حَبِيبِ بْنِ زَيْدِ بْنِ ثَعْلَبَة.

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٣٠١/٨ ـ ٣٠٤، والاستيعاب ٤٥٥/٤ ـ ٤٥٦، وأسد الغابة ٣٧١/٤ ـ ٣٧٢، والإصابة ٤٥٧/٤.

(١) في الأصل «بياض في الأصل فتأمل»، والزيادة عن طبقات ابن سعد ٣٠١/٨، وأسد الغابة ٣٧١/٧.

(٢) في الأصل (أولادي).

(٣) في الأصل (وفات).

(٤) في الأصل(وكذلك).

وَجُهْدٍ عَظِيم ، وَاقْتَحَمْنَا الحديقَةَ فَضَارَبْنَاهُمْ سَاعَةً وَجَعَلْتُ أَقْصِدُ عَدُوَّ اللَّهِ مُسَيْلَمَة لِأَنْ أَرَاهُ وَخَرِسَ القَوْمُ فَلاَ صَوْتَ إِلاَّ صَوْتُ السُّيُوفِ حَتَّى بَصُرْتُ بِعَدُوِّ اللَّهِ، فَشَدَدْتُ عَلَيْهِ، وَعَرَضَ لِي رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَطَعَ يَدِيَ، فَوَاللَّهِ مَا عَرَّجْتُ عَلَيْهَا حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الخَبِيثِ وَهُوَ صَرِيعٌ، وَأَجِدُ ابْنِي عَبْدَ اللَّهِ قَدْ قَتَلَهُ، وَفِي رِوَايَةٍ ابْنِي عَبْدُ اللَّهِ يَمْسَحُ سَيْفَهُ بِثِيَابِهِ. فَقُلْتُ: أَقَتَلْتَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا أُمَّاه. فَسَجَدْتُ لِلَّهِ شُكْراً، وَقُطِعَ دَابِرُ الكَافِرِينَ. فَلَمَّا انْقَضَتِ الحَرْبُ، رَجَعْتُ إِلَى مَكَانِي فَجَاءَنِي[1] خَالِدُ بْنُ الوَلِيدِ بِطَبِيبٍ مِنَ العَرَبِ فَدَاوَانِي بِالزَّيْتِ المَغْلِي، وَكَانَ وَاللَّهِ، أَشَدُّ عَلَيَّ مِنَ القَطْعِ ، وَكَانَ خَالِدُ كَثِيرَ التَّعَاهُدِ لِي، حَسَنُ الصُّحْبَةِ، يَعْرِفُ حَقَّنَا، وَيَحْفَظُ فِينَا وَصِيَّةَ نَبِيِّنَا ﷺ.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ يَحْيَى بْنِ حِبَّان قَالَ: جُرِحَتْ أم عمارة، يومئذٍ اثْنَي[2] عَشَرَ جُرْحاً[3] بَيْنَ ضَرْبَةٍ بِسَيْفٍ أَوْ رَمْيَةٍ بِسَهْمٍ ، أَوْ طَعْنَةٍ بِرُمْحٍ ، وَقُطِعَتْ يَدُهَا، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ [عَنْهُ][4] يَأْتِيهَا يَسْأَلُ عَنْهَا.

وَتُوُفِّيَتْ فِي خِلاَفَةِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقِيلَ: إِنَّ قَاتِلَ مُسَيْلَمَةَ هُو وَحْشِي لِأَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: قَتَلْتُ خَيْرَ النَّاسِ فِي الجَاهِلِيَّةِ، يَعْنِي حَمْزَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَشَرَّ النَّاسِ فِي الإِسْلاَمِ ، يَعْنِي مُسَيْلَمَةَ، وَقِيلَ: قَتَلَهُمَا بِحَرْبَةٍ وَاحِدَةٍ. وَقِيلَ: بَلْ قَتَلَهُ مُعَاوِيَةُ[5] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقِيلَ: أَبُو دُجَانَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ فِي البُخَارِي قَالَ وَحْشِي: خَرَجْتُ مَعَ النَّاسِ فَإِذَا رَجُلٌ قَائِمٌ فِي ثَلْمَة جِدَارٍ جَمَلاً أَوْرَق[6] سَافِرَ[7] الرَّأْسِ فَرَمَيْتُه فِي حَرْبَتِي، فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ حَتَّى

---

(١) في الأصل (فجائني).

(٢) في المطبوعة (أحد) والصواب ما أثبت عن طبقات ابن سعد ٣٠١/٨، وكتب التراجم المتقدمة.

(٣) في المطبوعة (جريحاً) والصواب ما أثبت عن كتب التراجم المتقدمة.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) في الأصل (معواية).

(٦) في الأصل (ورق).

(٧) في الأصل (ثابر).

خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ كَتِفَيْهِ، وَوَثَبَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَضَرَبَهُ بِالسَّيْفِ عَلَى هَامَتِهِ، فَقَالَتْ جَارِيَةٌ عَلَى ظَهْرِ بَيْتٍ: وَاأَمِيرَ المُؤْمِنِينَ قَتَلَهُ العَبْدِ الأَسْوَدُ. وَفِي المُنْتَقَى: أَشُكُّ أَنَّ الأَنْصَارِي أَبُو دُجَانَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَكَانَ مُسَيْلَمَةُ الكَذَّاب صَاحِبَ نَيرِنْجَاتٍ. وَكَانَ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ، وَيُظْهِرُ أَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَيْهِ مِثْلُ القُرْآنِ. وَمِنْ خَلْطِهِ:

يَا ضُفْدَعُ نَقِّي كَمْ تُنَقِّينَ أَعْلَاكِ فِي المَاءِ وَأَسْفَلكِ فِي الطِّينِ

لَا الشُّرْبَ تَمْنَعِينَ وَلَا المَاءَ تُكَدِّرِينَ

مِنْ آرَاجِيزِهِ، لَعَنَهُ اللَّهُ: أَخْرِجُ [1] لَكُمْ حِنْطَة وَزوانًا، وَرُطْبًا وَتَمْرًا [2] [3] ...

---

(١) في الأصل (آخر).

(٢) في الأصل (وتمرنا).

(٣) قال في هامش المطبوعة: (في أعلى الصفحة (٢٦٢) من المخطوط ذكر الناسخ ما يلي: وسنذكر إن شاء الله تعالى فيما بعد، في المقالة الثانية نبذة من أراجيزه).

[٤٥]

أَسْمَاءُ (*) رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا

بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهِيَ شَقِيقَةُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الصِّدِّيقِ، تَزَوَّجَهَا الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَكَانَ يُقَالُ لَهَا: ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ. لَقَّبَهَا(٢) بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ وَلَدَتْ عُرْوَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ

(*) سيأتي ذكرها حيث ترجم لها المصنف مرة أخرى، مع اختلاف وزيادات في بعض الفقرات.
وهي: أَسْمَاءُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ عُثْمَانَ بْنِ عَامِرِ بْنُ عَمْرِو بْنِ سَعْدِ ابْنِ تَيْمِ بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبِ بْنِ لُؤَيّ. وَأُمُّهَا: قُتَيْلَةُ بِنْتُ عَبْدِ العُزَّى بْنِ عَبْدِ أَسْعَدِ بْنِ نَصْرِ بْنِ مَالِكِ بْنِ حِسْلِ بْنِ عَامِرِ بْنِ لُؤَيّ ـ وَيُقَالُ: قَتْلَةُ لها صحبة، وروت عن النبي ﷺ أحاديث، تزوجها الزبير بن العوام بمكة، فَوَلَدَتْ له: عبد الله، وعروة، والمنذر، والمهاجر بني الزبير، ثم طلقها الزبير فعاشت مع ابنها عبد الله حتى قُتِل، وبقيت مائة سنة حتى حميت، وماتت بعد قتل عبد الله بن الزبير سنة ثلاث وسبعين، بعد ابنها بليال، وكانت أخت عائشة لأبيها، وكانت أكبر منها بعشر سنين، وولدت قبل التاريخ بسبع وعشرين سنة، وقبل مبعث النبي ﷺ بعشر سنين.
انظر ترجمتها: تاريخ مدينة دمشق ـ قسم تراجم النساء (٣ ـ ٣٠)، وطبقات ابن سعد ١٨٢/٨ ـ ١٨٦ وأسد الغابة ٩ ـ ١٠، ونسب قريش ٢٧٥، وجمهرة أنساب العرب ١٢٤ و١٣٧، والإصابة ٢٢٤/٤ ـ ٢٢٥ والاستيعاب ٢٢٨/٤ ـ ٢٣٠، والمعارف ١٧٣، وأعلام النساء ٤٧/١ ـ ٥٣، وحلية الأولياء ٥٥/٢، والوفيات ٨٠.

(١) قال ابن قتيبة: ويقال: إنه سمي: عتيقاً، لأن رسول الله ﷺ قال له: «أنت عتيق من النار»، وسمي: صديقاً، لتصديقه خبر الإسراء، وكانت وفاته في السنة الثالثة عشرة للهجرة وله يوم قبض ثلاث وستون سنة. انظر: المعارف ص ١٦٨.

(٢) في الأصل (لقبها).

عَنْهُ أَحدَ الفُقَهَاءِ السَّبْعَةِ. قِيلَ: إِنَّ أَسْمَاءَ الفُقَهَاءِ [السَّبْعَةِ][1] إِذَا كُتِبَتْ أَسْمَاؤُهُم[2] وَوضِعَتْ فِي الحُبُوبِ مَنَعَ السُّوس بِبَرَكَتِهِمْ، وَهُمْ: عُرْوَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعُبَيْدُ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَاسِمٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَسَعِيدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَسُلَيْمَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَخَارِجَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَعَاشَتْ أَسْمَاءُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِلَى أَنْ قُتِلَ وَلَدُهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ كَثِيرَ العِبَادَةِ، مَكَثَ أَرْبَعِينَ سَنَـةً لَمْ يَنْزِعِ الثَّـوْبَ عَنْ ظَهْرِهِ، قَتَلَهُ الخَبِيثُ الحَجَّاجُ سَنَة ثَـلاثَ وَسَبْعَين، ثُمَّ صَلَبَ جُثَّتَهُ عَلَى عُـودٍ وَبَقِي أَيَّامـاً مُعَلَّقاً، فَدَخَلَتْ أُمُّهُ أَسْمَاءُ عَلَى اللَّعِين الحَجَّاجِ، فَقَالَتْ لَهُ: أَما آنَ لِهَذَا الرَّاكِبِ أَنْ يَتَرَجَّلَ؟ وَقِيلَ: أَمَا حَانَ لِهَذَا الرَّاكِبِ أَنْ يَنْزِلَ؟ فَقَالَ الحَجَّاجُ: دَعُوهَا وَجِيْفَتَهَا!

وَلَمَّا رَأَتْهُ مُعَلَّقاً حَاضَتْ وَدَرَّ ثَدْيُهَا. فَقَالَتْ: حَنَّتْ إِلَيْهِ مَرَاتِعُه وَمَرَاضِعُه.

وَكَانَتْ تَقُولُ: اللَّهُم لاَ تُمِتْنِي[3] حَتَّى تَقَرَّ عَيْنِي بِجُثَّةِ عَبْد اللَّهِ، فَلَمَّا أَنْزَلُوه مِنَ الخَشَبَةِ غَسَّلَتْهُ بِمَاءِ زَمْزَم. وَكَفَّنَتْهُ وَدَفَنَتْهُ وَمَاتَتْ بَعْدَهُ بِأَيَّام يَسِيرَة.

وَكَانَتْ قَدْ أَسْلَمَتْ قَدِيماً وَتَزَوَّجَهَا الزُّبَيْرُ، رَضِيَ اللَّهُ تَعَالى عَنْه، وَهَاجَرَ بِهَا إِلَى المَدِينَةِ، وَهِيَ حَامِلٌ بِعَبْدِ اللَّهِ، فَوَضَعَتْـهُ بِقبا[4]، وَكُفَّ بَصَرُهَا فِي آخِـرِ عُمْرِهَا، وَكَانَتْ[5] مُدَّةُ عُمْرِهَا مَائة سَنَة، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل (أسماءهم).

(٣) في الأصل (تميتني).

(٤) في الأصل (بقيا).

(٥) في الأصل (كانت).

[٤٦]

أُمُّ كُلْثُوم*

بِنْتُ أَبِي بَكْر الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أُمُّهَا حَبِيبَةُ بِنْتُ خَارِجَة بْنِ زَيْدٍ الأَنْصَارِي، وَهِي أَصْغَر بَنَاتِ الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تُوفِّي أَبُو بَكْر وَأُمُّهَا حَمْلٌ بِهَا، فَلَمَّا كَبُرَتْ خَطَبَهَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ عَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ تَعَالى عَنْهَا فَأَنْعَمَتْ لَهُ بِهَا، فَكَرِهَتْ أُمُّ كُلْثُوم ذَلِكَ لِخُشُونَةِ عِيْشَةِ عُمرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وقَالَتْ: أُرِيدُ فَتىً(١) وَاسِعَ العَيْشِ، فَتَزَوَّجَهَا طَلْحَةُ(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَعْدَ أَنِ احْتَالَتْ عَائِشَةُ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا حَتَّى أَمْسَكَ عَنْهَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ عَلِمَ بِالحَالِ، فَلَمْ يُعَاتِبْ عَائِشَةَ. وَلَمْ أَطَّلِعْ عَلَى عَامِ وَفَاتِهَا.

(*) انظر ترجمتها: الإصابة ٤/٤٦٩، والمعارف ١٧٣ و ١٧٥. وأعلام النساء ٤/٢٥٠ ـ ٢٥١.

(١) في الأصل (فتا).

(٢) هو: طلحة بن عبيد الله، وقد قُتِلَ عنها، فتزوجها عبد الرحمن بن عبد الله بن أبي ربيعة المخزومي.

[٤٧]

رُقَيَّةُ* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بِنْتُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، أُمُّهَا أُمُّ كُلْثُوم بِنْتُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالى عَنْهُ، تَزَوَّجَهَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ نَعِيمِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ النَّحَّام، فَلَمْ تَلِدْ مِنْهُ، وَمَاتَتْ عِنْدَهُ(١)، وَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهَا، وَكَانَتْ حَسَنَةً فِي الغَايَةِ، وَلَهَا خُلُقٌ حَسَنٌ. تُوفِّيتْ(٢) فِي خِلَافَةِ أَبِيهَا، وقَدْ قَارَبَتْ العِشْرِينَ سَنَةً، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(*) هي: رُقَيَّةُ بِنْتُ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى بْنِ رَبَاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرْطِ بْنِ رِزَاحِ بْنِ عَدِيِّ بْنِ كَعْبٍ، وَيُكَنَّى أَبَا حَفْص. أُمُّهَا: أُمُّ كَلثوم بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، وَأُمُّهَا: فَاطِمَةُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

انظر ترجمتها: الطبقات ٣/١/١٩٠، و٨/٣٣٩، والاستيعاب ٤/٤٦٩ وجمهرة أنساب العرب ص ٣٨، والمعارف ص ١٨٥.

(١) ذكر خبر زواج رقية من إبراهيم النحام «أبو الحسن علي بن محمد المدائني» في كتابه «المردفات من قريش» ص ٦٠.

(٢) في الأصل (توفت).

[٤٨]

زَيْنَبُ الصُّغْرَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بِنْتُ عقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ(١)، كَانَتْ مِنْ أَهْلِ الفَصَاحَةِ، وَلَمَّا قُتِلَ الحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُتِلَ مَعَهُ مِنْ آلِ عَقِيل تِسْعَة(٢). فَخَرَجَتْ زَيْنَبُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا تَبْكِي قَتْلَاهَا، وَتُنْشِدُ وَتَقولُ: شِعْراً:

مَاذَا تَقُولُونَ إِنْ قَالَ النَّبِيُّ لَكُمُ ... مَاذَا فَعَلْتُمْ وَكُنْتُمْ أَخْيَرَ الأُمَمِ
بِأَهْلِ بَيْتِي وَأَنْصَارِي وَذُرِّيَتِي ... مِنْهُمْ أُسَارَى وَقَتْلَى ضُرِّجُوا بِدَمِ
مَا كَانَ هَذَا جَزَائِي إِذْ نَصَحْتُ لَكُمْ ... أَنْ تَخْلُفُونِي بِسُوءٍ فِي ذَوِي رَحِمِ

(*) انظر: «المعارف» ص ٢٠٤.

(١) وعقيل بن أبي طالب يكنى: أبا يزيد، وأسر يوم بدر، ففداه العباس بأربعة آلاف درهم وأسلم عقيل، ولحق بمعاوية، وترك أخاه علياً، ومات بعدما عمي في خلافة معاوية. وله دار بالبقيع واسعة كثيرة الأهل.

انظر: المعارف لابن قتيبة ٢٠٣ و ٢٠٤، والاستيعاب ٤/١٥٧ ـ ١٥٨.

(٢) انظر: المعارف ٢٠٤، وفيه قال الشاعر:

عَيـن جُودِي بِعَبْرَة وَعَوِيلِ ... واندُبي إن ندبت آلَ الرَّسول
سَبعة كُلهم لصُلب عليٍّ ... قد أصيبوا وتسعة لعَقيل

[٤٩]

أُمُّ كُلْثُوم* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بِنْتُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، أُمُّهَا فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ، وُلِدَتْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَزَوَّجَهَا(١) عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ثُمَّ تَزَوَّجَهَا بَعْدَهُ مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَمَاتَ، وَتَزَوَّجَهَا أَخُوهُ(٢) عَوْنُ بْنُ جَعْفَرٍ، فَقُتِلَ ثُمَّ تَزَوَّجَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ جَعْفَرٍ(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَمَاتَتْ عِنْدَهُ، وَتُوفيتْ(٤) هِيَ وَوَلَدُهَا زَيْدُ بْنُ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ(٥)، وَلَمْ يُعْلَمْ أَيُّهُمَا مَاتَ أَوَّلاً، وَصَلَّى عَلَيْهِمَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَر

(*) انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/٣٣٩ ـ ٣٤١، والاستيعاب ٤/٤٦٧ ـ ٤٦٩، والمعارف ٢١١، والإصابة ٤/٤٦٨ ـ ٤٦٩، والمردفات من قريش (نوادر المخطوطات) ص ٦٠، وأعلام النساء ٢٥٥ ـ ٢٦٠.

(١) ورد في هامش المطبوعة ما نصه: («أفاه» في الأصل وهو سهو من الناسخ).

(٢) في الأصل (أخاه).

(٣) قال ابن حجر، وابن سعد في الطبقات: أن عون بن جعفر تزوجها أولاً، ثم مات عنها فتزوجها أخوه محمد بن جعفر ثم مات عنها فتزوجها أخوه عبد الله بن جعفر. وقال ابن قتيبة: وَلَد جعفر: عبد الله بن جعفر، وعون بن جعفر، ومحمد بن جعفر، وأمهم: أسماء بنت عميس الخثعمية، وجعفر بن أبي طالب هو ذو الهجرتين، وذو الجناحين، وكان استشهد يوم مؤتة فقطعت يداه، فأبدله الله عز وجل بهما جناحين يطير بهما في الجنة، ووجدوا يومئذ في مقدمه أربعاً وخمسين ضربة سيف، وأربعين جراحة من طعنة رمح ورمية سهم.

انظر: الطبقات ٨/٣٣٩، والمعارف ٢٠٥، والإصابة ٤/٤٦٩.

(٤) في الأصل (توفت).

(٥) قال ابن عبد البر في «الاستيعاب» ٤/٤٦٩، وابن حجر في الإصابة ٤/٤٦٨: أن سبب وفاته أنه كان قد أصيب في حرب كانت بين بني عدي ليلاً، فخرج ليصلح بينهم، فضربه رجل منهم في الظلمة=

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَدَّمَهُ الحَسَنُ[1] رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَكَانَ بِهِمَا سنتان لَمْ يورث أَحَدُهُمَا مِنَ الآخرِ. وَيُرْوَى أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا خَطَبَهَا مِنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّهَا صَغِيرَة، فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: زَوِّجْنِيهَا يَا أَبَا الحَسَن، فَإِنِّي أَرْصُدُ مِنْ كَرَامَتِهَا مَا لاَ يَرْصُدُه أَحَدٌ. فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا أَبْعَثُهَا إِلَيْكَ فَإِنْ رَضِيْتَهَا فَقَدْ زَوَّجْتُكَهَا، فَبَعَثَهَا إِلَيْهِ بِبُرْدٍ وَقَالَ لَهَا: قُولِي لَهُ: هَذَا البُرْدُ الَّذِي قُلْتُ لَك. فَقَالَتْ ذَلِكَ لِعُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ لَهَا عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قُولِي لَهُ، قَدْ رَضِيتُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْكَ وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى سَاقِهَا وَكَشَفَهَا[2]؛ فَقَالَتْ: أَتَفْعَلُ هَذَا؟ لَوْلاَ أَنَّكَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ لَكَسَرْتُ أَنْفَكَ، ثُمَّ خَرَجَتْ وَجَاءَتْ إِلَى أَبِيهَا وَأَخْبَرَتْهُ، وَقَالَتْ: بَعَثْتَنِي إِلَى شَيْخٍ سُوءٍ! قَالَ: يَا بُنَيَّةُ[3] إِنَّه زَوْجُكِ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى مَجْلِسِ المُهَاجِرِينَ فَقَالَ: زُفُّونِي قَالُوا: بِمَاذَا؟ قَالَ: تَزَوَّجْتُ أُمَّ كُلْثُوم بِنْتَ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ وَصِهْرٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ القِيَامَةِ إِلاَّ سَبَبِي وَنَسَبِي وَصِهْرِي»[4]، فَكَانَ لِي بِهِ ﷺ [السَّبَبُ][5] وَالنَّسَبُ وَأَرَدْتُ أَنْ أَجْمَعَ إِلَيْهِ الصِّهْرَ. فَزَفُّوه.

وَرَوَى أبو نُعَيْم، قَالَ: دَخَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى أُمِّ كُلْثُوم يَوْماً، فَقَالَ لَهَا: أَلاَ تَخْرُجِينَ فَتُسَلِّمِينَ عَلَى ضَيْفِك. فَقَالَتْ: وَهَلْ تَرَكْتَنَا نَسْتَطِيعُ أَنْ نَبْرُزَ لأَحَدٍ مِنَ العُرْي؟ فَقَالَ: وَمَا يَكْفِيكِ أَنْ تَقُولَ النَّاسُ امْرَأَة أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ.

= فشجه وهو لا يعرفه وصرعه فعاش أياماً وكانت أمه مريضة فماتا في يوم واحد.

(١) في المطبوعة (الحسين) والصواب ما أثبت عن الاستيعاب ٤/٤٦٩.

(٢) في الأصل (اكتفها) والتصويب عن الاستيعاب ٤/٤٦٨.

(٣) في المطبوعة (يا بني).

(٤) الحديث أخرجه ابن عبد البر في «الاستيعاب» ٤/٤٦٨، وابن سعد في «الطبقات» ٨/٣٤٠، وابن حجر في «الإصابة» ٤/٤٦٩.

(٥) زيادة يقتضيها السياق عن «الاستيعاب» ٤/٤٦٨.

[٥٠]

أُمُّ هَانِيءٍ*

بِنْتُ أَبِي طَالِب، أُخْتُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلام لِأَبَوَيْهِ. كَانَتْ تَحْتَ هُبَيْـرَة[١]، فَوَلَدَتْ لَهُ: هَانِيء وَعَمْرو وَيُوسُف وَجَعْدَة[٢]. أَسْلَمَتْ عَامَ الفَتْحِ، وَهَرَبَ زَوْجُهَا إِلَى نَجْرَان، وَأَتَتْ هِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُول اللَّهِ إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ حَمْوَين لِي فَزَعَمَ ابْنِي أَنَّه قَاتِلُهُمَا. فَقَالَ ﷺ: «قَدْ أَجَرْنَا مَنْ أَجَرْتِ، وَآمَنَّا مَنْ آمَنْتِ»[٣].

وَهِي الَّتِي رَوَتْ أَنَّه ﷺ صَلَّى الضُّحَى[٤] ثَمَانِي رَكَعَاتٍ فِي ذَلِكَ اليَوْم، وَقِيلَ: اسْمُهَا فَاخِتَةُ، وَقِيلَ[٥]: هِنْد[٦]، وَلَمَّا هَرَبَ زَوْجُهَا هُبَيْرَةُ أَنْشَدَ[٧]:

(*) أتي ذكرها فيمن خطبهن رسول الله ﷺ وبهامشه مصادر الترجمة.

(١) هو: هبيرة بن عمرو بن عائذ بن عمر بن عمران بن مخزوم المخزومي. انظر: «سير أعلام النبلاء» ٢/٣١٢، و«الإصابة» ٤/٤٧٩.

(٢) في الأصل (جعدية)، والتصويب عن سير الأعلام.

(٣) الحديث أخرجه الذهبي في سير الأعلام ٢/٣١٣.

(٤) في الأصل (الضحا).

(٥) في الأصل (وهي).

(٦) قال ابن حجر في الإصابة ٤/٤٧٩: (قيل: اسمها فاختة، وقيل: فاطمة، وقيل: هند، والأول أشهر).

(٧) ورد البيت الأول والثاني بالإصابة ٤/٤٠٩، ووردت الأبيات الثلاثة الأخيرة بسير الأعلام ٢/٣١٣، والإصابة ٤/٤٨٠ مع أبيات أخرى.

وَشَاقَكَ[1] هِنْدٌ أَمْ نَآكَ[2] سُؤَالُهَا كَذَاكَ النَّوى أَسْبَابها وَانْفِتَالُهَا
وَقَدْ أَرِقْتُ فِي رَأْسِ حِصْنٍ مُمَرَّدٍ بِنَجْرَانَ يَسْرِي بَعْدَ يَوْمٍ خَيَالُهَا
فَإِنْ[3] كُنْتِ قَدْ تَابَعْتِ دِينَ مُحَمَّد وَقَطَعْتِ[4] الأَرْحَامَ مِنِّي[5] حِبَالُهَا
فَكُونِي عَلَى أَعْلَى[6] سَحِيقٍ بَهَضْبَةٍ[7] مُمَنَّعَةٍ لاَ يُسْتَطَاعُ[8] قِلاَلُهَا[9]
وَإِنَّ كَلاَمَ المَرْءِ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ[10] لِكَالنَّبْلِ[11] تَهْوِي لَيْسَ فِيهَا نِصَالُهَا

---

(١) في الإصابة (أشاقتك) بدلا من (وشاقك).
(٢) في الإصابة (أتاك) بدلاً من (نآك).
(٣) في الإصابة (لئن) بدلاً من (فإن).
(٤) في الإصابة (وعطفت) بدلاً من (قطعت).
(٥) ي سير الأعلام والإصابة (منك) بدلا من (متى).
(٦) في الأصل (أعلا) والتصويب عن الإصابة.
(٧) في الأصل (بهضية) والتصويب عن الإصابة.
(٨) في الإصابة (تستطاع) بدلاً من (يستطاع).
(٩) في سير الأعلام ورد هذا الشطر هكذا (ململمة غبراءُ يَبْسٍ بِلاَلُهَا).
(١٠) في المطبوعة (كنية) وما أثبت عن الإصابة.
(١١) في الأصل (لك النبل) وما أثبت عن الإصابة.

[٥١]

جُمَانَةُ بِنْتُ أَبِي طَالِب*

أَسْلَمَتْ وَأَعْطَاهَا ﷺ يَوْم خَيْبَر ثَلاثِين وَسْقاً، وَأُمُّهَا فَاطِمَة بِنْتُ أَسَد .

(*) هي : جُمَانَةُ بِنْتُ أَبِي طَالِبِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأُمُّهَا: فَاطِمَةُ بِنْتُ أَسَدِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيّ، تَزَوجَهَا أَبُو سُفْيَان بْنِ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هاشـم، فَوَلَدَتْ لَهُ: جَعْفَرُ بْنَ أَبِي سُفْيَان.

انظر: الطبقات ٨/٣٢ ـ ٣٣. والمعارف ص ١٢٠ و٢٠٣، والاستيعاب ٤/٢٥٩ وفيه: أن النبي ﷺ أعطاها من خيبر ثلاثين وسقاً ولم يكن ليعطيها إلا وهي مسلمة. والإصابة ٤/٢٥٢.

[٥٢]

ضُبَاعَةُ بِنْتُ الزُّبَيْرِ* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

بْنِ عَبْدِ المُطَّلِب، تَزَوَّجَهَا المِقْدَادُ(١)، فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ اللَّهِ وَكَرِيمة، وَقُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ [وَكَانَ](٢) مَعَ عَائِشَةَ يَوْمَ الجَمَلِ، دَخَلَ عَلَيْهَا ﷺ وَهِيَ شَاكِيَةٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُول اللَّهِ إِنِّي أُرِيدُ الحَجَّ، وَأَجِدُنِي شَاكِيَة، فَقَالَ: «حُجِّي وَاشْرُطِي(٣)، إِنَّ مَحِلِّي حَيْثُ حَبَسْتَنِي»(٤).

(*) هي: ضُبَاعَةُ بِنْتُ الزُّبَيْرِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ قُصَيّ وَأُمُّهَا: عَاتِكَةُ بِنْتُ أَبِي وَهْبِ بْنِ عَمْرُو بْنِ عَائِذِ بْنِ عِمْرَانِ بْنِ مَخْزُوم. وهي مهاجرة من المهاجرات الأول، روت عن النبي ﷺ وعن زوجها المقداد أحد عشر حديثاً.

انظر ترجمتها: الطبقات ٣١/٨، والاستيعاب ٣٤٢/٤ - ٣٤٣، والإصابة ٣٤٢/٤ - ٣٤٣، وأعلام النساء ٣٥٣/٢ - ٣٥٤.

(١) هو: المقداد بن عمرو بن ثعلبة بن مالك من بهراء، وكان حليفاً للأسود بن عبد يغوث الزهري فتبناه، وكان يقال له: المقداد بن الأسود. صحابي، أحد السبعة الذين كانوا أول من أظهر الإسلام، وهو أول من قاتل على فرس في سبيل الله، هاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد بعدها قال عنه ابن عبد البر في الاستيعاب: كان من الفضلاء النجباء الكبار الخيار من أصحاب النبي ﷺ مات سنة ثلاث وثلاثين في خلافة عثمان، قيل: وهو ابن سبعين سنة.

انظر: الطبقات ٣١/٨، والاستيعاب ٤٥١/٣ - ٤٥٤، والإصابة ٤٣٤/٣ - ٤٣٥.

(٢) زيادة يقتضيها السياق عن الطبقات ٣١/٨.

(٣) في الإصابة (واشترطي).

(٤) قال ابن حجر في الإصابة ٣٤٣/٤: (وحديثها في الاشتراط في الحج عند أبي داود، والنسائي، وأخرجه الترمذي من حديث ابن عباس: أن ضباعة بنت الزبير أتت النبي ﷺ فقالت: إني أريد الحج أفاشترط؟ قال: «نعم»، قالت: كيف أقول؟ قال: «قولي: لبيك اللهم لبيك، وتحللي من الأرض حيث حبست» قال ابن منده: مشهور عن عكرمة...).

[٥٣]

أُمُّ حَكِيم(١) بِنْتُ الزُّبَيْرِ*

ابْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ، تَزَوَّجَهَا ابْنُ عَمِّهَا رَبِيعَةُ بْنُ الحَارِثِ، رَوَتْ عَنْهُ ﷺ أَنَّه دَخَلَ عَلَى ضُبَاعَةَ وَنَهَشَ عِنْدَهَا كَتِفاً، ثُمَّ صَلَّى وَمَا تَوَضَّأَ(٢)، وَهِيَ أُخْتُه ﷺ مِنَ الرَّضَاعِ.

(*) هي: أُمّ الحَكَمِ بِنْتُ الزُّبَيْرِ بن عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ القُرَشِيَّة الهاشِمِيَّة، وَأُمُّهَا: عَاتِكَةُ بِنْت أَبِي وَهْبِ بن عَمْرِو بْنِ عَائِذِ بْنِ عِمْرَان بْنِ مَخْزُوم. أسلمت وهاجرت وهي ابنة عم النبي ﷺ وكان يزورها بالمدينة، ويقال لها: أم حكيم وهي أخت ضباعة بنت الزبير.

انظر ترجمتها: الطبقات ٨/٣١ ـ ٣٢، والاستيعاب ٤/٤٢٤، والإصابة ٤/٤٢٥، وأعلام النساء ١/٢٧٩.

(١) ورد بالمطبوعة (أم حكيم) وما أثبته عن كتب التراجم المتقدمة، حيث إنه لم يترجم لها تحت هذا الاسم ولم يذكر أحد هذا الاسم، سوى ابن حجر في الإصابة قال: (قال الزبير بن بكار: ويقال لها: أم حكيم).

(٢) في المطبوعة (توضى). وقد أخرج الحديث ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/٤٢٤، حيث قال: (روى عنها ابنها ابن أم حكيم بنت الزبير عن عبد الله بن الحارث بن نوفل أن رسول الله ﷺ دخل على ضباعة...) الحديث.

[٥٤]

دُرَّةُ(١) بِنْتُ أَبِي لَهَبٍ(٢)

تَزَوَّجَهَا [ابْنُ](٣) بْنِ عَمِّهَا الحَرثُ بْنُ نَوْفَلِ بْنِ الحَارِثِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ(٤)، فَوَلَدَتْ لَهُ: عُقْبَةَ وَالوَلِيدَ وَأَبَا مُسْلِمٍ، رَوَتْ عَنْهُ ﷺ، قَالَتْ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «أَتْقَاهُم [لِلَّه](٥)، وَءَآمَرُهُمْ بِالمَعْرُوفِ، وَأَنْهَاهُمْ عَنِ المُنْكَرِ،

---

(١) بضم الدال والراء المشدّدة تليها هاء، هي دُرَّةُ بِنْتُ أَبِي لَهَبٍ بن عبد المطّلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي القُرَشِيَّةُ الهاشمية، بِنْتُ عَمِّ النبي ﷺ أسلمت وهاجَرَتْ إلى المدينة، وأُمُّهَا أُمُّ جميل بنت حَرْب بن أُميَّة بن عبد شمس.

انظر: سير أعلام النبلاء ٢/٢٧٥ ـ ٢٧٦، وأعلام النساء ٢/٤٠٩ ـ ٤١٠، وطبقات ابن سعد ٨/٣٤، وطبقات خليفة ٣٣٠، وأسد الغابة ٧/١٠٣ ـ ١٠٤، وجمهرة أنساب العرب ٧٢، والإصابة ٤/٢٩٧، ٢٩٨، والاستيعاب ٤/٢٩٧، ٢٩٨، والإكمال للحسيني ٣/٦٢٠، ٦٢١، والمؤتلف والمختلف للدارقطني ٢/٩٧٦، وتعجيل المنفعة ٥٥٦، كما ذكرها ابن حبان في الصحابة ٣/١١٨.

(٢) أبو لَهَبَ: واسمه عبد العُزّى، ولَهَب بفتح اللام، ويقال: أبو لَهْب بسكون الهاء، وهو عَمُّ النَّبِيِّ ﷺ مات على كفره.

انظر: المؤتلف والمختلف للدارقطني ٤/١٩٩٣.

وذكر ابن الأثير في الكامل ٢/٤٧: بأنه مات بمكة عند وصول الخبر بانهزام المشركين ببدر بمرض يعرف بالعلسة.

(٣) الزيادة من سير الأعلام ٢/٢٧٦.

(٤) في سير الأعلام ٢/٢٧٥: قيل: تَزَوَّج بها دحيةُ الكلبي، وفي طبقات ابن سعد ٨/٣٤، والإصابة نقلاً عن ابن سعد ٤/٢٩٧: أنها تزوجت الحارث بن نوفل فولدت له: الوليد، وأبا الحسن، وسلماً، ثم قتل يوم بدرٍ كافراً فخلف عليها دحية بنُ خليفة بن فروة الكلبي.

(٥) الزيادة من الاستيعاب ٤/٢٩٨.

وَأَوْصَلُهُمْ لِلرَّحِمِ»[1]. وَرَوَتْ عَنْهُ ﷺ: «لَا يُؤْذَى حَيٌّ بِمَيِّتٍ»[2].

(١) أخرجه في الاستيعاب ابن عبد البر ٤/٢٩٨، ولفظه فيه قالت: قلت: يا رسول الله، أيُّ الناس. . . وأخرجه أحمد ٦/٢٣٢ وفيه أنها تحكي أن رجلاً سأل النبي ولفظه نحو ذلك، كما أخرجه ابن الأثير في أسد الغابة ٧/١٠٣ ـ ١٠٤.

(٢) أخرجه الدارقطني في المؤتلف والمختلف ٢/٩٧٦، وأعاده ٤/١٩٩٤، وذكره ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/٢٩٨، وابن حجر في الإصابة ٤/٢٩٨، كما أخرجه ابن عدي في الكامل ٥/١٨٣١. بلفظ «لا يودى مسلم بكافر» في ترجمة (علي بن أبي علي اللهبي)، وقال: . . . وهذه الأحاديث كلها غير محفوظة، كما أفاده محقق المؤتلف.

[٥٥]

أُمَامَةُ بِنْتُ حَمْزَةَ* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

قِيلَ: اسْمُهَا أَمَةُ اللَّهِ، أُمُّهَا سَلْمَى بِنْتُ عُمَيْس، وَلَمَّا دَخَل ﷺ مَكَّةَ عَلى عَهْدٍ [بَيْنَهُ](١) وَبَيْنَ أَهْلِ مَكَّةَ، فَلَمَّا خَرجَ قَعدَتْ أُمَامَةُ عَلَى الطَّرِيقِ، فَمرَّ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُول اللَّهِ إِلَى مَنْ تَدعنِي؟ فَمَضَى وَلَمْ يَلْتَفِتْ، وَمرَّ النَّاسُ فَنَادَتْهُمْ فَلَم يَلْتَفِتُوا إِلَيْهَا. فَمرَّ عَليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَتْ: يَا عَلِيّ إِلَى مَنْ تَدعنِي؟ فَمَالَ إِليها، فَقَالَ: نَاوِلِينِي يَدَكِ فَحَملَهَا فَلَمَّا اسْتَقرَّ بِهِم المَنْزِلُ [إِخْتَلَف] فِيهَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَعْفَرٌ رَضِيَ اللَّهُ [عَنْهُ](٢) وَزَيْدٌ (٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ جَعْفَرٌ: أَنَا أَحَقُّ وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَا أَحَقُّ، وَقَالَ زَيْدٌ: ابْنَةُ(٤) أَخِي وَأَنَا أَحَقُّ بِهَا: فَقَالَ ﷺ: «يَا عَلِيّ أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ، وَيَا جَعْفَر أَشْبَهْتَ خَلْقِي وَخُلُقِي، وَأَمَّا أَنْتَ يَا زَيْد فَمَوْلَايَ وَمَوْلَاهَا، وَخَالَتُهَا أَحَقُّ بِهَا»(٥). وَكَانَتْ خَالَتُهَا عِنْدَ جَعْفَر، رَضِيَ اللَّهُ

(*) هي: أمامة بنت حمزة بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، وأمها: سلمى بنت عميس بن معد بن تيم بن مالك بن قحافة بن خثعم، أخت أسماء بنت عميس. قال ابن سعد في طبقاته: هكذا سماها هشام بن محمد بن السائب الكلبي، وقال غيره: هي عمارة بنت حمزة.

انظر ترجمتها: الطبقات ٨/١١٣ ـ ١١٤، وأسد الغابة ٧/٢١، والإصابة ٤/٢٢٩ ـ ٢٣٠.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) هو: زيد بن حارثة.

(٤) في الأصل (بنت).

(٥) الحديث أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/١١٤) مع اختلاف في اللفظ.

[عَنْهُ] (١) وَهِيَ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْس ، وَزَوَّجَهَا، ﷺ سَلَمَةَ بْنَ أَبِي سَلَمَة، وَهَلَكَ قَبْلَ اجْتِمَاعِهِمَا (٢).

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في المطبوعة (وهل)، وجاء في هامش المطبوعة ما نصه: (كذا في الأصل، ولعلها هلل)، وهو خطأ، وصواب العبارة (وهلك) وهو ما أثبته بالمتن عن الطبقات لابن سعد (١/٤).

في المطبوعة (وهل وقبل اجتماعهما)، وجاء في هامش المطبوعة ما نصه: (كذا في الأصل، ولعلها هلل)، وهو خطأ، وصواب العبارة: (وهلك قبل اجتماعهما) وهو ما أثبته بالمتن عن الطبقات (٤/١/١): وفيه: (فَهَلَكَ قَبْلَ أَنْ يَجْمَعَهَا إِلَيْهِ). أي رسول الله ﷺ.

[٥٦]

أُمُّ الفَضْلِ بِنْتُ حَمْزَةَ*

رَوَى عَنْهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنِ شَدَّاد قَالَ: قَالَتْ(١): تُوفِّي مَوْلى لَنَا(٢) وَتَرَكَ ابْنَةً(٣) وَأُخْتاً فَأَتَيَا(٤) رَسُول اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَى البِنْتَ النِّصْف، وَأَعْطَى لِلأُخْتِ النِّصْفَ(٥).

وَعَنْهُ قَالَ: هَلَكَ مَوْلى(٦) لِبِنْتِ(٧) حَمْزَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتَرَكَ بِنْتاً وَمَوْلاَته، فَأَعْطَى ﷺ ابْنَتَهُ النِّصْفَ وَأَعْطَى البَاقِي لِبِنْتِ حَمْزَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) هي: أُمُّ الفَضْلِ بِنْتُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ، ترجم لها ابن عبد البر في الاستيعاب، وابن حجر في الإصابة، ولم يذكرها ابن سعد في طبقاته ضمن أولاده، ولا ابن حزم، حيث قال في الجمهرة ص ١٧: (فولد حمزة: عمارة، ويعلى، وعامر، وابنة تزوجها سلمة بن أبي سلمة بن عبد الأسد المخزومي، وقد انقرض عقب حمزة رضي الله عنه).

انظر ترجمتها: الاستيعاب ٤/٤٦٠، وأسد الغابة ٣٨٧/٧، والإصابة ٤٦١/٤، وأعلام النساء ١٧٠/٤.

(١) في الأصل (قلت).

(٢) في الأصل (مولان).

(٣) في الأصل (ابن) والتصويب عن الإصابة ٤٦١/٤، والاستيعاب ٤٦٠/٤،

(٤) في المطبوعة (فأتينا)، وما أثبت عن الإصابة ٤٦١/٤، والاستيعاب ٤٦٠/٤.

(٥) أخرجه ابن عبد البر في الإستيعاب ٢٦٠/٤ وابن حجر في الإصابة ٤٦١/٤، وقال: قد أورد الحديث ابن منده من طريقين عن حارثة بن يزيد الجعفي أحد الضعفاء عن الحكم بن عيينة عن عبد الله بن شداد عن أم الفضل بنت حمزة قالت: مات مولى لها هي أعتقته، وترك ابنته، وأن النبي ﷺ قسم ميراثه بين أم الفضل وابنته نصفين.

(٦) في الأصل (مولا).

(٧) في الأصل (لبيت).

[٥٧]

فَاطِمَةُ بِنْتُ حَمْزَة رَضِي اللَّهُ عَنْهَا

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ إِلَيْهِ بِحُلَّةٍ مُشَيَّرَةٍ، وَقَالَ: «شَقِّقْهَا خُمُراً بَيْنَ الفَوَاطِمِ»، قَالَ: فَشَقَّقْتُ مِنْهَا ثَلاثَةَ أَخْمِرَةٍ، خِمَارٌ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ أَسَدٍ أُمِّه، وَخِمَارٌ لِفاطِمَةَ بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ وَخِمَارٌ لِفَاطِمَةَ بِنْتِ حَمْزَةَ رَضِي [اللَّهُ][1] عَنْهُ[2].

(*) هي: فاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب القرشية الهاشمية ابنة عم النبي ﷺ، وقيل: اسمها أمامة، وقيل: عمارة قاله أبو نعيم ـ وتكنى أم الفضل، أمها سلمى بنت عميس انظر ترجمتها: أسد الغابة ٢١٩/٧، والإصابة ٣٦٩/٤.

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) الحديث أخرجه ابن حجر في الإصابة ٣٧٠/٤، وفيه: (اجعلها خُمُراً...) وابن الأثير في أسد الغابة ٢١٩/٧، وفيه: أربعة أخمرة، ولم يذكر فاطمة الرابعة، وقال ابن حجر، الرابعة ـ لعلها امرأة عقيل.

[٥٨]

أُمُّ حَبِيبَة* بِنْتُ العَبَّاسِ (1) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

أُمُّهَا أُمُّ الفَضْلِ. رَوَتْ أُمُّ الفَضْلِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَوْ بَلَغَتْ أُمُّ حَبِيبَةِ بِنْتُ العَبَّاسِ وَأَنَا حَيٌّ لَتَزَوَّجْتُهَا»(2). وَتَزَوَّجَهَا الأَسْوَدُ بْنُ سُفْيَان(3).

(*) هي أُمُّ حَبِيبَة بِنتُ العَبَّاس بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ بن هاشم. قال ابن حجر: (أم حبيب او أم حبيبة... والأول أشهر. كذا أوردها ابن سعد في طبقاته، وأمها: أم الفضل لبابة بنت الحارث الهلالية.
انظر ترجمتها: الطبقات ٨/٣٣، والاستيعاب ٤/٤٢٣، والإصابة ٤/٤٢٢.

(1) في الأصل (العبّا) وقد سقطت السين من الناسخ.

(2) الحديث أخرجه ابن عبد البر في الاستيعاب ٤/٤٢٣، وأخرجه ابن حجر في الإصابة ٤/٤٢٢، وقال: قال ابن الأثير: ذكرها ابن إسحاق في رواية يونس بن بكير عنه عن الحسين بـن عبد الله بن عبيد الله بن العباس، عن عكرمة عن ابن عباس قال: نظر رسول الله ﷺ إلى أمّ حبيب بنت العباس تدب بين يديه فقال: «لو بلغت هذه وأنا حي لتزوجتها فقبض قبل أن تبلغ فتزوجها الأسود فولدت له لبابة سمتها باسم أمها.

(3) هو: الأسود بن سفيان بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله من مخزوم. انظر: «الطبقات» ٨/٣٣.

[٥٩]

عَائِشَةُ بِنْتُ مُعَاوِيَةَ*

ابْنِ المُغِيرَة بْنِ أَبِي العَاص، وَهِي أُمُّ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَان، وَأَبُوهَا مُعَاوِيَةُ جَدَعَ أَنْفَ حَمْزَة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَتَلَهُ ﷺ بَعْدَ أُحُدٍ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، وَذَلِكَ أَنَّه ضَلَّ(١) عَنِ الطَّرِيقِ، فَوَجَدَهُ بَعْضُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ فَأَتِيَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ فَقَتَلَهُ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) انظر ترجمتها: الإصابة ٤/٣٥١.

(١) في الأصل (ظل).

[٦٠]

عَاتِكَةُ بِنْتُ أُسَيْدٍ*

ابْنِ أَبِي العَيْص، هِيَ أُخْتُ عتاب، لَهَا صُحْبَةٌ، أَرْسَلَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه إِلَى الشَّفَّاء بِنْتِ عَبْدِ اللَّهِ العَدَوِيَّة أَنْ تَمُرَّ عَلَيْه، قَالَتْ: فَغَدَوْتُ فَوَجَدْتُ عَاتِكَة بِبَابِهِ، فَدَخَلْنَا وَتَحَدَّثْنَا، فَدَعَا بِنمط فَأَعْطَاهَا إِيَّاه، وَدَعَا بِنمط دُونَه فَأَعْطَانِيهِ، قَالَتْ: فَقُلْتُ: تَرِبَتْ يَدَاكَ يَا عُمرُ، أَنَا قَبْلَهَا إِسْلاماً، وَأَنَا بِنْتُ عَمِّك، وَأَرْسَلْتَ إِلَيَّ، وَجَاءَتْكَ مِنْ قِبَلِ نَفْسِهَا، فَقَالَ: ما كُنْتُ رَفَعتُ ذَاكَ إِلاَّ لَكِ[1] فَلَمَّا اجْتَمَعْتُمَا ذَكَرْتُ أَنَّها أَقْرَبُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنْكِ.

(*) انظر ترجمتها: الاستيعاب ٣٥٨/٤ ـ ٣٥٩، والإصابة ٢٤٦/٤.

(*) هي: عاتكة بنت أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، أسلمت يوم الفتح؛ وقال ابن حجر: قال أبو عمر: لها صحبة، ولا أعلمها روت شيئاً.

انظر ترجمتها: الاستيعاب ٣٥٨/٤ ـ ٣٥٩، والإصابة ٢٤٦/٤.

(١) في الأصل (إنك) والتصويب عن الاستيعاب ٣٥٨/٤ ـ ٣٥٩.

[٦١]

أُمُّ الحَكَمِ بِنْتُ أَبِي سُفْيَان*

هِيَ أُمُّ عَبْدِ الرَّحْمَنِ[١] كَانَتْ مِنْ مُسْلِمَات الفَتْحِ، وَكَانَتْ حِينَ نُزُول قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الكَوَافِرِ﴾[٢] تَحْتَ[٣] عِياض بْنِ غَنْم[٤] الفِهْرِيِّ. فَفَارَقَهَا وَتَزَوَّجَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُثْمَانَ الثَّقَفِيُّ[٥].

(*) هي: أُمُّ الحَكَمِ بِنْتُ أَبِي سُفْيَان صَخْرِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسٍ القُرَشِية الأموية، أخت أم حبيبة لأبيها، وأخت معاوية لأبيه وأمه، أمهما، هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس.
انظر ترجمتها في: طبقات ابن سعد ٨/٢٤٠، نسب قريش ١٢٥، أسد الغابة ٧/٣٢٠، الاستيعاب ٤/٤٢٦، والإصابة ٤/٤٢٥، ومغازي الواقدي ٢/٦٣٤، وتاريخ الطبري ٥/٣١٢.

(١) هو: عبد الرحمن بن عبد الله بن عثمان الثقفي، عرف بابن أم الحكم، واشتهر بالنسبة إليها.

(٢) سورة الممتحنة الآية ـ ١٠.

(٣) في الأصل (فوتحت).

(٤) في المطبوعة (غانم) والصواب ما أثبت عن تاريخ مدينة دمشق تراجم النساء ٤٩٨، وأسد الغابة ٧/٧٣٢٠ والإصابة ٤/٤٢٥.

(٥) هو، عبد الله بن عثمان بن عبد الله بن ربيعة بن الحارث بن حُبَيِّب بن الحارث بن مالك بن حطيط بن جشم الثقفي. انظر تاريخ مدينة دمشق ٤٩٩.

[٦٢]

عَزَّةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَان*

رُوِي عَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا(١) أُمِّ المُؤْمِنِينَ أَنَّها قَالَتْ: يَا رَسُول اللَّهِ هَلْ لَكَ فِي أُخْتِـي ؟ قَالَ: [مَا](٢) أَصْنَعُ بِهَا»؟ قَالَتْ: تَنْكِحُهَا، قَالَ: «أَتُحِبِّينَ ذَلِكَ»؟ قَالَتْ: نَعَمْ، لَسْتُ(٣) بِمُخْلِيةٍ(٤) لَك، وَأَحَبُّ مَنْ شَرَكَتْنِي فِي خَيْرٍ أُخْتِي(٥).

(*) هي: عَزَّةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَان صَخْرِ بْنِ حَرْبِ بْنِ أُمَيَّةَ القُرَشِيَّةُ الأُمَوِيَّة، اخت أم حبيبة ومعاوية، قال ابن الأثير: وقيل: اسمها دُرَّة، وقيل: حمنة انظر ترجمتها: أسد الغابة ١٩٦/٧، الإصابة ٣٥٢/٤، والاستيعاب ٣٥٣/٤.

(١) في الأصل (عنه).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) في المطبوعة (الست)، وما أثبت عن تاريخ مدينة دمشق تراجم النساء ص ٧١.

(٤) في المطبوعة (بمحكية) والصواب ما أثبت عن «تاريخ مدينة دمشق ـ تراجم النساء» ص ٧١، وأسد الغابة ١٠٢/٧، ١٩٦، ولست بمخلية، اي: لست بمنفردة بك، ولا خالية من ضرّة.

(٥) اخرج حديث أم حبيبة ابن عساكر في تاريخه ٧١، وابن الأثير في «أسد الغابة» ٧١/٧، ١٠٢، ١٩٦، وابن حجر في «الإصابة» ٣٥٣/٤، مع اختلاف في اللفظ، وأخرجه البخاري في كتاب النكاح باب ـ مَا يُحلُّ من النِّسَاءِ وَمَا يَحْرُمُ.

[٦٦٣]

أُمُّ كُلْثُوم*

بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مَعِيط، كَانَتْ مِنَ المُهَاجِرَات المُبَايِعَات، أَسْلَمَتْ بِمَكَّةَ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ النِّسَاءُ فِي الهِجْرَةِ، ثُمَّ هَاجَرَتْ وَبَايَعَتْ وَمَشَتْ مِنْ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَة، وَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي شَأْنِهَا قَوْلَه تَعَالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ المُؤْمِنَاتُ مِهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ**﴾[1] وَذَلِكَ أَنَّ هِجْرَتَهَا كَانَتْ سَنَةَ سَبْع[2] فِي الهُدْنَةِ الَّتِي كَانَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَالمُشْرِكِينَ، وَكَانُوا قَدْ صَالَحُوا النَّبِيَّ ﷺ عَلَى أَنْ يَرُدَّ مَنْ جَاءَ مُؤْمِناً. فَلَحِقَهَا أَخَوَاهَا[3] الوَلِيدُ وَعِمَارَةُ لِيَرُدَّاهَا[4] فَمَنَعَهَا اللَّهُ، وَنَزَلَتْ الآيَةُ فَمَنَعَ اللَّهُ رَدَّ النِّسَاء، وَأَذِنَ فِي نِكَاحِهِنَّ فَتَزَوَّجَهَا زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ فَقُتِلَ عَنْهَا يَوْمَ حَضَرَ

(*) هي: أُمُّ كُلْثُوم بِنْتُ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعِيط، وَاسْمُ أَبِي مُعَيط: أَبَان بْنِ أَبِي عَمْرو، وَاسْمُ أَبِي عَمْرو: ذَكْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ بْنِ عَبْدِ شَمسِ بْنِ عَبْدِ مَنَاف: أُمُّهَا: أَرْوَى بِنْتُ كُرَيز بْنِ ربيعة بْنِ حبيب بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَاف. أسلمت أم كلثوم بنت عقبة بمكة قبل أن يأخذ النساء في الهجرة إلى المدينة ثم هاجرت وبايعت، فهي من المهاجرات المبايعات.

انظر ترجمتها: الاستيعاب ٤/٤٦٥ ـ ٤٦٧، والإصابة ٤/٤٦٧ ـ ٤٦٨، والمردفات من قريش (نوادر المخطوطات) ٦٠ ـ ٦١، أعلام النساء ٤/٢٥٥.

(١) سورة الممتحنة، الآية ـ ١٠.

(٢) في الأصل (سبعة).

(٣) في الأصل (أخوالها).

(٤) في الأصل (ليردها).

مُؤْتَة[1]، فَتَزَوَّجَهَا الزُّبَيْرُ[2] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[3] فَوَلَدَتْ لَهُ زَيْنَبَ ثُمَّ طَلَّقَهَا، فَتَزَوَّجَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ فَوَلَدَتْ لَهُ إِبْرَاهِيمَ وَحُمَيْداً[4] وَمُحَمَّداً[5] وَإِسْمَاعِيلَ، وَمَاتَ عَنْهَا، فَتَزَوَّجَهَا عَمْرُو بْنُ العَاصِ فَمَكَثَتْ[6] عِنْدَهُ شَهْراً وَمَاتَتْ.

وَرَوَى عَنْهَا وَلَدُهَا حُمَيْدُ أَنَّهَا سَمِعَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيْسَ الكَذَّابُ الَّذِي يَقُولُ خَيْراً، وَيَنمِي خَيْراً لِيُصْلِحَ بَيْنَ النَّاسِ».

---

(١) في الأصل (حضرموت).

(٢) هو الزبير بن العوام، خلف على أم كلثوم بعد زيد بن حارثة، وكان الزبير شديداً على النساء، فأقام عندها سبعة أيام فولدت له ابنة، وقالت له حين ضربها المخاض: طيب نفسي بتطليقة، فطلقها وخرج إلى الصلاة، فلحقه رجل فقال: قد ولدت أم كلثوم. فقال: خدعتني خدعها الله؛ ولم يكن له عليها رجعة. وخطبها فأبت أن تزوجه. ويقال: أتى النبي ﷺ فأخبره فقال «قد مضى فيه القرآن، ولكن إن شئت خطبتها إلى نفسها» قال: لا ترجع إليّ أبداً. انظر: المردفات من قريش (نوادر المخطوطات) ص ٦٠.

(٣) في الأصل (عنها).

(٤) في الأصل (حميد).

(٥) في الأصل (محمد).

(٦) في الأصل (فمكث).

[٦٤]

هِنْدُ بِنْتُ عُتْبَةَ*

أُمُّ مُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَسْلَمَتْ يَوْمَ الفَتْحِ، وَبَايَعَتْ بَعْدَ إِسْلَامِ زَوْجِهَا أَبِي سُفْيَان، فَأَقَامَا عَلَى نِكَاحِهِمَا، وَلَمَّا أَخَذَ ﷺ البَيْعَةَ عَلَى النِّسَاءِ، تَلَا عَلَيْهِنَّ ﴿... وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ﴾(١) قَالَتْ هِنْدٌ: وَهَلْ تَزْنِي الحُرَّةُ أَوْ تَسْرِقُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَلَمَّا قَالَ ﴿وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ﴾(٢) قَالَتْ: رَبُّوا أَبْنَاءَهُمْ صِغَاراً وَقَتَلْتَهُمْ أَنْتَ كِبَاراً.

وَكَانَتْ قَبْلَ أَبِي سُفْيَانٍ عِنْدَ الفَاكِهَةِ بْنِ المُغِيرَةِ، وَكَانَ أَحَدُ فُرْسَانِ قُرَيْش [وَ](٣) كَانَ لَهُ مَجْلِسٌ تَأْتِيهِ نُدَمَاؤُهُ(٤)، فَيَدْخُلُونَ مِنْ غَيْرِ اسْتِئْذَان، فَدَخَلَتْهُ هِنْدُ يَوْماً، وَلَيْسَ فِيهِ أَحَدُ، وَنَامَتْ فِيهِ [فَأَقْبَلَ](٥) بَعْضُ نُدَمَاءِ الفَاكِهَةِ وَدَخَلَ المَجْلِسَ

(*) هي: هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية العبشمية. كانت امرأة لها نفس وأنفة شهدت أحداً كافرة مع زوجها أبي سفيان بن حرب ولما قُتِلَ حمزةُ رضي الله عنه وثبت عليه، فمثلت به، وشقت بطنه، واستخرجت كبده، فشوت منه، وأكلت فيما يقال لأنه كان قد قتل أباها يوم بدر. ثم أسلم زوجها، وأسلمت هي يوم الفتح وقد سبقت أيضاً ترجمتها ص ٢٤١ تحت رقم [٤٢].

انظر ترجمتها: الاستيعاب ٤/٤٠٩ - ٤١١، والطبقات، والإصابة ٤/٤٠٩ - ٤١٠. والمردفات من قريش نوادر، وأعلام النساء ٥/٢٣٩ - ٢٥١. المخطوطات ١/٦١.

(١) سورة الممتحنة، الآية - ١٢.

(٢) سورة الممتحنة، الآية - ١٢.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) في الأصل (ندمائه).

(٥) زيادة يقتضيها السياق عن أعلام النساء ٥/٢٤٠.

فَرَأى هِنْداً نَائِمَةً، [فَرَجَعَ هَارِباً، وأبصره الفاكهة، فأقبل إليهـا] (١) فَقَذَفَهَا بِالرَّجُلِ، وَسَرَى الأَمْرُ، فَاتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى كَاهِنٍ، فَحَمَلَهَا أَبُوهَا عُتْبَةُ، وَسَارَ مَعَهُمْ الفَاكِهَةُ، فَلَمَّا قَرَبُوا مِنَ الكَاهِنِ رَآهَا أَبُوهَا مُتَغَيِّرَة مُصْفَرَّة فَقَالَ لَهَا: يَا بُنَيَّة، مَا لَك مُصْفَرَّة إِنْ كُنْتِ أَلْمَمْتِ بِذَنْبٍ فَأَخبِرِيني حَتَّى أَقُلَّ(٢) هَذَا الأَمْرِ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَفْتَضِحَ. فَقَالَتْ: وَاللَّهِ يَا أَبتِي إِنِّي لَبَرِيئَة، وَلَكِن اعْلَمْ أَنَّا نَأْتِي بَشَراً يُخْطِيءُ وَيُصِيبُ، وَأَخْشَى أَنْ يُخْطِيءَ فِيَّ فَيَكُونُ عَاراً عَلَيْنَا. فَقَال أَبُوهَا: إِني سَأَخْتَبِرَهُ. فَخَبَأَ لَهُ حَبَّة بُرّ فِي إِحْلِيلِ مُهْر. فَلَمَّا أَتَى الكَاهِنِ قَالَ: قَدْ خَبَأْتُ لَكَ خَبِيًا فَمَا هُو؟ قَالَ: ثَمَرَةٌ فِي كَمْرَة. قَالَ: بَيِّن! قَالَ: حَبَّة بُرّ فِي إِحْلِيلِ مُهْر. وَأَجْلَسُواهِنْداً بَيْنَ النِّسَاءِ ثُمَّ سَأَلُوا الكَاهِنَ، فَقَامَ وَضَرَبَ بِيَدِهِ بَيْنَ كَتِفَيْ (٣) هِنْد وَقَالَ: قُومِي حُصَاناً غَيْر زَانِيَة، وَلَتَلِدِينَ مَلِكاً يُقَالُ لَهُ مُعَاوِيَة. فَوَثَبَ الفَاكِهَةُ فَأَخَذَ بِيَدِها وَقَالَ: امْرَأَتِي! فَنَزَعَتْ يَدَهَا مِنْهُ، وَقَالَتْ: لأَحْرِصَنَّ أَنْ يَكُونَ مِنْ غَيْرِكَ، فَتَزَوَّجَهَا أَبُو سُفْيَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. (٤)

وَيُرْوَى: أَنَّ رَجُلاً مَرَّ بِهَا وَهِي تُرَقِّص مُعَاوِيَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَغِيراً فَقَالَ: إِنِّي أَرَاه يَسُودُ قَوْمَه! فَقَالَتْ: ثَكِلَتْهُ أُمُّه إِنْ لَمْ يَسُدْ قَوْمه، وَتُوفِّيتْ(٥) يَوْمَ تُوفِّي أَبُو قحافَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي خِلافَةِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق عن أعلام النساء ٢٤٠/٥.

(٢) في الأصل (أظل).

(٣) وفي أعلام النساء ٢٤١/٥: (فجعل يدنو من إحداهن فيضرب على كتفها، ويقول: انهضي حتى دنا من هند فقال لها: انهضي غير رسحاء ولا زانية..).

(٤) قال أبو الحسن المدائني في كتاب «المردفات من قريش»: (كانت هند بنت عتبة بن ربيعة أم معاوية، عند الفاكه بن المغيرة، فقتل عنها بالغُمَيْصَاء ـ موضع في البادية بالقرب من مكة ـ في الجاهلية، ثم خلف عليها حفص بن المغيرة، فمات عنها، فتزوجها سفيان بن حرب).

(٥) في الأصل (توفت).

[٦٥]

فَاطِمَةُ بِنْتُ عُتْبَةَ*

تَزَوَّجَهَا عَقِيلُ بْنُ أَبِي طَالِب، وَقَالَتْ لَهُ: اصْبِرْ عَلَيَّ وَأَنَا أُنْفِقُ عَلَيْك، وَكَانَتْ كَبِيرَةَ السِّنِّ، وَكَانَ إذا دَخَلَ عَلَيْهَا تَفْتَخِرُ وَتَقُولُ: ابْنَةُ(١) عُتْبَة وَشَيْبَة، فَقَالَتْهَا فَقَالَ لَهَا يَوْماً: إِذَا دَخَلْتِ النَّارَ فَانْظُرِي(٢) عَنْ يَسَارِكِ تَجِدِيهِمَا، فَغَضِبَتْ وَأَتَتْ إِلَى عُثْمَان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَشْكُوه فَبَعَثَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاس وَمُعَاوِيَة حَكَمَيْن. فَقَالَ ابْنُ عَبَّاس: لأُفَرِّقُ بَيْنَهُمَا. وَقَالَ مُعَاوِيَةُ: مَا كُنْتُ لأُفَرِّقَ بَيْنَ شَيْخَيْنِ مِنْ قُرَيْش. فَلَمَّا أَتَيَاهُمَا وَجَدَاهُمَا(٣) أَغْلَقَا البَابَ وَاصْطَلَحَا.

(*) هي: فاطمة بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس العبشمية أخت هند أم معاوية.

انظر ترجمتها: الاستيعاب ٤/٣٧١، والإصابة ٤/٣٧٢، وأعلام النساء ٤/٧٨ - ٧٩.

(١) في الأصل (ابنت).

(٢) في الأصل (فانظر).

(٣) في الأصل (وجدهما).

[٦٦]

فَاطِمَةُ بِنْتُ الوَلِيد*

ابْنِ عُتْبَة، قِيلَ: اسْمُهَا هِنْد، زَوَّجَهَا عَمُّهَا حُذَيْفَة لِمَوْلاَه سَالِم، وَكَانَتْ مِنْ أَفْضَلِ أَيَامَى قُرَيْش، وَكَانَتْ، فِي الشَّام، تَلْبِسُ الثِّيَابَ الحَرِير ثُمَّ تَتَأَزَّرُ، فَقِيلَ لَهَا: أَمَا يُغْنِيك هَذَا عَنْ الإِزَارِ؟ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَأْمُرُ بِالإِزَارِ.

(*) هي: فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف.

انظر ترجمتها: الاستيعاب ٤/٣٧٢، والإصابة ٤/٣٧٣ ـ ٣٧٤، وفيه: أنها فاطمة بنت الوليد بن عقبة، وأعلام النساء ٤/١٤٨.

[٦٧]

رَمْلَةُ بِنْتُ شَيْبَةَ*

ابْنِ رَبِيعَةَ تَزَوَّجَها عُثْمَانُ بْنُ عفَّان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهاجَرتْ مَعَهُ، وَقَالَتْ فِيهَا هِنْدٌ أُمُّ مُعَاوِيَةَ شِعْراً، نَعَتْ عَلَيْهَا الإِسْلَامَ وَاتِّبَاعَهَا دِينَ مَنْ قَتَلَ آبَائِهَا.

(*) هي: رَمْلَةُ بِنْتُ شَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأُمُّهَا: أُمُّ شِرَاكٍ بِنْتُ وَقْدَانَ بْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ عَبْدِ وُدِّ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيّ.

انظر: طبقات ابن سعد ٨/١٧٣ ـ ١٧٤، والإصابة ٤/٣٠٠، وفيه: رملة بنت شيبة بن عتبة بن ربيعة.

[٦٨]

قُتَيْلَةُ بِنْتُ النَّضْرِ(١)

ابْنِ الحَارث(٢)، أَسْلَمَتْ يَوْمَ الفَتْحِ(٣)، وَكَانَتْ تَحْتَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الحَرثِ بْنِ أُمَيَّة، فَوَلَدَتْ لَهُ: علياً وَمُحَمَّداً(٤) وَالوَلِيدَ، وَلَمَّا قَتَلَ ﷺ أَبَاهَا كَتَبَتْ إِلَيْـهِ قُتَيْلَةُ قَبْلَ إِسْلَامِها. شِعْر(٥):

---

(١) في الأصل (النظر) والصواب ما أثبت عن الإصابة، والاستيعاب، وأسد الغابة ونسب قريش، والسيرة، والكامل.

(٢) تتمة نسبها: ابن علقمة بن كلدة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قُصَيّ القرشية.
انظر ترجمتها: أسد الغابة ٢٤١/٧ ـ ٢٤٢، والإصابة ٣٧٨/٤، والاستيعاب ٣٧٨/٤ ـ ٣٨١، ونسب قريش ٢٥٥، والسيرة ٣٨٦/٢ ـ ٣٨٧، والكامل ٤٩/٢، وأعلام النساء ١٨٩/٤ ـ ١٩٠، والبيان والتبيين ٤٣/٤ ـ ٤٤، وزهر الآداب ٢٨/١ ـ ٢٩، والعقد الفريد ٢٦٥/٣ ـ ٢٦٦، والحماسة ٤٠٠/١، والأغاني ١٨/١ ـ ١٩.

(٣) قال الحافظ ابن حجر في الإصابة (٣٧٨/٤)، ولم أرَ التصريح بإسلامها، ولكن إن كانت عاشت إلى الفتح فهي من جملة الصحابيات، ورأيت في آخر كتاب «البيان» للجاحظ أن اسمها ليلى، وذكر أنها جذبت رداء النبي ﷺ وهو يطوف، وأنشدته الأبيات المذكورة.

(٤) في المطبوعة (عليّ ومحمَّد)، والصواب ما أثبتناه.

(٥) والأبيات ذكرت في: أسد الغابة ٢٤١/٧ ـ ٢٤٢، ونسب قريش ٢٥٥، وزهر الآداب ٢٨/١ ـ ٢٩، والبيان والتبيين ٤٤/٤ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٤٠٠/١، والإصابة ٣٧٨/٤، والاستيعاب ٣٧٩/٤، وسيرة ابن هشام ٣٨٦/٢، والعقد الفريد ٢٦٥/٣، ومعجم البلدان ١١٢/١، وعيون الأثر ٢٩١/١، والأغاني ١٩/١.
وقد انفرد الجاحظ بنسبة الشعر التالي إلى ليلى بنت النضر، وأصح الأقوال وأشهرها أن صاحبة الشعر هي قتيلة. واختلف الرواة فيها: فذكر ابن هشام في السيرة ٣٨٦/٢، وأبو الفرج في الأغاني =

يَـا رَاكِبـاً إنَّ الأُثَيْـلَ مَـظِنَّـةٌ (١) مِنْ صُبْحِ خَـامِسَـةٍ (٢) وَأَنْـتَ مُـوَفَّقُ
أَبْلِغْ بِهِ (٣) مَيْـتاً بِأَنَّ (٤) تَـحِـيَّــةً (٥) مَا إنْ تَزَالُ بِهَا النَّجَائِبُ (٦) تَخْفِقُ (٧)
مِنِّي إلَيْــهِ (٨) وَعَبْـرَةً مَسْفُـوحَـةً (٩) جَادَتْ لِمَائِحِهَا (١٠) وَأُخْرَى تَخْنُقُ (١١)
هَـلْ يَسْمَعَنَّ (١٢) النَّضْـرُ إنْ نَـادَيْتُـهُ بَلْ كَيْفَ (١٣) يَسْمَعُ مَيِّتٌ (١٤) لاَ (١٥) يَنْطِقُ

= ١٨/١ ـ ١٩، والحصري في زهر الآداب ٢٨/١، وأبو تمام في الحماسة ٤٠٠/١، وعمر رضا كحالة في أعلام النساء ١٨٩/٤ أنها (بنت الحارث)، فهي أخت النضر بن الحارث، وفي العمدة ٣٠/١. والإصابة ٣٧٨/٤، والاستيعاب ٣٧٨/٤، وأسد الغابة ٢٤١/٧، ونسب قريش ٢٥٥ أنها (قتيلة بنت النضر بن الحارث).

(١) الأُثَيْلُ: عين ماء بين بدر ووادي الصفراء، وهو تصغير أثل، والأثل شجر يقال له الطرفاء، وفي شرح الحماسة: هو موضع فيه قبر النضر. والمِظَنَّةُ: موضع إيقاع الظن.

(٢) في زهر الآداب (غاديةٍ).

(٣) وكذا روايته في الإصابة والاستيعاب، وفي السيرة، وأسد الغابة، والبيان والتبيين وزهر الآداب، والعقد الفريد (أبلغ بها). وفي نسب قريش، وديوان الحماسة (بلغ به).

(٤) في الإصابة، والاستيعاب، وديوان الحماسة (فإن).

(٥) في البيان والتبيين (قصيدة).

(٦) في البيان والحماسة (الركائب)، والركائب: الإبل، والنجائب بمعناه.

(٧) في أسد الغابة، وزهر الآداب (تعنق)، وتعنق: تسرع، وتخفق بمعناه.

(٨) في السيرة (إليك).

(٩) مسفوحة: جارية.

(١٠) في المطبوعة (لماحيها)، والمثبت عن نسب قريش، وديوان الحماسة، والإصابة، والمائح: هو المستقى، وفي أسد الغابة (لما تِجهًا) وهو بمعناه، وفي السيرة وزهر الآداب، والاستيعاب، والعقد (بوَاكِفِهَا)، والواكِفُ: السائل.

(١١) في المطبوعة (تحنق) وهو خطأ، والمثبت عن جميع المصادر المذكورة، والبيت لم يذكر في البيان والتبيين.

(١٢) وكذا في الإصابة، وفي السيرة، وزهر الآداب، والعقد (هل يسمعني)، وفي الاستيعاب (هل تسمعن)، وفي نسب قريش، والبيان، وديوان الحماسة (فَلْيَسْمَعَنَّ).

(١٣) كذا في الإصابة، والاستيعاب، وفي السيرة، والعقد (أم كيف)، وفي نسب قريش، وزهر الآداب والبيان، والحماسة (إن كان).

(١٤) في الاستيعاب (تسمع ميتاً).

(١٥) في الحماسة (أو). والبيت لم يذكر في أسد الغابة.

ظَلَّتْ سُيُوفُ بَنِي أَبِيهِ تَنُوشُهُ لِلَّهِ أَرْحَامٌ هُنَاكَ تَشَقَّقُ (١)
قَسْراً (٢) يُقَادُ إِلَى المَنِيَّةِ مُتْعَباً (٣) رَسْفَ المُقَيَّدِ وَهْوَ عَانٍ مُوثَقُ (٤)
أَمُحَمَّدٌ أَوَ لَسْتَ (٥) صِنْوَنَجِيبَةٍ (٦) فِي (٧) قَوْمِهَا، وَالفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرِقُ (٨)
مَا كَانَ ضَرَّكَ لَوْ مَنَنْتَ وَرُبَّمَا (٩) مَنَّ الفَتَى وَهْوَ المَغِيظُ (١٠) المُحْنَقُ (١١)
فَالنَّضْرُ (١٢) أَقْرَبُ مَنْ قَتَلْتَ قَرَابَةً (١٣) وَأَحَقُّهُمْ إِنْ كَانَ عِتْقٌ (١٤) يُعْتَقُ

---

(١) ورد هذا البيت والذي يليه في السيرة، والعقد آخر بيتين في القصيدة، وتنوشه: تتناوله، وتشقق: أي تقطع، ومعنى البيت: لم يقتله أحدٌ غير بني أبيه، فعجباً من أرحام تتقطع هناك. عن شرح التبريزي.

(٢) في المطبوعة (قسماً) والصواب ما أثبت عن أسد الغابة، والإصابة، ونسب قريش، والبيان، وزهر الآداب. والقسر: بالسين المهملة القهر والغلبة، وفي السيرة، والعقد، والاستيعاب (صبراً)، .
وصبراً: يقال لمن يُقْتَلُ بغير حرب، وإنما يؤتى به بعد الحبس فيقتل.

(٣) في المطبوعة (متبعاً) والصواب ما أثبت عن جميع المراجع المتقدمة.

(٤) الرسف: المشي الثقيل، والعاني: الأسير، والبيت لم يذكر في الحماسة.

(٥) وكذا في أسد الغابة، وفي السيرة، والعقد (يا خير)، وفي نسب قريش، والحماسة (لأنت)، وفي البيان، وزهر الآداب (ها أنت): ، وفي الإصابة، والاستيعاب (ولدتك).

(٦) في زهر الآداب (صنو كريمة)، وفي السيرة، والعقد (ضنء كريمة)، وفي الحماسة، وأسد الغابة، والبيان، ونسب قريش (ضنء نجيبة)، وفي الإصابة، والاستيعاب (خير نجيبة). والضنء: الولد، والصنو بمعناه، والنَّجِيبَةُ: الكريمة.

(٧) في أسد الغابة، ونسب قريش، والحماسة (مِنْ).

(٨) في الأصل (معرف)، والصواب ما أثبت عن جميع المراجع المتقدمة، والمعرق: من له عرق في الكرم

(٩) في نسب قريش (فربما).

(١٠) في المطبوعة (المغيث) وما أثبت عن جميع المراجع المتقدمة.

(١١) المُحْنَقُ: الشديدُ الغيظ.

(١٢) في الأصل (فالنّصر)، والصواب ما أثبت عن جميع المراجع المتقدمة.

(١٣) كذا في زهر الآداب، وفي السيرة، والعقد، والاستيعاب (من أسرت)، وفي أسد الغابة، والبيان، ونسب قريش (من تركت)، وفي الإصابة (إن تركت)، وفي الحماسة(والنضر أقرب من أصبت وسيلة)، وفي الأغاني (من أخذت بِزَلَّةٍ).

(١٤) في المطبوعة (عتقاً) والصواب ما أثبت عن جميع المراجع المتقدمة، وفي السيرة (عِتْقٌ) وهو خطأ.

أَوْ كُنْتَ قَابِلَ فِدْيَةٍ[1] فَلَقِيتَ مَنْ[2] بِأَعَزِّ مَا يَغْلُو بِهِ مَا يُنْفِقُ[3]

فَلَمَّا بَلَغَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ [ذَلِكَ بَكَى][4] حَتَّى اخْضَلَّتْ بالدُّموعِ لِحْيَتُهُ، وَقَالَ: «لَوْ بَلَغَنِي شِعْرُهَا قَبْلَ أَنْ أَقْتُلَهُ لَعَفَوْتُ عَنْهُ»[5] . انْتَهى.

---

(١) في المطبوعة (قاتل قربة)، والمثبت عن السيرة وزهر الآداب.

(٢) في المطبوعة (فلقيت من)، والمثبت عن السيرة، وفي زهر الآداب (فَلْيُفْدَيَنْ).

(٣) في زهر الآداب (بِأَعَزِّ مَا يُغْلَى بِهِ مَنْ يُنْفِقُ)، والبيت لم يذكر في معظم المراجع المتقدمة.

(٤) الزيادة عن أسد الغابة، والإصابة، والاستيعاب.

(٥) ورد الحديث في: الكلام على مسألة السماع لابن قيم الجوزية ٢٦٥، وأعلام النساء ٤/١٨٩ ـ ١٩٠، والبيان والتبيين ٤/٤٤، والاستيعاب ٤/٣٨٠، والإصابة ٤/٣٧٨.

[٦٩]

بُسْرَةُ(١) بِنْتُ صَفْوان

ابْنِ نَوْفَلِ بْنِ أَسَد(٢)، وَهِيَ مِنَ المُبَايِعَاتِ، كَانَتْ عِنْدَ المُغِيرَة(٣) فَوَلَدَتْ لَهُ: مُعَاوِيَةَ وَعَائِشَةَ أُمَّ عَبْـد المَلِكِ بْنِ مَرْوَان(٤)، رَوَتْ عَنْهُ ﷺ: «مَنْ مَسَّ ذَكَرَهُ فَلْيَتَوضَّأْ»(٥).

---

(١) في المطبوعة (يسرة)، والصواب ما أثبت عن طبقات ابن سعد ٨/١٧٨، وأسد الغابة ٧/٤٠.

(٢) تتمة نسبها: ابن عبد العُزَّى بن قُصَيّ بْنِ كلاب القرشية الأسدية، وأُمُّها: سالمة بنت أمية بن حارثة بن الأوقص السلمية. قال كحالة في أعلام النساء: «راوية من راويات الحديث، روت عن رسول الله ﷺ «حديثاً». وقال الحافظ في الإصابة. «وقال الشافعي: لها سابقة قديمة وهجرة، وقال ابن حبان: كانت من المهاجرات، وقال مصعب: كانت من المبايعات».

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/١٧٨ ـ ١٧٩، وأسد الغابة ٧/٤٠ ـ ٤١، ونسب قريش ١٧٣، والإصابة ٤/٢٤٥ ـ ٢٤٦، والاستيعاب ٤/٢٤٢، وأعلام النساء ١/١٣٠.

(٣) هو المغيرة بن أبي العاص.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في الإصابة ٤/٢٤٥: «قال ابن الأثير: . . . وكانت بسرة زوج المغيرة بن أبي العاص فولدت له عائشة، فتزوجها مروان بن الحكم فولدت له عبد الملك، كذا قاله وهو غلط، فإن أم عبد الملك بنت معاوية أخي المغيرة، قاله الزبير بن بكار وهو أعرف بنسب قومه».

(٥) الحديث في: طبقات ابن سعد، وأسد الغابة مع اختلاف في اللفظ.

[٧٠]

الحَوْلَاءُ بِنْتُ تُوَيْتُ[1]

ابْنِ حَبِيبِ [بْنِ أَسَدِ][2] بْنِ عَبْدِ العُزَّى[3]، هَاجَرَتْ إِلَى المَدِينَةِ، وَكَانَتْ مِنَ العَابِدَاتِ، وَهِيَ الَّتِي جَاءَ فِيهَا الحَدِيثُ: «إِنَّهَا كَانَتْ لَا تَنَامُ اللَّيْلَ»[4]. انْتَهَى.

---

(١) في المطبوعة (تويبت)، والصواب ما أثبت عن أسد الغابة، وطبقات ابن سعد، والإصابة، ونسب قريش، وجمهرة أنساب العرب.

(٢) الزيادة عن أسد الغابة، وطبقات ابن سعد، ونسب قريش، وجمهرة أنساب العرب، والإصابة والاستيعاب.

(٣) في الأصل (العذا).

(٣) تتمة نسبها: ابن قُصَيّ القرشية الأسدية، قال كحالة في أعلام النساء: «عابدة من المجتهدات في العبادة، كانت تبيع العطر، أسلمت وبايعت بعد الهجرة».

انظر ترجمتها في: أسد الغابة ٧/٧٥، وطبقات ابن سعد ٨/١٧٨، ونسب قريش ٢١١، وجمهرة أنساب العرب ١١٨، والإصابة ٤/٢٦٩، والاستيعاب ٤/٢٦٩، وأعلام النساء، ١/٣٠٦.

(٤) قال الحافظ ابن حجر في الإصابة: ثبت في الصحيحين وغيرهما في حديث الزهري عن عروة عن عائشة أن الحولاء بنت تويت مرت بها وعندها رسول الله ﷺ فقالت: هذه الحولاء بنت تويت يزعمون أنها لا تنام الليل، فقال النبي ﷺ: «خذوا من العمل ما تطيقون ـ الحديث» وللحديث طرق بألفاظ ولم تُسَمَّ في أكثرها، ووقع عند أحمد عن أبي اليمان عن شعيب عن الزهري».

[٧١]

أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيق* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أَسْلَمَتْ قَدِيماً، وَتَزَوَّجَهَا الزُّبَيْرُ وَهَاجَرَ بِهَا إِلَى المَدِينَةِ، وَهِيَ حَامِلٌ بِعَبْدِ اللَّهِ فَوَضَعَتْهُ بِقُبَاء، وَكَانَتْ تُسَمَّى ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ، لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ حِينَ أَرَادَ الهِجْرَة فَعَسُرَ عَلَيْهِ ما يَشُدُّ السُّفْرَةَ(١)، فَشَقَّتْ نِطَاقَهَا وَانْتَطَقَتْ بِنِصْفِهِ وَشَدَّتْ السُّفْرَةَ بِنِصْفِهِ، فَسَمَّاهَا ﷺ: «ذَاتَ النِّطَاقَيْنِ». وَلَمَّا بَلَغَ وَلَدَهَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ الحَجَّاجَ يُعَيِّره بِابْنِ ذَاتِ النِّطَاقَيْنِ. أَنْشَدَ قَوْلَ الهِلَالِي: شعراً(٢):

وَعَيَّرَهَا الوَاشُونَ أَنِّي أُحِبُّهَا ... وَتِلْكَ شَكَاةٌ بَارِحٌ(٣) عَنْكَ عَارُهَا(٤)

فَإِنْ أَعْتَذِرْ مِنْهَا فَإِنِّي مُكَذَّبٌ ... وَإِنْ تَعْتَذِرْ(٥) يُرْدَدْ عَلَيْهَا اعْتِذَارُهَا

قِيلَ: «إِنَّهَا أَسْلَمَتْ بَعْدَ سَبْعَةِ عَشَرَ نَفْساً، وَعَاشَتْ حَتَّى قُتِلَ ابْنُهَا، وَقَدْ كُفَّ بَصَرُهَا، وَكَانَتْ تَقُولُ: اللَّهُمَ لَا تُمِتْنِي حَتَّى تَقَرَّ عَيْنِي بِجَسَدِهِ. وَقِيلَ: إِنَّهَا لَمَّا رَأَتْ وَلَدَهَا عَبْدَ اللَّهِ مَصْلُوباً دَرَّ ثَدْيُهَا وَحَاضَتْ. فَقَالَتْ: حَنَّتْ إِلَيْهِ مَرَاتِعُهُ وَدَرَّتْ عَلَيْهِ

(*) سبقت ترجمتها مع اختلاف وزيادة في بعض الفقرات، وقد ترجم لها المصنف مرة أخرى، انظر ترجمتها، ومصادر التخريج ص ٢٥٠ .

(١) السُّفْرَةُ: طعام يتخذه المسافر.

(٢) ورد البيتان في تاريخ مدينة دمشق ـ تراجم النساء ص ١٢، وفي ديوان الهذليين ١/ ٢٢.

(٣) في تاريخ مدينة دمشق (ظاهرٌ).

(٤) في الأصل (غارها).

(٥) في المطبوعة (يعتذر) والصواب ما أثبت عن «تاريخ مدينة دمشق».

مَرَاضِعه. فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَى الحَجَّاج لَعَنَهُ اللَّهُ [لَعْنَةً][1] مُؤَبَّدَةً عَدَدَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، فَقَالَتْ لَهُ: أَمَا آنَ لِهَذَا الرَّاكِب أَنْ يَتَرَجَّل؟ فَقَال: خَلُّوا بَيْنَهَا[2] وَبَيْنَ جِيْفَتِهَا. اللَّهُم العَنْهُ كَمَا لَعَنْتَ أَصْحَابَ السَّبْت، حَيْثُ لَمْ يَرْعَ[3] حَقَّ الصِّدِّيقِ. وَلَمَّا أَنْزَلُوه غَسَّلَتْهُ وَكَفَّنَتْهُ، وَصَلُّوا عَلَيْه، وَدَفَنَتْهُ، وَمَاتَتْ بَعْدَه بِأَيَّامٍ يَسِيرَةٍ[4]، وَقَدْ عَاشَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا مِائَة سَنَةٍ وَدُفِنَتْ بِمَكَّةَ.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل (بيني).

(٣) في الأصل (يرعا).

(٤) في تاريخ مدينة دمشق ـ قسم تراجم النساء ص ٩ و ١٠: أنها توفيت سنة ثلاث وسبعين بمكة بعد قتل ابنها عبد الله بن الزبير بأيام، ولها مائة سنة وقد ذهب بصرها، وفيه عن فاطمة بنت المنذر عن أسماء أنها قالت لأهلها: أجمروا ـ أي: بخّروا ـ ثيابي إذا مِتُّ، ثم حنطوني، ولا تَذُرُّوا عليّ، ولا تتبعوني بنار.

وفي رواية أخرى، قالت: إذا متُّ فاغسلوني، وكفنوني، وحنطوني، ولا تَذُرُّوا على كَفَني حنوطاً، ولا تدفنوني ليلاً.

[٧٢]

أُمُّ كُلْثُوم بِنْتُ الصِّدِّيق* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

وُلِدَتْ بَعْدَ وَفَاةِ(١) أَبِيهَا لِأَنَّ أُمَّهَا كَانَتْ حَامِلًا بِهَا، فَقَالَ أَبُو بَكْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كُنْتُ نَحَلْتُكِ جَراد عِشْرِين وَسْقاً وَدِدْتُ أَنَّكِ كُنْتِ جَرَّبْتِهِ: وَإِنَّمَا هُو مَالُ الوَارِثِ، وَإِنَّمَا هُو أَخَوَاكِ وَأُخْتَاكِ. فَقَالَتْ(٢): إِنَّمَا هِي أَسْمَاءُ: فَمَنِ الأُخْرَى؟ فَقَالَ: دُوَيْطِرُ بِنْتُ خَارِجَة. فَإِنِّي أَظُنُّهَا جَارِيَة. فَصَدَّقَ اللَّهُ ظَنَّهُ، وَوَلَدَتْهَا فَسَمَّتْهَا عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أُمَّ كُلْثُوم، وَلَمَّا كَبُرَتْ خَطَبَهَا عُمَرُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ عَائِشَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَلَمَّا ذَهَبَ قَالَتْ الجَارِيَةُ: تُزَوِّجِينِي عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ عَرَفْتِ خُشُونَةَ عَيْشِهِ، وَاللَّهِ لَئِنْ(٣) فَعَلْتِ لَأَخْرُجَنَّ إِلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَأَصِيحَنَّ بِهِ إِنَّمَا أُرِيدُ فَتىً مِنْ قُرَيْشٍ يَصُبُّ عَلَيَّ الدُّنْيَا صَبّاً. فَأَرْسَلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، إِلَى عَمْرو بْنِ العَاصِ فَأَخْبَرَتْهُ، فَقَالَ: أَنَا أَكْفِيك. فَذَهَبَ إِلَى عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: يَا أَمِير المُؤْمِنِين، لَوْ جَمَعْتَ إِلَيْكَ امْرَأَة. فَقَالَ: عَسَى أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ. قَالَ: مَنْ ذَكَرَ أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ؟ قَالَ: أُمُّ كُلْثُوم

(*) هي: أُمُّ كُلْثُوم بِنْتُ أَبِي بَكْرِ الصِّدِّيقِ بْنِ أَبِي قُحَافَةَ بْنِ عَامِرِ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْم، وَأُمُّهَا: حَبِيبَةُ بِنْتُ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَبِي زُهَيْر.

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/٣٣٨ - ٣٣٩، والمعارف ١٧٣ و١٧٥، والإصابة ٤/٤٦٩ اعلام النساء ٢٥٠ - ٢٥١.

(١) في الأصل (وفات).

(٢) في الأصل (فقلت).

(٣) في الأصل (لأن).

بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا لَكَ وَلِجَارِيَة، سَعَى إِلَيْكَ إِيَّاهَا بكره عَيْش. فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَعَائِشَة أَمَرَتْكَ بِذَلِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ فَتَرَكَهَا فَتَزَوَّجَهَا طَلْحَةُ ابْنُ عُبَيْدِ اللَّهِ[1] فَوَلَدَتْ لَهُ زَكَرِيا وَعَائِشَةَ. فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِي اللَّهُ عَنْه لَقَدْ تَزَوَّجَهَا أَفْتَى أَصْحَابِ مُحَمَّد ﷺ.

(١) هو: طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ بْنِ عُثْمَانَ بْنِ عَمْرِو بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْم. قُتِلَ يَوْم الجَمَل، ثُمّ تَزَوّجَتْ أُمّ كَلْثُوم بَعْدَ مَقْتَلِ طَلْحَةَ عَبْد الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ بْنِ المُغِيرَة.
انظر طبقات ابن سعد ٣٣٨/٨.

[٧٣]

أُمُّ فَرْوَةَ أُخْتُ الصِّدِّيقِ* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أَسْلَمَتْ وَبَايَعَتْ، وَرَوَتْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّه قَالَ: [إِنَّ](١) «أَحَبَّ الأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الصَّلاةُ فِي أَوَّلِ وَقْتِهَا»(٢). تَزَوَّجَهَا الأَشْعَثُ ابْنُ قَيْسٍ الكِنْدِي، فَوَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّداً(٣) وَإِسْحَاقَ وَجُمَانَةَ وَقُرَيْبَةَ.

وَيُرْوَى أَنَّ أَبَا قُحَافَةَ قَالَ لابْنَتِهِ يَوْمَ الفَتْحِ، خُذِي بِيدِي إِلَى جَبَلِ أَبِي قُبَيْس فَفَعَلَتْ، فَقَالَ لَهَا: مَا تَرِينَ؟ قَالَتْ: أَرَى سُوَاداً مُجْتَمِعاً. قَالَ: تِلْكَ الخَيْلُ. قَالَتْ: وَبَيْنَ أَيْدِيهِم فَارِسٌ يُقْبِلُ وَيُدْبِرُ. قَالَ: ذَاكَ الوَازِعُ. قَالَتْ: قَدِ انْتَشَرَ السَّوادُ. قَالَ: غَارَتِ الخَيْلُ فَادْرِكِي فِيَّ المَنْزِلَ فَنَزَلَتْ بِهِ فَأَدْرَكَهَا الخَيْلُ قَبْلَ بُلُوغِ

(*) هي: أم فروة بنت أبي قُحَافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تَيْم بن مرة بن كعب بن لؤي، أُمُّهَا: هند بنت نُقَيد بن بُجَير بن عبد بن قصي، وفي الاستيعاب: هند بنت نفيل، وفي نسب قريش ٢٥٧: الحارث بن نقيد بن بجير.

انظر ترجمتها: أسد الغابة ٣٧٧/٧، والإصابة ٤٦٠/٤، والاستيعاب ٤٦١/٤ ونسب قريش ٢٥٧.

(١) الزيادة عن الاستيعاب، وأسد الغابة.

(٢) ورد الحديث في أسد الغابة ٣٧٧/٧، والاستيعاب ٤٦١/٤، وقال الحافظ في الإصابة ٤٦٠/٤، (وقَرِيبَةُ بنت أبي قُحَافة قيل: هي التي روت الحديث في فضل الصلاة أول الوقت، وهو ظاهر صنيع ابن السكن، ورجحه ابن عبد البر وفيه نظر، والراجح أنها غيرها، فقد جزم ابن منده بأن بنت أبي قحافة لها ذكر وليس لها حديث، وراوية حديث الصلاة أنصارية، فإن مـرار حديثهـا على القاسم بن غنام، وهي جدته أو عمته، أو إحدى أمهاته أو من أهله على اختلاف الرواة عنه في ذلك فهي على كل حال ليست أخت أبي بكر الصديق قاله ابن الأثير).

(٣) في المطبوعة (محمد).

الْمَنْزِلِ، فَأَخَذَ بَعْضُهُمْ طَوْقاً كَانَ فِي عُنُقِهَا، فَلَمَّا فَتَحَ النَّبِيّ ﷺ مَكَّة قَال أَبُو بَكْرٍ: أَنْشِدُ اللَّهَ رَجُلاً أَخَذَ طَوْقَ أُخْتِي إلَّا رَدَّه. فَلَمْ يَرِدْ. فَقَالَ أَبُو بَكْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِأُخْتِهِ: احْتَسِبِي طَوْقَكِ فَإِنَّ الأَمَانَةَ اليَوْمَ فِي النَّاس قَلِيل.

[٧٤]

أمُّ الخَيْرِ بنْتُ صَخْر*

ابْنِ عَامِرِ بْنِ كَعْبِ بْنِ سَعْدِ بْنِ تَيْم(١)، هِيَ أُمُّ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ أَسْلَمَتْ قَدِيماً، فِي اليَوْمِ الّذِي ضُرِبَ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ(٢) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَتْ قَدْ خَرَجَتْ بِأَبِي بَكْرٍ هِيَ وَأُمُّ جَمِيلِ بِنْتِ الخَطَّابِ(٣)، حِينَ هَدَأَتْ(٤) الرِّجْلُ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ﷺ فِي دَارِ الأَرْقَمِ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذِهِ أُمِّي بَرَّةٌ بِوَلَدِهَا، وَأَنْتَ مُبَارَكٌ، فَادْعُ اللَّهَ لَهَا، فَدَعَا لَهَا ﷺ وَدَعَاهَا [إلى](٥) الإِسْلَامِ فَأَسْلَمَتْ(٦)، وَلَمْ يَجْتَمِعْ لأَحَدٍ مِنَ العَشَرَةِ إِسْلَامُ أَبَوَيْهِ غَيْرَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(*) هي: أم الخير بنت صخر بن عامر، وفي الإصابة: وقيل: بنت صخر بن عمرو بن عامر القرشية. كانت من المبايعات، بايعت رسول الله ﷺ، وماتت قبل أبي قحافة وكانا قد أسلما.

انظر ترجمتها: الاستيعاب ٤/٤٢٩، وأسد الغابة ٧/٣٢٦، والإصابة ٤/٤٢٩.

(١) في المطبوعة (تميم)، والصواب ما أثبت عن أسد الغابة، والإصابة والاستيعاب.

(٢) ضربه المشركون وذلك عندما أسلم، وقام خطيباً، فكان أول خطبته أن دعا إلى الله ورسوله فثار المشركون عليه وضربوه ضرباً شديداً. . . (الحديث).

(٣) أم جميل هي: فاطمة بنت الخطاب بن نفيل بن عبد العُزّى القرشية العدوية، أخت عمر بن الخطاب رضي الله عنها وهي امرأة سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، أسلمت قديماً أول الإسلام مع زوجها سعيد، قبل إسلام أخيها عمر، وهي كانت سبب إسلام أخيها عمر، وفي الإصابة: أن أم جميل بنت الخطاب اسمها فاطمة، ولقبها أميمة، وكنيتها أم جميل. وستأتي ترجمتها في ص ١٤٣/ب ١٤٤/أ.

انظر: أسد الغابة ٧/٢٢٠، والإصابة ٤/٣٧٠، والاستيعاب ٧/٣٧٠ـ٣٧١. وطبقات ابن سعد ٨/١٩٥.

(٤) في الأصل (هدئت).

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

(٦) ورد حديث أبو بكر هذا في أسد الغابة ٧/٣٢٦، والإصابة ٧/٤٢٩.

[٧٥]

أُمُّ حَكِيم بِنْتُ الحَارِثِ*

•

ابْنِ هِشَام، تَزَوَّجَها عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْل، أَسْلَمَتْ قَبْلَهُ يَوْمَ الفَتْحِ، وَهَرَبَ عِكْرِمَةُ فَأَخَذَتْ لَهُ أَمَاناً مِنَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَادَ وَخرجَتْ مَعَهُ إِلَى الشَّام. وَلَمَّا غَزَا وَقُتِلَ عَنْهَا بأَجْنادِينَ فَاعْتَدَّت [عَنْهُ أَرْبعَةَ أَشْهُر وَعَشراً] (١)، وَتَزَوَّجَهَا خَالِدُ بْنُ سَعِيد بْنِ العَاص عَلَى أَرْبَعمِائَة دِينَارٍ، فَلَما نَزَل المُسْلِمُونَ(٢) مَرْج الصُّفَّر(٣) أَرَادَ خَالِدُ أَنْ يُعَرِّسَ بِهَا فَقَالَتْ لَهُ: لَوْ أَخَّرْتَ الدُّخُول حَتَّى يَفُضَّ(٤) اللَّهُ هَذِهِ الجُمُوع! فَقَالَ خَالِدُ: إِنَّ نَفْسِي تُحَدِّثُنِي أَنِّي أُصَابُ فِي جُمُوعِهِمْ، قَالَتْ: فَدُونَكَ. فَأَعْرَسَ بِهَا عَن القَنْطَرَةِ الَّتِي بِالصُّفَّر(٥) فَسُمِّيَتْ قَنْطَرَة أُمِّ حَكِيم، وَأَوْلَمَ عَلَيْهَا، وَدَعَا أَصْحَابَهُ عَلَى

(*) هي: أم حكيم بنت الحارث بن هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم المخزومية، أمها: فاطمة بنت الوليد بن المغيرة بن عبد الله، أخت خالد.

انظر ترجمتها: تاريخ مدينة دمشق - تراجم النساء ٥٠١ - ٥٠٦، وطبقات ابن سعد ١٩١/٨، وأسد الغابة ٣٢١/٧، ونسب قريش ٣٠٣، وأعلام النساء ٢٨١/١، والإصابة ٤٢٦/٤، والاستيعاب ٤٢٤/٤ - ٤٢٦.

(١) الزيادة عن تاريخ مدينة دمشق - تراجم النساء ص ٥٠٤ - ٥٠٥، وقد اعتدت المرأة عدتها من وفاة زوجها أو طلاقه إياها. عن اللسان: (عدد).

(٢) في الأصل (المسلمين).

(٣) في المطبوعة (الصفرا)، والصواب ما أثبت، ومرج الصُّفَّر: مرج واقع بنواحي دمشق وهو الذي وقعت فيه المعركة بين المسلمين والروم، وبها سميت وكانت وقعة مرج الصفر في المحرم سنة أربع عشرة في خلافة عمر بن الخطاب.

(٤) في المطبوعة (يقضي)، وما أثبت عن تاريخ مدينة دمشق ص ٥٠٥، والاستيعاب ٤٢٥/٤.

(٥) في المطبوعة (بالصفرا).

الطَّعَام، فَمَا فَرَغُوا [1] [مِنَ الطَّعَامِ] [2] حَتَّى صَفَّت الرُّومُ [3] صُفُوفَهـا، وبَرَزَ خَالِدُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَشَدَّتْ أُمُّ حَكِيم عَلَيْهَا [ثِيَابَهَا] [4] وعـدت، وَإِنَّ عَلَيْهَا لَرَدْع [5] الخَلُوق، فَاقْتَتَلُوا أَشَدَّ القِتَالِ عَلَى النَّهْرِ، وَأَخَذَتْ السُّيُوفُ بَعْضَهَا بَعْضاً. وَقَتَلَتْ سَبْعَةَ رِجَالٍ أُمُّ حَكِيم بِعَمُودِ الفُسْطَاط [6] الَّذِي بَاتَ فِيهِ خَالِدُ مُعَرِّساً، ثُمَّ تَزَوَّجَ أُمَّ حَكِيم عُمَرُ بْنُ الخَطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَوَلَدَتْ لَهُ فَاطِمَةَ بِنْتَ عُمَر.

---

(١) في الأصل (فرغو).

(٢) الزيادة عن الاستيعاب ٤/٤٢٥، وتاريخ مدينة دمشق ٥٠٥.

(٣) في الأصل (الورم).

(٤) الزيادة عن الإصابة ٤/٤٢٦، والاستيعاب ٤/٤٢٥، وتاريخ مدينة دمشق ٥٠٥، وشدت ثيابها: أي: ضمت ما تلبسه إلى جسدها ضماً حسناً.

(٥) في المطبوعة، والطبقات (درع) وما أثبت عن تاريخ مدينة دمشق ٥٠٥، والرَّدْعُ: أثَرُ الخَلُوق والطيب في الجسد، والخلوق: ضرب من الطيب.

(٦) الفسطاط: الخيمة الواسعة، وفي مختار الصحاح: (الفسطاط): بيتٌ مِنْ شَعْر. انظر: مختار الصحاح ص ٥٠٣، مادة (ف س ط).

[٧٦]

دُرَّةُ بِنْتُ أَبِي جَهْل*

أَسْلَمَتْ، وَأَرَادَ عَلِيّ بْنُ أَبِي طَالِب أَنْ يَتَزَوَّجَهَا عَلَى فَاطِمَةَ الزَّهْرَاء، فَقَالَ ﷺ لاَ أُحَرِّمُ شَيْئاً أَحَلَّه اللَّه، وَلَكِن لاَ تَجْتَمِعُ ابْنَة نَبِيّ اللَّهِ، وَابْنَة عَدُوّ اللَّهِ تَحْتَ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَبَداً. فَإِنْ كَانَ يُرِيدُ ذَلِكَ فَلْيُطَلِّقْ فَاطِمَة رَضِي اللَّهُ عَنْهَا فَتَرَكَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخِطْبَة.

(*) لم أعثر لها على ترجمة، ولكن ابن حزم في «جمهرة أنساب العرب» ص ١٤٥ ذكر: أن أبا جهل له ابنة تسمى (الحنفاء)، أراد علي بن أبي طالب أن يتزوجها فكره ذلك رسول الله ﷺ فتزوجها عتاب بن أسيد.

[٧٧]

جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ أَبِي جَهْلٍ*

أَسْلَمَتْ يَوْمَ الفَتْحِ مَعَ أُخْتِهَا دُرَّة، قَالَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هِي الَّتِي أَرَادَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نِكَاحَهَا ثُمَّ تَرَكَهَا فَتَزَوَّجَهَا عِتَابُ بْنُ أُسَيْد، فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ الرَّحْمَن بْنَ عِتَاب. قُتِلَ يَوْمَ الجَمَل.

(*) انظر ترجمتها: الطبقات ١٩١/٨، وأسد الغابة ٥٦/٧، والإصابة ٢٥٧/٤، وقال ابن حجر في الإصابة: (ذكرها ابن منده، وقال غيره: اسمها جميلة، وقصتها في الصحيحين من حديث المسور بن مخرمة من غير أن تُسمى).

[٧٨]

دُرَّةُ بِنْتُ أَبِي سَلَمَة*

هِيَ الَّتِي[١] جَاءَ ذِكْرُهَا فِي حَدِيثِ أُمِّ حَبِيبَة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا إِذْ قَالَتْ لِرَسُولِ اللَّهِ: إِنَّا لَنَتَحدَّثُ أَنَّكَ نَاكِحُ دُرَّةَ بِنْتَ أَبِي سَلَمَةَ! قَالَ: بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قالَتْ: نَعَمْ. قَالَ: «وَاللَّهِ لَوْ لَمْ تَكُنْ[٢] رَبِيبَتِي فِي حِجْرِي مَا حَلَّتْ لِي. إِنَّهَا ابْنَةُ[٣] أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ، أَرْضَعَتْنِي وَإِيَّاه ثُوَيبَة»[٤].

(*) هي: دُرَّةُ بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِ الأَسَدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرُو بْنِ مَخْزُوم القرشية المخزومية ربيبة رسول الله ﷺ أُمُّهَا: أم سلمة زوج النبي ﷺ.

انظر: الإصابة ٢٩٠/٤، والاستيعاب ٢٩١/٤، وأسد الغابة ١٠٢/٧ ـ ١٠٣ وأعلام النساء ٤٠٨/١.

(١) في الأصل (الذي).

(٢) في الأصل (يكن).

(٣) في الأصل (ابنت).

(٤) ورد الحديث في أسد الغابة ١٠٢/٧، وتاريخ مدينة دمشق ـ تراجم النساء ٧١ في ترجمة أم حبيبة أم المؤمنين، والإصابة ٢٩٠/٤، والاستيعاب ١٩١/٤، وأخرجه البخاري في كتاب النكاح باب «عَرْضِ الإِنْسَانِ ابْنَتَهُ أو أُخْتَهُ عَلَى أَهْلِ الخَيْرِ».

[٧٩]

زَيْنَبُ بِنْتُ أَبِي سَلَمَةَ*

كَانَتْ تَرْضَعُ حِينَ تَزَوَّجَ ﷺ أُمَّهَا، فَجَاءَ عَمَّارٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَخَذَهَا مِنْ حِجْرِ أُمِّهَا، فَذَهَبَ بِهَا. وَقَالَ: هَذِهِ الَّتِي حَالَتْ بَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ وَبَيْنَ أَهْلِهِ، وَقِيلَ: إِنَّهَا وُلِدَتْ قَبْلَ الحَبَشَةِ، وَالأَوَّلُ أَصَحّ، وَقَالَتْ زَيْنَبُ: كَانَ[١] اسْمِي بَرَّة فَسَمَّانِي ﷺ زَيْنَبُ.

رُوِيَ أَنَّهَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ ﷺ وَهُو يَغْتَسِلُ[٢] فَنَضَحَ فِي وَجْهِهَا المَاءَ، فَلَمْ يَزَلْ مَاءُ الشَّبَابِ فِي وَجْهِهَا حَتَّى كَبُرَتْ[٣]. وَأَرْضَعَتْهَا أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرِ الصِّدِّيق

(*) هي: زينب بنت أبي سلمة بن عبد الأسد بن هلال بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأمها: أم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم زوج رسول الله، محدثة فقيهة، روت عن رسول الله ﷺ سبعة أحاديث، روى لها البخاري حديثاً، ومسلم حديثاً آخر، وقال الحافظ ابن حجر: (ذكرها العجلي في ثقات التابعين كأنه كان يشترط للصحبة البلوغ وأظن أنها لم تحفظ).
وتوفيت زينب وطارق أمير الناس، فأتى بجنازتها بعد صلاة الصبح، فوضعت بالبقيع.
انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٣٣٨/٨، والاستيعاب ٣١٢/٤ - ٣١٣، وأسد الغابة ١٣١/٧ - ١٣٢، والإصابة ٣١٠/٤ - ٣١١، وأعلام النساء ٦٧/٢.

(١) في الأصل (كانت).

(٢) في الأصل (يغتل).

(٣) ورد الخبر في أسد الغابة ١٣٢/٧، والاستيعاب ٣١٣/٤، وقال الحافظ في الإصابة ٣١١/٤: (وروينا في القطعيات من طريق عطاف بن خالد عن أمه زينب بنت أبي سلمة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا دخل يغتسل تقول أمي: ادخل عليه فإذا دخلت نضح في وجهي الماء ويقول: ارجعي، قالت: فرأيت زينب وهي عجوز كبيرة ما نقص من وجهها شيء).

رَضِي اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ زَيْنَبُ : وَكُنْتُ أَرى الزُّبَيْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَدْخُلُ عَلَيَّ وَأَنَا أَمْتَشِطُ فَيَأْخُذُ بِبَعْضِ قُرُونِي وَيَقُولُ: أَقْبِلِي عَلَيَّ فَحَدِّثِينِي ، أَرَاه أَباً وَيَرَانِي وَلَداً. وَتَزَوَّجَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَمْعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَتْ أَفْقَهَ نِسَاءِ زَمَانِهَا.

قَالَ الحَسَنُ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا كَانَ يَوْم الحَرَّة وَقُتِلَ أَهْلُ المَدِينَةِ، فَكَانَ فِيمَنْ قُتِلَ ابْنَا[1] زَيْنَب فَحُمِلا وَوضِعَا بَيْنَ يَدَيْهَا. فَقَالَتْ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون، وَاللَّهِ إِنَّ المُصِيبَةَ عَلَيَّ فِيهِمَا لَكَبِيرَة، وَهِي عَلَيَّ فِي هَذَا أَكْبَر مِنْهَا فِي هَذَا، أَمَّا هَذَا فَحضَرَ فِي بَيْتِهِ وَكَفَّ يَدَهُ فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقُتِلَ مَظْلُوماً [وَأَنَا أَرْجُو لَهُ الجَنَّةَ][2] وَأَمَّا هَذَا فَبَسَطَ يَدَهُ فَقَاتَلَ فَقُتِلَ فَلاَ أَدْرِي عَلَى مَا هُو مِنْ ذَلِك، فَالمُصِيبَةُ عَلَيَّ بِهِ أَعْظَمُ مِنْهَا فِي هَذَا.

---

(١) في الأصل (أبناء).

(٢) في المطبوعة (أعظم من هذا)، وما أثبت عن الاستيعاب ٤/٣١٣، وقد أورد حديث الحسن رضي الله عنه ابن عبد البر في الاستيعاب عن ابن المبارك عن جرير ابن حازم قال: سمعت الحسن يقول: لما كان يوم الحرة... الحديث.

[٨٠]

أُمُّ كُلْثُوم بِنْتُ أَبِي سَلَمَة رَضِي اللَّهُ عَنْهَا

رَوَتْ أَنَّهُ ﷺ قَالَ لِأُمِّ سَلَمَة حِينَ تَزَوَّجَهَا: «إِنِّي قَدْ أَهْدَيْتُ لِلنَّجَاشِيّ أَوَاقِي(١) [مِنْ](٢) مِسْكٍ وَحُلَّةٍ، وَلاَ أَرَاهُ إِلاَّ قَدْ مَاتَ، وَلاَ أَرَى الهَدِيَّةَ إِلاَّ سَتُرَدُّ إِليَّ، فَإِنْ رُدَّتْ فَهِي لَكِ، فَكَانَ كَمَا قَالَ» ﷺ مَاتَ النَّجَاشِيّ وَرُدَّتْ الهَدِيَّة إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَأَعْطَى كُلَّ امْرَأَةٍ مِنْ نِسَائِهِ أُوقِيَّة مِنْ ذَلِكَ المِسْكِ، وَأَعْطَى باقِيَهُ لِأُمِّ سَلَمَة(٣) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

(*) انظر ترجمتها: الاستيعاب ٤/٤٦٧، وأسد الغابة ٧/٣٨٤ ـ ٣٨٥، والإصابة ٤/٤٦٧، وأعلام النساء ٤/٢٥١.

(١) في الأصل (أوفى).

(٢) الزيادة عن سير الأعلام ٢/٢٠٩.

(٣) ورد الحديث في أسد الغابة ٧/٣٨٥، والاستيعاب ٤/٤٦٧، وقال ابن حجر في الإصابة ٤/٤٦٧: (أخرجه ابن أبي عاصم في الوحدات، وأخرجه ابن حبان في صحيحه من طريقه وهو المحفوظ، وفي سياقه ما يدل على المراد بقوله: (هي لك) هي الحلة والهدية، وبذلك يُجَابُ من استشكال قوله: فهي لك، ثم قسم المسك بين النساء)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/٤٠٤، ٦/٢٩١ من حديث مسلم بن خالد.

[٨١]

أُمُّ جَمِيل فَاطِمَةُ بِنْتُ الخَطَّاب رَضِي اللَّهُ عَنْهَا (*)

هِي أُخْتُ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَزَوَّجَهَا ابْنُ عَمِّهَا سَعِيدُ بْنُ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نُفَيْل، أَسْلَمَتْ قَبْلَ عُمَر رَضِي اللَّهُ تَعَالى عَنْه هِي وَزَوْجُهَا سَعِيد، وَكَانَتْ هِي سَبَبُ إِسْلَام عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمَّا ضُرِبَ أَبُو بَكْر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَى الإِسْلَامِ حُمِلَ إِلَى بَيْتِهِ وَهُمْ لاَ يَشُكُّونَ فِي مَوْتِهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَأَوَّل مَا تَكَلَّمَ قَالَ: مَا فَعَلَ رَسُول اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ أُمُّه: مَالِي عِلْمٌ بِصَاحِبِكَ. فَقَالَ: اذْهَبِي إِلَى أُمِّ جَمِيل فَاسْأَلِيهَا[1] عَنْه. فَذَهَبَتْ وَقَالَتْ لَهَا: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ يَسْأَلُكِ عَنْ مُحَمَّد ﷺ قَالَت: لاَ أَعْرِفُ أَبَا بَكْرٍ وَلاَ مُحَمَّداً، وَلَكِنْ أَذْهَبُ مَعَكِ إِلَى ابْنِكِ! فَأَتَتْ مَعَهَا، فَلَمَّا دَخَلَتْ وَرَأَتْ مَا بِهِ رَنَّتْ وَأَعْلَنَتْ بِالصِّياح وَقَالَتْ: إِنَّ قَوْماً نَالُوا مِنْك هَذَا، (فَهُو كُفْرٌ وَفُسُوقٌ)، وَإِنِّي أَرْجُو أَنْ يَنْتَقِمَ اللَّهُ لَكَ مِنْهُمْ، فَقَالَ أَبُو بَكْر: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: هَذِه أُمُّك تَسْمَعُ! قَالَ: لاَ ضَيْر[2] عَلَيْكِ مِنْهَا. قَالَتْ: هُو صَالِحٌ سَالِمٌ فِي دَارِ الأَرْقَم. قَالَ:

(*) هي: فَاطِمَةُ بِنْتُ الخَطَّابِ بْنِ نُفَيْلِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى بْنِ رِيَاحِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ قُرطِ بْنِ رَزَاحِ بْنِ عَدِي ابْنِ كَعْب القُرَشِيَّة العَدَوِيَّة. قال ابن حجر في الإصابة: أن أم جميل بنت الخطاب اسمها: فاطمة، ولقبها: أميمة، وكنيتها: أم جميل، وأمها: حَنْتَمَةُ بِنْتُ هَاشِمِ بْنِ المُغِيرَةِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ مَخْزُوم.

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ٨/١٩٥، والاستيعاب ٧/٣٧٠ ـ ٣٧١، وأسد الغابة ٧/٢٢٠، والإصابة ٤/٣٧٠، وأعلام النساء ٤/٥٠ ـ ٥٢.

(١) في الأصل (فسأليها).

(٢) في الأصل (عير).

فَإنَّ لِلّه عَلَيَّ أَنْ لاَ أَذُوقَ طَعَامَاً وَلاَ شَرَاباً حَتَّى آتِي رَسُول اللّهِ. فَـأَمْهَلَتاه حَتَّى هَدَأَت الرِّجْلُ فَخرَجَتا بِهِ[1] يَتَّكِيءُ عَلَيْهِمَا حَتَّى أَدْخَلاَه عَلَى رَسُولِ اللّه، وَدَعَا ﷺ لأمِّ أَبِي[2] بَكْر، وَعَرض[3] عَلَيْهَا الإِسْلاَم فَأَسْلَمَتْ.

وَأَمَّا إسْلاَم عُمَر رَضِي اللّهُ عَنْهُ فَكَانَتْ أُخْتُه قَدْ أَسْلَمَتْ هِي وَزَوْجُها وَهُمْ مُسْتَخْفُونَ[4]، وَكَانَ نَعِيمُ بْنُ عَبْدِ اللّهِ النَّجّارِ، أَسْلَمَ، وَكَانَ خَبَّابُ بْنُ الأَرتّ أَسْلَمَ وَيُقْرِىءُ[5] أُمَّ جَمِيل القُرْآن خُفْيَة، فَخَرَجَ عُمَرُ، مُتَقَلِّداً بِسَيْفِـهِ، يُرِيـدُ أَنْ يَقْتُلَ رَسُولَ اللّهِ وَأَصْحَابَه، وَقَدْ عَلِمَ أَنَّه فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفَا، وَهُمْ قَرِيب مِنْ أَرْبَعِين رَجُلاً[6] وامْرَأَةً مَعَ النَّبِيِّ[7] ﷺ وَحَمْزَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَعَلِيّ وَأَبِـي[8] بَكْر، فَلَقِي نَعِيمٌ عُمَر رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَقَالَ لَهُ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ فَقَالَ أُرِيدُ مُحَمَّداً[9] هَذا الصَّابىء الَّذِي فَرَّقَ أَمْرَ قُرَيْش فَأَقْتُلَه. فَقَالَ لَهُ نَعِيم وَاللّهِ لَقَدْ غَرَّتْكَ نَفْسُك يَا عُمَر، أَتَرى بَنِي عَبْدِ مَنَاف تَارِكِيكَ تَمْشِي عَلَى الأَرْض وَقَدْ قَتَلْتَ مُحَمَّداً! أَفَلاَ[10] تَرْجِعُ إِلَى أَهْلِ بَيْتِكَ فَتُقِيم أَمْرَهُمْ؟ قَالَ عُمَرُ: مَنْ هُمْ[11]؟ قَالَ: أُخْتُك وَزَوْجُهَا سَعِيدٌ، فَقَدْ أَسْلَمَا. فَرَجَعَ عُمَرُ إِلَيْهِمَـا وَعِنْدَهَـا خَبَّابٌ فِي مِخْـدَعٍ فَاخْتَفَى لَمَّـا رَأى عُمَرَ، وَأَخَذَتْ الصَّحِيفَةَ أُخْتُه فَجَعَلَتْهَا تَحْتَ فَخِذِهَا. وَدَنَا عُمَرُ رَضِي اللّهُ عَنْهُ فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: مَا هَذِهِ الهَيْنَمَة؟ قَدْ تَابَعْتُمَا مُحَمَّداً؟ وَضَرَبَ سَعِيداً، رَضِي اللّهُ عَنْهُ فَقَامَتْ أُخْتُه فَاطِمَة لِتَكُفَّهُ، فَضَربَهَا فَشَجَّهَا، فَقَالَتْ لَهُ أُخْتُه: نَعَمْ أَسْلَمْنَا وَآمَنَّا فَاصْنَعْ مَا بَدَا لَك! فَلَمَّـا رَأَى عُمَرُ رَضِي اللّهُ عَنْـهُ مَا بِـأُخْتِهِ مِنَ الـدِّينِ ارْتَعَدَ، وَقَالَ لَهَا: أَعْطِنِي الصَّحِيفَةَ أَنْظُرُ فِيهَا! فَقَالَتْ: إِنَّكَ نَجِسٌ، وَأَنَّـه لاَ يَمَسُّهَا إِلاَّ طَـاهِرٌ. وَلَمْ يَزَلْ بِهَا حَتَى أَخَذَ الصَّحِيفَةَ، وَكَانَ يَقْرَأُ وَيَكْتُبُ، فَوَجَدَ فِيهَا (سُورَة

(١) في الأصل (فخرجا).

(٢) في الأصل (أبو).

(٣) في الأصل (أعرض).

(٤) في الأصل (مستحقون).

(٥) في الأصل (تقرى).

(٦) في الأصل (رجل).

(٧) في الأصل (نبي).

(٨) في الأصل (أبو).

(٩) في الأصل (محمد).

(١٠) في الأصل (خلا).

(١١) في الأصل (منهم).

طَه) فَلَمَّا قَرَأَهَا، قَالَ: مَا أَحْسَنَ هَذَا الكَلَام وَأَكْرَمَه! فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ خَبَّابُ خَرَجَ إِلَيْهِ وَقَالَ: يَا عُمَر إِنِّي لأَرْجُو أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ خَصَّكَ بِدَعْوَةِ نَبِيه، فَإِنِّي سَمِعْتُهُ[1] أَمْس يَقُولُ: «اللّهُم أَيِّد الإِسْلاَمَ بِأَبِي الحَكَمِ بْنِ هِشَام أَوْ بِعُمَرَ بْنِ الخَطَّاب». فَقَالَ عُمَرُ: فَدُلَّنِي عَلَى مُحَمَّد. فَقَالَ: هُو فِي بَيْتٍ عِنْدَ الصَّفَا. فَسَارَ عُمَرُ مُتَقَلِّداً بِسَيْفِهِ، فَلَمَّا قَرُبَ ضَرَبَ البَابَ فَلَمَّا سَمِعُوا صَوْتَه، خَرَجَ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَرَأَى عُمَرَ مُتَوَشِّحاً بِسَيْفِهِ، فَقَالَ حَمْزَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْه: ائْذَنْ[2] لَهُ، فَإِنْ جَاءَ يُرِيدُ خَيْراً بَذَلْنَاهُ لَهُ، وَإِنْ أَرَادَ شَرّاً قَتَلْتُهُ بِسَيْفِهِ. فَقَالَ ﷺ ائْذَنْ لَهُ. فَأَذِنَ لَهُ الرَّجُلُ، فَدَخَلَ وَقَالَ عُمَرُ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ: يَا رَسُول اللَّهِ جِئْتُكَ لأُومِنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. وَأَسْلَمُ وَتَفَرَّقَ أَصْحَابُ النَّبِيِّ مِنْ مَكَانِهِمْ فَرِحِينَ مُسْتَبْشِرِينَ بِإِسْلاَمِ حَمْزَة وَعُمَر رَضِي اللَّهُ تَعالى عَنْهُمَا.

---

(١) في الأصل (أمن).

(٢) في الأصل (إذن).

[٨٢]

عَاتِكَةُ بِنْتُ زَيدِ بْنِ عَمْرو*

مِنَ المُهَاجِرَات، تَزَوَّجَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الصِّدِّيق، رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَتْ جَمِيلةً فَغلَبَتْ عَلَى عَقْلِهِ وَشَغَلَتْهُ عَنِ الجِهَادِ فَأَمَرَهُ أَبوه بِطَلاَقِهَا، فَأَنْشَدَ[١]:

يَقُولُونَ: طَلِّقْهَا وَخيِّم[٢] مَكَانَهَا ... مُقِيمٌ عَلَيْكَ[٣] الهَمُّ أَحلاَمُ نَائِمِ

وَأَنَّ فِرَاقِي أَهْلَ بَيْتٍ جَمَعْتُهُمْ ... عَلَى كِبَرٍ[٤] مِنِّي لإِحْدَى العَظَائِمِ

أَرَانِي وَأَهْلِي كَالعُجُولِ[٥] تَرَوَّجت[٦] ... إِلَى بَرِّهَا[٧] قبلَ العَشَارِ الروائِمِ

ثُمَّ طَلَّقَهَا، فَدَخَلَ عَلَيْه أَبوه وَهُو يُنْشِدُ وَيَقُولُ[٨]:

(*) في المطبوعة هي: عاتكة بنت زيد بن الخطاب، والصواب ما أثبت، وهي: عاتكة بنت زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى بن رباح بن عبد الله بن قُرْط بن رزاح بن عديّ بن كعب، وأمها: أم كريز وفي الطبقات أم كريز بنت عبد الله بن عمار بن مالك الحضرمي.

انظر ترجمتها: طبقات ابن سعد ١٩٣/٨ ـ ١٩٥، والاستيعاب ٣٥٤/٤ ـ ٣٥٧، والإصابة ٣٤١/٤، وأسد الغابة ٧/، وأعلام النساء ٢٠١/٣ ـ ٢٠٦.

(١) وردت الأبيات الثلاث بالاستيعاب، وأسد الغابة، وورد البيت الأول والثاني بالإصابة.

(٢) في الأصل (وهم) والصواب ما أثبت عن كتب التراجم المتقدمة.

(٣) في الإصابة والاستيعاب (تمنى النفس).

(٤) في الإصابة (كره)، وفي الاستيعاب (كبرة).

(٥) في الأصل (كالعجوز) والصواب ما أثبت عن كتب التراجم المتقدمة.

(٦) في الاستيعاب (تروحت).

(٧) في المطبوعة (بوّها) وما أثبت عن الاستيعاب.

(٨) وردت الأبيات الأربعة بأعلام النساء، وأسد الغابة، وورد البيت الثالث بالإصابة، وورد الثالث والرابع بالاستيعاب.

أَعَاتِكَ لاَ أَنْسَاكِ مَا ذَرَّ[1] شَارِق ... وَمَا نَاحَ[2] قَمرِيّ الحَمَام المُطَوَّق
أَعَاتِكَ قَلْبِي كُلَّ يَومٍ وَلَيْلَةٍ ... عَلَيْكِ[3] بِمَا تُخْفِي النُّفُوسُ مُعَلَّقُ
وَلَمْ[4] أَرَ[5] مِثْلِي طَلَّقَ اليَوْمَ مِثْلَهَا ... وَلاَ مِثْلُهَا فِي غَيْرِ جُرْمٍ تُطَلَّقُ[6]
لَهَا كَلَفٌ جَزْلٌ وَرَأْيٌ وَمَنْصِبٌ ... وَخُلْقٌ سَوِيّ فِي الحَيَاءِ[7] وَمَصْدَقُ[8]

فَرَقَّ لَهُ أَبُوه وَأَمَرَه فَرَاجَعَهَا وَأَنْشَدَ يَقُولُ[9]:

أَعَاتِكَ قَدْ طُلِّقْتِ فِي غَيْرِ رِيْبَةٍ ... وَرُوجِعْتِ لِلأَمْرِ الَّذِي هُوَ كَائِنُ
كَذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ غَادٍ وَرَائِحٌ ... عَلَى النَّاسِ فِيهِ أُلْفَةٌ[10] وَتَبَايُنُ[11]
وَمَا زَالَ قَلْبِي لِلتَّفَرُّقِ طَائِراً[12] ... وَقَلْبِي لَمَّا قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ سَاكِنُ
لِيَهْنِك إِنِّي لاَ أَرَى فِيكِ سُخْطَةً ... وَإِنَّكِ قَدْ تَمَّتْ عَلَيْكِ المَحَاسِنُ
وَإِنَّكِ[13] مِمَّنْ زَيَّنَ اللَّهُ وَجْهَهُ ... وَلَيْسَ لِوَجْهٍ زَانَهُ[14] اللَّهُ شَائِنُ

---

(١) في أعلام النساء (ما ذر).

(٢) في أعلام النساء (ناج).

(٣) في أعلام النساء (لديك).

(٤) في أعلام النساء (فلم).

(٥) في الأصل (أرى).

(٦) في الأصل (جذم بطلق) والصواب ما أثبت عن أسد الغابة والاستيعاب، وفي أعلام النساء (شيء).

(٧) في الأصل (الحياة) والصواب ما أثبت.

(٨) ورد هذا البيت في أعلام النساء على النحو التالي.

لها خلق جزل ورأى ومنطق ... وخلق مصون في حياء ومصدق

(٩) وردت الأبيات بأعلام النساء.

(١٠) في المطبوعة (إلفه).

(١١) في الأصل (تبائن) والتصويب من أعلام النساء.

(١٢) في الأصل (طائر).

(١٣) في أعلام النساء (فإنك).

(١٤) في المطبوعة (زين) وما أثبت عن أعلام النساء.

ثُمَّ شَهِدَ عَبْدُ اللَّهِ الطَّائِفَ فَأُصِيبَ بِسَهْمٍ وَمَاتَ بِالمَدِينَةِ فَقَالَتْ عَاتِكَةُ تَرْثِيه(١):

رُزِيتُ بِخَيْرِ النَّاسِ بَعْدَ نَبِيِّهِم ... وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ وَمَا كَانَ قَصَّرَا
فَيَا لَيْتَ لَا تَنْفَكُّ عَيْنِي حَزِينَةً(٢) ... عَلَيْكَ وَلَا يَنْفَكُّ جِلْدِي(٣) أَغْبَرَا
فَلِلَّهِ عَيْنَا مَنْ رَأَى مِثْلَهُ فَتَى ... أَكَرَّ وَأَحْمَى فِي الهِيَاجِ وَأَصْبَرَا(٤)
إِذَا شَرَعَتْ(٥) فِيهِ الأَسِنَّةُ خَاضَهَا ... إِلَى المَوْتِ حَتَّى يَتْرُكَ الرُّمْحَ(٦) أَحْمَرَا

ثُمَّ تَزَوَّجَهَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْه سَنَةَ اثْنَتَي عَشْرَة فَلَمَّا قُتِلَ قَالَتْ عَاتِكَةُ تَرْثِيه(٧)

عَيْنِي جُودِي بِعَبْرَةٍ، وَنَحِيبِ ... لَا تَمَلِّي عَلَى الجَوَادِ(٨) النَّجِيبِ
فَجَعَتْنِي المَنُونُ بِالفَارِسِ المعْـ ... ـلَمِ يَوْمَ الهِيَاجِ وَالتَّأْبِيبِ(٩)
قُلْ لِأَهْلِ الضَّرَّاءِ وَالبُؤْسِ مُوتُوا ... قَدْ سَقَتْهُ المَنُونُ كَأْسَ شُعُوبِ

ثُمَّ تَزَوَّجَهَا الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَتْ تَخْرُجُ لِلمَسْجِدِ لِلصَّلَاةِ وَكَانَ الزُّبَيْرُ غَيُوراً، فَيَمْنَعُهَا فَتَقُولُ: لَا أَزَالُ أَخْرُجُ حَتَّى تَمْنَعَنِي وَتَذْكُرُ(١٠) قَوْلَه

---

(١) وردت الأبيات الأربعة بالاستيعاب وأسد الغابة، ووردت الأبيات الثلاثة الأخيرة بأعلام النساء، وورد البيت الثاني بالإصابة، والطبقات.

(٢) في الأصل (خزيلة) والصواب ما أثبت، وفي الإصابة (فآليت)، وفي الطبقات (آليت لا تنفك نفسي حزينة) وفي أعلام النساء (فأقسمت لا تنفك عيني سخينة).

(٣) في الإصابة (حذى).

(٤) في الأصل (فلله عينا من رأى قط شاكراً . وأحما في الهيجا حقاً وأصبرا) وما أثبت عن الاستيعاب، وأسد الغابة، وأعلام النساء.

(٥) في الاستيعاب (أشرعت).

(٦) في الأصل (الموت) والصواب ما أثبت عن الاستيعاب، وأسد الغابة.

(٧) وردت الأبيات بالاستيعاب، وأعلام النساء.

(٨) في الاستيعاب والأعلام (الإمام).

(٩) في أعلام النساء (والتلبيب)، وفي الاستيعاب (والتثويب).

(١٠) في الأصل (فتزكى).

ﷺ: «لَا تَمْنَعُوا إِمَاءَ اللَّهِ مَسَاجِدَ اللَّهِ» فَتَنَكَّرَ لَهَا لَيْلَةً فِي مَكَانٍ مُظْلِمٍ وَقَرَصَهَا فِي عَجِيزَتِهَا، فَرَجَعَتْ إِلَى بَيْتِهَا فَكَانَ يَقُولُ لَهَا: لِمَ لَا تَخْرُجِينَ؟ فَتَقُولُ: كُنْتُ أَخْرُجُ وَالنَّاسُ نَاسٌ، وَأَمَّا إِذْ[1] فَسَدَ النَّاسُ فَبَيْتِي أَوْسَعُ لِي. وَلَمَّا قُتِلَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رَثَتْهُ بِقَوْلِهَا[2]:

غَدَرَ ابْنُ جُرْمُوزٍ بِفَارِسِ هِمَّةٍ ... يَوْمَ اللِّقَاءِ وَكَانَ غَيْرَ مُعَرِّدِ[3]

يَا عَمْرُو لَوْ نَبَّهْتَهُ لَوَجَدْتَهُ ... لَا طَائِشاً رَعْشَ الجَنَانِ[4] وَلَا اليَدِ

كَمْ غَمْرَةٍ قَدْ خَاضَهَا لَمْ يُثْنِهِ[5] ... عَنْهَا طِرَادُكَ يَا ابْنَ فقْعِ القردد

ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ إِنْ ظَفَرْتَ بِمِثْلِهِ[6] ... فِيمَا[7] مَضَى مِمَّنْ يَرُوحُ وَيَغْتَدِي

وَاللَّه رَبِّكَ[8] إِنْ قَتَلْتَ لَمُسْلِماً ... حَلَّتْ عَلَيْكَ عُقُوبَةُ المُتَعَمِّدِ[9]

وَلَمَّا قُتِلَ الزُّبَيْرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه صَالَحَها وَلَده عَلَى ثَمَانِين أَلف دِرْهَم، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ، رَضِي اللَّهُ عَنْه، فَقُتِلَ عَنْهَا بِمِصْر فَقَالَتْ تَرْثِيهِ:

إِنْ تَقْتُلُوا وَتُمَثِّلُوا بِمُحَمَّدٍ ... فَمَا كَانَ مِنْ أَجْلِ النِّسَاءِ وَلَا الخَمْرِ

---

(١) في الأصل (إذاً).

(٢) وردت الأبيات بالاستيعاب وأسد الغابة، وأعلام النساء مع اختلاف في اللفظ وترتيب الأبيات.

(٣) في الأصل (معدد) والصواب ما أثبت عن الاستيعاب، وأسد الغابة.

(٤) في الأصل (البنات) والصواب ما أثبت عن الاستيعاب وأسد الغابة، وفي أعلام النساء (اللسان).

(٥) في الأصل (بته) والصواب ما أثبت عن الاستيعاب، وأسد الغابة.

(٦) ورد في أعلام النساء قبل هذا البيت بيت آخر وهو:

إن الزبير لذو بلاء صادق ... سمع سجيته كريم المشهد

(٧) في أعلام النساء: (فاذهب فما ظفرت يداك بمله).

(٨) في الاستيعاب (ممن).

(٩) في الأصل (شلت يمينك)، وكذا ورد بأعلام النساء وهو البيت رقم (٣) به وما أثبت عن الاستيعاب، وأسد الغابة.

(١٠) في أعلام النساء (المستشهد).

ثُمَّ خَطَبَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب رَضِي اللَّهُ عَنْه فَقَالَتْ: إِنِّي لأَضِنُّ [1] بِكَ يَا بْنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ [أَنْ] [2] تُحِبَّ القَتْلَ؟ وَكَانَ يُقَالُ: مَنْ أَحَبَّ الشَّهَادَة فَلْيَتَزَوَّج عَاتِكَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا.

---

(١) في الأصل (أظن) والتصويب عن الاستيعاب والإصابة.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

[٨٣]

الشَّفَاءُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ

ابْنِ عَبْدِ شَمْسِ بْنِ خَلَفٍ* وَاسْمُهَا لَيْلَى وَهِيَ مِنْ المُبَايِعَاتِ المُهَاجِرَاتِ كَانَ ﷺ يَأْتِيهَا وَيَقِيلُ عِنْدَهَا، وَكَانَتْ قَدْ اتَّخَذَتْ لَهُ فِرَاشاً، وَإِزَاراً يَنَامُ فِيه، وَمَا زَالَ عِنْدَهُمْ حَتَّى أَخَذَهُ(١) مَرْوَانُ، وَأَقْطَعَهَا ﷺ دَارَهَا عِنْدَ الحَكَّاكِين، وَصَلَّى بِهِ ﷺ وَكَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُقَدِّمُهَا [فِي الرَّأْيِ](٢) وَيُرْضَاهَا(٣)، وَرُبَّمَا وَلَّاهَا شَيْئاً مِنْ أَمْرِ السُّوقِ. انْتَهَى.

(*) تتمة نسبها: ابن شدّاد بن عبد الله بن قُرْط بن رزاح بن عدي بن كعب بن لُؤَي القرشية العَدَوِيّة.
وقيل: صداد بدل شداد، وقيل: ضرار، أم سليمان بن أبي حثمة، أمها: فاطمة بنت أبي وهب بن عمرو بن عائذ بن عمر، كانت من عقلاء النساء وفضلائهن.
انظر ترجمتها: الاستيعاب ٤ وأسد الغابة ١٦٢/٧ - ١٦٣، والإصابة ٣٣٣/٤ - ٣٣٤، وأعلام النساء ٣٠٠/٢ - ٣٠١.

(١) في الأصل (أخذهم)

(٢) الزيادة عن أسد الغابة، والإصابة، والاستيعاب.

(٣) في المطبوعة (يرضيها)، وفي هامش المطبوعة ما نصه: (في الأصل «ويرضاها»)، والصواب هو ما ورد بالأصل، أي: يرضاها حكماً فيما يعرضه عليها من أمور.

[٨٤]

سَهْلَةُ بِنْتُ سُهَيْل*

ابْنِ عَمْرو(١) زَوْجَةُ أَبِي حُذَيْفَةَ بْنِ عُتْبَةَ، أَسْلَمَتْ قَدِيماً، وَهَاجَرَتْ إِلَى الحَبَشَةِ مَعَ زَوْجِهَا فوَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّداً(٢)، ثُمَّ قَدِمُوا مَكَّةَ فَأَقَامُوا بِهَا حَتَّى هَاجَرُوا إِلَى المَدِينَة، وَهِي الَّتِي أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا نَرَى سَالِماً وَلَداً وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْنَا، وَيَرَانِي وَأَنَا أُصَلِّي، وَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِم مَا أَنْزَلَ، فَمَا تَرَى؟ قَالَ: «أَرْضِعِيهِ تَحْرُمِي(٣) عَلَيْهِ». وَقُتِلَ أَبُو حُذَيْفَة يَوْم اليَمامَة، فَتَزَوَّجَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ ابْنُ عَوْف، فَوَلَدَتْ لَهُ سَالِماً(٤). وَلَمَّا مَاتَ تَزَوَّجَهَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الأَسْوَد فَوَلَدَتْ لَهُ سُلَيْطاً(٥). وَلَمَّا مَاتَ تَزَوَّجَهَا شَماخُ(٦) بْنُ سَعِيد فَوَلَدَتْ لَهُ بُكَيْراً.

(*) هي: سهلة بنت سهيل بن عمرو القرشية من بني عامر بن لؤي. وأُمُّها: فاطمة بنت عبد العزى بن أبي قبيس بن عبد ود بن نصر بن مالك بن حسل.

انظر: أسد الغابة ١٥٤/٧ ـ ١٥٥، والاستيعاب ٣١٩/٤، والإصابة ٣٢٩/٤ وأعلام النساء ٢٦٥/٢ ـ ٢٦٦.

(١) في المطبوعة (عمر) والصواب ما أثبت عن أسد الغابة والاستيعاب والإصابة.

(٢) في الأصل (محمد).

(٣) في الأصل (تحذمي).

(٤) في الأصل (سالم).

(٥) في الأصل (سليط).

(٦) في المطبوعة (سماح) والصواب ما أثبت عن أسد الغابة ١٥٥/٧، والاستيعاب ٣١٩/٤، والإصابة ٣٢٩/٤، وهو: شماخ بن سعيد بن قائف بن الأوقص السلمي.

[٨٥]

حَبِيبَةُ بِنْتُ عُبَيْدِ اللَّهِ*

ابْنِ جَحْشٍ ، رَبِيبَة رَسُول اللَّهِ ﷺ هَاجَرَتْ مَعَ أَبِيهَا . وَأُمُّهَا بِهَا تُكَنَّى .

(*) حبيبة بنت عبيد الله بن جحش، أمها: أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب زوج النبي ﷺ هاجرت مع أمها إلى الحبشة، ورجعت بها إلى المدينة.

انظر: طبقات ابن سعد ٦٨/٨، والإصابة ٢٦٣/٤، وأسد الغابة ٦٢/٧.

[٨٦]

حِمْنَةُ(١) بِنْتُ جَحْش *

تَزَوَّجَهَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ فَوَلَدَتْ لَهُ زَيْنَبَ ثُمَّ قُتِلَ يَوْم أُحُد، فَتَزَوَّجَهَا طَلْحَةُ ابْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ، فَوَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّداً وَعِمْرَان،وَكَانَتْ مِمَّن خَاضَ فِي حَدِيثِ الإفْكِ فَجُلِدَتْ فِيمَنْ جُلِدَ.

(*) هي: حمنة بنت جحش بن رباب الأسدية من بني أسد بن خزيمة، هي أخت زينب بنت جحش أم المؤمنين زوج النبي ﷺ أمها: أميمة بنت عبد المطلب، عمة رسول الله ﷺ كانت من المهاجرات، وشهدت أحداً، فكانت تسقي العطشى، وتحمل الجرحى، وتداويهم، روت عن النبي ﷺ روى عنها ابنها عمران بن طلحة.

انظر ترجمتها: الاستيعاب ٢٦٢/٤ ـ ٢٦٣، وأسد الغابة ٦٩/٧ ـ ٧١، والإصابة ٢٦٦/٤ ـ ٢٦٧.

(١) في الأصل (جمانة)، والصواب ما أثبت عن كتب التراجم المتقدمة.

[٨٧]

أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ جَحْشٍ*

تَزَوَّجَهَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوفٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَتْ تُسْتَحَاضُ فَأَمَرَهَا ﷺ أَنْ تَغْتَسِلَ لِكُلِّ صَلَاةٍ(١).

(*) هي: أم حبيبة بنت جحش بن رئاب الأسدي أخت زينب بنت جحش، وأخت حَمْنَة، وأكثرهم يسقطون الهاء فيقولون: أم حبيب، والأول أكثر، كانت تستحاض، وأهل السير يقولون: إن المستحاضة حمنة، والصحيح عند أهل الحديث أنهما كانتا تستحاضان جميعاً.

انظر ترجمتها: الاستيعاب ٤/٣٢٣ ـ ٣٢٤، وأسد الغابة ٧/٣١٤ ـ ٣١٥، والإصابة ٤/٤٢٣.

(١) الحديث أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٦/٤٣٤ وابن الأثير في «أسد الغابة» ٧/٣١٤.

[٨٨]

أُمُّ قَيْس بِنْتُ مِحْصَن*

أُخْتُ عُكَاشَة، أَسْلَمَتْ قَدِيماً، وَهَاجَرَتْ وَبَايَعَتْ وَهِيَ الَّتِي أَتَتْ النَّبِيَّ بِابْن لَهَا صَغِير، فَوضَعَهُ ﷺ فِي حُجْرِهِ، فَبَالَ عَلَيْه فَدَعَا ﷺ بِمَاءٍ فَأَتْبَعَهُ بَوْله وَلَمْ يَغْسِلْهُ (١)انْتَهى.

(*) هي: أُمُّ قَيْس بِنْتُ مِحْصَن بن حُرْثان الأسدية، وقال ابن حجر في الإصابة: (ويقال: إن اسمها: أمية.

انظر ترجمتها: الاستيعاب ٤٦٢/٤، وأسد الغابة ٣٧٩/٧ ـ ٣٨٠، والإصابة ٤٦٣/٤.

(١) الحديث أخرجه: البخاري في صحيحه، ومسلم في صحيحه، وأخرجه ابن الأثير في أسد الغابة ٣٧٩/٧، وابن حجر في الإصابة ٤٦٣/٤، وورد الحديث في تحفة الأحوذي، باب الطهارة، باب ـ ما جاء في نضح بول الغلام قبل أن يطعم، الحديث ٥٧: ٢٣٥/١ ـ ٢٤٢.

[٨٩]

أُمُّ عَبْدِ اللَّهِ بِنْتُ(١) الوَلِيد*

تَزَوَّجَهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّان رَضِي اللَّهُ عَنْهُ فَوَلَدَتْ لَهُ سَعِيد بْنَ عُثْمَان رَضِي اللَّهُ عَنْه وَتُوفِيَتْ(٢) رَضِي اللَّهُ عَنْهَا.

(*) هي: أم عبد الله بنت الوليد بن عبد شمس بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم المخزومية، استشهد أبوها باليمامة.

انظر ترجمتها: الإصابة ٤/٤٥١.

(١) في المطبوعة (بن) والصواب ما أثبت.

(٢) في الأصل (توفت).

[٩٠]

فَاطِمَةُ بِنْتُ عُمَر* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

ابْنِ الخَطَّاب، وَأُمُّهَا أُمُّ حَكِيم بِنْتُ الحَارِثِ بْنِ هِشَامِ بْنِ المُغِيرَة. تَزَوَّجَهَا ابْنُ عَمِّهَا عَبْدُ الرَّحْمَن بْنُ زَيْـدِ بْنِ الخَطَّاب. فَوَلَدَتْ لَهُ عَبْدَ اللَّهِ، وَتُوفِّيَتْ[1] فِي خِلَافَةِ عُثْمَان رَضِيَ اللَّهُ عَنْه.

(*) انظر: الكامل ٣/٢٩، وقد ورد في المطبوعة (بنت عمر مكررة).

(١) في [illegible] (توفت).

[٩١]

زَيْنَبُ بِنْتُ عُمَرَ* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

ابْنِ الخَطَّاب رَضِي اللَّهُ عَنْه أُمُّهَا فَكِيهَة كَانَتْ مِنَ الصَّالِحَات، رَوَتْ عَنْ أُخْتِهَا حَفْصَة رَضِي اللَّهُ عَنْهَا أُمِّ المُؤْمِنِين كَذَا ذَكَرَه فِي «الرِّيَاض النَّضِرَة» و«التبيين»، وَتَزَوَّجَها عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سُرَاقَة العَدَوِيّ فَأَقَامَتْ عِنْدَهُ أَعْوَاماً[1].

(*) انظر ترجمتها: الإصابة ٤/٣١٥، والكامل ٣/٢٩، وقد ورد في المطبوعة (بنت عمر) مكررة.

(١) في الأصل (أعوام).

[٩٢]

أُمُّ كُلْثُوم بِنْتُ عَلِي (١)* رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

ابْنِ أَبِي طَالِب رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَأُمُّهَا فَاطِمَةُ الزَّهْرَاء رَضِي اللَّهُ عَنْهَا تَزَوَّجَهَا الإِمَامُ عُمَرُ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ عَشْرَة(٢) وَأَصْدَقَهَا أَرْبَعِينَ أَلْفَ دِرْهَم، فَوَلَدَتْ لَهُ زَيْداً الأَكْبَر، وَرُقَيَّة، وَتُوفي عَنْهَا.

(*) هي: أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب، تزوجها عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقتل عنها، فخطبها، سعيد بن العاص، فقالت: إن مثلي لا تزوج نفسي، فائت أهلي، فأتى الحسن بن علي عليهما السلام فخطبها فقاربه، فبعث إليها سعيد بمائة ألف، وكلم الحسن الحسين فأبى. وقد كان الحسن وعد سعيداً وعداً، فأتاه سعيد وحده فقال: أين أبو عبد الله؟ قال الحسن لم يحضر، ولن يخالفني إذا فعلت. فقال سعيد: إني أكره أن أُدْخِلَ بينكم بشيء تكرهونه، فرجع ولم يرجع في المال ولم يطلبه، ثم تزوجها عون بن جعفر، ثم تزوجها محمد بن جعفر.

انظر: المردفات من قريش (سلسلة نوادر المخطوطات) ١/٦٠، وطبقات ابن سعد، وأسد الغابة ٧/ والإصابة ٤/، وأعلام النساء ٤/٢٥٥ ـ ٢٦٠.

(١) في المطبوعة (بنت علي) مكررة.

(٢) في الأصل (عشر).

[٩٣]

عَائِشَةُ بِنْتُ طَلْحَةَ التَّيْمِيَّةُ*

كَانَتْ فَائِقَةَ الحُسْنِ وَالجَمَالِ، لَمْ يَرَ(١) الزَّمَانُ مَنْ يُشَابِهها بِالجَمَالِ، تَزَوَّجَها مُصْعَبُ بْنُ الزُّبَيْر رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَأَصْدَقَهَا مِائَةَ أَلْفِ دِينَار، وَأَقَامَتْ عِنْدَه إلَى أَنْ تُوفِّيت(٢) سَنَة إحْدَى وَمِائَة.

(*) هي: عائشة بنت طلحة بن عبيد الله بن عثمان بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، وأمها: أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق،

(*) تزوج عائشة بنت طلحة عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر، وهو أبو عُذْرتها، فولدت له أولاداً، وكان يلقى منها البلاء فطلقها، فتزوجها مصعب بن الزبير فقتل عنها مصعب فخطبها بشر بن مروان، وقدم عمرُ بن عبيد الله بن معمر من الشام فنزل إلى الكوفة فبلغه أن بشراً خطب عائشة فأرسل: وأنا خيرٌ لك من هذا المبسور، وأنا ابن عمك وأحق بك، وإن تزوجت بك ملأت بيتك خيراً، وملأت حرك أيراً، فبنى بها بالحيرة، فمات عنها فبكته، فعلموا أنها لا تزوج. طبقات ابن سعد ٣٤٢/٨.

انظر: المردفات من قريش (سلسلة نوادر المخطوطات) ٧١/١ ـ ٧٢. المعارف سعد. وأعلام النساء ١٣٧/٣ ـ ١٥٥.

(١) في الأصل (يرى).

(٢) في الأصل (توفت).

[٩٤]

فَاطِمَةُ*

بِنْتُ الحسين(١) رَضِي اللَّهُ [عَنْهُ](٢) بن عَلِيٍّ، رَضِي اللَّهُ عَنْه ذَاتَ جَمَال، تَزَوَّجَهَا ابْنُ عَمِّهَا الحَسَنُ بْنُ الحَسَنِ بْنِ عَلِيِّ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَأَقَامَتْ عِنْدَهُ إِلَى أَنْ تُوفي رَحِمَهُ اللَّه فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الوَفَاةُ(٣) قَالَ لَهَا: كَأَنِّي بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بن عُثْمَان رَضِي اللَّهُ عَنْه قَدْ رَجَّلَ عِمَامَتَهُ وَلَبِسَ حُلَّتَهُ، وَعَرَضَ لَكِ لِيَتَزَوَّجكِ(٤)، وَهَذَا أَهَمُّ شَيء عِنْدِي. فَعَاهَدَتْهُ زَوْجَته فَاطِمَة، أَنْ لاَ تَتَزَوَّجه، وَحَلَفَتْ بِعِتْقِ عَبِيدِهَا وَإِمَائِهَا، وَصَدَقَة(٥) مَالِهَا، فَلَمَّا تُوفي الحَسَنُ بْنُ الحَسَنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَخَرجَتْ جَنَازَتَهُ إِذَا بِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو(٦) بْنِ عُثْمَان قَدْ عَرَضَ لِفَاطِمَة عَلَى الصِّفَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الحَسَنُ، فَلَمَّا أَحَلَّتْ وَانْقَضَتْ عِدَّتُهَا أَرْسَلَ يَخْطِبُهَا فَقَالَتْ: قَدْ حَلَفْتُ بِصَدَقَةِ مَالِي وَعِتْقِ رَقِيقِي. فَقَالَ: أَنَا أُخْلِفُ لَكِ كُلّ شَيء بِشَيْئَيْنِ. فَرَضِيتْ وَأَعْتَقَتْ عَبِيدَهَا وَتَصَدَّقَتْ بِمَالِهَا فَتَزَوَّجهَا عَبْدُ اللَّهِ وَضَاعَفَ لَهَا العَبِيدَ وَالأَمْوَالَ وَدَخَلَ بِهَا فَوَلَدَتْ لَهُ مُحَمَّداً الَّذِي كَانَ يُسَمَّى بِالدِّيبَاجِ. وَتُوفِّيتْ فَاطِمَةُ سَنَة عَشْر وَمِائَة.

(*) انظر ترجمتها: الكامل ٣/٢٩٩، ٤/١٦٤ و١٨٨. أعلام النساء ٤/٤٤ - ٤٧.

(١) (بنت الحسين) مكررة في المطبوعة.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) في الأصل (الوفات).

(٤) في الأصل (ليتزوجكي).

(٥) في الأصل (وصدقت).

(٦) في المطبوعة (عمر) والصواب ما أثبت عن الكامل، وأعلام النساء.

[٩٥]

الخَيْزُرَانَة(١)

زَوْجَةُ الخَلِيفَة المَهْدِي العَبَّاسِي(٢)، وَوَلَدَتْ لَهُ الخَلِيفَةَ مُوسَى الهَادِي وَهَارُون الرَّشِيد، وَكَانَتْ صَاحِبَة جُود وَخَيْرَات، وَلَمَّا تُوفِّي المَهْدِي سَنَة تِسْع وَسِتِّين وَمِائَة، بُويعَ بِالخِلاَفَةِ وَلَدُهَا مُوسَى الهَادِي وَكَانَ طَوِيلاً جَسِيماً، وَكَانَ بِشفَّتِهِ العُلْيَا تَقَلُّص فَكَانَ يَفْتَحُ فمه، فَوَكَّلَ بِهِ أَبُوه خَادِماً كُلَّمَا فَتَحَ فَاهُ صَاحَ بِهِ: يَا مُوسَى أَطْبِقْ. فَلَقَّبَه النَّاسُ بِذَلِكَ(٣)، وَلَمَّا اسْتَقَرَّ مُوسَى بِالخِلاَفَةِ هَمَّ بِقَتْلِ أُمِّهِ

(١) هي الخيزران بنت عطاء من ربات السياسة والنفوذ والسلطان، لعبت دوراً عظيماً في خلافة ولدها الهادي، واستبدت بالأمر حتى شاركته في شؤون الدولة. وكانت الخيزران أمة فأعتقها المهدي وتزوجها وولدت له الهادي والرشيد، وكانت بالإضافة إلى نفوذها السياسي أديبة شاعرة أخذت العلم عن الأوزاعي. وقد روي عن الخيزران حديث يتصل سنده بابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «من اتقى الله وقاه كل شيء».

انظر ترجمتها في: أعلام النساء ١/٤٠١، وتاريخ بغداد ١٤/٤٣٠، وتاريخ الطبري ومروج الذهب، وشذرات الذهب ١/٢٨٠، والأعلام، والأغاني والكامل ٥/٥٣، ٨٠، ٨٢، ٨٧.

(٢) هو المهدي أبو عبد الله محمد بن المنصور عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس. مات سنة ١٦٩ هـ بماسبذان، وقد اختلف في سبب موته فقيل: إنه كان يتصيد فطردت الكلاب ظبياً فدخل باباً خربة ودخلت الكلاب خلفه، ثم تبعها فرس المهدي فدخلها فدق الباب ظهره فمات من ساعته، وقيل بل مات مسموماً، وكانت خلافته عشر سنين وشهراً، وقيل: عشر سنين وتسعاً وأربعين يوماً، وتوفي وهو ابن ثلاث وأربعين سنة. انظر الكامل لابن الأثير (٥/٧١).

(٣) انظر ذكر صفته وأولاده وسيرته ـ الكامل (٥/٨٠ ـ ٨٢).

الخَيْزُرَان، وَقَتْلِ أَخِيهِ الرَّشِيد(1)، فَاتَّفَقَتْ الخَيْزُرَان مَعَ وَلَدِهَا الرَّشِيد، وَقَتَلا(2) مُوسَى الهَادِي سَنَة سَبْعِين وَمِائَة(3)، وَقِيلَ: مَاتَ بِقُرْحَةٍ، وَخِلافَته سَنَة وَشَهْراً(4)، وَكَانَ كَرِيماً مَدَحَهُ مَرْوَانُ بْنُ أَبِي حَفْصَة(5) بِقَصِيدَة فَلَمَّا قَرَأَهَا عَلَيْه وَوَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ مِنْهَا، شِعْراً:

---

(1) كان السبب الذي دفع الهادي إلى قتل أمه، وجعل الحقد يستبد بينهما أنه عندما ولي الخلافة كانت أمه الخَيْزُران تستبد بالأمور دونه، وتسلك به مسلك المهدي حتى مضى أربعة أشهر فانثال الناس إلى بابها وكانت المواكب تغدو وتروح إلى بابها، فكلمته يوماً في أمر لم يجد إلى إجابتها إليه سبيلاً، فقالت: لا بد من إجابتي فإنني قد ضمنت هذه الحاجة لعبد الله بن مالك، فغضب الهادي، وقال: ويلي على ابن الفاعلة قد علمت أنه صاحبها، والله لا قضيتها لك... ثم هدّدها وهدّد كل من يقف ببابها من قواده وخاصته بضرب عنقه فانقطعوا عنها، ثم بعث بأرز وقال: قد استطبتها فكلي منها، فقيل لها: أمسكي حتى تنظري، فجاؤوا بكلب فأطعموه فسقط لحمه لوقته، فأرسل إليها كيف رأيت الأرز؟ قالت: طيباً، قال: ما أكلت منها ولو أكلت منها لاسترحت منك متى أفلح خليفة له أم؟

انظر الكامل (٥/٧٩)، وأعلام النساء ٣٩٧/١، وتاريخ الطبري ٢٠٦/٨.

(2) في الأصل (وقتلوا).

(3) كان سبب أمر الخيزران بقتل الهادي، أن الهادي لمّا جدَّ في خلع الرشيد والبيعة لابنه جعفر خافت الخيزران على الرشيد فوضعت جواريها عليه لمّا مرض فقتلته بالغم والجلوس على وجهه فمات. وقد اختلف في سبب وفاته فقيل: كان سببها قرحة كانت في جوفه، وقيل: مرض بحديثة الموصل، وقيل: إن الخيزرانة أمرت جواريها بدس السم له.

انظر الكامل (٥/٧٩) وأعلام النساء ٣٩٨/١. وتاريخ الطبري ٢٠٥/٨ - ٢٠٦.

(4) اختلف في خلافته فقيل: كانت سنة وشهراً، وقيل: سنة وثلاثة أشهر، وقيل: أربعة عشر شهراً، وكان عمره ستاً وعشرين سنة، وقيل: ثلاثاً وعشرين سنة.

(5) هو مروان بن سلمان بن يحيى بن أبي حفصة، وكنيته أبو الهيْذام أو أبو السِّمط، ولقبه ذو الكمْر، وهو من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الدولة الأموية والدولة العباسية، ولمّا بويع المهدي وفد عليه وامتدحه، ولم يزلْ يقصده في العام بعد العام ويقلده مدائحه ويحظى بهباته الغامرة حتى توفي، فتحول إلى مديح الهادي، ثم إلى مديح هارون الرشيد، ولم يقتصر على مديح الخلفاء فقد مدح البرامكة وزراء الرشيد، توفي سنة اثنتين وثمانين ومائة، وقيل: إنه توفي بعد ذلك.

انظر ترجمته في الشعر والشعراء ص ٧٦٣، وطبقات ابن المعتز ص ٤٢، والأغاني ٣٤/٩، ومعجم الشعراء ص ٣١٦، والموشح ص ٣٩٠، ووفيات الأعيان ٢٧٦/٤، وتاريخ بغداد ١٤٢/١٣،

تَشَـابَـهَ يَـوْمـاً بَـأسِـهِ(١) وَنَـوَالِـهِ فَمَـا أَحَدٌ يَـدْرِي لأَيِّهِمَا الفَضْـلُ (٢)

فَقَالَ لَهُ: أَيُّمَا أَحبُّ إِلَيْكَ، ثَلاثُونَ أَلْفاً مُعَجَّلَة (٣)، أَوْ سَبْعُونَ أَلْفاً مُؤَجَّلة؟ فَقَالَ: بَلِ المُعَجَّلِ (٤). فَقَالَ لَهُ: لَكَ المُعَجَّل وَالمُؤَجَّل.

وَبُويعَ بَعْدَه الخَلِيفَةُ هَارُون الرَّشِيد، ثُمَّ سَارَ إِلَى الحَجِّ سَنَة إِحْدَى وَسَبْعِين، وَمَعَهُ أُمّه الخَيْزُرَانَـة (٥) فَتَصَدَّقَتْ بِالحَرَمَيْنِ، وَاشْتَرَتْ دُوراً بِالصَّفَا وَأَلْحَقَتْهُ بِالحَرَمِ الشَّرِيفِ، وَيُعْرَفُ الآن بِدَارِ الخَيْزُرَانَة..

وَتُوفِّيتْ الخَيْزُرَانَةُ سَنَة اثْنَتَيْنِ (٦) وَسَبْعِين وَمِـائَة (٧)، وَدُفِنَتْ فِي بَغْـدَاد، وَكَانَتْ كَثِيرَةَ الخَيْرَاتِ وَالصَّدَقَاتِ رَحِمَهَا اللَّهُ تَعالى. آمين.

= وشذرات الذهب ١/٣٠١، والنجوم الزاهرة ٢/١٠٦، ومرآة الجنان ١/٣٩٠.

(١) في الأصل (بؤسه)، والتصويب من الديوان. والبأس: الشدة في الحرب.

(٢) انظر ديوانه ص ٨٥، والبأس: الشدة، والنوال: العطاء. وبعد هذا البيت:

شَـبِـيـهُ أَبِـيـهِ مَـنْـظَراً وَخَـلِـيـقَـةً كَمَـا حُذِيَتْ يَوْمـاً عَلَى أُخْتِهَـا النَّعْـلُ

وحُذِيَتْ: قدت وقيست.

(٣) في الأصل (عجلة).

(٤) في الأصل (العجل)، وحيثما وردت أعلاه صوِّبت دون الإشارة إلى ذلك.

(٥) في الأصل (الخيرانة).

(٦) في الأصل (اثنين).

(٧) ذكر البغدادي في تاريخه أن الخيزرانة توفيت سنة ثلاث وسبعين ومائة في اليوم الذي توفي فيه محمد بن سليمان في ليلة لثلاث بقين من جمادي الآخرة، انظر تاريخ بغداد (١٤/٤٣١)، وأعلام النساء ١/٤٠١.

وذكر ابن العماد في شذرات الذهب أنها توفيت سنة ١٧٢ هـ، ولما ماتت الخيزران خرج خلف جنازتها ولدها الرشيد، وعليه جبة وطيلسان أزرق قد شد به وسطه وهو آخذ بقائمة السرير حافياً يمشي في الطين حتى أتى مقابر قريش فغسل رجليه وصلى عليها ونزل قبرها.

[٩٦]

فَاطِمَةُ بِنْتُ عَبْدِ المَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ الأُمَوِي

كانَتْ زَوْجَةَ(١) عُمَر بْن عَبْدِ العَزِيزِ(٢) رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَتْ مِنَ الصَّالِحَاتِ، وَلَمَّا وَلِيَ الخِلاَفَةَ عُمَرُ قَالَ لامْرَأَتِهِ فَاطِمَة، وَلَهَا حُلِيّ أَخَذَتْهُ مِنْ عِنْدِ أَبِيهَا: اخْتَارِي إِمّا أَنْ تَرُدِّي حُلِيّكِ إلَى بَيْتِ مَالِ المُسْلِمِينَ. وَإِمَّا تأْذَنِي لِي بِفِرَاقِكِ! فَقَالَتْ: أَخْتَارُكَ عَلَيْهِ. فَأَمَرَ عُمَر رَضِي اللَّهُ عَنْهُ بِحَمْلِ الحُليّ إِلَى بَيْتِ مَالِ المُسْلِمِين وَوضِعَ فِيهِ، وَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ قَالَ لَهَا أُخُوهَا يَزِيدُ: يَا فَاطِمَة إِنْ شِئْتِ رَددتُ(٣) عَلَيْكِ حُلَيكِ(٤)، فَقَالَتْ: لاَ وَاللَّهِ لاَ أَطِيبُ بِهِ نَفْساً فِي حَيَاةِ(٥) عُمَر وَأَرْجِعُ فِيهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ.

(*) هي: فاطمة بنت عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف، أمها: أم المغيرة بنت المغيرة بن خالد بن العاص بن هشام.
انظر ترجمتها: الكامل ١٠٣/٤ و١٥٣ و١٦٣ و١٦٤، وأعلام النساء ٧٥/٤ ـ ٧٦.

(١) في الأصل (زوجت).

(٢) هو عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية. وتوفي عمر بن عبد العزيز في رجب سنة إحدى ومائة، وكان موته ودفنه بدير سمعان، وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر، وكان عمره تسعاً وثلاثين سنة وأشهراً، وقيل: كان عمره أربعين سنة وشهراً، وكانت كنيته أبا حفص، وكان يقال له: أشج بني أمية، وكان قد رمحته دابة من دواب أبيه فشجته وهو غلام، وأمه: أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب.
انظر: الكامل لابن الأثير ١٦١/٤.

(٣) في الأصل (ردت).

(٤) في الأصل (حليكي).

(٥) في الأصل (حيات).

وَكَانَتْ تَقُولُ: وَاللَّهِ مَا أَغْتَسَلَ عُمَرُ عَنْ جُنَابَةٍ(١) وَلَا حُلُمٍ مُنْذُ وَلِي الخِلَافَة. وَكَانَتْ تَرْفَعُ مِنْ نَفَقَتِهِمْ شَيْئاً يَسِيراً حَتَّى اجْتَمَعَ عِنْدَهَا(٢)، مَالٌ فَاشْتَرَتْ بِهِ ثِيَاباً(٣) لِابْنَتِهَا، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ العَزِيزِ، فَأَخَذَ الثِّيَابَ وَأَعَادَهَا إِلَى بَيْتِ المَالِ وَقَلَّلَ مِنْ نَفَقَتِهِ.

وَتُوفيتْ فَاطِمَةُ زَوْجَة عُمَر سَنَة مِائَة وَخْمسَ(٤) وَقِيلَ: مِائَة وَسَبَع(٥) وَاللَّهُ أَعْلَم.

---

(١) في الأصل (جناية).

(٢) في الأصل (عند)، والصواب ما أثبت.

(٣) في الأصل (ثياب).

(٤) في الأصل (خمسة).

(٥) في الأصل (سبعة).

[٩٧]

خَوْلَةُ بِنْتُ ثَعْلَبَةَ*

تَزَوَّجَهَا أَوْسُ بْنُ الصَّامِتِ[(١)] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَتْ حَسَنَةَ الجِسْمِ، وَكَانَ فِي جَسَدِ زَوْجِهَا لَمَمٌ، وَقِيلَ: بَرَصٌ، فَطَلَبَها يَوْماً لِيواقِعَهَا، فَأَبَتْ وَتَطَيَّرَتْ، وَذَكَرَتْ قَوْلَه ﷺ : «فِرَّ مِنَ المَجْذُومِ فِرَارَكَ مِنَ الأَسَدِ»، وَظَنَّتْ أَنَّهُ نَوْعٌ مِنَ الجُذَامِ فَغَضِبَ لِذَلِكَ أَوْسٌ، فَقَالَ لَهَا: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي. ثُمَّ نَدِم عَلَى مَا قَالَ، وَكَانَ الظِّهَارُ وَالإِيلاَءُ مِنْ طَلاَقِ الجَاهِلِية، قَالَ فِي «الهِدَايَة»: الإِيلاَءُ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لاِمْرَأَتِهِ: وَاللَّهِ لاَ أَقْرَبُكِ أَوْ لاَ أَقْرَبُكِ أَرْبَعَة أَشْهُرٍ فَهُو مُولٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ...﴾[(٢)] فَإِنْ وَطِئَهَا فِي الأَرْبَعَةِ أَشْهُر حَنِثَ فِي يَمِينِهِ، وَلَزِمَتْهُ الكَفَّارَة، لِأَنَّ الكَفَّارَةَ تُوجِبُ الحِنْث، وَسَقْط الإِيلاَء لِأَنَّ اليَمِينَ تَرْتَفِعُ بِالحِنْثِ، وَإِنْ لَمْ يَقْرَبْهَا حَتَّى مَضَتْ أَرْبَعَة أَشْهُر بَانَتْ مِنْهُ بِتَطْلِيقَةٍ. وَأَمَّا الظِّهَار، قَالَ فِي «الهِدَايَةِ»: إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لاِمْرَأَتِهِ: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، فَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْهِ، وَلاَ يَحِلُّ لَهُ وَطْؤُهَا، وَلاَ مَسُّهَا، وَلاَ تَقْبِيلَهَا حَتَّى يُكَفِّرَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِن نِّسَائِهِمْ﴾[(٣)] إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾.

(*) هي: خولة بنت ثعلبة بن أصرم بن فهر بن ثعلبة بن غنم بن عوف. وهي المجادلة، أسلمت وبايعت رسول الله ﷺ.

انظر ترجمتها: الطبقات ٢٧٥/٨ ـ ٢٧٧، والاستيعاب ٤ ٢٨٢ ـ ٢٨٤، والإصابة ٢٨٢/٤ ـ ٢٨٣، أعلام النساء ٣٨٢/١ ـ ٣٨٤.

(١) هو: أوس بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر أخو عبادة بن الصامت. انظر الطبقات ٢٧٥/٨.

(٢) سورة البقرة، الآية ـ ٢٢٦.

(٣) سورة المجادلة، الآية ـ ٣.

وَإِنْ قَالَ: أَنْتِ عَلَيَّ [مِثْلُ][1] أُمِّي، أَوْ كَأُمِّي، يَرْجِعُ إِلَى نِيَّتِهِ، فَإِنْ قَالَ: أَرَدْتُ الكَرَامَةَ فَهُو كَمَا قَالَ، وَإِنْ نَوى الظِّهار كَانَ ظِهاراً، وَكَفَّارَةُ الظِّهار عِتْقُ رَقَبَة أَوْ صِيَامُ شَهْرَيْن مُتَتَابِعَيْنِ، أَوْ إِطْعَامُ سِتينَ مِسْكِيناً، وَيَجْزِى[2] فِي العِتْقِ الرَّقَبَة الكَافِرَة وَالمُسْلِمَة، وَالذَّكر وَالأُنْثى، وَالصَّغِير وَالكَبِيرُ لِأَنَّ اسْم الرَّقَبَة يَنْطَلِقُ عَلى هَؤُلَاءِ، وَلَا تَجْزِي العَمْيَاءُ وَالمَقْطُوعَةُ اليَدَيْنِ أَوْ الرِّجْلَيْنِ لِأَنَّ الفَائِدَةَ[3] جِنسُ المَنْفَعَةِ، وَيَجُوزُ الأَصَّم، وَالقِياس أَنْ لَا يَجُوز.

قَالَ فِي «المَعَالِمِ»: ثُمَّ إِنَّ أَوْسَ بْنَ الصَّامِتِ نَدِمَ، وَقَالَ لِزَوْجَتِهِ خَوْلَة: مَا أَظُنُّكِ إِلَّا قَدْ حُرِّمْتِ عَلَيَّ! فَقَالَتْ: وَاللَّهِ مَا ذَاكَ بِطَلَاقٍ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَعَائِشَةُ تَغْسِلُ شِقَّ رَأْسِهِ، وَذَكَرَتْ لَهُ مَا قَالَ أَوْسٌ، وَشَكَتْ حَالَهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا﴾[4] وَكَانَ هَذَا أَوَّل ظِهَار فِي الإِسْلَامِ.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل (يجزي).

(٣) في الأصل (الفائت).

(٤) سورة المجادلة، الآية ـ ١.

[٩٨]

حَبِيبَةُ بِنْتُ سَهْلٍ*

كَانَتْ جَمِيلَةً، تَزَوَّجَهَا ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شماس، وَكَانَ يُحِبُّهَا وَهِيَ تُبْغِضُه وَلاَ تُحِبُّه، وَكَانَ إِذَا طَلَبَها لِحَاجَتِهِ امْتَنَعَتْ وَأَبَتْ، فَكَانَ يَضْرِبُهَا، فَأَتَتْ يَوْماً إِلَى أَبِيهَا سَهْل وَشَكَتْ إِلَيْهِ، زَوْجَهَا، وَقَالَتْ: إِنَّهُ يَضْرِبُنِي وَيَسُبُّنِي. فَقَالَ لَهَا أَبُوهَا: ارْجِعِي إِلَى زَوجِك، فَإِنِّي أَكْرَه لِلْمَرْأَةِ أَنْ لاَ تَزَالَ رَافِعَة يَدَيْهَا تَشْكُو زَوْجَهَا وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قَالَهُ ﷺ: «لَوْ أَمَرْتُ أَحداً أَنْ يَسْجُدَ لأَحدٍ لأَمَرْتُ المَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»(١). فَغَضِبَتْ وَخَرَجَتْ مِنْ عِنْدِ أَبِيهَا، وَعَادَتْ إِلَى زَوْجِهَا، وَلَمَّا رَأَتْ أَنَّ أَبَاهَا لَمْ يَشْكِهَا، فأَتَتْ إِلَى عِنْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَشَكَتْ إِلَيْهِ زَوْجَهَا وَأَرَتْهُ آثَارَ الضَّرْبِ، وَقَالَتْ: لاَ أَنَا وَلاَ هُوَ. فَدَعَا ﷺ ثَابِت وَسَأَلَهُ فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ بَشِيراً(٢) مَا عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْهَا غَيْرَكَ! فَقَالَ لَهَا ﷺ: «مَا تَقُولِينَ؟» فَقَالَتْ: صَدَقَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَلَكِنْ خَشِيتُ أَنْ يُهْلِكَنِي، فَاخرجْنِي مِنْهُ وَهُوَ مِنْ أَكْرَمِ النَّاسِ حُبّاً لِزَوْجَتِهِ، وَلَكِنِّي أُبغِضُهُ فَلاَ أَنَا وَلاَ هُوَ. فَعِنْدَ ذَلِكَ طَلَبَ مِنْهَا ثَابِت مَا أَصْدَقَهَا وَمَا أَعْطَاهَا، فَأَعْطَتْه وَخَلَّى سَبِيلَهَا. قَوْلُه تَعَالى: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا

(*) هي: حبيبة بنت سهل بن ثعلبة بن الحارث بن زيد بن ثعلبة بن غنم بن مالك بن النجار الأنصارية.
انظر ترجمتها: الاستيعاب ٤/٢٦٦، والإصابة ٤/٢٦٢.

(١) سبق الحديث وتخريجه ص ٢/ب.

(٢) في الأصل (بشيرا).

اكْتَسَبُوا ولِلنِّسَآءِ نَصِيبٌ مما اكْتَسَبْنَ﴾[1]. قَالَ فِي «المَعَالِمِ»: ﴿لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مما اكْتَسَبُوا﴾ إنْ كَانَ لَهُمْ فَضْلُ الجِهَادِ فَلِلنِّسَاءِ، فَضْلُ طَاعَةِ الأَزْوَاجِ، وَحِفْظِ الفُرُوجِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ[2].

---

(١) سورة النساء، الآية ـ ٣٢.

(٢) انظر «المعالم» ١/٤٢١، وقد سبق الكلام على هذه الآية ص ٣/أ.

[٩٩]

السَّيِّدَةُ نَفِيسَة *

بِنْتُ الْحَسَنِ[١] بنِ زَيْدِ بْنِ الحَسَنِ بْنِ عَلِي، رَضِي اللَّهُ عَنْهُم، كَانَتْ مِنَ العَابِدَاتِ، الصَّالِحَاتِ القَانِتَاتِ، وَلَهَا كَرَامَاتٌ وَاضِحَةٌ، وَأَسْرَارٌ لَائِحَةٌ، تُوفِّيتْ[٢] سَنَة ثَمَان[٣] وَمِائَتَيْن، وَدُفِنَتْ فِي مِصْر[٤]، وَقَبْرُهَا هُنَاكَ يُزَارُ، وَلَهَا فِي المَوْصِلِ مَرْقَدَانِ[٥] فِي مَسْجِدَيْنِ، وَيُعْرَفُ المَسْجِدُ الَّذِي يُعَزَى إِلَيْهَا بِمَسْجِدِ السَّيِّدَةِ نَفِيسَة.

وَذُكِرَ فِي الطَّبَقَات: أَنَّه إِذَا أَحَد نَذَرَ شَيْئاً لِلَّهِ، وَثَوابه إِلَى السَّيِّدَةِ نَفِيسَة وَنَوَى حَاجَتَهُ قُضِيتْ بِبَرَكَتِهَا فِي عَاجِلِ الحَالِ وَإِنْ كَانَ يَصْعُبُ قَضَاؤُهَا فَإِنَّ اللَّهَ يُسَهِّلُ عَلَيْهِ ذَلِكَ الأَمْر، وَإِذَا انْقَضَى أَمْرُه وَمَطْلَبُه فَيَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُوفِّي بِنَذْرِهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً﴾[٦]، وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ أَنَّ السَّيِّدَة

(*) انظر ترجمتها: وفيات الأعيان ٢/٢٢٣، والنجوم الزاهرة ٢/١٨٥ وطبقات الأولياء ٤٠٧، وطبقات الشعراني ١/٥٨، وحسن المحاضرة ١/٥١١. وأعلام النساء ٥/١٨٧ ـ ١٩٠، وشذرات الذهب.

(١) في المطبوعة (الحسين): والصواب ما أثبت عن «حسن المحاضرة» و «طبقات الأولياء» و «أعلام النساء».

(٢) في الأصل (توفت).

(٣) في الأصل (ثمانية).

(٤) في حسن المحاضرة ١/٥١١: (أنها توفيت في رمضان سنة ثمان ومائتين، ودفنت بمنزلها بدرب السباع، محلة بين مصر والقاهرة).

(٥) في الأصل (مرقدين).

(٦) سورة الإنسان، الآية ـ ٧.

نَفِيسَةَ كَانَ زَوْجُهَا رَجلاً(١) مِنْ أَبْنَاءِ عَمِّهَا(٢)، فَكَانَتْ إِذَا أَمْسَى المَسَاء تَتَطَيَّبُ وَتَلْبَسُ أَفْخَرَ ثِيَابِهَا، وَتَعْرِضُ نَفْسَهَا عَلَى زَوْجِهَا، فَإِنْ كَانَ لَهُ بِهَا حَاجَة قَضَتْهَا وَاغْتَسَلَتْ، وَعَادَتْ إِلَى عِبَادَتِهَا، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ بِهَا حَاجَة نَزَعَتْ ثِيَابَهَا النَّاعِمَات، وَلَبِسَتْ الثِّيَابَ الخَشِنَة، وأَقَامَتْ لَيْلَهَا بِالعِبَادَاتِ إِلَى الصَّبَاحِ.

وَكَانَتْ تَقُولُ: نَحْنُ آل بَيْت النُّبُوَّةِ أَحَقُّ بِالعِبَادَةِ مِنْ غَيْرِنَا لِأَنَّ القُرْآنَ نَزَلَ عَلَى جَدِّنَا مُحَمَّد ﷺ وَكَانَتْ تَقُولُ: وَيْل لِمَنْ عَصَى رَبَّهُ وَخَالَفَ أَمْرَه وَأَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِهِ وَاتَّبَعَ هَوَى نَفْسِه. وَكَانَتْ تَقُولُ: الطَّاعَةُ قَلْبُ الإِيمَانِ وَالعِبَادَةُ جَسَدُه، وَالزُّهْدُ رِدَاؤُه(٣)، وَالصِّدْقُ حُجَّتُهُ، وَالإِخْلَاصُ بَهْجَتُه، وَالعَفْوُ عَمَّنْ أَسَاءَ أَجْمَلُ وَأَحْسَنُ بِالمُؤْمِنِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَأَن تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(٤) وَاللَّه أَعْلَمُ، وَمِنْ كَلَامِهَا: العَبْدُ الطَّائِعُ حُجَّةٌ عَلَى العِبَادِ العُصَاةِ. وَمِنْ إِمْلَائِهَا: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ كَلَامِ السُّوءِ، وَفِعْلِ السُّوءِ، وَمَرَامِ السُّوءِ، وَجَارِ السُّوءِ، اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي فَأَعْجَز، وَلَا إِلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِكَ فَأَضِيع. اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَحْسِنْ رِفْدِي، وَقِنِي عَثْرَتِي(٥) وَاغْفِرْ زَلَّتِي، وَقِنِي شَرَّ وَسَاوِسَ الشَّيْطَان، وَأَجِرنِي مِنْهُ يَا رَحْمَن [حَتَّى](٦) لَا يَكُون لَهُ عَلَيَّ سُلْطَانٌ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّد صَاحِب الشَّرِيعَةِ وَالبُرْهَان، آمِين. وَرَوَى الشَّيْخُ أَبُو(٧) الحَسَنِ عَنْ السَّيِّدَةِ نَفِيسَة أَنَّهَا قَالَتْ: إِذَا وَاظَبَ(٨) المُؤْمِنُ عَلَى قِرَاءَةِ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾(٩) دُبُر كُلّ فَرِيضَة ثَلَاث مَرَّاتٍ

---

(١) في الأصل (رجل).

(٢) ذكر ابن الملقن في «طبقاته» ص ٤٠٨: أن زوجها إسحاق بن جعفر الصادق، وأنها دخلت معه مصر، وأقامت بها.

(٣) في الأصل (ردائه).

(٤) سورة البقرة، الآية ـ ٢٣٧.

(٥) في الأصل (واقني عشرتي).

(٦) زيادة يقتضيها السياق.

(٧) في الأصل (أبي).

(٨) في الأصل (واضب).

(٩) سورة الكافرون، الآية ـ ١.

أَمَاتَهُ اللّهُ عَلَى الإيمَانِ الكَامِلِ . وَمَنْ قَرَأَ (سُورَةُ الإخْـلاصِ) دُبُرَ كُلِّ صَلاَة مَرَّة أمِنَ وَسْوَاس الشَّيْطَان، وَكَانَ مِمَّن أَخْلَصَ نِيَّتَهُ وَعَمَلَهُ لِلّهِ تَعَالى.

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «الدُّرّ النَّظِيم»:[1] قَالَ ﷺ: «إنَّ فِي القُرْآنِ سُورَةً تُدْعَى العَزِيزَة عِنْدَ اللّهِ وَيُدْعَى صَاحِبُها الشَّرِيف عِنْدَ اللّهِ، تَشْفَعُ يَوْم القِيَامَةِ لِصَاحِبِهَا أكْثر مِنْ رَبِيعَة وَمُضَر». قَالُوا: يَا رَسُول اللّهِ أَيّ سُورَة[2]؟ قَالَ (سُورَة يسٓ). وَقَالَ ﷺ: «مَنْ أَرَادَ النَّجَاةَ[3] مِنَ الفَقْرِ فَعَلَيْهِ بِقِرَاءَةِ (الوَاقِعَةِ)، وَمَنْ أَرَادَ الثَّبَات عَلى الإسْلاَم فَعَلَيْه بِقِرَاءَةِ ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ وَمَنْ أَرَادَ النَّجَاةَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ فَعَلَيْهِ بِقِرَاءَةِ ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ وَمَنْ أَرَادَ النَّجَاةَ مِنْ شَرِّ الحِسَابِ فَعَلَيْهِ بِقِرَاءَةِ المُعَوِّذَتَيْنِ وَمَنْ أَرَادَ النَّجَاةَ مِنْ عَطَشِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَعَلَيْهِ بِقِرَاءَةِ (الفَاتِحَةِ) وَمَنْ أَرادَ الشُّرْبَ مِنْ حَوْضِ النَّبِيِّ ﷺ فَعَلَيْهِ بِقِرَاءَةِ (إنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)». هَكَذَا وَجَدْتُه فِي هَامِشِ كِتَاب «المَصَابِيح»، وَاللّهُ أَعْلَم.

---

(١) هو «الدر النظيم في خواص القرآن العظيم». عفيف الدين أبو محمد عبد الله بن أسعد اليافعي المتوفى سنة (٧٦٨ هـ)، طبع عدة مرات بالقاهرة.

(٢) في الأصل (صورة).

(٣) في الأصل (النجات).

[١٠٠]

مَيْسُون بِنْتُ بَحْدَل*

كَانَتْ جمِيلَةَ الأَوْصَافِ حَسَنَةَ الأَطْرَافِ، فَائِقَةَ الجَمَالِ، نظْمها السِّحر الحلال. وَهِي مِنْ بَادِيَةِ العَرَبِ، وَمِنْ أَهْلِ الحَسَبِ وَالنَّسَبِ، فَخَطَبَهَا مُعَاوِيَةُ[١]، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَتزَوَّجَهَا وَأَصْدَقَهَا عِشْرِينَ أَلْفَ دِرْهَم، وَدَخَلَ بِهَا فَحَمَلَتْ مِنْهُ بِيَزِيدَ، وَهِي مِنْ بَنِي كِلاب الأَنْجَابِ وَلَمَّا تَمَّ حَمْلُهَا وَلَدَتْ يَزِيداً[٢]، زَادَ اللَّهُ عِقَابَهُ وَأَقَامَتْ عِنْدَ مُعَاوِيَةَ نَحْوَ ثَلاَثَةَ أَعْوَامٍ، فَدَخَلَ يَوْماً مُعَاوِيَة عَلَيْهَا وَهُو يَتَجَسَّسُ فَوَجَدَهَا تُنْشِدُ شِعْراً:

لَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وَتَقَرَّ عَيْنِي ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ
وَبَيْتٌ تَخْفُقُ الأَرْيَاحُ فِيهِ ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ قَصْرٍ مَنِيفِ
وَبكر يتبعُ الأظعان صعبٌ ... أَحَبّ إِلَيَّ مِنْ بَغْلٍ زَفُوفِ[٣]
وَكَلْبٌ يَنْبَحُ الأَضْيَافَ دُونِي ... أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ هِرٍّ أَلِيفِ[٤]

(*) هي: ميسون بنت بحدل بن أنيف الكلبية، أم يزيد بن معاوية، وقال رضا كحالة: هي: ميسون بنت حُمَيْد بن بَحْدَل الكلبية.
انظر: الكامل ٢٦١/٣ و٣١٦، وأعلام النساء ١٣٦/٥ - ١٣٧.

(١) هو: معاوية بن أبي سفيان، واسم أبي سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصيّ بن كِلاب، وكنيته أبو عبد الرحمن وتوفي سنة ستين وكان قد أخذ على أهل البصرة البيعة ليزيد. انظر: الكامل٣/٢٥٩، ٢٦١.

(٢) في المطبوعة (يزيد).

(٣) في المطبوعة (رفوف)، وما أثبت عن «أعلام النساء» ١٣٦/٥.

(٤) في المطبوعة (هرّ اليف)، وما أثبت عن «أعلام النساء» ١٣٦/٥.

وخـرْقٌ مِنْ بَنِي عَمِّي ثَقِيف[1] أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ عِلْجٍ عَنِيف

فَدَخَلَ مُعَاوِيَةُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَلَيْهَا وَقَالَ لَهَا: مَا رَضِيْتِنِي يَا ابْنَةَ[2] بَحْدَلٍ حَتَّى جَعَلْتِنِي[3] عِلْجاً عَنِيفاً؟ الْحَقِي بِأَهْلِكِ. وَطَلَّقَهَا، فَمَضَتْ إِلَى أَهْلِهَا وَأَخَذَتْ[4] مَعَهَا وَلَدَهَا يَزِيد. وَأَقَامَ مَعَ أُمِّه، وَتَفصَّح وَشَعر بِبَادِيَةِ بَنِي كَلْبٍ إِلَى أَنْ كَبُرَ وَتَضَعْضَعَ عَادَ إِلَى أبيهِ، وَمَاتَتْ أُمُّه مَيْسُون فِي خِلاَفَةِ مُعَاوِيَة ـ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ ـ وَقِيلَ: إِنَّهَا تُوفِّيَتْ فِي خِلافَةِ ابْنِهَا يَزِيد[6]، وَقِيلَ غَيْرُ ذَلِك، واللَّهُ سُبْحَانَه وَتَعَالَى أَعْلَمْ

---

(١) في المطبوعة (عمر فقير) وما أثبت عن «أعلام النساء» ٥/١٣٧.

(٢) في الأصل (ابنت).

(٣) في الأصل (جعلتيني).

(٤) في الأصل (واخذ).

(٥) في الأصل (توفت).

(٦) توفي سنة أربع وستين بحُوَّارِين ـ قرية من قرى حمص ـ من أرض الشام لأربع عشرة خلت من شهر ربيع الأول، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة في قول بعضهم، وقيل: تسع وثلاثين، وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر، وقيل ثمانية أشهر، وقيل: توفي في ربيع الأول سنة ثلاث وستين وكان عمره خمساً وثلاثين سنة، وكانت خلافته سنتين وثمانية أشهر، والأول أصح. انظر: الكامل ٣/٣١٧.

[١٠١]

أُمُّ البَنِينَ بِنْتُ عَبْدِ العَزِيزِ بْنِ مَرْوَانَ بْنِ الحَكَمِ *

وَهِيَ أُخْتُ أَمِيرِ المُؤْمِنِينَ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ العَزِيزِ، [وَأُمُّهَا: لَيْلَى بِنْتُ سُهَيْلِ بْنِ حَنْظَلَةَ بْنِ الطُّفَيْلِ، تَزَوَّجَهَا ابْنُ عَمِّهَا الوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ][١].

حُكِيَ: أَنَّ عَزَّةَ بِنْتَ حُمَيْلٍ[٢] صَاحِبَةَ كُثَيِّرٍ[٣] دَخَلَتْ يَوْماً عَلَى أُمِّ البَنِينَ

(*) تتمة نسبها: ابن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس، زوج الوليد بن عبد الملك، وابنة عمه، أمها: ليلى بنت سهيل بن حنظلة بن الطفيل بن مالك بن جعفر بن كلاب. وفي «أعلام النساء»: إنها من ربات الفصاحة والبلاغة، ومن كلامها أنها قالت: أُفٍ للبخل لَوْ كان ثوباً ما لبسته، ولو كان طريقاً ما سلكتها.

انظر ترجمتها: تاريخ مدينة دمشق ـ تراجم النساء ٤٨٠، ونسب قريش ١٦٥، ١٦٨، وجمهرة أنساب العرب ٢٨٥ ـ ٢٨٦.

(١) جاء في المطبوعة ما نصُّهُ: (وَأُمُّها): بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولم أطلع على اسمها، كانت امرأة صالحة تحب الخيرات، تزوجها سليمان بن عبد الملك بن مروان). وقد أخطأ المصنف وتابعه في ذلك المحقق حيث ذكر أن أمها بنت عمر بن الخطاب، والصواب: أنها تزوّجت الوليد بن عبد الملك وهو ما أثبته بالمتن.

(٢) في المطبوعة (جميل) والصواب ما أثبت، وهي: عَزَّةُ بِنْتُ حُمَيْلِ بْنِ حَفْصٍ وَيُقَالُ: بِنتُ حُمَيْدِ بْنِ وَقَّاصٍ ـ ابن إِيَّاسِ بْنِ عَبْدِ العُزَّى. ويُقَالُ: عَزَّةُ بِنْتُ عَبْدِ اللَّهِ إحدى بني حاجب بن عبد الله بن غفار، صَاحِبَةُ كُثَيِّرٍ، وفدت على عبد الملك بن مروان، وسيأتي ترجمتها.

انظر ترجمتها وأخبارها: تاريخ مدينة دمشق ـ تراجم النساء ٢٤٠، والشعر والشعراء ١/٥٠٨، ٥١٠، ٥١٦.

(٣) هو كُثَيِّرُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي جُمْعَةَ، كان الخُزَاعِيّ، وَكُنْيَتِهِ أَبُو صَخر انظر ترجمته: طبقات فحول الشعراء ٢/٥٣٤، والشعر والشعراء ١/٥٠٣، والاشتقاق ٢٨٠.

فَقَالَتْ لَهَا أُمُّ البَنِين: مَا مَعْنَى قَوْل كُثَيِّر فِيكِ. شِعْر: (١)

قَضَى كُلُّ ذِي دَيْنٍ فَوَفَّى غَرِيمَهُ ... وَعَزَّةُ مَمْطُولٌ مُعَنًّى غَرِيمُهَا

فَقَالَتْ: وَعَدْتُه بِقُبْلَةٍ ثُمَّ رَجَعْتُ عَنْهَا، فَقَالَتْ لَهَا أُمُّ البَنِين: أَنْجِزِيهَا وَعَلَيَّ إِثْمُهَا(٢). فَاسْتَأْثَمَتْ أُمُّ البَنِين، وَحَجَّتْ وَأَعْتَقَتْ عِنْدَ الكَعْبَةِ أَرْبَعِين عَبْداً، وَقَالَتْ: اللَّهُم إِنِّي أَتَبَرَّأُ إِلَيكَ مِمَّا قُلْتُ لِعَزَّة، ذُكِرَ فِي «الهِدَايَةِ»: فِي أَوَّلِ كِتَابِ الإِعْتَاقِ قَالَ: الإِعْتَاقُ تَصرّف مَنْدُوبٍ إِلَيْهِ، قَالَ صلَّى الله تعالى عليه وسلم: «أَيُّمَا مُسْلِمٍ أَعْتَقَ مُؤْمِناً أَعْتَقَ اللَّهُ بِكُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ عُضْواً مِنَ النَّارِ». وَذُكِرَ فِي «مُخْتَارَات وَلِسَانِ الحُكَّامِ» هَذَا الحَدِيث وَقَالَ: وَلِهَذَا اسْتَحَبُّوا أَنْ يَعْتِقَ الرَّجُلُ العَبْدَ، وَالامْرَأَةُ الأَمَةَ لِيَتَحَقَّقَ مُقَابَلَةُ الأَعْضَاءِ بِالأَعْضَاءِ وَذُكِرَ فِي «الاخْتِيار»: العِتْقُ فِي الشَّرْعِ زَوَال الرِّق عَنْ المَمْلُوكِ، وَفِي اللُّغَةِ: العِتْقُ: القُوَّةُ. يُقَالُ لَهَا: عَتِقَ الطَّائِر إِذَا قَوِي عَلَى الطَّيَرَانِ، وَعَتِقَت الخَمْرُ إِذَا قَوِيتْ وَاشْتَدَتْ، وَسُمِّي الصِّدِّيقُ عَتِيقاً لِجَمَالِهِ. وَالبَيْتُ العَتِيقُ الكَرِيمُ.

وَلَمَّا تَزَوَّجَ سُلَيْمَانُ أُمَّ البَنِين(٣) شَغِفَ بِهَا لِجَمَالِهَا وَحُسْنِ أَخْلَاقِهَا، وَكَانَتْ عَلَى سِيرَةِ أَخِيهَا عُمَر أَمِير المُؤْمِنِين،(٤) وَكَانَ سُلَيْمَانُ أَكُولاً(٥) يَأْكُلُ مِائَة رَطْلٍ شَامِي، وَقِيلَ: إِنَّهُ اصْطَبَحَ يَوْماً بِأَرْبَعِين دَجَاجَة وَأَرْبَعمائَة بَيْضَةٍ، وَأَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ كُلْوَةً، وَثَمَانِينَ جُرْدَقَةً، ثُمَّ أَكَلَ النَّاسُ السِّمَاطَ. وَأَكَلَ مَرَّة فِي مَجْلِسٍ وَاحِدٍ سَبْعِين رُمَّانَة

---

(١) البيت في ديوانه ص ١٤٣، والبيت في العقد ٤١/٦، والشعر والشعراء ٥١٠/١، وفي «تاريخ مدينة دمشق» تراجم النساء ٢٤١ و ٢٤٥ و ٢٤٦ (عَلِمْتُ) بدلاً من (فَوَفَّى)، وعيون الأخبار ٩٢/٤.

(٢) في الأصل (ثمنها).

(٣) في «تاريخ مدينة دمشق» ٤٨٢: أن أم البنين ندمت على قولها هذا، فأعتقت لكلمتها هذه سبعين رقبة.

(٤) في الأصل (أم المؤمنين)، وكما سبق أن أشرنا في هامش (١) من الصفحة السابقة. بأن الذي تزوج أم البنين هو الوليد بن عبد الملك.

(٥) في الأصل (لولا).

وَخَرُوفاً[١]، وَفِي أَيَّامِهِ ظَهَرَتْ الكُنَافَةُ فَكَانَ كُلّ لَيْلَة يَتَسَحَّرُ بِعِشْرِينَ رَطْل مِنْهَا، وَتُوفِّي سُلَيْمَانُ سَنَةَ تِسْع[٢] وَتِسْعِينَ، وَاسْتَمَرَّتْ أُمُّ البَنِين بَعْدَ سُلَيْمَان مُشْتَغِلَة بِالعِبَادَاتِ وَالصَّدَقَاتِ إِلَى أَنْ تُوفِّيتْ فِي خِلافَةِ يَزِيد، وَقِيلَ: فِي خِلافَةِ هِشَام.

(١) في الأصل (خروف).

(٢) في الأصل (تسعة).

[١٠٢]

بُورَانُ بِنْتُ الحَسَنِ بْنِ سَهْلٍ * وَزِير المَأْمُون

كَانَتْ بَارِعَةً فِي الحُسْنِ، صَاحِبَةَ عَقْلٍ وَكَمَالٍ وَعِفَّة، فَبَلَغ خَبرها إِلَى المَأْمُون فَخَطَبَهَا مِنْ أَبِيهَا سَنَة تِسْع وَمِائَتَيْنِ وَدَخَلَ بِهَا سَنَة عَشْر(١) وَمِائَتَيْن، تَزَوَّجهَا فِي مَدِينَة وَاسِط. وَلَمَّا أُدْخِلَتْ عَلَيْه نَثَر يَوْمَ عُرْسِهَا عَلى الهَاشِمِيين وَالقُوَّاد بِنَادِق مِسْك فِيهَا رُقعٌ بِأَسْمَاءِ ضِياعٍ وَجوارٍ وَخَيْلٍ. وَكُلُّ مَنْ وَقَعَ بِيَدِهِ رُقْعَة مَلَكَ مَا هُو مَكْتُوب فِيهَا. وَنَثَرَ عَلَى النَّاسِ دَنَانِيرَ وَدَرَاهِمَ، وَأَوْقَدَ لَيْلَةَ زِفَافِهَا شَمْعَةَ عَنْبَرٍ وَزْنُهَا

(*) هي أديبة فاضلة، ومن أكمل النساء أدباً وأخلاقاً، ولدت ليلة الاثنين لليلتين خلتا من صفر سنة ١٩٢ هـ وماتت ببغداد أول يوم الثلاثاء لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ٢٧١ هـ. وقد ذكر الصولي أن اسمها خديجة. كما ذكر ابن عبد ربه في العقد الفريد، بأن اسمها خديجة وتعرف ببوران. وقد قال السيوطي في كتابه «نزهة الجلساء»: بأن أبا عبد الله بن حمدون ذكر أن بوران بنت الحسن بن سهل قالت ترثي المأمون بعد وفاته:

أَسْعِدَانِي عَلَى البُكَا مُقْلَتَيْنَا ... صِرْتُ بَعْدَ الإِمَامِ لِلْهَمِّ قَيْنَا

كُنْتُ أَسْطُو عَلَى الزَّمَانِ فَلَمَّا ... مَاتَ صَارَ الزَّمَانُ يَسْطُو عَلَيْنَا

والإسعاد: المعونة، والقَيْنَةُ: الأمَةُ، والقَيْن: العبد، والجمع قيان، والمراد: أنها صارت بعد موت المأمون أسيرة الحزن والغم.

فلان يسطو على فلان، أي يتطاول عليه، والمراد: أنها ذلّت بعد عز، وخضعت بعد سلطان.

انظر ترجمتها: في أعلام النساء (١/١٥٩)، ونزهة الجلساء ص ٢٤، ووفيات الأعيان (١/٩٢)، والعقد الفريد (١/٣١٤)، وتاريخ الطبري ٨/٦٠٦.

وعيون التواريخ لابن شاكر الكتبي (مخطوط).

(١) في الأصل (عشرة).

أَرْبَعُونَ مَناً فِي فَانُوس[1] مِنْ ذَهَبٍ، وَلَمَّا دَخَلَ المَأْمُونُ عَلَى بُورَان نَثَرَتْ عَلَى رَأْسِهِ جَدَّتُهَا أَلْفَ حَبَّةِ لُؤْلُؤٍ نَفِيسَة[2]، وَلَمَّا خَلاَ المَأْمُونُ بِهَا حَاضَتْ مِنْ هَيْبَةِ الخِلاَفَةِ. فَقَالَتْ لَهُ: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلا تَسْتَعْجِلُو. . .﴾[3] وَحَذَفَتْ الهَاء لِئَلاَّ تَكُون آيَة كَامِلَة، فَفَطِنَ المَأْمُونُ لِذَلِكَ، وَأُعْجِبَ بِهَا[4]، وَخَرَجَ فِي الحَالِ وَأَنْشَدَ فِي ذَلِكَ:

فَارِسٌ مَاضٍ بِحَرْبَتِهِ عَارِفٌ بِالطَّعْنِ فِي الظُّلَمِ
رَامَ يُدْمِي فَرِيسَتَهُ فَاتَّقَتْهُ مِنْ دَمٍ بِدَمِ[5]

وَذُكِرَ فِي «الكَامِلِ»[6]، لَمَّا أَكَلَ آدَمُ وَحَوَّاء[7] مِنَ الشَّجَرَةِ، وَبَدَتْ لَهُمَا

---

(1) في الأصل (فانوز):

(2) قال أبو الفضل إبراهيم في هامش سرح العيون نقلاً من تعليقات النسخة التيمورية ص ٨٣: فائدة، وبوران أيضاً بنت الحسن بن سهل زوجة المامون، وكان المامون قد تزوجها لمكان أبيها، وقصتها مشهورة طويلة، من جملتها أنه لما دخل عليها المأمون؛ فرش له حصير منسوج بالذهب، فلما وقف عليه نثرت على قدميه لآلىء كثيرة، فلما رأى تساقط اللآلىء المختلفة على الحصير المنسوج بالذهب قال: قاتل الله أبا نُواس! كأنه شاهد هذه الحال حين قال في صفة الخمر والحباب الذي يعلوها عند المزاج:

كَأنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِن فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دِرٍّ على أرض من الذَّهَبِ

(3) سورة النحل، الآية ـ ١.

(٤) أورد الخبر السيوطي في كتابه «نزهة الجلساء في أشعار النساء» ص ٢٤، عن ابن النجار بسنده عن أبي الفضل الربعي عن أبيه.

(٥) ورد البيتان في (المنتخب من كنايات الأدباء) ص ٦٠ للقاضي أبي العباس أحمد بن محمد الجرجاني، وقد قال: بأن المامون لما تزوج بوران بنت الحسن قعد للناس من الغد، فدخل أحمد بن يوسف الكاتب فقال: يا أمير المؤمنين، هناك ما حدث من الأمر باليمن والبركة وشدة الحركة والظفر بالمعركة، فأنشده المأمون:

فارسٌ ماضٍ بشكّته حاذقٌ في الطعن في الظلمِ
كاد أن يدمي فريسته فاتّقته من دم بدمِ

فعرض بانها كانت حائضاً وأنه لم يصبها.

(٦) انظر الكامل لابن الأثير ص ٢١.

(٧) في الأصل (حوى).

سَوْآتُهُمَا، نَادَاهُ رَبُّه، يَا آدَمُ مِنْ أَيْنَ أُتِيتَ؟ قَالَ: مِنْ قِبَلِ حَوَّاء يَا رَبِّ. فَقَالَ اللَّهُ: فَإِنَّ لَهَا عَلَيَّ أَنْ أُدْمِيهَا فِي كُلِّ شَهْرٍ، وَأَنْ أَجْعَلَهَا تَحْمِلُ كُرْهاً وَتَضَعُ كُرْهاً، وَتُشْرِفُ عَلَى المَوْتِ مِرَاراً [وَقَدْ كُنْتُ جَعَلْتُهَا تَحْمِلُ يُسْراً وَتَضَعُ يُسْراً][(١)] وَلَوْلاَ بَلِيَّتُهَا لَكُنَّ النِّسَاء لا يَحِضْنَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ: يَا آدَمُ مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟ قَالَ: يَا رَبِّ زَيَّنَتْهُ لِي حَوَّاء؟ قَالَ: فَإِنِّي أَعْقَبْتُهَا لاَ تَحْمِلَ إِلاَّ كُرْهاً، وَدَمَّيْتُهَا فِي الشَّهْرِ مَرَّتَيْنِ. كَذَا فِي «المَعَالِمِ». قَالَ فِي «صَدْرِ الشَّرِيعَةِ»، الحَيْضُ هُو دَمٌ يَنْفُضُهُ رَحِمُ البَالِغَةِ لاَ دَاءَ بِهَا وَلَمْ تَبْلُغْ اليَأْسَ. وَأَقَلُّه ثَلاثَة أَيَّامٍ بِلَيَالِيهَا، وَأَكْثَرُهُ عَشْرَة بِلَيَالِيهَا، هَذَا[(٢)] عِنْدَ أَبِي حَنِيفَةَ وَمُحَمَّد. وَعِنْدَ أَبِي يُوسُفَ أَقَلُّه يَوْمَانِ، وَأَكْثَرُهُ الثَّالِث، وَعِنْدَ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنه أَقَلُّه يَوْم وَلَيْلَة، وَأَكْثَرُهُ خَمْسَةَ عَشَر يَوماً، وَقَالَ فِي «الهِدَاية»: وَيَسْقُطُ عَنِ الحَائِضِ[(٣)] الصَّلاَةُ وَلاَ تَقْضِيهَا، وَيَحْرُمُ عَلَيْهَا الصَّوْمُ، وَلاَ تَدْخُلُ المَسْجِدَ وَلاَ يَأْتِيهَا زَوْجُهَا لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ﴾[(٤)] وَفِي هَذَا كِفَايَة، وَمَا مَضَى لِبُورَان أَيَّام قَلاَئِل عِنْدَ المَأْمُون، إِلاَّ وَالمَأْمُون قَبَضَ عَلَى إِبْرَاهِيم ابْنِ المَهْدِيّ وَسَجَنَهُ وَهمَّ بِقَتْلِهِ، فَتَشَفَّعَتْ فِيهِ بُورَانُ، فَعَفَى عَنْهُ وَأَطْلَقَهُ، وَذُكِرَ فِي «تَارِيخِ المُؤَيّد»[(٥)]: إِنَّ الحَسَنَ بْنَ سَهْلٍ لَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ المَأْمُونَ يَخْطِبُ ابْنَتَهُ فَرِحَ فَرَحاً عَظِيماً، وَلَمَّا عَقَدَ عَلَيْهَا كَتَبَ الحَسَنُ أَسْمَاءَ ضِيَاعِهِ فِي رِقَاعٍ وَنَثَرَهَا عَلَى القُوَّادِ رَغْبَةً فِي مُصَاهَرَةِ الخَلِيفَة، وَافْتُتِنَ المَأْمُونُ فِي بُورَان لِحُسْنِهَا، وَذَكَائِهَا. وَمِمَّا حُكِيَ عَنْ أَذْكِيَاء النِّسَاءِ: قَالَ المَدَنِي: خَرَجَ ابْنُ زِيَاد فِي فَوَارِسَ فَلَقُوا رَجُلاً

---

(١) الزيادة عن الكامل ص ٢١.

(٢) في الأصل (هذا) والتصويب عن «مهذب الروضة» ص ٢١٣.

(٣) في الأصل (الحائظ).

(٤) سورة البقرة، الآية ـ ٢٢٢.

(٥) وهو المختصر في تاريخ البشر.

وَمَعَهُ جَارِيَة لَمْ يُرَ[1] مِثْلُهَا فِي الحُسْنِ، فَصَاحُوا بِهِ: خَلِّ[2] عَنْهَا، وَكَانَ مَعَ الرَّجُلِ قَوْسٌ فَرَمَى أَحَدَهُمْ فَهَابُوه، وَعَادَ يَرْمِي فَانْقَطَعَ الوَتَرُ فَهَجَمُوا عَلَيْهِ، وَأَخَذُوا الجَارِيَة، وَاشْتَغَلُوا عَنْهُ بِهَا، فَمَدَّ أَحَدُهُمْ يَدَهُ إِلَى أُذُنِهَا، وَفِيهَا قِرْطٌ فِيهِ دُرَّة نَفِيسَةٌ. فَقَالَتْ: وَمَا قَدْرُ هَذِهِ الدُّرَّة، وَإِنَّكُمْ لَوْ رَأَيْتُمْ فِي قُلُنْسُوَتِهِ مِنَ الدُّرِّ لاَسْتَحْقَرْتُمْ هَذِهِ! فَتَرَكُوهَا وَاتَّبَعُوه! وَقَالُوا: أَلْقِ [مَا][4] فِي القَلَنْسُوَةِ. [وَكَانَ فِيهَا وَتَرٌ أَعدَّه لِمِثْلِ ذَلِكَ نَسِيَهُ مِنَ الدَّهْشَةِ، فَلَمَّا ذَكَّرُوه مَا فِي القَلَنْسُوَةِ][5] رَكَّبَهُ[6] فِي القَوْسِ، وَقَاتَلَ القَوْم، وَهَزَمَهُمْ وَمَلَكَ الجَارِيَة وَنَجَا بِهَا.

وَحُكِيَ عَنْ بَعْضِ أَذْكِيَاءِ النِّسَاءِ مِنْ [أَنَّ][7] بَعْضَ الأُدَبَاءِ [مَرَّ][8] بِحَيٍّ بِلْعَرَبِ فَرَأَى امْرَأَةً فَقَالَ لَهَا: مِمَّن[9] المَرْأَة؟ قَالَتْ؟ مِنْ بَنِي فُلاَنٍ. فَأَرَادَ العَبَثَ بِهَا. فَقَالَ لَهَا: أَتَكْتَنُونَ؟ قَالَتْ: نَعَمْ نَكْتَنِي. فَقَالَ لَهَا: لَوْ فَعَلْتُ لاغْتَسَلْتُ. فَأَجَابَتْهُ: أَتَعْرِفُ العَرُوضَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَتْ: قَطِّعْ لِي قَوْلَ الشَّاعِرِ:

حَوِّلُوا عَنَّا كَنِيسَتَكُمْ ... يَا بَنِي حَمَّالَة الحَطَبِ

فَلَمَّا أَخَذَ يُقَطِّعُ قَالَ: حَوِّلُوا عَنْ نَاكَنِي. قَالَتْ: مَنْ هُوَ؟ فَتَعجَّبَ الرَّجُلُ وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّ لِلْبَاغِي مَصْرَعاً.

وَقِيلَ: مَرَّ الأَصْمَعِيُّ بِثَلاَثِ نِسَاء، إِحْدَاهُنَّ قَصِيرَة، وَعَنْ يَمِينِهَا امْرَأَةٌ

---

(١) في الأصل (يرى).

(٢) في الأصل (خلى).

(٣) في الأصل (ألقى).

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) زيادة يقتضيها السياق عن المطبوعة ص ٣٥٢، عن مهذب الروضة.

(٦) في الأصل (ركبة).

(٧) زيادة يقتضيها السياق عن «المستطرف» ١/٨٦.

(٨) زيادة يقتضيها السياق عن «المستطرف» ١/٨٦.

(٩) في المطبوعة (من) والتصويب عن المستطرف ١/٨٦.

طَوِيلَةٌ، وَعَنْ شِمَالِهَا امْرَأَةٌ طَوِيلَةٌ، فَأَرَادَ بِهِنَّ[1] العَبَثَ فَقَالَ: أَنْتُنَّ لَنَا. فَخَرَجَتْ القَصِيرَةُ مِنَ الوَسَطِ، وَقَامَتْ فِي الرَّأْسِ وَقَالَتْ: نَحْنُ لِلَّهِ[2]، فَتَعَجَّبَ مِنْ ذَكَائِهَا وَفِطْنَتِهَا.

وَاسْتَمَرَّتْ بُورَانُ عِنْدَ المَأْمُونِ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ إِلَى أَنْ تُوفِي المَأْمُونُ سَنَة ثَمَانِي عَشْرَة وَمِائَتَيْنِ، وَدُفِنَ فِي طَرْسُوس وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

خَلَّفُوهُ بِعَرْصَتَي طَرْسُوسِ ... مِثْلَمَا خَلَّفُوا أَبَاهُ بِطُوسِ

وَسَبَبُ دَفْنِهِ فِي طَرْسُوس أَنَّهُ سَافَرَ إِلَى مِصْر، ثُمَّ دَخَلَ إِلَى بِلَادِ الرُّومِ، وَسَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّه كَانَ جَالِساً عَلَى نَهْرٍ وَمَعَهُ أَخُوه[3] المُعْتَصِمُ وَأَرْجُلُهُمَا فِي المَاءِ، فَتَذَكَّرَ الرُّطَبَ فَأَحْضَرُوه لَهُ، وَجِيء بِهِ فِي سَلَّتَيْنِ، وَكَانَ قَدْ حَمَلُوه لَهُ مِنْ بَغْدَاد، وَقَدَّمُوا عَلَيْهِ فِي تِلْكَ السَّاعَةِ فَحَمِدَ اللَّهَ وَشَكَرَهُ، وَأَكَلا مِنْهُ وَشَرِبَا مِنَ المَاءِ، فَحُمَّا[4] وَلَمْ يَزَلْ المُعْتَصِمُ مَرِيضاً حَتَّى دَخَلَ العِرَاقَ، وَمَاتَ المَأْمُونُ، وَدُفِنَ[5] هُنَاكَ. وَتُوفِّيَتْ بُورَانُ سَنَة إِحْدَى وَسَبْعِينَ وَمِائَتَيْنِ فِي بَغْدَاد.

---

(١) في الأصل (بهم).

(٢) في هامش المطبوعة ما نصه: (شبه الطويلتين بلامين، والقصيرة بالنون، فانتقلت القصيرة إلى الطرف وصارت كالهاء في اسم الجلالة.

(٣) في الأصل (أخاه).

(٤) أي أصيب بالحمّى.

(٥) في الأصل (ودفنا).

[١٠٣]

زُبَيْدَةُ بِنْتُ جَعْفَرِ بْنِ المَنْصُورِ العَبَّاسِي *

وَاسْمُهَا آمِنَةُ، وَلَقَّبَهَا جَدُّهَا المَنْصُور زُبَيْدَةُ لِبَيَاضِهَا وَنَضَارَتِهَا تَزَوَّجهَا الخَلِيفَةُ هَارُون الرَّشِيد، فَوَلَدَتْ لَهُ الأَمِين، وَكَانَتْ صَاحِبَةَ مَعْرُوفٍ وَخَيرٍ، وَكَانَ لَهَا مِائَة جَارِيَةٍ يَحْفَظْنَ القُرْآن، وَكَانَتْ قَدْ شَرَطَتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدَة تَقْرأُ عَشْرَة أَجْزَاءٍ نَكَان يُسْمَعُ فِي دَوي كَدَوِيِّ النَّحْلِ مِنْ قِرَاءَةِ[١] القُرْآنِ، وَأَجْرَتْ عَيْنَ مَاءٍ مِنْ مَكَّةَ عَشْرَة أَمْيَالٍ تَحْتَ الجِبَالِ وَالصُّخُورِ حَتَّى أَدْخَلَتْهُ مِنَ الحِلِّ إِلَى الحَرَمِ، وَقَالَتْ: لَوْ كَيلِها لمَّا اشْتَكَى كَثْرَة الإِنْفَاقِ، اعْمَلْ وَلَوْ ضَرَبْتَ الفَأْسَ بِدِينَارٍ، وَهِي بَاقِية إِلَى الآن عَنْ يَمِين الذَّاهِبِ إِلَى منى، هَكَذَا ذَكَرَهُ اليَافِعِي، وَقِيلَ: إِنَّهَا بَنَتْ حَائِطاً[٢] مِنْ بَغْدَاد إِلَى مَكَّةَ، وَحَفَرَتْ أَبْيَاراً[٣] فِي كُلِّ مَرْحَلَةٍ، وَقِيلَ: حَائِطَيْنِ بِحَيْثُ كَانَ

(*) هي: أم جعفر أمة العزيز بنت جعفر المنصور، المعروفة بزبيدة زوجة هارون الرشيد ويقال: أنها ولدت في حياة المنصور، فكان يرقصها وهي صغيرة، فيقول لها: أنت زبدة وأنت زبيدة، فغلب ذلك على اسمها، ماتت ببغداد في جمادي الأول سنة ست عشرة ومائتين. هذا ما أورده الخطيب في ترجمتها، وقد أورد الطبري في تاريخه ما يدل على أن أم جعفر غير أمة العزيز فقد قال الطبري في تاريخه (أن الرشيد تزوج زبيدة، وهي أم جعفر بنت جعفر بن المنصور وأعرس بها في سنة خمس وستين ومائة في خلافة المهدي ببغداد. فولدت له محمداً الأمين. وتزوج أمة العزيز أم ولد موسى فولدت له علي بن الرشيد).

انظر: تاريخ بغداد ١٤/٤٣٣ ـ ٤٣٤، وتاريخ الطبري ٨/٣٥٩، وأعلام النساء ٢/١٧ ـ ٣٠.

(١) في الأصل (قرأه).

(٢) في الأصل (حائط).

(٣) في الأصل (أبيار).

الأَعْمى إِذَا أَرَادَ الحجَّ لَمَسَ الحَائِطَ وَسَارَ. وَإِذَا عَطِشَ شَرِبَ مِنَ الآبَارِ وَلاَ يَقْرَبُهُ شَيء مِنَ الحَيْوَانَاتِ وَالأُسُودِ لِأَنَّ الطَّرِيقَ مُحَصَّنٌ بِالحِيطَانِ، وَلَهَا صَدَقَات كَثِيرة، وَعَاشَتْ بَعْدَ زَوْجِهَا الرَّشيد نَحْوَ عِشْرِينَ سَنَةً. وَلَمَّا تُوفِّي الرَّشِيد سَنَة ثَلاث وَتِسْعِينَ وَمَائَة فِي مَدِينَة طُوس، عهِدَ بِالخِلاَفَةِ لِوَلَدِهِ الأَمِين بْنِ زُبَيْدَةُ، وَكَانَ مُنْهَمِكاً عَلَى شُرْبٍ وَجَمْعِ المَغَانِي وَقَسَّم الجَوَاهِـر عَلَى النِّسَاءِ لِشَغَفِهِ بِهِنَّ، وَاشْتَرَى عَرِيبة المُغَنِّية بِمائَة أَلْف دِينَار، وَاشْتَرَى جَارِيَة ابْن عَمِّه إبْرَاهِيم بِعِشْرِين أَلْف دِينَار، وَفِيهِ يَقُولُ الشَّاعِر:

إِذَا غَـدَا مَلِكـاً بِـاللَّهْـوِ مُشْتَغِـلاً ... فَاحْكُم عَلَى مُلْكِهِ بِـالوَيْـلِ وَالخَرَبِ
أَمَا تَرَى الشَّمْسَ فِي المِيْزَانِ هَابِطَةً ... لمَّـا غَدَا وَهُـو بُـرْجُ اللَّهْـوِ والـطَّرَبِ

وَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالخِلاَفَةِ خَلَعَ أَخَاهُ المَأْمُون وَكَتَبَ إِلَيْهِ شِعْراً:

يَـابْنَ الَّـذِي بِيعَتْ بِـأَبْخَسَ قِيمَـةٍ ... بَيْنَ الـوَرَى فِي سُـوقٍ هَـلْ مِنْ زَائِـدِ
مَـا فِيكَ مَـوْضِـعُ غَـرْزَةٍ مِنْ إِبْرَةٍ ... إِلَّا وَفِـيـهِ نُـطْفَـةٌ مِـنْ وَاحِـدِ

وَكَانَ الأَمِين يَفْتَخِرُ بِأُمِّهِ زُبَيْدَةُ، فَأَجَابَهُ المَأْمُون.

وَإِنَّمَـا أُمَّـهَـاتُ النَّـاسِ أَوْعِيَـةٌ ... مُـسْـتَـوْدَعَـاتٌ وَلِـلإِمَـاءِ آبَـاءُ
فَـرُبَّ مُـعْـرِبَـةٍ لَيْسَتْ بِـمُنْجِبَـةٍ ... وَطَـالَ مَا أَنْجَبَتْ فِي الخِدْرِ عَجْمَـاءُ

ثُمَّ إِنَّ المَأْمُونَ حَارَبَ[١] الأَمِينَ، وَقَتَلَهُ سَنَة ثَمَان وَتِسْعِينَ وَمِائَة[٢]. وَبُويِعَ بِالخِلاَفَةِ المَأْمُونُ فَاتَّفَقَ أَنَّهُ مَرَّ يَوْماً عَلَى زُبَيْدَةُ فَرَآهَا تَتَكَلَّمُ وَلاَ يَفْهَمه، فَقَالَ: يا أُمَّاه أَتَدْعِينَ عَلَيَّ؟ قَالَتْ: لاَ. فَأَلَحَّ فَقَالَتْ: قَبَّحَ اللَّهُ اللَّحَّاحَ. فَقَالَ لَهَا: كَيْفَ؟ قَالَتْ: لَعِبْتُ يَوْماً مَعَ أَبِيكَ[٣] بِالشُّطَرَنْجِ، عَلَى شَرْطٍ، فَغَلَبَنِي فَجَرَّدَنِي مِنْ ثِيَابِي

---

(١) في الأصل (جارب).

(٢) في تاريخ الطبري (٤٩٨/٨): أنه قتل ليلة الأحد لست بقين من صفر سنة سبع وتسعين ومائة. فكانت خلافته أربع سنين وثمانية أشهر وخمسة أيام.

(٣) في الأصل (أبوك).

وَطَافَ بِي القَصْرَ وَأَنَا عُرْيَانَة، ثُمَّ عَادَ إِلَى اللَّعِبِ فَغَلَبْتُه فَأَمَرْتُه أَنْ يَذْهَبَ المَطْبَخ يَطَأُ أَقْبَحَ جَارِيَة فِيه، فَرَضِي فَلَمْ أَجِدْ أَقْبح مِنْ أُمِّكَ وَلاَ أَقْذَرَ مِنْهَا فَوَاقَعَهَا فَحَمَلَتْ مِنْهُ بِكَ، فَكُنْتَ سَبَباً لِقَتْلِ وَلَدِي، فَسَكَتَ المَأْمُونُ وَذَهَبَ وَهُو يَقُولُ: لَعَنَ اللَّهُ اللَّحَّاحَ قَتَلَ الأَمِين، وَتُوفِّيَتْ زُبَيْدَةُ سَنَة سِتَّ عَشْرَة وَمِائَتَيْنِ.

حُكِي أَنَّه رآهَا فِي المَنَامِ بَعْضُ الصَّالِحِينَ، فَقَالَ لَهَا: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِك؟ قَالَتْ: غَفَرَ لِي، قَالَ: بِمَا غَفَرَ لَك؟ قَالَتْ: كُنْتُ جَالِسَةً يَوْماً وَعِنْدِي جَوَارٍ[1] يُغَنِّين، فَسَمِعْتُ صَوْتَ المُؤَذِّن يُؤَذِّنُ فَأَمَرْتُهُمْ بِالسُّكُوت إِلَى أَنْ تَمَّ الآذان، فَغَفَرَ لِي بِذَلِك. وَنَظِيرُ ذَلِك مَا حُكِي أَنَّ أَبَا نُوَاس[2] لَمَّا تُوفِّي رَآه رَجُلٌ[3] فِي المَنَامِ، فَقَالَ لَهُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِك؟ قَالَ: غَفَرَ لِي، قَالَ: بِمَ؟ قَالَ: بِأَبْيَاتٍ كُنْتُ نَظَمْتُهَا، فَقَالَ لَهُ مَا هِي؟ فَقَالَ. شِعْر:

تَأَمَّلْ فِي رِيَاضِ الأَرْضِ وَانْظُرْ ... إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ المَلِيكُ
عُيُونٌ مِنْ لُجَيْنٍ شَاخِصَاتٌ ... عَلَى أَحْدَاقِهَا الذَّهَبُ السَّبِيكُ
عَلَى قَصَبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتٌ ... بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

وَحُكِي أَنَّ الرَّشِيدَ العَبَّاسِيّ طَرَقَهُ ذَاتَ لَيْلَة قَلَقٌ وَسَهَرٌ، فَدَارَ عَلَى جَوَارِيه[4]، وَدَخَلَ عَلَى بَعْضِهِنَّ،[5] وَهِي نَائِمَة فَكَشَفَ عَنْ وَجْهِهَا وَقَبَّلَهَا فَانْتَبَهَتْ فَزَعاً، وَقَالَتْ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالَ الرَّشِيدُ: ضَيْفٌ. فَقَالَتْ الجَارِيَةُ: نُكْرِمُ الضَّيْفَ

---

(١) في الأصل (جواري).

(٢) أبو نُواس: واسمه الحسن بن هانيء الحكمي، ويُكنّى ابا عليّ، وإنما قيل له أبو نواس لذؤابة كانت في رأسه. والنواس: الذؤابة. ومنه سمي ذا نواس، وقيل: سمي ذا نواس لضفيرتين كانتا تنوسان على عاتقه، والنَّوسُ: الحركةُ من كل شيء مدّلى.

انظر ترجمته: تاريخ بغداد ٤٣٦/٧، ووفيات الأعيان ٩٥/٢.

(٣) في الأصل (رجلاً).

(٤) في الأصل (جواره).

(٥) في الأصل (بعضهم).

بِسَمْعِي وَالبَصر، فَلَمَّا أَصْبَحَ الرَّشِيدُ اسْتَدْعِى[١] أَبَا نُواس، وَقَالَ لَهُ: أُحِبُّ أَنْ تَضْمَنَ لِي هَذِهِ هَذَا الشَّطْر، وَقَرَأَهُ عَلَيْه، فَقَالَ: حُبّاً وَكَرَامَة، وَأَنْشَدَ:

طَالَ لَيْلِي وَعَاوَدَنِي السَّهَرْ ... ثُمَّ فَكَّرْتُ وَأَحْسَنْتُ النَّظَرْ
جِئْتُ أَمْشِي فِي زَوَايَاتِ الخَبَا ... ثُمَّ طَوْراً فِي مَقَاصِيرِ الحَجَرْ
إِذْ بِوَجْهِ قَمَرٍ قَدْ لاحَ لِي ... زَانَهُ الرَّحْمَنُ مِنْ بَيْنِ البَشَرْ
ثُمَّ أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ مُسْرِعاً ... ثُمَّ طَأْطَأْتُ وَقَبَّلْتُ الأَثَرْ
فَاسْتَقَامَتْ فَزَعاً قَائِلَةً ... يَا أَمِينَ اللَّهِ مَا هَذَا الخَبَرْ[٢]
قُلْتُ ضَيْفاً طَارِقاً فِي دَارِكُمْ ... هَلْ تَضِيفُونَ إِلَى وَقْتِ السَّحَرْ
فَأَجَابَتْ بِسُرُورٍ سَيِّدِي ... نُكْرِمُ الضَّيْفَ بِسَمْعِي وَالْبَصَرْ

فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ: يَا فَاعِل! يَا تَارِك! أَكُنْتَ البَارِحَةَ مَعْنَا؟! فَاضْرِبُوا عُنُقَه! فَحلَفَ مَا كَانَ. فَعَفَى عَنْهُ وَأَجَازَهُ.

وَفِي ذِكْرِ الأَحْلَامِ مَا حَكَاهُ الخَرَائِطِي الهُمَام: قَالَ كَانَ لِبَعْضِ الخُلَفَاءِ غُلَامٌ وَجارِيَةٌ مُتَحابَّيْنِ فَكَتَبَ الغُلَامُ إِلَى الجَارِيَةِ:

وَلَقَدْ رَأَيْتُكِ فِي المَنَامِ كَأَنَّمَا ... عَاطَيْتِنِي مِنْ رِيقِ فِيكِ البَارِدِ
وَكَأَنَّ كَفَّكِ فِي يَدِي وَكَأَنَّنَا ... بِتْنَا جَمِيعاً فِي فِرَاشٍ وَاحِدِ
فَطَفِقْتُ لَيْلِي كُلَّه مُتَرَاقِداً[٣] ... لِأَرَاكِ فِي نَومِي وَلَسْتُ بِرَاقِدِ

فَأَجابَتْ الجَارِيَةُ، وَكَتَبَتْ لَهُ شِعْر:

خَيْراً رَأَيْتَ وَكُلَّمَا أَبْصَرْتَه ... سَتَنَالُهُ مِنِّي بِرَغْمِ الحَاسِدِ
إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مُعَانِقِي ... فَتَبِيتَ مِنِّي فَوْقَ ثَدْيٍ نَاهِدِ
وَأَرَاكَ بَيْنَ خَلَاخِلِي وَدَمَالِجِي ... وَأَرَاكَ بَيْنَ تَرَائِبِي وَمَجَاسِدِي

فَبَلَغَ ذَلِكَ مَوْلَاهُمَا الخَلِيفَةَ فَأَنْكَحَهُمَا وَأَحْسَنَ إِلَيْهِمَا، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ.

---

(١) في الأصل (استدعا). (٢) في الأصل (السفر). (٣) في الأصل (مترافدا).

[١٠٤]

الحُرَّةُ سَيِّدَةُ بِنْتُ أَحْمَد بْنِ جَعْفَرِ* بْنِ مُوسَى الصَّليحي

مَلِكَةُ اليَمنِ مَوْلِدُهَا سَنَة أَرْبَعمَائَة وَأَرْبَعِينَ تَزَوَّجَهَا المَالِكُ المُكْرِمُ أَحْمَد بْن عَلِيٌّ الصَّليحي صَاحِبُ صَنْعَاء، وَكَانَتْ قَدْ قَامَتْ[١] بِتَرْبِيتِهَا أَسْمَاءُ بِنْتُ شِهَاب زَوْجَة عَلِي الصَّليحي، وَزَوَّجَتْهَا لِوَلَدِهَا أَحْمَد المُكَرَّم سَنَة إِحْدَى وَسِتِّينَ وَأَرْبَعمائَةِ، فَأَقَامَتْ الحُرَّةُ فِي تَدْبِيرِ المُلْكِ وَالحُرُوبِ أَحْسَنَ قِيام، وَاشْتَغَلَ أَحْمَدُ بِالمأْكُولِ وَالمَشْرُوب، وَطَالَتْ مُدَّتُهَا، وَتُوفِّي زَوْجُهَا أَحْمَدُ سَنَة أَرْبَع وَثَمَانِين وَأَرْبَعمَائَةِ، وَهِي فِي المُلْكِ، وَمَلَكَ بَعْدَ[٢] أَحْمد سَبأُ بْنُ أَحْمَد، إِحْدَى عَشْرَة سَنَةً، وَهِي فِي المُلْكِ، وَمَاتَ سَبأُ سَنَة خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَأَرْبَعمِائَة، ثُمَّ قَدِمَ مِنْ مِصْر عَلِيُّ بْنُ إِبْرَاهِيم بْنِ نَجِيب الدَّوْلَةِ، وَمَلَكَ اليَمن، وَهِي بِصَنْعَاء مَلِكَة، وَقُبِضَ عَلَى ابْنِ إِبْرَاهِيم بَعْدَ مُضِي سِتَّة أَعْوَام، وَهِي مَلِكَةٌ، وَاسْتَمَرَّتْ بِالمُلْكِ إِلَى أَنْ تُوفِّيتْ[٣] سَنَة اثْنَتَيْنِ وَثَلاثِينَ وَخَمْسِمَائَة، وَعُمْرُهَا اثْنَتَانِ وَتِسْعُونَ سَنَة[٤] . وَكَانَ المُفَضَّلُ يَحْكُمُ بَيْنَ يَدي الحُرَّة وَتَحْتَجِبُ عَنْهُ لِئَلا يَطْمَع فِيهَا، وَتُوفِّي المُفَضَّلُ سَنَة أَرْبَع وَخَمْسِمِائَةِ، وَاسْتَقَلَّتْ الحُرَّةُ بِالمَمْلَكَةِ إِلَى أَنْ تُوفِّيَتْ.

(*) انظر ترجمتها: الأعلام ١/ ٢٧٩، وفيات الأعيان. أعلام النساء ١/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤.

(١) في الأصل (أفاقت).

(٢) في الأصل (بعده).

(٣) في الأصل (توفت).

(٤) في الأصل (اثنين وتسعين).

[١٠٥]

أَسْمَاءُ بِنْتُ خُمَارَوِيه بنِ أَحْمَد بْنِ طُولُون* صَاحِبُ مِصْر

كَانَتْ فِي غَايَةِ الجَمَالِ وَالبَهَاءِ وَالكَمَالِ، تَزَوَّجَهَا الخَلِيفَةُ المُعْتَضِدُ بِاللَّهِ أَحْمَدُ بْنُ المُوفَّق العَبَّاسِي سَنَة مِائَتَيْنِ وَاثْنَتَيْنِ وَثَمَانِين. وَأَصْدَقَهَا أَلْفَ أَلْفَ دِرْهَم، وَأَرْسَلَهَا أَبُوهَا مِنْ مِصْر إِلَى بَغْدَاد، فَأَحَبَّهَا المُعْتَضِدُ حُبّاً شَدِيداً وَلَقَّبَهَا قَطْرَ النَّدَى، وَحَظِيَتْ[1] عِنْدَهُ، وَكَانَتْ مِنْ أَهْلِ الكَمَالِ وَالذَّكَاءِ، حُكِي: أَنَّهَا لَمَّا زُفَّتْ إِلَى المُعْتَضِدِ أَحَبَّهَا حُبّاً شَدِيداً، وَكَانَ إِذَا نَامَ يَضَعُ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهَا، فَاتَّفَقَ أَنَّه لَيْلَةً نَام وَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِهَا، فَلَمَّا نَامَ فَرَفَعَتْ رَأْسَهُ وَوَسَّدَتْهُ وَخَرَجَتْ فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ ذُعِرَ وَنَادَاهَا فَأَجَابَتْهُ مِنْ قُرْب. فَقَالَ لَهَا: تَرَكْتِني وَذَهَبْتِ عَنِّي؟ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَمْ أَزَلْ كَالِئَةً لأَمِيرِ المُؤْمِنِين قَالَ: فَمَا أَخْرَجَكِ عَنِّي؟ قَالَتْ: مِمَّا أَدَّبَنِي بِهِ وَالِدِي[2] أَنْ لاَ أَجْلِسَ مَعَ النَّائِمِين وَلاَ أَنَامَ مَعَ الجُلُوس.

وَمِمَّا حُكِي عَنْ بَعْضِ أَذْكِيَاءِ النِّسَاء أَنَّ الخَلِيفَةَ المُتَوَكِّل عَلَى اللَّهِ العَبَّاسِيّ بَلَغَهُ أَنَّ جَارِيَةً فِي المَدِينَةِ جَمِيلَةَ الصُّورَةِ، حَسَنَةَ السِّيرَةِ تُحْسِنُ الغِنَاءَ، وَضَرْبَ العُودِ، فَأَرْسَلَ إِلَى مَوْلاَهَا يَطْلُبُهَا مِنْهُ. فَكَادَ أَنْ يَزُولَ عَقْلُ مَوْلاَهَا لِفَرْطِ حُبّه إِيَّاهَا، فَقَالَتْ لَهُ: أَحْسِن ظَنَّكَ بِاللَّهِ وَبِي فَإِنِّي كَفِيلَةٌ لَك بِمَا تُحِبُّ. فَحُمِلَتْ إِلَى

(*) انظر ترجمتها: النجوم الزاهرة ٣/٥٣ ـ ٦١، وفيات الأعيان، شذرات الذهب، الكامل، الأعلام للزركلي، وأعلام النساء ٤/٢١٢ ـ ٢١٥.

(١) في الأصل (حظت).

(٢) في المطبوعة (مما أدبني به) وما أثبت عن أعلام النساء.

المُتَوَكِّل، وَأُدْخِلَتْ عَلَيْه فَقَالَ لَهَا: اقْرئي شَيْئاً مِنْ القُرْآنِ. فَقَالَتْ ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[1] إِلَى تَمَامِ الآيَةِ. فَفَطِنَ المُتَوَكِّلُ [إِلَى][2] مَا أَرَادَتْ فَرَدَّهَا إِلَى مَوْلاَهَا. وَتوفِّيتْ قَطْرُ النَّدَى سَنَةَ أَرْبَعَ وَثَمَانِينَ وَمِائَتَيْنِ.

(١) سورة ص، الآية - ٢٣.

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

[١٠٦]

أُمُّ خَالِد*

هِي زَوْجَةُ يَزِيد بْن مُعَاوِية، وَخَالِدُ وَلَدُهَا مِنْ يَزِيد تَزَوَّجَهَا يَزِيـد وَحَظِيتْ عِنْدَه، وَوَلَدَتْ لَهُ خَالِداً وَمَاتَ يَزِيد سَنَةَ أَرْبعَ[١] وَسِتِّين، وَصَارَ النَّاسُ فِي الشَّام فِرْقَتَيْنِ، اليَمَانِيَّة مَعَ مَرْوَان بْنِ الحَكَمِ، وَالقَيْسِيَّةِ مَعَ الضَّحَّاكِ بْنِ قَيْس، وَكَانُوا مُبَايِعِينَ لابْنِ الزُّبَيْرِ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ فَقَاتَلَهُمْ مَرْوَان فَانْهَزَمَ الضَّحَّاكُ وَهَربَتْ القَيْسِيَّةُ، ثُمَّ قُتِلَ الضَّحَّاكُ، وَذَلِكَ فِي الغُوْطَةِ، وَدَخَلَ مَـرْوَانُ دِمِشْق وَنَزَلَ بِدَارِ مُعَاوِية رَضِي اللَّهُ عَنْهُ، وَاجْتَمَعَ عَلَيْه النَّاس فَتَزَوَّجَ أُمَّ خَالِد خَوْفاً مِنْ خَالِد[٢]. وَأَقَامَتْ عِنْدَهُ سَنَة، فَاتَّفَقَ أَنَّه يَوْماً خَاصَمَهَا وَشَتَمَهَا، فَغَضِبَتْ لِذَلِكَ، فَدَعَتْ جَوَارِيهَا[٣] وَقَبَضَن عَلَى مَرْوَان فَوَضَعَتَ مِخَدَّةً عَلَى وَجْهِه، وَجَلَسَتْ هِي وَجَوَارِيهَا فَوْقَهُ حَتَّى مَاتَ[٤].

(*) واسمها فاختة بنت هاشم أبي هاشم بن عتبة أم خالد بن يزيد من ربات العقل والفصاحة والبلاغة. انظر أعلام النساء ١٣/٤ ـ ١٤.

(١) في الأصل (أربعة).

(٢) وفي اعلام النساء: تزوج مروان بن الحكم أم خالد بعد موت يزيد حيث قيل له: أنت سيد قريش وفرعها، وأنت احق الناس بالقيام بهذا الأمر، إنما ينظر الناس إلى هذا الغلام ـ يعني خالد بن يزيد ـ تتزوج أمه فيكون في حجرك، فتزوج مروان أم خالد، ثم جمع بني أمية فبايعوه بالإمارة وبايعه أهل تدمر وذلك سنة ٦٥ هـ.

(٣) في الأصل (جوارها).

(٤) وفي اعلام النساء: أن سبب قتلها له أن خالد بن يزيد دخل يوماً على مروان وعنده جماعة كثيرة وهو يمشي بين الصفين. فقال: يا ابن الرطبة ليسقطه من أعين أهل الشام. فقال له خالد إنك لأمي =

وَأَظْهرتْ لِلنَّاسِ أَنَّهُ مَاتَ فَجْأَة، وَذَلِكَ لِثَلاَثٍ خَلَوْنَ مِنْ رَمَضَان[1]، وَهَذَا مَرْوَان كَانَ يُقَالُ لَهُ الطَّرِيد لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَرَدَهُ مِنَ المَدِينَةِ، عَنْ مَكَانِهِ مَرْحَلة، وَلَمَّا تُوفِّي الصِّدِّيقُ، رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَوَلِي الخِلاَفَة عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه أَبْعَدَهُ مَرْحَلَةً أُخْرَى، وَلَمَّا تُوفِّي عُمَرُ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَوَلِي الخِلاَفَةَ عُثْمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَعَادَهُ إِلَى المَدِينَةِ، وَمِمَّا نَقَمُوا عَلَى الإِمَامِ عُثْمَان، رَضِي اللَّهُ عَنْهُ عَوْدَة مَرْوَان المَدِينَة، وَتُوفِّيَتْ أُمُّ خَالِدٍ فِي خِلاَفَةِ عَبْد المَلِكِ وَاللَّهُ أَعْلَمَ.

= مختبر وأنت بهذا أعلم. ثم أتى امه فاخبرها، فقالت له أمه: لا يعرفن ذلك منك واسكت فإني أكفيكه. ثم قتله.

(١) وفي أعلام النساء: (وأراد عبد الملك قتلها وبلغها ذلك، فقالت: اما انه أشد عليك أن يعلم الناس أن اباك قتلته امرأة فكف عنها).

[١٠٧]

قَبِيحَةُ جَارِيَةُ الخَلِيفَةِ المُتَوكِّل عَلَى اللَّهِ جعْفَر *

العَبَّاسِي، وَهِي أُمُّ وَلَدِه المُعْتَزُّ بِاللَّهِ مُحَمَّد، وَكَانَ المُتَوكِّلُ سَمَّاهَا قَبِيحَة لِفَرْطِ حُسْنِهَا وَجَمَالِهَا وَاعْتِدَالِهَا، وَسَمَّاهَا بِهَذَا الاسْمِ كَمَا يُسَمَّى العَبْدُ الأَسْوَد كَافُوراً، وَالأَمَةُ السَّوْدَاءُ فِضَة، وَقُتِلَ المُتَوكِّلُ سَنَة سَبْعٍ وَأَرْبَعِين وَمِائَتَيْنِ، وَأَقَامَتْ قَبِيحَةُ عِنْدَ وَلَدِهَا المُعْتَز، وَكَانَ المُتَوكِّلُ حِينَ وَلِي الخِلاَفَة أَحْيَا السُّنَّة وَأَمَات البِدْعَة، وَرَفَع المِحْنَة بِقَوْلِ خَلْقِ القُرْآن وَخَذَلَ المُعْتَزِلَة. وَأَكْرَمَ العُلَمَاء. وَلَمْ يَكُنْ لَهُ سَيِّئَة[١] إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ يُبْغِضُ الإِمَامَ عَلِي بْن أَبِي طَالِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَمَرَ بِهَدْمِ قُبَّة الحُسَيْن رَضِي اللَّهُ عَنْه وَهَدَمَ[٢] مَا حَوْلَهَا مِنَ المَنَازِلِ، وَجَعَلَهَا[٣] مَزْرَعَة وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِر:

تَاللَّهِ إِنْ كَانَتْ أُمَيةُ قَدْ أَتَتْ ... قَتْلَ ابْن بِنْتِ نَبِيِّهَا مَظْلُومَا
فَلَقَدْ أَتَى بَنُوا أَبِيهِ بِمِثْلِهِ ... هَذَا لَعَمْرُكَ قَبْرُهُ مَهْدُومَا
أَسِفُوا عَلَى أَنْ يَكُونُوا شَارَكُوا[٤] ... فِي قَتْلِهِ فَتَتَبَّعُوهُ رَمِيمَا

(*) انظر ترجمتها: تاريخ الطبري، الكامل، النجوم الزاهرة المستظرف من أخبار الجواري ٥٧، أعلام النساء ٤/١٨٤ - ١٨٧.

(١) كتب النساخ على هامش الورقة ما نصه: لعمري إنها سيئة بألف ألف سيئة، فلعن الله تعالى من أبغض أخي رسول الله ﷺ وابن عمه كرم الله تعالى وجهه.

(٢) في الأصل (مما).

(٣) في المطبوعة (جعل).

(٤) في الأصل (شوركوا).

وَفِيهِ يَقُولُ ابْنُ الوَرْدِي:

وَكَمْ قَدْ[1] سَحَى خَيْرٌ بِشَرٍّ كَمَا انْمَحَتْ ... بِبُغْضِ عَلِيٍّ سِيرَةُ المُتَوَكِّلِ
تَعَمَّقَ فِي عَدْلٍ وَلَمَّا جَنَى عَلَى ... جَنَابِ عَلِيٍّ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ

وَلَمَّا بُويِعَ المُعْتَزُّ بِاللَّه سَنَةَ اثْنَتَيْنِ وَخَمْسِين وَمِائَتَيْنِ، وَكَانَ حَسَنَ الصُّورَة كَمِثْل أُمِّه، وَالفَرْعُ يَلْحَقُ بِالأُصُولِ وَيَقْتَفِي، وَلَمْ يَكُنْ يَلِي الخِلَافَةَ أَصْغَر مِنْه، وَكَانَ مَغْلُوباً مَعَ الأَتْرَاك فَتَغَلَّبَ عَلَيْه ابْنُ وَصِيف، وَخَلَعَهُ مِنَ الخِلَافَة سَنَة مِائَتَيْنِ وَخَمْسٍ وَخَمْسِين، وَأَدْخَلَهُ الحَمَّامَ وَلَطَمَهُ وَمَنَعَهُ شُرْبَ المَاءِ ثُمَّ سَقَوْه مَاءَ الثَّلْجِ فَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ، وَاخْتَفَتْ أُمُّه قَبِيحَة ثُمَّ ظَهَرَتْ فِي هَذِهِ السَّنَةِ، فِي رَمَضَان، فَبَلَغَ صَالِحُ بْنُ وَصِيف ظُهُور قَبِيحَة فَقَبَضَ عَلَيْهَا، وَأَخَذَ مِنْهَا أَلْفَ أَلْفَ دِينَار، وَسَفْط زُمُرد، وَسَفْط لُؤْلُؤ، وَسَفْط يَاقُوت أَحْمَر لَمْ يُوجَدْ مِثْله، وَقَالَ صَالِحٌ: قَبَّحَ اللَّهُ قَبِيحَة عَرَّضَتِ ابْنَهَا لِلْقَتْلِ لِأَجْلِ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَعِنْدَهَا هَذِهِ الأَمْوَال! ثُمَّ نَفَاهَا إِلَى مَكَّةَ، وَأَقَامَتْ هُنَاكَ تَدْعُو عَلَى صَالِح بِصَوْتٍ عَالٍ، وَتَقُولُ: هَتَكَ سِتْرِي، وَقَتَلَ وَلَدِي، وَأَخَذَ أَمْوَالِي، وَغَرَّبَنِي عَنْ بَلَدِي، وَرَكِبَ الفَاحِشَةَ مِنِّي وفِي ذَلِكَ يَقُولُ الشَّاعِرُ:

جَزَى ابْنُ وَصِيفَ مَوْلَاهُ بِشَرٍّ ... وَلَكِن هَكَذَا صِفَةُ الوَصِيفِ

وَلَمْ يَمْضِ[2] عَلَى صَالِح سَنَة حَتَّى تَغَلَّبَ عَلَيْه الأَمِيرُ مُوسى بْنُ بَغَا التُّرْكِي، وَقَتَلَهُ وَاسْتَوْلَى عَلَى أَمْوَالِهِ. وَتُوفِّيَتْ[3] قَبِيحَةُ فِي مَكَّةَ، وَقِيلَ عَادَتْ إِلَى بَغْدَاد [وَتُوفيتْ][4] فِي خِلَافَةِ المُعْتَمِدِ عَلَى اللَّهِ أَحْمد بْن المُتَوَكِّل عَلَى اللَّهِ.

---

(١) في الأصل (محا خيرا).

(٢) في الأصل (يمضي).

(٣) في الأصل (توفت).

(٤) زيادة يقتضيها السياق، وقد توفيت قبيحة في ربيع الأول سنة أربع وستين ومائتين.

[١٠٨]

شَغَب* جارِيَة الخَلِيفَة المُعْتَضِد بِاللَّه أَحْمَد

ابْن المُوفّق العَبَّاسِي، وَقِيلَ: بَلْ زَوْجته تَزَوَّجهَا فوَلَـدَتْ له المُقْتَـدِر بِاللَّهِ جَعْفَر، وكَانَ يُقَالُ لَهَا: القَهْرَمَانَة، وكَانَتْ جَمِيلَة الأَطْرَافِ، حَسَنَةَ الأَوْصَافِ، فَأَحبَّهَا المُعْتَضِد، وَشَغَفَ بِهَا، وَمَاتَ عَنْهَا سَنَة تِسْع وَثَمَـانِين، وَقِيلَ: تِسْعِين، وَقِيلَ: إِحْدَى وَتِسْعِين وَمِائَتَيْنِ، فَأَقَامَتْ عِنْدَ وَلَدِهَا المُقْتَدِر بِاللَّهِ جَعْفَـرِ، وَوَلِيَ الخِلاَفَة المُكْتَفِي بِاللَّه عَلِيُّ بْنُ المُعْتَضِد أَخُو المُقْتَدِر لأَبِيهِ، وَمَاتَ سَنَة خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَمِائَتَيْن، وَوَلِي الخِلاَفَة المُقْتَدَرُ وَعُمْرُه إِذ ذَاكَ ثَلاث عَشْرَة[١] سَنَة فَدَبَّرَتْ مَمْلَكَتَهُ أُمُّه القَهْرَمَانَة، وَكَانَ المُقْتَدِرُ مُولَعاً بِحُبِّ النِّساءِ حَتَّى إِنَّه أَعْطاهُنَّ جَمِيع مَا عِنْدَهُ مِنَ الجَوَاهِرِ النَّفِيسَةِ، وَاسْتَمَرَّتْ القَهْرَمَانَة تُدَبِّرُ المَمْلَكَةَ إِلَى أَنْ كَثُرَ الضَّرر، وَعَمَّ النَّاس فِي البَحْرِ وَالبَرّ. وَغَارَتْ الرُّومُ عَلَى الثُّغُورِ الجَزْرِيَّةِ، وَمَلَكَ المَهْدِيُّ العُلْوِيُّ مَدِينَة الإِسْكَنْدَرِيَّة، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَيْقَظَتْ[٢] هِمَّة وَلَدِهَا المُقْتَدِر، وَأَمَرَتْهُ أَنْ يَجْلِسَ لِلْمَظَالِمِ، وَوَهَبَتْ وَأَعْطَتْ، وَأَنْعَمَتْ عَلَى أَرْبَـابِ الدَّوْلَـةِ، وَذَلِكَ سَنَـة خَمْس وَثَلاَثِمائَة، وَقَدِمَ رَسُولُ الرُّومِ إِلى بَغْدَاد فَاصْطَفَّتْ العَسَاكِرُ، وَكَانُوا مِائَة أَلْف وَسِتِّين أَلْفاً[٣]، وَوَقَفَتْ الغِلْمَانَ، وَالخِصْيَانَ وَالخُدَّامَ وَهُمْ سَبْعَةُ آلاَف[٤].

(*) انظر ترجمتها: النجوم الزاهرة ٣/١٦٤.

(١) في الأصل (ثلاثة عشر).

(٢) في الأصل (أيقضت).

(٣) في الأصل (وستون الف).

(٤) في الأصل (ألف).

أَرْبَعَة آلَاف أَبْيَض، وَثَلاَثَة آلاف أَسْوَد، وَوَقَفَتْ الحُجَّاب وَهُمْ سَبْعِمَائَة، وَزَيَّنَتْ الدَّار بِثَمَانِيَةِ آلاف وَثَلاَثِينَ أَلف سِتر، وَمِائَة سَبْع مَعَ مِائَة سَبَّاع. وَأُلْقِيَتِ المَرَاكِبُ فِي الدِّجْلَةِ، بِالزِّينَةِ، وَأُدْخِلَ الرَّسُولُ دَارَ الشَّجَرَةِ، وَفِيهَا بِرْكَةُ مَاءٍ وَعَلَيْهَا شَجَرَةٌ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَلَهَا ثَمَانِيَة عَشَر غُصْن عَلَى كُلِّ غُصْنٍ طَيْر مِنَ الـذَّهَبِ وَالفِضَّةِ وَوَرَقُ الشَّجَرَةِ مِنَ الفِضَّةِ وَالذَّهَبِ، وَالطُّيور تُصَفِّرُ. بِحَرَكَاتٍ مُرَتَّبَةٍ، وَكَانَ يَوْمـاً مَشْهُوداً(١). وَاسْتَمَرَّ المُقْتَدِرُ عَلَى خِلاَفَتِهِ إِلَى أَنْ حَصَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الحَاجِبِ مُؤْنِسٍ الخَادِمِ وَحْشَةٌ فَهَرَبَ مُؤْنِسٌ إِلَى المَوْصِلِ وَمَلَكَهَا، وَجَمَعَ العَسَاكِرَ وَعَادَ إِلَى بَغْدَاد فَخَرَجَ إِلَى حَرْبِهِ المُقْتَدِر فَقُتِلَ وَحُمِلَ رَأْسُهُ عَلَى رُمْحٍ إِلَى عِنْدِ مُؤْنِس سَنَة تِسْع عَشْرَة وَثَلاَثِمَائَةِ(٢)، ثُمَّ صَلَبُوا جُثَّةَ المُقْتَدِرِ وَهُو(٣) مَكْشُوف العَوْرَة، فَلاَ رَحِمَ اللَّهُ مُؤْنِساً(٤)، ثُمَّ صَادَرَ أَصْحَابَ المُقْتَدِرِ وَقَبَضَ عَلَى أُمِّهِ القَهْرُمَانَـة وَتَبِعَهُ بِـذَلِكَ الخَلِيفَة القَاهِر مُحَمَّد أَخُو المُقْتَدِر لِأَبِيهِ، وَعَذَّبَ القَهْرُمَانَة وَسَأَلَهَـا عَنِ الأَمْوَالِ فَاعْتَرَفَتْ بِمَا عِنْدَهَا مِن المَصَاغِ وَالثِّيَابِ فَضَرَبَهَا الضَّرْب الشَّدِيد، وَعَلَّقَهَا مِنْ رِجْلَيْهَا مُنَكَّسَـةً(٥) حَتَّى كَانَ يَجْرِي بَوْلُهَا عَلَى وَجْهِهَا. وَمَاتَتْ سَنَة عِشْرِين وَثَلاَثِمائَة. ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ اقْتَصَّ مِنْ مُؤْنِس الخَادِمِ، فَقَتَلَهُ القَاهِرُ ثُمَّ فِي سَنَةِ إِحْدَى وَعِشْرِين وَثَلاَثِمائَة قَبَضَ(٦) المَمَالِيكُ عَلَى القَاهِرِ وَخَلَعُوهُ وَسَمَلُوا عَيْنَيْه وَبَقِي يَسْأَلُ النَّاسَ الصَّدَقَة وَذَلِكَ لِشِدَّةِ ظُلْمِهِ، وَقَطْعِ رَحِمِهِ، وَاللَّهُ أَعْلَم وَنَظِيرُ مَا فَعَلَ مُؤْنِسٌ الخَادِمُ بِالخَلِيفَةِ المُقْتَدِر مَا فَعَلَهُ الخَبِيثُ الحَجَّاجُ لَمَّا قَتَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزُّبَيْرِ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَقَطَعَ

---

(١) في المطبوعة (مشهوراً)، وأشار محقق المطبوعة في الهامش بقوله: (في الأصل «يوم مشهوداً») وهو خطأ والصواب هو ما ورد بالأصل وهو ما أثبته بالمتن. ويوم مشهود: أي يشهد أحداثه كثير من الناس.

(٢) في الأصل (تسعة عشر).

(٣) في الأصل (وهي).

(٤) في الأصل (مؤنس).

(٥) في الأصل (منكبة).

(٦) في الأصل (قبضوا).

رَأْسَهُ وأَمَرَ بِجُثَّتِهِ فَصُلِبَ، وَهُو مَكْشُوفُ العَوْرَة وَقِيلَ: بَلْ عَلَيْهِ ثِيابه وَتَرَكَهُ أَيَّاماً، فَدَخَلَتْ عَلَى الحَجَّاجِ أُمُّه أَسْمَاءُ ذَاتُ النِّطَاقَيْنِ، بِنْتُ الصِّدِيق رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَتْ لَهُ: أَمَا آنَ لِهَذَا الفَارِسِ أَنْ يَتَرَجَّلَ؟ فَقَالَ الخَبِيثُ: خَلُّوا عَنْهَا وَعَنْ جِيفَتِهَا! وَلمَّا رَأَتْهُ أُمُّه أَسْمَاء حَاضَتْ وَدَرَّ ثَدْيُهَا وَعُمْرُهَا مِائَة سَنَةٍ، فَقَالَتْ: حَنَّتْ عَلَيْه مَرَاتِعُه وَمَرَاضِعُه. وَنَظِيرُ ذَلِكَ مَا فَعَلَهُ اللَّعِينُ يُوسُفُ الثَّقَفِيِّ [حِينَ][1] قَبَضَ عَلَى الإِمَامِ زَيْدِ بْنِ عَلِيٍّ زَينِ العَابِدِين بْنِ الحُسَيْنِ رضِيِ اللَّهُ عَنْهُمَا. فَقَطَعَ رَأْسَهُ ثُمَّ صَلَبَ جُثَّتَهُ وَهُو مَكْشُوف العَوْرَةِ فَجَاءَ العَنْكَبُوتُ وَنَسَجَ عَلَى عَوْرَتِهِ، وَأَقَامَ أَيَّاماً مَصْلُوباً ثُمَّ أَنْزَلَهُ وَحَرَقَهُ النَّارَ. فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى قَاتِلِهِ. وَقَبرُ زَيْدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالمَوْصِلِ فِي مَحِلَّةٍ تُعْرَفُ بِالطَّارِقِ.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

[١٠٩]

جَمِيلَةُ بِنْتُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ الحَسَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ*

ابْنِ حِمْدَان صَاحِب مَدِينَة المَوْصِل، كَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّساءِ عَقْلاً وَجمالاً، وَقِيلَ: إِنَّهَا لَمْ تَتَزَوَّج لِشَهَامَةٍ عِنْدَهَا حَتَّى لاَ يَحْكُم عَلَيْهَا أَحَدٌ مِنَ الرِّجَالِ، وَقَدْ ذَكَرَ الثَّعَالِبِيُّ(١) فِي كِتَابِ «يَتِيمَة الدَّهْرِ»: فَقَالَ: كَانَتْ بَنُو حِمْدَان أَوْجُهَهُمْ لِلصَّبَاحَةِ، وَأَلْسِنَتُهُمْ لِلْفَصَاحَةِ، وَأَيْدِيهِمْ لِلسَّمَاحَةِ. وَعقُولُهُمْ لِلرَّجَاحَةِ. وَكَانَتْ جَمِيلَةُ مِنْ أَشْرَفِ نِسَاءِ زَمَانِهَا، تُكْرِمُ العُلَمَاءَ وَتُعَظِّمُ الفُضَلاَءَ، وَلَمَّا تَغَلَّبَ عَلَى أَبِيهَا أَخُوهَا(٢) أَبُو تَغْلب وَقَبَضَ عَلَى أَبِيهِ، وَسَجَنَهُ فِي قَلْعَةِ الجَرَاحِيَّةِ، وَوَكَّلَ بِهِ مَنْ يَخْدُمُهُ لِكِبَرِ سِنِّه، وَضَعْفِ قُوَّتِهِ وَرَأْيِه، فَلَمْ تَجِدْ بُدًّا(٣) جمِيلَة مِنْ مُتَابَعَةِ أَخِيهَا، وَذَلِكَ سَنَة سِت وَخَمْسِين وَثَلاَثمِائَة، وَفِي سَنَة سِت وَسِتِّينَ وَثَلاَثمِائَة، حَجَّتْ جَمِيلَةُ بِنْتُ نَاصِرِ الدَّوْلَةِ، وَكَانَ مَعَهَا أَرْبَعمَائَةِ جَارِيَة، وَتَصَدَّقَتْ عَلَى أَهْلِ الحَرَمَيْنِ، وَنَثَرَتْ عَلَى الكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ عَشْرَة آلاَفِ دِينَارٍ، وَلَمَّا تَغَلَّبَ عَضُد الدَّوْلَةِ بْنُ رُكْنِ الدَّوْلَةِ سُلْطَان العِرَاقِ عَلَى أَبِي تَغْلب وَمَلَكَ المَوْصِلَ، وَهَرَبَ أَبُو تَغْلب

(*) انظر ترجمتها: شذرات الذهب، وأعلام النساء ٢١٤/١ ـ ٢١٥.

(١) هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، ولد عام ٣٥٠ هـ في بلدة نيسابور، أما تاريخ وفاته فقد اُختُلِفَ فيه فقال بعضهم توفي سنة ٤٢٩ هـ، وقيل ٤٣٠ هـ. واشتهر بالثعالبي نسبة إلى خياطة جلود الثعالب وعملها، حيث كان والده يحترف تجارة جلود الثعالب، وقد وُهِمَ من ظنّ أن الثعالبي كان يحترف هذه المهنة والصواب أنها مهنة أبيه. انظر ترجمته:

(٢) في الأصل (أخيها).

(٣) في الأصل (بداً).

إِلَى الدَّوْلَةِ سَنَة تِسْع وَسِتِّينَ وَثَلاثمائَة، وَكَانَ مَعَهُ سَبْعمائَة غُلام مِنْ مَمَـالِيكِهِ وَمَمَالِيكِ أَبِيهِ، وَمَعَهُ أُخْتُه جَمِيلَة وَزَوْجَته بِنْتُ عَمِّه سَيْف الدَّوْلَة، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ أَمِيرُ طَيء دُغْفُلُ بْنُ مُفَرّج،وَقَتَلَ أَبا تَغْلب وَتَفَرَّقَتْ غِلْمَانُه، وَحَمَلُوا أُخْتَه جَمِيلَة وَزَوْجَتَه بِنْتَ سَيْف الدَّوْلَةِ إِلَى حَلَب، فَأَخذَ سَعْدُ الدَّوْلَةِ صَاحِب حَلَب أُخْتَه وَتَرَكَهَا عِنْدَهُ، وَأَرْسَلَ جَمِيلَة بِنْتَ عَمِّهِ إِلَى بَغْدَاد فَاعْتَقَلَهَا عَضُدُ الدَّوْلَةِ فِي حُجْرَةٍ، ثُمَّ أَرْكَبَهَا عَلَى جَمَلٍ سَنَة إِحْدَى وَسَبْعِين وَثَلاثمائَة، وَنَادَى عَلَيْها: هَذِهِ قَبِيحَة أُخْتُ أَبِي مَغْلُوب. ثُمَّ أَلْقَاهَا فِي الدِّجْلَةِ وَغَرَّقَهَا وَمَاتَتْ[1] .

---

(١) قال الزركلي في «الأعلام» توفيت سنة ٣٧١ هـ.

[١١٠]

تِرْكَان* زَوْجَة السُّلْطَان مَلك شَاه بْن البَارسلان السّلجُوقِي

تَزَوَّجها سَنَة ثَمَانِين وَأَربَعِمِائَة فَوَلَدَتْ لَهُ السُّلْطَان مَحْمُود سَنَة إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمائَة وَمَاتَ مَلك شَاه سَنَة خَمْس وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمائَة فِي بَغْدَاد، وَلَمَّا أَخْفَتْ تِرْكَان مَوْته وَفَرَّقَتِ الأَمْوَال عَلَى الأُمَـرَاءِ وَالعَسَاكِـرِ وَسَارَتْ بِهِمْ إِلَى أَصْفَهَـان، وَاسْتَحْلَفَتِ العَسَاكِرَ لِوَلَدِهَا السُّلْطَان مَحْمُود، وَعُمْرُه إِذْ ذَاكَ أَرْبَعُ سِنِين، وَقَامَتْ بِتَدْبِير المُلْك أَحْسَنَ قِيام، وَدَبَّرَ الأَمْرَ بَيْنَ يَدَيْهَا تَاجُ المُلْكِ بْنُ نِظَامِ المُلك. وَكَانَ فِي أَصْفَهَان السُّلْطَان برْكِيَارق(١) بْن السُّلْطَان مَلك شَاه فَهَرَبَ مِنْ أَصْفَهَان خَوْفاً مِنْ تِرْكَان خَاتُون وَتَوَجَّهَ نَحْوَ بَغْدَاد، وَأَرْسَلَتْ تِرْكَان خَاتُون إِلَى بَغْدَاد، وَخَطَبُوا لِوَلَدِهَا مَحْمُود فِي بَغْدَاد، وَتَقَوَّى بِرْكِيَارْق، وَاجْتَمَعَ عَلَيْه خَلْقٌ عَظِيم، وَمَلَكَ بَعْضَ البِلَاد، فَبَلَغَ ذَلِكَ تِرْكَان خَاتُون فَجَهَّزَت العَسَاكِرَ لِحَرْبِ بِرْكِيارق مَعَ الوَزِيرِ تَاجِ الملك، فَحَارَبَهُمْ بِرْكِيارق وَهَزَمَهُمْ، وَقُتِلَ: تَاجُ الملك سَنَة سِت(٢) وَثَمَانِينَ وَأَربَعِمِائَة وَقَدِمَ بِرْكِيارق وَحَاصَر أَصْفَهَان وَكَانَتْ تِرْكَان خَاتُون مَرِيضَةً وَمَاتَتْ وَهِي مُحَاصَرَةٌ سَنَة سَبْع وَثَمَانِين وَأَرْبَعِمائَة، وَأَصَابَ وَلَـدَهَا السُّلْطَانَ مَحْمُـود جُدَرِيٌ وَمَاتَ بَعْدَهَا بِأَيَّامٍ قَلَائِل، وَمُدّة مُلْكِهِ سنَتَان(٣) وَأَيام قَلَائِل، وَطَمَعَ بِرْكِيارق وَمَلَكَ أَصْفَهَان وَجَمِيع مَمْلَكَةِ أَبِيه، وَاسْتَقَرَّ المُلْكُ لَهُ، وَاللَّه البَاقِي.

(*) انظر ترجمتها: النجوم الزاهرة ١٦٢/٥، الكامل ١٤٥/٨ و١٦٣، وأعلام النساء ١٦٩/١ - ١٧١.

(١) في المطبوعة (بركياروق) والصواب ما أثبت عن الكامل، وأعلام النساء، وقد تكرر الاسم عدة مرات وسيصوب دون الإشارة إلى ذلك.

(٢) في الأصل (ستة).

(٣) في الأصل (سنتين).

[١١١]

زُمُرُّد* بِنْتُ جَاوْلِي صَاحِبُ مَدِينَةِ المَوْصِلِ

تَزَوَّجَها تَاجُ الدِّينِ بُورِي بْنُ صَغْتَكِين صَاحِبُ مَدِينَة دِمشق، وَأَصْدَقَهَا أَرْبَعِين[١] أَلْفَ دِينَارٍ وَتُحف، وَحَظِيَتْ[٢] عِنْدَهُ، وَوَلَدَتْ لَهُ مونح وَمُحَمَّداً وَشَمْسَ المُلُوكِ[٣] إِسْمَاعِيل وَشَهَابَ الدِّينِ مَحْمُود، وَهِيَ الَّتِي بَنَتْ المَدْرَسَة ظَاهِرَ دِمشْق سَنَة أَرْبعَ وَعِشْرِين وَخَمسِمِائَة، وَأَوْقَفَتْ لَهَا أَوْقَافاً كَثِيرَة، وَتُوفي زَوْجُهَا تَاجُ المُلكِ بُورِي سَنَة سِت وَعِشْرِين وَخَمْسِمِائَة وَسَبَبُ مَوْتِهِ أَنَّ البَاطِنِيّة وَثَبُوا عَلَيْهِ وَجَرحُوه جُرْحَيْنِ بَرَأَ وَاحِدٌ مِنْهُمَا[٤] وَالآخَرُ نَسَرَ وَمَاتَ بِه، وَمَلَكَ الشَّامَ بَعْدَهُ[٥] وَلَدُه شَمْسُ المُلُوكِ إِسْمَاعِيلُ وَكَانَ ظَالماً قَبَضَ عَلَى أَخِيه وَقَتَلَهُ، سَنَة سَبْعٍ وَعِشْرِين وَخَمْسِمَائَة، وَفِي سَنَة ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَخُمْسِمِائَة اتَّفَقَتْ[٦] أَمَةُ زُمُرُّد مَعَ رَجُلٍ مِنْ أُمَرَاء دَوْلَتِهِمْ وَسَقَتْهُ السُّمّ، وَمَاتَ وَقِيلَ: كَرِهَتْ ظُلْمَه عَلَى الرَّعِيَّة فَدَسَّتْ عَلَيْهِ مَنْ قَتَلَهُ. وَمَلَكَ دِمشْق بَعْدَه أَخُوه[٧] شَهَاب الدِّين مَحْمُود وَاسْتَمَرَّ المُلْك بِيَدِهِ إِلَى سَنَة اثْنَتَيْنَ وَثَلاثِين وَخُمْسِمِائَة فَقَدِمَ عِمَادُ الدِّين زِنْكِي وَمَلَكَ حِمْص وَحِصْن المُجَدّل،

(*) انظر ترجمتها: شذرات الذهب، وأعلام النساء ٢/ ٣٧ ـ ٣٥. وفيات الأعيان.

(١) في الأصل (أربعون).

(٢) في الأصل (حضيت).

(٣) في الأصل (الملك) والتصويب عن أعلام النساء.

(٤) في الأصل (منهم).

(٥) في الأصل (بعد).

(٦) في الأصل (انهمت).

(٧) في الأصل (أخاه).

وَتَزَوَّج زُمُرد خَاتُون طَمَعاً فِي دِمِشْق ،وَقَتَلَ مَحْمُود سَنَة ثَلاَثٍ وَثَلاثِينَ وَخَمْسِمَائَة ، وَكَرِه عِمَادُ زُمُرُّد خَاتُون لمَّا عَجز عَنْ ملكِ دِمِشْق وَطَلَّقَهَا، وَأَقَامَتْ إِلَى أَنْ مَاتَ عِمَادُ الدِّين فَتَزَوَّجَتْ زُمُرُّد بِرَجُلٍ بَاقِلاَّنِي لِفَقْرِهَا وَشِدَّةِ احْتِيَاجِهَا، فَكَانَ إِذَا لَطَمَهَا زَوْجُهَا تَقُولُ: لَوْ عَرَفْتَنِي لَمَا ضَرَبْتَنِي ، وَتُوفِّيَتْ[1] زُمُرّد سَنَة خَمْسٍ وَأَرْبَعِين وَخَمْسِمِائَة[2].

(١) في الأصل (توفت).

(٢) في أعلام النساء: أنها توفيت سنة ٥٥٧ هـ ودفنت بالبقيع.

[١١٢]

زُمُرُّد* زَوْجَةُ الأَمِيرِ طغْتَكِين بْن أَيُّوب الأَيُّوبِي

صَاحِبَ بِلَادِ اليَمَن

وَلَدَتْ لَهُ المُعِزَّ إِسْمَاعِيل وَالنَّاصِر أَيُّوب، وَمَاتَ طَغْتَكِين فِي اليَمَنِ سَنَة ثَلاث وَتِسْعِين وَخَمْسُمِائَةٍ، فَمَلَكَ اليَمَنَ بَعْدَه وَلَده المُعِزّ إِسْمَاعِيل، وَكَانَ ظَالِماً مُخبطاً، ادَّعى أَنَّه قُرَشِي أُمَوِي وَلَبِسَ الخُضْرَةَ، وَخَطَبَ لِنَفْسِهِ بِالخِلَافَةِ فَقَتَلَهُ[1] مَمَالِيكُ أَبِيهِ بَعْدَمَا وَافقتهُمْ أُمّه زُمُرّد، وَأَقَامَتْ وَلَدَهَا الصَّغِير أَيُّوب. وَصَارَ أَتَابكه الأَمِير سَيْف الدِّين سُنْقُر، وَمَاتَ بَعْدَ أَرْبَع سِنِين فَصَارَ أَتَابِكَهُ الأَمِيرُ غَازِي بْنُ جِبْرَائِيل، وَتَزَوَّجَ زُمُرّد أُمَّ النَّاصِر، ثُمَّ طَغَى الأَمِيرُ غَازِي، وَطَمَعَ فِي بِلَادِ اليَمَنِ وَسَمَّ النَّاصِر فَمَاتَ، فَاجْتَمَعَتْ العَرَبُ وَقَتَلُوا الأَمِير غَازِي وَخَلَت اليَمَن فَتَغَلَّبَتْ زُمُرُّد أُمُّ النَّاصِر، وَمَلَكَتْ زَبِيد، وَأَخْرَجَتْ الأَمْوَال وَأَنْفَقَتْ عَلَى العَسَاكِرِ، وَأَقَامَتْ تَنْتَظِرُ مَنْ يَقْدَم مِنْ بَنِي أَيُّوب لِيَمْلِكَ بِلَاد اليَمَنِ وَتَتَزَوَّج بِهِ، وَأَرْسَلَتْ زُمُرُّدُ بَعْضَ غِلْمَانِهَا إِلَى مَكَّة فِي مَوْسِم الحَجِّ[2] لِيَأْتِيهَا بِأَخْبَارِ مِصْر وَالشَّام، فَوَجَدَ سُلَيْمَانَ بْن شَاهِنْشَاه بْنِ أَيُّوب، وَكَانَ فَقِيراً، فَحَمَلَهُ مَعَهُ ذَلِكَ الغُلَام إِلَى اليَمَنِ، وَأَحْضَرَهُ عِنْدَ زُمُرد فَتَزَوَّجَتْ بِهِ وَمَلَّكَتْهُ اليَمَنَ فَمَلأ اليَمَنَ جَوْراً، وَلَمْ يَرْعَ حَقَّ زُمُرد وَطَرَحَهَا وَأَعْرَضَ عَنْهَا، وَكَتَبَ إِلَى عَمِّه المَلِك العَادِل كِتَاباً أَوَّله: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ

(*) انظر ترجمتها: . . . ، والمستظرف من أخبار الجواري ص ٣١، وأعلام النساء ٢/ ٣٩.

(١) في الأصل (فقتلوه).

(٢) في الأصل (الحاج.

الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾[1] فَاسْتَقَلَّ عَقْلَه وَأَهْمَلَه، وَتُوفِّيتْ[2] زُمُرد أمّ النَّاصِر فِي حُدُودِ سَنَة سِتْمِائَة[3] وَاللَّهُ أَعْلَم. وَفِي سَنَة اثْنَتي عَشْرَة وَسِتّمِائَة، أَرْسَلَ المَلِكُ الكَامِلُ ابْنُ العَادِلِ وَلَدَه المَلِكَ المَسْعُود يُوسُف إلَى اليَمَنِ فِي جَيْشٍ عَظِيمٍ فَمَلَكَ اليَمَنَ وَقَبَضَ عَلَى سُلَيْمَان وَبَعَثَهُ إلَى مِصْر فَأَجْرَى لَهُ الكَامِلُ مَا يَقُومُ بِهِ إلَى أَنْ مَاتَ.

---

(١) سورة النمل، الآية ـ ٣٠.

(٢) في الأصل (توفت).

(٣) في المستظرف: أنها توفيت سنة ٥٩٩.

[١١٣]

ضَيْفَةُ بِنْتُ المَلِكِ العَادِلِ أَبِي بَكْرٍ أَيُّوب

مَوْلِدُهَا سَنَة إِحْدَى وَثَمَانِين وَخمسمائَة بِقَلْعَةِ حَلَبْ، وَلَمَّا وُلِدَتْ كَانَ عِنْدَ أَبِيهَا ضَيْفٌ فَسَمَّاهَا أَبُوهَا ضَيْفَة تَزَوَّجَهَا المَلِكُ الظَّاهر [١] غَازِي بْن صَلَاح الدِّين يُوسُف صَاحِبُ حَلَب سَنَة تِسْع وَستمائَة، وَذَلِكَ بَعْدَ وَفَاةِ[٢] أُخْتِهَا مَلِكَة ، وَلَمَّا عَقَدَ عَلَيْهَا أَصْدَقَهَا خَمْسِين[٣] أَلْفَ دِينَار، وَاحْتَفَلَ الظَّاهِرُ لِمُلْتَقَاهَا بِالنَّفَائِس ، وَمَاتَ عَنْهَا الظَّاهِرُ سَنَة ثَلَاث عَشْرَة وَستمائَة[٤] فَمَلَكَ حَلَب ابْنُهَا المَلِكُ العَزِيزُ مُحَمَّد[٥]، وَدَبَّرَتْهُ أُمُّهُ ضَيْفَة خَاتُون إِلَى أَنْ كَبُرَ [وَطَالَتْ][٦] أَيَّامُه، وَتُوفي العَزِيز مُحَمَّد سَنَة أَرْبَع وَثَلَاثِينَ وستمائَة. فَمَلَكَتْ حَلَبَ ضَيْفَةُ خَاتُون إِلَى أَنْ كَبُرَ المَلِكُ النَّاصِرُ يُوسُفُ بْنُ العَزِيزِ مُحَمَّد، وَدَبَّرَتِ المُلْكَ أَحْسَنَ تَدْبِير إِلَى أَنْ بَلَغَ عُمَرُ ابْن ابْنِهَا

---

(١) كان الملك الظاهر شديد السيرة ضابطاً لأموره كلها، كثير الجمع للأموال من غير جهاتها المعتادة، عظيم العقوبة على الذنب، انظر: الكامل ٩/٣١٢.

(٢) في الأصل (وفات).

(٣) في الأصل (خمسون).

(٤) انظر وفاته «الكامل» ٩/٣١٢.

(٥) قال ابن الأثير في «الكامل» ٩/٣١٢: (ولما اشتدت علة الملك الظاهر عهد بالملك بعده لولد له صغير اسمه محمد، ولقبه الملك العزيز عمره ثلاث سنوات، وعدل عن ولد كبير، لأن الصغير كانت أمه ابنة عمه الملك العادل أبي بكر بن أيوب صاحب مصر ودمشق، وغيرها من البلاد، فعهد بالملك له ليُبْقي عمه البلاد عليه، ولا ينازعه فيها.

انظر: «الكامل» ٩/٣١٢.

(٦) زيادة يقتضيها السياق.

[١١٥]

مَلَكَةُ بِنْتُ المَلِكِ العَادِلِ أَبِي بَكْرِ بْنِ أَيُّوبَ*

كَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ خَلْقاً، وَأَحْسَنِهُنَّ خُلُقاً، وَأَزْكَاهُنَّ فَرْعاً، وَأَوْفَاهُنَّ(١) طَبْعاً، تَزَوَّجَهَا المَلِكُ المَنْصُور مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ المَلِكِ، وَقِيلَ: مُحَمَّدُ بْنُ مَحْمُود بْنِ عُمَر(٢) بْنِ شَاهِنْشَاه(٣) بْنِ أَيُّوب، وَهُوَ صَاحِب حَمَاة(٤)، وَأَصْدَقَهَا أَرْبَعِينَ(٥) أَلْفَ دِينَار، وَدَخَلَ بِهَا فَحَمَلَتْ مِنْهُ بِالمُظَفَّر مَحْمُود وَشَغَفَ فِيهَا، وَلَمَّا كَبُرَ المُظَفَّرُ أَخَذَ لَهُ المَنْصُور أَبُوه العَهْدَ عَلَى حَمَاة سَنَةَ سِت عَشْرَة(٦) وَستمائَة، وَجَعَلَهُ وَلِي عَهْدِه، وَأَرْسَلَ مَعَهُ جَيْشاً لِنَجْدَةِ المَلِكِ الكَامِلِ بِمِصْرَ فَسَارَ المُظَفَّرُ مَحْمُود وَقَدِمَ إِلَى مِصْرَ فَأَكْرَمَهُ الكَامِلُ، وَأَنْزَلَهُ فِي المَيْمنةَ مَنْزِلَةَ أَبِيهِ وَجَدِّه، وَبَعْدَ تَوَجُّهِ المُظَفَّر مِنْ حماة تَمَرَّضَتْ مَلَكَةُ أَيَّاماً، وَمَاتَتْ فَحَزِنَ عَلَيْهَا زَوْجُهَا المَلِكُ المَنْصُور، وَلَبِس الحِدَاد. قَالَ ابْنُ وَاصِل: رَأَيْتُه، وَأَنَا ابْنُ اثْنَتَي عَشْرَة سَنَةً، يَوْمَئِذ، وَقَدْ لَبِسَ ثَوْباً أَزْرَق وَعِمَامَة زَرْقَاء(٧)، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ حُسَامُ الدِّين بْنُ الجِنْدِي الكُرْدِي مِنْ قَصِيدَةٍ يَرْثِيهَا:

(*) انظر ترجمتها: تاريخ ابن الوردي ١٣٨/٢، عن «مهذب الروضة» وقد ترجمها أيضاً برقم [١١٤].

(١) في الأصل (أرقاهن).

(٢) في الأصل (عمر بن).

(٣) في الأصل (شانشاه).

(٤) في الأصل (حياة).

(٥) في الأصل (أربعون).

(٦) في الأصل (عشر).

(٧) في الأصل (زرقها).

الطَّرْفُ فِي لُجَّةٍ والقَلْبُ فِي سَعَـر ... لَـهُ دُخـانٌ زَفِيـرٌ طَـارَ بِـالشَّـرَرِ
لَـوْ كَانَ مَنْ مَـاتَ يُفْدَى قَبْلَهَـا لَفَدَى ... أُمَّ الـمُـظَفَّـر آلافٌ مِـنَ الـبَـشَـرِ
مَا كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ غَـرُبتْ ... حَتَّى رَأَيْتُ الـدُّجى مُلْقىً عَلَى القَمرِ

وَفِي المَرَاثِي قَوْلِي أَرْثِي أَحَدَ أَوْلَاد العَمِّ، فَمِنْهَا قَوْلِي:

لَـوْ كُنْتَ تُفْـدَى مِنْ أَذَى[1] وَمَنِيَّـة ... لَـفُـدِيـتَ بِـالآبَـاءِ وَالأَبْـنَـاءِ
أَوْ كُنْتَ تُشْتَـرَى لاشْتَـرَيْتُـكَ رَابِحـاً ... بِـالـمَـالِ وَالأَمْـلَاكِ وَالأَحْـيَـاءِ
يَـا دَهْـرُ وَيْحَـك مَـا تَـرَكْتَ مُصِيبَـةً ... إلَّا وَقَـدْ أَلْـقَـيْـتَـهَـا بِـفِـنَـاءِ

وَلأَخِي أَمِين العَمرِيّ الخَطِيب يَرْثِي وَالِدَهُ خَيْر اللّهِ العَمَرِيّ فَمِنْهَا:

فَلَو اسْتَطَعْتُ جَعَلْتُ نَعْشَك مُهْجَتِي ... وَتَـرَكْتُ شَخْصَكَ فِي ضَمِيـرِي يُقْبَـرُ
وَلَـو انَّ مَحْـزُونـاً تَكَلَّفَ فَـوْقَ مَـا ... فِي وسعِـهِ لَبَكَى عَلَيْـكَ الْـمِنْـبَـرُ
وَنَعَـاكَ مِحْـرَابٌ بَـقِيْتَ بِجَـوْفِـهِ ... لِلَّهِ فِي جُـنـحِ الـظَّلَامِ تُـكَـبِّـرُ
وَبَـكَـاكَ أَوْرَادٌ أَلِـفْـتَ دُعَـاءَهُ[2] ... حُججَـاً وَحَنَّ لَكَ الْكِتَـابُ الأَزْهَرُ
فَـالْفِقْـهُ بَعْـدَكَ فِي حَنِيـنٍ مُتَيَّـم ... وَالنَّحْـو والتَصْـرِيفُ عَنْـكَ مُـقَـرَّرُ

وَهِي طَوِيلَةٌ، وَمِثْلُهَا قَوْلُ عَبْد اللّهِ بِك بْن أَمِين بِك يَرْثِي وَالِدِي، وَمِنْهَا:

فَـلَا خَيْـرَ فِي أَوْقَـاتِـه لِـذَوِي النُّهَى ... إذَا كَـانَ خَيْرُ اللّهِ مِنْ لَـوْحِـهِ مَمْحُـو
كَـرِيمٌ نَشَـا بِـالمَكْـرُمَـاتِ فَعُمْـرُه ... تَنَاهَى بِكَسْبِ الخَيْرِ مِنْ بَعْضِهِ النُّضح
قَضَى فَقَضَى مِنْ بَعْده العِلمُ وَالحِجَا ... وَمن أُفْقِ لَيْلِ الجَهْلِ قَدْ أَفْقَدَ الصُّبح

وَقَوْلِي مِنْ قَصِيدَة أُخْرَى أَرْثِي أَحَدَ أَوْلَادِ العَمّ فَمِنْهَا:

يَعِـزُّ لِعَيْنِـي أَنْ تَمَـلَّ مِنَ البُـكَـا ... عَلَيْـهِ وَقَلْبِي أَنْ يَمَـلَّ مِـنَ الصَّـبْـرِ
فَمَنْ لِمُـرِيـدِ الفِقْـهِ وَالنَّحو بَعْـدَهُ ... وَمَنْ لِـذَوِي التَسْـآل والفَهْمِ والفِكْـرِ
فَيَـا قَلْبُ لَا تَجْـزَعْ وَنَـادِي تَـأَسُّفـاً ... لَقَدْ غَابَ فِي بَـطْنِ الثَّرَى غُـرَّة البدرِ

---

(١) في الأصل إذا.
(٢) في الأصل (دعاؤه).

ثَلاَثَ عَشْرَة[1] سَنَة، فَأُشْهِدَ عَلَيْهِ أَنَّه بَلَغَ وَأَدْرَكَ الحُلُمَ فَتَسَلَّمَ حَلَبَ وَمُضَافَاتِهَا، وَالمرْجِع إِلَى إِقْبَال الأَسْوَد الخَصِيّ، وَتُوفيتْ ضَيْفَةُ خَاتُون بِالحُمَّى وَالقُرْحَةِ، وَدُفِنَتْ فِي قَلْعَة حَلَبْ وَعَاشَتْ نَحْوَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ سَنَةً وَكَانَتْ مِنْ أَصْحَابِ الرَّأْي وَالكَمَال.

(١) في الأصل (ثلاثة عشر).

[١١٤]

مَلِكَةُ بِنْتُ العَادِلِ أَبِي بَكْر بْن أَيُّوب*

تَزَوَّجَهَا المَلِكَ الظَّاهِر غَازِي بْن صَلاح الدِّين يُوسُف صَاحِب حَلَب قَبْلَ أُخْتها ضَيْفَة، وَأَصْدَقَهَا خَمْسِين[١] أَلْف دِينَار، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ نِسَاءِ زَمَانِهَا وَأَحَبَّهَا[٢] وَشَغَف بِهَا، فَوَلَدَتْ لَهُ المَلِكَ المُظَفَّرَ مَحْمُود وَقِيلَ: كَانَ اسْمُهَا غَازِيَّة، وَمَاتَتْ سَنَة تِسْع وَستمائَة.

(*) انظر ترجمتها: النجوم الزاهرة ٦/٣١.

(١) في الأصل (خمسون).

(٢) في الأصل (وحبها).

[١١٦٦]

رَبِيعَةُ بِنْتُ نَجْمِ الدِّين أيُّوب (*)

وَهِي أُخْتُ السُّلْطَان صَلَاح الدِّين يُوسُف لِأُمِّه وأَبِيه

كَانَتْ مِنْ أَهْلِ الصَّلَاحِ وَالدِّين، تُكْرِمُ العُلَمَاءَ، وَتُنْعِمُ عَلَى الفُضَلَاءِ، أَرَادَ أَنْ يُزَوِّجَهَا المَلِكُ الكَامِلُ بْنُ العَادِلِ لِوَزِيرِهِ الفَاضِل فَامْتَنَعَتْ وَأَبَتْ، وَهِي الَّتِي بَنَتْ المَدْرَسَة الحَنْبَلِيَّة فِي جَبَلِ الصَّالِحِيَّةِ، وَجَعَلَتْ لَهَا أَوْقَافاً، وَجَعَلَتْ لِلْمُدرِّس كُلَّ يَوْم دِرْهَمَيْنِ (١) وَلِلْمُعِيدِ دِرْهَماً (٢)، وَلِلْطَلَبَةِ كُلّ وَاحِد نِصْفَ دِرْهَم، وَيَكُونُ طَلَبَةُ العِلْمِ عِشْرِين (٣)، وَاسْتَمَرَّتْ المَدْرَسَةُ زَمَاناً إِلَى أَنْ انْقَرَضَتْ دَوْلَةُ (٤) الأَيُوبِيين فَلَمْ تَبْقَ (٥) عَلَى التَّرْتِيبِ وَانْهَدَمَتْ، وَتُوفِّيتْ رَبِيعَةُ خَاتُون سَنَة ثَلَاثَة وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَة، وَقَدْ جَاوَزَتْ الثَّمَانِينَ سَنَةً، وَلَمْ يَسْقُطْ ضِرْسٌ مِنْ أَضْرَاسِهَا.

(*) انظر ترجمتها: البداية والنهاية، النجوم الزاهرة، الدارس، أعلام النساء ١/٤٤٣ ـ ٤٤٤.

(١) في الأصل (درهمان).

(٢) في الأصل (درهم).

(٣) في الأصل (عشرون).

(٤) في الأصل (دولت).

(٥) في الأصل (تبقى).

[١١٧]

شَجَرُ الدُّرِّ* جَارِيَةُ الصَّالِحِ أَيُّوب

وَقِيلَ: زَوْجَته، وَلِفَرْطِ جَمَالِهَا سَمَّاهَا الصَّالِحُ شَجَرَ الدُّر، وَحَظِيَتْ(١) عِنْدَه، وَأَحَبَّهَا، وَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُ، وَقِيلَ: وَلَدَتْ لَهُ وَلَداً سَمَّاهُ خَلِيل وَمَاتَ، وَهُو صَغِير، وَلَمَّا مَاتَ الصَّالِحُ أَيُّوب سَنَة سَبْع وَأَرْبَعِين وَسِتِّمِائَة، فَأَحْضَرَتْ شَجَرُ الدُّرِّ فَخْرَ الدِّين بْنَ الشَّيْخ، وَمُحْسِن الطَّوَاشِي، وَجَمَعُوا الأُمَرَاءَ مِنْ وَرَاءِ حِجَاب، وَقَالَتْ لَهُمْ: السُّلْطَانُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا لِوَلَدِهِ المُعَظَّم، فَإِنَّه عَهِد لَهُ بِالمُلْك مِنْ بَعْدِهِ وَجَعَلَ أَتَابِكَه (٢) ابْنَ الشَّيْخِ فَخْرَ الدِّين، وَيَأْمُرُكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا أَيْضاً لأَتَابِكَهُ، فَحَلَفُوا لَهُ، ثُمَّ أَظْهَرَتْ شَجَرَ الدُّرْ مَوْتَ الصَّالِح أَيُّوب. بَعْدَمَا أَرْسَلَتْ [وَ](٣) اسْتَدْعَتْ المُعَظَّمَ ابْنَ صَالِح أَيُّوب. وَكَانَ فِي مَدِينَةِ كِيفَا، وَشَاعَ مَوْتُ الصَّالِح فَتَقَدَّمَت الإِفْرِنْج إِلَى جِهَةِ مِصْرَ، وَطَمِعُوا فِي المُسْلِمِينَ، وَوَقَعَتْ وَقْعَة عَظِيمَة، وَقُتِلَ فَخْرُ الدِّين بْنُ الشَّيْخِ مُسْتَهَلّ رَمَضَان، ثُمَّ نَصَرَ اللَّهُ المُسْلِمِينَ، وَأَخَذُوا(٤)

(*) انظر ترجمتها: حسن المحاضرة ٢/٣٦، والمستظرف من أخبار الجواري ص ٣٥ ـ ٣٦. وأعلام النساء ٢/٢٨٦ ـ ٢٩٠ وقد ورد اسمها في المطبوعة (شجرة الدر) وأورد اسمها السيوطي في كتابه «المستظرف من أخبار الجواري». و«حسن المحاضرة» (شجر الدر)، وعلق الأستاذ / محمد أبو الفضل محقق الكتاب على ذلك بقوله: (كذا أورد اسمها في الأصل وهو الصواب) وهو ما أثبته بالمتن دون الإشارة إلى ذلك لكثرة وروده.

(١) في الأصل (حضيت).

(٢) أتابكه: لفظ يُطلق على مقدم العساكر أو القائد العام، وهو لفظ تركي أصله: (أطابك).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) في الأصل (أخذو).

مِنَ الإِفْرِنْجِ اثْنَيْنِ وَثَلاثِينَ مَرْكباً[١] وَهَرَبَ[٢] الإِفْرِنْج. ثُمَّ قَدِمَ المُعَظَّمُ وَبَايَعُوه، وَجَدَّدُوا البَيْعَةَ بِمِصْر، وَذَلِكَ سَنَة سَبْع وَأَرْبَعِينَ [وَسِتِّمَائَة][٣] وَتَجَهَّزَ بِالعَسَاكِرِ مِنْ مِصْر سَنَة ثَمَان وَأَرْبَعِينَ وَسِتِّمِائَة وَحَارَبَ الإِفْرِنْجَ وَكَسَرَهُمْ. وَقُتِلَ مِنَ الإِفْرِنْجِ سَبْعَة آلاف وَمِنَ المُسْلِمِينَ مِائَة، وَأُسِرَ مَلِكُ الإِفْرِنْج ثُمَّ أُطْلِقَهُ، وَشَرَعَ المُعَظَّمُ فِي إِبْعَادِ أُمَرَاءِ أَبِيه، وَتَقَرَّبَ غَيْرُهُمْ فَمَقَتُوه ثُمَّ قَتَلُوه، فَأَقَامَتْ بِالمَمْلَكَةِ شَجَرُ الدُّرّ، وَخُطِبَ بِاسْمِهَا، وَضُرِبَ السِّكَّة بِاسْمِهَا، وَكَانَ نَقْشُ السِّكَّة: المُسْتَعْصِمِيَّة الصَّالِحِيَّة مَلِكَةُ المُسْلِمِين وَالِدَة المَلِكِ المَنْصُور خَلِيل.

وَجَعَلَتْ عَلامَتَهَا عَلَى التَّوَاقِيعِ وَالمَنَاشِيرِ: وَالِدَةُ خَلِيل. وَصَارَ أَتَابِك العَسَاكِرِ عِزّ الدِّين أَيْبَك. ثُمَّ إِنَّ فَرَنْس مَلِكُ الإِفْرِنْجِ تَقَدَّمَ إِلَى نُوَّابِه وَسَلَّمَ دِمْيَاط لِلْمُسْلِمِينَ، وَأُطْلِقَ فَرَنْس[٤]. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ ابْنُ مَطْرُوح[٥]:

قُلْ[٦] لِلْفَرَنْسِيس إِذَا جِئْتَهُ ... مَقَالَ صِدْقٍ عَنْ[٧] قَوُولٍ نَصِيحْ[٨]
أَتَيْتَ مِصْرَ تَبْتَغِي مُلْكَهَا ... تَحْسَبُ أَنَّ الزَّمْرَ يَا طَبْلُ رِيحْ[٩]

---

(١) في الأصل (مركب).

(٢) في الأصل (وهربوا).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) قال السيوطي في «حسن المحاضرة» ٢/٣٦ (ثم اتفقت شجر الدر والأمراء على إطلاق الفرنسيس بشرط أن يردوا دمياط إلى المسلمين، ويعطوا ثمانمائة ألف دينار عوضاً عما كان بدمياط من الحواصل، ويطلقوا أسراء المسلمين، فأطلق على هذا الشرط. فلما سار إلى بلاده أخذ في الاستعداد والعوْد إلى دمياط، فندمت الأمراء على إطلاقه... فلم ينشب الفرنسيس أن أهلكه الله، وكفى المسلمين شره).

(٥) هو الصاحب جمال الدين بن مطروح. وقد أورد القصيدة السيوطي في «حسن المحاضرة» ٢/٣٧، وابن تغرى في النجوم الزاهرة، وهي قصيدة عدد أبياتها عشرة أبيات أورد المصنف مثل هذه الأبيات.

(٦) في المطبوعة (قال): والصواب ما أثبت عن حسن المحاضرة، والنجوم الزاهرة.

(٧) في حسن الحاضرة، والنجوم (من).

(٨) في المطبوعة (فصيح).

(٩) هكذا في النجوم، وفي حسن المحاضرة بالطبل ريح.

وَكُلُّ أَصْحَابِكَ أَوْرَدْتَهُمْ[1] بِحُسْنِ تَدْبِيرِكَ بَطْنَ الضَّرِيحْ
خمسُونَ أَلْفاً[2] لا تَرَى[3] مِنْهُمُ غَيْرَ قَتِيلٍ أَوْ أَسِيرٍ[4] جَرِيحْ
وَقُلْ لَهُمْ إِنْ أَضْمَرُوا عَوْدَةً لِأَخْذِ ثَأْرٍ أَوْ لِقَصْدٍ[5] صَحِيحْ
دَارُ ابنِ لُقْمَانَ عَلَى حَالِهَا وَالْقَيْدُ بَاقٍ وَالطَّوَاشِي صَبِيحْ

ثُمَّ إنَّ شَجَرَ الدُّرِّ تَزَوَّجَتْ عِزَّ الدِّين أَيْبَك، وَاسْتَقَلَّ بِالسَّلْطَنَة وَطَالَتْ أَيَّامُه، وَخَطَبَ بِنْتَ بَدْر الدِّين لُؤْلُؤ صَاحِب المَوْصِلِ فَبَلَغَ ذَلِكَ شَجَرَ الدُّرِّ فَغَضِبَتْ لِذَلِكَ وَلَمَّا دَخَلَ عِزُّ الدِّين أَيْبَك الحَمَّام جَهَّزَتْ شَجر الدُّرّ الجُوهَرِي وَالخُدَّامَ. فَدَخلُوا عَلَى أَيْبَك وَقَتَلُوه[6] فِي الحَمَّام، وَبَلَغَ ذَلِكَ مَمَالِيك أَيْبَك فَعَزَمُوا عَلَى قَتْلِ شَجَر الدّرّ فَحَمَاهَا[7] مَمَالِيك الصَّالِح، وَنُقِلَتْ شَجَر الدُّرّ إِلَى البُرْجِ الأَحْمَرِ، ثُمَّ قَتَلُوهَا سَنَة خَمْسٍ[8] وَخَمْسِينَ[9] وَسِتِمائَة.

---

(١) في حسن المحاضرة والنجوم (أودعتهم).

(٢) هكذا في النجوم، وفي حسن المحاضرة (تسعين ألفا).

(٣) في المطبوعة (لا يرى)، والصواب ما أثبت عن حسن المحاضرة، والنجوم.

(٤) في حسن المحاضرة والنجوم (إلا قتيلاً أو أسيراً).

(٥) في حسن المحاضرة والنجوم (لعقد).

(٦) ذكر السيوطي في «حسن المحاضرة» ٢/٣٨: أنه قتل في أواخر ربيع الأول سنة خمس وخمسين، وأقيم بعده ولده علي، ولُقِّب المنصور.

(٧) في الأصل (فحموها).

(٨) في المطبوعة (خمس).

(٩) في الأصل (خمسون).

[١١٨]

أُمُّ الوَاحِدِ بِنْتُ القَاضِي العَلاَّمَةُ الحُسَين المحَامِلِي *

كَانَتْ مِنْ أَهْلِ الدِّينِ وَالصَّلاَحِ، قَرَأَتْ القُرْآنَ وَحَفِظَتْهُ مُجَوّداً، وَكَانَتْ حَسَنَةَ الصَّوْتِ، ثُمَّ قَرَأَتْ الفِقْهَ، وَالنَّحْوَ وَعِلْمَ الفَرَائِضِ، وَأَتْقَنَتْ الجَمِيعَ، وَدَرَّسَتْ فِي دَارِهَا النِّسَاء المُخَدَّرَات، قَرَأَ[١] عَلَيْهَا كَثِيرٌ مِنَ النِّسَاءِ، وَكَانَ فِي عَصْرِهَا وَقُطْرِهَا لاَ تَحْتَاجُ النِّسَاء إلى سُؤَال مَسْأَلَة[٢] لِأَحَدٍ مِنَ العُلَمَاءِ لِأَنَّهَا[٣] كَفَتْ الجَمِيعَ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْه، وَهُوَ قِرَاءَة[٤] القُرْآن، وَمَسَائِل الفِقْه وَالفَرَائِض، قِيلَ: إِنَّ امْرأَةً سَأَلَتْهَا يَوْماً فَقَالَتْ: مَا تَقُولُ سَيدتنا فِي جُنُبٍ وَحَائِضٍ وَمَيِّتٍ، كَانُوا فِي البَرِّ وَعِنْدَهُمْ مَاءٌ يَكْفِي لِأَحَدِهِمْ، أَيُّهُمَا يَتَقَدَّمُ؟ فَقَالَتْ: تَقَدَّم الحَائِض لِأَنَّ مَاءَ غُسْلِهَا فَرْضٌ عَلَى زَوْجِهَا الجُنُبِ، وَيَتَيَمَّمُ هُو ثُمَّ المَيِّت أَيْضاً، وَإِنَّمَا تُقَدَّم لِأَنَّهَا

(*) وفي المطبوعة (أم الواحد) وما أثبت عن «تاريخ بغداد».

هي أمة الواحد بنت القاضي أبي عبد الله الحسين بن إسماعيل بن محمد الضبي المحاملي. حدثت عن أبيها وغيره. وقال الخطيب البغدادي: أخبرنا أبو الحسن الدارقطني، قال: أمة الواحد بنت الحسين... سمعت أباها، وإسماعيل بن العباس الوراق وغيرهم، وحفظت القرآن والفقه على مذهب الشافعي، والفرائض والنحو وغير ذلك من العلوم.

انظر: تاريخ بغداد ١٤/٤٤٣، وشذرات الذهب ٣/٨٨.

(١) في الأصل (قرؤا).

(٢) في الأصل (مسئلة).

(٣) في الأصل (لأن).

(٤) في الأصل (قرأت).

عَوْرَةٌ فَرُبَّمَا ظَفَرَتْ بِالمَاءِ وَلَيْس لهَا قُدْرَةٌ عَلَى الاغْتِسَالِ ، فلِأَجْلِ ذَلِكَ تُقَدَّمُ عَلَى الرَّجُلِ المَيِّتِ.

وَوَجَدْتُ فِي هَامِشِ كِتَابِ «الهِدَايَة» نَاقِلاً عَنِ العَلاَّمَة ابْنِ همّام الحَنْبَلِي : أَوْلَى بِالمَاءِ المُبَاح إِذَا وَجَدُوه، هُو وَحَائِض وَمَعَهُمْ مَيت، فَيَغْتَسِلُ الجُنُبُ وَيَتَيمَّمُ المَيِّتُ وَالحَائِضُ، وَكَذَا المُحْدِث. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الرَّجُلَ الجُنُبَ أَوْلَـى مِنَ الامْرَأَةِ وَاللَّهَ أَعْلَم، تُوفِّيت[1] أُمُّ الوَاحِد سَنَة سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَثَلاَثمِائَة.

---

(١) في الأصل (توفت).

[١١٩]

أُمُّ الفَضْلِ بِنْتُ عَبْدِ الصَّمَدِ الهَرَوِيَّة

صَاحِبَةُ الأَدَبِ وَالفَضْلِ قَرَأَتْ العُلُومَ عَلَى الفَقِيهِ الفَاضِلِ ابْنِ أَبِي شُرَيْح، وَلَهَا جُزْءٌ مَشْهُورٌ تَرْوِيهِ أَيْضاً عَنِ ابْنِ أَبِي شُرَيْح[١]، وَلَهَا غَيْر ذَلِكَ، تُوفِّيَتْ[٢] سَنَة سَبْعٍ وَسَبْعِينَ وَأَرْبَعِمِائَةٍ[٣].

---

(١) في الأصل (شرح).

(٢) في الأصل (توفت).

(٣) في الأصل (سبعمائة).

[١٢٠]

فَاطِمَةُ بِنْتُ الحَسَنِ بْنِ عَلِيّ الأَقْرَع*

كَانَتْ أَجْوَدَ أَهْل زَمَانِهَا بِالأَدَبِ وَالفَضْلِ، وَكَانَتْ حَسَنَةَ الخَطِّ فِي الغَايَةِ مَعَ سُرْعَةِ الكِتَابَةِ وَفَرْطِ صِحَّتِهِ. حُكِي أَنَّها كَتَبَتْ يَوْماً، وَرَقَة وَأَرْسَلَتْهَا(١) إِلى الوَزِيرِ الكُنْدري(٢) فَتَعَجَّبَ مِنْ حُسْنِ خَطِّهَا وَبَلَاغَةِ مَعَانِيهَا(٣)، فَأَعْطَاهَا أَلْفَ دِينَارٍ. وَكَانَ لَهَا اطِّلَاعٌ تَامٌّ فِي مَعْرِفَةِ التَّوَارِيخ، وَتَحْفَظُ شَيْئاً كَثِيراً مِنْ أَشْعَارِ العَرَبِ.

حُكِيَ: أَنَّ رَجُلاً سَائِلاً أَتَى دَارَ فَاطِمَة بِنْتِ الحَسَن يَسْأَلُهَا شَيْئاً يَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى البَرْدِ، فِي يَوْمٍ شَدِيدِ البَرْدِ، وَذَكَرَ لَهَا أَنَّهُ كَثِيرُ التَّهَجُّدِ بِاللَّيْلِ وَقَدْ رَمِدَتْ عَيْنَاه مِنَ السَّهَرِ فَقَالَتْ لَهُ: بِمَا تُدَاوِي عَيْنَيْكَ؟ قَالَ: بِالعِبَادَةِ وَالصَّوْمِ وَالدُّعَاءِ. فَقَالَتْ لَهُ: لَوْ خَلَطت الثَّلَاثَة بِالمُثَلَّثَةِ مَعَ قَلِيلٍ [انْزَرُوت](٤) لَكَانَ أَسْرَعَ لِلإِجَابَةِ. فَقَالَ لَهَا: مَا المُثَلَّثَة؟ قَالَتْ: النَّومُ وَالرَّاحَةُ وَعَدَمَ السُّؤَال. فَوَلَّى الرَّجُل وَهُوَ يَقُولُ: لَا أَفْلَحَ سَائِلٌ سَأَلَ سَائِلاً(٥). وَتُوفِّيتْ فَاطِمَةُ بِنْتُ الحَسَنِ سَنَة ثَمَانِينَ وَأَرْبَعمِائَة وَاللَّهُ أَعْلَم.

(*) انظر ترجمتها: الكامل ١٤٦/٨، وشذرات الذهب ٣٦٥/٣، وأعلام النساء ٤١/٤ ـ ٤٢.

(١) في الأصل (أرسلها).

(٢) في الأصل (الكندي).

(٣) في الأصل (مغانيها).

(٤) انزروت هو كحل فارسي انظر تذكرة داود الجزء الأول ص ١١٤.

(٥) في الأصل (سائل).

[١٢١]

فَاطِمَةُ أُمّ الخَيْرِ بِنْت عَلِي المَعْرُوفَة بِبِنْت زَعْبَل*

كَانَتْ أَوْحَدَ أَهْلِ زَمَانِهَا بِعِلْمِ الحَدِيثِ، وَلَهَا مُشَارَكَةٌ بِالفِقْهِ وَالنَّحْوِ وَالفَرَائِضِ، وَرَوَتْ صَحِيحَ مُسْلِم، كَذَا ذَكَرَهُ اليَافِعِيّ، وَكَانَتْ تُمَيِّزُ بَيْنَ المُسْنَدِ وَالمَرْفُوعِ وَالمُتَّصِلِ وَالمُعَنْعَنِ وَالمُرْسَلِ وَالمُتَقطع وَالمَوْضُوعِ وَالمُتَوَاتِرِ وَالغَرِيبِ وَالمُصَحَّفِ وَالمُسَلْسَلِ.

ذُكِرَ فِي «الصَّفْوَة»: المُسْنَدَ هُو المُتَّصِل، وَالمَقْطُوع هُو المُرْسَل، المُنْقَطِع [المُعْضَل][(١)] هُو الشَّاذُّ المَعَلّل وَالمُدَلّس المُضْطَرِب، وَالمَوْضُوع مَا أُضِيفَ إِلَيْهِ ﷺ وَالمُعَنْعَن هُو الَّذِي يُقَالُ فِي سَنَدِه فُلَانٌ عَنْ فُلَان، وَالمُتَوَاتِرِ مَا رَوَاه جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ، وَالغَرِيبُ مَا انْفَرَدَ بِهِ شَخْصٌ وَاحِدٌ، وَالمُصَحَّفُ تَغَيُّر لَفْظ أَوْ مَعْنى عَنْ ظَنّ الصَّوَاب. وَالمُسَلْسَلُ هُو مَا تَتَابَعَ رِجَالُ إِسْنَادِهِ عَلَى صِفَةٍ أَوْ حَالَةٍ، وَالمُرْسَلُ هُو قَوْلُ التَّابِعِيّ الكَبِيرِ، وَالمَوْضُوعُ هُو المُخْتَلَقُ المَصْنُوعُ.

وَذَكَر الشَّيْخُ عَلِي القَارِي، قَالَ الزَّرْكَشِي: بَيْنَ قَوْلِنَا لَمْ يَصِحْ، وَقَوْلِنَا: مَوْضُوع، فَرْقٌ بَيِّن لِأَنَّ[(٢)] الوَضْعَ إِثْبَاتُ الكَذِبِ، وَقَوْلُنَا: لَمْ يَصِحْ، إِنَّمَا هُو إِخْبَارٌ عَنْ عَدَمِ الثُّبوت، وَلَا يَلْزَم مِنْه إِثْبَات العَدَمِ. وَمِمَّا يُسْتَحَبُّ لِلْمُحَدِّثِ ذَكَرَه فِي «الصَّفْوَة»: أَنْ يُقَدِّمَ الصَّالِحَاتِ، وَيَحْرِصَ عَلَى نَشْرِ الحَدِيثِ، وَإِذَا أَرَادَ

(*) انظر ترجمتها: شذرات الذهب ٤/ ١٠٠.

(١) سقط في الأصل.

(٢) في الأصل (كان).

الحُضُورَ فِي مَجْلِسِ الحَدِيثِ فَلْيَتَطَهَّرْ، وَيَتَطَيَّب، وَيُسَرِّح شَعْرَهُ، وَيَجْلِس مُتَمَكِّناً بِوَقَارٍ، وَيَفْتَتِح بِتَحْمِيدِ اللَّهِ تَعَالَى، وَالصَّلاَة عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَيَنْبَغِي أَنْ لاَ يُحَدِّث بِحَضْرَةِ مَنْ هُو أَوْلَى بِهِ، وَمِمَّا يَجِبُ عَلَى الطَّالِبِ تَصْحِيحُ النِّيَّةِ، وَتَقْدِيم العَمَلِ الصَّالِحِ، وَالإِخْلَاص، وَيَنْبَغِي أَنْ يُعَظِّمَ شَيْخَه وَمَنْ يَسْمَعُ مِنْهُ، فَذَلِكَ مِنْ إِجْلَالِ العِلْمِ وَأَسْبَابِ الانْتِفَاعِ بِهِ.

وَفِيهِ أَيْضاً يَجُوزُ التَّسَاهُل عِنْدَهُم فِي أَسَانِيدِ الضَّعِيفِ وَرِوَايَتِهِ سِوى المَوْضُوعِ، وَلَا يَثْبُت شَيءٌ مِنَ الأَحْكَامِ الخَمْسَة بِالضَّعِيفِ، غَيْر أَنَّهُ يَجُوزُ العَمَلُ بالضَعِيف في الفضَائل.

وَتُوفِّيَتْ أُمُّ الخَيْرِ فَاطِمَةُ سَنَة اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثِين وَخَمْسِمِائَة. وَاللَّهُ أَعْلَم.

[١٢٢]

شَهْدَةُ بِنْتُ أَحْمَد بْنِ الفَرَج*

العَالِمَةُ، الفَاضِلَةُ، الصَّالِحَةُ، الوَرِعَةُ، العَابِدَةُ، التَّقِيَّةُ، بَرَعَتْ فِي العُلُومِ، وَأَتْقَنَتْ المَنْطُوقَ وَالمَفْهُومَ، كَانَتْ تَصُومُ الاثْنَيْنِ وَالخَمِيس، وَتَعِظُ النِّسَاءَ الوَعْظَ النَّفِيسَ. اشْتَهرَ فَضْلُهَا فِي الآفَاقِ وَنَمَا بِالعِرَاقِ، وَلَهَا مُشَارَكَةٌ فِي كَثِيرٍ مِنَ العُلُومِ لاَ سِيَّمَا الفقه، وَعِلْم التَّفْسِيرِ، وَعِلْمِ الحَدِيثِ، وَكَانَتْ تَجْلِسُ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَتُقْرِئُ الطُّلاَّبَ، وَتَتَلَمَّذَ عَلَيْهَا خَلْقٌ كَثِيرٍ مِثْلُ الشَّيْخ أَبِي الحَسَن وَالفَقِيه أَبِي المَعَالِي أَحْمَد بْن خَلَف.

تُوفيَتْ فِي حُدُودِ سَنَة أَرْبَع وَسَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَة[1] وَتُعْرَفُ بِالكَاتِبَةِ.

(*) هي: شهدة بنت أحمد بن الفرج بن عمر الإبري الدنيورية.

انظر ترجمتها: الكامل ٩/٤٦ و١٤٦ وفيه: (عمرت وقاربت مائة سنة، وسمع عليها خلق كثير الحديث لعلو إسنادها). وشذرات الذهب ٤/٢٤٨، ووفيات الأعيان، والبداية والنهاية، وأعلام النساء ٢/٣٠٩ ـ ٣١٢.

(١) وفي أعلام النساء: أنها توفيت ببغداد يوم الأحد في ١٣ المحرم سنة ٥٧٤، ودفنت بباب أبزرور، وقد نيفت على تسعين سنة من عمرها وفي رواية على المائة. وفي وفيات الأعيان، والبداية والنهاية أنها توفيت سنة ٥٧٣ هـ.

[١٢٣]

تَقِيَّةُ بِنْتُ غَيْثِ بْنِ عَلِي الصُّورِي*

كَانَتْ أَوْحَد أَهْلِ زَمَانِهَا بِالأَدَبِ، وَلَهَا مُشَارَكَةٌ فِي بَعْضِ العُلُومِ، وَأَتْقَنَتْ النَّحْوَ، وَلَهَا شِعْرٌ جيد، فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلها فِي وَصْفِ مَلِيحٍ، وَحُمْرَة خَدّه الصَّحِيح:

خَدُّ مَنْ أَهْوَاه يَحْكِي زُحَلاً[١] ... صَبَغُوه مِنْ دَمِي كَالعَنْدَمِ[٢]
وَلَمَاهُ عَسَل[٣] فِيهِ الشِّفَا ... وَحِمَاه كَعْبَتِي بَلْ حَرَمِي

وَعَلَى هَذَا قَوْل بَعْضِهِمْ، وَأَجَاد

وَأَهْيَفُ خَدّه مِنْ مَاءِ وَرْدٍ ... يَحُوزُ[٤] الحُسْنَ فَهْوَ بِلاَ شَبِيهِ
فَلَوْ أَخْجَلْتُهُ بِالقَوْلِ جُهْدِي ... لِحُمْرَةِ خَدِّه مَا بَانَ فِيهِ

وَقَالَ آخَرُ:

وَنَارُ خدَّيْهِ الَّذِي أُضْرِمَتْ ... غَدَا بِهَا كَانَ لِقَلْبِي غَرَامْ

(*) هي تقية بنت غيث بن علي الأرمنازي الصوري. شاعرة مجيدة، بديعة النظم. ولدت في صفر وقيل في المحرم من سنة ٥٠٥ هـ، ولها قصائد ومقاطيع في ديوان صغير.

انظر ترجمتها: النجوم الزاهرة ٦/ ٩٦، وشذرات الذهب ٤/ ٢٦٥، ووفيات الأعيان، الأعلام للزركلي، وأعلام النساء ١/ ١٧٤ - ١٧٥.

(١) في الأصل (زحل).

(٢) في الأصل (كالعندمي).

(٣) في الأصل (علا).

(٤) في الأصل (يجوز).

اخْـتَـرْتُـه مَـولَـى وَيَـا لَـيْـتَـهُ لَـوْ قَـالَ يَـا بُشْـرَايَ هَـذَا غُـلَام

حُكِيَ: أَنَّ تَقِيَّةَ مَدَحَتْ المَلِكَ المُظَفَّرَ عُمَـرَ ابْنَ أَخِي[1] السُّلْطَان صَلَاح الدِّين بِقَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ فَأَجَازَهَا وَتُوفِّيتْ[2] سَنَة ثَمَانِين وَخَمْسِمِائَة[3].

---

(١) في الأصل (أخو).

(٢) في الأصل (توفت).

(٣) في أعلام النساء: أنها توفيت سنة ٥٧٩، وقد ذكر تاريخ وفاتها هذا في تاج العروس.

[١٢٤]

تَعِيسَةُ أَوْ عَبْدُ اللهِ الطَّرَابُلُسِي

كَانَتْ مِنَ المُخَدَّرَاتِ، ذَكَرَ ابْنُ كَثِير قَالَ: لمَّا دَخَلَتْ سَنَة أَرْبَعَ وَخَمْسِين وَسَبْعِمِائَة، كَانَتْ تَعِيسَةُ بِنْتاً[١] بَاكِرَة قَرِيباً مِنَ البُلُوغِ، فَزُوِّجَتْ لِرَجُل، فَلَمْ يَقْدِر عَلَى وِقَاعِهَا فَطَلَّقَهَا ثُمَّ تَزَوَّجَهَا آخرُ، وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهَا وَطَلَّقَهَا، وَتَزَوَّجَهَا الثَّالِثُ وَعَجزَ عَنْهَا فَطَلَّقَهَا، وَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ عَلَيْهَا، يُظَنُّ أَنَّ بِهَا رَتْقاً فَلَمَّا بَلَغَتْ خَمْس عَشْرَة[٢] غَارَ[٣] ثَدْيَاهَا، ثُمَّ جَعَلَ يَخْرُجُ مِنْ مَحَلّ الفَرْجِ شَيْئاً قَلِيلاً قَلِيلاً مِثْلَ النَّبْتِ إِلَى أَنْ صَارَ قَدْرَ أُصْبُع ذَكَراً، وَتَحْتَهُ أُنْثيان. وَاشْتُهِرَتْ هَذِهِ الحِكَايَة، وَتزَوَّجَتْ بِامْرَأَة بَعْدَمَا كَانَتْ امْرَأَة[٤].

وَنَظِيرُ هَذَا مَا ذَكَرَهُ[٥] لِي مَنْ أَثِقْ بِهِ، وَحَلَفَ لِي أَنَّه رَأَى فِي كِتَابٍ: أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ الصَّلاحِ وَأَهْلِ العِلْمِ كَانَ لَهُ بِنْتُ، وَقَدْ جَاوَزَتْ عَشْرَ[٦] سِنِين، فَأَرْسَلَ بَعْضُ الأَشْرَارِ مِمَّنْ هُو لَيْسَ كُفُوءاً[٧] يَخْطِبُ مِنْهُ ابْنَتَهُ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ

---

(١) في الأصل (بنت).

(٢) في الأصل (خمسة عشر).

(٣) في الأصل (غارت).

(٤) ورد في هامش المطبوعة ما نصه: (على هامش الورقة (٣٥١) من الأصل، كتب بخط مخالف يخالف خط الناسخ عبارة: (غرائب تحول الجنين).

(٥) في الأصل (ما ذكر).

(٦) في الأصل (عشرة).

(٧) في الأصل (عفو).

البِنْتَ، وَقَالَ: لَيْسَ لِي بِنْتٌ إِنَّمَا هُو[1] وَلَدُ ثُمَّ دَخلَ إِلَى بَيْتِهِ وَأَخْبرَ زَوْجَتَهُ بِذَلِكَ فَأَحْضَرُوا البِنْتَ فَوَجَدُوهَا وَلَداً ذَكَراً وَقَدْ صَارَ لَهُ ذَكَرٌ، وَأُنْثيان. وَصَدَّقَ اللَّهُ قَوْلَ ذَلِكَ الصَّالِحِ[2] وَكَفَاهُ شَرَّ ذَلِكَ الطَّالِحِ. وَلاَ يَبْعُدُ هَذَا عَنْ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالى فَإِنَّ القُدْرَةَ صَالِحَةٌ لِكُلِّ شَيْء وَاللَّهُ أَعْلَم.

وَمِمَّا حُكِيَ: أَنَّ إِمَاماً كَانَ بِمَدِينَة حَلَب يُصَلِّي سَنَة سَبْعِمائَةٍ وَاثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ، فَجَاءَ شَخْصٌ وَعَبَثَ بِهِ وَهُو يُصَلِّي فَلَمْ يَقْطَعِ الإِمَامُ صَلاَتَهُ، حَتَّى سَلَّم فَانْقَلَب ذَلِكَ العَابِثُ وَجْهُهُ وَجْهَ خِنْزِير، وَهَرَبَ مِنْ وَقْتِهِ إِلَى غَابَةٍ خَارِجِ حَلَب، وَمَاتَ بَعْدَ ثَلاَثَة أَيَّام.

وَحُكِيَ: أَنَّهُ كَانَ لِرَجُلٍ اسْمُه القَارُوبِي جِمَالٌ، فَلَمَّا دَخلَتْ سَنَة ثَمَانِمائَة وَخَمْس عَشْرَة حَمَّلَ جَمَلاً مِنْهَا[3] فَوْقَ طَاقَتِهِ قَرِيباً مِنْ مَكَّة، فَهَرَبَ الجَمَلُ، وَدَخلَ البَيْتَ وَجَعَلَ يَطُوفُ وَالنَّاس حَوْلَهُ يُرِيدُونَ قَبْضَهُ فَلاَ يُمَكِّنُهُمْ مِنْ نَفْسِهِ، وَبَعْضُهُمْ وَيَرْمُحُهُمْ فَتَرَكُوهُ وَاحِداً[4] وَعِشْرِينَ يَوْماً، وَهُو يَطُوفُ وَلاَ يَأْكُلُ وَلاَ يَشْرَبُ ثُمَّ سَارَ إِلَى الحَجَرِ الأَسْوَدِ، وَقَبَّلَهُ، ثُمَّ تَوَجَّهَ إِلَى مَقَامِ الحَنَفِيَّة، وَوَقَفَ تِجَاه المِيزَابِ، وَبَكَى، وَأَلْقَى نَفْسَهُ فِي الأَرْضِ وَمَاتَ، فَحَمَلَهُ[5] النَّاسُ وَدَفَنُوه مَا بَيْنَ الصَّفَا وَالمَرْوَة. وَفِي سَنَة إِحْدَى وَعِشْرِين وَثَمَانِمائَة وَلَدَتْ بِمَدِينَة بَلْبِيس جَامُوسَة وَلَداً بِرَأْسَيْنِ وَعُنُقَيْنِ وَأَربَع أَيْدِي وَسِلْسِلَتِي ظَهْر، وَدُبُرٍ وَاحِدٍ، وَرِجْلَيْنِ وَفَرْجِ أُنْثَى وَذَنَبَيْنِ وَذُبِحَ فِي مَدِينَة غزَّة جَمَلٌ فَأَضَاءَ لَحْمُه مِثْلَ السِّرَاج فَأَلْقُوا مِنْهُ قِطْعَةَ لَحْم لِكَلْبٍ فَلَمْ يَأْكُلْها[6]، وَذَلِكَ سَنَة ثَلاَث وَعِشْرِين وَثَمَانِمائَة.

---

(١) في الأصل (هي).

(٢) في المطبوعة (الصلح).

(٣) في الأصل (منهم).

(٤) في الأصل (إحدى).

(٥) في الأصل (فحملوه).

(٦) في الأصل (يأكله).

[١٢٥]

فَاطِمَةُ بِنْتُ القَاضِي جَلَال الدِّين البُلْقِينِي *

كَانَتْ مِنْ أَهْلِ الذَّكَاءِ، وَهِي مِنْ أَجْمَلِ أَهْلِ زَمَانِهَا تَزَوَّجهَا رَجُلٌ كُفءٌ[١] لَهَا سَنَة ثَمَانِمِائَة وَثَلاث[٢] وَعِشْرِين فَوَلَدَتْ وَلَداً ذَكَراً سَنَة ثَمَانِمَائَة وَخَمْس وَعِشْرِين وَلَهُ يَدَانِ زَائِدَتَانِ[٤] فِي كَتِفِهِ، وَفِي رَأْسِهِ قَرْنَان كَقَرْنِي الثَّوْرِ، وَعَاشَ سَاعَةً وَمَاتَ. وَنَظِيرُ هَذَا مَا رَأَيْتُه، وَشَاهَدْتُه بِعَيْنِي: إِنَّ امْرَأَةً مِنْ بَنَاتِ العَمِّ مِنَ العمَرِيَّة كَانَتْ عِنْدَ رَجُلٍ مِنْ أَبْنَاءِ عَمِّنَا أَيْضاً، فَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُ وَمَاتَ عَنْهَا فِي الطَّاعُونِ الوَاقِعِ فِي المَوْصِلِ سَنَة أَلْف وَمِائَة وَستّ[٥] وَثَمَانِينَ، ثُمَّ تَزَوَّجَتْ تِلْكَ الْمَرأَةُ بِرَجُلٍ آخَرَ، فَوَلَدَتْ لَهُ وَلَداً[٦] صُورَتُهُ كَامِلَة وَلَه يَدٌ وَاحِدَةٌ وَالأُخْرَى قَصِيرَة بِلَا كَفٍّ إِلَى حَدِّ الزَّنْد مِنَ اليَدِ، وَعَاشَ نَحْو سِتَّة أَعْوَام وَمَاتَ. وَمِمَّا شَاهَدْتُه بِعَيْنِي أَنَّ رَجُلاً مِنَ الأَكْرَادِ قَدِمَ إِلَى المَوْصِلِ وَلَهُ يَدَانِ فِي رَأْسِ الكَتِفِ وَالكَفّ مِنْهَا[٧]

(*) انظر: الضوء اللامع ١٢/٩٣.

(١) في الأصل (كفوءاً).

(٢) في الأصل (ثلاثة).

(٣) في الأصل (ذكر).

(٤) في الأصل (زائداتان).

(٥) في هامش المطبوعة ما نصه: (على هامش الورقة (٣٥٣) من الأصل كتبت عبارة «غرائب الخلق» بغير خط الناسخ).

(٦) في الأصل (ولد).

(٧) في الأصل (منهم).

بِقَدْرِ كَفّ غُلَام عُمْرُه شَهْر، وَمَعَ هَذَا فَإنَّه كَانَ يُصَلِّي، وَأَقَام بِالمَوْصِلِ أَعْوَاماً[1] يَسْأَلُ النَّاسَ وَيَتَصَدَّقُونَ عَلَيْه، وَفِي سَنَة أَلْف وَمِائَتَيْن مِنَ الهِجْرَة وَلَدَتْ امْرَأَة فِي المَوْصِلِ وَلَدَيْنِ فِي بَطْن وَاحِدَة، الأَوَّل عَلَى صُورَةِ البَشَرِ، وَالآخَرِ بِرَأْسَيْن وَفَمين وَأَرْبَعَ عُيُون وَيَدَيْنِ وَرِجْلَيْنِ[2] وَمَاتَ بَعْدَ سَاعَة وَذَلِكَ يَوْم الخَمِيس آخر جَمَادِي الآخر. وَفِي سَنَة أَلف وَمِائَة وَخَمْس وَتِسْعِين عَلَى مَا ذَكَرَ لِي مَنْ أَثِقُ بِهِ: أَنَّ كَلْبَةً فِي بَعْضِ قُرَى المَوْصِلِ وَلَدَتْ جَرْواً لَهُ طَرَفُ مِثْل الغَنَم، وَبَقِي أَيَّاماً[3] وَمَات. وَرَأَيْتُ فِي «تَارِيخِ اليَمَنِ»، أَنَّهُ سَنَةُ اثْنَتَيْنِ وَثَلاثِينَ وَثَمَانِمِائَة، وَلَدَتْ امْرَأَةٌ، نَوَاحِي اليَمَن، وَلَداً لَهُ أَنْفَانِ أَحَدُهُمَا عَلَى التَّكْوِينِ المَعْرُوفِ، وَالآخَر خَارِج مِنْ قَصَبَةِ الأَنْفِ الأَصْلِيَّة، وَلَهُ عَيْنٌ وَاحِدَةٌ، وَالأُخْرَى طَلْساً فِيهَا نُقْطَةٌ سَوْدَاء فَعَاشَ أَيَّاماً، وَمَاتَ. وَمِثْلُهَا أَنَّه فِي سَنَة أَرْبَعِ وَثَلَاثِينَ وَثَمَانِمِائَة وُلِدَ[4] فِي مَدِينَةِ زَبِيد، وَلَدٌ وَجْهُهُ مُنْقَسِمٌ نِصْفَيْنِ، وَفِي كُلّ خَدٍّ عَيْن، وَتَحْتَ العَيْنِ أَنْفُ وَفَمٌ، ثُمَّ وُلِدَ فِيهَا عِجْلٌ سَطِيحَة بِلَا يَدَيْنِ وَلَا رِجْلَيْنِ وَلَا ذَيْل، وَإِحْدَى عَيْنَيْه مَطْمُوسَة، وَأَنْفُه مِنْ دَاخِلِ الفَمِ وَلَيْسَ لَهُ لِسَان. ذَكَرَ أَهْلُ التَّوَارِيخ: أَنَّ فِي سَنَة ثَمَانِمِائَة وَإِحْدَى وَثَمَانِينَ فِي مَدِينَةِ مِصْر، وُلِدَ لِبَعْضِ أُمَرَاءِ الجَرَاكِسَةِ وَلَدٌ لَهُ أَرْبَع عُيُون، عَيْنَان فِي مَحلِّهِمَا، وَعَيْنَانِ فِي وَسَط جَبْهَتِهِ وَلَهُ أَنْفٌ غَيْر مَثْقُوب مِنْ جِهَة الشَّمَال، وَلَهُ فِي كُلِّ يَدٍ سَبْع أَصَابع، وَلَهُ أَسْنَانٌ فِي فَمِه، وَشَعْرُه بِرَأْسِهِ بِطُولِ شِبْرٍ فَعَاشَ عِشْرِينَ يَوْماً[5] وَمَاتَ، وَقِيلَ: قَتَلَه أَبُوه.

(١) في الأصل (أعوام).

(٢) في الأصل (يدان ورجلان).

(٣) في الأصل (أيام).

(٤) في الأصل (ولدت).

(٥) في الأصل (يوم).

[١٢٦]

خَانَم سُلْطَان بِنْتُ السُّلْطَان سُلَيْمَان

أُمّ الخَيْرَات، كَانَتْ أَوحَدَ بَنَات المُلُوكِ، بِالكَرَمِ، وَفِعْلِ الجَمِيلِ، وَلَمَّا بَلَغَهَا سَنَة تِسْعِمائَة وَتِسْع وَسِتّين أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ يَشْتَكُونَ قِلَّةَ المَاءِ، وَقَدْ يَبِسَتْ العُيُونُ وَالآبَارُ، وَأَنَّ الحَاجَ يُقَاسُونَ العَذَابَ الأَلِيم مِنْ شِدَّة العَطَشِ، طَلَبَتْ[١] صَاحِبَةُ الخَيْرَات فَأَذِنَ لَهَا، فَأَمَرَتْ دَفْتَرْ دَارِ مِصْرَ إِبْرَاهِيم بِك بْن تَغْرِي وَيردِي المهمندار، وَكَانَ قَدْ عُزِلَ وَأُمِرَ بِالتَّفْتِيشِ عَلَيْه، فَلَمَّا أَمَرَتْهُ بِذَلِكَ عَفَا[٢] السُّلْطَانُ سُلَيْمَانُ عَنْهُ، وَأَعْطَتْهُ خَمْسِينَ أَلْف دِينَارٍ لِعَمَلِ العُيون، وَعِشْرِينَ[٣] أَلْف دِينَارٍ لِقَضَاءِ مُهِمَّاتِهِ، فَرَكِبَ فِي البَحْرِ، وَتَوَجَّه إِلَى مَكَّة، فَأَوَّل مَا بَدَأَ[٤] حَفْرَ الآبَارِ لِيَكْثُرَ مَاؤُهم[٥]، ثُمَّ شَرَعَ سَنَة تِسْعِمائَة وَسَبْعِين فِي الكَشْفِ عَنْ ذُيُولِ عَيْن عَرَفَات وَأَقَامَ لِهَذَا العَمَل نَحْو أَلْف نَفْس مِنَ العُمَّالِ وَالبَنَّائِين وَالمُهَنْدِسِينَ وَالحَدَّادِينَ، وَعَيَّنَ لِكُلِّ فِرْقَةٍ قِطْعَةً مِنَ الأَرْضِ إِلَى أَنْ وَصَلَ إِلَى عَمَلِ زُبَيدَة الَّذِي عَجَزَتْ عَنْهُ فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى الصَّخْرَةِ، جَعَلَ يُلْقِي عَلَى الصَّخْرَةِ مِائَة حِمْلٍ مِنَ الحَطَبِ، وَيُوقِدُه بِالنَّارِ ثُمَّ يَصُبُّونَ عَلَيْه الخَلَّ وَيَكْسِرُونَهُ بِالحَدِيدِ، ثُمَّ يُعِيدُونَ الحَطَبَ وَالنَّارَ إِلَى أَنْ فَرَغَ

---

(١) في الأصل (فطلبت).

(٢) في الأصل (عفى).

(٣) في الأصل (عشرون).

(٤) في الأصل (بدء).

(٥) في الأصل (ماءهم).

الحَطَبُ مِنْ جِبَالِ مَكَّةَ، وَاسْتَمَرَّ عَلَى هَذَا العَمَل أَرْبَعَ سِنِينَ، وَأَرْسَلَتْ لَهُ خَانَمْ سُلْطَان مِائَة أَلْف وَخَمْسِين أَلْف دِينَارٍ. وَتُوفِّي إِبْرَاهِيم بِك وَلَمْ يتم عَمَلَهُ لِعَيْنِ عَرَفَة فِي مَكَّةَ سَنَة تِسْعِمائَة وَأَرْبَع[1] وَسَبْعِين، وَكَانَ قَدْ صَرَفَ لِهَذَا العَمَلِ خَمْسِمائة أَلْف دِينَار، وَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ خَانَم سُلْطَان، وَلَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيم بِك أُقِيمَ مَكَانَه قَاسِمُ بِك حَاكِمُ جدَّة فَأَقَامَ بِأَدَاءِ هَذِهِ الخِدْمَة إِلَى أَنْ مَاتَ سَنَة تِسْعِمائَة وَتِسْع[2] وَسَبْعِينَ وَلَمْ يُتِمْ عَمَلَهُ لِعَيْنِ عَرَفَة، فَأُقِيمَ[3] مَكَانَهُ لِأَدَاءِ هَذِه الخِدْمَة قَاضِي مَكَّة السَّيِّد حُسَين فَتَقَدَّمَ بِهِمَّتِهِ إِلَى كَمَالِ هَذَا العَمَل فَسَاعَدَتْهُ السَّعَادة، فَكَمُلَ العَمَل فِيمَا دُونَ خَمْسَةِ أَشْهُر، وَجَرَتْ عَيْنُ عَرَفَات، وَوَصَلَ المَاءُ فِي تِلْكَ الذُّيُول إِلَى أَنْ دَخَلَ مَكَّة، وَعَمَلَ فِي ذَلِك اليَوْم سِمَاط طَعَام فِي الأَسْطُح، وَذَبَحَ مِائَتَي[4] رَأْسٍ مِنَ الغَنَم، وَنَحْوهَا مِنَ الإِبِلِ، وَخَلَعَ عَلَى عَشْرَة مِنَ المُعَلِّمِينَ، وَعَرَضَ ذَلِكَ إِلَى الأَبْوَابِ العَلِيَّة فَحَصَلَ لِلْقَاضِي تَرْقِيات، وَصَارَتِ المَدْرَسَةُ السُّلَيْمَانِيَّةُ الَّتِي فِي يَده كُلَّ يَوْم مِائَة عُثْمَاني.

(١) في الأصل (أربعة).

(٢) في الأصل (تسعة).

(٣) في الأصل (فأقام).

(٤) في الأصل (مائتين).

المقالة الثانية

في ذكر النساء الطالحات

[١]

الزُّهْرَةُ مَلِكَةُ فَارِس

ذُكِرَ فِي المَعَالِمْ(١)..

(١) قال العلماء عن الملائكة عباد الله المكرّمين إنهم عاملون بأمره ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة فلا يعصونه تعالى كما أخبر الله عنهم بقوله في القرءان الكريم ﴿ لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾التحريم. فما ورد في أنّ هاروت وماروت الملَكَيْن عصيا تلك القصة المشهورة فلا يُعتمد عليه لأنه لم يصحّ فقد ذكر ابن كثير في تاريخه ما نصّهُ: "وأما ما يذكره كثير من المفسرين في قصة هاروت وماروت من أنّ الزُّهرَة كانت امرأة فراوداها على نفسها فأبت إلا أن يعلّماها الاسم الأعظم فعلّماها فقالته فرُفعت كوكباً إلى السماء فهذا أظنه من وضع الإسرائيليين وإن كان قد أخرجه كعب الأحبار وتلقاه عنه طائفة من السلف فذكرَه على سبيل الحكاية والتحدّث عن بني إسرائيل". اه

وقال الشيخ محمد الحوت في "أسنى المطالب" ما نصه: "وقال المفسرون كالفخر الرازي والبيضاوي وأبي السعود والخازن إنها لم تثبت بنقل معتبر فلا تعويل على ما نُقل فيها لأن مدارَه روايةُ اليهود مع ما فيه من المخالفة لأدلة العقل والنقل". اه. كما لأن الشيخ عبدالله الغماري رحمه الله يقول في قصة هاروت وماروت ما نصّه: "وتتبع الحافظ السيوطي طرقها في التفسير المسنَد وفي الدرّ المنثور فأوصلها إلى نيّف وعشرين طريقاً أغلبها ضعيف أو واهٍ وقد تتبعتُ طرقها المشار إليها وأعلمت فيها فكري فوجدها قصة شاذة منكرَة المعنى تخالف القرءان والسُّنّة وقواعد العلم، هذا إلى تضارب ألفاظها ورواياتها وليس فيها حديث عن النبي صحيح سالم من علة". اه كما قال ابن كثير أيضاً في تفسيره: "وقد رُوي في قصة هاروت وماروت عن جماعة من التابعين كمجاهد والسُّدّي والحسن البصري وقتادة وأبي العالية والزهري والربيع بن أنس ومقاتل بن حيّان وغيرهم وقصّها خلْق من المفسرين المتقدمين

ذُكِرَ فِي كِتَابِ «رَحْمَةِ الأُمَّةِ فِي اخْتِلَافِ الأَئِمَّةِ». السِّحْرُ عَزَائِمُ، وَرَمْيٌ وَعَقْدٌ يُؤَثِّرُ فِي الأَبْدَانِ وَالقُلُوبِ فَيُمْرِضُ وَيَقْتُلُ، وَيُفَرِّقُ بَيْنَ المَرْأَةِ[1] وَزَوْجِهَا، وَلَهُ حَقِيقَةٌ عِنْدَ الأَئِمَّةِ الثَّلَاثَةِ. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: لَا حَقِيقَةَ لَهُ وَلَا تَأْثِيرَ فِي الجِسْمِ. وَقَالَ الاسْتِرْبَادِي مِنَ الشَّافِعِيَّةِ: وَتَعَلُّمه حَرَامٌ بِالإِجْمَاعِ. وَاخْتَلَفُوا فِيمَنْ يَتَعَلَّمُ السِّحْرَ وَيُعَلِّمُهُ، فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَالِكٌ وَأَحْمَد: يَكْفُرُ بِذَلِكَ، وَمِنْ أَصْحَابِ أَبِي حَنِيفَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مَنْ قَالَ:[2] إِنْ تَعَلَّمَهُ لِيَتَجَنَّبَهُ أَوْ لِيَتَّقِيه لَمْ يَكْفُرْ، وَإِنْ تَعَلَّمَهُ[3] مُعْتَقِداً جَوَازَهُ أَوْ مُعْتَقِداً بِنَفْعِهِ كَفَرَ، وَإِنْ اعْتَقَدَ أَنَّ الشَّيَاطِينَ تَفْعَلُ لِلسَّاحِرِ مَا يَشَاءُ فَهُو كَافِرٌ. وَهَلْ يُقْتَلُ السَّاحِرُ بِمُجَرَّدِ تَعَلُّمِهِ اوْ اسْتِعْمَالِهِ؟ قَالَ مَالِكٌ وَأَحْمَد: يُقْتَلُ: / وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: لَا يُقْتَلُ حَتَّى يَتَكَرَّرَ مِنْهُ وَهَلْ تُقْبَلُ تَوْبَةُ السَّاحِرِ أَمْ لَا؟ قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَمَالِكٌ: لَا تُقْبَلُ. وَقَالَ أَحْمَدُ رِوَايَتَيْنِ[4]، أَظْهَرُهُمَا: لَا تُقْبَلُ. وَقَالَ الشَّافِعِي: تُقْبَلُ تَوْبَتَهُ. وَاخْتَلَفُوا فِي سَاحِرِ أَهْلِ الكِتَابِ فَقَالَ الشَّافِعِيُّ وَمَالِكٌ وَأَحْمَدُ: لَا يُقْتَلُ. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يُقْتَلُ كَمَا يُقْتَلُ السَّاحِرُ المُسْلِمُ. وَهَلْ حُكْمُ السَّاحِرَةِ المُسْلِمَةِ حُكْمُ السَّاحِرِ المُسْلِمِ؟ فَقَالَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيّ وَأَحْمَد: حُكْمُهَا حُكْمُ الرَّجُلِ. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: تُحْبَسُ وَلَا تُقْتَلُ. وَذُكِرَ فِي «الفَتَاوَى الخَانِيَّة»: رَجُلٌ يَتَّخِذُ لُعْبَة لِيُفَرِّقَ بَيْنَ المَرْأَةِ وَزَوْجِهَا بِتِلْكَ المَرْأَةِ، قَالَ: هُوَ مُرْتَدٌّ يُقْتَلُ بِرِدَّتِهِ، وَيُقْتَلُ إِذَا كَانَ يَعْتَقِدُ بِهَا. وَذُكِرَ فِي «نِصَابِ الاحْتِسَاب»: السَّاحِرُ إِذَا تَابَ قَبْلَ أَن

= والمتأخرين وحاصلها راجع في تفصيلها إلى أخبار إسرائيل إذ ليس فيها حديث مرفوع صحيح متصل الإسناد إلى الصادق المصدوق المعصوم الذي لا ينطق عن الهوى، وظاهر سياق القرءان إجمال القصة من غير بسط ولا إطناب فيها فنحن نؤمن بما ورد في القرءان على ما اراده الله تعالى والله أعلم بحقيقة الحال". اه أي وهذا مع تنزيه الملكَيْن عمّا لا يليق بهما من المعصية التي عصمهما الله منها بنصّ الآية السالفة الذكر وغيرها. والله سبحانه وتعالى أعلم وأحكم.

(١) في الأصل (المرء).

(٢) في المطبوعة (إنه) والصواب ما أثبت.

(٣) في الأصل (تعلم).

(٤) في الأصل (روايتان).

يُؤْخَذَ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ، وَإِنْ أُخِذَ ثُمَّ تَابَ لَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ. وَذُكِرَ فِي «سِيرِ المُحِيط» سُئِلَ القَاضِي الفُضَيْلِي عَنْ مَعْنَى قَوْل ﷺ: «مَنْ أَتَى كَاهِناً وَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» فَقَالَ: الكَاهِنُ هُو السَّاحِر. وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ الجَوْهَرَةِ: إِنَّ السِّحْرَ مِنَ الخَوَارِقِ، إِذْ هُو عِبَارَة عَنْ ظُهُورِ أَمْرٍ خَبِيث فِي خُيُوطٍ يُنْفَثُ عَلَيْهَا. وَفِي «شَرْحِ المَقَاصِدِ»: السِّحْرُ إِظْهَارُ أَمْرٍ خَارِقٍ لِلْعَادَةِ مِنْ نَفْسٍ شَرِيرة خَبِيثَةٍ لُمبَاشَرَةِ أَعْمَالٍ مَخْصُوصَة يَجْرِي فِيهَا التَّعَلُّم وَالتَّعْلِيم. وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ الجَوْهَرَةِ»: حَكَى الأَوْزَاعِي عَنْ يَهُودِي[1] كَانَ مَعَهُ فِي سَفَرٍ فَأَخَذَ اليَهُودِي[2] ضُفْدَعاً وَسَحَرَهَا فَصَارَتْ خِنْزِيراً فَبَاعَهُ لِلنَّصَارَى، فَلَمَّا صَارُوا إِلَى بُيُوتِهِم عَادَ ضُفْدَعاً، فَلَحِقُوا اليَهُودِي، وَهُو مَعَ الأَوْزَاعِي، فَلَمَّا قربوا منه رَأَوْا رَأْسَهُ قَدْ سَقَطَ فَفَزِعُوا وَوَلَّوا هَارِبِين، وَبَقِي الرَّأْسُ يَقُولُ لِلأَوْزَاعِي: يَا أَبَا عَمْرو هَلْ غَابُوا؟ إِلَى أَنْ بَعِدُوا عَنْهُ، فَصَارَ الرَّأْسُ مُتَّصِلاً بِالجَسَدِ. وَقَالَ إِمَامُ الحَرَمَيْنِ: لَا يَظْهَرُ السِّحْرُ إِلَّا عَلَى فَاسِقٍ، وَقَالَ مَالِكٌ: السِّحْرُ زَنْدَقَةٌ، وَإِذَا قَالَ الرَّجُلُ: مَا أَحْسَنَهُ قُتِلَ وَلَمْ تُقْبَلْ تَوْبَتُهُ. وَقَالَ النَووِي فِي «الرَّوْضَةِ»: إِتْيَانُ الكَاهِنِ وَتَعَلُّم الكَهَانَةِ وَالتَّنْجِيم وَالضَّرْب بِالرَّمْلِ وَالشَّعْوَذَةِ[3] وَتَعْلِيمُهَا حَرَام بِالنَّصِّ الصَّحِيحِ. وَقَالَ ابْنُ قُدَامَة فِي «الكَافِي: الكَاهِنُ لَهُ رَئِيٌّ[4] مِنَ الجِنِّ، وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «رَحْمَةِ الأُمَّةِ فِي اخْتِلَافِ الأَئِمَّةِ: سُئِلَ ابْنُ المُسَيَّبِ عَنِ الرَّجُلِ يُؤْخَذُ عَنْ امْرَأَتِهِ فَلْيَلْتَمِس[5] مَنْ يُداوِيهِ؟ فَقَالَ: إِنَّمَا نَهَى اللَّهُ عَمَّا يُضِرّ، وَلَمْ يَنْهَ[6] عَمَّا يَنْفَعُ، إِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَنْفَعَ أَخَاكَ فَافْعَلْ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ يَفْعَلُ مِثْلَ هَذَا لَا يُكَفَّرُ صَاحِبه. وَلَا يُقْتَل.

وَفِي شَرْحِ البُخَارِي: وَمِمَّا يَنْفَعُ الرَّجُل إِذَا حُبِسَ عَنْ أَهْلِهِ، أَي مُنِعَ الجِمَاع، أَنْ يَأْخُذَ سَبْع وَرَقَات مِنْ شَجَرَةِ سِدْرٍ أَخْضَر، وَتُدَقُّ بَيْنَ حَجَرَيْنِ،

---

(1) في الأصل (يهود).

(2) في الأصل (اليهود).

(3) في الأصل (الشعبذة).

(4) في الأصل (رأى).

(5) في الأصل (فليتمس).

(6) في الأصل (ينهى).

وَيخْلُطه بِمَاءٍ[1] وَيقْرأ[2] عَلَيْه آيَةَ الكُرْسِيِّ، وَكُلَّ سُورَة أَوَّلُهَا ﴿قُل﴾ وَيلْحَسُ مِنْهُ ثلاَث لَحسات، ثُمَّ يَغْتَسِلُ بالبَاقِي.

وَذُكِرَ فِي «نُزْهَةِ المَجَالِسِ» قَالَ كَعْبُ الأَحْبَارِ: لَوْلاَ هَذِهِ الكَلِمَات لَجعَلَتْنِي اليَهُودُ حِمَاراً، يَعْنِي مِنْ سِحْرِهِمْ، وَهِي: أَعُوذُ بِوَجْهِ اللَّهِ العَظِيمِ الَّذِي لَيْس شَيْءٌ أَعْظَمَ مِنْهُ، وَبِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَامَّات الَّتِي لاَ يُجَاوِزُهُنَّ بِرٌ وَلاَ فَاجِرٌ، وَبِأَسْمَاءِ اللَّهِ الحُسْنَى مَا عَلِمْتُ مِنْهَا وَمَا لَمْ أَعْلَمْ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرأَ وَبرأَ. وَنَقل العَلاَّمَةُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِي اللَّهُ عَنْه: مَنْ قَرأ[3] عِنْدَ النَّوْمِ ﴿... قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾[4] الآية. لَمْ يَضُرَّه كَيْدُ سَاحِرٍ وَلاَ تُكْتَبُ عَلَى مَسْحُورٍ إِلاَّ رَفَعَ اللَّهُ عَنْهُ السِّحْرَ. وَمِمَّا جَرَّبْتُهُ مِرَاراً: يُكْتَبُ عَلَى ثَلاَثِ بَيْضَاتٍ مَسْلُوقَاتٍ بَعْدَ التَّقْشِيرِ عَلَى الأُولَى: ﴿قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُم بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لاَ يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ وَعَلَى الثَّانِيَةِ: ﴿أَوَلَمْ يَرَ[5] الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالأَرض كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلاَ يُؤْمِنُونَ﴾[6]. وَعَلَى الثَّالِثَةِ: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُوراً﴾[7] وَيَأْكُلُ المَرْبُوط عَنِ النِّسَاءِ، وَهُو المَسْحُور كُلَّ لَيْلَة وَاحِدَة، يَنْحلُّ بِإِذْنِ اللَّهِ. وَقَدْ جَرَّبْتُه مِرَاراً.

---

(١) في الأصل (بما).
(٢) في الأصل (يقرء).
(٣) في الأصل (قرء).
(٤) سورة يونس، الآية ـ ٨١.
(٥) في الأصل (يرى).
(٦) سورة الأنبياء، الآية ـ ٣٠.
(٧) سورة الفرقان، الآية ـ ٢٣.

[٢]

دَلُوكَةُ بِنْتُ الزَّبَّاء

كَانَتْ صَاحِبَةُ عَقْلٍ وَكَمَالٍ ، وَتَجارِبِ وَمَعْرِفَةٍ وَكَانَتْ فِي زَمَنِ مُوسَى عَلَيْه السَّلام وَلَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَون كَانَ لَهَا مِنَ العُمْرِ مِائَة وَسِتِّين سَنَة، وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «حُسْنِ المُحَاضَرَةِ فِي أَخْبَارِ مِصْرِ وَالقَاهِرَة»: إِنَّه لَمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ فِرْعَوْنَ فِي النِّيلِ هُو وَجُنُودَه وَأَشْرَاف أَهْلِ مِصْر وَأَكَابِرَهُمْ وَوجُوههم، وَكَانُوا أَكْثَر مِنْ أَلْفَي أَلْف فَبَقِيَتْ مِصْر خَالِيَة مِنَ الأَشْرَافِ، وَلَمْ يَبْقَ [بِهَا][١] إِلاّ العَبِيد وَالأُجرَاء وَالنِّسَاء، وَصَارَتْ المَرْأَةُ تَعْتِقُ عَبْدَهَا وَتَتزَوَّجه، وَتَتَزَوَّجُ الأُخْرَى أَجِيرَهَا، فَاجْتَمَعَ أَشْرَافُ مَنْ بِمِصْر مِنَ النِّسَاء، وَعَقَدْتْ[٢] رَأْيَهُنَّ[٣] عَلَى أَنْ يُولِين مِنْهُنَّ[٤] وَاحِدَة، فَاسْتَقَرَّ رَأْيُهُنَّ عَلَى أَنْ يُولِينَ عَلَيْهِنَّ دَلُوكَة[٥] بِنْت الزَّبَاء، فَمَلَّكُوهَا عَلَيْهِنَّ[٦] فَخَافَتْ أَنْ يَتَنَاوَلَهَا[٧] مُلُوكُ الأَرْضِ ، فَجَمَعَتْ نِسَاءَ الأَشْرَافِ وَقَالَتْ لَهُنَّ: إِنَّ بِلاَدَنَا لَمْ يَكُنْ يَطْمَعُ فِيهَا أَحَدٌ، وَقَدْ هَلَكَ أَكَابِرُنَا وَأَشْرَافُنَا وَذَهَبَ[٨] السَّحَرَةُ الَّذِين[٩] كُنَّ نَتقَوَّى

(١) زيادة يقتضيها السياق. عن حسن المحاضرة.

(٢) في الأصل (عقدوا).

(٣) في الأصل (رأيهم).

(٤) في الأصل (منهم).

(٥) في الأصل (دلولة).

(٦) في الأصل (عليهم).

(٧) في الأصل (يتناولوها).

(٨) في الأصل (ذهبت).

(٩) في الأصل (الذي).

بِهِمْ، وَقَـدْ رَأَيْتُ أَنْ أَبْنِي حِصْناً أُحَـدِّقُ [1] بِهِ جَمِيـعَ بِـلاَدِنَـا، وَأَضَـعُ عَلَيْـه المَحَارِسَ، فَبَنَتْ جِدَاراً أَحَاطَتْ عَلَى جَمِيع أَرْضِ مِصْر كُلِّها حَتَّى المَزَارِع وَالمُدُن وَالقُرَى، وَجَعَلَتْ دُونَـه خَلِيجاً يَجْرِي فِيهِ المَاءُ، وَأَقَامَتْ عَلَيْهِ القَنَاطِرَ، وَجَعلَتْ فِيهِ مَحَارِسَ وَمَسَالِحَ. عَلَى كُلِّ ثَلاَثَةِ أَمْيَالٍ مِحْرَس وَمَسْلَحَة، وَفِيمَا بَيْنَ ذَلِـكَ مَحَارِس صِغَـار، وَجَعلَتْ [فِي] [2] كُـلِّ مَحْـرَس رِجَـالاً وَأَجْـرَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْزَاقَ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يَحْرُسُـوا بِالأَجْـرَاسِ، فَإِذَا أَتَـاهُمْ أَحَدٌ يَخَـافُونَـهُ ضَرَبُـوا الأَجْرَاس مِنْ أَيَّة [3] جِهَةٍ كَانَتْ فَيَتحَصَّنُون، وَفَرَغَتْ مِنْ بِنَائِهِ فِي سِتَّة أَشْهُرٍ، وَكَانَ عِنْدَهُمْ عَجُوزٌ سَاحِرَة اسْمُهَـا تَدُورَةُ [4]، وَكَـانَتِ السَّحَرَةُ تُعـظِّمُهَا وَتُقَـدِّمُهَا فِي السِّحرِ، فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهَا دَلُوكَةُ تَقُولُ: إِنَّا [5] قَدِ احْتَجْنَا إِلَى سِحْرِكِ فَاعْمَلِي لَنَا شَيْئاً نَغْلِبُ [6] بِهِ مَنْ حَوْلَنَا، فَقَدْ كَانَ فِرْعَوْنُ مَعَ مُلْكِهِ مُحْتَاجاً إِلَيْكِ، فَقَدِمَتْ إِلَيْهِمْ وَعَمَلتْ بَيْتاً مِنْ حِجَارَةٍ فِي وَسْطِ مَدِينَةِ مَنْف، وَجَعَلَتْ لَهُ أَرْبَعَةَ أَبْوَابٍ، وَصَوَّرتْ فِيه صُورَ الخَيْلِ وَالبِغَالِ وَالحَمِيرِ وَالسُّفُنِ وَالرِّجَالِ، وَقَالَتْ لَهُمْ: هَذَا يُغْنِيكُمْ عَنِ الحِصْنِ، فَمَنْ أَتَاكُمْ مِنْ أَيَّةِ جِهَةٍ فَتَتَحرَّكَ الصُّور مِنْ تِلْكَ الجِهَةِ الَّتِي يَـأْتُونَ مِنْهَا، فَمَا فَعَلْتُمْ [7] بِالصُّورِ [8] مِنْ شَيْءٍ أَصَابَ العَدُوّ ذَلِكَ فِي أَنْفُسِهِم، وَلَمَّا بَلَغَ المُلُوكَ وِلاَيةُ النِّسَاءِ النِّسَاءَ طَمَعُوا فِيهَـا [9] وَلَمَّا دَنَـوا مِنْهَـا [10]، تَحَـرَّكَتْ تِلْكَ

---

(١) أحدق: اي أحيط.

(٢) زيادة يقتضيها السياق عن «حسن المحاضرة».

(٣) في الأصل (أي)، وقد صوّبت أعلاه.

(٤) في الأصل (تذورة)، والتصويب عن حسن المحاضرة ١/ ٤٧.

(٥) في الأصل (إن).

(٦) في الأصل (تغلب).

(٧) في الأصل (فعلته).

(٨) في الأصل (الصور).

(٩) فى الأصل (فيهم).

(١٠) في الأصل (منهم).

الصُّـور [الّتِي فِي البَيْتِ] [1] ، وَأَصَـابَ ذَلِـكَ الجَيْشَ الّـذِي أَقْبَـلَ مِنْ قَـطْعِ الرُّؤُوسِ ، وَقَلْعِ العُيُونِ ، وَبَقْرِ البُطُونِ ، فَيَعُودُونَ بِالخَيْبَةِ . وَمَلَكَتْهُمْ دَلُوكَةُ عِشْرِينَ سَنَـةً حَتَّى بَلَغَ مِنْ أَبْنَاءِ أَكَـابِرِهِمْ رَجُـلٌ يُقَـالُ لَـهُ دَرْكُـون بْنُ بَـطْلُوس فَمَلَّكُوهُ عَلَيْهِمْ [2] .

وَذُكِرَ فِي «تَفْسِيرِ الفَخْرِ الرَّازِي» : قَالَ وَهْبٌ : إِنَّ فِرْعَوْنَ يُوسُف هُو فِرْعَون مُوسَى ، وَهَذَا غَيْرُ صَحِيحٍ ، إِذ كَـانَ بَيْنَ دُخُولِ يُوسُفَ مِصْر وَبَيْنَ دُخُول مُوسَى ، عَلَيْهِ السَّلام ، أَكْثَـرُ مِنْ أَربَعِمائَةَ سَنَةٍ ، وَذُكِـرَ فِي كِتَابِ «عَجَـائِب مِصْر» : قَـالَ الكِنْدِيّ : أَجْمَعَتْ الرُّوَاة [3] عَلَى أَنَّهُ لاَ يُعْلَمُ جَمَاعَة أَسْلَمُوا فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ أَكْثَر مِنْ جَمَاعَةِ القِبْطِ ، وَهُمُ السَّحَرَةَ الّذِينَ آمَنُوا بِمُوسَى عَلَيْه السَّلام وَأَخْرَجَ ابْنُ عَبْدِ الحَكَمِ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ هُبَيْرَة قَالَ : كَانَ السَّحَرَةُ اثْنَي عَشر جُزْءاً رُؤَسَاء تَحت يَدِ كُلّ سَاحِرٍ مِنْهُم عِشْرُون عَرِّيفاً تَحْتَ يَدِ كُلّ عَرِّيفٍ مِنْهُمْ أَلف مِنَ السَّحَرَةِ ، فَكَانَ جَمِيعُ السَّحَرَةِ مِائَتِي أَلْف وَأَرْبَعِينَ أَلْفَ وَمِائَتَيْن وَاثْنَيْن وَخَمْسِين بِالرُّؤَسَاءِ وَالعُرَفَاءِ .

وَذُكِرَ فِي «تَفْسِير فَخْر الدِّين الرَّازِي» : لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يُغْرِقَ فِرْعَون وَالقِبْط أَمَرَ مُوسَى عَلَيْه السَّلام أَنْ يَأْمُرَ بَنِي إِسْرَائِيل أَنْ يَسْتَعِيرُوا حُلِي القِبْط ، وَذَلِكَ لِغَرَضَيْنِ أَحَدُهُمَا : لِيَخْـرُجُوا خَلْفَهُمْ لأَجْـلِ المَالِ ، وَالثَّـانِي : أَنْ تَبْقَى أَمْوَالُ القِبْطِ فِي أَيْدِيهِم ، وَنَزَلَ جِبْرَائِيلُ بِالعَشِي فَقَالَ لِمُوسَى : أَخْرِجْ قَـوْمَكَ لَيْـلاً ، وَذَلِكَ قَـوْلَه تَعَالَى : ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِي إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ﴾ [4] وَكَانُوا سِتّمِائَة أَلْف نَفْس فَلَمَّا خَرَجَ مُوسَى عَلَيْه السَّـلام بِبَنِي إِسْرَائِيـل بَلَغَ ذَلِكَ فِـرْعَوْن فَقَـالَ : لاَ تَتْبَعُوهُمْ حَتَّى يَصِيحَ الدِّيكُ . فَمَا صَاحَ الدِّيكُ تِلْكَ اللَّيْلَة . فَلَمَّـا أَصْبَحَ فِـرْعَوْنُ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ سِتّمِائَة أَلْف مِنَ القِبْطِ ، وَقِيل أَلف أَلف وَمِائَتا أَلف نَفْسٍ ، فَتَبِعُوهُمْ

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) انظر حسن المحاضرة (١/٤٦ ـ ٤٨).

(٣) في الأصل (الروات).

(٤) سورة الشعراء، الآية ـ ٥٢.

نَهاراً، وَذَلِكَ قَوْلُه تَعالى: ﴿فَأَتْبَعُوهُمْ مُشْرِقِينَ﴾ (١) أي بَعْدَ شُرُوقِ الشَّمْس ﴿فَلَمَّا تَرَآءَى الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ * قَالَ كَلَّا إِنَّ مَعِي رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾ (٢) فَلَمَّا سَارَ مُوسى وَأَتَى البَحْرَ قَالَ لَهُ يُوشَعُ بْنُ نُون، عَلَيْه السَّلام: أَيْنَ أَمَرَكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: إِلَى أَمامِكَ، وَأَشَارَ إِلَى البَحْرِ، فَأَقْحَمَ يُوشَعُ فَرَسَهُ البَحْرَ، فَكَانَ يَمْشِي فِي المَاءِ حَتَّى سَبَحَ الفَرَسُ ثُمَّ عَادَ وَقَالَ: يَا مُوسَى أَيْنَ أَمَرَكَ رَبُّكَ؟ فَقَالَ: البَحْر. فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ، وَفَعَلَ كَذَلِكَ ثَلاثَ مَرَّاتٍ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَى مُوسَى ﴿... أَنِ اضْرِب بِعَصَاكَ الْبَحْر...﴾ (٣) الآيَة، فَانْشَقَّ البَحْرُ اثْنَا عَشَرَ جَبَلاً فِي كُلِّ وَاحِد مِنْهَا طَرِيق (٤). فَقَالَ لَهُ: أُدْخُلْ فَكَانَ فِيهِ وَحل، فَهَبَّت الصَّبَا (٥) فَجَفَّ البَحْرُ حَتَّى صَارَ يَابِساً (٦)، وَذَلِكَ قَوْلُه تَعَالَى: ﴿... طَرِيقاً فِي الْبَحْرِ يَبَساً...﴾ (٧) وَأَخَذَ كُلُّ سِبْط طَرِيقاً (٨)، ثُمَّ أَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ فَلَمَّا بَلَغَ شَاطِىءَ البَحْرِ رَأى إِبْلِيسَ وَاقِفاً يَنْهَاهُ عَنِ الدُّخُولِ، فَجَاءَ جِبْرَائِيلُ، عَلَيْه السَّلام عَلَى مُهْرَةٍ فَتَقَدَّمَ فِرْعَوْنَ، وَكَانَ عَلَى فَحْلٍ فَتَبِعَهُ وَدَخَلَ البَحْرَ فَصَاحَ مِيكَائِيل عَلَيْه السَّلام الْحَقُوا آخِرَكُمْ بِأَوَّلِكُمْ (٩)، فَلَمَّا دَخَلُوا البَحْرَ أَمَرَ اللَّهُ المَاءَ فَنَزَلَ عَلَيْهِم، وَذَلِكَ قَوْلُه تَعَالى: ﴿... وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (١٠) وَكَانَ ذَلِكَ يَوْم عَاشُورَاء، فَصَامَ مُوسَى عَلَيْه السَّلام شُكْراً لِلَّهِ تَعَالى، ذُكِرَ فِي «تفسير

---

(١) سورة الشعراء، الآية ـ ٦٠.

(٢) سورة الشعراء الآية ـ (٦١ ـ ٦٢).

(٣) سورة الشعراء، الآية ـ ٦٣.

(٤) في الأصل (طريقاً).

(٥) الصبًا ريح تهب من الشرق.

(٦) في الأصل (يابس).

(٧) سورة طه، الآية ـ ٧٧.

(٨) في الأصل (طريق).

(٩) في الأصل (بأويلكم).

(١٠) سورة البقرة، الآية ـ ٥٠.

المدارك»[1] : أَنَّ شُعَيْباً[2] عَلَيْه السَّلام كَانَ عِنْدَهُ عِصِيّ الأَنْبِيَاءِ، فَقَالَ لِمُوسَى بِاللَّيْلِ : أُدْخُلْ ذَلِكَ البَيْتَ فَخُذْ عَصَا مِنْ[3] تِلْكَ العِصِيِّ، فَأَخَذَ عَصَا هَبَطَ بِهَا آدَمُ مِنَ الجَنَّةِ ، وَلَمْ يَزَلْ[4] الأَنْبِيَاءُ يَتَوَارَثُونَهَا حَتَّى وَقَعَتْ إِلَى شُعَيْب عَلَيْه السَّلام فَمَسَّهَا، فَضَنَّ بِهَا[5] وَقَالَ : خُذْ غَيْرَهَا فَمَا وَقَعَ فِي يَدِ مُوسَى عَلَيْه السَّلَام إِلَّا هِي سَبْعَ مَرَّاتٍ ، فَعَلِمَ أَنَّ لَهُ شَأناً فَأَعْطَاهُ إِيَّاهَا[6] . وَفِيهِ: أَيْضاً لَمَّا انْتَهَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَام إِلَى البَحْرِ، قَالَ يُوشَعُ لِمُوسَى: أَيْنَ أُمِرْتَ فَهَذا البَحْرُ أَمَامَكَ، وَقَدْ غَشِيَكَ آلُ فِرْعَون؟ فَقَالَ مُوسَى: هَهُنَا . فَخَاضَ يُوشَعُ المَاءَ، وَضَرَبَ مُوسَى بِعَصَاهُ البَحْرَ فَدَخَلُوا. وَرُوِي، أَنَّ مُوسَى عَلَيْـه السَّلام قَـالَ عِنْدَ ذَلِكَ: يَا مَنْ كَانَ قَبْلَ كُلِّ شَيء، وَالمُكَوِّن لِكُلِّ شَيء، وَالكَائِنُ بَعْدَ كُلِّ شَيْء. انْتَهى، وَكَـانَ غَرَقُ فِـرْعَون وَقَـوْمه فِي النِّيـلِ سَنَة ثَـلَاث[7] آلَاف وَثَمَانِمِـائَـة وَعِشْرِينَ[8] مِنْ هُبُوطِ آدَم عَلَيْه السَّلام.

---

(١) في الأصل (مدارك).

(٢) في الأصل (شعيب).

(٣) في الأصل (منه من). والتصويب عن «المدارك» ٣/٢٣٤ .

(٤) في الأصل (تزل).

(٥) في الأصل (فضربها) والصواب ما أثبت عن «المدارك» ٣/٢٣٤ .

(٦) انظر «تفسير المدارك» ٣/٢٣٤ .

(٧) في الأصل (ثلاثة).

(٨) في الأصل(عشرون).

[٣]

قَطَامُ وَقَبَالُ(١)

هُمَا امْرَأَتَان كَانَتَا(٢) فِي ثَمُود فِي زَمَنِ صَالِح عَلَيْه السَّلام وَكَانَ مَلِكُ ثَمُود وَاسْمُه قَدَارُ(٣) يَهْوَى قِطَام، وَأَخُوه(٤)، وَقِيلَ: ابْنُ عَمّه مِصْدَع يَهْوَى قِبَال وَكَانَا يَجْتَمِعَانِ بِهِمَا*. فَفِي بَعْضِ اللَّيَالِ قَالَتْ قَطَامُ، وَقَبَالُ لِمَلِكِهِمَا(٥) قِدَار، وَمِصْدَع(٦): لَا سَبِيلَ لَكُمَا عَلَيْنَا حَتَّى تَقْتُلا(٧) النَّاقَةَ! فَقَالاَ: نَعَمْ*، ثُمَّ إِنَّهُمَا جَمَعَا أَصْحَابَهُمَا*، وَقَصَدُوا النَّاقَة، وَكَانَتْ عَلَى حَوْضِهَا فَجَلَسَ قِدَارُ وَمِصْدَعُ فِي مَكَان، وَجَعَلَا يَبْعَثَانِ، رِجَالاً لِقَتْلِ النَّاقَةِ فَلَا يَقْدِرُونَ، وَيَعْظُمُ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، وَيَعُودُونَ، فَعِنْدَ ذَلِكَ مَشَى إِلَيْهَا قِدارُ وَقِيلَ: مِصْدَعُ وَضَرَبَ عُرْقُوبَهَا فَوَقَعَتْ إِلَى الأَرْضِ، وَقَامَتْ تَرْكُضُ وَذَلِكَ قَوْلُه تَعَالى: ﴿... فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ..﴾(٨)

---

(١) انظر: الكامل ١/٥١ ـ ٥٢.

(١) في المطبوعة (إقبال) وما أثبت عن «الكامل». وسيرد تصويبه بعد ذلك دون الإشارة إليه.

(٢) في الأصل (كانا).

(٣) في الأصل (الهوى).

(٤) في الأصل (أخيه).

(٥) في الأصل (لملكهم).

(٦) في المطبوعة (مصداع).

(٧) في المطبوعة (تقتلان).

(*) غيرت من الجمع إلى المثنى.

(٨) سورة الشمس، الآية ـ ١٤.

وَكَانَ ذَلِكَ يَوْم الأَرْبِعَاءِ[1]، وَاسْمُ ذَلِكَ اليَوْم بِلُغَتِهِم جَبَّار، وَكَانَ هَلاَكُهُمْ يَوْم الأَحَدِ، وَهُو عِنْدَهُمْ أَوَّلُ يَوْم .

ذُكِرَ فِي كِتَابِ «الكَامِل»: فَلَمَّا قُتِلَتِ النَّاقَةُ أَتَى رَجُلٌ مِنْهُمْ إِلَى صَالِح عَلَيْه السَّلام وَقَالَ لَهُ: أَدْرِكْ النَّاقَةَ فَقَدْ عُقِرَتْ، فَأَقْبَلَ صَالِحٌ عَلَيْه السَّلام وَخَرَجَ[2] قَوْمُه يَتَلَقونَهُ ويَقُولُونَ يَا نَبِي اللَّهِ: إِنَّمَا عَقَرَهَا فُلاَنٌ وَلاَ ذَنْبَ لَنَا، فَقَالَ: أَدْرِكُوا فَصِيلَهَا فَإِنْ أَدْرَكْتُمُوهُ فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَ عَنْكُمُ العَذَابَ، فَخَرَجُوا يَطْلُبُونَ الفَصِيلَ، فَهَرَبَ وَقَصَدَ الجَبَلَ، وَجَعَلَ كُلَّمَا صَعَدَ يَتَطَاوَلُ الجَبَلُ فِي السَّمَاءِ[3]، حَتَّى مَا بَقِيَ يَنَالُه الطَّائِر، فَعَادُوا عَنْهُ وَعَادَ صَالِحٌ عَلَيْه السَّلام إِلَى القَرْيَةِ، فَبَكَى الفَصِيلُ ثُمَّ اسْتَقْبَلَ صالحاً[4] عَلَيْه السَّلام ثَلاَث مَرَّاتٍ، فَقَالَ صَالِحٌ: لِكُلِّ دَعْوَة أَجَلُ يَوْم، وَذَلِكَ قَوْلُه تَعَالى: ﴿... **تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ**﴾[5] وَآيَة العَذَابِ الَّذِي يَنْزِلُ بِكُمْ أَنَّ وُجُوهَكُمْ تَصْبَحُ فِي اليَوْمِ الأَوَّلِ مُصْفَرَّة، وَفِي اليَوْمِ الثَّانِي محمرّة، وَفِي اليوم الثَّالِثِ مسْودَّة، فَكَانَ مِثْلَمَا قَالَ. فَلَمَّا كَانَ اليوم الثَّالِثِ تَكَفَّنُوا، وَاحْتَنَطُوا بِالصَّبْرِ وَالمُرّ، وَكَانَتْ أَكْفَانُهُمْ النِّطَاع، وَأَلْقُوا أَنْفُسَهُمْ إِلَى الأَرْضِ فَلَمَّا كَانَ اليوم الرَّابعُ أَتَتْهُم صَيْحَةٌ مِنَ السَّمَاءِ فِيهَا صَوْت كُلِّ صَاعِقَة، فَتَقَطَّعَتْ قُلُوبُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، وَذَلِكَ قَوْلُه تَعَالى: ﴿... **فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ**[6] **جَاثِمِينَ**﴾[7] وَهَلَكُوا كُلّهم وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْهُم إِلاَّ أَبُو رِغَال، وَهُو أَبُو ثَقِيف، لأَنَّه كَانَ

---

(١) انظر الكامل ١/٥١ ـ ٥٢.

(٢) في الأصل (وخرجوا).

(٣) في الكامل ١/٥٢: (فخرجوا يطلبونه، ولما رأى الفصيل أمه تضطرب قصد جبلاً يقال له: القارة قصيراً فصعده، وذهبوا يطلبونه، فأوحى الله إلى الجبل فطال في السماء).

(٤) في المطبوعة (صالح).

(٥) سورة هود، الآية ـ ٦٥.

(٦) في الأصل (أدارهم).

(٧) سورة هود، الآية ـ ٦٧.

فِي الحَرَمِ [١]، وَلمَّا مَرَّ ﷺ عَلى قَرْيَةِ ثَمُود قَالَ لِأَصْحَابِهِ: «لَا يَدْخُلَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمُ القَرْيَةَ، وَلَا تَشْرَبُوا مِنْ مَائِهَا»، وَأَرَاهُمْ مَرْتَعَ الفَصِيل فِي الجَبَلِ، وَأَرَاهُمُ الفَجَّ [٢] الَّذِي كَانَتْ النَّاقَةُ تَرِدُ مِنْهُ [٣][المَاءَ] [٤].

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «مُخْتَصَرِ المُؤَيد»: أَنَّ قَوْمَ صَالِحٍ اقْتَرَحُوا عَلَيْهِ أَنْ يُخْرِجَ لَهُمْ نَاقَةً مِنْ حَجَرٍ صَلْدٍ، فَدَعى اللَّهَ تَعَالى فَخَرَجَتْ النَّاقَةُ مِنْ الصَّخْرَةِ، وَكَانَتْ هِي سَبَبَ هَلَاكِهِمْ لَمَّا عَقَرُوهَا بِامْرَأَتَيْنِ فَاجِرَتَيْنِ بَيْنَهُمْ، وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «قِصَصِ الأَنْبِيَاءِ» أَنَّه آمَن بِصَالِحٍ مِنْ قَوْمِهِ أَرْبَعَة آلاف نَفَر، وَخَرَجَ بِمَنْ آمَنَ مَعَهُ لَيْلَة الأَحَد، وَنَزَلَ فِي مَكَان مِنْ أَعْمَال فلسطِين، وَأَهْلَكَ اللَّهُ قَوْمَهُ سَنَة ثَلَاثَة آلاف وَمِائَتَيْنِ وَثَلَاثَة وَخَمْسِينَ سَنَةً مِنْ هُبُوطِ آدم عَلَيْه وَعَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٌ أَفْضَلُ الصَّلَاة وَأَكْمَلُ التَّسْلِيم. وَقَالَ فِي كِتَابِ «البُسْتَان»: ثَمُود اسْمُ بِئْرٍ بِأَرْضِ الحِجْرِ، مِنْهُ سُمِّيَتْ تِلْكَ القَبِيلَة ثَمُود، وَكَانَ عَاقِرُ النَّاقَةِ [٥] رَجُلًا [٦] أَحْمَر أَزْرَق [العَيْنَيْنِ] [٧] يُقَالُ لَهُ: قُدَارُ بْنُ سَالِف، وَهُو أَشْقَى القَوْم: قَالَ تَعَالى: ﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾ [٨].

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: (ولم يفلت منهم أحد لا صغير ولا كبير، لا ذكر ولا أنثى، ولم يبق من ذرية ثمود أحد سوى صالح عليه السلام إلا أن رجلاً يقال له أبو رغال كان لما وقعت النقمة بقومه مقيماً إذ ذاك في الحرم فلم يصبه شيء، فلما خرج في بعض الأيام إلى الحِلّ جاءه حجر من السماء فقتله).

(٢) في المطبوعة (الفخ)، والصواب ما أثبت من الكامل ١/٥٢، والفَجّ: بالفتح هو الطريق الواسع بين الجبلين والجمع فِجاج بالكسر. انظر: مختار الصحاح ص ٤٩١ مادة (ف ح ج).

(٣) انظر الكامل ١/٥٢.

(٤) الزيادة عن الكامل.

(٥) وردت هذه العبارة في المطبوعة على النحو التالي: (وكان ذلك عقر الناقة)، والصواب ما أثبت عن «البستان» ص ٦٧.

(٦) في المطبوعة (رجل).

(٧) زيادة يقتضيها السياق عن «البستان» ص ٦٧.

(٨) سورة الشمس، الآية ـ ١٢.

[٤]

رَقَاشُ (١)

هِي أُخْتُ جَذِيْمَةَ الأَبْرَشِ(٢)، كَانَتْ حَسَنَةً جَمِيلَةً، وَكَانَ أَخُوهَا(٣) جَذِيمَة مِنْ أَجَلِّ مُلُوكِ العَرَبِ، فَبَلَغَه أَنَّ فِي بَنِي لَخْمٍ غُلَاماً(٤) حَسَنَ الصُّورَة اسْمُه عَدِي فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ وَاسْتَدْعَاهُ، فَلَمَّا قَدِمَ وَدَخَلَ عَلَيْه رَآهُ جَمِيلاً حَسَناً فَضَمَّه إِلَيْه، وَوَلَّاه شَرَابَه، وَجَعَلَهُ هُو السَّاقِي، فَكَانَ يَسقِيهِ وَيَتَمَلَّى بِهِ، كَمَا قِيلَ:

أَدَارَ الكَأْسَ سَاقِينَا ... فَكَانَتْ مِثْلَ خَدَّيهِ
بَيَاضاً فِي احْمِرَارٍ قَدْ ... سَبتَنَا مِثْلَ عَينَيهِ

فَاتَّفَقَ أَنَّ رَقَاشَ نَظَرَتْهُ فَعَشِقَتْهُ، وَهَامَتْ بِهِ، فَكَانَتْ كَمَا قِيلَ:

---

(١) انظر ترجمتها في: الكامل (١/١٩٧)، وسرح العيون ص ٧٩، ومجمع الأمثال (٣/١٥) ومروج الذهب، والأغاني.

(٢) هو جذيمة بن مالك بن فهم بن غنم بن دوس التنوخي ـ وقيل الأزدي، وكان أفضل ملوك العرب رأياً وأبعدهم مغاراً وأشدهم نكاية وهو أول من استجمع له المُلك بأرض العراق، وأول من قاد العرب وملك قضاعة، وكانت منازله الحيرة والأنبار، وولايته من قبل أردشير بن بابك، وكان أبرص فَعُدِلَ عن هذا الاسم فقيل: «الأبرش» و «الوضاح» وزعم بعضهم أنه كان يأنف من اسم «الأبرص» ولذلك كني عنه بالأبرش. وهو أول من عمل المنجنيق، وأول من حُذِيت له النعال، وأول من رُفِعَ له الشمع، وكان لا ينادم أحداً ذهاباً بنفسه، وينادم الفرقدين، وكان يشرب قدحاً ويصب لكل نجم قدحاً في الأرض حتى نادمه مالك وعقيل.
انظر ترجمته في: الكامل (١/١٩٦ ـ ١٩٧)، وسرح العيون ص ٧٧، والمعارف (٥٥٤ ـ ٦٤٥) والأغاني (١٤/٧١)، ونوادر المخطوطات (٦/١١٢ ـ ١١٤)، وثمار القلوب ص ١٤٣، وتاريخ اليعقوبي ١/١٦٩.

(٣) في الأصل (أخيها).

(٤) في الأصل (غلام).

يَا مَعْشَرَ العُذَّالِ أَقْبَلَ قَاتِلِي ... فَقِفُوا لِرُؤْيَةِ وَجْهِهِ وَتَفَرَّجُوا
فَالْخَدُّ يَاقُوتٌ وَرَائِقُ ثَغْرِهِ ... دُرٌ، وَعَقْرَبُ صِدْغِهِ فَيْرُوزَجُ

فَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ لِيَخْطِبُهَا مِنْ أَخِيهَا جَذِيمَة فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا يَعْتَذِرُ إِلَيْهَا، وَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَقْدِرُ عَلَى هَذَا فَاسْتَدْعَتْهُ إِلَيْهَا، وَضَمَّتْهُ إِلَى صَدْرِهَا، وَجَعَلَتْ تُقَبِّلُه، وَيُقَبِّلُهَا، وَتُلَاعِبُهُ وَيُلَاعِبُهَا، وَلِسَانُ حَالِهَا يَقُولُ:

وَلَمَّا تَلَاقَيْنَا وَعِنْدِي مِنَ الأَسَى[1] ... بَقِيَةُ وَجْدٍ، وَهو نَشْوَان مِنْ خَمْرِ
لَثَمْتُ ثَنَايَاهُ العِذَابَ فَكُلَّمَا ... تَنَفَّسَ عَنْ خَمْرٍ تَنَفَّسْتُ عَنْ جَمْرِ

ثُمَّ إِنَّهَا قَالَتْ لَهُ: إِذَا جَلَسَ جَذِيمَة عَلَى شَرَابِهِ فَاسْقِهِ صِرْفاً، وَأَسْقِي القَوْمَ مَمْزُوجاً، فَإِذَا أَخَذَتْ الخَمْرَةُ فِيهِ فَاخْطُبْنِي إِلَيْهِ، فَلَنْ يَرُدَّكَ، فَإِذَا زَوَّجَكَ فَأَشْهِدِ القَوْمَ، فَفَارَقَهَا وَلَمَّا حَضَرَ جَذِيمَةُ فِي مَجْلِسِهِ[2]، وَأَمَرَ بِالشَّرَابِ، فَقَدَّمَهَا إِلَيْهِ عَدِي وَفَعَلَ مَا أَمَرَتْهُ رَقَاش، ثُمَّ خَطَبَ رَقَاش مِنْ جَذِيمَة[3] فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا، وَأَشْهَدَ القَوْم. فَلَمَّا انْقَضَى المَجْلِس انْصَرَف عَدِيٌّ إِلَى عِنْدِ رَقَاش فَأَعْرَسَ بِهَا مِنْ لَيْلَتِهِ، وَأَصْبَحَ بِالخَلُوقِ فَرآه جَذِيمَةُ، فَقَالَ: مَا هَذِهِ الآثَار؟ فَقَال عَدِيٌّ: آثَارُ العرس. فَقَالَ: أَي عِرْسٍ؟ قَالَ عَدِيٌّ: عُرْسُ رَقَاش! فَقَالَ جَذِيمَة: مَنْ زَوَّجَكَ بِهَا وَيْحَكَ؟ قَالَ: المَلِكُ. فَعِنْدَ ذَلِكَ نَدِمَ جَذِيمَة، وَتَذَكَّر مَا قَالَهُ لَهُ، حِينَ خَطَبَهَا مِنْهُ، وَبَدَا فِي وَجْهِ جَذِيمَة الغَضَبُ، فَهَرَبَ عَدِي خَوْفاً مِنَ القَتْلِ، وَاتَّصَلَ عَدِي فِي قَبِيلَتِهِ، لَمْ يَعْلَمْ لَهُ مَكَان، ثُمَّ إِنَّ جَذِيمَةَ كَتَبَ إِلَى رَقَاش يَقُولُ[4]:

---

(١) في الأصل (الاسا).

(٢) في الأصل (مجلس).

(٣) في الأصل مكررة.

(٤) ورد البيتان في الكامل (١/١٩٧)، وسرح العيون ص ٧٩، وتاريخ الطبري ١/٦١٥.

وجاء في مجمع الأمثال (٣/١٥):

حَدِّثِيني وانت غَيْرُ كَذُوبِ ... أبحر زَنَيْتِ ام بهجين
أَمْ بِعَبْدٍ وانت اهل لعبد ... ام بدون وانت اهل لدون

خَبِّـرِينـي، وأَنْتِ[1] لَا تَكْـذِبِينِي   أَبِحُـرٍّ زَنَيْـتِ أَمْ بِـهَـجِـيـنِ
أَمْ بِعَبْـدٍ، فَـأَنْتِ أَهْـلٌ لِعَبْـدٍ   أَمْ بِـدُونٍ فَـأَنْـتِ أَهْـلٌ لِـدُونِ

فَلَمَّا قَرَأَتْهُ رَقَاش قَالَتْ: لَا، بَلْ أَنْتَ زَوَّجْتَنِي امْرءاً عَرَبِيًّا حَسِيباً[2]، فَعِنْدَ ذَلِكَ عَذَرَهَا، وَحَمَلَتْ رَقَاش مِنْ لَيْلَتِهَا، وَلَمَّا تَكَامَلَتْ عِدَّتُهَا، وَلَدَتْ غُلَاماً فَسَمَّتْهُ عَمْرو[3]، وَلَمَّا انْتَشَى وَتَرَعْرَعَ أَحَبَّه خَالُهُ جَذِيمَة، ثُمَّ إِنَّ الجِنَّ اخْتَطَفَتْ عَمْرو، وَأَقَامَ عِنْدَهُم زَمَاناً، وَلَمَّا أَفْلَتَ[4] مِنْهُم، وَعَادَ وَهُو عُرْيَان، أَشْعَث، أَغْبَر فَلَقِي فِي طَرِيقِهِ مِنْ بَنِي قُضَاعَة رَجُلَيْنِ وَامْرَأَة[5]، وَهُمَا تَكلان[6]، فَأَقْبَلَ

---

(١) في سرح العيون: (رقاش) بدلاً من (وأنت).

(٢) في الأصل (حسباً) والتصويب من الكامل ١/١٩٧.

وفي مروج الذهب: فأجابته رقاش تقول:

أنت زَوَّجْتَنِي وما كنتُ أَدْرِي   وأتاني النِّسَاءُ للتَّزْيِينِ
ذاكَ مِنْ شُرْبِكَ المدامَةَ صِرْفاً   وَتَمَادِيكَ في الصِّبَا والمُجُونِ

(٣) هو عمرو بن عدي بن نصر، وهو الذي كان يقول إذا جنى الكمأة بين يدي خاله، وهو صبي [رجز]:

هَذَا جَنَايَ وَخِيَارُهُ فِيهِ   وَكُلُّ جَانٍ يَدُهُ إِلَى فِيهِ

وهو الذي ملك بعد خاله جذيمة، فعظمته الملوك وهابته، لما كان من حيلته في الطلب بثأر خاله حتى أدركه.

انظر الكامل: (١/١٩٧ ـ ١٩٨)، والمعارف (ص ٦١٨ ـ ٦٤٦).

(٤) في الأصل (قلت).

(٥) الرجلان هما: مالك وعقيل ابنا فارج بن مالك من الشام، كانا يتوجهان إلى جذيمة بهدايا، وعندما أقبل عمرو بن عدي عليهم، وعرفهم بنفسه نهضا وغسلا رأسه، وأصلحا أمره، وألبساه ثياباً، وقالا: ما كنا لنهدي جَذِيمَةَ أنفس من ابن أخته، ولمَّا أتيا به جَذِيمَة سُرَّ به سروراً شديداً، وحكّمهما، فحكما منادمته، فنادماه أربعين سنة يحادثانه فيها ما أعادا عليه حديثاً، وفيهما يقول مُتَمِّمُ بْنُ نُوَيرة التَّيمي وهو يرثي أخاه: [طويل]

وعشنا كنَدْمَانَي جَذِيمَةَ حقبة   من الدَّهر حتى قيل لن يَتَصَدَّعَا

وقال أبو خراش الهُذَلِيّ:

ألم تَعْلَمِي أن قد تفرّق قبلنا   خليلا صفاء مالكٌ وعقيلُ

والمرأة هي جارية لهما تسمى أم عمرو (انظر الكامل (١/١٩٧)، والمعارف ص ٦١٨ و ٦٤٦، وعيون الأخبار (١/٢٧٤ ـ ٢٧٥).

(٦) في الأصل (يكلان).

عَمْـرُو عَلَيْهِمْ وَمَدَّ يَدَهُ إِلَى الْمَرْأَةِ يَطْلُبُ طَعَاماً فَنَاوَلَتْهُ الْمَرْأَةُ كُرَاعاً فَأَكَلَهُ، ثُمَّ مَدَّ يَدَهُ ثَانِياً، فَقَالَتْ [1] الْمَرْأَةُ: لاَ تُعْطِ الْعَبْدَ الْكُرَاعَ [2] فَيَطْمَعُ فِي الذِّرَاعِ، فَصَارَتْ مَثَلاً. ثُمَّ إِنَّ الْمَرْأَةَ سَقَتْهُمَا [3] شَرَاباً، وَأَوْكَتْ زِقَهَا، فَقَالَ عِنْدَ ذَلِكَ عَمْرُو. شِعْر:

صَـدَدْتِ الكَـأْسَ عَنَّـا أُمَّ عَـمْـرو وَكَـانَ الْكَـأْسُ مَجْـرَاهَـا الْيَمِينَـا
وَمَـا شَـرُّ الـثَّـلاَثَـةِ أُمَّ عَـمْـرو بِصَـاحِبِـكِ الَّـذِي لاَ تَصْحَبِينَـا [4]

ثُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ سَأَلُوا عَمْرو فَعَرَّفَهُمْ نَفْسَهُ، فَحَمَلُوه إِلَى جَذِيمَة فَأَصْلَحَ حَالَهُ.

---

(١) في الأصل (فقال).
(٢) في الأصل (كراع).
(٣) في الأصل (سقتها).
(٤) في الكامل (١/١٩٨) لا تصبحينا.

[٥]

عُفَيْرَةُ بِنْتُ عَبَّاد*

وَيُقَالُ لَهَا الشَّمُوس، وَهِيَ أُخْتُ الأَسْوَد مِنْ قَبِيلَةِ جَدِيس، وَكَانَ المَلِكُ فِي طَسْمٍ، وَالمَلِكُ اسْمُه عَمْلِيق، وَكَانَ ظَالِماً جَبَّاراً، وَبَلَغَ مِنْ ظُلْمِهِ أَنْ لَا تُزَفُّ بِكْرٌ عَلَى زَوْجِهَا حَتَّى يَفْتَضَّ هُو بَكَارَتَهَا ثُمَّ يَعْمَلُ لَهُ أَبُو البِكْرِ وَلِيمَة، وَيَدْعُو[1] إِلَيْهَا طَسْم، وَقَصْدُهُ بِذَلِكَ فَضِيحَة جَدِيس، فَلَمَّا تَزَوَّجَتْ عُفَيْرَةُ حَمَلُوهَا إِلَى عَمْلِيق، عَلَى عَادَتِهِمْ، فَافْتَضَّ بَكَارَتَهَا، وَخَرَجَتْ مِنْ عِنْدِهِ، وَدِمَاؤهَا تَجْرِي عَلَى أَثْوَابِهَا، وَقَدْ شَقَّتْ دِرْعَهَا مِنْ قُبُلٍ وَمِنْ دُبُرٍ، وَقَالَتْ[2]:

لَا أَحَدَ أَذَلُّ مِنْ جَدِيسِ ... أَهَكَذَا يُفْعَلُ بِالْعَرُوسِ؟
يَرْضَى بِذَا يَا قَوْم بَعْلٌ حُرّ[3] ... أَهْدَى وَقَدْ أَعْطَى وَسِيقَ[4] الْمَهْرِ

ثُمَّ إِنَّهَا بَكَتْ، وَأَنْشَدَتْ تُحَرِّضُ قَوْمَهَا، وَتَقُولُ: شِعْراً[5]:

(*) انظر ترجمتها: الكامل لابن الأثير ٢٠٣/١ ـ ٢٠٥، وأعلام النساء ٢٩٧/٣ ـ ٢٩٩.

(١) في الأصل (يدعوا).

(٢) ورد البيتان بالكامل ٢٠٤/١، وأعلام النساء ٢٩٧/٣، وزاد بيتاً بعد هذين البيتين:

لأخذة الموت كذا لنفسه ... خير من أن يفعل ذا بعرسه

(٣) في أعلام النساء (يرضى بهذا يا لقومي حر).

(٤) في المطبوعة (وساق)، وفي الكامل (وثيق)، وما أثبت عن أعلام النساء.

(٥) وردت الأبيات في الكامل ٢٠٤/١، وأعلام النساء ٢٩٨/٣ مع اختلاف في اللفظ والترتيب وزيادة في بعض الأبيات.

أَتَـرْضَـوْنَ مَـا يُقْضَى إِلَى فَتَيَـاتِكُمْ وَأَنْتُمْ رِجَـالٌ فِيكُمْ عَـدَدَ النَّمْـلِ (١)
وَتُصْبِـحُ عُفَيْـراً بِـالْـدِّمَـاءِ غَـرِيْقَـةً جِهَاراً، وَقَدْ زُفَّتْ عَرُوساً إِلَى البَعْلِ
فَـلَوْ أَنَّنَـا كُـنَّـا رِجَـالاً وَكُـنْـتُـمْ نِسَاءً لَكُنَّا لَا نَقِرُّ لِذَا (٢) الفِعْـلِ
وَإِنْ أَنْتُمُ لَمْ تَغْـضَبُـوا بَـعْـدَ هَـذِهِ فَكُـونُوا نِسَـاءً لَا تَغِيبُـوا مِنَ الكُحْـلِ
وَدُونَـكُمُ طِيبُ العَـرُوسِ فَـإِنَّمَـا خُلِقْتُمْ لأَثْوَابِ الْعَرُوسِ وَلِلنَّسْلِ (٣)
فَبُعْـداً وَسُحْقـاً لِلَّذِي لَيْسَ دَافِـعـاً وَيَخْتَـالُ يَمْشِي بَيْنَنَـا مِشْيَـةَ الفَحْـلِ

فَلَمَّا رَآهَا أَخُوهَا الأَسْوَدُ، وَسَمِعَ مَقَالَهَا نَهَضَ إِلَيْهَا وَأَدْخَلَهَا الخِبَاءَ، وَأَحْضَرَ قَوْمَهُ، وَكَانَ هُوَ سَيِّدَ قَوْمِهِ، وَاسْتَشَارَهُمْ فِي الوَلِيمَة، وَقَتْلِ عَمْلِيق وَطَسْم، فَعَمَلَ وَلِيمَةً عَظِيمَةً وَدَعَا عَمْلِيق فَحَضَرَ هُوَ وَقَبِيلَتُهُ، وَأَجْلَسَهُمْ عَلَى الطَّعَامِ، فَوَجَدَ عَمْلِيق طَعَاماً كَثِيراً فَتَعَجَّبَ مِنْ كَثْرَتِهِ، وَحَمَدَ الأَسْوَدَ رَجُلٌ مِنَ القَوْمِ: رُبَّ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكَلَاتٍ. فَصَارَتْ مَثَلاً. ثُمَّ جَرَّدَ الأَسْوَدُ سَيْفَهُ وَكَانَ وَاقِفاً عَلَى رَأْسِ عَمْلِيق وَسُيُوفُهُمْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ فِي الرَّمْلِ فَجَرَّدَتْهَا(٤) جَدِيس، وَأَوَّلُ مَنْ قَتَلَ عَمْلِيق ضَرَبَهُ الأَسْوَدُ بِسَيْفٍ أَطَاحَ رَأْسَهُ عَنْ بَدَنِهِ، وَوَضَعَ السَّيْفَ فِي طَسْمٍ فَلَمْ يَنْجُ(٥) مِنْهُمْ أَحَدٌ، وَمَنْ كَانَ غَائِباً(٦) مِنْ طَسْمٍ وَنِسَائِهِمْ وَأَطْفَالِهِمْ سَارُوا إِلَى حَسَّانَ بْنِ تُبَّعٍ، مَلِكِ اليَمَنِ أَوْ اسْتَجَارُوا بِهِ فَسَارَ حَسَّانُ لِنُصْرَتِهِمْ، فَلَمَّا بَقِي مِنَ اليَمَامَةِ مَسِيرَةُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ، قَالَ لَهُ رَجُلٌ مِنْ طَسْم: إِنَّ فِي جَدِيس امْرَأَةً تُبْصِرُ مِنْ مَسِيرَةِ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ يُقَالُ لَهَا زَرْقَاء اليَمَامَة، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَمَرَ حَسَّانُ العَسَاكِرَ أَنْ يَقْطَعَ كُلُّ فَارِسٍ شَجَرَة، وَيَحْمِلُهَا أَمَامَهُ، فَفَعَلُوا فَأَبْصَرَتْهُم اليَمَامَة فَقَالَتْ لِقَوْمِهَا أَرَى أَشْجَاراً تَقْدُمُ إِلَيْكُم:

---

(١) في المطبوعة (الرمل) والصواب ما أثبت عن الكامل، وأعلام النساء.
(٢) في المطبوعة (لذي).
(٣) في المطبوعة (وللبعل)، وما أثبت عن الكامل وأعلام النساء.
(٤) في الأصل (فجردها).
(٥) في الأصل (ينجوا).
(٦) في الأصل (غائب).

فَكَذَّبُوهَا فَصَبَّحَهُمْ حَسَّان وَأَبَادَهُمْ، وَقَلَعَ عَيْنَي[1] زَرْقَاءَ اليَمَامَة، فَوَجَدَ فِيهَا عُرُوقاً سُوداً[2]، فَسَأَلَهَا: فَقَالَتْ: هَذَا إِثْمِدٌ كُنْتُ أَكْتَحِلُ بِهِ. وَهِيَ أَوَّلُ مَنِ اكْتَحَلَ بِالإِثْمِدِ.

وَفِي عَدَمِ الغَيْرَةِ، مَا حُكِي [مِنْ][3] أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ حِمْص وَجَدَ جَارِيَتَهُ تَحْتَ رَجُلٍ وَهُو يجامِعُهَا، فهَرَبَ الرَّجُلُ وَقَبَضَ الحِمْصِيُّ عَلَى جَارِيَتِهِ وَسَأَلَهَا: لِمَ فَعَلْتِ هَذَا الفِعْلَ القَبِيح؟ فَقَالَتْ لَهُ: يَا مَوْلاَيَ أُقْسِمَ عَلَيَّ بِحَيَاتِكَ، وَأَنْتَ تَعْلَمُ صِدْقَ مَحَبَّتِي لَكَ، فَسَكَتَ وَصَدَّقَهَا.

وَحُكِيَ فِي كِتَابِ «كَلِيلَة وَدِمْنَة»: أَنَّ رَجُلاً كَانَ لَهُ امْرَأَة يُحِبُّهَا، وَكَانَ قَدْ عَلِقَ بِهَا رَجُلٌ وَاطَّلَعَ عَلَيْهَا جيرَانه فَأَخْبَرُوا زَوْجَهَا أَنْ يَسْتَبِينَ لَهُ ذَلِكَ، فَقَالَ لاِمْرَأَتِهِ أُرِيدُ أَنْ أَذْهَبَ إِلَى مَكَانٍ، وَذَكَرَ قَرْيَة وَأَمْكُثُ فِيهَا مُدَّة، وَخَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ، فَلَمَّا خَرَجَ دَخَلَ فِي بَيْتِ جَارِهِ، وَاخْتَفَى فِي بَيْتِ جَارِهِ، فَلَمَّا أَمْسَى المَسَاء تَسَلَّقَ الجِدَارَ، وَانْحَدَرَ عَلَى دَارِهِ، وَاخْتَفَى تَحْتَ سَرِيرِهِ، وَأَرْسَلَتْ امْرَأَته تَدْعُو صَاحِبَهَا، فَقَدِمَ إِلَيْهَا، وَجَلَسَ عِنْدَهَا يَأْكُلُ، وَيُشْرَبُ مَعَهَا، وَيُلاعِبُهَا، وَجَلَسَا عَلَى السَّرِيرِ، وَجَعَلَ يُواقِعُهَا، وَزَوْجُهَا تَحْتَ السَّرِيرِ، وَقَدْ نَامَ، فَخَرَجَتْ رِجْلاَهُ مِنْ تَحْتِ السَّرِيرِ وَنَظَرَتْهَا امْرَأَته، فَقَالَتْ لِصَاحِبِهَا، هَذَا زَوْجِي قَدْ أَخْفَى نَفْسَهُ تَحْتَ السَّرِيرِ، وَأَظُنُّ قَدْ بَلَغَهُ عَنِّي وَعَنْكَ هَذَا الفِعْل، فَاسْأَلْنِي[4] ظَاهِراً أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ أَنَا أَمْ زَوْجُكِ؟ فَسَأَلَهَا صَاحِبُهَا، فَقَالَتْ لَهُ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّنَا مَعَاشِرَ النِّسَاءِ، إِنَّمَا نُرِيدُ بِذَلِكَ قَضَاءَ شَهْوَتِنَا لِأَجْلِ النَّفَقَةِ، وَالكُسْوَةِ، طَلَباً بِذَلِكَ مُسَاعَدَةَ الزَّوْج، وَإِنَّ الزَّوْجَ عِنْدَنَا أَعْلَى[5] مَنْزِلَة مِنَ الأَبِّ وَالأَخِ، وَإِنَّ الصَّاحِبَ إِذَا قَضَى مِنَّا المَأْرَبَ صَارَ عِنْدَنَا

---

(١) في الأصل (عيون).

(٢) في الأصل (عروق سود).

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) في الأصل (فاسئليني).

(٥) في الأصل (أعلا).

كَالعَدُو المُحَارِب، وَسَوَّدَ اللَّهُ وَجْهَ امْرَأَة لاَ يَكُونُ زَوْجُهَا أعَزَّ عِنْدَهَا مِنْ كُلّ صَاحِبٍ. فَانْتَبَه زَوجُهَا وَسَمِعَ مَقَالَتَهَا، وَذَهَبَ صَاحِبُهَا، فَخَرَجَ الزَّوْجُ مِنْ تَحْتِ السَّرِيرِ، وَقَعَدَ عِنْدَ رَأْسِ زَوْجَتِهِ، وَجَعَلَ يَكِشُّ الذُّبَابَ عَنْ وَجْهِهَا فَفَتَحَتْ عَيْنَيْهَا[1] وَنَظَرَتْهُ، فَقَال لَهَا: نَامِي يَا حَبِيبَة قَلْبِي فَقَدْ سَهِرْتِ البَارِحَة مَعَ صَاحِبِكِ، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا وَقَعَ لَكِ مَعَهُ مِنَ الخِصَامِ. فَانْظُر رَحِمَكَ اللَّهُ إِلَى أَفْعَالِ هَذَا القِرْنِينِ وَتَصْدِيقِهِ بِهَذَا الكَلاَم، وَاللَّهُ أَعْلَم.

(١) في الأصل (عيناها).

[٦]

النَّضِيرَةُ بِنْتُ السَّاطِرُونِ*

وَاسْمه الضَّيْزَن، وَهُو مِنْ قَبِيلَة قُضَاعَة، وَهُو مَلِك مَدِينَةِ الحَضَر، وَأَصْلُه مِنَ الجَرَامِقَةِ، وَكَانَ ظَالِماً جَبَّاراً، وَكَانَ يَشُنُّ الغَارَات عَلَى القَبَائِلِ، فَبَلَغَ خَبَرُه إِلَى المَلِكِ كِسْرَى سَابُور، فَتَجَهَّزَ بِالعَسَاكِرِ، سَابُورُ، وَقَدِمَ إِلَى حَرْبِ السَّاطِرُون، وَحَاصَرَ مَدِينَة الحَضَرِ أَرْبَعَ سِنِين، وَقِيلَ: سَنَتَيْنِ، وَلَمْ يَقْدِرْ سَابُور إِلَى أَخْذِهَا، فَاتَّفَقَ أَنَّ النَّضِيرَةَ بِنْتَ الضَّيْزَن حَاضَتْ فَأُخْرِجَتْ[1] الى رَبَضِ المَدِينَةِ، وَهَذِهِ عَادَتُهُمْ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ فَنَظَرَتْ إِلَى سَابُور، وَهُو أَجْمَلُ أَهْلِ زَمَانِهِ، فَعَشِقَتْهُ وَعَشِقَهَا وَأَرْسَلَتْ إِلَيْهِ: مَا تَجْعَلُ لِي إِذَا مَلَّكْتُكَ البَلَد؟ فَقَالَ: أَرْفَعُ قَدْرَكِ، وَأُحَكِّمُكِ عَلَى نِسَائِي، فَقَالَتْ لَهُ: فَخُذْ حَمَامَة وَرْقَاء مُطوَّقة، فَاكْتُبْ عَلَى رِجْلِهَا مِنْ دَمِ حَيْضِ بِكْرٍ زَرْقَاء[2]، ثُمَّ أَرْسِلْهَا فَإِنَّهَا تَقَعُ عَلَى السُّورِ فَيَنْهَدِمَ. فَفَعَلَ سَابُور ذَلِكَ، وَانْهَدَمَ السُّورُ، وَمَلَكَ المَدِينَة سَابُورُ، وَقَتَلَ الضَّيْزَنَ وَأَصْحَابَهُ؛ وَكَانَ هَذَا طَلْسَم ذَلِكَ البَلَدِ، وَأَخْرَبَ المَدِينَة، وَهِي إِلَى الآن خَرَابٌ، وَأَخَذَ النَّضِيرَةَ، فَأَعْرَسَ بِهَا بِعَيْنِ التمر، فَلَمْ تَزَلْ ليلتها تَتَضَوَّرُ وَتَتَأَلَّمُ، فالْتَمَسَ فَإِذَا وَرَقَة آس مُلْتَزِقَة بِعُكْنَة مِنْ عُكَنِ[3] بَطْنِهَا، فَقَالَ لَهَا: مَا كَانَ يُغَذُّوكِ بِهِ أَبُوك. قَالَتْ: بِالزُّبْدِ

(*) انظر ترجمتها: تاريخ الطبري ٢/٤٩ ـ ٥٠، والكامل لابن الأثير ١/٢٢٥ ـ ٢٢٦، وأعلام النساء ٥/١٧٨ ـ ١٧٩.

(١) في المطبوعة (وخرجت)، وما أثبت عن الكامل.

(٢) في الكامل: (بحيض جارية بكر زرقاء).

(٣) في المطبوعة (بأكنة من آكنة): ، وما أثبت عن الكامل ١/٢٢٦، والعُكْنَةُ: الطَّيُّ الذي في البَطْن من السِّمَنِ، والجمع عُكَنٌ وأَعْكَان.

وَالمُخُّ و [شَهْدِ][1] الأَبْكَارِ مِنَ النَّحْلِ، وَصَفْوِ الخَمْرِ، فَقَالَ لَهَا: إِذاً، هَذَا كَانَ مِنْكِ جَزَاء لأَبيك[2]، قَتَلْتِهِ وَقَتَلْتِ[3] أَصْحَابَهُ. وَخَرَّبْتِ[4] دِيَارَه، فَأَمَرَ رَجُلاً مِنْ خُدَّامِهِ فَرَكِبَ فَرَساً جَمُوحاً، ثُمَّ عَصَبَ غَدَائِرَ النَّضِيرَةِ بِذَنَبِ الفَرَسِ وَاسْتَرْكَضَهَا فَقَطَّعَهَا قِطَعاً وَمَاتَتْ.

وَنَظِيرُ هَذَا المَكْرِ وَمِثَال هَذَا الغدر، مَا حُكِي: أَنَّ يَزِيدَ بْنَ مُعَاوِيَة أَرْسَلَ إِلَى جَعْدَة زَوْجَة الحَسَن، رَضِي اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ لَهَا: إِنْ سَقَيْتِ سُمّاً زَوْجَكِ الحَسَن وَمَاتَ تَزَوَّجْتُكِ. فَصَدَّقَتْ الرَّعِنَةُ وَسَقَتْ الحَسَنَ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ سُمَّاً وَمَاتَ، وَلَمْ يَتَزَوَّجْهَا يَزِيد، وَخَسِرَتْ جَعْدَة الدُّنْيَا وَالآخِرَة ذَلِكَ الضَّلَال البَعِيد.

وَمِمَّا شَاهَدتُه وَسَمِعْتُهُ مَا وَقَعَ فِي المَوْصِلِ: أَنَّ بِنْتاً[5] بِكْراً أَحَبَّتْ[6] رَجُلاً لَمْ يَكُنْ لَهَا كُفُواً، وَعَلِمَتْ أَنَّ أَبَاهَا لاَ يُزَوِّجُهَا إِيَّاه، فَأَطْعَمَتْ[7] أَبَاهَا[8] سُمَّا وَمَاتَ بِه، وَأَكَلَ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَام بَعْضُ أَهْلِ البَيْتِ. وَتمرَّضُوا ثُمَّ عُوفُوا مِنْهُ.

---

(١) الزيادة عن «الكامل» ١/٢٢٦.

(٢) في الأصل (لأبوك).

(٣) في الأصل (قتلتني).

(٤) في الأصل (خربتي).

(٥) في الأصل (بنت).

(٦) في الأصل (حبت).

(٧) في الأصل (فاطمعت).

(٨) في الأصل (أبوها).

[٧]

الزَّبَّاءُ(١) بِنْتُ عَمْرِو بْنِ الظَّرِبِ(٢)

كَانَ أَبُوهَا قَدْ قَتَلَهُ جَذِيمَةُ الأَبْرَش، وَكَانَ لَهُ مِنَ البِلَادِ مِنْ غَزَّة إِلَى تَدْمُر، فَمَلَكَتْ بَعْدَه ابْنَتُهُ الزَّبَّاء، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ ذَكَر، وَلَمَّا اسْتَحْكَمَ أَمْرُهَا جَعَلَتْ تَطْلُبُ ثَأْرَ أَبِيهَا، وَعَزَمَتْ عَلَى قِتَالِهِ، فَأَشَارَتْ عَلَيْهَا أُخْتُهَا بِتَرْكِ القِتَال، وَنَصْبِ حِبَالِ الاحْتِيالِ، فَكَتَبَتْ الزَّبَّاءُ إِلَى جَذِيمَةَ تَخْطُبُه إِلَى نَفْسِهَا. وَتُمَلِّكُهُ مُلْكَهَا، فَطَمِعَ فِي ذَلِكَ جَذِيمَة، فَجَمَعَ أَرْبَابَ دَوْلَتِهِ وَشَاوَرَهُمْ بِذَلِكَ، فَقَالُوا كُلُّهُمْ: سِرْ إِلَيهَا، وَتَزَوَّجْهَا وَامْلُكْ بَلَدَهَا، وَكَانَ بِهِمْ قَصِيرُ بْنُ سَعْد(٣) فَنَهَاهُ عَنْ ذَلِكَ، وَذَكَّرَهُ قَتْلَ

---

(١) ملكة جليلة ذات عقل ورأي ودهاء وحكمة وحزم وشدة بأس مع جمال بارع وحسن باهر. ملكت على الشام والجزيرة من قبل الروم بعد قتل أبيها. قال ابن الكلبي: سُميت الزَّبَّاءُ لأنه كان لها شعر طويل إذا مشت سحبته وراءها، وإذا نشرته جَلَّلها، والأزب: الكثير الشعر. وقد اختلف في نسبها فقال الطبري: إنها الزَّبَّاء بنت عمرو بن ظرب بن حسان بن أذينة بن السميندع بن هويز العاملي من عاملة العماليق، وفي سرح العيون: أنها الزَّبَّاء بنت مليح بن البراء. وقال الكلبي، وابن نباتة في سرح العيون: اسمها فارعة، وقال الطبري في تاريخه، وابن الأثير في الكامل: اسمها نائلة، وقال الذهبي: اسمها ميسون بنت عمرو.

انظر ترجمتها في: أعلام النساء (٢/٦)، وسرح العيون ص ٨٤، والكامل (١/١٩٨)، والأغاني (١٥/٣١٥ - ٣٢٠)، وخزانة الأدب، وجمهرة الأمثال للعسكري (١/٢٣٣ - ٢٣٦)، ومجمع الأمثال للميداني (١/٤١٣ - ٤١٨)، وأمثال العرب للمفضل الضبي ٢٤٨، والفاخر للمفضل الكوفي وتاريخ الطبري، وثمار القلوب للثعالبي.

(٢) في المطبوعة (الضرب).

(٣) هو قصير بن سعد بن عمرو بن جذيمة بن قيس بن هليل بن دمي بن نمارة بن لخم، وكان سعد والد قصير قد تزوج أمة لجذيمة فولدت له قصيراً، وكان أديباً حازماً ناصحاً لجذيمة، قريباً منه. =

أبيها وخوفَهُ مِنْ غَدْرِهَا. فَأَبَى[1] جَذِيمَة وَخَالَفَ قَصِيراً[2] ثُمَّ جَمَعَ أَرْبَابَ دَوْلَتِهِ، وَسَارَ بِهِمْ إِلَى بِلَادِ الزَّبَّاء، فَلَمَّا قَرُبَ مِنَ القَوْمِ، قَالَ لَهُ قَصِيرٌ: ارْكَبْ فَرَسَكَ العَصَا[3]، فَإِنْ رَأَيْتَ القَوْمَ عَلَى حَذَرٍ فَاهْرُبْ، فَأَبَى جَذِيمَة، فَرَكِبَهَا قَصِيرٌ، وَسَارُوا فَتَلَقَّتْهُمْ المَوَاكِبُ، وَتَقَدَّمَ جَذِيمَةُ، وَقَدْ أَحَاطَ[4] بِهِ القَوْمُ، فَهَرَبَ قَصِيرٌ وَقَطَعَ أَرْضاً[5] بَعِيدَةً وَنَجَا، وَأُدْخِلَ جَذِيمَةُ عَلَى الزَّبَّاء، فَتَكَشَّفَتْ لَهُ، فَإِذَا هِيَ مَضْفُورَة[6] الأَسْبِ، وَهُو شَعْرُ الأَسْت وَقَالَتْ لَهُ: يَا جَذِيمَة (أَدْبَ[7] عَرُوسٍ تَرَى؟

= وهو الذي خالف القوم فيما أشاروا به على جذيمة من غزو الزَّبَّاء، وقال: «رأيٌ فاتر وعدو حاضر» فذهبت مثلاً.

انظر ترجمته، الكامل (١/١٩٩)، ونوادر المخطوطات (٦/١١٤).

(١) في الأصل (فأبا).

(٢) في المطبوع (قصير).

(٣) في المطبوعة: (العصيا)، والصواب ما أثبتناه، قال ابن الكلبي: «العَصَا» فرس جَذِيمَة الأبرش. التي جاءت فيها الأمثال. وهي بنت «العُصَيَّة» فرس لإيادٍ لا تُجارى. فقيل: «إن العَصَا من العُصَيَّة»، فذهب مثلاً. وعليها نجا قصير، ولها يقول عَدِيُّ بْنُ زَيْدٍ(ولهم حديث طويل):

فَخَبَّرَتِ «العَصَا» الأنباءَ عنه ... وَلَمْ أَرَ مثلَ فارِسِهَا هَجِينَا

وفيها جرى المثل: «يا ضُلَّ مَا تَجْرِي بِهِ العَصَا» - أي ما أهلك ما تجري به العصا.

والمثل الآخر: «خَيرٌ مَا جَاءَتْ بِهِ العَصَا».

انظر أنساب الخيل (ص ٩٤ - ٩٥)، والبيان والتبيين (٣/٦٦).

(٤) في الأصل (أحاطت).

(٥) في الأصل (أرض).

(٦) في الأصل (مظفورة)، والتصويب من مجمع الأمثال، وأعلام النساء.

(٧) في الكامل ١٩٩/١، وأعلام النساء ١٠/٢، ومجمع الأمثال ٤١٨/١: (أَدَابَ)، وفي أسماء المغتالين من نوادر المخطوطات ١١٤/٦: (أَذَاتَ)، وفي جمهرة الأمثال ٢٣٤/١: (أَشْوَارَ)، قال العسكري: «وأُدْخِلَ جَذِيمَة على الزَّبَّاء فكشفت له عن عورتها، فقالت: «أَشْوَارَ عَرُوسٍ تَرَى»، فأرسلتها مثلاً، وإذا هي قد عقدت شعر عانتها من وراء وَرِكَيْهَا، وإذا هي لم تُعْذَرْ، فقال جَذِيمَة: بل شَوَارَ بظراء تَفِلة. وفي الأغاني: بل أرى متاع أَمَة لكعاء غير ذات خفر.

والشَّوَار: الفرج، والتقدير: أَتَرَى شَوَارَ عَرُوسٍ؟ وقد قالته الزَّبَّاء لِجَذِيمَة كي تتهكم به، وهو مثل يضرب عند الهزء. انظر جمهرة الأمثال (١/٢٣٤)، ومجمع الأمثال (٢/١٦٤).

فَصَارَتْ مَثَلاً، ثُمَّ قَالَتْ لَهُ: أُنبِئْتُ (١) أَنَّ دَمَ المُلُوكِ شَفَا مِنْ عَضَّةِ الكَلْبِ الكَلِبِ، فَأَجْلَسَتْهُ عَلَى نِطْعٍ، وَأَحْضَرَتْ طَسْتاً (٢) مِنْ ذَهَبٍ، وَفَصَدَتْ جَذِيمَةَ حَتَّى هَلَكَ وَمَاتَ، وَقَتَلَتْ أَصْحَابَهُ، ثُمَّ إِنَّ الزَّبَّاءَ خَافَتْ مِنْ عَمْرِو بْنِ عَدِيّ فَصَدَّرَتْ صُورَتَهُ عِنْدَهَا، وَبَنَتْ لَهُ قَصْراً يَنْزِلُ إِلَيْهِ مِنْ مَجْلِسِهَا، وَهُو دِهْلِيزٌ عَمِيقٌ، ثُمَّ يُصْعَدُ إِلَى قَصْرٍ عَالٍ مِنْه، حَذَراً مِنْ عَمْرو لِأَنَّ الكُهَّانَ حَذَّرُوهَا مِنْهُ، وَأَمَّا قَصِير فَإِنَّه وَصَلَ إِلَى عَمْرٍو وَأَخْبَرَه بِقَتْلِ خاله جَذِيمَة، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَجْدَعَ (٣) أَنْفَهُ وَيَضْرِبَ ظَهْرَهُ، فَأَبَى عَمْرُو، فَجَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفَهُ، وَخَرَجَ مِنْ عِنْدِ عَمْرٍو كَأَنَّه هَارِبٌ، وَقَدِمَ إِلَى الزَّبَّاء، وَدَخَلَ عَلَيْهَا فَوَجَدَتْ قَدْ جُدِعَ أَنْفُه، فَقَالَتْ: «لِأَمْرٍ مَا جَدَعَ قَصِيرٌ أَنْفَهُ»، فَصَارَ مَثَلاً، ثُمَّ سَأَلَتْهُ عَنْ حَالِهِ، فَأَخْبَرَهَا أَنَّ عَمْرَو فَعَلَ بِهِ هَذَا فَأَكْرَمَتْهُ وَجَرَّبَتْهُ وَقَرَّبَتْهُ، وَبَقِي إِلَى أَنْ عَلِمَ أَنَّهَا وَثِقَتْ بِهِ فَقَالَ لَهَا يَوْماً: إِنَّ لِي مَالاً بِالعِرَاقِ فَأُحِبُّ أَنْ آتِي بِهِ. فَسَيَّرَتْ مَعَهُ عِيراً وَسَار حَتَّى قَدِمَ إِلَى العِرَاقِ وَالْتَقَى مَعَ عَمْرٍو مُتَخَفِّياً، وَأَمَرَ عَمْرُو أَنْ يُجهزَ لَهُ أَمْوَالاً فِي البَرِّ، فَفَعَلَ عَمْرُو فَأَخَذَ قَصِيرٌ الأَمْوَالَ، وَعَادَ إِلَى الزَّبَّاءِ، فَأَعْجَبَهَا وَازْدَادَتْ بِهِ حُباً وَثِقَةً، ثُمَّ جَهَّزَتْهُ مَرَّة ثَانِية فَفَعَل كَذَلِكَ، وَوَثِقَتْ بِهِ فَسَار ثَالِثاً، وَقَدِمَ إِلَى عَمْرٍو، وَأَشَارَ عَلَيْهِ أَنْ يَعْمَلَ ثَمَانِينَ صُنْدُوقاً (٤) وَيَتْرُكَ فِي كُلِّ صُنْدُوقٍ رَجُلاً (٥)، وَيَكُونُ عَمْرو فِي إِحْدَى الصَّنَادِيق، فَفَعَلَ وَجَعَلَ قَصِيرٌ يَتَفَقَّدُ الرِّجَال، وَيُنْزِلُ لَهُمْ الطَّعَامَ، وَالصُّنْدُوق يُفْتَحُ مِنْ دَاخِلٍ، فَفَعَلَ عَمْرو، وَحَمَلَهُمْ قَصِيرٌ إِلَى عِنْدِ الزَّبَّاءِ، وَأَرْسَلَ أَمَامَهُ مُبَشِّراً بِقُدُومِ الصَّنَادِيق، وَيَأْمُرُهَا أَنْ تَخْرُجَ إِلَى لِقَائِهِ لِتُبْصِرَ مَا حَمَلَ مِنَ الأَمْتِعَةِ، وَالأَمْوَالِ، فَخَرَجَتْ الزَّبَّاءُ، وَأَبْصَرَتْ الإِبِلَ تَكَادُ قَوَائِمُهَا تَسُوخُ فِي الأَرْضِ مِمَّا عَلَيْهَا (٦)،

---

(١) في الأصل (أنبات).

(٢) في الأصل (طشت).

(٣) في الأصل (يجذع).

(٤) في الأصل (ثمانون صندوق).

(٥) في الأصل (رجل).

(٦) في الأصل (عليهم).

فَقَالَتْ الزَّبَّاء*: شِعْر:

مَـا لِلْجِمَـالِ مَشْيُهَـا رُوَيْـدَاً (1) أَجَـنْـدَلاً يَحْـمِـلْنَ أَمْ حَـدِيـدَاً
أَمِ الـرِّجَـالَ فِي الغِـرَارِ السُّـودَا (2) أَمِ الـرِّجَـالَ بُـرَّكَـاً قُـعُـودَاً (3)

وَدَخَلَتْ الإِبِـلُ المَدِينَـة، فَلَمَّا تَـوَسَّطُوا البَلَدَ خَـرَجَتْ مِنَ [الصَّنَادِيقِ] (4) الرِّجَال، وَفِي أَوَائِلِهِمْ عَمْرو، فَهَرَبَتْ الزَّبَّاءُ، فَتَبِعَهَا عَمْرو، فَأَكَلَتْ الزَّبَّاءُ سُمَّاً كَانَ عِنْدَهَا، وَأَتْبَعَهَا عَمْرو بِضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ وَمَاتَتْ، وَمَلَكَ عَمْرُو المَدِينَةِ وَدَانَ (5) لَهُ الخَلْقُ.

وَذُكِرَ فِي «مُخْتَصَرِ المُؤَيد»: أَنَّ الزَّبَّاء لَمَّا مَلَكَتْ بَعْدَ قَتْلِ أَبِيهَا، بَنَتْ عَلَى الفُرَاتِ مَدِينَتَيْنِ مُتَقَابِلَتَيْنِ، ثُمَّ أَخَذَتْ فِي الحِيلَةِ عَلَى جَذِيمَة وَقَتَلَتْهُ، وَذَكَرَ مَنْ أَثِقُ

(*) الأبيات نسبها العيني للخنساء، وفي الأغاني (١٥/٢٥٦) قيل إنه مصنوع. انظر شرح شواهد المغني ٩١٢/٢.

(١) في جمهرة الأمثال (١/٢٣٥) أرى الجمال.
وفي الأصل (مشيهم) بدلاً من (مشيها).
وفي الكامل ٢٠١/١، ومغني اللبيب ٥٨٢/٢، وشرح شواهد المغني ٩١٢/٢، والأذكياء ٢٠٥، ومجمع الأمثال ٤١٨/١، وجمهرة الأمثال ٢٣٥/١ (وَئِيداً) بدلاً من (رويداً).

(٢) في الكامل ٢٠١/١، وشرح شواهد المغني ٩١٢/٢ والأذكياء ٢٠٥، أَمْ صَرَفَاناً بَارِداً شَدِيداً.
وفي مجمع الأمثال ٤١٨/١، وجمهرة الأمثال ٢٣٥/١ أَمْ صَرَفَاناً تـارِزاً شَدِيداً.

(٣) في الكامل ٢٠١/١، والجمهرة ٢٣٥/١ (جُثَّماً) بدلاً من (بُرَّكاً).
وفي شرح شواهد المغني ٩١٢/٢ (قُمَّصاً).
وفي مجمع الأمثال ٤١٨/١ بَلِ الرُّجَالُ قُبَّضاً قُعُوداً.
وقد ورد في هامش ٢٠١/١ من الكامل، وفي مجمع الأمثال ٤١٨/١، ان قوله: أَمْ الرُّجَالُ جُثَّماً قُعُوداً؟ قالها قصير في نفسه لأنها لم تكن تعلم أن الرجال في الغرائر. الوئِيدُ: صوت شدة الوطء على الأرض يسمع كالدوي من بُعده، والجَنْدَل: الحجر، والصَرَفَان: الرصاص، قُمُّصاً، من قمص الفرس أي استن، وهو أن يطرح يديه ويرفعهما معاً ويعجز رجليه. وجُثَّماً: من جثم: تلبد بالأرض.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) في الأصل (دانت).

بِهِ أَنَّهُ رَأَى المَدِينَتَيْنِ اللَّتَيْنِ (١) عَمَّرَتْهُمَا (٢) الزَّبَّاء وَهُمَا خَرَابٌ. وَقَصْرُ الزَّبَّاءِ عَلَى (٣) مُرْتَفع قَدْ أَشْرَفَ عَلَى الهَدْمِ، وَهُمَا عَلَى الفُرَاتِ مُتَقَابِلَتَيْنِ، وَذُكِرَ فِي «تَارِيخِ ابْنِ الوَرْدِي»: أَنَّ قَصِيراً (٤) لَمَّا جَدَعَ أَنْفَهُ سَارَ إِلَى عِنْدِ الزَّبَّاء، كَأَنَّهُ مُغَاضِبٌ (٥) وَجَعَلَ يَتْجَرُ لَهَا، وَيَأْخُذُ الأَمْوَالَ مِنْ عَمْرٍو وَيُظْهِرُ أَنَّهَا رِبْح تِجَارَتِهِ، فَأَتَى إِلَيْهَا يَوْماً بِقَافِلَةٍ نَحْو أَلْف حِمْل كُلّهَا صَنَادِيق مَقْفَّلَة مِنْ دَاخِلٍ، وَفِيهَا أَبْطَالٌ، فَارْتَابَتْ الزَّبَّاءِ مِنْهَا، وَقَالَتْ: شِعْر:

مَا لِلْجَمَالِ سَيْرُهَا وَئِيداً أَجَنْدَلاً تَحْمِلُ أَمْ حَدِيدَا

أَمْ زُخْرُفَات بَارِد صَدِيدا

فَقَالَ قَصِيرٌ:

بَلِ الرِّجَالُ بُرَّكَا قُعُودَا

وَلَمَّا دَخَلُوا الحِصْنَ مَلَكُوه، وَقَتَلُوا الزَّبَّاء وَأَخَذَ بِثَأْرِ جَذِيمَة قَصِيرٌ.

وَذَكَرَ ابْنُ الجَوْزِي فِي كِتَابِ «الأَذْكِيَاءِ»: أَنَّ قَصِيراً (٦) ابْنُ عَمِّ جَذِيمَة (٧). وَفِي «صَحَاحِ الجَوهَرِي»: هُو صَاحِبُ جَذِيمَةَ الأَبْرَش، وَقِيلَ: هُو مِنْ بَنِي لَخْم، وَاللَّه أَعْلَم.

---

(١) في الأصل (الذي).

(٢) في الأصل (عمدتهم).

(٣) في الأصل (عالي).

(٤) في المطبوعة (قصير).

(٥) في الأصل (مغاضباً).

(٦) في المطبوعة (قصير).

(٧) ورد في كتاب الأذكياء أن جذيمة كان له عبد يقال له قصيرُ بن سعد، ولم يرد أن قصيراً ابن عم جذيمة. انظر كتاب الأذكياء ص ١٩٩.

[٨]

سَوْدَةُ* الكَاهِنَة بِنْتُ زُهْرَة

وَهِي أُخْتُ عَبْد مَنَاف الّذِي هُو جَدّ آمِنَة أُمّ النَّبِيّ، ﷺ كَانَتْ كَاهِنَةَ قُرَيْشٍ، وُلِدَتْ زَرْقَاءَ شَيْمَاءَ سَوْدَاء، فَأَرَادَ أَبُوهَا زُهْرَة أَنْ يَدْفِنَهَا وَهِي حَيَّة لِأَنّ العَرَبَ كَانَتْ تَئِدُ بَنَاتِهَا، وَكَانَ عَمْرُو بْنُ نُفَيْل يُحْيِي(١) المَوْءُودَة، يَأْخُذُهَا مِنْ أَبِيهَا فَيُرَبِّيهَا، فَإِذَا تَرَعْرَعَتْ قَالَ لِأَبِيهَا: إِنْ شِئْتَ رَفَعْتُهَا إِلَيْكَ، وَإِنْ شِئْتَ كَفَيْتُكَ مؤونَتَهَا؟ وَكَان صَعْصَعَةُ جَدُّ الفَرَزْدَقِ يَصْنَعُ كَذَلِكَ، فَلَمَّا وُلِدَتْ سَوْدَةُ أَرْسَلَهَا أَبُوهَا زُهْرَة مَعَ رَجُلٍ مِن العرَبِ إِلَى الحَجُونِ لِيَدْفُنَهَا فَسَمِعَ الرَّجُلُ هَاتِفاً يَقُولُ:

لَا تَئِدِ الصَّبِيَّة وَخَلِّهَا البَرِيَّة

فَكَفَّ عَنْهَا وَأَخْبَرَ أَبَاهَا فَتَرَكَهَا وَرَبَّاهَا، فَلَمَّا كَبُرَتْ صَارَتْ كَاهِنَة قُرَيْش فَقَالَتْ يَوْماً لِبَنِي زُهْرَة: أَعْرِضُوا عَلَيَّ بَنَاتِكُمْ! فَعَرَضُوهُنَّ(٢)، فَجَعَلَتْ تَقُولُ فِي كُلّ وَاحِدَة قَوْلاً ظَهَرَ بَعْدَ حِين، فَلَمَّا عُرِضَتْ عَلَيْهَا آمِنَةُ بِنْتُ وَهْب أُمُّ رَسُولِ اللّهِ ﷺ قَالَتْ لَهَا: تَلِدِينَ نَذِيراً، لَهُ شَأْنٌ وَبُرْهَانٌ مُنِيراً، فَبَلَغَ كَلَامُهَا عَبْدَ المُطَّلِبِ فَاخْتَارَهَا لِوَلَدِهِ(٣) عَبْد اللّهِ فَزَوَّجَهَا لَهُ فَوَلَدَتْ البَشِيرَ النَّذِيرِ، وَالسِّرَاجِ المُنِير نَبِينا مُحَمَّداً ﷺ.

وَمِثْلُه ذَكِرَ فِي «السِّيرَة الحَلَبِيَّة»: أَنَّ أَبَا طَالِب قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَى بَحِيرا نَزَلَ

---

(١) في الأصل (يحيى).

(٢) في الأصل (فعرضوهم).

(٣) في الأصل (لمولده).

بِدَيْرٍ فَقَالَ صَاحِبُ الدَّيْرِ: مَا هَذَا الغُلَامُ مِنْكَ؟ فَقَالَ: ابْنِي. قَالَ لَهُ: مَا هَذَا ابْنُكَ، وَمَا يَنْبَغِي لِهَذَا أَنْ يَكُون لَهُ أَبٌ حَيٌّ، هَذَا نَبِيٌّ! فَقَالَ أَبُو طَالِب: وَمَا النَّبِيُّ؟ قَالَ: الَّذِي يَأْتِيه الخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ فَيُنَبِّىءُ أَهْلَ الأَرْضِ. قَالَ أَبُو طَالِب: اللَّهُ أَجَلُّ مِمَّا تَقُولُ. قَالَ: فَاتَّقِ عَلَيْه اليَهُودَ. ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى نَزَلَ بِرَاهِبٍ آخَر، أَي صاحِبِ دَيْر، فَقَالَ لَهُ: مَا هَذَا الغُلَامُ مِنْكَ؟ قَالَ: ابْنِي. فَقَالَ مِثْلَ الأَوَّلِ، قَالَ: وَلِمَ؟ قَالَ: لِأَنَّ وَجْهَهُ وَجْهُ نَبِيّ، وَعَيْنَهُ عَيْنُ نَبِيّ.

وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاء»: كَانَ بِسُوقِ عُكَاظ عَرَّاف يُؤْتَى إِلَيْهِ بِالصِّبْيَان يَنْظُرُ إِلَيْهِم، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَى رَسُول اللَّهِ ﷺ وَرَأَى خَاتَمَ النُّبُوَّةِ وَالحُمْرَةَ الَّتِي بِعَيْنَيْهِ صَاحَ: يَا مَعْشَرَ العَرَب، اقْتُلوا هَـذَا الصَّبِيّ، فَلَيَقْتُلَنَّ أَهْلَ دِينكُمْ، وَلَيُكَسِّرَنَّ أَصْنَامَكُمْ، وَلَيَظْهَرَنَّ أَمْرُه عَلَيْكُمْ، إِنَّ هَذَا لَيَنْتَظِرُ أَمْراً مِنَ السَّمَاءِ. وَجَعَلَ يُغْرِي بِالنَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ وَلِهَ[1] وَذَهَبَ عَقْلُهُ، وَمَاتَ ذَلِكَ العَرَّافُ، وَالعَرَّافُ هُو المُنَجِّم.

ذُكِرَ فِي كِتَابِ «نِصَابِ الاحْتِسَاب»: سُئِلَ الفُضَيْلِي عَنْ قَوْلِهِ ﷺ: «مَنْ أَتَى كَاهِناً وَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَر بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّد» ﷺ فَقَالَ: الكَاهِنُ السَّاحِر. فَقِيلَ لَهُ: هَذَا الرَّجُلُ أَوِ الإِمْرَأَة تَقُولُ أَنَا أَعْلَمُ المَسْرُوقَات، هَلْ يَدْخُلُ تَحْتَ هَذَا الْخَبَر؟ قَالَ: نَعَمْ، ثُمَّ قِيلَ لَهُ، فَإِنْ قَالَ هَذَا الرَّجُلُ: أَنَا أُخْبِرُ عَنْ أَخْبَارِ الجِن؟ قَالَ: وَمَنْ قَالَ هَكَذا فَهُو سَاحِرٌ كَاهِنٌ، وَمَنْ صَدَّقَهُ [أَنه يَعْلَم الغَيْب] فَقَدْ كَفَرَ لِأَنَّ إِخْبَارَه يَقَعُ عَلَى الغَيْب، وَالغَيْبُ لَا يَعْلَمُه إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى أَلَا تَرَى قَوْلَه تَعَالَى: ﴿... فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ...﴾[2] الآية، فَعِلْمُ الغَيْبِ لَا يَعْلَمُه جِنِّي وَلَا إِنْسِي. انْتَهَى.

---

(١) الوَلَهُ: ذَهَابُ العقل والتَّحيُّر. انظر: «مختار الصحاح» ص ٧٣٦، مادة (و ل ه).

(٢) سورة سبأ، الآية ـ ١٤.

[٩]

زَيْنَبُ بِنْتُ الحَارِث اليَهُودِيَّة

وَهِي زَوْجَة[١] سَلَّام بْن مَشْكَم اليَهُودِي، كَانَتْ مِنْ أَهْلِ البَغْي وَالغَدْرِ، وَهِي الَّتِي سَمَّتِ الشَّاةَ لِرَسُول اللَّهِ ﷺ وَأَكْثَرَتِ السُّمَّ فِي الذِّرَاع، لِأَنَّهَا بَلَغَهَا أَنَّه ﷺ كَانَ يُحِبُّ الذِّرَاع، فَأَكَلَ مِنْهَا، ﷺ وَأَكَل مَعَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ أَحَسَّ بِهِ ﷺ فَقَالَ لِأَصْحَابِهِ، «ارْفَعُوا أَيْدِيكُمْ، فَإِنَّهَا أَخْبَرَتْنِي، أَيّ الشَّاة، أَنَّهَا مَسْمُومَة». فَكَفَّ[٢] الصَّحَابَةُ أَيْدِيَهُمْ، ثُمَّ قَال، ﷺ لِأَصْحَابِهِ: اجْمَعُوا مَنْ هُنَا مِنَ اليَهُودِ؛ فَجَمَعُوهُمْ فَسَأَلَهُمْ ﷺ عَنْ أَشْيَاء فَأَجَابُوا، وَكَذَّبَهُمْ ﷺ ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: هَلْ جَعَلْتُم فِي هَذِهِ الشَّاة سُمَّاً؟ فَقَالُوا: نَعَمْ. فَقَالَ ﷺ: وَلِمَ ذَاكَ؟ قَالُوا: أَرَدْنَا بِذَلِكَ إِنْ كُنْتَ كَاذِباً اسْتَرَحْنَا مِنْكَ، وَإِنْ كُنْتَ نَبِيّاً مُرْسَلاً لَمْ يَضُرَّكَ مِنْهَا شَيء، فَعَفَى ﷺ عَنِ اليَهُودِيَّةِ وَلَمْ يُعَاقِبْهَا، وَمَاتَ بَعْضُ مَنْ أَكَلَ مِنْ ذَلِكَ الطَّعَام ثُمَّ إِنَّه ﷺ بَعْدَمَا كَلَّمَتْهُ الشَّاة، وَأَخْبَرَتْهُ أَنَّهَا مَسْمُومَة، وَمَنَعَ أَصْحَابَهُ مِنَ الأَكْلِ، احْتَجَمَ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ عَلَى كَاهِلِهِ، وَمِمَّنْ مَاتَ مِنْ ذَلِكَ السُّم بِشْرُ بْنُ البَرَّاءِ، فَقِيلَ: إِنَّهُ ﷺ دَفَعَ اليَهُودِيَّة إِلَى أَهْلِ بِشْر فَقَتَلُوهَا، وَالصَّحِيح أَنَّه عَفَى عَنْهَا، ﷺ وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاق: إِنَّ المُسْلِمِينَ لَيَرَوْنَ أَنَّهُ مَاتَ ﷺ شَهِيداً يَعْنِي مِنْ ذَلِك السُّمّ، لِأَنَّ فِي حَدِيث أَبِي هُرَيْرَة، رَضِي اللَّهُ عَنه: إِنَّ أَكْلَةَ[٣] خَيْبَر مَا زَالَتْ تُوجِعه وَتُعَاوِدَهُ حَتَّى قَطَعَتْ أَبْهَرَه. وَالأَبْهَرُ عِرْقٌ[٤] فِي الظَّهْرِ. وَقَدْ قَالَ ﷺ ذَلِكَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ. وَحُكِي: أَنَّ

(١) في الأصل (زوجت).
(٢) في الأصل (فكفوا).
(٣) في الأصل (أكلت).
(٤) في الأصل (عرق).

الإِمَام عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه أَهْدَى لَهُ مَلِكُ الرُّومِ سُمًّا فِي زُجَاجَة، وَقَالَ لَهُ: إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُهْلِكَ أحداً مِنْ أَعْدَائِكَ فَضَعْ قَطْرَة مِنْ هَذَا فِي الطَّعَامِ وَأَطْعِمْهُ، فَإِنَّهُ يَمُوتُ لِوَقْتِهِ، فَأَخَذَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه الزُّجَاجَةَ مِنْ يَدِ الرَّسُولِ وَقَالَ: إِنَّ شَرَّ العَدَاءِ(١) لِي نَفْسِي، ثُمَّ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. وَشَرِبَ ذَلِكَ السُّمّ كُلَّه فَلَمْ يَضُرَّه شَيْئاً بِإِذْنِ اللَّهِ. وَجَعَلَ رَسُولُ مَلِكِ الرُّومِ يَتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ وَظَنَّ أَنَّهُ يَمُوتُ مِنْ سَاعَتِهِ. وَهَذَا الَّذِي فَعَلَهُ الإِمَامُ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تَرْغِيباً فِي الإِسْلَام. وَإِلَّا فَإِنَّ السُّمَّ أَثَّرَ فِيه ﷺ وَكَذَا فِي الحَسنِ بْنِ عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَإِنَّ زَوْجَتَهُ سَقَتْهُ السُّمَّ وَمَاتَ بِهِ، وَهِيَ جَعْدَةُ بِنْتُ الأَشْعَث، دَسَّ إِلَيْهَا يَزِيدُ أَنْ تَسُمَّ الحَسَنَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه لِيَتَزَوَّجَهَا، وَبَذَلَ لَهَا مِائَةَ أَلْف دِرْهَم فَتَابَعَتْهُ، وَفَعَلَتْ مَا أَمَرَهَا، فَمَرِضَ الحَسَنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْه أَرْبَعِين يوماً، وَمَاتَ شَهِيداً، وَجَهَدَ بِهِ الحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ يُخْبِرَهُ مَنْ سَقَاهُ السُّمَّ فَلَمْ يُخْبِرْهُ وَقَالَ لَهُ: إِنِّي لأَجِدُ كَبِدِي يَنْقَطِع وَإِنِّي لَعَارِفٌ مِنْ أَيْنَ دُهِيتُ، فَأَنَا(٢) أُخَاصِمه إِلَى اللَّهِ، فَبِحَقِّي عَلَيْكَ لَا تُكَلِّمَنَّ فِي ذَلِك بِشَيءٍ. وَتُوفِّي سَنَة تِسْع وَأَرْبَعِين، وَلَا يَبْعُدُ ذَلِكَ عَنِ الإِمَامِ عُمَر، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِنَّه شَرِبَهُ وَلَمْ يَضُرّه، فَإِنَّ الإِمَامَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِهِ أَظْهَرَ اللَّهُ الدِّين، وَكَانَ إِسْلَامُه بِدَعْوَةِ رَسُول اللَّهِ حِينَ قَالَ: «اللَّهُمَّ(٣) أَعِزَّ الإِسْلَامَ بِأَحَدِ(٤) العُمَرَيْنِ» . وَفِي رِوَايَةٍ بِأَعَزِّ الرَّجُلَيْنِ. فَأَسْلَمَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَرَامَاته كَثِيرَة، وَهَذِهِ مِنْ بَعْضِ كَرَامَاتِهِ، وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «نِصَابِ الاحْتِسَابِ»: أَنَّه كَانَتْ زَلْزَلَةٌ(٥) فِي الأَرْضِ، فِي خِلَافَةِ عُمَر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَخَرَجَ مَعَ أَصْحَابِهِ وَضَرَبَ بِالدِرَّةِ عَلَى الأَرْضِ، وَقَالَ: اسْكُنِي بِإِذْنِ اللَّهِ. فَسَكَنَتْ، وَهَذِهِ أَعْظَمُ مِنْ شُرْبِ السُّمّ. وَقِيلَ: إِنَّ مَاءَ النِّيلِ فِي

---

(١) في الأصل (العداوة).

(٢) في الأصل (فإذا).

(٣) في المطبوعة (الهم).

(٤) في الأصل (بإحدى).

(٥) في الأصل (زلزلت).

مِصْر غَارَ مَرَّةً فِي زَمَنِ عُمَر رَضِي اللَّهُ عَنْه فَسَأَل عُمَرُ رَضِي اللَّهُ عَنْه: أَكَانَ[1] قَبْلَ الإِسْلَامِ؟ فَقَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: فَمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ بِهِ؟ فَقَالُوا: يُوقِعُونَ فِيهِ بِنْتاً بِكْراً[2] بِثِيَابِهَا وَحُلِيِّهَا فَيَنْبُعُ المَاءَ. فَكَتَبَ عُمَرُ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ: مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عُمَر، أَمِير المُؤْمِنِينَ، إِلَى وَادِي النِّيل، أَمَّا أَنَا فَلاَ أَشْتَغِلُ بِرَسْمِ الجَاهِلِيَّةِ، وَلَكِن سِرْ[3] بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالى، وَأَمَرَ تِلْكَ الوَرَقَة أَنْ تُلْقَى فِي النِّيلِ، فَفَعَلُوا فَنَبَعَ المَاءُ، وَهُو يَسِير كَذَلِكَ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالى أَعْلَمُ.

(١) في المطبوعة (كان).
(٢) في الأصل (بنت بكر فيه).
(٣) في الأصل (سير).

[١٠]

سَجَاحُ* بِنْتُ الحَارِثِ التَّمِيمِيَّةُ

كَانَتْ صَاحِبَةُ نَيرَنْجَاتٍ وَشَعْبَذَاتٍ، وَبَلَغ مِنْهَا أَنَّهَا ادَّعَتْ النُّبُوَّة، وَذَلِكَ فِي العَامِ الذي تُوفي فِيه رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَتَبِعَهَا بَنُو عَمِّهَا، وَأَظْهَرَتْ لَهُمْ أَنَّهَا أُنْزِلَ عَلَيْهَا سُورَة مِثْل القُرْآنِ، فَمِنْهَا: يَا أَيُّها المُتَّقُون لَنَا نِصْفُ الأَرْضِ، وَلِقُرَيْشٍ نِصْفُهَا وَلَكِن قُرَيْش يَبْغُون. فَتَبِعَهَا بَنُو عَمِّهَا بَنُو تَمِيم، وَأَخْوالُها بَنُو تَغْلِب وَبَنُو[١] رَبِيعَة، وَعَظُمَتْ عِنْدَهُم، وَكَثُرَتْ جُيُوشُهَا وَاشْتُهِرَتْ بَيْنَ النَّاسِ، وَأَظْهَرَتْ دَعْوَتَهَا، وَقَصَدَتْ مُسَيْلَمَةَ الكَذَّاب، وَكَانَ فِي اليَمَنِ مَقَامُه، وَقَوْمُه بَنُو حَنِيفَة، وَهُو الَّذِي قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ [فِي وَفْدِ بَنِي حَنِيفَةَ وَأَسْلَمَ وَأَمَرَ لَهُمْ النَّبِيّ ﷺ][٢] لِكُلِّ وَاحِد بِخَمْسِ أَوَاقٍ مِنَ الفِضَّةِ، فَقَالَ مُسَيْلَمَةُ: إِنْ جَعَلَ لِي هَذَا الأَمْر مِنْ بَعْدِهِ اتَّبَعْتُه، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُول اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: لَوْ سَأَلْتَنِي هَذَا مَا أَعْطَيْتُكَ؛ وَكَانَ بِيَدِهِ عَسِيبُ نَخْلٍ، فَلَمَّا رَجَعَ عَدُوّ اللَّهِ إِلى مَكَانِهِ ارْتَدَّ، وَادَّعَى النُّبُوَّة اسْتِقْلالاً، ثُمَّ مُشَارَكَةً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ.

وَذُكِرَ فِي «مُخْتَصَر ابْن الوَرْدِيّ»: لَمَّا قُتِلَ حَمْزَةُ رَضِي اللَّهُ عَنه قَالَ بَعْضُهُمْ: وَيْلٌ لِوَحْشِيٍّ مِنَ النَّارِ! فَقَالَ ﷺ: «أَمَّا حَمْزَةُ فَأَجَلُه قَدْ انْقَضَى، وَأَمَّا وَحْشِيٌّ فَسَوْفَ يُدْرِكُ الشَّرَفَ مِنْ بَعْدِهِ». فَقَالُوا: كَيْفَ يَا رَسُول اللَّهِ؟ قَالَ: «هُو يَقْتُلُ مُسَيْلَمَة الكَذَّاب» فَكَانَ كَمَا قَالَ.

(*) انظر: أعلام النساء ٢/ ٥٨٠ ـ ٥٨٣.

(١) في الأصل (نبي).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

وَلَمَّا قَرُبَتْ سَجاح منَ اليَمَّامَةِ، خَرجَ إلَى قِتالِها مُسَيْلَمة، وَنزلَ قَرِيباً مِنْهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ لَهَا يُرِيدُ الاجْتِمَاعَ بِهَا، فَقَبِلَتْ ذَلِكَ وَأَرْسَلَتْ تَسْتَدْعِيهِ فَأَمَرَهَا أَنْ تُبْعِدَ قَوْمَهَا، فَفَعَلَتْ فَضَرَبَ لَهَا[1] مُسَيْلَمَة قُبَّة مُبَخَّرة، بَخَّرَهَا بِالعُودِ وَالعَنْبَرِ وَالمِسْكِ، وَطَيَّبَهَا، وَسَبَبُ ذَلِكَ الطِيب أَنَّ النِّسَاءَ إِذَا شَمَمْنَ رَائِحَةَ الطِّيبِ هِجْنَ لِلْجِمَاعِ، فَسَارَتْ سَجَاحُ إِلَيْهِ وَدَخلتْ القُبَّةَ وَاجْتَمَعَتْ بِهِ تَحْتَ القُبَّة، وَقَالَتْ لَهُ: مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ؟ فَقَالَ: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكِ بِالحُبْلَى، أَخْرَجَ مِنْهَا نَسْمَةً تَسْعَى، مِنْ بَيْنِ صَفَاقٍ وَحْشَا، ثُمَّ قَالَتْ: مَا أَنْزَلَ عَلَيْكَ أَيْضاً؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ لِلنِّسَاءِ أَفْرَاجاً، وَجَعَلَ الرِّجَالَ لَهُنَّ أَزْوَاجاً، فَيُولِجْنَ فِيهِنَّ أَوْلاَجا، ثُمَّ يُخْرِجُ مَا يَشَاءُ إِخْرَاجاً. فَقَالَتْ: أَشْهَدُ أَنَّكَ نَبِيٌّ: حَقٌّ، فَقَالَ: هَلْ لَكِ أَنْ أَتَزَوَّجَكِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. فَقَال لَهَا، وَأَرْجَزَ، لَعَنَهُ اللَّه:

ألا قومي إلى... فقد هيي لك المضجع
فإن شئت ففي البيت وإن شئت ففي المخدع
وإن شئت ضجعناك وإن شئت على أربع
وإن شئت بثلثيه وإن شئت به أجمع

فَقَالَتْ: بَلْ بِهِ أَجْمَعُ يَا رَسُول اللَّهِ! فَقَالَ لَهَا: وَبِذَلِكَ أُوحِي إِلَيّ. فَأَقَامَتْ عِنْدَهُ ثَلاَث لَيَالٍ. ثُمَّ خَرجَتْ مِنْ عِنْدِهِ، وَقَدِمَتْ إِلَى عِنْد قَوْمِهَا، وَهُمْ لَهَا مُنْتَظِرُون فَلَمَّا دَنَتْ مِنْهُمْ سَأَلُوهَا عَنْهُ، فَقَالَتْ: وَجَدْتُه نَبِياً حَقاً فَاتَّبَعْتُه وَصَدَّقْتُ بِهِ، ثُمَّ بَعَثَ مُسَيْلَمَة يَخْطِبُهَا مِنْ قَوْمِهَا، فَزَوَّجُوه إِيَّاهَا، وَطَلَبُوا مَهْرَهَا مِنْهُ. فَقَالَ لَهُمْ: قَدْ وَضَعْتُ عَنْكُم صَلاَة[2] العَصْرِ. وَذَلِكَ لِزِيَادَةِ تَأْكِيدِهَا بِالفَرِيضَةِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلاَةِ الوُسْطَى...﴾[3] الآية. قِيلَ: هِيَ صَلاَة

---

(١) ضرب لها: أي اقام لها.

(٢) في الأصل (صلات).

(٣) سورة البقرة، الآية ـ ٢٣٨.

العَصْرِ. فَبَنُو تَمِيم لاَ يُصَلُّونَ العَصْرَ، وَيَقُولُونَ: هَذَا مَهْرُ كَرِيمَتنا. وَدَخَلَ عَلَيْهَا مُسَيْلَمَة وَصَبَّ نُبُوَّته فِي رَحِمِهَا وَلَمْ تَحْمِلْ مِنْهُ. وَقُتِلَ مُسَيْلَمَةُ الكَذَّاب فِي أَوَّل خِلاَفَة الصِّدِّيق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. وَكَانَ لِمُسَيْلَمَة نَيرنْجَاتٌ، وَبِذَلِكَ اغْتَرَّ قَوْمه، وَمِنْ أَرَاجِيزِهِ قَوْلُه: يَا ضُفْدَع نِقِّي كم تَنقِّين، أَعْلاَكِ فِي المَاءِ وَأَسْفَلُكِ فِي الطِّين. وَقَوْلُه: أُخْرِجُ لَكُمْ حِنْطَةً وَزُوانَا وَرُطباً وَتَمْرَانَا. وَلَمَّا قُتِلَ مُسَيْلَمَة الكَذَّاب، انْتَقَلَتْ سَجاحُ إِلَى أَخْوَالِهَا بَنِي تَغْلِب، وَقَدْ ذَهَبَتْ نُبُوَّتها بِقَتْلِ زَوْجِهَا، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِذَا ذَهَبَ الحِمَارُ بِأُمِّ عَمرٍو ... فَلاَ عَادَتْ وَلاَ عَادَ الحِمَارُ

وَأَقَامَتْ فِي بَنِي تَغْلِب، وَهُمْ أَخَسّ العَرَبِ، فَلِلّه دَرّ القَائِل:

وَالتَّغْلِبِيّ إِذَا تَنَحْنَحَ لِلْقِرَى ... حَكَّ اسْتَه وَتَمَثَّل الأَمْثَالا[1]

فَلَمَّا وَلِي الخِلاَفَة مُعَاوِيَة وَنَفَى بَنِي تَغْلِب أَسْلَمَتْ سَجَاحُ وَانْتَقَلَتْ إِلَى البَصْرَة، وَأَقَامَتْ هُنَاكَ إِلَى أَنْ مَاتَتْ.

وَمِمَّنْ[2] سَوَّلَتْ لَهُ نَفْسه العِصْيَان، وَتَابَعَ الشَّيْطَانَ أَحْمَدُ بْنُ الحُسَيْنِ المُتَنَبِّي[3]، الشَّاعِرُ المَشْهُور، ادَّعَى النُّبُوَّة فِي بَرِيَّة سَمَاوَة، وَتَبِعَهُ خَلْقٌ مِنْ بَنِي كَلْب، وَفِيه يَقُولُ بَعْضُهُمْ:

أَيُّ فَضْلٍ لِشَاعِرٍ يَطْلُبُ الْفَضْلَ ... مِنَ النَّاسِ بُكرةً وَعَشِيَّا
عَاشَ حِيْناً يَبِيعُ فِي الْكُوفَةِ المَاءَ ... وَحِيناً يَبِيعُ مَاء المُحَيَّا

وَلَمَّا ادَّعَى النُّبُوَّة، وَأَظْهَرَ الدَّعْوَة وَأَغْوَى كَثِيراً مِنَ النَّاسِ قَبَضَ عَلَيْهِ ابْنُ

---

(١) البيت لجرير.

(٢) على هامش الورقة ٤٠٣ بخط يختلف عن خط النساخ كلمة (المتنبئون)، وهو عنوان من عمل النساخ.

(٣) أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي الجعفي، ولد بالكوفة سنة ثلاث وثلاثمائة ونشأ بالشام، وأقام بالبادية، وطلب الأدب وعلم العربية، ونظر في أيام الناس وتعاطى الشعر في حداثته حتى بلغ فيه الغاية وأنهى فيه النهاية، وفاق أهل عصره، انظر: تاريخ الأدباء النحاة ص ١٩٧ ـ ٢٠٢.

عَلِي الهَاشِمِي وَاسْمُهُ لُؤْلُؤ فِي قَرْيَة كَوْثَلِين مِنْ أَعْمَالِ حِمْص، وَحَبَسَهُ وَجَعَلَ فِي رِجْلَيْه وعُنُقِهِ قُرمَتَيْنِ مِنْ خَشَبِ الصَّفْصَاف فَقَال:

زَعَمَ المُقِيمُ بِكَوْثَلِينَ بِأَنَّهُ ... مِنْ آلِ هَاشِمٍ وَبْنِ عَبْدِ مَنَافِ
فَأَجَبْتُه مُذْ صِرْتَ مِنْ أَبْنَائِهِمْ ... صَارَت قُيُودُهُمْ مِنَ الصِفْصَافِ

وَلَهُ عِبَارَاتٌ يَزْعُمُ أَنَّها مِثْلَ القُرْآنِ، فَمِنْهَا: [والنَّجم][1] السَّيَّار وَالفُلْكِ الدَّوَّار[2]، وَاللَّيْلِ وَالنَّهَار، إِنَّ الكَافِرَ لَفِي أَخْطَار، امْضِ عَلى سُنَنك[3]: وَاقْفُ عَلَى أَثَرِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ المُرْسَلِين، فَإِنَّ اللَّهَ قَامِعٌ بِكَ زَيْغَ مَنْ أَلْحَدَ فِي الدِّين، وَضَلَّ[4] عَنْ سَبِيلِه[5]. وَسُئِلَ مَرَّة عَنْ نَبِيِّنا مُحَمَّد، ﷺ فَقَالَ: أَخْبَرَ بِنُبُوَّتِي بِقَوْلِهِ: لاَ، نَبِيَّ بَعْدِي، وَأَنَا اسْمِي فِي السَّمَاءِ لاَ. ثُمَّ تَابَ المُتَنَبِي وَأَسْلَمَ، وَلِبَعْضِهِمْ فِيهِ:

يَا نَسْمَةُ الصُّبْحِ هُبِّي ... مِنْ قَفَا المُتَنَبِيّ
وَيَا قَفَاهُ تَدَانَى[6] ... حَتَّى تَكُونَ بِقُرْبِي
وَيَا يَدَايَا اصْفَعِيهِ[7] ... وَلاَ تَرْفُقَا[8] بِضَرْبِ[9]
إِنْ كُنْتَ أَنْتَ نَبِيّا ... لاَ شَكَّ أَنَّ القِرْدَ رَبِي

وَمِمَّنْ أَظْهَرَ الزَّنْدَقَة فَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَمَحَقَهُ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الضَّرِير أَبُو

---

(١) زيادة يقتضيها السياق عن «تاريخ الأدباء النحاة» ص ٢٠٠.

(٢) في المطبوعة (والدوار) والصواب ما أثبت.

(٣) في المطبوعة (سنتك)، وما أثبت عن «تاريخ الأدباء النحاة» ص ٢٠٠.

(٤) في الأصل (ظل).

(٥) في المطبوعة (السيل)، وما أثبت عن «تاريخ الأدباء النحاة».

(٦) في الأصل (تدانا).

(٧) في الأصل (اصعفيه).

(٨) في الأصل (ترفق).

(٩) في الأصل (بضربي).

العَلاء المَعَرّي[1] الشَّاعِر المَشْهُور، فَإِنَّه كَانَ يُظْهِرُ الزَنْدَقَة، وَعَارَضَ القُرْآن العَظِيم بِكَلَامٍ ذَمِيمٍ. وَمِمَّا ظَهَرَ مِنْ كَلَامِهِ السَّخِيف قَوْلُه: أُقْسِمُ بِخَالِقِ الْخَيْلِ، وَالرِّيحِ الهَابَّةِ بِاللَّيْلِ، بَيْنَ الشَّرْطِ وَمَطَالِعِ سُهَيْلٍ، إِنَّ الْكَافِرَ لَطَوِيلُ الوَيْلِ، وَإِنَّ العُمْرَ لَمَكْفُوفُ الزَّيْلِ، اتَّقِ مَدَارِجَ السَّيْلِ، وَطَالِعِ الْتَوْبَةَ مِنْ قُبَيْلٍ تَنْجُ، وَمَا إِخَالُكَ بِنَاجٍ وَمِنْ شِعْرِهِ وَجُرْأَتِهِ قَوْلُه:

إِذَا مَا ذَكَرْنَا آدَمَ وَفِعَالِهِ ... وَتَزْوِيجِهُ بِنْتَيهِ ابْنَيْهِ بِالخَنَا
عَلِمْنَا بِأَنَّ الْخَلْقَ مِنْ نَسْلِ فَاجِرٍ ... وَأَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ مِنْ عُنْصُرِ الزِّنَا

قَبَّحَهُ اللَّهُ مَا أَجْرَأَهُ عَلَى الكُفْرِ، وَقَدْ رَدَّ[2] أَهْل مِلَّة الإِسْلَام، وَأَثْبَتُوا أَنَّه هُو مُقِرٌّ بِالزِّنَاء، فَإِقْرَاره عَلَيْه هَكَذَا ذَكَرَهُ السُّيُوطِي، وَقَالَ فِي «تَارِيخ ابْنِ الوَرْدِي»: كَانَ عَلَّامَة عَصْرِه فِي النَّحْوِ وَاللُّغَةِ، وَلَهُ تَصَانِيفُ، وَلَهُ مِنَ النَّظْمِ «لُزُومُ مَا لَا يَلْزَم» فِي خَمْسِ مُجَلَّدَاتٍ و«سِقْط الزَّنْدِ» وَلَا يَبْعُدُ أَنَّهُ تَابَ وَأَنَابَ.

وَمِمَّنْ أَظْهَرَ الكُفْرَ وَالخِلَافَ، وَتَخَلَّقَ بِالكَفْرِ وَقِلَّةِ[3] الإِنْصَافِ كَرْمَنِيَّةُ إِمَامُ القَرَامِطَةِ، ظَهَرَ بِسَوَاد الكُوفَةِ، وَتَبِعَهُ[4] خَلْقٌ كَثِير، وَأَظْهَرَ لَهُمْ كِتَاباً[5] فِيهِ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيم، يَقُولُ الفَرَجُ بْنُ عُثْمَانَ مِنْ قَرْيَةِ نَصْرَانَة أَنَّهُ دَاعِيَةُ المَسِيح، وَهُو عِيسَى، وَهُو الكَلِمَةُ، وَهُو المَهْدِي، وَهُو أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ الحَنَفِيَّة، وَهُو جِبْرَائِيلُ، وَأَنَّ المَسِيحَ تَصَوَّرَ فِي جِسْمِ إِنْسَانٍ وَقَالَ: إِنَّك الدَّاعِيَة، وَإِنَّكَ النَّاقَة، وَإِنَّك الدَّابَة، وَإِنَّكَ يَحْيى بْنُ زَكَرِيَا، وَإِنَّكَ روح القُدُس وَعَرَفَة، وَإِنَّ الصَّلَاةَ أَرْبَعُ

---

(١) هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود، وكنيته أبو العلاء، ولد بالمعرة يوم الجمعة لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٦٣ هـ. وعَمِي من الجدري، وكان متوقد الخاطر على غاية من الذكاء.

(٢) في الأصل (ردوا).

(٣) في الأصل (قلته).

(٤) في الأصل (تبعوه).

(٥) في الأصل (كتاب).

رَكَعاتٍ، رَكَعَتَانِ قَبْلَ الشَّمْسِ ، ورَكْعَتَانِ بَعْدَ الغُرُوب، وَإنَّ الأَذَانَ: اللَّهُ أَكْبَرُ ثَلاثَ مَرَّات، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إله إلَّا اللَّهَ مَرَّتَان، أَشْهَدُ أَنَّ آدم رَسُولُ اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ نُوحاً رَسُول اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ إبْرَاهِيم رَسُول اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى رَسُول اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُول اللَّهِ، أَشْهَدُ أَنَّ أَحْمَدَ بْنُ مُحَمَّد بْنِ الحَنَفِيَّةِ رَسُول اللَّهِ، انْتَهَى. وَيَقُولُ الخَبِيثُ: القِبْلَةُ بَيْتُ المَقْدِس.

وَمِمَّنْ اسْتَحَقَّ[1] اللعَان، وَطُرِدَ عَنْ بَابِ الرَّحْمٰن: ابْنُ يَحْيى بْنُ إسْحَاق المَعْرُوف [بِابْنِ الرَّاوَنْدِي][2]. مَاتَ إلَى لَعْنَةِ اللَّهِ سَنَة ثلاث وَتِسْعِين وَمِائَتَيْنِ، وَكَانَ لَهُ فِي الكُفْرِ وَالإلْحَادِ، وَمُنَاقَضَةِ الشَّرِيعَةِ الغَرَّاء مُصَنَّفَات مِنْهَا «قَضِيبُ الذَّهَب» و «الدَّامع » وَ «الفَرِيد» و «الزُّمُرُّد». وَقَد أَجَابَهُ العُلَمَاءُ عَنْ مُعَارَضَتِهِ السَّمِجَة وَالرَّكِيكَة، وَكَانَ الخَبِيثُ وَضَعَ كِتَاباً لِليَهُودِ ، وَقَالَ لَهُمْ: قُولُوا: إنَّ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلام قَالَ: لاَ نَبِيَّ بَعْدِي. وقَالَ العَلاَّمَةُ ابْنُ الجَوْزِي: إنَّ اللَّهَ يُعَذِّبُ هَذَا الزِّنْدِيق أَشَدَّ العَذَاب، بَلْ أَشَدّ مِنْ إبْلِيس [الَّذِي][3] خَاطَبَ اللَّهَ تَعَالَى، بِالأَدَبِ فَقَالَ: ﴿... فَبِعِزَّتِكَ...﴾[4] وَهَذَا المَلْعُونُ أَسَاءَ الأَدَبَ مَعَ اللَّهِ، وَتَكَلَّمَ بِكُلِ كُفْرٍ، وَمِنْ العَجِيب أَنَّ العَوَامَ يَضْحَكُونَ لِأَقْوَالِهِ، وَيَغْفَلُونَ عَنْ كَوْنِهِ سَبَّ النَّبِيَّ ﷺ فِي مُصَنَّفَاتِهِ. شِعْر:

أَلا لَيْتَنِي مُكِّنْتُ مِنْهُ ... فَكُنْتُ فَعَلْتُ فِيهِ مَا أَشَاءُ
فَإنَّ أَبِي وَوَالِدَتِي وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْهُ وِقَاءُ

وَمِمَّنْ بِدِمِشْق ظَهَرَ وَادَّعَى النُّبُوَّة وَكَفَرَ عِيسَى الدِّمِشْقِي، ادَّعى أَنَّهُ نَبِيُّ اللَّه عِيسَى بْن مَرْيَم، عَلَيْهِ السَّلام وَأَضَلَّ[5] طَائِفَةً، وَكَانَ يَزْعَمُ أَنَّه أُنْزِلَتْ[6] عَلَيْهِ

---

(١) في الأصل (استخف).

(٢)أضيفت على هامش الورقة ٤٠٦ بخط مختلف عن خط النساخ

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) سورة ص، الآية ـ ٨٢.

(٥)في الأصل (اظل).

(٦)في الأصل (أنزل).

هَذِهِ السُّورة، وَهِي مُعَارِضَةٌ لِـ(سُورَة الكَوْثَر) قَوْلُه: لَعَنَه اللَّه: إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْجَمَاهِرَ، فَصَلِّ لِرَبِّكَ، وَلا تُجَاهِرْ، وَلاَ تُطِعْ كُلَّ سَاحِرٍ. وَلَمَّا شَاعَ ذِكْرُهُ قَبَضَ عَلَيْهِ صَاحِبُ دِمِشْق وَصُلِبَ عَلَى عُودٍ، فَوَقَفَ عِنْدَه بَعْضُ الظُّرَفَاء[1] وَقَالَ لَـهُ مُخَاطِبـاً: يَا لَعِين، إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْعُودَ، فَصَلِّ[2] لِرَبِّـكَ قُعُودْ، وَأَنَـا ضَامِنٌ لَـكَ أَنْ لاَ تَعُودْ، انْتَهَى. وَفِي ذِكْرِ هَؤلاءِ الزَّنَادِيق كِفَايَة.

حُكِيَ: أَنَّ الرَّئِيس ابْنَ سِينَا اجْتَمَعَتْ عِنْدَه فِرْقَةٌ مِنْ تَلاَمِذَتِهِ، وَحَرَّضُوهُ عَلَى أَنْ يَدَّعِي النبوَّة فَأَبَى وَأَعْرَضَ عَنْهُمْ، وَهُمْ يُلِحُّونَ عَلَيْهِ بِذَلِكَ، فَاتَّفَقَ أَنَّ لَيْلَةً شَاتِيَةً كَانَ عِنْدَهُ بَعْضُ تَلاَمِذَتِهِ فَاسْتَيْقَظَ الشيخ الرئيس في السَّحر، وقال لِتِلْمِيذِه: مَا أَشَدَّ بَرْد هَذِهِ اللَّيْلَة! فَقَالَ لَهُ الرَّجُل: نَعَمْ. فَقَالَ: أُرِيدُ مِنْكَ أَنْ تَذْهَبَ إِلَى رَأْسِ الْعَيْنِ وَتَأْتِينِي مِنْهُ بِمَاءٍ حَار حَتَّى أَتَوَضَّأَ. فَأَبَى ذَلِكَ الرَّجُل وَقَالَ: إِنِّي لاَ أَقْدِرُ أَذْهَب مِنْ شِدَّةِ البَرْدِ، وَكَانَ الْمُؤَذِّنُ فَوْقَ المَنَارَةِ يُؤَذِّنُ فَقَالَ لَهُ الشَّيخ الرَّئِيس: أَنْتُم تَأْمُرُونِي أَنْ أَدَّعِي النُّبُوَّة، وَالنَّبِيّ لاَ يُرَدُّ كَلامُه، وَأَنَا أَطْلُبُ مِنْكَ شَيْئاً يَسِيراً، وَأَنْتَ تَمتَنِعُ أَنْ تَفْعَلَهُ خَوْفاً عَلَى نَفْسِكَ، أَمَا تَسْمَعُ هَذَا الْمُؤَذِّن فِي الْمَنَارَةِ يَدْعُو[3] النَّاسَ إِلَى الصَّلاَةِ مُمْتَثِلاً لِأَمْرِ النَّبِيّ مُحَمَّد ﷺ فَأُفٍّ لَكُمْ، أَتُرِيدُونَ انْ تَضِلُّونِي بَعْدَ إِذْ هَدَانِي اللَّه؟ فَالنُّبُوَّةُ لاَ تَحْصَلُ بِالكَسْبِ، بَلْ هِي مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَالرِّسَالَةُ لاَ تَكُون إِلاَّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ يُرْسِلُ جِبْرَائِيل، وَيَأْمُرُ الأَنْبِيَاء وَالرُّسُل بِإِظْهَار الدَّعْوَة، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّداً ﷺ هُوَ خَاتَمُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِين، وَقَدْ صَحَّ عَنْهُ ﷺ، أَنَّـهُ قَالَ: «لاَ نَبِيَّ بَعْدِي» فَمَنَ اعْتَقَدَ هَذَا فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَحَدَ هَذَا فَقَدْ كَفَرَ.

---

(١) في الأصل (الضرفاء).

(٢) في الأصل (فصلى).

(٣) في الأصل (يدعي).

[١١]

حبابة جارية الخليفة يزيد بن عبد المَلِك بن مَرْوان الأموي (*)

كَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ نِسَاءِ زَمَانِهَا، اشْتَرَاهَا يَزِيدُ قَبْلَ أَنْ يَلِيَ الخِلَافَة بِأَرْبَعَةِ آلَاف دِينَار، وَأَحَبَّهَا حُبّاً شَدِيداً، وَهَامَ بِهَا، وَتَرَكَ القِرَاءَةَ، وَمُعَانَاةَ(١) أُمُور المَمْلَكَةِ فَبلَغَ ذَلِكَ أَخَاهُ أَمِير المُؤْمِنِين سُلَيْمَانَ، وَحَجَرَ عَلَيْهِ، وَأَخَذَ مِنْهُ الجَارِيَةَ حَبَابَة وَبَاعَهَا، وَاسْتَمَرَّ يَزِيدُ مَقْهُوراً إِلَى أَنْ وَلِي الخِلَافَة، فَاتَّفَقَ يَوْماً أَنَّ زَوْجَتَهُ(٢) قَالَتْ لَهُ: هَلْ بَقِي فِي نَفْسِكَ شَيء مِنَ الدُّنْيَا؟ قَالَ: نَعَمْ قَالَتْ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: حَبَابَةُ. فَأَرْسَلَتْ زَوْجَتُهُ وَاشْتَرَتْ حُبَابَة، مِنْ غَيْرِ عِلْمِهِ، وَزَيَّنَتْهَا وَطَيَّبَتْهَا وَأَجْلَسَتْهَا مِنْ وَرَاءِ السِّتَارِ، وَهُوَ لا يَعْلَمُ، وَقَالَتْ لَهُ: هَلْ بَقِي فِي نَفْسِكَ شَيء مِنَ الدُّنْيَا؟ فقال يزيد: أَمَا(٣) قُلْتُ [لَكِ](٤) بَقِي حَبَابَة؟ فقالتْ: هَا أَنْتَ وَحَبَابَة. وَأَمَرَتْهَا بالخروج فَخَرَجَتْ عَلَيْهِ فَرَحَّبَ(٥) بِهَا، وَقَرَّبَهَا إِلَيْه، وخرجت زوجته من عنده، فكان ما كان ثُمَّ غَلَبَتْ حبَابة على عقل يزيد، وَتَرَكَ سياسية المملكة، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بالخلافةِ، وَقَدْ

(*) انظر ترجمتها: الأغاني حـ١٣، والكامل ٤/١٩٠ ـ ١٩١، وفيه: أن حَبَابَة كان اسمها العالية. وأعلام النساء ١/٢٣٢ ـ ٢٣٥.

وانظر ضبطها: في الأغاني ١/٢٥٦ ـ ٣١٦، بتخفيف الباء الموحدة، كما ضبطت في الكامل لابن الأثير ٤/١٩٢ كذلك حيث قال: (سَلَّامَةُ بتشديد اللام، وحَبَابَةُ بتخفيف الباء الموحدة).

(١) في الأصل (محاناة).

(٢) زوجته: هي سعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان.

(٣) في الأصل (ما).

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) في الأصل (فتمرحب).

شغف بَحَبَابَة فقال يوماً: الناس يقولون لَمْ يَصْفُ[1] الدهرُ لأحدٍ من الملوك يوماً واحداً، وإني أريد أكذِّبهم: فَأَقْبَلَ عَلَى لَذَّاتِهِ وَاخْتَلَى[2] مَع حَبَابَة يَوْماً بعد ما أَحْضَرَ آنية المدام والطعام. فَبَيْنَمَا هو في صَفْوِ عَيْشٍ، وهو يُلاَعِبُ حبابة، إذْ تَنَاوَلَتْ حَبَابَةُ حَبَّةَ رمان، وهي تَضْحَكُ، فَشَرِقَتْ[3] بِهَا، وَمَاتَتْ مِنْ وَقْتِهَا[4] فَطَاشَ عَقْلُ يزيد، وَاخْتَلَّ وَذَهَبَتْ مُروَّته، وَاعْتَلَّ وتركها عنده أياماً[5] لم يَدْفِنْهَا حتى جَافَتْ وهو يُقَبِّلُهَا ويُلاَعِبُهَا ويَلْعَبُ بها. فَاجْتَمَعَ[6] بَنُو أُمَيَّة، وَعَنَّفُوهُ، وَهُو لاَ يَزْدَادُ إلاَّ عِشْقاً، ثُمَّ دَفَنَهَا فَهَاجَتْ بَلاَ بِله[7] وَنَبَشَهَا بَعْدَ أَيَّام وَقَدْ تَفَصَّلَتْ مَفَاصِلُهَا ثُمَّ دَفَنَهَا، وَلَمْ يَعِشْ بَعْدَهَا سِوَى خَمْسَة عَشْرَ يَوْماً، وَمَاتَ سَنَة مِائَة وَخَمْس.

قَالَ فِي الطِّبِّ: الْعِشْقُ مَرَضٌ وِسْوَاسِي يَجْلِبُهُ الإِنْسَانُ إِلَى نَفْسِهِ بِتَسْلِيطِ فِكْرِهِ عَلَى اسْتِحْسَانِ بَعْضِ الصُّورِ وَالشَّمَائِلِ الَّتِي تَكُونُ فِي المَحْبُوبِ، وَقَالَ أَرِسْطُو: هُو عَمَاءُ[8] الحِسِّ عَنْ إِدْرَاكِ عُيُوب المَحْبُوبِ، وَأَكْثَرُ مَا يَعْتَرِي الغُرَبَاء وَالبَطَّالِين، وعَلاَمَةُ العِشْقِ غَوْر العَيْنَيْنِ وَجَفَافُهَا، وَسِمن الجَفْنِ مَعَ قِلَّةِ الحَرَكَةِ وَالسَّهَرِ، وَهزْلِ البَدَن، وَاخْتِلاَفِ النَّبْضِ عِنْدَ ذِكْرِ الحَبِيب، وَتَغَيُّر اللَّون، قَالَ الشَّاعِر:

عَــلاَمَــةُ مَنْ أَخْفَى الْهَــوَى بِفُــؤَادِهِ إِذَا ما رأى مَحْـبُـوبَـهُ يَـتَـغَـيَّـرُ
وَيَصْفَرُّ مِنْـهُ الـوَجْـهُ بَعْـدَ احْمِـرَارِهِ وَإِنْ خَـاطَبُـوهُ بِـالكَـلاَمِ تَعَـثَّـرُ

---

(١) في الأصل (يصفوا).

(٢) في الأصل (اختلا).

(٣) في الأصل (فشهقت).

(٤) وفي الكامل ١٩١/٤: أن حَبَابَة خرجت مع يزيد إلى ناحية الأردن يتنزهان فرماها بحبة عنب فدخلت حلقها فشرقت ومرضت وماتت.

(٥) في الأصل (أيام).

(٦) في الأصل (اجتمعت).

(٧) في الأصل (بلابلها).

(٨) في الأصل (عمي).

وَعِلاَجُ العِشْقِ، قَالَ فِي «الفَوَائِدِ الحُسَيْنِيَّة»: لاَ شَيءَ أَنْفَعُ لِلْعَاشِقِ مِنْ وِصَالِ المَعْشُوق، وَإِنْ لَمْ يَتَّفِقْ بِالوَجْهِ الشَّرْعِي، فَتَسْلِيطُ العَجَائِزِ عَلَى العَاشِقِ حَتَّى تُكَرِّهَهُ المَعْشُوق بِإِظْهَارِ بَعْضِ العُيُوب. وَإِنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الكَمَالِ فَتَنْفَعُهُ النَّصِيحَةُ وَالاسْتِهَافَة، وَإِلاَّ بِتَصْوِيرِ صُورة المَحْبُوب، وَإِلاَّ فَبِالاشْتِغَالِ بِالعُلُومِ العَقْلِيَّةِ وَالمُحَاكَاةِ[1]، وَكَثْرَة الجِمَاعِ وَاللَّعِب، وَإِلاَّ فَبِسَفَرٍ طَوِيلٍ، وَقَالَ فِي الأَسْبَابِ: الجِمَاعُ لِغَيْرِ المَعْشُوق يُنْقِصُ العِشْق. وَقَالَ فِي «الكَامِلِ»: يَنْفَعُ العَاشِقُ الرِّيَاضَةَ المُعْتَدِلَةَ وَالنَّظَرَ إِلَى البَسَاتِين[2] وَالمَزَارِعِ وَالأَزْهَار، وَيُهَيجُ العِشْق المُخَاصَمَة وَالمُنَازَعَة، وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ: أَنَّ عَظْمَ اللَّقْلَقِ إِذَا عُلِّقَ عَلَى العَاشِقِ سلى عَنْ مَحْبُوبه، وَكَذَلِكَ أَرْبعَ شُعَيْرَات نِيل مَحْلُول بِالمَاءِ إِذا شَرِبَهُ العَاشِق سلي. وَفِي ذِكْرِ العُشَّاق المَشْهُورِين فِي الآفَاقِ مَا حَكَى، أَنَّ المَلِك العَزِيز الأَيُّوبِي كَانَ فِي أَيَّام أَبِيه السُّلْطَان صَلاح الدِّين يُوسُف يَهْوَى جَارِيَةً فَبَلَغَ أَبَاهُ ذَلِكَ. فَمَنَعَهُ عَنْ صُحْبَتِهَا، فَحَزِنَ لِذَلِكَ وَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الاجْتِمَاعِ بِهَا، فَأَرْسَلَتْ لَهُ الجَارِيَةُ مَعَ خَادِمٍ لَهَا كُرَة عَنْبَر، فَكَسَرَهَا فَوَجَدَ فِيهَا زِرّاً مِنَ الذَّهَبِ فَلَمْ يَفْطِنْ لِذَلِكَ، فَحَدَّثَ بِهِ القَاضِي الفَاضِل، فَأَنْشَدَ القَاضِي[3]:

أَهْدَتْ لَكَ العَنْبَرَ فِي وَسْطِه ... زِرٌّ مِنَ التِّبْرِ رَقِيقُ اللِّحَامِ
فَالزِّرُّ بِالعَنْبَرِ تَفْسِيرُهُ ... زِرْ هَكَذَا مُسْتَتِراً فِي الظَّلامِ

فَفَهِمَ المَلِكُ العَزِيز المُرَاد وَاجْتَمَعَ بِهَا فِي اللَّيْلِ، وَحَكَى الجَاحِظُ أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ حُمَيْد الطُّوسِي كَانَ جَالِساً مَعَ نُدَمَائِهِ وَقَدْ أَخَذَ الشَّرَابُ بِرُؤُوسِهِمْ إِذْ غَنَّتْ جَارِيَةٌ لَهُ مِنْ وَرَاءِ السِّتَارَةِ هَذَيْنِ البَيْتَيْنِ شِعْراً:

يَا قَمَرَ القَصْرِ مَتَى تَطْلُعُ ... أَشْقَى وَغَيْرُكَ يَسْتَمْتِعُ

---

(١) في الأصل (المحاكات).

(٢) في الأصل (البستاتين).

(٣) سيأتي ذكر البيتين لاحقاً.

إِنْ كَـــانَ رَبِّــي قَـضَـى كُـــلَ ذَا مِـنْـكَ عَلَى رَأْسِـي فَمَــاذَا أَصْنَـعُ

وَكَانَ عَلَى رَأْسِ مُحَمّد غُلَام أَحْسَن مَا يَكُون، وَبِيَدِهِ قَدَحٌ فَوَضَعَهُ وَقَالَ: تَصْنَعِينَ مِثْل ذَا: وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ مِنَ الدَّارِ إِلَى دِجْلَة، فَلَمَّا رَأَتْ الجَارِيَةُ ذَلِكَ هَتَكَتْ السِّتَارَةَ وَأَلْقَتْ بِنَفْسِهَا عَلَى أَثَرِهِ فَغَرِقَا جَمِيعاً فَحَزِنَ لِذَلِكَ مُحَمَّد، وَقَطَعَ الشَّرَابَ شَهْراً كَامِلاً.

وَذُكِرَ فِي كِتَابِ «دِيـوَان الصَّبَابَـة»: أَنَّ رَجُلاً مِنْ بَنِي عُـذْرَة عَشِقَ جَارِيَـةً فَرَاسَلَهَا، وَأَظْهَرَتْ لَهُ الجفَاءَ فَوَقَعَ مَضْنَى[١]، وَظَهَرَ أَمْرَهُ فَلَمْ تَزَلْ النِّسَاءُ يُكَلِّمْنَ[٢] الجَارِيَةَ حَتَّى جَاءَتْ تَعُودُه فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ وَنَظَرَ إِلَيْهَا بَكَى، وَأَنْشَدَ يَقُولُ: شِعْر:

أَرِيتُـك[٣] إِنْ مَـرَّتْ عَلَيْـكِ جَنَـازَتِي تَـلُوحُ بِـهَـا أَيْـدٍ طُـوَالٍ وَشُـرَّعِ
أَمـا تَتْبَعِيـنَ النَّـعْشَ حَتَّـى تُسَـلِمِي . عَلَى رَمِمٍ مَيِّت بِـالْحُفَيـرَةِ مُـودِعِ

فَبَكَتْ الجَارِيَةُ رَحْمَةً لَهُ، وَقَالَتْ: مَا ظَنَنْتُ الأَمْرَ يَبْلُغُ بِكَ إِلَى هَذَا، فَوَاللَّهِ لأُوَاصِلُكَ مَتَى عُوفِيتَ فَهَمَلَتْ عَيْنَاهُ بِالدَّمْعِ، وَأَنْشَدَ:

دَنَتْ، وَحِيَـاضُ المـوْتِ بِيْنِي وَبَيْنِهَـا وَجَـادَتْ بِوَصْـلٍ لا يَنْقَـطِعُ الـوَصْـلُ

وَشَهِقَ وَمَاتَ فَوَقَعَتْ عَلَيْه الجَارِيَةُ تَبْكِي، وَأُغْشِي عَلَيْهَا، وَمَا مَكَثَتْ بَعْدَهُ إِلَّا أَيَّاماً قَلَائِل، وَمَاتَتْ.

وَحَكَى أَحْمَدُ بْنُ الفَضْلِ: أَنَّ غُلَاماً وَجَارِيَةً كَانَا فِي كُتَّابٍ فَعَشِقَ الغُلَامُ الجَارِيَة، وَلَمْ يَزَلْ يَتَلَطَّفُ بِمُعَلِّمِهِ[٤] حَتَّى قَرَّبَهُ إِلَيْهَا، فَكَتَبَ الغُلَامُ فِي لَوْحِ الجَارِيَةِ[٥] هَذَا البَيْتَ. مُفْرد:

---

(١) في الأصل (مضنا).
(٢) في الأصل (يكلمون).
(٣) في الأصل (أريتكي).
(٤) في الأصل (بمعمله).
(٥) في الأصل (الجاربة).

مَـاذَا تَقُـولِينَ فِيمَنْ شَـفَّـه سُقم مِنْ طُـولِ حُبِّك حَتَّى صَارَ حَيْرَانَا

فَقَرَأَتْهُ الجَارِيَةُ وَذَرَفَتْ عَيْنَاهَا بِالْدُمُوعِ رحمة له، وَكَتَبَتْ تَحْتَهُ: مفرد:

إذَا رَأَيْنَـا مُحِبَّـاً قَـدْ أَضـرَّ بـه طُـولُ الصَبَابَـةِ أَوْلَيْنَـاهُ إِحْسَـانَـا

فقدم المعلِّم، وسمع ذلك، فأخذ اللوح وكتب فيه هذين [البيتين: شعر].

صِلِي الْعَرِيفَ وَلَا تَخْشَيْنَ مِنْ أَحَدٍ إن الْعَـرِيفَ صَغِيـرُ السنِ وَلْهَـانَـا

أَمَّـا الفَقِيـهُ فَمَـا يَسْـطُوا إذاً أَبَـداً لأنَّـه قَـدْ بُلي بِـالْعِشْقِ أَلْـوَانَـا

وَحُكِي: أَنَّ بَعْضَ الأُدَبَاءِ كَانَ يَعْشَقُ جَارِيَةً فَقَالَتْ له: أَنْتَ صَحِيحُ الحُبِّ كَامِلُ الوَفَاءِ؟ فَقَالَ: نَعَمْ. قَـالَتْ: فَامْض بِنَا حَيْثُ شِئْتَ. فَلَمَّا حَصَلَتْ فِي مَنْزِلِهِ لَمْ يَكُنْ لَهُ هِمَّةٌ، إلاَّ أَنْ رَفَعَ سَاقَيْهَا، وَجَعَلَ يُجَامِعُهَا بِجَمِيعِ جَوَارِحِهِ، فَقَالَتْ لَهُ، وَهِي فِي القَالِبِ، وَأَنْشَدَتْ، مُفْرد:

أَسْـرَفْـتَ فِي.. وَ.... مَصْلَحَـة أَرْفِق بِصَبِّـك إنَّ الـرِّفقَ مَحْمُـود

فأجابها وهو في عَمَلِهِ لَا يَفْتُرُ عَنْهُ. مفرد:

وَلَـمْ... مِـنْ تَـبْـقَـى مَـوَدَّتَـه لَكِن... هَـذَا فِيـكِ مَجْهُـود

فَنَفَرَتْ مِنْ تَحْتِهِ، وَقَالَتْ: أَرَاكَ يَا فَاسِق عَلَى خِلَافِ العَادَةِ كَأَنَّـكَ تَجْعَلُ جِمَاعِي سَبَباً لِذَهَابِ حُبِّكَ، وَاللَّهِ مَا جَمَعَنِي وَإِيَّاكَ بَعْدَ هَذَا سَقْفٌ. انْتَهى.

[١٢]

قَطَامُ

هِي مِنَ الخَوارِجِ، وَهِي امْرَأَةٌ مِنْ تَيْمِ الرّباب، وَكانَتْ فَائِقَـةَ الجَمَالِ، وَكَانَ قَدْ قُتِلَ أَبُوهَا وَأَخُوهَا يَوم مَعْرَكَةِ النَّهْرَوان(١)، فِي قِتَالِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الخَوارِجِ فَلَقِيَهَا ابْنُ مُلجَم لَعَنَه الله، فَأَحَبَّها(٢) وَهَامَ بِهَا، ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَيْهَا يَخْطِبُهَا لِنَفْسِهِ، فقالتْ لَهُ، لاَ أَتَزَوجُكَ حَتَى تُشْفِي قَلْبِي! قَالَ: مَا تُرِيدِينَ؟ قَالَتْ: ثَلاَثَةَ آلاَف. وَعَبْدَ، وَقَيْنَه، وَقَتْلَ عَلِيِّ بْن أَبِي طَالِب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ اللّعِينُ: أَمَّا قَتْلَ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَرَاكِ ذَكَرْتِهِ وَهُو قَصْدِي، وَأَنْتِ تُرِيدِيني! فَقَالَتْ: أُرِيدُ أَلْتَمِسُ الغُرَّة فَإِنْ أَصَبْتَ شَفَيْتَ نَفْسَكَ وَنَفْسِي وَنَفعكَ العَيْشُ مَعِي، وَإِنْ قُتِلْتَ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى مِنَ الْدُنْيَا وَمَا فِيهَا، فَقَالَ لَهَا: وَاللَّهِ مَا جَاءَ بِي إِلاّ قَتْلُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَكِ مَا سَأَلْتِ(٣). فَقَالَتْ لَهُ: سَأَطْلُبُ لَكَ مَنْ يَشُدُّ ظَهْرَكَ وَيُسَاعِدُكَ، فَدَعَتْ رَجُلاً(٤) مِنْ قَوْمِهَا، اسْمُه وِرْدَان وَكَلَّمَتْهُ بِذَلِكَ، فَأَجَابَهَا إِلَى مَا طَلَبَتْ، وَاتَّفَقَ مَع ابْنِ مُلْجَمٍ، وَسَارَا(٥) إِلَى قَتْلِ عَلِيٍّ. فَكَـانَ مِنْ ابْنِ ملجم مَا كَانَ، وَغَدَرَ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَتَلَهُ، ثُمَّ قُتِلَ ابنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللَّه وَفِي قَطَام يَقُولُ ابْنُ أَبِي مَيَاس المُرَادِي:

وَلَمْ أَرَ(٦) مَهْراً سَاقَهُ ذُو(٧) سَفَاهَةٍ ... كَمَهْرِ قَطام بَيْنَ عُرْبٍ وَأَعْجَمِ

(١) في الأصل (النهر).
(٢) في الأصل (حبها).
(٣) في الأصل (سألتني).
(٤) في الأصل (رجل).
(٥) في الأصل (ساروا).
(٦) في الأصل (أرى).
(٧) في الأصل (و).

ثَـلَاثَـةُ آلَافٍ وَعَـبْـدٍ وَقَـيْـنَـةٍ وَضَـرْبُ عَلِيٍّ بِـالْحُسَـامِ الْمُسَمَّمِ
فَـلَا مَهْـرَ أَغْلَى مِنْ عَلِيٍّ وَإِنْ غَـلَا وَلَا فَتْـكَ إِلَّا دُونَ فَتْكِ ابنِ ملجمِ

وَفِي ابْنِ ملجم لعَنَهُ الله يَقُولُ شَاعِرُ الخَوارِجِ ، وَقَوْلُه خَطَأً: شِعْر:

يَـا ضَـرْبَـةً مِنْ تَقِيٍّ مَـا أَرَادَ بِهَـا إِلَّا لِيَبْلُغَ مِنْ ذِي العَـرْشِ رِضْـوَانَـا
إِنِّـي لَأَذْكُـرُه يَـوْمـاً فَـأَحْـسَـبُـهُ أَوْفَى البَـرِيَّـةِ عِـنْـدَ اللَّهِ مِـيـزَانَـا

وَلِلَّهِ دَرّ أَخِي أَمِين العمري حَيْثُ غَيَّرَهُمَا، وَحَرَّفَهُمَا فَأَصَابَ: شِعْر:

أَيَـا ضَـرْبَـةً مِنْ شَقِيٍّ مَا أَرَادَ بِهَـا إِلَّا لِيَـدْخُـلَ يَـوْمَ البَعْثِ نِيـرَانَـا
إِنِّـي لَأَذْكُـره يَـوْمـاً فَـأَحْـسَـبُـهُ أَوْفَى البَـرِيَّـةَ عِنْـدَ اللَّهِ خُسْـرَانَـا

ذَكَرَ المُؤَرِّخُونَ أَنَّ عَلِيًّا،[1] رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا اصْطَلَحَ مَعَ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى التَّحْكِيمِ ، وَكَتَبُوا بِذَلِكَ مَحْضراً، غَضِبَ[2] القُرَّاء، وَاعْتَزَلُوا عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَـالُوا: كَفَـرَ عَلِيٌّ، وَكَفَر مُعَـاوِيَـة، وَارْتَحلُوا عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْـهُ وَنَـزَلُـوا حَرُوراء[3] بِقُرْبِ الكُوفَةِ، وَهُمْ سِتَّـة آلاف مُقَاتِـل، [وَقِيلَ][4]: ثَمَـانِيَة آلاف، وقِيلَ: أَرْبَعَة آلاف، وَقِيلَ: أَلْف وَأَكْثَر، وَقِيلَ: غَيْر ذَلِكَ، وَبَايَعُوا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ وَهْبِ الرَّاسِبِيّ، وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى النَّهْرَوان، فَتَبِعَهُمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَوْقَعَ بِهِمْ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ أَلْفَيْنِ، وَثَمَانِمائَة، وَقِيلَ: قُتِلُوا عَنْ آخِرِهِمْ، وَقُتِلَ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَبْعَةٌ، أَوَّلُهُمْ يَزِيدُ بْنُ نُوَيْرَة، شَهِدَ أُحُداً.

وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ ذَات الشِّفَاء»: سُمِّيَتْ الخَوَارِجُ طَوَائِفَ الكِلَابِ لِقَوْلِهِ ﷺ: «الْخَوَارِجُ كِلَابُ النَّارِ»، وَقَالَ فِي «شَرْحِ المَوَاقِفِ»: كَانُوا سَبْعَ فِرَقٍ مِنْ قَبَـائِل شَتَّى، وَاعْتِقَادُهُمْ يُخَالِفُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً[5]، وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاء»: أَنَّ

---

(١) في الأصل (على).
(٢) في الأصل (غضبت).
(٣) في الأصل (حروراً).
(٤) زيادة يقتضيها السياق.
(٥) في الأصل (بعض).

الخَوارِجَ اجْتَمَعُوا وَقالُوا : إنَّ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومُعَاوِيَةَ وَعمْرُو بْنَ العَاصِ أَفْسَدُوا أَمْرَ هَذِهِ الأُمَةِ، فَانْتَدَبُوا لِقَتْلِ هَؤُلاَءِ الثَّلاَثَةِ: عَبْدَ الرَّحْمنِ بْنَ مُلْجَمٍ لِقَتْلِ عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالحَجَّاجَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ الصَّمِيرِي لِقَتْلِ مُعَاوِيَةَ، وَزَادَوِيه[1] العَنْبَرِيّ التَّمِيمِي لِقَتْلِ عَمْرو بْنِ العَاصِ، وَدَبَّرُوا أَنْ يَكُونَ مَقْتَلُ الثَّلاثَة لَيْلَة السَّابع عَشْر مِنْ رَمَضَان. فَدَخَلَ ابْنُ مُلْجَم الكُوفَةَ، وَاشْتَرَى سَيْفاً بِأَلْفٍ وَسَقَاهُ السُّمَّ وَكَمَنَ لِعَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لَيْلَةَ السَّابع عَشْر مِنْ رَمَضَان، فَلَمَّا خَرَجَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى صَلاَةِ الفَجْرِ ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ عَلَى يَأْفُوخِهِ، وَضُرِبَ مُعَاوِيَةُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ فَجُرِحَتْ أَلِيَتُهُ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ كَبِير الأَوْرَاك فَقُطِعَ مِنْه عِرقُ النِّكَاحِ، فَلَمْ يُولَدْ لَهُ بَعْد ذَلِكَ. وَأَمَّا زَادَوِيه فَضَرَبَ إِمَامَ الجَمَاعَةِ فِي تِلْكَ الصَّلاة لَيْلَة سَبْع عَشْرَة، وَكَانَ نَائِبَ عَمْرو لِأَنَّهُ وَجِعَهُ بَطْنُهُ فَأَنَابَ عَنْهُ خَارِجَةَ بْنَ حُذَافَة فَقَتَلَهُ، فَلَمَّا تَبَيَّنَ أَنَّه خَارِجَةَ قَالَ: أَرَدْتُ عَمْرو، وَأَرَادَ اللَّهُ خَارِجَةَ. فَذَهَبَتْ مَثَلاً. وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَبْدُ المَجِيد بْنُ عَبْدُون[2] الأَنْدَلُسِيّ: شِعْر.

وَلَيْتَهَا إِذْ فَدَتْ عَمْراً بِخَارِجَة ... فَدَتْ عَلِيّاً بِمَا شَاءَتْ مِنَ البَشَرْ

وَسَلِمَ عَمْرُو وَكَانَ يَقُولُ مَا نَفَعَنِي بَطْنِي قَطُّ إِلاَّ تِلْكَ اللَّيْلَة. وَقَالَ مُعَاوِيَةُ:

نَجَوْتُ وَقَدْ بَلَّ المُرَادِيُّ سَيْفَهُ ... مِنِ ابْنِ أَبِي شَيْخِ الأَبَاطِحِ طَالِبِ

وَلَمَّا ضُرِبَ مُعَاوِيَةُ قَبَضَ عَلَى الحَجَّاجِ، فَقَالَ لَهُمْ: لَكُمُ البِشَارَة فَقَدْ قُتِلَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي هَذِهِ اللَّيْلَة، وَحَكَى لَهُمْ مَا عَزَمُوا عَلَيْه[3]، فَاسْتَبْقَاهُ حَتَّى أَتَاهُ الخَبَر بِذَلِكَ فَقَطَعَ يَدَهُ وَرِجْلَهُ وَأَطْلَقَهُ فَسَكَنَ البَصْرَةَ.

وَلَمَّا خَرَجَ عَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ تِلْكَ الصَّبِيحَة أَقْبَلَتْ الأُوز يَصِحْنَ فِي وَجْهِهِ فَصَرَدُوهُنَّ. فَقَالَ: دَعُوهُنَّ فَإِنَّهُنَّ نَوائِحُ. وَقِيلَ لعليّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. إِنَّ ابْنَ مُلْجَم

---

(١) في الأصل (داوديه).

(٢) في الأصل (عبد الحميد).

(٣) في الأصل (عليهم).

سَمَّ سَيْفَهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَقْتُلُكَ بِهِ قِتْلَةً تَتَحَدَّثُ بِهَا الْعَرَبُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ فَقَالَ لَهُ. لِمَ تَسُمُّ سَيْفَكَ(١)؟ قَالَ: لِعَدُوِّي وَعَدُوِّكَ، فَخَلَّاه، وَقَالَ: لَمْ يَقْتُلْنِي بَعْد. وَقِيلَ: جَاءَ ابْنُ مُلْجَم يَسْتَعْمِله فَحَمَلَهُ، وَقَالَ أَمَا [وَاللَّهِ](٢) إِنَّ هَذَا قَاتِلِي. قِيلَ: فَمَا يَمْنَعُكَ مِنْهُ؟ قَالَ: إِنَّه لَمْ يَقْتُلْنِي بَعْد. وَذُكِرَ فِي «شَرْحِ ذَاتِ الشِّفَاء»: لَمَّا دَخَلَ الْمُؤَذِّنُ، وَقَالَ: الصَّلَاة. قَامَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِب رَضِي اللَّهُ تَعَالَى عَنْه يَمْشِي، وَالْمُؤَذِّنُ أَمَامَهُ، وَالْحَسَنُ رَضِي اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، خَلْفَه، فَلَمَّا خَرَجَ مِنَ الْبَابِ نَادَى أَيُّهَا النَّاس: الصَّلَاة، الصَّلَاة. فَاعْتَرَضَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ وَضَرَبَهُ بِسَيْفِهِ فَأَصَابَ جَبْهَتَهُ إِلَى قَرْنِهِ وَوَصَلَ إِلَى دِمَاغِهِ. فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِي اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: فُزْتُ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، لَا يَفُوتُكُمُ الْكَلْب. فَشَدَّ النَّاسُ عَلَيْهِ، وَحَمَلَ ابْنُ مُلْجَم عَلَى النَّاسِ بِسَيْفِهِ فَفَرَّجُوا لَهُ، فَتَلَقَّاهُ الْمُغِيرَةُ بْنُ نَوْفَل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِقَطِيفَةٍ فَرَمَاهَا عَلَيْهِ وَاحْتَمَلَهُ وَضَرَبَ بِهِ الْأَرْضَ، وَقَعَدَ عَلَى صَدْرِهِ وَانْتَزَعَ سَيْفَهُ مِنْهُ، ثُمَّ أُخِذَ وَأُدخِلَ عَلَى عَلِيٍّ رَضِي اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَقَالَ: احْبِسُوهُ، وَأَطِيبُوا طَعَامَهُ، وَأَلِينُوا فِرَاشَهُ، فَإِنْ أَعِشْ فَأَمْرُهُ إِلَيَّ قِصَاصاً وَعفْواً، وَإِنْ أَمُتْ فَأَلْحِقُوهُ بِي أُخَاصِمْهُ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَمَكَثَ عَلِيٌّ رَضِي اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَالسَّبْتِ وَتُوفِّي لَيْلَة الأَحَد، وَتُوفِّي رَضِي اللَّهُ عَنْهُ فَقَامَ الْحُسَيْنُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَمُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّة، وَدَخَلَا(٣) عَلَى ابْنِ مُلْجَم فَقَطَّعَاهُ وَحَرَّقَاهُ وَنَهَاهُمَا(٤) الْحَسَنُ رَضِي اللَّهُ عَنْهُ وَقِيلَ: قَطَّعُوهُ إِرَباً إِرَباً، وَاجْتَمَعَ النَاسُ وَأَحْرَقُوا جُثَّتَهُ لَعَنَه اللَّهُ. شِعْر:

وَمَا كُنْتَ مِنَ أَنْدَادِهِ يَا ابْنَ مُلجمٍ　　وَلَوْلَا قَضَاءُ مَا أَطَقْتَ لَهُ عَيْنَا

سُئِلَ عَلِيٌّ رَضِي اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ [عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى](٥): ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ

---

(١) في الأصل (بسيفك).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) في الأصل (دخلوا).

(٤) في الأصل (نهاهم).

(٥) زيادة يقتضيها السياق.

صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾[1] فَقَالَ: اللّهُم اغْفِرْ لِهَـؤُلَاءِ، نَزَلَتْ فِيَّ وَفِي عَمِّي حَمْـزَة، وَابْن عَمِّي عُبَيْدَة بْن الحَارِثِ، فَأَمَّا عُبَيْدَةُ فَقَضَى نَحْبَهُ شَهِيداً يَوْم بَدْرٍ، وَحَمْزَةُ شَهِيـداً يَوْمَ أُحُدٍ، وَأَمَّا أَنَا فَأَنْتَظِرُ أَشْقَاهَا يَخْضِبُ هَذِهِ مِنْ هَذَا، وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَتِهِ وَرَأْسِهِ، عَهِدَ عَهْداً إِلَيَّ حَبِيبِي أَبُو القَاسِمِ مُحَمَّدٌ ﷺ انْتَهَى .

(١) سورة الأحزاب، الآية ـ ٢٣ .

[١٣]

سِتُّ المُلْكِ* بِنْتُ العَزِيزِ بِاللَّهِ نزارِ بْنِ المُعِزِ لِدِينِ اللَّهِ مَعْدِ بْنِ المَنْصُورِ إسْمَاعِيل بْنِ القَائِمِ العُبَيْدِيّ

كَانَتْ فِي غَايَةِ الحُسْنِ وَالكَمَالِ، وَلَهَا شَجَاعَةُ الرِّجَالِ الأَبْطَالِ لمَّا وُلِّيَ الخِلَافَةَ بِمِصْر أَخُوها(١) الحَاكِمُ بِأَمْرِ اللَّهِ مَنْصُور سَنَة سِتّ وَثَمَانِينَ وَثلاثِمائة، وَأَظْهَرَ الْجَوْرَ، وَأَمَاتَ الْعَدْلَ، وَأَحْدَثَ مِنَ الْبِدَعِ مَا يَنْفِرُ عَنْ سَمَاعِهَا أُولُوا الأَلْبَابِ، فَمِنْهَا أَنَّهُ أَنْشَأَ دارَ الْعِلْمِ وَأَحْضَرَ العُلَمَاء، وَعَمَّرَ الجَامِعَ، وَأَقَامَ عَلَى ذَلِكَ ثَلاثَ سِنِين، ثُمَّ عَادَ إِلَى خِسَّةِ أَصْلِهِ وَسُوءِ فَعْلِهِ، وَقَتَلَ أَهْلَ العِلْمِ، وَأَغْلَقَ المَدَارِسَ، وَمَنَعَ مَنْ فَعَلَ خَيْراً، وَادَّعَى أَنَّه يَعْلَمُ الغَيْبَ، وَأَظْهَرَ الرَّفْضَ، فَكَتَبَ لَهُ رُقْعَةً بَعْضُ الأُدَبَاءِ فِيهَا:

بِالظُّلْمِ وَالجُورِ قَدْ رَضِينَا ... وَلَيْسَ بِالكُفْرِ وَالحَمَاقَةْ
إن كُنْتَ أُعْطِيتَ عِلْمَ غَيْبٍ ... بَيِّنْ لَنَا كَاتِبَ البِطَاقَةْ

وَصَنَّفَ لَهُ بَعْضُ البَاطِنِيَّة كِتَاباً ذُكِرَ فِيه أَنَّ رُوحَ آدم عَلَيْهِ السَّلام انْتَقَلَتْ إِلَى عَلِيٍّ رَضِي اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ [وَأَنَّ رُوحَ عَلِيٍّ](٢) انْتَقَلَتْ إِلَى الحَاكِمِ فَزَادَ ظُلْمُهُ وَطَالَتْ أَيَّامُهُ، وَهَمَّ بِقَتْلِ أُخْتِهِ سِتّ المُلْكِ فَبَلَغَهَا ذَلِكَ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى بَعْضِ القُوَّادِ وَاتَّفَقَتْ مَعَهُمْ وَحَرَّضَتْهُمْ عَلَى قَتْلِ أَخِيهَا، وَذَكَّرَتْهُمْ غَدْرَهُ، وَحَذَّرَتْهُم شَرَّهُ، فَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ وَقَتَلُوه، وَأَخْفُوا أَثَرَهُ، ثُمَّ إِنَّ سِتَّ المُلْكِ أَقَامَتْ بَعْدَهُ وَلَدَهُ الظَّاهِرَ

(*) انظر: النجوم الزاهرة ١٨٥/٤.

(١) في الأصل (أخاها).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

بِاللَّهِ عَلِيّ بَعْدَ شَهْرَيْنِ مِنْ قَتْلِ أَبِيهِ، وَأَقَامَتْ هِي فِي تَدْبِيرِ المَمْلَكَةِ، وَسِيَاسَةِ الرَّعِيَّةِ، وَكَانَتْ هِي قَدْ أَقَامَتْ بَالمُلْكِ اسْتِقْلالاً لِنَفْسِهَا شَهْرَيْنِ، ثُمَّ نَزَلَتْ عَنْهُ وَعَهِدَتْ لابْنِ أَخِيهَا كَمَا ذَكَرْنَا، وَدَبَّرَتْهُ إِلَى أَنْ تُوفِيتْ(١) سَنَةَ خَمْسِ عَشْرَةَ وَأَرْبَعِمِائَة بَعْدَ أَخِيهَا بِأَرْبَعِ سِنِين، وَدُفِنَتْ بِتُرْبَتِهَا الَّتِي أَنْشَأَتْهَا بِمِصْر، وَضَعُفَتْ دَوْلَةُ(٢) العُبَيْدِيين بِمَوْتِهَا، وَكَانَتْ أَحَدُ أَرْكَانِ الرَّفْضِ لاَ عَمَّرَ اللَّهُ قَبْرَهَا، وَلاَ رَحِمَهَا، وَلاَ عَفَا(٣) عَنْهَا.

أَقُولُ: البَاطِنِيَّة فِرْقَةٌ مِنَ الرَّوَافِضِ ذَكَرَ الإِمَامُ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الشِّيرَازِي: الرَّافِضَةُ أَجْنَاسٌ وَهُمْ اثْنَا(٥) عَشر صَنْفاً(٦) فَمِنْهُمْ: الجَبْرِيَّة: وَهُمْ يَنْسِبُونَ القَبَائِحَ إِلَى اللَّهِ تَعَالى وَيُبَرِّئُونَ الْعِبَادَ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالجَهْمِيَّة: فَهُمْ يُنْكِرُونَ صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى وَشَبَّهُوهُ بِلا شَيْء. وَالحَرُورِيَّة يَقُولُونَ: لاَ نَعْلَمُ أَحداً مُؤْمِناً بَعْدَ وَفَاةِ(٧) رَسُولِ اللَّهِ، وَالعُلْوِيَّة يَقُولُون: إِنَّ الرِّسَالَةَ كَانَتْ لِعَلِيّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلِهَذَا يُصَلُّونَ عَلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالآمِرِيّة يَقُولُونَ: إِنَّ عَلِيًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ شَرِيكَ مُحَمَّد ﷺ بِالرِّسَالَةِ، لِقَوْلِهِ ﷺ: «أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى». وَالزَّيْدِيَّة يَقُولُونَ: وَلَدُ الحُسَيْنِ آيَة، وَأَمَّا فِي الصَّلاَةِ فَلاَ يَجُوزُ الاقْتِدَاء خَلْفَ غَيْرِهِمْ. وَالرَّجْعِيَّة يَقُولُونَ: إِنَّ عَلِياً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَأَوْلاَدَهُ يَرْجِعُونَ إِلَى الدُّنْيَا، وَيَنْتَقِمُونَ مِنْ أَعْدَائِهِمْ، وَاللَّعْنِيَّة(٨) يَلْعَنُونَ طَلْحَة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَالزُّبَيْرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا، وَمُعَاوِيَةَ وَغَيْرِهِمْ، وَالأَزْرُقِيّة وَهُمْ أَصْحَابُ نَافِعِ بْنِ الأَزْرَقِ جَوَّزُوا

---

(١) في الأصل (توفت).
(٢) في الأصل (دولت).
(٣) في الأصل (عفى).
(٤) على هامش الورقة (٤٢٤) من الأصل عنوان (الباطنية وفرقهم) بخط يخالف خط النساخ.
(٥) في الأصل (اثنى).
(٦) في الأصل (صنيف).
(٧) في الأصل (وفات).
(٨) في الأصل (الأعنية).

أَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا كَافِراً تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِكَ وَالعَاذِرِيَّة : وَهُمْ فِرْقَةٌ مِنَ الرَّفَضَة يُعَذِّرُونَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي تَرْكِهِ الخِلاَفَةَ لِلصِّدِّيقِ وَالفَارُوق وَعُثْمَان. وَالأَبَاضِيَّة وَهُمْ أَشَدُّ ضَلاَلاً مِنْ سَائِرِ الفِرَقِ، وَقِيلَ: هُمُ البَاطِنِيَّة. وَالعَجَارِدَة وَهُمْ مِثْلُ الأَبَاضِيَّة إِلَّا أَنَّهُمْ لاَ يَسُبُّونَ عَائِشَة رَضِي اللَّهُ عَنْهَا، لِقَرَابَتِهَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَخْرَجَ البَزَّارُ وَأَبُو يَعْلَى وَالحَاكِمُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَعَانِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فقال: «إِنَّ فِيكَ مَثَلاً مِنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلام أَبْغَضَتْهُ اليهودُ حَتى بَغَضُوا اللَّهَ تَعالى، وَأَحَبَّتْهُ النَّصَارَى حَتَّى أَنْزَلُوه بِالمَنْزِلِ الذي لَيْسَ بِهِ». قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَهْلِكُ فِيَّ اثْنَانِ مُحبٌّ مُفْرِطٌ يَقْرِضُنِي بِمَا لَيْسَ فِيَّ، وَمُبْغِضٌ يَحْمِلُهُ شَنَآني[1] عَلَى أَنْ يَبْهُتَنِي، وَفِي المَصَابِيحِ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلاَفٌ وَفُرْقَةٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ، وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، يقرؤون[2] القرآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْدِينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لاَ يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ السَّهْمُ عَلَى فَوْقِهِ، هُمْ شَرّ الخَلْقِ وَالخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَلَيْسُوا مِنَّا فِي شَيْءٍ مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا سِيمَاهُمْ؟ قَالَ: التَّحْلِيقُ[3]. أَيْ: حَلِيقُ شَعْرِ الرَّأْسِ، قِيلَ هُمُ الخَوَارِجِ، بَلْ هُمُ الرَّفَضَة قَاتَلَهُمُ اللَّهُ مَا أَظْلَمَهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارِهُمْ.

---

(١) في الأصل (شاني).

(٢) في المطبوعة (يقرأون).

(٣) في المطبوعة (الحليق)، وما أثبت عن «المصابيح» ٢/٥٣١، وذكر في هامش «المصابيح» أن (التحليق) هو استئصال الشعر، والمبالغة في الحلق، ويحتمل أن يراد به تحلق القوم وإجلاسهم حلقاً حلقاً، ويمرقون: يخرجون.

(٤) في المطبوعة (الحليق) انظر «مصابيح السنة» ٢/٥٣١، كتاب القصاص (١٤)، باب ـ قتل أهل الردة (٥)، الحديث رقم (٢٦٦٨)، والحديث أخرجه أحمد في مسنده ٣/٢٢٤، وأبو داود في سننه، كتاب السنة (٣٤)، باب في قتال الخوارج (٣١)، الحديث رقم (٤٧٦٥).

[١٤]

زِنْبَى* مَلِكَةُ الرُّوم

كَانَتْ مِنْ بَيْتِ المُلْكِ، وَلَهَا حُسْنُ رَأْيٍ وَتَدْبِيرٌ بِسِيَاسَةِ الرَّعِيَّة، مَلَكَتِ الرُّومَ سَنَة ثَمَانِين وَمِائَة، وَقَامَتْ[١] بِالمُلْكِ سَبْع سِنِين، وَكَانَتْ مُطِيعَةً لِلْخَلِيفَةِ هَارُون الرَّشِيد تُرْسِلُ لَهُ الجِزْيَةَ كُلّ عَام مَعَ هَدَايا وَتُحف وَأَنْعَامَ إِلَى أَنْ خَرَجَ عَلَيْهَا نَقْفُورُ؛ الْكَلْبُ الْعَقُور، وَجَمَعَ الجُمُوع وَحَارَبَهَا ثُمَّ قَبَضَ عَلَيْهَا وَقَتَلَهَا، وَقِيلَ: إِنَّهَا شَرِبَتْ سُمّاً لَمَّا أَحَسَّتْ بِالْغَلَبَةِ وَمَاتَتْ وَذَلِكَ لَمَّا بَلَغَهَا أَنَّ الرُّومَ قَدْ اجْتَمَعُوا عَلَى خَلْعِهَا، وَمَلَّكُوا عَلَيْهِمْ نَقْفُور، وَكَانَ يَدَّعِي أَنَّه مِنْ أَوْلَادِ جَفْنَة الغَسَّانِي الَّذِي تَنَصَّرَ فِي خِلَافَةِ الفَارُوقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَلَمَّا اسْتَقَرَّ بِالمُلْكِ نَقْفُور طَغَى وَتَجَبَّرَ، وَكَتَبَ إِلَى الخَلِيفَةِ هَارُون الرَّشِيد: مِنْ نَقْفُور، مِلِكِ الرُّوم، إِلَى هَارُون الرَّشِيد، مَلِكِ العَرَب، أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ المَلِكَةَ زِنْبَى أَقَامَتْكَ مَقَام الرُّخ، وَأَقَامَتْ نَفْسَهَا مَقَامَ البَيْدَقِ، فَحَمَلَتْ[١] لَكَ مِنْ أَمْوَالِهَا، وَذَلِكَ لِضَعْفِهَا وَحُمْقِ النِّسَاءِ، فَإِنْ قَرَأْتَ كِتَابِي فَارْدُدْ مَا حَصَلَ لَكَ مِنْهَا، وَافْتَدِ نَفْسَكَ، وَإِلاَّ فَالسَّيْفُ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ. فَلَمَّا قَرَأَهُ الرَّشِيد غَضِبَ، وَكَتَبَ بِيَدِهِ عَلَى ظَهْرِ الْكِتَاب: مِنْ هَارُون الرَّشِيد أَمِير المُؤْمِنِين، إِلَى نَقْفُور، كَلْبِ الرُّوم، قَرَأْتُ كِتَابَكَ يَا ابْنَ الْكَافِرِ، وَالْجَوَابُ مَا تَرَاهُ دُونَ مَا تَسْمَعُهُ. وَأَرْسَلَهُ مِنْ سَاعَتِهِ، وَتَجَهَّزَ الرَّشِيدُ مِنْ يَوْمِهِ، وَرَكِبَ وَسَارَ حَتَّى نَزَلَ عَلَى مَدِينَةِ هِرَقْلَة، وَحَاصَرَهَا وَقَتَلَ وَسَبَى، وَذَلَّ نَقْفُور وَأَرْسَلَ يَطْلُبُ الصُّلْحَ مِنَ

(*) انظر ترجمتها: تاريخ الطبري ٣/٥٠٣.

(١) في الأصل (أقامت).

الرَّشِيدِ، وَيَحْمِلُ لَهُ الْخَرَاجَ كُلَّ عَامٍ. فَصَالَحَهُ وَعَادَ إِلَى بَغْدَاد، ثُمَّ نَقضَ العَهْدَ نَقْفُور فَلَمْ يَجْسُرْ أَحَدٌ أَنْ يُخْبِرَ الرَّشِيد، فَأَمَرَ الوَزِيرُ يَحْيى البَرْمَكِي أَبَا[1] العَتَاهِيَة الشَّاعِر، فَكَتَبَ لَهُ شِعْراً:

أَلَا بَـادَتْـكَ هِـرَقْـلَةُ بِـالـخَـرَابِ ... مِـنَ الـمَـلِكِ الـمُـوفَّـقِ لِـلصَّـوابِ
غَـدَا هَـارُون يَـرْعَـدُ بِـالمَنَـايَـا ... وَيَـبْـرُقُ بِـالـمُـذَكَّـرَة القِـضَـابِ
وَرَايَـاتٌ يَـحُـلُ الـنَّـصْـرُ فِـيـهَـا ... تَـمُـرُّ كَـأَنَّـهَـا قِـطَـعُ الـسَّـحَـابِ

وَقِيلَ: مَا جَسَرَ أَحَدٌ إِلَّا شَاعِرٌ مِنْ أَهْلِ جُدَّة كَتَبَ لَهُ: شِعْر:

نَـقَضَ الـذي عَـاهَـدْتَـهُ نَقْـفُـور ... فَـعَـلَـيْـهِ دَائِـرةُ الـبَـوَارِ تَـدُورُ
أَبْشِـرْ أَمِيـرَ الـمُـؤْمِـنِـيـنَ فَـإِنَّـهُ ... فَـتْـحٌ أَتَـاكَ مِـنَ الإِلَـهِ كَـبِـيـرُ

فَقَالَ الرَّشِيدُ: أَوَ قَدْ فَعَلْ. فَتَجَهَّزَ مِنْ يَوْمِهِ، وَسَارَ إِلَى حَرْبِهِ، فَذَلَّ نَقْفُور وَأَطَاعَ.

---

(١) في الأصل (أبو).

[١٥]

تَفَانُوا* مَلِكَة(١) الرُّوم وَهِيَ زَوْجَةُ أَرْمَانُوس مَلِك الرُّوم

كَانَتْ مِنْ أَهْلِ الشَّجَاعَةِ وَالبَرَاعَةِ، وَمِنْ شَجَاعَتِهَا وَشِدَّةِ بَرَاعَتِهَا، قَتَلَتْ زَوْجَهَا أَرْمَانُوس(٢)، وَكَانَ لَهَا مِنْهُ وَلَدَانِ(٣) أَحَدُهُمَا بَسِيلُ(٤) وَالآخَرُ قُسْطَنْطِين، ثُمَّ تَزَوَّجَتْ بَعْدَ أَرْمَانُوس بِالمَلِكِ نَقْفُور، وَأَقَامَ بِالْمُلْكِ وَطَغَى وَتَجَبَّرَ، وَغَزَا بِلَادَ المُسْلِمِينَ وَقَتَلَ وَنَهَبَ وَسَلَبَ وَأَعْطَبَ، ثُمَّ أَنَّ نَقْفُور طَمَعَ بِالمُلْكِ، وأَرَادَ يَنْقُلُ(٥) المُلْكُ بَعْدَهُ إِلَى عَقِبِهِ فَهَمَّ بِقَتْلِ وَلَدَيْ تَفَانُوا زَوْجَتَهُ، وَقِيلَ: بَلْ أَرَادَ أَنْ يَخْصِيَهُمْ لِيَقْطَعَ نَسْلَهُمْ، فَبَلَغَ ذَلِكَ زَوْجَتَهُ فَاتَّفَقَتْ مَعَ الدّمستقْ(٦) عَلَى قَتْلِ نَقْفُور، فَأَلْبَسَتِ

---

(١) في الأصل (ملكت).

(٢) ورد في هامش المطبوعة ما نصه: (ذكر المحقق الأب أنستاس ماري الكرملي بهامش الورقة ٤٣٠ من المخطوط وكان بحوزته: «يرى المؤلف في قتل هذه المرأة زوجها شجاعة (براعة، وهو رأي عجيب غريب، وأرمانوس هذا هو رومانوس الثاني»).

(٣) في الأصل (ولدين).

(٤) في الأصل (يسيل) والصواب ما أثبت، قال الكرملي: صوابه (بسيل أو باسيل) وليس يسيل كأنه مضارع سال الأجوف.

(٥) في الأصل (ينتقل) والصواب ما أثبت عن الكرملي.

(٦) في الأصل (الدمشق)، والصواب ما أثبت، قال الكرملي: (الدمشق في الأصل كدمشق حاضرة ديار الشام، والصواب الدمستق أو دمستق، أو يونس نرسيس الأرمني المشهور، أو شمشقيق الذي معناه في الأرمنية الأصفر، ولد سنة ٩٢٥ م، وملك سنة ٩٦٩ م وسُمّ سنة ٩٧٥ م).

الدمستق لِبَاسَ النِّسَاءِ وَأَدْخَلَتْهُ مَعَ النِّسَاءِ إِلَى كَنِيسَةٍ مُتَّصِلَةٍ بِدَارِ نَقْفُور، وَانْتَظَرُوا نَقْفُور حَتَّى نَامَ، فَهَجَمُوا عَلَيْه وَقَتَلُوه، وَأَرَاحَ اللَّهُ المُسْلِمِينَ مِنْ شَرِّه، ثُمَّ تَزَوَّجَتْ تفانُوا بِالمَلِكِ يَانس بْنِ شَمْشَقِيق، وَوَلَّتْهُ المُلْكَ، ثُمَّ إِنَّهَا خَافَتْهُ فَأَرْسَلَتْهُ مَعَ جَيْشٍ عَظِيمٍ إِلَى بِلَادِ الشَّامِ فَغَنِمَ وَسَبى[1]، وَقَتَلَ وَأَسَرَ، ثُمَّ دَسَّتْ عَلَيْه زَوْجَتُه تفانُوا مَنْ سَقَاهُ سُمَّاً فَمَاتَ يَانس وَلَمْ تَطُلْ مُدَّتُهُ، ثُمَّ مَلَكَتْ بَعْدَهَا وَلَدَهَا بَسِيل سَنَة سَبْع وَسِتِّينَ وَثَلَاثِمِائَة، وَأَقَامَ بِالمُلْكِ وَحَاصَرَ حِمْص وَفَتَحَهَا سَنَة إِحْدَى وَثَمَانِينَ وَثَلَاثِمائَة، وَكَذَا شِيزر، ثُمَّ سَارَ إِلَى طَرَابُلُس وَحَاصَرَهَا أَيَّاماً، ثُمَّ [رَحَل][2] عَنْهَا إِلَى [بِلَادِ][3] الرُّومِ. وَقَامَ بِالمُلْكِ[4] خَمْسِين سَنَة، وَمَاتَ سَنَة سِت عَشْرَة[5] وَأَرْبَعِمائَةٍ.

وَنَظِيرَ ذَلِكَ مَا حَكَاه[6] لِي رَجُلٌ مِنْ طَائِفَةِ العَسْكَرِ، قال: كُنَّا يَوْماً فِي نَوَاحِي الشَّامِ مِنْ جِهَةِ القُدْسِ، فَرَأَيْنَا دَيْراً، فَقَصَدْنَاهُ وَدَخَلْنَا إليه وَنَزَلْنَا فِيه[7]، وَكَانَ فِي الدَّيرِ رُهْبَانٌ، وَكُنْتُ مُقَدَّم العَسْكَرِ، فَسَأَلْتُ الرُّهْبَانَ عَنْ كَبِيرِهم، فَأَنْكَرُوهُ، فَجَعَلْتُ أَدُورُ فِي مَقَاصِيرِ الدَّيْرِ، فَسَمِعْتُ صَوْتاً ضَعِيفاً[8] مِنْ دَاخِلِ حُجْرَة هُنَاك، فَقَصَدْتُ الصَّوْتَ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى بَابٍ مُغْلَقٍ، وَذَلِكَ الصَّوْتُ يَخْرُجُ مِنْ هُنَاكَ، فَأَصْغَيْتُ لَهُ سَمْعِي، فَإِذَا صَوْت قِرَاءَةِ القُرْآنِ، فَقَرَعْتُ البَابَ، فَسَكَتَ وَقَالَ مَنْ هَذَا؟ قُلْتُ: أَنَا، مُقَدَّم العَسْكر. فَعِنْدَ ذَلِكَ فَتَحَ البَابَ، وَدَخَلْتُ عَلَيْه، وَقُلْتُ لَهُ: لَقَدْ رَابَنِي أَمْرُكَ أَنْتَ كَبِيرُ النَّصَارَى وَقَدْ سَمِعْتُ عِنْدَكَ صَوْت قِرَاءَةِ القُرْآنِ، فَأَقْسَمَ عَلَيَّ أَنْ لَا أُظْهِرَ أَمْرَهُ بَيْنَ النَّصَارَى، وَقَالَ: الحَمْدُ لِلَّهِ أَنَا مُؤْمِنٌ أُصَلِّي الخَمْس وَأَصُومُ رَمَضَانَ وَأَقْرَأُ[9] القُرْآنَ، وَأَنَا لَيْلِي وَنَهَارِي، مُخْتَفٍ[10] عَنِ الكُفَّار لِئَلَّا

---

(١) في الأصل (سبا).
(٢) زيادة يقتضيها السياق.
(٣) زيادة يقتضيها السياق.
(٤) في الأصل (أقام بالملك) وما أثبت عن الكرملي.
(٥) في الأصل (ستة عشر).
(٦) في الأصل (حكي).
(٧) في المطبوعة (فهي).
(٨) في الأصل (صوت ضعيف).
(٩) في الأصل (اقرء).
(١٠) في الأصل (مختفي).

يَطَّلِعُوا[١] عَلَى أَحْوَالِي، فَبِحَقِّ مُحَمَّدٍ ﷺ وَبِحَقِّ هَذَا القُرْآنِ لَا تَفْضَحْنِي عِنْدَ عَبَدَةِ الصُّلْبَانِ، فَخَرَجْتُ مِنْ عِنْدِهِ وَلَمْ أُعْلِمْ بِحَالِهِ أَحداً [٢] مِنَ النَّصَارَى، غَيْرَ أَنِّي سَأَلْتُ أَهْلَ العِلْمِ مِنَ المُسْلِمِينَ عَنْ حَالِ هَذَا الرَّجُلِ، فَقَالُوا: أَمَا سِمِعْتَ قَوْلَه تَعَالَى: ﴿... مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَاناً ...﴾[٤].

وَعَلَى[٥] ذِكْرِ مَا فَعَلَهُ نَقْفُور مِنْ أَنَّهُ أَرَادَ أَنْ يُخْصِي وَلَدَي[٦] زَوْجَتَهُ حَضَرَنِي: أَنَّ مَلِكاً[٧] مِنَ المُلُوكِ كَتَبَ إِلَى عَامِلِهِ بِالمَدِينَةِ المُنَوَّرَةِ كِتَاباً فِيه: أَحصى المُخَنَّثِينَ وَأَرْسَلَهُ إِلَيهِ، وَكَانَ مِنْ تَقْدِيرِ اللَّهِ أَنَّ ذُبَابَةً وَقَفَتْ عَلَى حَاءٍ، أَحْصِي، وَذَرَقَتْ، وَلَمْ يَشْعُرِ الكَاتِبُ، فَلَمَّا وَصَلَ الكِتَابُ إِلَى العَامِلِ وَقَرَأَهُ وَجَدَ فِيهِ: أَخْصِي المُخَنَّثِينَ. فَجَمَعَهُمْ وَخَصَاهُمْ كُلَّهُمْ فَكَانُوا يَمُرُّونَ[٨] بِالأَزِقَّةِ[٩] وَيَسْأَلُهُمُ[١٠] النَّاسُ عَمَّا أَصَابَهُمْ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ: هَذَا نَوْعٌ مِنَ السِّلَاحِ، وَإِنِّي لَا أَقْدِرُ أَضْرِبُ بِهِ. وَالآخَرُ يَقُولُ: نَحْنُ فِي الصَّيْفِ، وَلَا نَحْتَاجُ إِلَى مِرْزَاب. وَبُلِّغَ ذَلِكَ إِلَى المَلِكِ فَأَرْسَلَ يُعَاتِبُ عَامِلَهُ، فَأَرْسَلَ لَهُ الكِتَابَ، فَقَرَأَهُ وَوَجَدَ فِيهِ أَخْصِي، فَعَاتَبَ الكَاتِبَ فَاعْتَذَرَ إِلَيْهِ، وَمَرَّرَ[١١] إِصْبَعَهُ عَلَى النُّقْطَةِ فَانْقَلَعَتْ، فَعَلِمَ[١٢] أَنَّهَا ذَرْقُ الذُّبَابِ.

---

(١) في المطبوعة (يطلعو).

(٢) في الأصل (أحد).

(٣) في المطبوعة (رهبان).

(٤) سورة المائدة، الآية ـ ٨٢.

(٥) ورد في الأصل بعد كلمة (على) (ما)، وقد حذفت حتى يستقيم المعنى.

(٦) في الأصل (أولاد).

(٧) في الأصل (ملك).

(٨) في المطبوعة (يمرُّن).

(٩) في الأصل (الأزقة).

(١٠) في الأصل (يسألوهم).

(١١) في الأصل (مر).

(١٢) في الأصل (فعلموا).

[١٦]

عَزَّةُ بِنْتُ حُمَيْلٍ[(١)]*

كَانَتْ مِنْ أَحْسَنِ نِسَاءِ زَمَانِهَا، تَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّهَا، وَحَظِيَتْ[(٢)] عِنْدَهُ، فَاتَّفَقَ يَوْماً أَنَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ المَعْرُوف بِكُثَيِّر[(٣)] رَأَى عَزَّةَ فَشَغَفَ بِهَا وَهَامَ وَأَسْقَمَهُ الغَرَامُ، وَلَمْ يُمْكِنْهُ الوُصُولَ إِلَى الحَرَام، وَكَانَ كُثَيِّر شِيعِياً[(٤)] وَجَعَلَ يُنَظِّمُ الأَشْعَارَ وَيَتَغَزَّلُ بِعَزَّة، وَدَامَ عَلَى هَذَا أَعْوَاماً[(٥)] فَاتَّفَقَ يَوْماً أَنَّه رَأَى عَزَّةَ وَهِي خَارِجَة مِنَ الحَي، فَجَعَلَ يَتَلَطَّفُ بِهَا، وَيَشْكُوهَا الغَرَام، فَوَقَفَتْ رَحْمَةً لَهُ، وَجَعَلَ يُخَاطِبُهَا فَرَأَتْهُ يَنْظُرُ إِلَى ظَهْرِ كَفِّهَا، فَقَالَتْ لَهُ: مَهْ يَا كُثَيِّر لَا تُفْسِدْ بَيْنَنَا المَحَبَّةَ، وَفَارَقَتْهُ.

(*) هي عزة بنت جميل بن حفص ـ ويقال: بنت حميد بن وقاص ـ ابن إياس بن عبد العزى بن حاجب بن غفار ـ ويقال: عزة بنت عبد الله إحدى بني حاجب بن عبد الله بن غفار أم عمرو االضمرية.

انظر ترجمتها: تاريخ مدينة دمشق ـ تراجم النساء ٢٤٠، والشعر والشعراء ٥٠٨/١ و ٥١٠ و ٥١٦، وأعلام النساء ٢٦٩/٣ ـ ٢٧٤.

(١) في المطبوعة (جميل) والصواب ما أثبت عن تاريخ مدينة دمشق، والشعر والشعراء.

(٢) في الأصل (حضيت).

(٣) هو أبو صخر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود المليحي الخزاعي من فحول شعراء الإسلام، جعله ابن سلام في الطبقة الأولى منهم، وقرن به جريراً والفرزدق والأخطل والراعي، اشتهر بنسبته إلى عزة التي كان يشبب بها، توفي عام ١٠٥.

(٤) في الأصل (شاعر).

(٥) في الأصل (أعوام).

قِيلَ أَنَّ عَزَّة دَخَلَتْ يَوْماًعَلَى أُمِّ البَنِينَ أُخْتِ عَمَرَ بْن عَبْدِ العَزِيزِ، فَقَالَتْ[١] لَهَا أُمُّ البَنِين: مَا مَعْنَى قَوْلُ كُثَيِّر: مُفْرَد:

قَضَى كُـلُّ ذِي دَيْنٍ فَـوَفَّى غَـرِيمَـهُ   وَعَــزَّةُ مَمْـطُولٌ مُعَنَّى غَــرِيمُهـا[٢]؟

فَقَالَتْ لَهَا: وَعَدتُه فِي قُبْلَةٍ ثُمَّ رَجَعْتُ عَنْهَا. فَقَالَتْ لَهَا أُمُّ البَنِين [إِنْجِزِيهَا وَعَلَيَّ اثْمُهَـا، فَاسْتَـأْثَمَتْ وَأَعْتَقَتْ أُمُّ البَنِينَ][٣] أَرْبَعِين عَبْـداً[٤] عِنْـدَ الكَعْبَـةِ، وَقَالَتْ: اللَّهُمّ إِنِّي أَتَبَرَّأُ إِلَيْكَ مِمَّا قُلْتُ لِعَزَّة، وَلَكُثَيِّر فِيهَا مِنَ الشِّعْر كَثير:

وَمَـا رَوْضَةٌ بِـالحُـزْنِ طَـاهِـرَةُ النَّـدَى   يَمُـجُّ النَّـدَى[٥] جُثْجَـاثُهـا وَعُـرَارَهَـا
بِـأَطْـيَبَ مِـنْ أَرْدَانِ عَـزَّة مُــوهِنــا   وَقَدْ أُوقِدَتْ بِالمندلِ الرَّطبِ نَارَها[٦]

وَفِي سَنَة مِائَة وَخَمْس[٧]، سَارَ زَوْجُ عَزَّة إِلَى الحَاج، وَمَعَهُ عَزَّة، فَبَلَغَ ذَلِكَ كُثَيِّر فَتَبِعَهُمْ كُثَيِّر طَمَعاً بِأَنْ يَحْظَى[٨] بِنَظْرَةٍ مِنْ عَزَّة فَلَمَّا كَانَ وَقْتَ الطَّوَافِ نَظَرَ كُثَيِّر إِلَى عَزَّة قَدْ مَضَتْ إِلَى جَمَلِهِ، وَمَسَحَتْ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَبَادَرَ كُثَيِّر إِلَيْهَا فَفَاتَتْهُ خَوْفاً مِنْ زَوْجِهَا، فَوَقَفَ كُثَيِّرٌ عَلَى الجَمَلِ وَقَالَ:

حَيَّتْـكَ عَـزَّةُ بَعْـد الحَـاجِّ وَانْصَـرَفَتْ   فَحَيِّ، وَيْحَـكَ مَنْ حَيَّـاكَ يَـا جَمَـلُ
لَـوْ كُنْتَ حَيَّيتَهَـا مَــا زِلْـتَ ذَا مِقَـةٍ   عِنْدِي، وَلاَ مَسَّكَ الإِدْلاَجُ وَالعَمَلُ[٩]

---

(١) في الأصل (فقال).

(٢) سبق تخريج البيت في ترجمة أم البنين.

(٣) سقط من الأصل، وقد أثبت عن ترجمة أم البنين.

(٤) في الأصل (عبد)، وقد ذكر ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق أنها أعتقت سبعين رقبة.

(٥) في الأصل (الندا).

(٦) ورد البيتان بالديوان.

(٧) في الأصل (خمسة).

(٨) في الأصل (أن يحضى).

(٩) ورد البيتان بالديوان.

فَسمِعَهُ الفَرَزْدَقُ[1] فَقَالَ لَهُ: مَنْ أَنتَ؟ قَالَ: كُثَيِّر عَزَّة، فَأَنْتَ مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: الفَرَزْدَق. قَالَ: أَنْتَ القَائِلُ: شِعْر:

جَدَّتْ جِمَالُهُمْ بِكُلِّ خَرِيدَة تَرَكَتْ فُؤَادِي هَائِماً مخْبُولاَ
لَوْ كُنْتُ أَمْلِكهُمْ إِذَا لَمْ يَرْحَلُوا حَتَّى أُودِعَ قَلْبِيَ المتْبُولاَ
سَارُوا بِقَلْبِي فِي الحدورِ وَغَادَرُوا جِسْمِي يُعَالِجُ زَفْرَةً وَعَوِيلاَ

فَقَالَ الفَرَزْدَقُ: نَعَمْ: فَقَالَ كُثَيِّر: وَاللَّه لَوْلاَ أَنِّي فِي الحَرَمِ لأَصِيحَنَّ صَيْحَة أَفْزِعُ مِنْهَا هِشَام عَلَى سَرِيرِ مُلْكِهِ بِالشَّام! فَقَال الفَرَزْدَقُ: وَاللَّهِ لأُعَرِّفَنَّ هِشَام بِذَلِكَ! ثُمَّ افْتَرَقَا وَلَمْ يَلْتَقِ[2] كُثَيِّر بِعَزَّة سوى تِلْكَ المَرَّة، وَدَخلَ الفَرَزْدَقُ عَلَى هِشَام وَحَكَى لَهُ حَدِيث كُثَيِّر، فَقَالَ لَهُ: أُكْتُبْ لَهُ بِالحُضُورِ إِلَى عِنْدِنَا حتَّى نُطَلِّقَ عَزَّة مِنْ زَوْجِهَا وَنُزَوِّجَها لَهُ. فَكَتَبَ الفَرَزْدَقُ لَهُ، وَقَدِمَ كَثَيِّر يُرِيدُ الشَّامَ فَمَرَّ عَلَى بَنِي فَهْد فَنَظَرَ شَيْخاً جَالِساً، وَكَانَ كُثَير قَدْ رَأَى قَبْلَهُ غُرَاباً[3] عَلَى بَانَةٍ[4] يَتَفلَّى وَرِيشُه[5] يَتَسَاقَطُ، وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُ كُثَيِّر، فَقَالَ لَهُ الشَّيْخُ: مَا أَصَابَكَ؟ هَلْ رَأَيْتَ شَيْئاً رَابَكَ؟ قَالَ كُثَيِّر: رَأَيْتُ غُرَاباً عَلَى بَانَةٍ وَرِيشه يَتَسَاقَطُ فَقَال الشَّيْخُ: الغُرَابُ غُرْبَةٌ: وَالبَانَةُ بَيْنٌ، وَالتَّفَلِّي فُرْقَةٌ، فَازْدَادَ كُثَيِّر حُزْناً، وَسَارَ وَدَخلَ دِمشْق فَوَجَدَ النَّاس يُصَلُّونَ عَلَى جَنَازَةٍ، فَنَزَلَ عَنْ نَاقَتِهِ، وَصَلَّى مَعَهُمْ، فَلَمَّا تَمَّتْ الصَّلاَة صَاحَ رَجُلٌ: لاَ إِلَه إِلاَّ اللَّه مَا أَغْفَلَكَ[6] يَا كُثَيِّر عَنْ هَذَا اليَوْم؟ فَقَالَ كُثَيِّر: وَمَا هَذَا اليَوْم؟ فَقَالَ لَهُ: هَذِهِ جَنَازَةُ عَزَّة! فَخَرَّ مَغْشِياً عَلَيْه، ثُمَّ أَفَاقَ وَشَهِقَ شَهْقَةً فَمَاتَ. وَدُفِنَ

---

(١) هو: همام بن غالب بن صعصعة بن ناجية.. بن تميم، توفي سنة ١١٠ هـ، والفرزدق لقب غلب عليه ومعناه القطعة من العجين قبل أن تبسط فيخبز منها الرغيف. شُبه وجهه بذلك لأنه كان غليظاً جهماً. روي عنه حضور البديهة وسرعة الخاطر.

(٢) في المطبوعة (يلتف)، وفي الهامش ما نصه: (في الأصل ويلتفى) والصواب ما أثبت.

(٣) في الأصل (عزاب).

(٤) في الأصل (بانه).

(٥) في الأصل (اوريشة).

(٦) في الأصل (أعقلك).

مَعَ عَزَّة فِي يَوْم وَاحِد، وَذَلِكَ سَنَة مِائَة وَخَمْس[1]. وَنَظِيرُ هَذَا مِمَّنْ مَاتَ فِي عِشْقِهِ كَمداً مَا حُكِيَ أَنَّ الجَاحِظَ ذُكِرَ لِلْوَاثِقِ فَأَحْضَرَهُ لِيُؤَدِّبَ أَوْلَادَهُ، فَلَمَّا رآه الوَاثِق اسْتَبْشَعَ مَنْظَرَهُ، وَأَمَرَ لَهُ بِعَشْرَة آلافِ دِرْهَم وَصَرَفَه، قَالَ الجَاحِظُ: فَقَبَضْتُهَا وَخَرجْتُ فَلَقَيْتُ مُحَمَّدَ بْنَ إِبْرَاهِيم، وَهُوَ يُرِيدُ الانْحِدَارَ إِلَى مَدِينَةِ السَّلَامِ[2]، فَطَلَبنِي فَانْحَدَرتُ مَعَهُ وَنُصِبَتْ بَيْنَنَا سِتَارَةٌ وَبَيْنَ جَوارِيهِ وَأَمَرَ بِالغِنَاءِ، فَأُحْضِرَتْ المَلَاهِي، وَانْدَفعَتْ العَوَّادَةُ تَغَنِّي. شِعْر:

كُلُّ يَوْمٍ قَطِيعَة[3] وَعِتَابُ ... يَنْقَضِي دَهْرُنَا وَنَحْنُ غِضَابُ
لَيْتَ شِعْرِي إِنَّا خُصِصْنَا بِهَذَا ... دُونَ ذَا الخَلْقِ أَمْ كَذَا الأَحْبَابُ

ثُمَّ سَكَتَتْ فَأَمَرَ الطُّنْبُورِيَّةَ، فَغَنَّتْ: شِعْر:

وَارْحَمَهُ لِلْعَاشِقِينَا ... مَا إِنْ أَرَى هم مَعِينَا
كَمْ يَهْجُرُونَ وَيُعْرِضُونَ ... وَيَقْطَعُونَ فَيَصْبِرُونَا

فَقَالَتْ العَوَّادَةُ: فَمَا يَصْنَعُونَ؟ قَالَتْ: يَصْنَعُونَ هَكَذَا، فَرُفِعَتْ السِّتَارَةُ، وَبَدَتْ كَأَنَّهَا قَمَرٌ، ثُمَّ رَمَتْ بِنَفْسِهَا فِي المَاءِ، وَكَانَ عَلَى رَأْسِ مُحَمَّد غُلَام حَسَن، وَفِي يَدِهِ مُدْيَةٌ فَأَلْقَاهَا مِنْ يَدِه وَأَتَى إِلَى المَوْضِعِ الَّذِي أَلْقَتْ نَفْسَهَا الجَارِيَةُ [فِيه][4] وَأَنْشَدَ:

أَنْتِ الَّتِي غَرَّقْتِنِي ... بَعْدَ القَضَا لَوْ تَعْلَمِينَا[5]

وَرَمَى نَفْسَه فِي أَثَرِهَا، فَأَدَارَ المَلَّاح الحراقَةَ فَإِذَا بِهِمَا مُتَعَانِقَيْنِ ثُمَّ غَاصَا. فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، يَا عَمْرُو [وَاللَّهِ][6] إِنْ لَمْ تُحَدِّثَنِّ بِحَدِيثٍ يُسَلِّينِي، وَإِلَّا لَحِقْتُ بِهِمَا. قَالَ الجَاحِظُ: فَحَضَرَنِي خَبَرُ سُلَيْمَان بْن عَبْدِ المَلِكِ، وَقَدْ جَلَسَ لِلْمَظَالِمِ، وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ القَصَصُ فَوَجَدَ قِصَّةً مَكْتُوبٌ فِيهَا: إِنْ رَأَى أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ أَعَزَّهُ اللَّهُ أَنْ

---

(١) في الأصل (خمسة).
(٢) في الأصل (الإسلام).
(٣) في المطبوعة (قطعية).
(٤) زيادة يقتضيها السياق.
(٥) في المطبوعة (تعليمنا) والصواب ما أثبت.
(٦) زيادة يقتضيها السياق.

يُخْرِجَ لِي جَارِيَتَهُ فُلَانَةُ حَتّى تُغَنّى ثَلاث أَصْوَات فَعَلَ إِنْ شَاءَ اللّه. فَغَضِبَ سُلَيْمَانُ وَأَمَرَ بِقَتْلِهِ، ثُمَّ عَفَا عَنْه وَأَحْضَرَهُ، وَقَالَ لَهُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هَذَا؟ فَأَجْلَسَهُ وَخَرَجَ بَنُو أُمَيَّة، وَأَمَرَ بِالجَارِيَةِ فَأُحْضِرَتْ وَمَعْهَا عُودٌ فَقَال لَهَا سُلَيْمَانُ: غَنِّي مَا يَقُولُ لَكِ. فَقَالَ لَهَا: غَنّي:

تَـأَلَّقَ البـرقُ نَجْـدِيـاً فَقُـلْتُ لَـهُ … يَـا أَيُّهَـا البَـرْقُ إِنّي عَنـكَ مَشْغُـولُ

فَغَنّتْهُ فَقَالَ لِسُلَيْمَان: أَتَأْمُرُ[1] لِي بِرَطْلِ خَمْرٍ فَأُتى بِهِ وَشَرِبَ. وَقَالَ لَهَا: غَنّي.

حَبَّـذَا رجعـهَـا إِلَيْـنَـا يَـدَاهَـا … فِـي يَـدَي ذرعـهـا تَـحِـلّ الإِزَارَ

فَغَنّتْهُ، فَقَالَ لِسُلَيْمَان: مُرْ لِي بِرَطْلٍ ثَانٍ[2]، فَأَتُوهُ وَشَرِبَ، وَقَالَ: غَنّي:

أَفَـاطِمَ مَهْـلاً بَعْضَ هَـذَا التَّـدَلُّـلِ … وَإِنْ كُنْتِ قَدْ أَزْمَعْتِ[3] صَرْمِي فَأَجْمِلِي[4]

فَغَنّتْهُ، فَقَالَ: مُرْ لِي بِرَطْلٍ ثَالِث. وَصَعَدَ عَلَى قُبَّةِ سُلَيْمَان، وَأَلْقَى بِنَفْسِهِ عَلَى رَأْسِهِ، وَمَاتَ مِنْ سَاعَتِهِ، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: إِنَّا لِلّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُون ظَنَّ هَذَا الأَحْمَقُ [أَنّي][5] أُخْرِجُ لَهُ جَارِيَتِي وَأُعِيدُهَا إِلَى مُلْكِي، خُذُوا بِيَدِهَا إِلَى بَيْتِ هَذَا الرَّجُل يَبِيعُونَهَا وَيُنْفِقُونَ ثَمَنَهَا عَلَى أَوْلَادِهِ، فَأَخَذُوهَا وَسَارُوا، وَكَانَ فِي دَارِ سُلَيْمَان حُفْرَةٌ[6] لِلْمَطَرِ، فَجَذَبَتْ نَفْسَهَا وَأَنْشَدَتْ.

مَن مَـاتَ عِشْقـاً فَلْيَمُتْ هَكَـذَا … لَا خَـيْـرَ فِي عِـشْقٍ بِـلاَ مَـوْتِ

وَأَلْقَتْ نَفْسَها فِي الحُفْرَةِ وَمَاتَتْ[7] فَدَفَنُوهَا إِلَى جَنْبِ الرَّجُلِ.

---

(١) في الأصل (تأمر).
(٢) في الأصل (ثانياً).
(٣) في الأصل (أزمعتي).
(٤) في الأصل (فأجمل).
(٥) زيادة يقتضيها السياق.
(٦) في الأصل (مضرة).
(٧) في الأصل (ومات).

[١٧]

مُزْنَةُ بِنْتُ عَبْدِ اللهِ الكِنَانِي

كَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ أَهْلِ زَمَانِهَا وَجْهاً وَمَنْظَراً تَزَوَّجَهَا رَجُلٌ مِنْ بَنِي عَمِّهَا، وَذَلِكَ قَبْلَ الإِسْلَامِ وَكَانَ لِزَوْجِهَا أَخٌ أَصْغَرُ(١) مِنْهُ، فَأَقَامَتْ عِنْدَهُمْ زَمَاناً وَلَمْ يَنْظُرْهَا الأَخُ الصَّغِير، وَلاَ هِيَ أَظْهَرَتْ لَهُ نَفْسَهَا(٢) لِفَرْطِ حُسْنِهَا، فَاتَّفَقَ [فِي](٣) يَوْم مِنَ الأَيَّام أَنَّ زَوْجَهَا سَافَرَ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ الحَرَامِ، فَخَرَجَتْ يَوْماً، مُزْنَةُ، لِبَعْضِ حَاجَاتِهَا، وَهِيَ حَاسِرَةٌ تَخْجَلُ الشَّمْسُ فِي الصَّاحِية، فَنَظَرَهَا أَخُو زَوْجِهَا فَأَحَبَّهَا(٤)، فَلَمَّا رَأَتْهُ يُطِيلُ(٥) النَظَرَ إِلَيْهَا غَطَّتْ وَجْهَهَا بِمِعْصَمِهَا، فَزَادَ ذَلِكَ بَلاَبِلَهُ، وَتَغَيَّرَتْ(٦) أَحْوَالُه، وَحَمَلَ الشَّوْقُ عَلَى بَدَنِهِ حَتَّى لَمْ يَبْقَ(٧) إِلَّا رَأْسُه، وَعَيْنَاه تَدُورَان(٨) فِي وَجْهِهِ، فَقَدِمَ أَخُوه الكَبِير فَوَجَدَه عَلِيلاً(٩)، فَأَرْسَلَ إِلَى الحَارِثِ بْنِ كُلْدَة طَبِيبِ العَرَبِ، فَقَدِمَ إِلَيْهِ وَلَمَسَ عُرُوق ذَلِكَ المَرِيض، فَإِذَا سَاكِنُهَا وَمُتَحَرِّكُهَا مُتَحَرِّكَانِ(١٠). فَقَالَ الحَارِثُ: مَا بِهِ إِلاَّ العِشْق. فَقَالَ لَهُ: سُبْحَان الله، هَذَا مَيِّتٌ، وَأَنْتَ تَقُولُ: عَاشِق! فَاسْتَدْعَى الحَارِثُ بِشَرَابٍ وَسَقَاهُ، فَلَمَّا انْتَشَى أَنْشَدَ يَقُولُ:

أَلاَ رِفْقاً أَلاَ رِفْقاً قَلِيلاً مَا أَكُونَهْ

(١) في الأصل (صغير).
(٢) في المطبوعة (نفسي).
(٣) زيادة يقتضيها السياق.
(٤) في الأصل (فحبها).
(٥) في الأصل (يطول).
(٦) في الأصل (تغير).
(٧) في الأصل (يبقى).
(٨) في الأصل (تدور).
(٩) في الأصل (عليل).
(١٠) في الأصل (متحرك).

أَلَـمَّـا بِي عَـلَى الأَبْيَـاتِ مِـنْ خَـيْـفِ إِذْ رَهَـنَـهْ
غَـزَالٌ مَـا رَأَيْـتُ الـيَـوْمَ فِـي دُورِ بَـنِـي كُـنَّـهْ
أَسِـيـلُ الـخَـدِّ مَـرْبُـوبٌ وَفِـي مَـنْـطِـقِـهِ غُـنَّـه

فَقالَ: هَذِهِ دُورُ قَوْمِنَا، فَلَيْتَ شِعْرِي مَنْ هِي؟ فَقالَ الحَارِثُ: مِنَ الغَدِ أَغْدُوا إِلَيْكُمْ: وَأَفْعَلُ هَكَذَا فَرُبَّمَا، أَظْهَرَ مَحْبُوبَه بِشِعْرِهِ، وَأَمَّا هُو فَلاَ حَيَاةَ[1] لَهُ، فَأَتَى الحَارِثُ وَفَعَلَ، مِثْلَ الأَوَّل فَأَنْشَدَ:

أَيُّـهَـا الـجِـيـرَةُ أَسْـلِمُـوا وَقِـفُـوا كَـي تُـكَـلَّمُـوا
وَتَـقْـضُـوا لُـبَـانَـة وَتَـحْـيُـوا لِـتَـغْـنَـمُـوا
خَـرَجَـتْ مُـزْنَـةٌ مِـنَ الـسُّـجْـفِ رَيَّـا تُـجَـمْـجِـمُ
هِـي مَـا كُـنْـتِـي وَتَـزْ عُـمُ أَنِّـي لَـهَـا حَـمُ

فَقَالَ: اشْهَدُوا أَنَّهَا طَلِقَةٌ لِيَرْجِعَ إِلَى أَخِي فُؤَادَه، فَإِنَّ المَرْأَةَ تُوجَد، وَالأَخُ لاَ يُوجَد، فَقَالَ المَرِيضُ: أَشْهِدُوا عَلَيَّ، هِي عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي إِنْ تَزَوَّجْتُهَا، وَمَاتَ كَمَداً بِهَا.

قَالَ فِي «الهِدَايَة»: الظِّهَارُ كَانَ طَلاقاً فِي الجَاهِلِيَّةِ. فَقَـرَّرَ الشَّرْعِ أَصْلَه، وَنُقِلَ حُكْمُه إِلَى تَحْرِيمٍ مُؤَقَّت بِالكَفَّارَةِ غَيْرُ مُزِيلٍ لِلنِّكَاحِ، وَهَذَا لأَنَّهُ جِنَايَةٌ، لِكَوْنِهِ مُنْكَـراً مِنَ القَوْلِ وَزُوراً، فَيُنَـاسِبُ المَجَازَات عَلَيْهَـا بِالحُـرْمَةِ وَارْتِفَـاعُهَا بِالكَفَّارَةِ، وَالظِّهَارُ هُو إِذَا قَالَ الرَّجُلُ لاِمْرَأَتِهِ، أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي. فَقَدْ حُرِّمَتْ عَلَيْه، لاَ يَحِلُ لَهُ وَطْؤُهَا[2]، وَلاَ مَسُّهَا، وَلاَ تَقْبِيلُهَا حَتَّى يُكَفِّر لِقَوْلِهِ تَعَالَى ﴿وَالَّذِينَ يُظَاهِرونَ مِنْ نِسَـائِهِمْ...﴾[3] إِلَى أَنْ قَالَ: ﴿... فَتَحْـرِيرُ رَقَبَـةٍ مِنْ قَبْل أَنْ يَتَمَاسَّا...﴾[4] فَإِنْ وَطِئَهَا قَبْلَ أَنْ [يكفرَ بِتَحْرِيرِ رَقَبَةٍ][5] يُكَفِّرُ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ، وَلاَ

---

(١) في الأصل (حيات).
(٢) في المطبوعة (وطئها).
(٣) سورة المجادلة، الآية ـ ٣.
(٤) سورة المجادلة، الآية ـ ٣.
(٥) زيادة يقتضيها السياق.

شَيءَ عَلَيْه غَيْر الكَفَّارَة، وَإِنَّ قَالَ: رَأسُكِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي، أَوْ فَرْجُكِ، أَوْ وَجْهُكِ، أَوْ رَقَبَتُكِ، أَوْ نِصْفُكِ، أَوْ ثُلُثُكِ، كُلُّهُ ظِهَارٌ، لِأَنَّهُ يُعَبَّرُ بِهَا عَنْ جَمِيعِ البَدَنِ، وَإِنْ قَالَ: أَنْتِ عَلَيَّ مِثْلُ أُمِّي أَوْ كَأُمِّي، يَرْجِعُ إِلَى نِيَّتِهِ، فَإِنْ قَالَ: أَرَدْتُ الكَرَامَةَ فَهُو كَمَا قَالَ، وإِنْ أَرَادَ الظِّهَار كَانَ ظِهَاراً، وَإِنْ قَالَ: أَرَدْتُ الطَّلَاق فَهُو طَلَاقٌ بَائِنٌ لِأَنَّهُ تَشْبِيه بِالأُمِّ فِي الحُرْمَةِ. فَكَأَنَّه قَالَ، أَنْتِ عَلَيَّ حَرَامٌ، وَنَوَى بِهِ الطَّلَاق؛ وَكَفَّارَةُ الظِّهَارِ عِتْقُ رَقَبَة فَإِنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِيناً[1] وَكُلُّ ذَلِكَ قَبْلَ المَسِيس، وَيُجْزِي[2] فِي عِتْقِ الرَّقَبَةِ الكَافِرَة والمُسْلِمَة وَالذَّكر وَالأُنْثَى، وَالصَّغِير وَالكَبِير، وَلَا يُجْزِي العَمْيَاء، وَلَا مَقْطُوعَة اليَدَيْنِ أو الرِّجْلَيْنِ، وَيَجُوزُ الأَصمّ وَالعَوْرَاء، وَمَقْطُوعَة إِحْدَى اليَدَيْنِ أو الرِّجْلَيْنِ، وَفِي «التَّار خَانِيَة»: لَوْ قَالَ: إِنْ تَزَوَّجْتُكِ فَأَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أمي مِائَة مَرَّة فَعَلَيْه لِكُلِّ مرَّة كَفَّارَةٌ وَفِي «الجَوْهَرَةِ»: وَظِهَارُهَا مِنه لَغْوٌ، أَيْ: ظِهَارُ المَرْأَةِ بِقَوْلِهَا لِزَوْجِهَا: أَنْتَ عَلَيَّ حَرَامٌ كَأَبِي أَوْ أَخِي، فَلَا حُرْمَةَ فِيهِ، وَلَا كَفَّارَة وَبِهِ يُفْتَى. وَقَالَ صَدْرُ الشَّرِيعَة: الظِّهَارُ هُو تَشْبِيهُ زَوْجَتِهِ أَوْ مَا عَبَّر بِهِ عَنْهَا، أَوْ جُزْء شَائِع مِنْهَا بِعُضْوٍ، يَحْرُمُ نَظَرُهُ إِلَيْهِ مِنْ أَعْضَاءِ مُحَرَّمَة نَسَباً أَوْ رِضَاعاً، وَفِيهِ إِذَا قَالَ: أَنْتِ عَلَيَّ حَرَامٌ كَأُمِّي، صَحَّ مَا نَوَى مِنَ طَلَاقٍ أَوْ ظِهَارٍ، وَقَوْلُه: أَنْتِ عَلَيَّ حَرَامٌ كَظَهْرِ أُمِّي. هَذَا ظِهَارٌ لَا غَيْر. وَفِي «اليَنَابِيع»: لَوْ قَالَ ظَهْرُكِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي أَوْ بَطْنُكِ أوْ فَخْذُكِ لَا يَكُونُ مُظَاهِراً، وَفِيه عَنِ الحَسَنِ: المَرْأَةُ إِذَا قَالَتْ لِزَوْجِهَا أَنْتَ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِّي فَعَلَيْهَا كَفَّارَةُ يَمِين. وَقَالَ أَبُو يُوسُف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَجِبُ عَلَيْهَا كَفَّارَةُ ظِهَار، وَهَذَا عَلَى خِلَافِ مَا ذَكَرَهُ فِي «الجَوْهَرَةِ».

---

(١) في المطبوعة (مسكين).

(٢) في الأصل (يجري).

[١٨]

عَنانُ جارِيَة النَّاطِفِي*

كَانَتْ جَمِيلَةَ الصُّورَة، حَسَنَةَ السِّيرَة، مَا رَآهَا أَحَدٌ إِلَّا وَأَحَبَّهَا(١) وَكَانَتْ تُحْسِنُ الغِنَاءَ، وَالأَلْحَانَ بِحُسْنِ صَوْت يُذْهِلُ الأَلْبَابَ، وَكَانَ أَبُو نُوَاس قَدْ شَغَفَ(٢) بِهَا، وَلَهُ فِيهَا أَشْعَارٌ تُحَيِّرُ الأَفْكَارَ، فَاتَّفَقَ يَوْماً مِنَ الأَيَّام [أَنْ](٣) أَصَابَ عَنَانُ مَرَضٌ مَنَعَهَا عَنِ القِيَام، وَلَمْ يَعْلَمْ بِذَلِكَ أَبُو نُوَاس، فَتَمَرَّضَ لِمَرضِهَا وَامْتَنَعَ مِنَ الخُرُوجِ، فَدَخَلَ عَلَيْه بَعْضُ أَصْحَابِهِ يَعُودُونَهُ(٤) فَوَجَدُوا فِيهِ خِفَّةً فَجَلَسَ مَعَهُمْ وَسَأَلَهُمْ، مِنْ أَيْنَ أَقْبَلْتُمْ: فَقَالُوا: مِنْ عِنْد عَنَان عُدْنَاهَا. فَقَالَ أَبُو نُوَاس: أَوَ كَانَتْ عَلِيلَةً. قَالُوا(٥): نَعَمْ، وَقَدْ عُوفِيتْ، فَقَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ أَنْكَرْتُ عِلَّتِي هَذِهِ، وَلَمْ أَعْرِفْ لَهَا سَبَباً غَيْر أَنِّي تَوَهَّمْتُ وَظَنَنْتُ أَنَّ ذَلِكَ لِعِلَّةٍ نَالَتْ بَعْض مَنْ أُحِبُّ، وَلَقَدْ وَجَدْتُ فِي يَوْمِي هَذَا رَاحَةً فَفَرِحْتُ، وَقُلْتُ: عَسَى أَنْ يَكُونَ عَافَاه اللَّه قَبْلِي، ثُمَّ دَعَا(٦) بِدَوَاة، وَكَتَبَ إِلَى عَنَان.

إِنِّي حُمِمْتُ، وَلَمْ أَشْعُرْ بِحُمَّاكِ ... حَتَّى تَحَدَّثَ عُوَّادِي بِشَكْوَاكِ
فَقُلْتُ مَا كَانَتْ الحُمَّى(٧) لِتَطْرُقَنِي ... مِنْ غَيْرِ مَا سَبَبٍ إِلَّا بِحُمَّاكِ
وَخَصلة(٨) كُنْتُ فِيهَا غَيْرُ مُتَّهَمٍ ... عَافَانِي اللَّهُ مِنْهَا حِينَ عَافَاكِ

(*) انظر: المستظرف من أخبار الجواري ص ٣٨ ـ ٤٧

(١) في الأصل (حبلها).
(٢) في المطبوعة (شغف) والصواب ما أثبت.
(٣) زيادة يقتضيها السياق.
(٤) في الأصل (يعودوه).
(٥) في الأصل (قلنا).
(٦) في الأصل (دعي).
(٧) في الأصل (الحمًا).
(٨) في الأصل (خصلت).

حَتَّى إِذَا اتَّفَقَتْ نَفْسِي وَنَفْسُكِ فِي هَـذَا وَذَاكَ وَفِـي هَـذَا وَفِـي ذَاكِ

وَأَرْسَلَهَا إِلَى عَنَانٍ فَشَكَرَتْهُ عَلَى صِدْقِ مَحَبَّتِهِ لَهَا. وَنَظِيرُ ذَلِكَ مَا حُكِيَ: أَنَّ مَجْنُون لَيْلَى[1] كَانَ جَالِساً عِنْدَ جَمَاعَة مِنْ قَوْمِهِ، فَلَمْ يَشْعُرْ إِلاَّ وَالدَّم يَجْرِي عَلَى مَحَلِّ الفَصْدِ، وَذَلِكَ بِغَيْرِ مُبْضع فَتَعَجَّبَ النَّاسُ مِنْهُ. ثُمَّ انْقَطَعَ فَسَأَلَ عَنْ ذَلِكَ، فَقِيلَ: إِنَّ لَيْلَى قَدْ فُصِدَتْ وَهِي فِي حَيِّها، وَلَمَّا قَطعَتْهُ، انْقَطَعَ دَمُ المَجْنُون، وَاللَّهُ أَعْلَمُ. وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى صِدْقِ المَحبَّةِ، وَأَمَّا فِي زَمَانِنَا هَذَا فَكَثِيرٌ مَنْ يَعْشَقُ الصُّبْحَ، وَيُواصِلُ الظُّهْرَ، وَيَسْلُو[2] العَصْرَ، ثُمَّ يَعْشَقُ غَيْرَ مَحْبُوبِهِ، وَأَمَّا مَجْنُون لَيْلَى فَقَلَّمَا يُوجَدُ مِثْلُه.

رَوَى المَرْزبانِي: أَنَّ المَجْنُون خَرَجَ مَعَ أَصْحَابِهِ يَوْماً لِيمتَارَ[3] مِنْ وَادِي العُزَّى فَمَرَّ بِجَبَل[4] نُعْمَان، وَقَدْ كَانَتْ لَيْلَى تَنْزِلُه، وَهُمَا جَبَلاَنِ، فَسَأَلَ المَجْنُونُ أَصْحَابَه[5]: أَيّ رِيحٍ تَهُبُّ مِنْ نَحْوِ أَرْضِهَا؟ فَقَالُوا: الصَّبَا. فَقَالَ: وَاللَّهِ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى تَهُبَّ الصَّبَا، فَأَقَامَ فِي نَاحِيَةِ الجَبَلِ، وَمَضَى[6] أَصْحَابَهُ وَامْتَارُوا لَهُمْ وَلَهُ، ثُمَّ عَادُوا إِلَيْه فَحَبَسَهُمْ حَتَّى هَبَّت الصَّبا، وَسَارَ مَعَهُمْ، وَأَنْشَدَ يَقُولُ:

أَيَـا جَبَلَيْ نُعْـمَـانَ بِـاللَّهِ خَلِّيَـا نَسِيمَ الصَّبَـا يخلُص إليَّ نَـسِيمُهَـا
أَجِـدُ بَـرْدَهَـا أَو تَشفَ مِنِّي حَـرَارَةً عَلَى كَبِـدٍ لَمْ يَبْقَ[7] إِلاَّ صَمِيمُـهَـا
فَـإِنَّ الصَّبـارِيـحَ إِذَا مَـا تَنَسَّـمَتْ عَلَى نَفْسٍ مَهْمُـومٍ تَجَلَّتْ هُمُـومُهَـا

(١) الأرجح أنه قيس بن الملوح العادي، وقيل: قيس بن معاذ، أما سبب تسميته بالمجنون فلأنه جن بليلاه فعلاً، وذكر الأصمعي سبباً آخر هو أنه كان مصاباً بلوثة، ومنهم من ردّ سبب تلقيبه بالمجنون إلى ورود لفظة الجنون كثيراً في شعره.

(٢) في الأصل (يسلي).

(٣) في المطبوعة (ليمتاز).

(٤) في الأصل (بخيل).

(٥) في الأصل (من أصحابه).

(٦) في الأصل (ومضوا).

(٧) في الأصل (يبقى).

[١٩]

بديعة* بنت عبد الله زوجة السلطان قايتباي الجركسي المحمودي سلطان مصر

كَانَتْ فِي نِهَايَةِ الجَمَالِ، يُضْرَبُ المَثَلُ بِحُسْنِهَا، وَهِي مِثل اسْمِها، وَتزوَّجَهَا السُّلطانُ قَايتباي فِي أَيَّام إمَارَتِهِ فَوَلَدَتْ لَهُ المَلِكَ النَّاصِرَ مُحَمَّد، وَحَظِيتْ[١] عِنْدَهُ، وَكَانَتْ مِنْ أَغْفَلِ النِّسَاءِ، وَلَمَّا تُوفِّي زَوْجُهَا السُّلْطَان قَايتباي سَنَة اثْنَيْن وَتِسْعِين، وَثَمَانِمِائَة، وَكَانَ غُرَّةُ جَبْهَة السَّلاطِين الجَرَاكِسَة بِالعَدْلِ وَالمُروءَةِ وَالكَرَم وَالنَّبَاهَةِ، وَوُلِّيَ السَّلْطَنة وَلَدُهُ النَّاصِر مُحَمَّد فَكَانَتْ أَخْلاَقُهُ ذَمِيمَة، فِي غَايَةِ ضَعْفِ العَقْلِ أَخَذَهُ عَنْ أُمِّهِ بَدِيعَة وَكَانَ مُولعاً في حبِّ النِّسَاءِ، فَكَانَ إِذَا سَمِعَ بِامْرَأَةٍ حَسْنَاء هَجَمَ عَلَيْهَا، وَقَطَعَ دَائِرَةَ فَرْجِها وَنَظَّمَهُ فِي خَيْطٍ أَعَدَّهُ لِنَظْمِ فُرُوجِ النِّسَاءِ، وَكَانَتْ أُمُّهُ تَعْلَمُ بِهِ وَلاَ تَنْهَاهُ عَنْ أَفْعَالِهِ، فَعَمَدَتْ[٢] أُمُّهُ بَدِيعَةُ إِلَى جَارِيَة لَهَا حَسْنَاء لَيْسَ يُوجَدُ لَهَا نظير فَطَيَّبَتْهَا وَزَيَّنَتْهَا وَوَهَبَتْهَا لِوَلَدِهَا النَّاصِرِ، الخاسِرِ، مُحَمَّد بِزَعْمِهَا أَنَّهُ يَرْتَدِعُ عَمَّا كَانَ عَلَيْه، فَأَخَذَ النَّاصِرُ الجَارِيَةَ، وَأَغْلَقَ البَابَ وَعَادَ إلى قِلَّةِ عَقْلِهِ وَرَأْيِهِ الفَاسِدِ، وَرَبَطَ الجارِيَةَ، وَشَرَعَ يَسْلَخُ جِلْدَهَا، وهي تَصْرُخُ، فَأَرَادَتْ أُمُّهُ بَدِيعَةَ الهُجُومَ عَلَيْهِ، فَمَا أَمْكَنَهَا، إِلَى أَنْ تمَّ عَمَلَهُ، وَسَلَخَ[٣] الجَارِيَةَ وَحَشَى جِلْدَهَا بِالثِّيَابِ النفيسةِ ثُمَّ خَرَجَ إلى عند امِّه وَأَظْهَرَ لَهَا اسْتَاذِيَتَهُ بالسلخِ،

(*) انظر: شذرات الذهب.

(١) في الأصل (حضيت).

(٢) في الأصل (فعمد).

(٣) في الأصل (ويسلخ).

وَاسْتَمَرَّ عَلَى هَذَا الفِعْلِ إِلَى أَنْ قُتِلَ سَنَة خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَمَانِمِائَة.

وَفِي ذِكْرِ المُغَفَّلِين: مَا حُكِيَ: أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ حِمْص نَظَرَ إِلَى بِئْرٍ فِيهِ مَاء فَرَأَى خَيَال وَجْهِهِ فِي المَاءِ فَذَهَبَ إِلَى أُمِّه وَقَالَ: يَا أُمَّاه فِي البِئْرِ لِصٌّ، فَجَاءَتْ أُمّه وَنَظَرَتْ فِي البِئْرِ مَعَ ابْنِهَا، فَقَالَتْ: صَدَقْتَ لِصٌّ وَمَعَهُ قَحْبَةٌ.

وَتَقَدَّمَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ حِمْص يُصَلِّي المَغْرِبَ إِمَاماً، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلاَتِهِ سَجَدَ سَجْدَتَيْ السَّهْو، فَلَمَّا أَتَمَّ[1] قِيلَ لَهُ: مَا رَأَيْنَاكَ سَهَوْتَ[2]! فَقَالَ: نَعَمْ، وَلَكِنِّي تَذَكَّرْتُ أَنِّي صَلَّيْتُ بِكُمْ عَلَى غَيْرِ وضُوء، فَسَجَدْتُ لِلْسَهْوِ، وَاللَّهُ أَعْلَم.

---

(١) في الأصل (تم).

(٢) في الأصل (سهوة).

[٢٠]

عَبَّاسَةُ* بِنْتُ الخَلِيفَةِ مُحَمَّد المَهْدِي العَبَّاسِيّ

هِيَ أُخْتُ الخَلِيفَة الرَّشِيد، وَهِيَ الَّتِي كَانَتْ سَبَباً لِقَتْلِ البَرَامِكَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الوَزِيرَ جَعْفَرَ بْنَ يَحْيى البَرْمَكِي كَانَ يَدْخُلُ إِلَى حَرَمِ الرَّشِيد، وَكَانَ لِلرَّشِيدِ أُخْتٌ اسْمُهَا عَبَّاسَة، وَكَانَتْ حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ إِلاَّ أَنَّهَا رَعِنة فَقَالَ الرَّشِيدُ يَوْماً لِوَزِيره[1] جَعْفَر: إِنِّي قَدْ أَذِنْتُ لَكَ إِلَى حَرَمِي، وَلَكِنَّ النَّظر مِنْكَ إِلَى أُخْتِي عَبَّاسَة حَرَام، فَإِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَعْقِدَ لَكَ عَلَيْهَا عَقْدَ النِّكَاحِ لِيَحِلَّ لَكَ النَّظر إِلَيْهَا، وَلَكِن بِشَرْطٍ أَنْ لَا تَقْرَبهَا، فَقَبِلَ الوَزِيرُ فَأَمَرَ الرَّشِيدُ بِإِحْضَارِ القَاضِي وَالأَعْيَانِ وَعَقَدَ الوَزِيرُ عَلَى عَبَّاسَة وَشَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ لَا يَقْرَبهَا، فَأَقَامَا عَلَى ذَلِكَ بُرْهة مِنَ الزَّمَانِ، فَاشْتَاقَتْ عَبَّاسَة لِلرَّجُلِ فَلَبِسَتْ أَفْخَرَ ثِيَابِهَا، وَتَطَيَّبَتْ وَأَمَرَتْ دَايَتَها أَنْ تَأْخذ بِيَدِهَا، وَتَذْهَبَ بِهَا إِلَى عِنْدَ الوَزِيرِ جَعْفَر، وَتَقُولُ لَهُ: هَذِهِ جَارِيَة عَبَّاسَة أُخْتُ الْخَلِيفَةِ أَهْدَتْهَا إِلَيك، فَفَعَلَتْ العَجُوزُ مَا أَمَرَتْهَا الرَّعْنَةُ، فَأَخَذَتْ بِيَدِهَا وَدَخَلَتْ عَلَى الوَزِيرِ جَعْفَر وَقَدْ لَعِبَ بِرَأْسِهِ السُّكْرُ، وَبَقِيَ لَا يَشْعُرُ فَقَالَتْ لَهُ الدَّايَةُ: يَا جَعْفَرُ هَذِهِ جَارِيَة عَبَّاسَة أَهْدَتْهَا إِلَيْكَ، فَتَلَقَّاهَا بِالْقَبُولِ وَأَخَذَ الْجَارِيَةَ، وَجَعَلَ يُلَاعِبُهَا وَهِيَ مِنْ تَحْتِ السِّتَارِ إِلَى أَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ البَاهُ فَوَاقَعَهَا، وَقَدْ أَطَاعَتْهُ مِثْلَ الأَرْضِ العَطْشَانَةِ لِوَابِلِ المَطَرِ، فَلَمَّا تَمَّ عَمَلَهُ وَحَقَّقَ النَّظَرَ بِهَا، فَإِذَا هِيَ عَبَّاسَة فَقَالَ لَهَا: مَا هَذِهِ الصَّنِيعَة؟

(*) انظر ترجمتها: المعارف ٣٨٠، وتاريخ الطبري ٢٩٤/٣، وجمهرة أنساب العرب ٢٢، وأعلام النساء ٢٢٨/٣ - ٢٣٤، ونزهة الجلساء ص ٦٠.

(١) في الأصل (لوزير).

قَتَلْتِنِي[١] وَقَتَلْتِ البَرَامِكَةَ! فَقَالَتْ لَهُ: لاَ بَأْس عَلَيْكَ! أَلَسْتَ زَوْجِي؟ وَحَمَلَتْ مِنْ وَقْتِهَا، وَأَخفَتْ حَمْلَها إِلَى أَنْ قَرُبَ أَوانُ وَضْعِهَا، فَاسْتَشَارَتْ جعفر بِمَا تَصْنَعُ، وَقَدْ ظَهَرَ حَمْلُهَا، وَنَدِمَتْ عَلَى مَا فَعَلَتْ وَلَيْسَ يَنْفَعُهَا النَّدَمُ، خَوْفاً مِنَ القَتْلِ، فَأَشَارَ عَلَيْهَا جعفر بالمسير إلى الحجِّ، فَاسْتَأْذَنَتْ مِنْ أَخِيهَا الرشيد، فَأَذِنَ لَهَا وَأَرْسَلَ معها جعفر، فَسَارَتْ من بغداد، ومن تَقْدِيرِ اللَّه تَعالى أَنَّهَا وَضَعَتْ غلاماً جميلاً[٢] قَبْلَ وُصُولِهَا إلى المدينة المنوَّرة، ومن تَقْدِيرِ اللَّه على جعفر أنَّه أَحبَّ ذَلِكَ الغلام، وَلَمْ يَعْلَمْ أنَّه سَبباً لِقَتْلِهِ، وَإِلاَّ لَوْ عَلِمَ لَكانَ قَتَلَهُ وَأَخْفَاهُ[٣] ثُمَّ أَنَّ عَبَّاسَة الرّعنة أعطت الغلام لبعض نِسَاءِ مكَّة، وَأَعْطَتْهَا[٤] مالاً جزيلاً لِتُرَبِّيهِ[٥] إلى أَنْ يَكْبَرَ، وَحَجَّا وعَادَا[٦] وَلَمْ يَعْلَمْ الرشيد بذلك إلى أَنْ كان يوماً من الأيامِ بَلَغَ الوزير ابن الربيع الفضل خبر الغلام، وكان بَيْنَهُ وَبَيْنَ جعفر عداوة، فَقَصَّ خَبَرَ الغلام على الرشيد فَاغْتَاظَ لِذَلِكَ، وَهَمَّ بِقَتْلِ البرامكة، فَحَذَّرَتْهُ بَطْشَ رَبِّهِ زَوْجَتُهُ زبيدة وَقَالَتْ له: أَلَيْسَ هي زوجته؟ ثُمَّ حَرَّضَهُ ابن الربيع الفضل على قَتْلِ جعفر فَقَتَلَهُ سنة سبع وثمانين ومائة وَحَبَسَ أباه يحيى البرمكي وَأَخَاهُ الفَضْل، وَأَقَامَا بِالحَبْسِ إِلَى أَنْ مَاتَا. فَكَانَتْ عَبَّاسَةُ سَبَباً لِقَتْلِهِمْ، وَذَهَاب دَوْلَتِهِمْ، وَقَدْ كَانُوا غُرَّة فِي جَبِين الدَّهْرِ فَرَحِمَهُمْ الله، وَفِي قَتْلِهِمْ يَقُولُ الرَّقَاشِي، وَقِيلَ: أَبُو نُوَاس:

وَقُلْ لِلْمَنَايَا قَدْ ظَفِرْتِ بِجَعْفَرٍ ... وَلَمْ تَظْفَرْ مِنْ بَعْدِهِ بِمُسَوَّدِ
وَقُلْ لِلْعَطَايَا بَعْدَ فَضْلٍ تَعَطَّلِي ... وَقُلْ لِلرَّزَايَا كُلَّ يَوْمٍ تَجَدَّدِي
وَدُونَكَ سَيْفاً بَرْمَكِياً مُهَنَّداً ... أُصِيبَ بِسَيْفٍ هَاشِمِي مُهَنَّدِ

حُكِيَ: أَنَّ الرَّشِيد سَأَلَ يَوْماً وَزِيرَهُ جَعْفَر عَنْ جَوَارِيه[٧] فَقَالَ: يَا أَمِير المُؤْمِنِين. كُنْتُ البَارِحَةَ مُضْطَجِعاً وَعِنْدِي جَارِيَتَانِ، إِحْدَاهُمَا مَكِّيَّة، وَالأُخْرَى

---

(١) في الأصل (قتلتين).
(٢) في الأصل (غلام جيل).
(٣) في الأصل (وأخفى).
(٤) في الأصل (واعطتهم).
(٥) في الأصل (ليربوه).
(٦) في الأصل (وحجوا وعادوا).
(٧) في الأصل (جواره).

مَدَنِية، وَهُما يَكْبِسَانِي، فَتَنَاوَمْتُ عَنْهُمَا لأَنْظُرَ فِعْلَهُمَا، فَمَدَّتْ المَدَنِيَّةُ يَدَهَا إِلَى ذَلِكَ الشَّيء وَلَعِبَتْ بِهِ حَتَّى انْتَصَبَ قائِماً، فَوَثَبَتْ المَكِّيَةُ وَجَلَسَتْ عَلَيْهِ، فَقَالَتْ المَدَنِيَّةُ: أَنَا أَحَقُّ بِهِ فَضَحِكَ الرَّشِيدُ حَتَّى اسْتَلْقَى عَلَى قَفَاهُ، وَقَالَ لِجَعْفَر، هَلْ سَلَوْتَ عَنْهُمَا؟ فَقَالَ جَعْفَر: هُمَا وَمَوْلاَهُمَا لأَمِيرِ المُؤْمِنِينِ، وَقَرِيباً مِنْ هَذَا مَا حُكِيَ فِي كِتَابِ «تُحْفَة الأَلْبَابِ»: أَنَّ رَجُلاً مِنْ المُتْرَفِين قَالَ: تَزَوَّجْتُ ثَلاثَ نِسْوَة: عَرَبِيَّة وَفارِسِيَّة وَقِبْطِيَّة. فَقُلْتُ لَيْلَة لِلْعَرَبِيَّةِ، أَيّ وَقْتٍ هَذَا؟ قَالَتْ هُو سَحَر. قُلْتُ: وَمَا يُدْرِيك؟ قَالَتْ: بَرْدُ سِوَارِي وَخُلْخَالِي، وَقُلْتُ لِلْفَارِسِيَةِ: أَيّ وَقْتٍ هَذَا؟ قَالَتْ: سَحَر. قُلْتُ: وَمَا يُدْرِيكِ؟ قَالَتْ: هُبُوبُ النَّسِيم، وَصُبْحٌ بَسِيم، وَقُلْتُ لِلْقِبْطِيَّةِ: أَيّ وَقْت هَذَا؟ قَالَتْ سَحَر. قُلْتُ: وَمَا يُدْرِيكِ؟ قَالَتْ: حَرَكَةُ بَطْنِي. فَقَهْقَه الرَّجُلُ ضَاحِكاً: وَقَالَ: سُبْحَانَ الله خَالِقِ الأُصُولِ وَالطِّبَاع. وَفِيه أَيْضاً. وَقَدْ ذَكَرْتُهَا اعْتِرَاضاً عَلَى الرَّشِيدِ حَيْثُ قَتَلَ جَعْفَراً لَمَّا وَاقَعَ زَوْجَتَهُ. حَكَى المُفَضَّلُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الرَّشِيدِ وَعِنْدَه طَبَقُ وَرْدٍ وَجَارِيَة جَمِيلَة وَاقِفَة، قَدْ أُهْدِيَتْ لَهُ فَقَالَ لِي: يَا مُفَضَّل قُلْ بِهَذَا الوَرْدِ شَيْئاً، فَقُلْتُ:

كَأَنَّهُ خَدُّ مَعْشُوقٍ يُقَبِّلُهُ ... فَمُ الْمُحِبِّ وَقَدْ أَبْقَى بِهِ خَجَلا

قَالَ المُفَضَّلُ: فَتَبَسَّمَتْ الجَارِيَةُ، وَأَنْشَدَتْ تَقُولُ:

كَأَنَّهُ لَوْنُ خَدِّي حِينَ تَدْفَعُنِي ... كَفُّ الرشيدِ لأَمْرٍ يُوجِبُ الْغُسْلا

فَقَالَ الرَّشِيدُ: قُمْ يَا مُفَضَّلْ فَإِنَّ هَذِهِ المَاجِنَةَ هَيَّجَتْنِي، فَقُمْتُ وَأَرْخَيْتُ عَلَيْهِمَا السُّتُورِ. أَقُولُ: كَيْفَ سَمَحَتْ[1] نَفْسُ الرَّشِيدِ بِأَنْ يُوَاقِعَ جَارِيَتَه وَيَطْرُدَ جَلِيسَهُ وَهُو كَامِلُ العَقْلِ؟ وَكَيْفَ سَمَحَتْ لَهُ نَفْسُهُ بِقَتْلِ وَزِيرِه حَيْثُ وَاقَعَ مَنْكُوحَتَهُ وَهُو سَكْرَان لاَ يَعْقِلُ وَلاَ يَعْلَمُ هِيَ أَمْ غَيْرهَا؟ فَإِنْ قِيلَ: قَتَلَهُ لِخِسَّةِ[2] أَصْلِهِ. أَقُولُ قَدْ رَفَعَهُ الإِسْلاَمُ وَعَظَّمَهُ جُودُه الَّذِي شَمَلَ الخَاصَ وَالعَام، وَلَكِن ذَلِكَ بِتَقْدِيرِ المَلِكِ العَلِيم العَلَّام، وَعِنْدَ اللهِ تَصِيرُ الأُمُور، انْتَهَى.

---

(١) في الأصل (احى).
(٢) في الأصل (لخست).

[٢١]

بِيْرِخَانُ* بِنْتُ الشَّاه طَهْماسِ بْنِ الشَّاه إِسْمَاعِيل بْنِ حَيْدَر

ابْنِ جُنَيْد بْنِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الخَوَاجَا عَلِيٍّ بْنِ صَدْرِ الدِّينِ بْنِ صَفِي الدِّينِ بْنِ جِبْرَائِيل، يَنْتَهِي نَسَبُه إِلَى الإِمَامِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَبِيْرِخَان هِي أُخْتُ الشَّاه إِسْمَاعِيل لأُمِّه وَأَبِيه وَكَانَتْ كَامِلَةَ العَقْلِ حَسَنَةَ التَّدْبِيرِ، وَكَانَ لَهَا أَخٌ مِنْ أَبِيهَا اسْمُه حَيْدَر، وَأُمُّه مُقَرَّبَةٌ عِنْدَ الشَّاه طَهْمَاسَب، وَكَانَ الشَّاه قَدْ غَضِبَ عَلَى ابْنِهِ إِسْمَاعِيل وَسَجَنَهُ فِي قَلْعَةِ المَوْتِ فَخَافَتْ زَوْجَةُ الشَّاه طَهْمَاسَب عَلَى المُلْكِ أَنْ يَلِيَهُ(١) ابْن زَوْجِهَا إِسْمَاعِيل، وَهِي الَّتِي عَمِلَتْ عَلَى حَبْسِهِ، فَعَمَدَتْ إِلَى زَوْجِهَا وَوَضَعَتْ لَهُ سُمّاً فِي النَّورَةِ، وَلَمَّا تَنَوَّر وَقَعَتْ مَذَاكِيرُهُ، وَعَلِمَ أَنَّ ذَلِكَ بِأَمْرِ وَلَدِهِ حَيْدَر فَاسْتَدْعَاهُ وَقَالَ لَهُ: لِمَ فَعَلْتَ هَذَا، أَتَظُنُّ تَتَمَتَّعُ بَعْدِي بِالْمُلْكِ؟ وَخَرَجَ حَيْدَر مِنْ عِنْدِ أَبِيه، فَاسْتَدْعَى الشَّاه ابْنَتَهُ بِيْرَخَان وَخَبَّرَهَا بِمَا فَعَلَتْهُ زَوْجَته بِأَمْرِ وَلَدِهَا حَيْدَر، وَأَعْطَاهَا الخَاتَم وَقَالَ لَهَا: دَبِّرِي عَلَى هَلَاكِ حَيْدَر، وَاسْتَدْعِي أَخَاكِ إِسْمَاعِيل مِنَ المَوْتِ فَخَرَجَتْ بِيْرَخَان وَاسْتَدْعَتْ بَعْضَ مَمَالِيكِ أَبِيهَا(٢)، وَأَرْسَلَتْهُمْ إِلَى دَاخِلِ خَزِينَة الشَّاه، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يَكْمِنُوا إِلَى أَنْ يَأْتِي حَيْدَر وَيَقْتُلُوهْ، فَقَبِلُوا وَكَمَنُوا، ثُمَّ اسْتَدْعَتْ أَخَاهَا حَيْدَر وَأَعْطَتْهُ الخَاتَمَ، وَقَالَتْ لَهُ: امْضِ(٣) إِلَى الخَزِينَةِ، وَانْظُرْ مَا فِيهَا. فَسَارَ مِنْ وَقْتِهِ فَلَمَّا حَصَلَ فِي الخَزِينَةِ لَمْ يَشْعُرْ إِلاَّ وَالرِّجَالُ قَدْ أَحْدَقُوا بِهِ،

(*) انظر الكواكب السائرة ٣/١٣٦.

(١) في الأصل (لا يليه).

(٢) في الأصل (أبرها).

(٣) في الأصل (امضي).

وَضَرَبُوهُ بِالسُّيُوفِ وَقَتَلُوهُ، وَمَاتَ الشَّاه طَهْمَاسَب فِي ذَلِكَ الوَقْتِ سَنَة أَرْبَع وَثَمَانِين وَتِسْعِمِائَةِ، وَدُفِنَ مَعَهُ وَلده حَيْدَر ثُمَّ رَكِبَتْ بِيرَخَان وَسَارَتْ إِلَى قَلْعَةِ المَوْتِ، وَأَطْلَقَتْ أَخَاهَا[1] مِنَ الحَبْسِ، وَفَوَّضَتْ إِلَيْهِ أَمْرَ المَمْلَكَةِ، وَكَانَ الشَّاه إِسْمَاعِيل أَوَّلاً شِيعِيًّا، ثُمَّ صَارَ سُنِّيًّا، وَسَبَبُ ذَلِكَ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ فِي المَنَامِ وَأَصْحَابَهُ الأَرْبَعَة عِنْدَهُ فَتَقَدَّمَ إِلَى عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَقَالَ لَهُ: لأَيِّ شَيء يَا إِمَام؟ قَالَ: لِبُغْضِكَ الصِّدِّيق، فَتَقَدَّمَ إِلَى الصِّدِّيق وَاعْتَذَرَ وَتَاب. فَبَشَّرَهُ الصِّدِّيق، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالخَلَاصِ مِنَ الحَبْسِ عَلَى يَدِ رَجُلٍ فَلا تَجْتَمِعْ بِهِ فَإِنَّهُ يَغْدُرُ بِكَ. ثُمَّ يَأْتِيكَ آخَرُ فَصَدِّقْهُ وَتَوَجَّهْ مَعَهُ، فَلَمَّا مَاتَ أَبُوه أَرْسَلَ أَخُوه حَيْدَر يَدْعُوه لِيَقْبِضَ عَلَيْهِ وَيَقْتُلَهُ، فَمَا قَدِرَ. وَقُتِلَ حَيْدَر وَجَاءَتْ أُخْتُه بِيرَخَان فَصَدَّقَ كَلامَهَا، وَسَارَ مَعْهَا وَجَلَسَ عَلَى سَرِيرِ المُلْكِ، وَصَارِ سُنِّياً، وَقَتَلَ الرَّفَضَة ثُمَّ غَدَرَ بِأُخْتِهِ بِيرَخَان وَقَتَلَهَا سَنَة أَرْبَعَ وَثَمَانِينَ وَتِسْعِمَائَة مُفْرد:

وَالْغَدْرُ مِنْ شِيَمِ النُّفُوسِ فَإِنْ تَجِدْ ذَا عِفَّةٍ فَلِعِلَّةٍ لا يَظْلِمُ[2]

وَلَمْ تَطُلْ أَيَّام الشَّاه إِسْمَاعِيل وَمَاتَ سَنَة خَمْسٍ وَثَمانِينَ وَتِسْعِمائَة، قِيلَ: هَجَمَ[3] عَلَيْه خُدَّامُ أَبِيهِ وَقَتَلُوه حَيْثُ خَالَفَهُمْ، وَبَلَغَ مَنْ قُتِلَ فِي أَيَّامِهِ فَكَانُوا ثَلاثِين أَلْف رَافِضِي.

وَهَذَا لَوْلَا غَدْرُهُ بِأُخْتِهِ لَحُمِدَتْ سِيرَتَهُ لأَنَّ سَلَفَهُ كَانُوا سَبَباً لِظُهُورِ الرَّفْضِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَهُ فِي بِلَادِ العَجَم جَدّه الشَّاه إِسْمَاعِيل بْن حَيْدَر، وَعَمِلَ لَهُ بَعْضُ أُدَبَاءِ الشِّيعَةِ تَارِيخاً [أَسْمَاه][4] مَذْهَبُنَا حَقّ. فَبَلَغَ أَهْلَ السُّنَّةِ فَقَالُوا: مَذْهَبُنَا[5] حَقّ، عَلَى النَّفي، وَاللَّهُ أَعْلَم.

---

(١) في الأصل (أخيها).

(٢) البيت للمتنبي.

(٣) في الأصل (هجموا).

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) في المطبوعة (مذهب نا).

حُكي : أَنَّ رَجُلاً مِنْ أَهْلِ السُّنَّة خَرَجَ يَوْماً فِي البَرِّ إِلَى خَرْبَة، فَوَجَدَ شَخْصاً مِنَ الرَّفَضَةِ جَالِساً وَأَمَامَهُ صُورَة، فَاخْتَفَى السُّنِّي، وَجَعَلَ الرَّافِضِي يُخَاطِبُ تِلْكَ الصورَة، وَيَعْنِي بِهَا الصِّدِّيق رَضِي اللَّهُ تَعَالى عَنْهُ وَيَقُولُ لَهُ: لِمَ أَخَذْتَ الخِلَافَةَ مِنْ عَلِيٍّ؟ وَضَرَبَ عُنُقَ الصُّورةِ، ثُمَّ أَخْرَجَ صورةً أُخْرَى، يَعْنِي بِهَا عُمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَجَعَلَ يُعَاتِبُهَا، وَضَرَبَهَا بِالسَّيْفِ فَأَطَاحَ[1] رَأْسَهَا. ثُمَّ أَخْرَجَ أُخْرَى يَعْنِي بِهَا عُثْمَان، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَعَاتَبَهَا وَضَرَبَهَا بِالسَّيْفِ، وَأَخْرَجَ أُخْرَى، وَهِي حَسَنَةُ الشَّكْلِ يَعْنِي بِهَا عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَالَ لَهُ: الذَّنْبُ لَكَ حَيْثُ تَرَكْتَ غَيْرَكَ يَتَقَدَّمُ لِلْخِلَافَةِ وَضَرَبَ عُنُقَ الصُّورَةِ، وَأَخْرَجَ أُخْرَى يَعْنِي بِهَا صُورَة النَّبِيِّ ﷺ وَعَاتَبَهَا وَقَالَ: أَنْتَ الَّذِي قَدَّمْتَ أَبَا بَكْرٍ عَلَى عَلِيٍّ وَغَير ذَلِكَ مِنَ الخَلْطِ الفَاحِشِ، وَضَرَبَ عَلَى الصُّورَة بِالسَّيْفِ وَأَخْرَجَ صورةً أُخْرَى يَعْنِي بِهَا الحَقَّ جَلَّ جَلَالُه تَعَالى اللَّهُ عن ذلك ﴿... لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ...﴾[2] وَأَطَالَ العِتَابَ، وَهَمَّ بِضَرْبِ الصُّورَة، وَقَدْ مُلِيءَ غَيْظاً[3] فَصَاحَ بِهِ الرَّجُلُ السُّنِّي، لَا تَفْعَلْ، فَالْتَفَتَ فَرَأَى رَجُلاً فَمَاتَ غَيْظاً، فَأَخَذَ ذَلِكَ الرَّجُلُ سَلَبَهُ، وَكَانَ عِنْدَهُ دَنَانِير فَأَخَذَهَا وَمَضَى إِلَى بَيْتِهِ، وَكَانَ فَقِيراً، أَعْلَمُ بِالصَّواب.

---

(١) في الأصل (أطاح).

(٢) سورة الشورى، الآية ـ ١١.

(٣) في الأصل (غيضا).

[٢٢]

بَدُونَة زَوْجَة(١) تُوفِيل مَلِك الرُّوم

كَانَتْ أَكْفَرَ مِنْ زَوْجِهَا وَأَظْلَمَ مِنْهُ، وَلَمَّا مَاتَ زَوْجُهَا سَنَة سَبْع وَعِشْرِين وَمِائَتَيْنِ، خَلَفَ وَلَداً صَغِيراً اسْمُه مِيخَائِيل مِنْ زَوجَته المَلْعُونَة بَدُونَة فَمَلَكَتْ الرُّوم بَدُونَة وَأَظْهَرَتْ مَا عِنْدَهَا مِنَ المَكْرِ وَالغَدْرِ، وَاسْتَمَرَّتْ إِلَى سَنَة ثَمَان(٢) وَثَلاَثِين وَمِائَتَيْن، وَجَهَّزَتْ فِي البَحْرِ ثَلاَثِمَائَة مَرْكَب بِالعَسَاكِرِ وَالعُدَدِ إِلَى قِتَالِ المُسْلِمِينَ، فَقَدِمُوا إِلَى دِمْيَاط، وَكَبَسُوا المَدِينَة وَأَسَرُوا سِتَّمِائَة امْرَأَة سِوى الأَطْفَال، وَقَتَلُوا كَثِيراً مِنَ الرِّجَالِ وَعَادُوا إِلَى بِلاَدِهِمْ، فَكَانَتْ تَفْتَخِرُ وَتَقُولُ: أَنَا امْرَأَةٌ دَبَّرْتُ وَعَمِلْتُ عَلَى أَسْرِ سِتِّمِائَة امْرَأَةٍ، وَكَثُرَ شَرُّهَا عَلَى المُسْلِمِينَ، ثُمَّ تَسَلَّمَ روحها مَلَكُ(٣) [الموتِ](٤) وَسَجَنَهَا فِي سِجِّين، وَأَرَاحَ اللَّهُ مِنْهَا المُوحِّدِينَ(٥) سَنَة مِائَتَيْن وَأَرْبَعِين، وَعَهِدَتْ بِالمُلْكِ لِوَلَدِهَا مِيخَائِيل. وَفِي الأَمْثَالِ: لاَ تَلِدُ الذِّيبَةُ إِلَّا ذِيبَة.

---

(١) في الأصل (زوجت).

(٢) في الأصل (ثمانية).

(٣) في الأصل (مالك).

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) بعد الموحدين وضع النساخ (منها) فجاءت مكررة في غير موضعها.

[٢٣]

أمُّ جَنْكِزخَان

أَصْلُهَا مِنْ قَبِيلَة التَّتَارِ، وَتُسَمَّى تِلْكَ القَبِيلَة قَتَاتُ، حَمَلَتْ فِي جَنْكِزخَان مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ، وَقِيلَ: إنَّهَا كَانَتْ مُتَزَوِّجَةً مِنْ رَجُلٍ مِنْ أَقَارِبِهَا وَمَاتَ زَوْجُهَا، ثُمَّ بَعْدَ أَعْوَام حَمَلَتْ مِنْ غَيْرِ زَوْج، وَالظَّاهِر يَدُلُّ عَلَى أَنَّه مِنَ السِّفَاحِ، فَأَنْكَرَ(١) عَلَيْهَا أَهْلُهَا حَمْلَهَا مِنْ غَيْرِ بَعْلٍ، فَقَالَتْ لَهُم: إِنِّي رَأَيْتُ فِي المَنَامِ كَأَنَّ نُوراً دَخَلَ فِي فَرْجِي ثَلَاثَ مَرَّات، فَأَمْهِلُونِي فَإِنِّي حَامِلٌ فِي ثَلَاثَة بَنِين ذُكُوراً، فَإِنْ صَدَقْتُ وَإِلَّا فَاعْمَلُوا بِي مَا شِئْتُمْ، فَلَمَّا تَمَّ حَمْلُهَا وَضَعَتْ ثَلَاثَة أَوْلَاد ذُكُوراً، فَعِنْدَ ذَلِكَ ظَهَرَتْ بَرَاءَتُهَا، بِزَعْمِهِم، فَسَمَّتْ أَحَدَهُمْ بُوقن، وَالثَّانِي مَاعِي، وَالثَّالِثِ: نُود بَحْر وَهُوَ جَنْكِزْخَان، وَعلى مَا ذَكَرُوا مِنْ أَنَّه ظَهَرَتْ(٢) بَرَاءَتُهَا بِقَوْلِهَا. قَالَ فِي «الهِدَايَةِ»: المُطَلَّقَةُ الرَّجْعِيَّة إِذَا جَاءَتْ بِوَلَدٍ لِسَنَتَيْنِ أَوْ أَكْثَرَ مَا لَمْ تقِرَّ بِانْقِضَاءِ العدَّة لِاحْتِمَالِ العُلُوق فِي حَالَةِ العدَّة، وَعَلَى هَذَا القَوْلِ فَتَكُونُ أُمُّ جَنْكِزخَان صَادِقَةً، وَيَلْحَقُ جَنْكِيزْ بِأَبِيه، وَقَالَ أَيْضاً فِي «الهِدَايَة»: أَكْثَرُ مُدَّة الحَمْلِ سَنَتَان، لِقَوْلِ عَائِشَة، رَضِي اللَّهُ عَنْهَا: الوَلَدُ لَا يَبْقَى فِي البَطْنِ أَكْثَرُ مِنْ سَنَتَيْنِ وَلَوْ بِظِلِّ مغزل، وَأَقَلّه سِتَّة أَشْهر. فَعَلَى هَذَا قَدْ يَكُونَ بَيْنَ وَضْعِ جَنْكِيز وَبَيْنَ مَمَاتِ أَبِيه أَقَلَّ مِنْ سَنَتَيْنِ(٣)، وَقَوْلُ أَهْلِ التَّوَارِيخ: أَعْوَام، يَحْتَملُ عَامَيْنِ وَصَاعِداً، وَقَالَ فِي «الدّرّ(٤) المُخْتَار»: أَكْثَرُ

---

(١) في الأصل (فأنكروا).

(٢) في الأصل (ظهر).

(٣) في الأصل (سنتان).

(٤) في الأصل (در).

مُدَّة الحَمْلِ سَنَتَانِ لِخَبَرِ عَائِشَةَ رَضِي اللَّهُ عَنْهَا وَعِنْد الأَئِمَة الثَّلاَثَة أَرْبَعُ سِنِين وَأَقَلُّهَا سِتَّة أَشْهُر، وَعَلَى هَذَا فَقَد ظَهَرَتْ(١) بَرَاءَةُ أُمّ جَنْكِزخَان. وَلاَ يُتَوَهَّمُ مِنْ أَنَّ المَرْأَة لاَ تَحْمِلُ أَكْثَرَ مِنْ تِسْعَة أَشْهُرٍ، فَقَدْ قِيلَ: إنَّ [وَلِيداً](٢) أَقَامَ فِي بَطْنِ أُمِّه [أَرْبَعَة](٣) أَعْوَام. فَلَمَّا وَلَدَتْه ضَحِكَ وَلَهُ أَسْنَان فِي فَمِه، وَاللَّهُ أَعْلَم.

وَاعْلَمْ أَنَّ مَمْلَكَةَ الصِّينِ مُتَّسِعة، دَوْرَتُهَا سِتَّة أَشْهُرٍ، وَانْقَسَمَتْ قَدِيماً سِتَّة أَجْزَاءٍ، كُلّ جُزْءٍ مَسِير شَهْرٍ كَامِلٍ، وَلِكُلِّ جُزْءٍ خانٌ يَمْلُكه، وَكَانَ خَانَهُمْ الكَبِير ذَلِكَ الزَّمَانَ اسْمه الطِّن خَان، وَرِثَ الخَانِيَةَ كَابِراً عَنْ كَابِر، بَلْ كَافِراً عَنْ كَافِر، وَمِنْ عَادَةِ خَانِهِمْ الأَعْظَم الإقَامَة بِمَدِينَةِ طُوغَاج، وَفِي ذَلِكَ الوَقْتِ كَانَ أَحَدُ الخَانَاتِ السُّتَّة دَوْشِي خَان زَوْجُ عَمَّة جَنْكِزخان فَمَاتَ فَعَمَدَتْ عَمَّةُ جَنْكِزخَان إلَيْهِ وَوَلَّتْهُ مَمْلَكَة زَوْجها بَعْدَ أَنْ اسْتَأْذَنَتْ كَشْلُوخَان وَغَيْره، فَبَلَغَ خَبَرَهُ الطِّن خَان فَسَارَ لِحَرْبِهِمْ فَكَسَرُوه، وَتَمَكَّنَ جَنْكِزخَان، فَمَاتَ [الطّن](٤) خَان وَمَلَكَ جَنْكِزْ مَمْلَكَته إضَافَة لِمَا فِي يَدِهِ، ثُمَّ مَاتَ كَشْلُوخَان وَأَقَام ابْنُه مَكَانَه، فَحَارَبَهُ جَنْكِزْخَان، وَقَتَلَهُ وَضَمَّ إلَيْهِ مَمْلَكَتَهُ، وَبَقِيَ يَمْلُكُ نِصْفَ الصِّين، ثُمَّ قَاتَل خَوَارِزْم شَاه مُحَمَّد وَمَلَكَ بِلاَدَه، وَاتَّسَعَتْ مَمْلَكَةُ جَنْكِزْخَان حَتَّى مَلَكَ الصِّينَ وَالأَغْوَات، وَإِيرَان وَالعِرَاق، وَعَمَّت سَرَايَاه، الآفَاق فَلاَ رَحِمَ اللَّهُ رُوحَه.

وَكَانَ جَنْكِزْخَان أُمِّيّاً(٥) لاَ يَقْرَأُ وَلاَ يَكْتُبُ وَعَسْكَرُهُ مُسْلِمُون(٦) وَيَهُود وَنَصَارَى، وَكَانَ لاَ يَتَعَرَّضُ لأَحَدٍ مِنْهُمْ، وَهُو لاَ دِينَ لَهُ، بَلْ يُعَظِّمُ عِلْمَ كُلِّ طَائِفَة،

(١) في الأصل (ظهر).

(٢) زيادة يقتضيها السياق.

(٣) زيادة يقتضيها السياق.

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

(٥) في الأصل (أمي).

(٦) في الأصل (مسلمين).

وَلَمْ يَكُنْ [لَهُ][1] عِلْمٌ فَوَضَعُوا[2] لَهُ قَلَم المغل، وَرَتَّبوا لَهُ كِتَاباً[3] سَمَّاه: «البَاسِق الكَبِير» وَذَكَرُوا فِيهِ لِكُلِّ حَسَنَةٍ مَثُوبَةً، وَلِكُلِّ سَيِّئَةٍ عُقُوبَةً، وَصَلْبُ السَّارِقِ، وَخَنْقُ الزَّانِي، وَإِنْ شَهِدَ عَلَيْه وَاحِـد، وَاسْتِعْبَادُ الأَحْرَارِ، وَتَوْرِيثُ نِكَاحِ الزَّوْجَة لِأَقَارِبَ فِي العِدَّة، وَالأَخذ بِقَوْلِ الجَوَارِي وَالصِّبْيَان وَمُطَالَبَة الجَارِ بِالجَارِ وَغَيْرَ ذَلِك مِنَ القَوَاعِدِ المَلْعُونَة عَلَى خِلافِ الشَّرِيعَة المَيْمُونَة.

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل (ووضعو).

(٣) في الأصل (كتاب).

[٢٤]

تِرْكَان خَاتُون مِنْ قَبِيلَة بِيارُون مِنْ فُرُوع يَمْك

وَهِي بِنْتُ مَلِك مِنْهُمْ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ هَيْبَة وَوَقَاراً(١) مَعَ حُسْنِ رَأْيٍ وَأَفْكَار تَزَوَّجَهَا خَوَارِزمْ شَاه تِكِش بْنِ أَرْسِلَان شَاه بْنِ أَطْسن شَاه بْنِ مُحَمَّد شَاه بْنِ آنُوش تِكِين، وَحَظِيَتْ(٢) تِرْكَان عِنْدَ تِكِش وَوَلَدَتْ مِنْهُ مُحَمَّد شَاه، وَلَمَّا مَاتَ تِكِش مَلَكَ بَعْدَهُ وَلَدَهُ مُحَمَّد شَاه، وَكَانَ صَغِيراً، فَدَبَّرَتْهُ أُمُّه تِرْكَان خَاتُون، وَكَانَ لَهَا رَأْيٌ وَهَيْبَةٌ، تَنْتَصِفُ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ، جَسُورَةٌ عَلَى القَتْلِ، وَلَهَا فِي كُلِّ إِقْلِيم نَاحِيَة جَلِيلَة تَقَدَّم مِنْ تَوْقِيعِهَا وَتَوْقِيعِ ابْنِهَا تَارِيخاً، وَطَغْرَ تَوْقِيعَها، عِصْمَةُ الدُّنْيَا وَالدِّين إلخ تِرْكَان مَلِكَةُ نِسَاءِ العَالَمِينَ. وَعَلَامَتُهَا: اعْتَصَمْتُ بِاللَّه وَحْده. تُجَوِّدُهَا بِقَلَمٍ غَلِيظٍ، وَأَقَامَتْ فِي أَرْغَدِ عَيْشٍ إِلَى أَنْ ظَهَرَ التَّتَار، وَحَارَبُوا وَلَدَهَا مُحَمَّد شَاه، وَهَرَبَ إِلَى جَزِيرَةٍ، وَلَحِقَهُ مَرَضُ ذَاتِ الجُنُبِ وَأَقَامَ بِالجَزِيرَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ وَكُفِّنَ فِي قَمِيصِهِ لِعَدَمِ الكَفَن، فَسُبْحَانَ مَنْ يُعِزُّ من يَشَاءُ وَيُذِلُّ مَنْ يَشَاء.

وَنَظِيرُ ذَلِكَ مَا حُكِيَ: أَنَّ صَاحِبَ الأَنْدَلُس المُعْتَمِد بِاللَّه مُحَمَّدُ بْنُ المُعْتَضِد بِاللَّهِ بْنِ عَبَّادِ بْنِ القَاضِي مُحَمَّد ابْنِ إِسْمَاعِيل اللَّخْمِي، كَانَ مَلِكاً جَلِيلاً شَاعِراً نَبِيلاً، مَلَكَ مِنْ بِلَادِ الأَنْدَلُسِ مِائَة وَثَلَاثِينَ سُوراً، وَأَقَامَ بِالمُلْكِ نَيفاً وَعِشْرِين سَنَةً، إِلَى أَنْ خَرَجَ عَلَيْهِ أَمِيرُ المُسْلِمِينَ يُوسُف بْنُ تَاشْفِين، وَتَغَلَّبَ عَلَيْه، وَمَلَكَ

(١) في الأصل (وقار).

(٢) في الأصل (حضيت).

البِلَادَ وَقَبَضَ عَلَى المُعْتَمِد، وَسَجَنَهُ فِي مَدِينَة أَغْمَات أَرْبَع سِنِين، وَمَاتَ وَهُو فِي السِّجْن سَنَة ثَمَان وَثَمَانِينَ وَأَرْبَعِمائَة، وَخَلَفَ ثَمَانِمائَة جَارِيَة، وَمِائَة وَثَلاثَة وَسَبْعِينَ وَلَداً، وَدَخَلَتْ عَلَيْه بَنَاته، وَهُو بِالسِّجْنِ، وَكَانَ يَوْمَ عِيدٍ وَعَلَيْهِنَّ أَطْمَارٌ رَثَّة، وَقَدْ صِرْنَ يَغْزِلْنَ لِلنَّاس بِالأُجْرَةِ، فَلَمَّا رَآهُنَّ أَنْشَدَ أَبُوهُمْ يَقُولُ:

فيما مَضَى كُنْتَ بِالأَعْيَادِ مَسْرُوراً | فَسَاءَكَ العِيدُ فِي أَغْمَات مَأْسُورا
تَرَى بَنَاتِكَ فِي الأَطْمَارِ جَائِعَةً | يَغْزِلْنَ لِلنَّاس لاَ يَمْلِكْن قِطْمِيرَا
يَطَأْنَ فِي الطِّينِ وَالأَقْدَامُ حَافِيَةٌ | كَأَنَّهَا لَمْ تَطَأْ مِسْكاً وكَافُورا
قَدْ كَانَ دَهْرُكَ إِنْ تَأْمُرْه مُمْتَثِلا | فَرَدَّكَ الدَّهْرُ مَنْهِيّاً وَمَأْمُورا

فَسُبْحَان مَن يُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيَضُرُّ وَيَنْفَعُ لاَ رَادَّ لما قَضَى، يُعِزُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيُذِلُ مَنْ يَشَاءُ، وَيَرْفَعُ وَيَضَعُ، لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ، وَهُمْ يُسْأَلُونَ.

[٢٥]

سُلْطَان بَخْت بِنْتُ تَيْمُورلَنْك المَغْرُور

يَتَّصِلُ نَسَبُه إِلَى جَنْكِزْخَان، وَهُو مِنْ قَرْيَةِ ايْلُغَا مِنْ مَدَائِنِ مَا وَرَاءَ النَّهْرِ، قِيل: أَنَّه لَمَّا وُلِدَ سَقَطَ وَكَفَّاه مَمْلُوءَة دَم غَبِيط، فَقِيلَ: يَصِيرُ شُرْطِيًّا، وَقِيلَ: لِصًّا فَأَصَابَ القَائِلُ، لِأَنَّه سَرَقَ غَنَمَة، وَقِيلَ: يَصِيرُ قَصَّاباً[١]، وَقِيلَ: جَلَّاداً يَضْرِبُ أَعْنَاقَ العِبَادِ، فَلَا رَحِمَهُ اللَّهُ، وَلَمَّا كَبُرَ ظَهَرَ فَسَارَ، وَخَرَّبَ البِلَاد، وَأَهْلَكَ العِبَاد، وَكَانَتْ بِنْتُه سُلْطَان بَخْت فِي حَال حَيَاةِ[٢] أَبِيهَا، لَا تُحِبُّ الرِّجَالَ، بَلْ مَشْغُوفَة بِحُبِّ النِّسَاء، وَتَقْنَعُ مِنْهُنَّ[٣] بِالسَّحَاقِ، شِعْر:

قُلْ لِلَّتِي تَدَّعِي السِّحَاق ... إِلَى كَمْ تُسَاحِقِي
لَيْسَ يَشْفِي غَلِيلَكِ ... مِنْ جَمِيعِ الْخَلَائِقِ
غَيْرُ ذَا الأَقْرَعِ الحَلِيق ... رَأْسُه الجَوَالِقِي

ذُكِرَ فِي «دِيوَان الصَّبَابَة»: أَنَّ رَجُلاً مَرَّ فِي مَكَان خَالٍ[٤]. فَوَجَدَ فِيه امْرَأَتَيْنِ تَتَسَاحَقَانِ[٥]، فَرَفَعَ الفَوْقَانِيَّة وَجَامَعَ التَّحْتَانِيَّة، وَقَالَ: هَذَا جُرْحٌ يَحْتَاجُ إِلَى فَتِيلَة إِش تَنْفَعه اللِّزقَات.

---

(١) في الأصل (قصاب).
(٢) في الأصل (حيات).
(٣) في المطبوعة (منهم).
(٤) في الأصل (قالي).
(٥) في الأصل (امرأتان يتساحقان).

يَـا شَـهْـدُ لاَ وَالـلَّهِ مَـا أَقْـنَـعُ   أَنْ أُعَـاوِدَ قُـبْـلَتَـكِ
مَـا انّـنـي عِـنْـدِيَ شَـهْـوة   حَـتَّـى أَذُوقَ عَـسِـيلَتَـكِ

وَقِيلَ: إِنَّ التَّحْتَانِية قَالَتْ لِلْفَاعِلِ: وَأَنْشَدَتْ:

مَنْ حَـازَ مِثْلَكَ لاَ تَبْرَحُ جَـوَارِحُـهُ   تَـرْوِي أَحَادِيثَ مَـا أَوْلَيْتَ مِنْ مِنَنْ
العَيْـنُ عَنْ قُـرَّةٍ، وَالأَيْـرُ عَـنْ صِلَةٍ   وَالقَلْبُ عَنْ جَابِرٍ، وَالسَّمْعُ عَنْ حُسُنْ

فَقَالَ لَهَا: وَهُو فِي عَمَلِهِ مَشْغُول: شعر:

كَـأَنَّـه وَالأَكُـفُّ تَـلْمِـسُـه   عُـنُقَ ظَـلِيم بِـغَـيْـر مُـنْـقَـار
أَنْعَظَ حَتَّى أَضْحَـى كَـفَـيْشَـلَةٍ   مَـشْـدُودَة فِـي زِنَّـار بِـيْـطَار
يُـشَـقِّـقُ حِـيـنَ يَـدْخُـلُه   كَـأَنَّـهُ بِـطُومَـار

ثُمَّ لَمَّا مَاتَ تَيْمُور سَنَة سَبْع وَثَمانِمِائَة، أَقَامَتْ ابْنَتُهُ سُلْطَان بَخْت فِي بَغْدَاد، فَـأَفْسَدَتْهَـا(١) العَوَاهِـر، فَصَارَتْ لاَ تَفْتَـرُّ عَن الجِمَاع، وَلَهَـا حِكَايَـاتٌ غَرِيبَـة، يَشْمَئِـزُّ(٢) مِنْهَا السَّمْع، وَكَانَ لِسَانُ حَالِهَا يَقُولُ:

الـمُـرْد يَصبُـوا إليـهـمُ الـسُّـفَّـلُ   وَفِـي الغَـوَانِـي الجَـمَـالُ وَالغَـزَلُ
فَـالـدُّبْـر مَـأوى لِـغَـائِطٍ وَأَذىً   وَفِـي الـزَّنَـابِيـرُ يُـجْتَـنى الـعَـسَـلُ

وَمِثْله قَوْلُ الآخرِ مُضَمِّناً:

دَعِ اللِّوَاطَ وَخَـلِّ المُردَ عَنْـكَ وَعِـجْ   عَـلَى النِّـسَـاءِ بِـالقبـل والـقبـل
فَـإِنَّـمَـا رَجُـلُ الـدُّنْيَـا وَوَاحِـدُهَـا   مَنْ لاَ يُعَـوِّلُ فِي الدُّنْيَـا عَلَى رَجُـلِ

وَأَقَامَتْ سُلْطَان بَخْت عَلَى هَذِهِ الحَالِ حَتَّى كَرِهَتْ مِنْ فِعْلِهَا الرِّجَال، وَاسْتَمَرَّتْ عَلَى ذَلِك أَعْوَاماً وَشُهُوراً(٣)، وَلَيَالٍ، إِلَى أَنْ تَسَلَّمَ روحها مَالكٌ وَقَيَّدَهَا بِالسَّلاَسِلِ وَالأَغْلاَلِ، وَعَلَيْهَا الذُّلُّ وَالوَبَال.

---

(١) في الأصل (فافسدوها).
(٢) في الأصل (اشماز).
(٣) في الأصل (أعوام وشهور).

الخاتمة

في ذكر أذكياء النساء وأيام النحوسات

وبه يتم الكتاب

[أذْكياءُ النِّساءِ]

١ ـ ذُكِرَ فِي «كِتَابِ النُّزْهَةِ»: أَنَّ امْرَأَةً وَقَفَتْ عَلَى قَيْسِ بْنِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَة فَقَالَتْ: أَشْكُو إِلَيْكَ قِلَّةَ النِّيرَانِ. فَقَالَ لِخُدَّامِهِ: امْلأُوا(١) لَهَا دَارَهَا(٢) لَحْماً وَسَمْناً وَرُزاً وَخُبْزاً(٣).

٢ ـ وَحُكِيَ أَنَّ المَلِكَ العَزِيزَ كَانَ فِي أَيَّامِ أَبِيهِ يَهْوَى جَارِيَةً قَيْنَة فَمَنَعَهُ أَبُوهُ عَنْهَا، فَسَيَّرَتْ لَهُ كُرَّةَ عَنْبَرٍ مَعَ الخَادِمِ فَكَسَرَهَا فَوَجَدَ فِيهَا زِراً مِنَ الذَّهَبِ فَلَمْ يَفْهَمْ مُرَادَهَا، وَنَقَلَ ذَلِكَ إِلَى القَاضِي الفَاضِلِ فَأَنْشَدَهُ، ارْتِجَالاً يَقُولُ(٤):

أَهْـدَتْ لَـكَ العَنْبَـرَ فِي وَسْـطِهِ(٥) ... زِرٌ مِـنَ التِّبْـرِ رَقِيـقُ(٦) الـلِّحامِ
فَـالـزِّرُّ فِـي العَنْبَـرِ تَـفْسِيـرُهُ(٧) ... زُرْ هَكَـذَا مُسْتَتِـراً(٨) فِي الـظَّلَامِ

٣ ـ حُكِيَ أَنَّهُ مَرَّ بَعْضُ الأُدَبَاءِ عَلَى حَيٍّ مِنْ أَحْيَاءِ العَرَبِ فَرَأَى امْرَأَةً خَارِجَةً مِنَ الحَيِّ، فَقَالَ لَهَا: مِمَّنْ المَرْأَة؟ قَالَتْ: مِنْ بَنِي فُلَان: فَأَرَادَ العَبَثَ بِهَا، فَقَالَ

---

(١) في الأصل (أملوا).

(٢) في الأصل (دراها).

(٣) في الأصل (خيراً).

(٤) ورد البيتان في المستطرف ١/٨٥.

(٥) في المستطرف (جوفه).

(٦) في المستطرف (خفي).

(٧) في المستطرف (معناهما).

(٨) في المستطرف (مختفياً).

لَهَا: أَتَكْتَنُونَ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ نِكْتَنِي، فَقَالَ لَهَا: مَعَاذَ اللَّهِ! لَوْ فَعَلْتُ لاغْتَسَلْتُ، فَأَجَابَتْهُ عَلَى الفَوْرِ: أَتَعْرِفُ العَرُوضَ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَقَالَتْ: قَطِّعْ لِي قَوْلَ الشَّاعِرِ. مُفْرَد:

حَوِّلُوا عَنَّا كَنِيسَتَكُمْ ... يَا بَنِي حَمَّالَةَ الْحَطَبِ

فَلَمَّا أَخَذَ يُقَطِّعُ قَالَ: حَوِّلُوا عَنْ نَاكَنِي، فَقَالَتِ المَرْأَةُ: مَنْ هُوَ؟ فَتَعَجَّبَ وَقَالَ: اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّ لِلْبَاغِي مَصْرَعاً، وَاللَّهِ إِنَّهَا لَمِنْ أَهْلِ الذَّكَاءِ(١).

٤ ـ حُكِي: أَنَّ بَعْضَ المَاجِنَاتِ أَرَادَتْ السَّفَرَ، فَلَقِيَهَا رَجُلٌ فَقَالَ لَهَا: خُذِي مَعَكِ هَذَا الكِتَاب، وَأَشَارَ إِلَى ذَكَرِهِ، فَقَالَتْ عَلَى الفَوْرِ: إِنْ لَمْ أَجِدْ لَكَ(٢) أُمَّكَ أُعْطِهِ لِأُخْتِكَ؟ فَسَكَتَ وَأُفْحِمَ وَتَعَجَّبَ مِنْ ذَكَائِهَا وَسُرْعَةِ جَوَابِهَا.

٥ ـ وَحُكِي: أَنَّ رَجُلاً حَدَثَ فِيهِ قَوْلنج فَمَنَعَ خُرُوجَ الرِّيح، طُولَ لَيْلَتِهِ، وَهُوَ يَدْعُو اللَّهَ أَنْ يُفَرِّجَ عَنْهُ مَا يَجِدُه، فَلَمْ يَذْهَبْ مَا بِهِ حَتى طَلَعَ الفَجْرُ، فَقَامَ وَتَوَضَّأَ وَصَلَّى الصُّبْح، وَلَمَّا فَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: اللَّهُم ارْزُقْنِي الجَنَّةَ فَقَالَتْ لَهُ زَوْجَتُه: يَا هَذَا لَمْ أَرَ(٣) أَحْمَقَ مِنْكَ، أَنْتَ طُولَ لَيْلَتِكَ تَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يُخْرِجَ مِنْ بَطْنِكَ فَسْوَةً(٤) فَلَمْ يُعْطِكَ، وَأَنْتَ تَطْلُبُ مِنْهُ جَنَّةً عَرْضُهَا السَّمَاءِ وَالأَرْضَ، فَسَكَتَ وَلَمْ يَرُدَّ جَوَاباً.

٦ ـ حُكِي: أَنَّ الخَلِيفَةَ المُتَوَكِل عَلَى اللَّهِ العَبَّاسِي بَلَغَهُ أَنَّ جَارِيَةَ مُمَوِّلُ الجَيْشِ فِي المَدِينَةِ، فِي غَايَةِ الحُسْنِ، وَفَرْطِ الذَّكَاءِ وَحُسْنِ الصَّوْتِ، فَأَرْسَلَ إِلَى عَامِلِهِ

(١) أورد الحكاية الأبشيهي في «المستطرف» ١/٨٦، مع اختلاف في بعض الألفاظ، وفيه: أن طائفة من بني تميم كانوا يكسرون أول الفعل، فمرت فتاة منهم جميلة الصورة على جماعة فناداها شخص منهم وأراد أن يوقعها فيما ينسب إليهم من كسر الفعل. فقال: لأي شيء يا بني تميم ما تكتنون، فقالت: ولم لا نكتني وكسرت الفعل فضحك عليها، وقال: أفعل إن شاء الله...).

(٢) في الأصل (أجدك).

(٣) في الأصل (أرى).

(٤) في الأصل (مسوى).

لِيُرْسِلَهَا لَهُ، فَلَمَّا أَخَذَهَا مِنْ مَوْلَاهَا، كَادَ يَزُولُ عَقْلُهُ لِفَرْطِ حُبِّهِ لَهَا. فَقَالَتْ لَهُ: أَحْسِنْ ظَنَّكَ بِاللَّهِ وَبِي، فَإِنِّي كَفِيلَةٌ لَكَ بِمَا تُحِبُّ، فَحُمِلَتْ إِلَى الْمُتَوَكِّلِ، وَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَالَ لَهَا: اقْرَئِي، فَشَرَعَتْ بِقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ وَقَالَتْ: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ...﴾(١) فَفَهِمَ الْمُتَوَكِّلُ مَا أَرَادَتْ وَتَعَجَّبَ مِنْ ذَكَائِهَا وَرَدَّهَا إِلَى مَوْلَاهَا.

٧ ـ حُكِيَ أَنَّ الْمَأْمُونَ كَانَ يَوْماً بِالصَّيْدِ، نَوَاحِي الْكُوفَةِ، فَبَيْنَمَا هُوَ يَسِيرُ فِي أَثَرِ غَزَالٍ حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى نَهْرٍ، وَإِذَا بِجَارِيَةٍ عَرَبِيَّةٍ خُمَاسِيَّةِ الْقَدِّ، قَاعِدَةِ النَّهْدِ، كَأَنَّهَا الْقَمَرُ لَيْلَةَ تَمَامِهِ، وَبِيَدِهَا قِرْبَةٌ قَدْ مَلَأَتْهَا [مَاءً](٢) وَحَمَلَتْهَا عَلَى أَكْتِفِهَا(٣) وَصَعَدَتْ وَقَدْ انْحَلَّ(٤) وِكَاءُ الْقِرْبَةِ، فَصَاحَتْ بِرَفِيعِ صَوْتِهَا: يَا أَبَتِ(٥) أَدْرِكْ فَاهَا، فَقَدْ غَلَبَنِي فُوهَا، وَلَا طَاقَةَ لِي بِفِيهَا، فَتَعَجَّبَ الْمَأْمُونُ مِنْ فَصَاحَتِهَا وَذَكَائِهَا، وَأَلْقَتْ الْقِرْبَةَ مِنْ يَدِهَا، فَتَقَدَّمَ إِلَيْهَا الْمَأْمُونُ وَقَالَ لَهَا: مِنْ أَيِّ الْعَرَبِ أَنْتِ؟ قَالَتْ: مِنْ بَنِي كِلَابٍ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكِ أَنْ تَكُونِي مِنَ الْكِلَابِ؟ فَقَالَتْ: وَاللَّهِ لَسْتُ مِنَ الْكِلَابِ، وَأَمَّا أَنَا مِنْ قَوْمٍ كِرَامٍ، غَيْرِ لِئَامٍ، يُقْرُونَ الضَّيْفَ، وَيَضْرِبُونَ بِالسَّيْفِ، فَأَنْتَ مِنْ أَيِّ النَّاسِ؟ فَقَالَ لَهَا: أَوَ عِنْدَكِ عِلْمٌ بِالْأَنْسَابِ؟ قَالَتْ: نَعَمْ. قَالَ لَهَا(٦): أَنَا مِنْ مُضَرَ. فَقَالَتْ: مِنْ أَيِّ مُضَرَ؟ قَالَ: مِنْ أَكْرَمِهَا نَسَباً، وَأَعْظَمِهَا حَسَباً، وَخَيْرِهَا أُمّاً وَأَباً مِمَّنْ تَهَابُهُ مُضَرُ(٧) [كلّها](٨). فَقَالَتْ: أَظُنُّكَ مِنْ كِنَانَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَتْ: مِنْ أَيِّ كِنَانَةَ؟ قَالَ: مِنْ أَكْرَمِهَا مَوْلِداً وَأَشْرَفِهَا مُحْتَداً، وَأَطْوَلِهَا

---

(١) سورة ص، الآية ـ ٢٣.

(٢) الزيادة عن المستطرف ١/٨٣.

(٣) في المطبوعة (أكتافها).

(٤) في المستطرف (فانحل).

(٥) في المطبوعة (يا أبتي).

(٦) في الأصل (قالت)، وما أثبت عن المستطرف ١/٨٤.

(٧) في المطبوعة (من نهاية مضر) وهو تحريف والصواب ما أثبت عن «المستطرف» ١/٨٤.

(٨) الزيادة عن «المستطرف» ١/٨٤.

فِي الحُكُومَاتِ(١) يداً، مِمَّنْ تَهَـابهُ كِنَانَةَ وَتَخافُهُ. قَالَتْ: إِذاً، أَنْتَ مِنْ قُرَيْشٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَـالَت: مِنْ أَيِّ قُرَيش؟ قَـالَ: مِنْ أَجلِّها(٢) ذِكْـراً، وَأَعْظَمِهَـا مَنْزِلاً وَأَشْرَفِهَا قَبِيلَةً [مِمَّن تَهَابه قُرَيْش كُلّها وَتَخْشاه، قَـالَتْ: أَنْتَ وَاللَّهِ مِنْ بَنِي هَاشِم، قَالَ: أَنَا مِنْ بَنِي هَاشِم، قَـالَتْ مِنْ أَيِّ هَاشِم؟](٣) قَالَ: مِنْ أَعْلاَهَا مَنْزِلَة، وَأَشْرَفِهَا قَبِيلَةً مِمَّنْ تَهَابُه هَاشِم وَتَخافُه، قَالَ: فَعِنْدَ ذَلِكَ قَبَّلَتْ الجَارِيَةُ الأَرْضَ وَقَـالَتْ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِين وَخَلِيفَة رَبِّ العَالَمِينَ، فَتَعَجَّبَ المَأْمُونُ ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ لاَ أَبْرَحُ حَتَّى أَتَزَوَّجَ هَذِهِ الجَارِيَة، وَتَلاَحقَتْ العَسَاكِرُ، وَأَنْفَذَ خَلْفَ أَبِيهَا، وَخَطَبَهَا وَتَزَوَّجَهَا، وَدَخَلَ بِهَا وَعَادَ مَسْرُوراً بِهَا(٤).

٨ ـ حَكَى الأَصْمَعِي: أَنَّ عَجُوزاً مِنَ العَرَبِ جَلَسَتْ عِنْدَ فِتْيَانٍ يَشْرَبُونَ نَبِيذَ التَّمرِ فَسَقَوْهَا فَطَابَتْ نَفْسُهَا، وَتَبَسَّمَتْ، ثُمَّ سَقَوْهَا ثَانِياً فَاحْمَرَّ وَجْهُهَا، ثُمَّ سَقَوْهَا ثَـالِثاً فَضَحِكَتْ وَقَـالَتْ: أَخْبِرُونِي عَنْ نِسَائِكُمْ بِالعِـرَاقِ، هَلْ يَشْـرَبْنَ مِنْ هَذَا الشَّرَابِ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَقَالَتْ: إِذاً وَاللَّهِ زَنَيْنَ، وَرَبِّ الكَعْبَةِ(٥).

٩ ـ حُكِـيَ أَنّه كَانَ فِي المَدِينَةِ جَارِيَةٌ، حَسَنَةُ قَـرَأَتْ القُرْآنَ وَرَوَتْ الأَشْعَـارَ، فَوَقَعَتْ عِنْدَ يَزِيـد بْنِ عَبْدِ المَـلِكِ فَأَحَبَّهَا وَقَالَ لَهَا: أَمَا لَكِ قَرَابَةٌ حَتَّى أُسْدِي إِلَيْهِمْ جَمِيلاً؟ فَقَالَتْ: أَمَّا القَرَابَة فَلاَ، لَكِن لِي، فِي المَدِينَةِ، ثَلاَثَة نَفَرٍ كَانُوا أَصْدِقَاءَ لِمَوْلاَيَ(٦)، فَاسْتَدْعَاهُمْ يَزِيـد وَأَمَرَ لِـكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ عَشْـرَة آلافِ دِرْهَم، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَى يَزِيد أَكْرَمَهُمْ وَقَضَى حَوَائِجَ اثْنَيْنِ(٧) مِنْهُمْ، وَأَمَّا الثَّالِث فَلَمْ يَكُنْ لَهُ

(١) في المستطرف (المكرمات).

(٢) في الأصل (أجملها) وهكذا وردت بالمستطرف١ / ٨٤.

(٣) سقطت هذه الفقرة من الأصل، وقد أثبتها عن المستطرف ١ / ٨٤، حيث لا يستقيم المعنى بدونها.

(٤) ورد في المستطرف (١ / ٨٤) جعد هذا: (وهي والدة ولده العباس والله أعلم).

(٥) أورد الحكاية الأبشيهي بالمستطرف ٢ / ٣١٦، مع اختلاف وزيادة في بعض الألفاظ. وقد زاد: (والله إن صدقتم ما فيكم من يعرف أباه).

(٦) في الأصل (لمولائي).

(٧) في الأصل (حوائجهم اثنان).

حَاجَة، فَأَلَحَّ عَلَيْهِ يَزِيد فَقَالَ: وَلِي الأَمَان يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِين؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ: أُرِيدُ أَنْ تَأْمُرَ لِي جَارِيَتَكَ أَنْ تُغَنِّي ثَلاَثَةَ أَصْوَاتٍ أَشْرَبُ عَلَيْهَا[1] ثَلاَثَةَ أَرْطَالِ خَمْرٍ. فَغَضِبَ يَزِيد وَدَخَلَ عَلَى جَارِيَتِهِ وَأَعْلَمَهَا فَقَالَتْ لَهُ: وَمَا عَلَيْكَ؟ فَأَمَرَ بِالفَتَى فَأُحْضِرَ وَنُصِبَتْ ثَلاَثَةُ كَرَاسٍ فَقَعَدَ كُلُّ واحدٍ عَلَى كُرْسِيٍّ، ثُمَّ دَعَا بِصُنُوفِ الرَّيَاحِين، وَثَلاَثَةِ أَرْطَال خَمْر، وَقَالَ لِلْفَتَى، سَلْ حَاجَتَكَ! فَقَالَ: تَأْمُرُهَا أَنْ تُغَنِّي، وَأَنْشَدَ:

لاَ أَسْتَطِيعُ سُلُوّاً عَنْ محبَّتِهَا ... أَوْ يَصْنَعُ الحُبُّ بِي فَوْقَ الَّذِي صَنَعَا
أَدْعُو[2] إِلَى هَجْرِهَا قَلْبِي فَيُسْعِدُنِي ... حَتَّى إِذَا قُلْتُ هَذَا صَادِقٌ نَزَعَا

فَغَنَّتْ، وَشَرِبُوا، ثُمَّ قَالَ: تَأْمُرُهَا تُغَنِّي، وَأَنْشَدَ:

مِنِّي الوِصَالُ وَمِنْكُم الهَجْرُ ... حَتَّى يُفَرِّقُ بَيْنَنَا الدَّهْرُ
وَاللَّهِ لاَ أَسْلُوكُمُو[3] أَبَداً ... مَا لاَحَ بَدْرٌ[4] أَوْ بَدَا فَجْرُ

فَغَنَّتْ، وَشَرِبُوا ثُمَّ أَمَرَهَا تُغَنِّي، وَأَنْشَدَ:

تَخَيَّرْتُ مِنْ نُعْمَانَ عُودَ أَرَاكَةٍ ... بِهِنْدٍ، وَلَكِنْ مَنْ يُبَلِّغه هِنْدَا
أَلاَ عَرِّجَا بِي بَارَكَ اللَّهُ فِيكُمَا ... وَإِنْ لَمْ تَكُنْ هِنْدٌ لأَرْضِكُمَا قَصْدَا

فَلَمْ تُتِمَّ الأَبْيَات حَتَّى خَرَّ الفَتَى مَغْشِياً عَلَيْهِ، فَقَالَ يَزِيدُ لِلْجَارِيَةِ: انْظُرِي إِلَيْهِ فَحَرَكَتْهُ فَإِذَا هُو مَيت؛ فَقَالَ لَهَا: ابْكِهِ[5] فَقَالَتْ: أَبْكِيهِ وَأَنْتَ حَيٌّ؟ قَالَ: ابْكِهِ فَلَوْ عَاشَ مَا انْصَرَفَ إلاَّ بِكِ[6]. فَبَكَتْ وَبَكَى يَزِيدُ. وَدُفِنَ الفَتَى وَلَمْ تَلْبَثِ الجَارِيَة بَعْدَهُ إلاَّ أَيَّاماً[7] قَلاَئِلَ وَمَاتَتْ. قَالَ رَاوِي هَذِهِ الحِكَايَةِ أَبُو القَاسِم بْنُ إِسْمَاعِيل: وَلَمْ أَرَ[8] أَذْكى مِنْ هَذِهِ الجَارِيَةِ، حَيْثُ إِنَّه سَأَلَهَا، هَلْ مِنْ قَرِيب؟ قَالَتْ: لاَ،

---

(١) في الأصل (عليهم).
(٢) في الأصل (ادعوا).
(٣) في الأصل (اسلوكموا).
(٤) في الأصل (بدرو).
(٥) في الأصل (ابكيه).
(٦) في الأصل (بكي).
(٧) في الأصل (أيام).
(٨) في الأصل (أرى).

وَلَكِنْ ثلاثَة أنْفار. وَكَانَ قَصدُهَا وَاحِداً[1] مِنْهُمْ، وَلَكِنْ خَافَتْ فَأَخْفَتْ، وَلَمَّا سَأَلَ الفَتَى إِحْضَارهَا، وَغَضِبَ يَزِيدُ، وَدَخَلَ عَلَيْهَا وَذَكَرَ لَهَا ذَلِكَ، وَكَانَ قَصدُهَا الاجْتِمَاعَ بِمَنْ تَهْوَاهُ، فَقَالَتْ: وَمَا عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، وَلَمَّا قَالَ لَهَا: ابْكِهِ، قَالَتْ: أَبْكِيهِ وَأَنْتَ حَيٌّ. وَهَذَا كُلّه مِنْ فَرْطِ ذَكَائِهَا لِئَلَّا تَنْفَضِحَ بَيْنَ النَّاسِ، وَيَقُولُونَ عَنْهَا. فُلَانَة أَحَبَّتْ فُلَاناً. وَفِيمَا ذَكَرْنَاه كِفَايَة.

١٠ ـ وَلْنَذْكُر نُبْذَة فِيهَا لِلسَّامِعِ فَائِدَة ذُكِرَ فِي كِتَابِ «نِصَابِ الاحْتِسَابِ»: رَوَى الإِمَامُ الشَّعْبِيّ بِإِسْنَادِهِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «لَعَنَ اللَّهُ المُؤَنَّثِينَ مِنَ الرِّجَالِ، وَالمُذَكَّرَاتِ مِنَ النِّسَاءِ». وَفِي «شَرْحِ الكَرْخِي»: كَانَ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: هَيْتَ المُخَنَّث فَلَمَّا حَاصَرَ ﷺ الطَّائِفَ، قَالَ هَيْتُ لِعَمْرُو بْنِ أَبِي سَلَمَةَ: إِذَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْنَا الطَّائِفَ دَلَلْتُكَ عَلَى بَادِيَة[2] بِنْتِ غِيلَان فَإِنَّهَا تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ، وَتُدْبِرُ بِثَمَانٍ، فَقَالَ ﷺ: «هَذَا الخَبِيثُ يَعْرِفُ هَذَا، لَا يَدْخُلُ عَلَيْكُمْ». وَمَعْنَى قَوْلِهِ: تُقْبِلُ بِأَرْبَعٍ: عُكَنُ[3] البَطْنِ. وَتُدْبِرُ بِثَمَان: أَطْرَافُهَا[4] لِكُلِّ عُكْنَة طَرَفَيْنِ أي جَنْبَيْهَا. وَيُكْرَهُ لِلنِّسَاءِ اتِّخَاذَ الجَلَاجِلِ فِي أَرْجُلِهِنَّ لِأَنَّه مَبْنِي حَالهنَّ عَلَى السَّتْرِ، وَفِيهِ إِظْهَارُهُنَّ مَعَ أَنَّهُ مِنْ أَسْبَابِ اللَّهْوِ.

١١ ـ وَذُكِرَ فِي «تَلْخِيصِ البُرْهَانِ»: قَالَ الأَصْمَعِيُّ: كَانَ يُقَالُ شَبَابُ المَرْأَةِ مِنْ خَمْس عَشْرَة[5] إِلَى الثَّلَاثِين، وَفِيمَا بَيْنَ الثَّلَاثِين وَالأَرْبَعِين يُقَالُ لَهَا: مُسْتَمْتَع ثُمَّ قَدْ آيَست.

١٢ ـ وَذُكِرَ فِي «الأَشْبَاه»: لَيْسَ لَنَا عِبَادَة شُرِّعَتْ مِنْ عَهْدِ آدَم إِلَى الآن ثُمّ تَسْتَمِرُّ فِي الجنةِ إِلَّا الإِيمَان وَالنِّكَاح.

---

(١) في الأصل (واحد).

(٢) في الأصل (نادية).

(٣) عكن:

(٤) في الأصل (أطرافهما).

(٥) في الأصل (خمسة عشرة).

١٣ - وَذُكِرَ فِي «تَفْسِيرِ المُدَارِك»: إِنَّمَا جَازَ أَنْ تَكُونَ امْرَأَة النَّبِيِّ كَافِرَة كَامْرَأَتَي[١] نُوح وَلُوط، وَلَمْ يَجُزْ أَنْ تَكُونَ فَاجِرَة لِأَنَّ النَّبِيَّ مَبْعُوثٌ إِلَى الكُفَّارِ لِيَدْعُوهُمْ، فَيَجِبْ أَنْ لَا يَكُونَ مَعَهُ مَا يُنَفِّرهم عَنْهُ، وَالكُفْرُ غَيْر مُنَفِّر عِنْدَهُمْ، وَأَمَّا الكَشْخَنَةُ فَمِنْ أَعْظَمِ المُنَفِّرَاتِ[٢].

(١) في الأصل (كامرأة).

(٢) سبق تفسير مدارك هذا في ترجمة عائشة ١٠٠/ب.

مَنَازِلُ السُّعُودِ فِي النِّكَاحِ

فِي الشَّرْطَيْنِ: إِذَا عُقِدَ النِّكَاحُ تَمُوتُ المَرْأَةُ فِي عَامِهَا، وَفِي البَطِين يَمُوتُ الرَّجُلُ قَبْلَ الإِمْرَأَةِ. وَفِي الثُّرَيا كَانَ العَقْدُ جيداً[1]، وَفِي الدّبران يَحْصُلُ لِلزَّوْجَيْنِ الفَقْرُ، وَفِي الهَقْعَةِ يَقَعُ الفِرَاقُ بَيْنَهُمَا فِي الطَّلَاقِ، وَفِي الذِّرَاعِ جَيِّدٌ فِي الغَابَةِ، وَفِي النَّشْرَةِ أَيْضاً فَهُو جيدٌ، وَفِي الطَّرْفِ يَحْصُلُ بُغْضٌ بَيْنَ الرَّجُلِ وَالمَرْأَةِ. وَفِي الجَبْهَةِ يَقَعُ الفِرَاقُ بَيْنَهُمَا، وَفِي بَزْبَرَة جَيِّدٌ حَسَنٌ، وَفِي الصَّرْفَةِ نَحْسٌ عَظِيمٌ، وَفِي العَوَّاءِ أَيْضاً نَحسٌ، وَفِي السَّمَاك أَيْضاً نَحسٌ، وَفِي سَعْدَان أَفْقَرُ كَثِيراً[2]، وَفِي الزُّبَّان أَيْضاً فَقْرٌ، وَفِي الإِكْلِيل نَحْسٌ، وَفِي القَلْبِ جَيِّد، وَفِي الشَّوْلَةِ نَحْس، وَفِي النَّعَائِمِ جَيِّد، وَفِي سَعْد ذَابِح مَوْت الزَّوْجِ فِي أَقَلّ مِنْ سَنَةٍ، وَفِي بَلْعِ السُّعُودِ جَيِّد، وَفِي سَعْدِ السُّعُودِ جَيِّد، وَفِي سَعْدِ أُخْبِيَة جَيِّد، وَفِي الحُوتِ جَيِّد، وَفِي مُقَدّم جَيِّد[3]، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَعَلَى ذِكْرِ السَّعْدِ وَالنَّحْسِ فَالأَيَّامُ كَمَا زَعَمَ المُنَجِمُونَ مِنْهَا سَعْدٌ وَنَحْسٌ.

فَمُحَرَّمُ ثَانِي يَوْم وَسَابِع عَشَر نَحْس، [وَ][4] صَفَرُ أَوَّل يَوْم وَالثَّالِث نَحْس،

---

(١) في الأصل (جيد).

(٢) في الأصل (كثير).

(٣) في الأصل (مكررة).

(٤) زيادة يقتضيها السياق.

وَرَبِيعَ الأَوَّلِ عَاشِر يَوْم وَالثَّالِث عَشْر نَحْس، وَجُمَادَى الثَّانِيَة[1] ثَانِي يوْمٍ وَالرَّابِعِ عَشْر نَحْس، وَرَجَبُ رَابع يَوْمٍ وَيَوْم العِشْـرِين نَحْس، وَشَعْبَانُ ثَـالِث يَوْم ويـوْم العِشْرِين نحْس، وَرَمَضانُ سادس يوْم والثَّامن نحْس، وَشوَّال سادسُ يَوْمٍ وَالسَّابع نحْس وَذُو[2] القِعْـدَة ثالث يـومْ وَالثَّـامِن نحْس، وَذُو[3] الحجَّـة يَـوْمُ السَّـادِسِ وَالعِشْرِينَ نَحْس.

وَيُرْوَي عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ أَنَّهُ قَالَ: الأَيَّامُ كُلُّهَا لِلَّهِ بَعْضُهَا نَحْسٌ وَبَعْضُهَا سُعُود، وَمَا مِنْ شَهْرٍ إِلَّا وَفِيهِ سبْعَةُ أَيَّامٍ نَحِسَات: اليَوْمُ الثَّالث مِنْ كُلِّ شَهْر لِأَنَّ فِيهِ قَتْل هَابِيل، وَاليَوْمُ الخَامِسِ مِنْ كُلِّ شَهْر نَحْس لأَنَّ آدَم أُخْرِجَ فِيهِ مِنَ الجَنَّةِ وَأُرْسِلَ فِيهِ العَذَابُ عَلَى قَوْمِ يُونس، عَلَيْهِ السَّلام وَفِيهِ وُلِـدَ قَابِيـلُ، وَفِيهِ أُلْقِيَ يُوسُف، عَلَيْهِ السَّلام فِي الجُبِّ، وَاليَوْمُ الثَّالِثُ عَشْر مِنْ كُلِّ شَهْر نَحْس لِأَنَّ فِيهِ سُلِبَ مَالُ أَيُّوب وَأُرْسِلَ عَلَيْهِ البَلَاءُ وَاليَوم السَّادِسُ عَشْر نَحْس لِأَنَّ فِيهِ سُلِبَ مُلْكُ سُلَيْمَان، وَفِيهِ قُتِلَتْ الأَنْبِيَاءُ، وَيَوْمَ الحَادِي وَالعِشْرِينَ[4] نَحْس مِنْ كُلِّ شَهْر لِأَنَّ فِيهِ خُسِفَ بِقَوْمِ لُوطٍ، وَفِيهِ مُسِخَ[5] سَبْعِمِائَـة نَصْرَانِي خَنَازِيراً، وَمُسِخَتْ اليَهُودَ قِرَدَة، وَفِيهِ شَقَّ اليَهُودُ بِالمِنْشَارِ زَكَرِيَّا، وَيَوْمُ الرَّابِعِ وَالعِشْرِينَ نَحْس مِنْ كُلِّ شَهْرٍ لِأَنَّ اللَّهَ فِيهِ خَلَقَ فِرْعَون وَفِيهِ ادَّعَى الرُّبُوبِيَّة، وَفِيهِ أُرْسِلَ الطُّوفَان، وَفِيهِ أُرْسِلَ الجَرَادُ وَالضَّفَادِعُ وَالدَّم. وَيَوْمُ الخَامِسِ وَالعِشْرِين نَحْسٌ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ لِأَنَّ فِيهِ شَقَّ النَّمْرُود بُطُونَ[6] سَبْعِين امْرَأَة حَامِلاً. وَفِيهِ أُلْقِي إِبْرَاهِيم عَلَيْهِ السَّلام فِي النَّارِ، وَفِيهِ عُقِرَتْ نَاقَةُ صَالِح. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَذَكَرَ بَعْضُهُمْ: أَنَّ أيامَ السعود من كل شهر يَصْلُحُ فِيهِ النكاحُ وَالبِنَاءُ والسَّفَرُ والتِّجَارَةُ، وَهِي[7]: اليَوْم الثَّانِي مِنْ كُلِّ شَهْر، وَاليَوْم السَّابعُ مِنْ كُلِّ شَهْر، وَاليَوْمُ

---

(١) في الأصل (الثاني).

(٢) في الأصل (ذا).

في الأصل (ذي).

في الأصل (العشرون).

(٥) في الأصل (مسح).

(٦) في الأصل (بطن).

(٧) في الأصل (هم).

الثَّانِي عَشْر مِنْ كُلِّ شَهْر، وَالْيَوْمُ السَّابعُ عَشْر [مِنْ][1] كُلِّ شَهْر، وَالْيَوْمُ الثَّانِي والعشرون مِنْ كُلِّ شَهْرِ، وَالْيَوْم السَّابع وَالعِشْرون مِنْ كُلِّ شَهْر، وَطَرِيق حِفْظِ هذا، أَنْ تَعدّ مِنْ أَوَّلِ الشَّهْرِ في أَصَابعِ اليَدِ فَتَبْدَأَ بِالخُنْصُر، وَمَا وَقَعَ عَلَى البُنْصُرِ فَهُو سَعْدٌ مِنَ الوَاحِدِ إِلَى تَمامِ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ فَيظْهر سِتَّة أَيَّامٍ.

وَالصَّحِيحُ: لَا تُعادِ الأَيَّام فَتُعَادِيك، وَقَالَ ﷺ: «لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ فِي الإِسْلَامِ». وَمِمَّا يَنْسِبُونَهُ إِلَى الإِمَامِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

لَنِعْمَ اليومُ يَوْمُ السَّبْتِ حَقًّا ... لِصَيْدٍ إِنْ أَرَدْتَ بِلَا امْتِرَاء
وَفِي الأَحَدِ البِنَاءِ لأَنَّ فِيهِ ... بَدَأَ اللَّهُ فِي خَلْقِ السَّمَاءِ
وَفِي الاثْنَيْنِ إِنْ سَافَرْتَ فِيهِ ... سَتَظْفَرُ بِالنَّجَاحِ وَبِالشَّرَاءِ
وَمَنْ يَرِدِ الحِجَامَةَ فَالثُّلَاثَا ... فَفِي سَاعَاتِهِ خَرْقُ الدِّمَاءِ
وَإِنْ شَرِبَ امْرُؤٌ يَوْماً دَوَاءً ... فَنِعْمَ اليَوْمُ يَوْمُ الأَرْبِعَاءِ
وَفِي يَوْمِ الخَمِيسِ قَضَاءُ حَاجٍ ... فَفِيهِ اللَّهُ يَأْذَنُ بِالدُّعَاءِ
وَفِي الجُمُعَاتِ تَزْوِيجٌ وَعُرْسٌ ... وَلَذَّاتُ الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ

وَمِمَّا يُرَدُّ عَلَى مَنِ اعْتَقَدَ بِنَحْسِ الأَيَّامِ وَسَعْدِهَا، مَا حُكِيَ أَنَّ المَلِكَ المُعَظَّمَ عَزَمَ عَلَى الصَّيْدِ، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الحَاضِرِينَ: أَيُّهَا المَلِكُ القَمَرُ فِي العَقْرَبِ وَالسَّفَرُ فِيهِ مَذْمُومٌ، وَالمَصْلَحَةُ الصَّبْرُ إِلَى أَنْ يَحِلَّ فِي القَوْسِ، فَلَمَّا عَزَمَ عَلَى الصَّبْرِ وَهُو مُتَفَكِّر[2] إِذْ دَخَلَ عَلَيْهِ مَمْلُوكٌ لَهُ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ وَجْهاً، وَوَقَفَ قُدَّامَهُ وَهُو مُتَوشِّح فِي قَوْسٍ، فَقَالَ بَعْضُ مَنْ حَضَرَ: يَا مَوْلَانَا بِاللَّهِ ارْكَبْ فِي هَذِهِ السَّاعَةِ، فَهَذَا القَمَرُ، وَأَشَارَ إِلَى المَمْلُوكِ قَدْ دَخَلَ فِي القَوْسِ فَقَامَ وَرَكِب لِوَقْتِهِ فَلَمْ يَرَ[3] أَطْيَبَ مِنْ تِلْكَ السَّفْرَة، وَلَا أَكْثَر صَيْداً مِنْهُ. وَهَذَا هُو الصَّوَابُ، وَلَوْ

---

(١) زيادة يقتضيها السياق.

(٢) في الأصل (متفكراً).

(٣) في الأصل (يرى).

كَانَتْ[1] حِكَايَةٌ، لأَنَّ الضَّارَ وَالنَّافِعَ هُو اللَّهُ تَعَالَى وَأَمَّا مَا تَقُولُهُ الْمُنجمُونَ وَأَهْلُ الرَّمْلِ وَغَيْرُهِمْ فَالصَّوَابُ أَنْ لاَ يُعْتَقَدَ فِيهِ: شِعْر:

أَلاَ قُـلْ لِلْمُـنَـجِّـمِ كَـيْـفَ تَـدْرِي بِـأَحْـوَالِ الـسَّـعَـادَةِ وَالـشَّـقَـاءِ
أَرَى أَحْـوَالَ بَيْتِـكَ عَـنْـكَ تَخْـفَى فَـكَيْـفَ عَـرَفْتَ أَحْـوَالَ الـسَّـمَـاءِ

حُكِيَ: أَنَّـهُ صُلِبَ مُنَجِّمٌ، فَقِيلَ لَـهُ قَبْلَ أَنْ يُصْلَبَ: هَـلْ رَأَيْتَ هَذَا فِي طَالِعِكَ؟ قَالَ: نَعَمْ رَأَيْتُ رَفْعَةً[3] وَلَكِنْ لاَ أَعْلَمُ أَنَّهَا فَوْقَ خَشْبَةً.

وَقَالَ العِمَادُ: أَجْمَـعَ المُنَجِّمُونَ سَنَـةَ اثْنَيْـنِ وَثَمَانِينَ وَخَمْسِمِـائَة عَلَى أَنَّ خَرَابَ العَالَمِ فِي هَذَا العَامِ فِي شَهْرِ شَعْبَانِ عِنْدَ اجْتِمَاعِ الكَـوَاكِبِ السَّتَّةِ فِي المِيزَانِ بِطُوفَانِ الرِّيحِ، وَخَوَّفُوا بِذَلِكَ مُلُوكَ الأَعَاجِمِ وَالرُّومِ وَشَرَعُـوا فِي حَفْرِ مَغَارَاتٍ، وَنَقَلُوا إِلَيْهَا المَاءَ وَالطَّعَامَ، فَلَمَّا كَانَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةُ الَّتِي عَيَّنَهَا المُنَجِّمُونَ لِمِثْلِ[4] رِيحِ عَادٍ، وَنَحْنُ جُلُوسٌ عِنْدَ السُّلْطَانِ وَالشُّمُوعُ تُوقَدُ وَلاَ تَتَحرَّكُ لَمْ تَهُبَّ[5] رِيحٌ وَلاَ رأَيْنَا لَيْلَةً مِثْلَهَا فِي رُكُودِهَا.

وَالحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العَالَمِينَ

تَمَّتْ النُّسْخَةُ عَصْرَ يوْم الثُلاَثَاء أَوَّل يَوْم مِنْ ذِي القِعْدَةَ عَلَى يَدِ جَامِعِهَا وَمُؤَلِّفِهَا الفَقِيرُ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ، يَاسِينُ الخَطِيب العِمَري بْنُ خَيْرِ اللَّهِ الخَطِيبِ العِمَرِي بْنِ مَحْمُودِ الخَطِيب العِمَرِي ابْنِ مُوسَى الخَطِيبِ العِمَرِي غَفَرَ اللَّهُ لَهُمَا، آمِين يَا

---

(١) في الأصل مكررة.

(٢) في المطبوعة (المنجمين).

(٣) في الأصل (رفعه).

(٤) في الأصل (بمثل).

(٥) في الأصل (ريحا).

رَبِّ العَالَمِينَ، وَذَلِكَ فِي سَنَةِ أَلْفٍ وَمِائَتَيْنِ وَأَرْبَعٍ[1] مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ المُكَرَّم، فِي سَنَة ١٢٠٤*.

(١) في الأصل (أربعة).

(*) جاء على هامش الورقة الأخيرة من المخطوط ما نصه: (قال كانت هذه النسخة: الحمد لله رب العالمين، والصلاة على سيد المرسلين محمد وآله وصحبه أجمعين، قد فرغت من كتابتها في اليوم الثامن عشر من شهر رمضان من سَنة ألف وثلاثمائة وثلاثين هجرية، وقد كتبتها عن نسخة المؤلف التي كانت في المكتبة المرجانية ببغداد ـ الحمد لله وأنا الفقير إليه إبراهيم بن عبد الغني البغدادي غفر الله ذنوبه ـ في ١٨ رمضان سنة ١٣٣٠).

الفهرس